
Bibliotheca Alexandrina
0128789



تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق

تأليف العالم العلامة الشيخ داود
الانطاكي المعروف بالاكمه
مؤلف التذكرة الطبية
طيب الله ثراه
آمين

(وبهامشه ديوان الصبابة للاديب الفاضل شهاب الدين)
(أحمد بن أبي حجلة المغربي رحمة الله تعالى عليه)

(ترجمة ابن أبي حجلة من كتابه مغناطيس الدر النفيس باختصار)

هو شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد المغربي مولدا الدمشقي منشأ نزيل القاهرة الشهير بابن أبي حجلة مولده بالمغرب سنة خمس وعشرين وسبعمائة بزاوية جده الشيخ الصالح الزاهد أبي حجلة عبد الواحد قدس الله روحه ونور ضريحه وكنى جده بذلك لصلاح حاله وتعلق الحجل والوحوش باذياله وزاوية جده بالمغرب مشهورة وأحاديث بركته مأثورة يؤخذ منها التراب لطلب الدواء والتماس الشفاء وقدم من المغرب مع أبويه واخوته فبلغوا السول بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تنقلت به بعد موتهم الاحوال وشاهد بمصر بعد رؤية أبي الهول الاهوال فصنف كتابه غرائب العجائب وعجائب الغرائب وفيه يقول

هذا الكتاب ذكرت فيه عجائبا * تغنى النديم عن المدامة والطرب
يهتز سامعها لطيب حديثها * الاحسودا ليس يعجبه العجب

وله أكثر من ثمانين مصنفا في الحديث والفقه والنحو والادب وله شعر ونثر سيأتي شيء منه في اثناء ديوان الصبابة

(طبع على نفقة مصطفى بك شاكر وأخيه)

(الطبعة الثالثة)
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣٢٨ هجرية)



الحمد لله الذى أطلع فى بروج اعتدال القدود شموس المحاسن والجمال وأهل فى منازل السعود بدور اللطائف والكمال وزين أغصان القدود برمان النهود ورياض الوجوه بنرجس اللحاظ وورد الخدود وألف بين ما نظم فى الثغور وقلائد النحور وجعل تسريح الابصار لذوى البصائر ولطافة الافكار من أسباب الافتتان بتأمل الحسان فنزلهم وان اختلفت أغراضهم منزلة الاغراض لرشق قسى الحواجب بسهام الالحاظ (نحمده) على تعديل أمزجة فرعها صحة التأمل فى حسن التجمل وتصفية نفس لازمها الاستبصار والتبصر فى الفرق بين الجهل والتعقل ونصلى ونسلم على من بعث بنهى النفس عن الهوى والارشاد الى طريق العدل والاستوا والامر باعلاء العقل على النفس وقهر شهوات الجسم وتقييد مدارك الحس فحث على تهذيب النفس الابية عن الرذائل الدنية سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المتخلقين باكرم الاخلاق والاوصاف وأجل اللطافة والعفاف ما نضرت الحدائق ونظرت الحدق وتأنق المغلق وتألق الفلق *(وبعد)* فلما دل تنويع أصل الايجاد وتفريع عالم الكون والفساد مع قدرة الموجد على جعل ما أوجد من أصل واحد على سأم النفس من ملازمة الشئ الواحد فى كل حال واستراحتها فى اختلاف الاطوار بالنظر والانتقال وكان أعظم مطلوب منها تحصيل العلوم التى هى سبب السعادة الدينية وتشييد المبانى الشرعية وجب اسعافها بالمفاكهات الانيقة والاخبار اللطيفة الرشيقة لتنشط من عقال التعب وتستريح فتعرج الى المطلوب منها خفيفة من كل الوصب والنصب وذلك هو العلوم الادبية كالتواريخ

والاخبار

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى جعل العاشقين باحكام الغرام رضا وحبب اليهم الموت فى حب من يهوونه فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا فكم فيهم من عاشق ومحب صادق

رأى محب غرام الوصل فامتنعوا
فسام صبرا فأعيا نيله فقضا

(أحمده) حمد من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وشدا بذكر محبوبه ان كان تهاميا فى حجاز أو شاميا فى نوى

طورا يمان اذا لاقيت ذا يمن
وان لقيت معديا فعدنانى

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد شهادة من أصبح موته لبعده أقرب من حبل الوريد وقال لعاذله لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد

ولو أن ما بى من حبيب مقنع
عذرت ولكن من حبيب معمم

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة من أخلص فى موالاته وتبرأ من الاثم حين تولى عنه محبوبه بخاتم ربه وبراءته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين يحبهم ويحبونه ويقفون عند ما أمرهم ولا يتعدونه ما ذر شارق وهام عاشق *(أما بعد)* فان كتابنا هذا كما قيل

كتاب حوى أخبار من قتل الهوى
وسار بهم فى الحب فى كل مذهب

مقاطيعه مثل المواصيل لم تزل
تشبب فيه بالرباب وزينب

فهم ما هم تعرفهم بسيماهم قد تركهم الهوى كهشيم المحتظر وأصبحوا من علة الجوى على قسمين فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر فهم ما بين قتيل وشهيد

والاخبار ولطائف الحكايات والاشعار ولما من الله تعالى على بعد تحرير العلوم العقلية وتهذيب النفس بالدقائق الحكمية بالهجرة الى الديار المصرية فمثلت بها بين يدى الاماثل وخدمت من سما فيها من ارباب الفضائل من أيضا سبحانه وتعالى كجارى عوائده السنية بتحصيل ما أمكن من العلوم الشرعية بيد أنى رميت فى خلال الاشتغال بما شوش الفكر وغير البال وهيج أليم البلبال

من هموم وحاجة واغتراب * كدرت منى القوى النفسيه
فهى فى كل ساعة فى ازدياد * غبت منه عن مدرك الحسيه
فانا وهى فى التلازم صرنا * كالهيولى والصورة الجنسيه

لا أجد من يفرج الكرب اذا شكوت اليه ولا من أعول اذا ضاق الامر عليه كأن الزمان كما قيل

فى المساوى بدا التساوى * فلا معين ولا معين

فغير ذلك ادراكى الثاقب فقصرت على بلوغ المآرب فاعملت الحيلة فيما به أريح النفس وأنفى اللبس فانقدح فى الفكر بعد طول التعب ان أمتطى غارب الادب فارست من الاصحاب من هو له كالعناصر فمال اليه ذهنى الفاتر فشرعت فى جمع شئ فى محاسنه المختلفه وضمها بحيث تكون فى الجنس وان اختلفت بالنوع مؤتلفه فكان أول ما طرقته واحكمت قواعده وحررته طبقات ذكرت فيها اخبار الحكماء ولطائف الاطباء ثم لم ازل أجيل النظر فى مجاميع مختلفة الى ان وقع اختيارى على اختصار أسواق الاشواق المأخوذ من مصارع العشاق المنسوب الى أبى بكر محمد بن جعفر البغدادى السراج رحمه الله فانه وان كان قد جمع فيه بين جد القول وهزله وطرائف نكت العشق وأهله ورقيق اللفظ وجزله اذ هو نسيج وحده زمانه ورئيس أقرانه وواحد عصره ونادرة دهره مولانا أبى الحسن ابراهيم بن حسن بن عمر الرباط الشهير بالبقاعى تغمده الله برضوانه وأسكنه فسيح جنانه الا انه كتاب طال فى غير طائل وجمع ما لا حاجة بهذه الصناعة اليه من المسائل كذكر الاسانيد والتكرار الذى هو شأن الاحاديث النبوية لتوثيق الاحكام الدينية وكالاخلال بمحاسن الاخبار ولطائف الاشعار التى هى بهذا الفن اعلق من الجوى باهل الهوى وعدم الترتيب المستلزم لاختلال التهذيب وكالاعراض عن ذكر غالب اسباب وقوع بعض العشاق فى شرك الحب الى غير ذلك مما يظهر للمتأمل كتابنا مع أصله اذا طرح الهوى وانتظم فى سلك الانصاف وأهله فألفت هذا الكتاب الذى هو فى قلادة هذا الفن درة بيضاء وفى جبهة جواده غرة غراء أكملت فيه فوائده ورددت شوارده وأضفت ما نبذه ظهريا ولم آت شيأ فريا فزاد على أصله بامور اثنى عشر أحدها وهو الاعظم تبديل ما فى الباب العاشر الذى سماه بالشارع الجامع لما فى المصارع بما هو خليق بهذا الاسم وجدير بهذا الرسم ضمنته ما حل مما تقدمه محل الاصول من الفروع كجعلك الغيرة أصلا لنحو حكاية ديك الجن وكتم الاسرار لنحو صاحب الجارية فى عرفة وتأمل الخيال لنحو من عشق فى نومه الى غير ذلك وجمعت فيه ديوان الصبابة وغيره وهو غط ما بسط قبل وثانيها حسن التقسيم فى الابواب وثالثها لطف الترتيب وضم الانواع المتماثلة ورابعها حذف الاسانيد والتكرار مع ذكر ما اختلف باشارات كأو وقيل وخامسها ذكر السبب الموقع لصاحب الحكاية فيها وسادسها تمييز

وشق وتنفيذ على اشتقاق طبقاتهم وأشكالهم وتباين مراتبهم وأحوالهم وغير ذلك مما تصبح به أوراقه يانعة الثمر وتمسى بصفحاته فى كل ناحية من وجهها قمر

فاذا نظرت الى الوجود بأسره
شاهدت كل الكائنات ملاحا

على ان جماعة من العصريين غلبوا من تقدم بالتأليف فى هذا الباب ولم يفرق غالبهم فى التشبيب بين زينب والرباب

وكل يدعى وصلا بليلى
وليلى لا تقر لهم بذا كا

فربع كتابنا هذا بذكر العامر به معمور وهو بالنسبة الى ما ألفه الشهاب محمود مشكور ومن وقف عليه علم صحة هذا الكلام وأنشد فى تصديق هذه الدعوى اذا قالت حذام مؤلف طوق الحمامة بالنسبة الى حجلته محجل وصاحب منازل الاحباب ممن عرف المحل فبات دون المنزل

وعذرت طيفك فى الجفاء لانه
يسرى فيصبح دوننا بمراحل

(آخر)

فيا دارها بالخيف ان مزارها
قريب ولكن دون ذلك أهوال

فان قلت الفضل للمتقدم وهل غادر الشعراء من متردم قلت نعم فى الخمر معنى ليس فى العنب وأحسن ما فى الطاوس الذنب

فدع كل صوت بعد صوتى فاننى
أنا الصائح المحكى والآخر الصدا

فكم ترك الاول للآخر ولا اعتبار بقول الشاعر

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لاول منزل

فقد سقط فى يديه وقيل فى الرد عليه

من جهل شيء من أحواله ممن علم بسائر أقواله وأفعاله وسابعها تفصيل من علق الاحرار من أهل الرق والمسلمين من أهل الشرك وأمثال ذلك من قديم ومحدث وثامنها ذكر ما فى الاصل من الالفاظ اللغوية مفسرا ذلك بازائه مبدلا ذلك بأوضح منه وتاسعها شرح ما فى الاشعار من الغريب وعاشرها تعليل الاسباب المتعلقة بهذا الفن بالعلل الحكمية ماخوذا من الاصول والادلة الفلسفية والقواعد الطبية وحادى عشرها ذكر تعلق هذا الفن بانواع المواليد الثلاثة وكيفية دخولها فيها وثانى عشرها الزيادات فى الابواب فربما كانت أنواعا مستقلة أو تكميلا لما وجد بعضه فى الجملة وربما زادعليه باشياء غير المذكورة فى مطاوى معانيه فترعن استحضارها الذهن هنا كل ذلك مما استخرجه فكرى القاصر ونهى الفاتر أو ظفرت به فى كتب ربما أسمى بعضها فيه هذا كله مع انى والله لم أخل فى يوم من أيام عمله من مشوش طارئ على ما عندى مما سبقت الاشارة الى ذكره ولما كمل واتسق وانتظم فى أكمل نسق (سميته) بتزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق ورتبته على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة والله المسؤل أن ينفع به فيما اقصد بترتيبه وان يوفقنا الى أصح القول وتهذيبه انه أكرم من أعطى المراد وسئل فجاد (فالمقدمة) فيما جاء فيه من الاخبار والآثار ويلى ذلك أربعة فصول الاول فى الترغيب فيه والثانى فى رسمه والثالث فى مراتبه والرابع فى علاماته *(والباب الاول)* فى مصارع محى الله تعالى وفيه فصل ميرتاثيه من قبله التذكر بنحو سماع آية *(والباب الثانى)* فى عشاق الجوارى وهو ستة أقسام الاول فيمن اشتهر الثانى فيمن جهل الثالث فى عشاق الاماء الرابع فيمن حظى بالتلاق بعد تجرع كأس الفراق الخامس فيمن وسموا بالفساق من العشاق السادس فيمن نكث الصحبة وحل عقد المحبة وفى كل قسم أصناف وأنواع بحسب ما احتمله المقام من صحة الانقسام *(والباب الثالث)* فى عشاق الغلمان وهو أربعة أقسام الاول فيمن استلب الهوى نفسه الثانى فيمن جهل حاله الثالث فيمن ظفر بمطلوبه الرابع فيمن منعه الزهد والعبادة أن يقضى مراده وألحقت ذلك بخاتمة تشتمل على ذكر الدواء والسلو عن الهوى *(والباب الرابع)* فى ذكر دخول العشق فيما سوى البشر وهو نوعان الاول فى الجن والثانى فى الحيوان والنبات والمعدن والعناصر والافلاك *(الباب الخامس)* قد اشتمل على فصول كل فصل منها قد احتوى على النكت والعجائب واللطائف والغرائب من أصول هذه الصناعة وقد لزمت نفسى أن أفتتح كل فصل منه بكلام استاذ الحقيقة ورئيس أهل الطريقة مسكت كل لافظ ومبين ما فى الطريق من القواطع والعوارض سيدى عمر بن الفارض غمرنا الله تعالى ببركاته وطيبنا بنفحاته متبعا ذلك بما تيسر من حل ألفاظه حسب ما سنح فى الذهن ثم أقول بعد انتهاء متعلق الطريقة رجع الى كلام المترسمين من أهل الظاهر وأختم الفصل بما سمحت به القريحة الفاترة والفكرة القاصرة من لطائف النظم المناسب لما ذكر عن أهل الصناعة هنالك واتبعت الفصول بتتمة فى لطائف الغزل الخاص والعام وتقسيم ذلك *(وأما الخاتمة)* ففى لطائف ونكت متفرقة لا ألتزم تعلقها بالعشق وبها يتم الكتاب

(المقدمة فيما جاء فى العشق من الاحاديث والآثار وفى حده ومراتبه)

نقل الفؤاد حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول

النقر بآخر من كلفت بحبه
لا خير فى حب الحبيب الاول

أتشك فى ان النبى محمدا
ساد البرية وهو آخر مرسل

وقال ديك الجن الحمصى يرد على حبيب قوله المتقدم

كذب الذين تحدثوا ان الهوى
لا شك فيه للحبيب الاول

مالى أحن الى خراب مقفر
درست معالمه كأن لم يوهل

فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن المذكور

كذب الذين تخرصوا فى قولهم
ما الحب الا للحبيب المقبل

أفأطيب فى الطعم ما قد ذقته
من مأكل أو طعم ما لم يؤكل

فقال ديك الجن أيضا حين بلغه قول حبيب هذا

ارغب عن الحب القديم الاول
وعليك بالمستأنف المستقبل

نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى
كهوى جديد أو كوصل مقبل

وقال أبو البرق وسلك بينهما جادة الانصاف وبقوله يجب الاعتراف لانه أحسن فى المقال حيث قال

زادوا على المعنى فكل محسن
والحق فيه مقالة لم تجهل

الحب للمحبوب ساعة وصله
ما الحب فيه لآخر ولا اول

على أنى لم اجد ما فى منازل الاحباب من ذكرى حبيب ومنزل ولا تحملت على مصنفه فواعجبا من قلبى المتحمل ولكن قصدت التنبيه على ان حسن التأليف مواهب وان للناس فيما يعشقون مذاهب ومعلوم ان الجنون فنون وكل حزب بما لديهم فرحون ولم يزل كتابنا هذا فى مسوداته منذ حجج ببيوته من يجوره الى محج لا أبيح ما فيه

(اعلم) ان واهب الصور لما صدر عنه العقل كان أعظم صادر لقربه من الكمال الذاتي فالعود اليه وطلب القرب منه واجب على كل ذي نفس قدسية ومن ثم تطابقت الادوار شاهدة بذلك ويدل له عموم فقال له اقبل الحديث، عنه النفس الكلية ثم قسما الاجسام الفلكية والعنصرية كما هو في محله الى ان كان أشرف النفوس وأرفعها على الاطلاق النفس الانسانية ولشبه الشيء باصوله كما هو واضح مقرر في محله بالبراهين انقسمت هذه النفس باعتبار أصولها الى ثلاثة أقسام أحدها النفوس المعدنية وهي الجامدة التي لا تعقل ما يراد منها ولا تعرف الا ما تقوم به بنيتها او يصدر عنها وذلك اما الخاصية أو بامر أودعه صانعها فيها المصالح يعلمها ويشهد لذلك ما يشاهد من صور في الجبال والطين ونحوهما وثانيها النباتية وهي أرفع من الاولى باعتبار الذبول والتحلل الظاهر وثالثها الحيوانية وتفضل السابقة بالحركة الارادية والحساسية ونحوهما من العوارض ثم كل واحدة من هذه الثلاث تنقسم باعتبار ما تشابهه من الانواع كانقسامه في نفسه وذلك كانقسام الاولى الى ما يكون صافي الجوهر جيده كالياقوت والذهب والثانية الى ما هو كثير النفع طيب الطعم والرائحة كالعنبر والعود والثالثة الى ما هو صالح النفع والزينة كالخيل والى شجاع كالاسد وخبيث كالنمر وحافظ للعهد كالكلب وقوام على حفظ ما يستحفظ كالقرد ونظائر ذلك ولما كانت النفس الانسانية زبدة الكائنات وخاتمة طرفي سلسلة العلل والمعلولات لا جرم كانت مقتدرة على أن تتبع شهوات الجسم وعوارض التكثيف فتكون حيوانية بحتة أو تعمل في خلاص النفس من ظلمة الطبيعة وقفص الجسم فتلحق بعالمها الاصلي وهي النفس الملكية المقربة بالمبدأ والمعاد الخالصة من محض الكثافة المنتظمة في سلك محض اللطافة أو تجمع بين الامرين وتؤلف بين الطريقين وهذه هي الانسان المطلق والاولى الحيواني والثانية الملكي فقد بان لك ان الانسان منقسم كاصله وعميز بفعله ثم لا شبهة في انقسام كل كالمنتسب اليه ويكون كماله منزلا عليه فالحكيم محتاج في اصلاح الاولى الى ما يكون بمجرد حسن اللفظ والسياسة كالطيور أو بالضرب والاهانة كالدب والحمار أو باطعام الطعام كالخيل والكلاب أو بالارسال والجذب والتحفظ من غدرها كالاسود والجمال والثانية وان تفاوتت مراتبها غنية عن الاصلاح الا من قبل مبدعها والثالثة هي المحتاجة الى العلاج وملاطفة المزاج والعشق الحقيقي لها غالبا لانه تابع للامزجة ولان عشق الملكي والحيواني بسيط اذ الاول يكون لمحض ذات واجب الوجود ومبدع الفيض والجود والثاني لمحض قضاء شهوات الجسم الفاسدة الناشئة عن الفكر الجامدة اذا تقرر هذا فاعلم ان العشق بعد ان سمعت ما سمعت يختلف باختلاف المزاج على انحاء أربعة سريع التعلق والزوال كما في الصفراويين وعكسه كما في السوداويين وسريع التعلق بطيء الزوال كما في الدمويين وعكسه كما في البلغميين ومثل هذه مراتب الحفظ والنسيان واما المعتدل فيكون العشق فيه كذلك فعلى هذا يكون قولهم لكل أحد صبوة لا من جفت خلقته أو نقصت بنيته أو خرجت عن الاعتدال أمزجته محمولا على الاعتدال النسبي الذي اذا حصل لشخص كان به على ما ينبغي أن يكون عليه لا الحقيقي لعزة وجوده ولزوم ندور العشق حينئذ والواقع خلافه ثم هو متى وقع على ما وصفناه أمكن حصول المزايا المذكورة فيه فقد قال الاستاذ ان أقل مزاياه تعليم الكرم والشجاعة والنظافة وحسن الاخلاق وذلك

من منازل الاحباب لساكن ولا السكن
عاشقا من المرور بتلك الاماكن
أغار اذا آنست في الحي أنة
حذارا وخوفا أن تكون لحبه

حتى برز لطلبه المرسوم الشريف الملكي الناصري أدام الله نشر أعلامه ولا أخلى كنانته من سهامه ما نفذت مراسيم سهام المقل وثنى قوام الحبيب الذي طاب به الزمان واعتدل فبادرت الى تجهيزه وسبكت ابريزه حسب المرسوم الشريف من غير تسويف ولا تكليف ولم أبح زهره منشوره لغير حضرته الشريفة من الايام لانه كان يقال كل ما يصلح للولي على العبد حرام لا جرم أنه جاء بنظره السعيد نزهة للنظر وقال الواقف على عتبة بابه ان السعادة لتلاحظ الحجر فهو للسلطان بستان وللعاشق سلوان وللمحب الصادق حبيب موافق وللمهجور نجوة وللنديم قهوة وللناسي تذكرة وللاعمى تبصرة وللشاعر المجيد بيت القصيد وللاديب الماهر مثل سائر وللمحدث قصص وللحادث غصص وللفقيه تنبيه وللحبيب بالقمر تشبيه

تبادره بالبدر منه بوادره
وتحلو لاه عند المرور نوادره
فقيه له في كل يوم وليلة
حبيب ملم أو نديم يسامره
ولي فيه نظم ان تضوع نشره
ففي طيه حلو الكلام ونادره
ولي فيه منثور غدا في مقامه
وعرف سناه مشرق الروض عاطره
ولي فيه من سحر البيان رسائل
اذا ما جفا في أحور الطرف ساحره
ولي فيه أسرار الحروف لانه
ينقطه دمعي فتبدو سرائره
فمنثور دمعي مثل نظم سطوره
خدودي اقلاما خط فيها دفاتره

ان غاية مراد العاشق رضا معشوقه ورضا المعشوق يكون باتصاف العاشق بما يوجب المدح ويحسن المرتبة فى القلب فعلى ثبوتها تين المقدمتين ينتج ما قلناه واللازم واقع فكذا الملزوم وبيان الملازمة ظاهر وايضاحه ان العاشق وان بخل جدا فلا يمكن بخله على المعشوق ومنه يتطرق الحال الى من يعلم انه متى بخل عليه أوصل الامر الى معشوقه وهكذا فيؤدى الحال الى مطلق الكرم وكذا باقى السجايا المذكورة ولذلك جاء الناموس الشرعى بمطابقة القانون الحكمى كما هو شأن الشارع فى غير هذا أيضا ليكون التطابق بين الحكمة والشرع فى كل شئ ولا عبرة بكلام بعض الاغنياء عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات دخل الجنة زاد الخطيب عنه فظفر ثم أبدل قوله دخل الجنة بقوله مات شهيدا وفى أخرى وكتم والحديث بسائر ما ذكر صححه مغلطاى وأعله البيهقى والجرجانى والحاكم فى التاريخ بضعف سويد وتفرده به ورواه ابن الجوزى مرفوعا وأبو محمد بن الحسين موقوفا وأخرج الخطيب عن عائشة رفعه أيضا وحاصل الامر اما صحته أو حسنه والجواب عن تفرد سويد المنع بورود عن غيره وحكايته تحديثا وكونه قبل عماه فلا تدليس واذ قد ثبت فهو شاهد بما قلناه لان غاية الغايات دخول الجنة وهو مستلزم لرضا الله الذى لا مطلب أعلى منه وقد جعلت مقدمة هذا المطلب العالى العفة وهو مذهب الحكماء بل أساس الحكمة وهى كما صرح به المعلم ثمرة الاصل الطاهر لان أعلى الخلق الرضا والمزاج المعتدل ومنها الكتم وهى ثمرة المروأة والشهامة وكلاهما مستلزم علو النفس وصحة المزاج فقد اتضح ما قلناه وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليعجب من شاب لا صبوة له ووجه الاعجاب القدرة على حكم زمام النفس وزجرها مع تركيب الشهوة وتوفر الدواعى وما تكلفه فى الاصل من أن المراد بالاعجاب أثره واضح لا يحتاج اليه لانه وما شاكله من الرحمة التى هى رقة القلب لا تكون الا لذى المزاج ولما علم بالضرورة تنزهه عن الاجسام والاعراض علم برؤه من لوازمها فما وقع مما يوهم شيأ فالمراد لازمه ولصحة هذا الحديث واشتهاره بين الاكابر جاء تضمينه فى أشعارهم كثيرا فمن ألطف ما قيل فى ذلك قول ابن الصائغ

سأكتم ما ألقاه يا نور ناظرى * من الاجر كيلا يذهب الاجر باطلا
فقد جاءنا عن سيد الخلق أحمد * ومن كان برا بالعباد وواصلا
بان الذى فى الحب يكتم وجده * يموت شهيدا فى الفراديس نازلا
رواه سويد عن على بن مسهر * فيا فيه من شك لمن كان عاقلا
وماذا كثير للذى مات مغرما * سقيما عليلا بالهوى متشاغلا

(وألطف من ذلك) ما حكاه التاج السبكى فى الطبقات الكبرى عن أبى نواس قال مضيت الى باب أزهر والمحدثون ينتظرون خروجه فما كان الا ان خرج وجعل يعظم واحدا بعد واحد حتى التفت الى فقال ما حاجتك قلت

ولقد كنتم رويتم * عن سعيد عن قتاده * عن سعيد بن المسيب
ان سعد بن عباده * قال من مات محبا * فله أجر شهاده

فقال أزهر نعم وذكر الحديث ولابى نواس أيضا

حدثنا الخفاف عن وائل * وخالد الحذاء عن جابر * ومسعر عن بعض أصحابه

فدمعى جرى والسواد محابره
تضمنت بديوان الصبابة عاملا
فباشر قتلى من سبانى ناظره
فلولا الهوى ما مات مثلى عاشق
ولا عمرت بالعامرى مقابره
وفى غزلى ذكر الغزال ومربع
تطارحنى فيه الحديث جآذره
أنزهه عن وصف خدر عنيزة
ومنزل قفر سرن عنه أباعره
تجر قوافيه معان غدا بها
جرير كعبد أوثقته جرائره
يشيب بها فود الوليد لانه
يسير وجنح الليل سود ضفائره
ولست أرى يوما بدارة جلجل
سوى شاعر دارت عليه دوائره
اذا ما نسى ذكرى حبيب ومنزل
فانى لمن أهواه ما عشت ذاكره
أجاور فى سفح المقطم جيرة
فيا حبذا المحبوب حين تجاوره
فيا طيف من أهواه طرفى ان غفا
أتهجره بالله أم أنت زائره
وحقك لو سايرته بعض ليلة
لسايرت صبابات فى الحب سائره
يملك الشوق الشديد لطرفه
فتجرى به كالحاجرى محاجره
ويأتيه طيف من خيالك طارق
فيطرق اجلالا كأنك حاضره
وبى من يحج الغصن رمح قوامها
اذا بات فى الروض النضير يناظره
اذا أقبلت فى الحلى والطيب قيل لى
حبيبك بستان تضوع أزاهره
وان نزهت منها وهى غضبى التفاتة
ثنت عطفها نحو الغزال تشاوره
أبيت دما ألقاه من حر هجرها
وقد جئت يوما على هواجره
تحصنت فى حصن الهوى من عواذلى
وبات لقلبى جيش هم يحاصره

برفعه الشيخ الى عامر * وابن جريج عن سعيد وعن * قتادة الماضي وعن غابر
قالوا جميعا أيما طفلة * علقها ذو خلق طاهر * فواصلته ثم دامت له
على وصال الحافظ الذاكر * كانت لها الجنة مبذولة * تمرح في مرتعها الزاهر
وأي معشوق جفا عاشقا * بعد وصال ناعم ناضر
ففي عذاب الله مثوى له * بعدالة من ظالم غادر

وفي رشتاق الاتفاق في ملح شعراء الآفاق لابن المبارك الاخام

حدثنا سفيان عن جابر * عن خالد عن سهل الساعدي
يرفعه من مات عشقا فقد * استوجب الاجر من الماجد

(وأما) الآثار فكثيرة لا تكاد تحصى ولكن نورد ألطفها كما هو شأننا فمن ذلك ما روى عن المهدي قال أشتهي ان أصلي على جنازة عاشق مات في الحب وكان شريح يكثر الجلوس في الطرقات ويقول لعلي أرى صورة حسنة وكان ابن الليث قاضي مصر يكتب في فتيا فسمع جارية تقول ترى الحكومة ياسيدي * على من تعشق ان يقتلا
فرمى القلم من يده وهو يقول لا وعن ابن عباس الهوى اله معبود فقيل له أتقول ذلك فقال نعم أليس الله تعالى يقول أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال العباس بن الاحنف

ويح المحبين ما أشقى جدودهم * ان كان مثل الذي بي بالمحبينا
يشقون في هذه الدنيا بعشقهم * لا يدركون بها دنيا ولا دينا
يرق لاهل العشق انهم * اذا رأوني وما ألقى يرقونا

(وله أيضا) أيها النادب قوما هلكوا * صارت الارض عليهم طبقا
أندب العشاق لا غيرهم * انما الهالك من قد عشقا

وأخرج ابن الحسين الجاذري عن معن بن عيسى قال دخل ابن سحنون على مالك فقال يا امام اجعلني في حل من أبيات قلتها فيك فقال وقد ظن انه هجاه أنت في حل من ذلك فانشد الابيات بين يديه وهي

سلوا مالك المفتي عن اللهو والغنا * وحب الحسان المعجبات الفوارك
ينبئكم اني مصاب وانما * أسلي هموم النفس عني بذلك
فهل في محب يكتم الحب والهوى * اثام وهل في ضمة المتهالك

فضحك وقال لا ان شاء الله وأظرف من ذلك ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن الربيع بن سليمان قال دخل شاب على الشافعي برقعة فوقع فيها بعد ما نظر وناوله اياها فتبعته على انها فتيا أكتبها فاذا هي سل العالم المكي هل في تزاور * وضم لمشتاق الفؤاد جناح
(فكتب تحته) أقول معاذ الله ان يذهب التقى * تلاصق أكباد بهن جراح
فانكرت كتابته مثل هذا الشاب وذكرته له فقال انه هاشمي وقد دخل بعرسه في هذا الشهر يعني رمضان فسأل عن الضم والتقبيل هل يفسدان الصوم فقلت له لا قال الربيع فعاودته فاذا الامر كذلك فعجبت من فراسته وحكى في الاصل عن ابن حجر قال أخرج أبو نعيم أيضا عن ابن سيرين انهم كانوا يعشقون بلا ريبة وفي الطبقات الكبرى لابن السبكي وحكاه في الاصل مترددا قال كتب جلال الدولة الى أبي الطيب الطبري سؤالا صورته

يا أيها العالم ماذا ترى * في عاشق ذاب من الوجد * من حب ظبي أهيف أغيد

ولولم يكن أعمى البصيرة عاذل
لما عبت من هويت نواظره
يشبهها بالغصن والغصن عندما
يشاهدها ينضى ويطرق ناظره
ألِلغصن خد كالشقيق اذا بدا
وشعر كجنح الليل سود غدائره؟
لئن طاب ذلي في هواها فانني
وحقك ممن عز في مصر ناصره
مليك يهز الرمح اعطاف قده
كما اهتز غصن طار في الحب طائره
مليك تريه قبل ما هو كائن
بصيرته أضعاف ما هو ناظره
مليك اذا ما جئته حسن اللقا
جميل المحيا بارع الحسن باهره
مليك اذا ما صار كالبدر في الدجى
فأولاده مثل النجوم تسايره
مليك أرى من حوله كل عالم
يذكره في العلم ما هو ذاكره
مليك له في كل يوم وليلة
بشير توالت بالهناء بشائره
مليك أسود الغاب تحذر بأسه
لان ملوك الارض طرا تحاذره
تروعهم شهب السما وبروقه
وما هي الا سمره وبواتره
اذا اقترعت أشكال حال اجتماعهم
فأي ضمير لم يدس فيه ضامره
وأي كماة لم يرعهم نزاله
وأي مكان ما علته منابره
وأي قصيد بحرها لم يرق له
وغائص فكري ناظم الدر ناثره
ولي فيه من غر التصانيف خمسة
وهذا الذي طوق الحمامة عاشره
يضوع به المنثور كالزهر عندما
تراوحه ريح الصبا وتباكره
فكم فيه لي من مرقص حول مطرب
بتشبيه في الحي يطرب زاجره
ولولم يكن مثل السكردان ما غدا
بحضرته يوما تطيب محاضره

سهل المحيا حسن القد * فهل ترى تقبيله جائزا * في النحر والعينين والخد
من غير ما فحش ولا ريبة * بل بعناق جائز الحد
ان أنت لم تفت فاني اذا * أصيح من وجدي واستعدي

(فاجابه)

يا أيها السائل اني أرى * تقبيلك العين مع الخد * يفضي الى ما بعده فاجتنب
قبلته بالحد والجهد * فان من يرتع في روضة * لابد ان يجني من الورد
وان من تحسبه ناسكا * لابد ان يغلب بالوجد * فاستشعر العفة واعص الهوى
يسلم لك الدين مع الود * تغنيك عنه كاعب ناهد * تضمها بالملك والعقد
تملك منها كلما تشتهي * غير ما فحش ولا رد
هذا جوابي لقتيل الهوى * فلا تكن بالحق تستعدي

واخرج الخطيب البغدادي عن الغزي قال رأيت عاشقين اجتمعا فتحدثا من أول الليل الى الغداة ثم قاما الى الصلاة وفي معناه أنشد العلامة محمود لنفسه وهو من لزوم ما لا يلزم

لله وقفة عاشقين تلاقيا * من بعد طول نوى وبعد مزار
يتعاطيان من الغرام مدامة * زادتهما بعدا من الاوزار
صدقا الغرام فلم يمل طرف الى * فحش ولا كف لحل ازار
فتلاقيا وتفرقا وكلاهما * لم يخش مطعن عائب أوزاري

ومنه ما حكي عن بعضهم قال حكت لي امرأة عن شخص هويها وهويته انه قال لها وما هل لك أن تحقق ما قيل فينا فقالت معاذ الله أن أفعل ذلك وأنا أقرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقيل لاعرابي ليلة تزويج محبوبته أيسرك أن تظفر بها قال نعم قيل فما كنت تصنع بها قال أطيع الحب في لثمها وأعصي الشيطان في اثمها وعن الاصمعي قيل لاعرابي ما تصنع ان ظفرت بمحبوبتك قال أمتع عيني من وجهها وسمعي من حديثها وأستر منها ما يحرم كشفه الا عند حله وأنشد ابن القاسم في المعنى وان كان فيه بعد لانك تعتبر الحياء من الايمان اللازم للعفة وخوف الله تعالى

كم قد خلوت بمن أهوى فيمنعني * منه الحياء وقد أودى بمعقولي
يأبى الحياء وشيبي ان الم به * وخشية اللوم من قال ومن قيل

وأصرح منه في المقصود ما أنشده ابراهيم بن عرفة

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني * منه الفكاهة والتحديث والنظر
أهوى الحسان وأهوى أن أجالسهم * وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير في لذة من بعدها سقر

وأخرج صاحب الاصل عن سعيد بن عقبة الهمذاني قال لاعرابي حضر مجلسه ممن الرجل قال من قوم اذا عشقوا ماتوا فقال عذري ورب الكعبة ثم سأله عن علة ذلك فقال لان في نسائنا صباحة وفي فتياننا عفة وأخرجه في الخليفيات أيضا وفي معناه أنشد حرب

ما ان دعاني الهوى لفاحشة * الا عصاني الحياء والكرم
فلا الى محرم مددت يدي * ولا مشت بي لزلة قدم

هذا

تم القسم باسم مولانا السلطان على الوجه المشروح وتوليت لاجله عمله بنفسي فجاء كما قيل على الروح للروح

أهيم بمن هام الحبيب بحبه
الا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل

وسلكت في تأليفه الاختصار والاقتصار على النواء والقصار لانه كان يقال الوضع وضعان وضع له افتخار ووضع له نجار وقال يحيى بن خالد لاولاده اكتبوا أحسن ما تسمعون واحفظوا أحسن ما تكتبون وحدثوا بأحسن ما تحفظون وخذوا من كل شئ طرفا فانه من جهل شيأ عاداه *(وسميته)* ديوان الصبابة ليصبح الواقف عليه موطها ويعلم انه ان لم أكن أنا للصبابة بمن لها؟

ما يعلم الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

أي والله

قلما يبرح المطيع هواه
كلفا ذا صبابة وجنون

(ورتبته) على مقدمة وثلاثين بابا وخاتمة أما المقدمة ففي ذكر حد العشق واشتقاقه وما قيل في وسمه ورسمه وأسبابه وعلاماته ومراتبه وأسمائه ومدحه وذمه وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختياري أو اضطراري ونحو ذلك وأما الابواب فالباب الاول في ذكر الحسن والجمال وما قيل فيهما من تفصيل واجمال والباب الثاني في ذكر المحبين والظرفاء من الملوك والخلفاء والباب الثالث في ذكر من عشق على السماع ووقع من النزوع الى الحبيب في نزاع والباب الرابع في ذكر من نظر أول نظرة فاحترق من خد الحبيب بجمرة والباب الخامس في ذكر تغير الالوان عند العيان من صفرة ووجل وحمرة وخجل وما في معنى ذلك من عقد

هذا ما جاء فى الآثار من العشق مع العفة وأما ما يدل على كثرة وقوعه واختصاص قوم عزيدمنه فكثير فمن ذلك ما أخرجه التنوخى عن عروة بن الزبير قال قلت لعذرى انكم أرق الناس قلوبا بريد اصباهم الى الحب فقال نعم لقد تركت ثلاثين شابا خامرهم السل ما بهم داء الا الحب وقيل لشخص منهم مثله فقال كقوله وزاد لكن غلبتنا بنو عامر بمجنونها وفى منازل الاحباب للشهاب محمود وليس حى أصدق فى الحب من بنى عذرة ولا تضرب الامثال فيه الا بهم وقال فزارى قلت يوما للعذرى أتعدون موتكم فى الحب مزية وهو من ضعف البنية ووهن العقدة وضيق الرئة فقال أما والله لو رأيتم المحاجر البلج ترشق بالعيون الدعج من تحت الحواجب الزج والشفاه السمر تبسم عن الثنايا الغر كأنها شذر الدر لجعلتموها اللات والعزى وتركتم الاسلام وراء ظهوركم (وعن) أبى عمرو بن العلاء قال استنطقت اعرابيا عند الكعبة واستنسبته فاذا هو فصيح عذرى فسألته هل علقه الحب فأنبأ عن شدة ولوع فسألته ما قال فى ذلك فانشد

تتبعن مرمى الوحش حتى رميننا * من النبل لا بالطائشات الخاطف
ضعائف يقتلن الرجال بلادم * فيا عجبا للقاتلات الضعائف
وللعين ملهى فى البلاد ولم يقد * هوى النفس شئ كاقتياد الطرائف

وقال بعض حكماء الهند ما علق العشق بأحد عنا الا وعزينا أهله فيه وحكى الحافظ مغلطاى ان العشق يختلف باختلاف أصحابه فان الغرام أشد ما يكون مع الفراغ وتكرار التردد الى المعشوق والعجز عن الوصول اليه فعلى هذا يكون أخف الناس عشقا الملوك ثم من دونهم لاشتغالهم بتدبير الملك وقدرتهم على مرادهم ولكن قد يتذللون للمحبوب لما فى ذلك من مزيد اللذة كقول الحكم بن هشام

ظل من فرط حبه مملوكا * ولقد كان قبل ذاك مليكا * تركته جآذر القصر صبا
مستهاما على الصعيد تريكا * يجعل الخد واضعا تحت ترب * للذى يجعل الحرير أريكا
هكذا يحسن التذلل بالحر اذا كان فى الهوى مملوكا

وقول الرشيد أيضا

ملك الثلاث الآنسات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها * وأطيعهن وهن فى عصيانى
ماذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين أعز من سلطانى

وقال ابن الاحمر سلطان الاندلس

أيا ربة الخدر التى أذهبت نسكى * على كل حال أنت لابد لى منك
فاما بذل وهو أليق بالهوى * واما بعز وهو أليق بالملك

وقال ابن طاهر صاحب خراسان

فانى وان حنيت اليك ضمائرى * فما قدر حبى أن يذل له قدرى

ودونهم أفرغ لقلة الاشتغال حتى يكون المتفرغ له بالذات أهل البادية لعدم اشتغالهم بعوائق ومن ثم هم أكثر الناس موتا به ثم اعلم ان العشق متى استولى لم يبق صفة سواه ولذلك يذهب الاخلاق العسرة وقوة النفس وفى معنى ذلك أنشد بعضهم حيث قال فى رسالة أرسلها الى محبوبته

اللسان وسحر البيان والباب السادس فى ذكر الغيرة ومافيها من الحيرة وقرع سن ديك الجن والباب السابع فى ذكر الشكاية السر والكتمان عن أبناء الزمان والباب الثامن فى ذكر مخالطة الحبيب واستعطافه وتسلّى فى غيظه وانحرافه والباب التاسع فى ذكر الرسل والرسائل والتلطف فى الوسائل والباب العاشر فى ذكر الاحتيال على طيف الخيال وغير ذلك مما قيل فيه على اختلاف معانيه والباب الحادى عشر فى ذكر قصر الليل وطوله وخضاب شفقه ونصوله ومافى معنى ذلك والباب الثانى عشر فى ذكر قلة عقل العذول وما عنده من كثرة الفضول والباب الثالث عشر فى ذكر الاشارة الى الوصل والزيادة والباب الرابع عشر فى ذكر الرقيب والنمام والواشى الكثير الكلام والباب الخامس عشر فى ذكر العتاب عند اجتماع الاحباب وفى معنى ذلك من الرضا والعفو عما مضى والباب السادس عشر فى ذكر اغاثة العاشق المسكين اذا وصلت العظم السكين والباب السابع عشر فى ذكر دواء علة الجوى وما يقاسيه أهل الهوى والباب الثامن عشر فى ذكر تعنت المعشوق على الصب المشوق وغير ذلك من أقسام الهجر وصبر القابض فيه على الجمر والباب التاسع عشر فى ذكر الدعاء على المحبوب وما فيه من الفقه للقلوب والباب العشرون فى ذكر الخضوع وانسكاب الدموع والباب الحادى والعشرون فى ذكر الوعد والامانى وما فيهما من راحة العانى والباب الثانى والعشرون فى ذكر الرضا من المحبوب بأيسر مطلوب والباب الثالث والعشرون فى ذكر اختلاط الارواح كاختلاط الماء بالراح والباب الرابع والعشرون فى ذكر عود الحب كالخلال وطيف الخيال وما فى معنى ذلك من رقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب والباب الخامس

شكوت فقالت كل هذا تبرم * بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الحب قالت أشدما * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وأدنو فتقصيني فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها * وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فياقوم هل من حيلة تعرفونها * أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي

ومنهم من تحمله الانفة على أن يفارق بعد اظهار شدة شوق وقوة ميل وكذا شدة الاقبال من المحبوب فيتوهم حيث تشبع نفسه ان الشوق لا يعاوده فيفارق ويعود ذلك عليه بتلف نفسه والحق ان ذلك كله مع عدم التمكن وهو الموسوم بالاشراك والا فالصادق منه لا يرى وجود السوى المحبوب ومن ثم طعن على من يرى الدنيا مثالا لمحبوبه أو يظن وجوده ودونوا ما صدر عمن بدأ بالسلوان ثم ندم فمن ألطف ما قيل فى ذلك قول الهذلى

ويمنعني من بعض اظهار ظلمها * اذا ظلمت يوما وان كان لى عذر
مخافة انى قد علمت اذا بدا * لى الهجر منها ما على هجرها صبر
وانى لا أدرى اذا النفس أشرفت * على هجرها ما يبلغن بى الهجر

وقال ابن الجهم

نوب الزمان كثيرة وأشدها * شمل تحكم فيه يوم فراق
ياقلب لم عرضت نفسك للهوى * أوما رأيت مصارع العشاق

(فصل فى الترغيب فى العشق والحث عليه) قيل ان بهرام جور لم يرزق سوى ولد فاخذ فى ترشيحه للملك وهو ساقط الهمة الى ان اتفق المعلمون من الحكماء وغيرهم على أن لا نافع له غير العشق فسلط عليه الجوارى يعبثن به الى ان علق بواحدة منهن فأمرها الملك بالتجنى عليه وانها لا تطلب الا رفيع الهمة ذا رغبة فى العلم والملك فكان بسبب ذلك من أجل ملوك الفرس وأعلمها وفى المعنى قال ابن الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى * ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

(وقال بعضهم)

وما سرنى انى خلى من الهوى * ولو أن لى ما بين شرق الى غرب

وقال ابن أبى كثير لابن أبى الزرقاء هل عشقت حتى تكاتب وتراسل فقال لا قال لن تفلح والله أبدا وأنشد الشعبى اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فانت وعير فى الفلاة سواء وعجزه غيره فقال * فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا * وأنشد ابن معاذ

ولا خير فى الدنيا اذا أنت لم تزر * خليلا ولم ينظر اليك حبيب

وقالت امرأة فيه أيضا

رأيت الهوى حلوا اذا اجتمع الشمل * ومرا على الهجران لا بل هو القتل
ومن لم يذق للهجر طعما فانه * اذا ذاق طعم الحب لم يدر ما الوصل
وقد ذقت طعميه على القرب والنوى * فأبعده قتل وأقربه خبل

(فصل فى رسومه وحدوده وما جاء عن الحكماء وغيرهم فى ذلك) قال بعضهم العشق مجهول لا يعرف ومعروف لا يجهل هزله جد وجده هزل وهذا فى الحقيقة تعريف بالعوارض غير اللازمة واشارات الى اختلاف الحالات الكائنة عنه فان الجهل يعترى العشاق عند

تزايد

والعشرون فى ذكر ما يكابده فى طلب الاحباب من الامور الصعاب والباب السادس والعشرون فى ذكر طيب ذكرى حبيب والباب السابع والعشرون فى ذكر طرف يسير من المقاطيع الفائقة والاغزال الرائقة مما اشتمل على ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك مما هنالك والباب الثامن والعشرون فى ذكر طرف يسير من أخبار المطربين المجيدين من الرجال وذوات الحجال وما فى معنى ذلك من ذكر موالاتهم ووصف آلاتهم والباب التاسع والعشرون فى ذكر من ابتلى من أهل هذا الزمان بحب النساء والغلمان والباب الثلاثون فى ذكر من اتصف من العفاف بأحسن الاوصاف وأما الخاتمة ففى ذكر من مات من حبه وقدم على ربه من غنى وفقير وكبير وصغير على اختلاف ضروبهم وتباين مطالبهم ولاجل ذكرهم أسست قواعد هذا الكتاب ودخلت فيه من باب وخرجت من باب ومن هنا نشرع فى ذكر ما يجلب الراحة كراوح الخيش وتكون عند المطالعة كالطليعة للجيش وهذه المقدمة فى ذكر رسم العشق ووسمه ومدحه وذمه وذكر اختلاف الناس فيه هل هو اختيارى أو اضطرارى ويشتمل ذلك على خمسة فصول

(الفصل الاول فى رسم العشق ووسمه وما قيل فى اسمه) أقول هذا الفصل عقدناه لذكر رسم العشق وحده وجزر بحره المتلاطم ومده وما للناس فيه من الكلام البائن والقول المتباين اذ فيهم من التبس عليه فسماه باسم سببه أو باسم ما يؤول اليه وغير ذلك مما التبس عليهم فيه الجواب واصابة الصواب وعذرهم الظاهر قول الشاعر

يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدرى لهم كيف أنعت
فليس لشئ منه حد أحده * وليس لشئ منه وقت موقت

تزايد الحب فيوجب الحيرة في الامر وعكسه عند انفصاله عن المخيلة والهزل مباديه والجد تمكنه ونحوه ما اجاب ابن اكثم به وقد سأله المأمون ما العشق فقال سوانح للمرء تؤثرها النفس ويهيم بها القلب فقال له ثمامة انما شأنك أن تفتي في مسئلة طلاق أو محرم فقال المأمون قل يا ثمامة فقال العشق جليس ممتع وأليف مؤنس وصاحب مالك وملك قاهر مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها واعطى عنان طاعتها وقياد ملكها وقوى تصرفها توارى على الابصار مدخله وغمض في القلوب مسلكه فقال له المأمون أحسنت يا ثمامة وأمر له بالف دينار وفي رواية انه قال له اذا امتزجت جواهر النفس بوصل المشاكلة تنجت لمع نور ساطع تستضيء به نواصر العقل ويتصور من ذلك اللوامع نور خاص بالنفس متصل بجواهرها يسمى عشقا أقول وهذا تعريف له بحقائقه ومواده الذاتية والاول تعريف بالعوارض والغايات وهذا بالحكمة أليق وايضاحه أن نور البصر يوصل ما يدركه الى المشترك وهو الى الواهمة حتى يرتسم في القوة العاقلة المعروفة بالنفس الناطقة فقوله بوصل المشاكلة يريد ان النظر الواقع عن تأمل عارف بتأمل المحاسن ودقائق لطيف الشمائل يوجب ارتسام أنوار في النفس تشبه الجواهر المجردة تزدوج بالنفس لاتحاد بينهما في اللطف والصفاء وهذا دليل على أن العشق لا يتصور من جاهل غليظ الطبع ووصفه بعض البلغاء بانه فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخي كف البخيل وتصفي ذهن الغبي وتطلق بالشعر لسان الاعجم وتبعث حزم العاجز الضعيف وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية للادب وأول باب تفتق به الاذهان والفطن ويستخرج به دقائق المكايد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن به نوافر الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويؤنس أليفه وله سرور يجول في النفوس وفرح يسكن في القلوب وقال سعيد بن سالم وقد قيل له ان ابنك شرع في الرقيق من الشعر فقال دعوه ينظف ويلطف ويظرف يعني انه يطلع من رقيق الشعر على أسرار البلغاء وليس أرق من الغزل ولا أدق لما فيه من تعلق العشق ومدح المحبوب وذلك يؤدي الى ما ذكر فان العاشق ذا علم ما يقربه الى محبوبه بذل فيه امكانه والظرافة واللطافة والنظافة أعظم مقرب فكأنه قال دعوه لعله يتصف بالعشق ولولا الحمل على ذلك لم يصلح سوق هذا هنا لانه على ظاهره ترغيب في مطاق الشعر فليتأمل ونقل ابن خلكان في ترجمة العلاف ما ملخصه ان العشق جرعة من حياض الموت وبقعة من رياض الثكل لكنه لا يكون الا عن أريحية في الطبع ولطافة في الشمائل وجود لا يتفق معه منع وميل لا ينتفع فيه عذل وفي معنى شدة العشق أنشد المؤمل

شق المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر
يكفي المحبين في الدنيا عذابهم * والله لا عذبتهم بعدها سقر

وعرفه ارسطو بانه جهل عارض صادف قلبا فارغا دق عن الافهام مسلكه وخفي عن الابصار موضعه وحارت العقول في كيفية تمكنه غير ابتداء حركته وعظم سلطانه من القلب ثم يتغشى على سائر الاعضاء فيبدي الرعدة في الاطراف والصفرة في الابدان واللجلجة في الكلام والضعف في الرأي والزلل والعثار حتى ينسب صاحبه الى الجنون زادت اعرابية يذهب العقل وينحل الجسم ويهمل الدمع يجدده مرور الايام ولا تفسده بل لا تغيره اساءة

فن حدوده المليحة ورسومه الصحيحة قول فيثاغورس الذي أخذ عن أصحاب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فيما ذكره صاعد في كتاب الطبقات العشق طمع يتولد في القلب ويتحرك وينمو ثم يتربى وتجتمع اليه مواد من الحرص وكلما قوي زاد صاحبه في الاهتياج واللجاج والتمادي في الطمع والفكر والاماني والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلك الى الغم المقلق ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالة السوداء أو التهاب الصفراء وانقلابها اليها ومن طبع السوداء افساد الفكر ومع فساد الفكر يكون زوال العقل ورجاء ما لا يكون وتمني ما لا يتم حتى يؤدي ذلك الى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما نظر الى معشوقه فمات فرحا وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى أربعا وعشرين ساعة فيظنون أنه مات فيدفنونه وهو حي وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه في تامور[1] قلبه وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت وتراه اذا ذكر من يهواه هرب دمه واستحال لونه قال الامام ابن الامام محمد بن داود الظاهري واذا كان ذلك كذلك فان زوال المكروه عمن هذه حالته لا سبيل اليه بتدبير الادوية ولا شفاء له الا بلطف رب العالمين وذلك ان المكروه العارض من سبب واحد قائم بنفسه يتهيأ التلطف فيه بزوال سببه فاما اذا وقع السببان وكان كل واحد منهما سببا فاذا كانت السوداء سببا لاتصال الفكر وكان اتصال الفكر سببا لاحتراق الدم والصفراء وقلبهما الى تقوية السوداء فهذا هو الداء العضال الذي تعجز عن معالجته الاطباء ومنها قول أفلاطون الآخذ الحكمة عن فيثاغورس المتقدم ذكره العشق قوة غريزية متولدة من وساوس الطمع وأشباح التخييل تام بانفصال الهيكل الطبيعي يحدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة يكسو كل

المحبوب على الدوام ومن ثم قال الاصمعي وقد سأله الرشيد ما حقيقة العشق فقال انه شيء يستغرق القلب في محاسن المحبوب ويذهله عن مساويه فيجد رائحة البصل من المحبوب أعظم من المسك والعنبر وتعاتب امرأتان من أهل المدينة في الهوى فقالت احداهما تعذل الاخرى ذكروا في الحكمة لاتلم من أساء بك الظن اذا جعلت نفسك غرض التهمة ومن لم يكن عونا على نفسه من خصمه لم يكن عنده شيء من عقدة الرأي ومن قدم على الهوى وهو يعلم ما فيه من المتعبة سلط على نفسه لسان العذل وضيع الحزم فقالت المعذولة ليس الهوى الى الرأي فيملكه ولا الى العقل فيدركه اما سمعت قول الشاعر

ليس خطب الهوى بخطب يسير * لا ينبئك عنه مثل خبير
ليس أمر الهوى يدبر بالرأ * ي ولا بالقياس والتفكير
انما الامر في الهوى خطرات * محدثات الامور بعد الامور

وقيل هي لعلية بنت المهدي حكاه الصولي ووجد على صخرة العشق ملك غشوم مسلط ظلوم دانت له القلوب وانقادت له الالباب وخضعت له النفوس فالعقل أسيره والنظر رسوله واللحظ عامله والتفكر جاسوسه والشغف حاجبه والهيمان نائبه بحر مستقره غامض ويم تياره طافح وفائض وهو دقيق المسلك عسير المخرج وضرب بعض الحكماء مثلا للشهوة والعشق فقال هما كالنحل يستميل القلوب بحلاوة عسله وربما قتل بسمه وذلك لان الانسان اما ذو عقل ملكي يتعقل الاشياء فينزجر أو نفس شهوانية ترى اللذات فتنهمك ومن ثم اذا وقع عن صدق جعل المتحابين كنفس واحدة حكى الغنوي قال دعيت الى عيادة مريض أحبه آخر فدخلنا عليهما والمحب الصحيح يذب عنه فكان اذا شكا المريض شيأ شكا الآخر مثله فقدر ان قضى ونحن عنده فحال مفارقة نفسه فارق الصحيح نفسه ومثله ما حكاه في ذيل الامالي عن التميمي ان أخوين من امرأة يقال لهما ناضل وفضيل قضى أحدهما فلما دفن طأطأ الآخر ينظره فلما سوى عليه اللبن أنشد

سأبكيك لا مستقصيا فيض عبرة * ولا مبتغ بالصبر عاقبة الصبر

ثم عاد فلزم المنزل حتى قضى من الغد

*(فصل في بيان مراتبه وما ورد في كيفية ترقيه حتى يستولي على الحواس النفسية ويستغرق القوى الحسية ويملك العقل والبدن ويورث الذل والمحن ويسهل الوقوع في المهالك ويغري على سلوك أوعر المسالك) اعلم انه ألطف موجود نشأ في الوجود كما حققناه وحيث هو كذلك فمتعلقه لابد وان يشاكله لاحتياج كل اثنين تألفا الى نسبة تالفية ولا شبهة ان الروح ألطف ما في البدن فلذلك كان العشق أول ما ينشب بها فهذا دليل على انه يقابل الامراض كلها ومن ثم قال المعلم العشق نصف الامراض وشطر الاعراض وقسيم الاسقام وجل الآلام وهذا واضح لان الروح هي الجزء اللطيف والبدن الجزء الكثيف والامراض تبدأ بالبدن والعشق بالروح ولا شك ان سريان اللطيف في اللطيف اسرع ملأكا وأعظم استملاكا ويليه اللطيف في الكثيف كالحمى في البدن ثم الكثيف في الكثيف كالفالج فيه فعلى هذا يتجه كلام المعلم بل اقول أن العشق غالب الامراض وليست بالنسبة اليه الا كالعشر الى الكل والقطرة الى البحر وبرهانه ان الامراض غالبا تخص البدن وانما اشتغال الروح حينئذ بالتدبير والا فهي في نفسها صحيحة وأما العشق

الانسان عكس طبائعه حتى يبلغ به المرض النفساني والجنون الشوقي فيؤديانه الى الداء العضال الذي لادواء له ومنها قول ارسطاطاليس الآخذ الحكمة عن افلاطون المتقدم ذكره العشق عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم وقول الشاعر

فلست براء عيب ذي الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا

(وقول الآخر)

وعين السخط تبصر كل عيب * وعين أخي الرضا عن ذاك عميا

ومنها ما مشى عليه أبو علي ابن سينا وغيره من الاطباء العشق مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وقد يكون معه شهوة جماع وقد لا يكون وقال بعض الادباء الظرفاء العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل المخصوص من شخص مخصوص وهذا ظريف وقال الجنيد العشق الفة رحمانية والهام شوقي أوجبها كرم الله تعالى على كل ذي روح لتحصل به اللذة العظمى التي لا يقدر على مثلها الا بتلك الالفة وهي موجودة في الانفس بقدر مراتبها عند أربابها فما أحد الا عاشق لامر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولاجل ذلك كان أشرف المراتب في الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الاخرى مع كونها مخبرا عنها بصورة اللفظ وقال الاصمعي سألت اعرابية عن العشق فقالت جل والله عن ان يرى وخفي عن أبصار الورى فهو في الصدور كامن ككمون النار في الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى وقال بعضهم الجنون فنون والعشق فن من فنونه واحتج بقول قيس

فعاقبته افساد البدن وتعطيل الفكر والحاق العقلاء باهل الجنون ثم مرتبته الثانية تتولد عن تكرار نظر أو سماع خطاب يتعقل له في الذهن معنى يكون لحديد القلوب مغناطيسا جاذبا ولانظارها السفسطية برهانا غالبا ويسمى حينئذ العشق الحسي وقال فيثاغورس لا يسمى حسيا الا اذا تولد عن مباشرة الحس وهذا عندي ليس بشرط وان اشترط ففي حق البلداء من الناس ومن في حواسهم الباطنة ضعف والا فاحد الحاستين الاصليتين كاف في ايصاله الى الحس المشترك ثم مرتبته الثالثة الخيالية وهي عبارة عن استيعابه التخيل حتى لم يبق للعاشق تخيل الا صورة المعشوق وان شارك الناس في الامور الظاهرة كانت تلك المشاركة غير تامة وعلاماتها غلبة السهو ونقص الافعال والاحتياج الى محرك باعث ثم مرتبته الرابعة مرتبة الحفظ وهي الاستيلاء على الحفظ فتصرف القوة عن تحصيل كل كمال والنظر الى كل جمال وهذا هو العشق الذي يرى صاحبه الميل الى سوى المحبوب اشراكا والفكر في غيره ضياعا واشغال الزمان بما سواه فسادا وخروجا واليه أشار الفارضي بقوله

ولو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري سهوا قضيت بردتي

فتعبيره بالسهو اشارة الى تقصي المراتب واستيفاء الشروط وكأنه يقول من المعلوم ان السهو لا يحدث الا من كثرة الواردات ولم يبق على قلبي وارد سواك فكيف أسهو ومن ثم أشار بعد ذلك الى طرح المراد واماطة العلائق واتحاد الطالب مع المطلوب وعدم الاثنينية بقوله وكل الذي ترضاه والموت دونه * به أنا راض والصبابة ارضت

بعد ان كان قبل الوصول الى هذه المرتبة قد أثبت لنفسه مرادا حيث قال

وعيدك لي وعد وانجازه مني * ولي بغير البعد ان يرم يثبت

ثم الخامسة مرتبة الاستغراق وهي استيلاء الاشتغال بالمحبوب على النفس الناطقة بأسرها وارتسام صورة المحبوب في مرآة العاقلة وحدها مع محو ما سواها والى ذلك أشار العارف المذكور بقوله ولا غرو ان صلى الانام الى أن * ثوت بفؤادي فهي قبلة قبلتي

وقوله * ووجدي بها ماحي والفقد مثبتي *

يعني أن وجدي الصحيح بالمحبوبة محاني أي صورتي التي كانت مع العالم الدنيوي فكأن فقدي لها هو الذي أثبتني وهذه المرتبة على الاصح من كلام كثير هي أول المراتب التي يقع ببلوغها اليأس من الانتفاع بالعلاج الذي ذكرته الاطباء كالنظر في الحساب والمحاورات وذكر مساوي المحبوب والنظر الى أمثاله وما يقاربه الى غير ذلك مما هو مقرر في مواضعه السادسة مرتبة الانقلاب وهي مرتبة ينقلب فيها ادراك العاشق في سائر آلاته فيصير اذا لمس الحجر أو ذاق الصبر أو سمع الايذاء أو رأى شيأ كالجيفة أو شم رائحتها فضلا عن اضداد ذلك يعتقده المحبوب بما تجرد عن صورته فشاهدها المحبوب واليه أشار بقوله

فلم تهوني مالم تكن في فانيا * ولم تفن مالم تجتلي فيك صورتي

وهذه المرتبة مع العناية والاخلاص تنقلب قدسية اذا كانت النفس الناطقة قبل ذلك قد تخلصت بالكمالات عن البهيمة والا ألحقت صاحبها بالحيوانات وعنها عبرت الاطباء بالماليخوليا والسرسام والسهر السباتي والماليخوليا والسابعة مرتبة العدم الكلي والمفارقة الابدية وهي التي اذا بلغتها النفس لم تستقر في البدن وربما كانت مفارقتها بتذكر أو سماع ذكر أو تنفس صعداء أو أمر من المحبوب وحاصلها أن يصير الموت أعظم أمنية للنفس كما أشار اليه

وانما يصرع المجنون في الحين
اني جننت فهاتوا من جننت به
ان كان يشفي جنوني لا تلوموني

وقيل لابي زهير المدايني ما العشق فقال الجنون والذل وهو داء أهل الظرف وقيل لابي وائل الاوضاحي ما تقول في العشق فقال ان لم يكن طرفا من الجنون فهو عصارة من السحر وقالت اعرابية هو تحريك الساكن وتسكين المتحرك وقال المأمون ليحيى بن أكثم ما العشق فقال سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثر بها نفسه فقال له ثمامة اسكت يا يحيى انما عليك أن تجيب في مسئلة طلاق أو محرم صاد صيدا فاما هذه فمن مسائلنا نحن فقال له المأمون قل يا ثمامة قال العشق جليس ممتع وأليف مؤنس وصاحب مالك وملك قاهر مالك مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها قد أعطي عنان طاعتها وقوة تصرفها وقياد ملكها وتوارى عن الابصار مدخله وعمي عن القلوب مسلكه فقال له المأمون أحسنت يا ثمامة وأمر له بألف دينار وهذا القدر كاف في معرفة العشق ورسمه

(الفصل الثاني في أسبابه وعلاماته)

أقول هذا الفصل عقدناه للكلام على أسباب العشق النفسانية وعلاماته الجثمانية على ان هذا النوع الاخير كثير والمتصف به من المحبين جم غفير وسنوزع من ذلك ما يعذب وروده وتحقق كقلب العاشق بنوده ان شاء الله تعالى قال بعض الاطباء سبب العشق النفساني الاستحسان والفكر وسببه البدني ارتفاع بخار رديء الى الدماغ عن مني محتقن ولذلك أكثر ما يعتري العزاب وكثرة الجماع تزيله بسرعة وقال ابن

بقوله فوتى بها وجدا حياة هنيئة * وان لم أمت في الحب عشت بغصتي

وقد صرت أرجو ما يخاف فاسعدى * به روح ميت للحياة استعدت

الى غير ذلك مما ومنح الله تعالى شخصا مددا يستغرق المدد وحياة تستفرغ الابد وفراغا بذر الشواغل سدى ونفحات قدسية تصقل مرآة عقله لقبوله الفيض أبدا وأفرغ ذلك كله في تحرير ما أودعه عارف الزمان وسلطان الآفاق وفرد دائرة الاكوان وجامع فضائل العشاق سيدى عمر بن الفارض أعاد الله علينا وعلى المسلمين من فواضل بركاته وفضائل نفحاته من مراتب العشق وأدواره وتنقلاته وأطواره لفنى الزمان ولم يدرك معاشره وبادت الاكوان ولم يعرف قراره ولولا ضيق هذا المختصر لاوضحت لك من بعض عجائب تدقيقاته في أقل أبياته وكلماته ما يدعك في حيرة الفكر وبحار التعجب غارقا ويسكتك وان كنت مصقاعا ناطقا ومن ثم قيل المحبوب خير من الحياة والمكروه بالطبع شر من الموت لتمنى كل عند حصول ذلك أما ما نقل عنه في بيان مراتبه خصوصا ما ذكره هنا فليس بالجيد اذ البعض دال على الاسماء والبعض على الماهية والبعض على السبب فلم يحققه غيرنا أحد فاحفظ مقادير ما ظفرت به وها أنا أبين لك عدم انطباق ما ذكروه على المطلوب قال ابن صاعد في طبقات الامم عن فيثاغورس صاحب سليمان نبي الله عليه السلام العشق طمع يتولد في القلب يغنى عن النظر ثم ينمو ويحدث اللجاج والاحتراق حتى ان الدم يهرب عند ذكر المحبوب وقد يموت من شهقة أو بروز به المحبوب بغتة وربما اختنقت الروح من نحو ذلك فدفن ولم يمت وفي سيرة الاسكندر ان هذا الابقراط زاد التميمي في كتاب امتزاج النفوس عن جالينوس ان العشق من فعل النفس وذلك كامن في الاعضاء الرئيسة فتى تمكن أفسدها وهذا كله اشارة الى المراتب اجمالا وفي كتاب المتيمين نظر رجل الى معشوقته فغشي عليه فقال حكيم انه من انفراج قلبه اضطرب جسمه فقيل له ما بالنا لا نكون كذلك عند النظر الى أهلنا فقال محبة الاهل قلبية وهذه روحانية فهي أدق وألطف وأعظم سريانا وفعلا وقال أفلاطون العشق غريزة تتولد عن الطمع زاد المعلم وهو يحدث عمى القلب عن عيوب المعشوق وبه جاءت السنة حيث قال حبك للشئ يعمى ويصم رواه أبو داود وأحمد وأنشد فيه

فلست براء عيب ذي الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راثيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

ورأيت في نسخة * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا * وهي أليق بتحسين الكلام لما فيها من المقابلة وفي أخرى * ولا بعض ما فيه وان كنت رائيا * وهذا أليق بالمقام وألطف وأحسن دلالة على المقصود لما فيه من دفع التوهم من كونه ضعيف النظر فانه يقول لا أرى له عيبا مع انى صحيح النظر فهذا على حد قوله

فوالله ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

وقال السكرى وابن أبي طاهر في المنثور والمنظوم وأبو عبيد البكرى في كتابه اللآلى في شرح الامالى ان البيتين لجرير بن الخطفى وقال السمعانى هما للعلى والأول أصح قال الحاتمى وقد سرق ابن عبد الاعلى هذا المعنى حيث قال

وعين السخط تبصر كل عيب * وعين أخ الرضا عن ذاك تعمى

الا كفاني في كتابه غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ان أكل الطيور المسموعة يورث العشق وقال أيضا في الخلاصة علامته نحافة البدن وخلاء الجفن السهر وكثرة ما يتصعد اليه من الابخرة وغور العين وجفافها الا عند البكاء وحركة الجفن ضاحكة كأنه ينظر الى شئ لذيذ ونفس كثير الانقطاع والاسترداد والصعداء ونبض غير منتظم لاسيما عند ذكر أسماء وصفات مختلفة فايها اشتد عنده اختلاف النبض وتغير الوجه فهو وقال ارسطاطاليس الفلكى للعشق من النجوم زحل وعطارد والزهرة جميعا ولذلك اذا اشتركوا في أصل المولد أو اجتمعوا وتناظروا في أشكال محمودة وقع بينهم العشق والمحبة في بيت أحدهم أو في حده وكان رب البيت أو صاحب الحد ناظر اليه أو كانت الكواكب المذكورة ناظرة في أشكال محمودة أو متقارنة فزحل يهيئ الفكرة والتمنى والطمع والهم والهيجان والاحزان والوسوسة والجنون وعطارد يهيئ قول الشعر ونظم الرسائل والملق والخلاعة وتنميق الكلام والتذلل والتلطف والزهرة تهيئ العشق والوله والهيمان والرقة وتبعث في النفس التلذذ بالنظر والمؤانسة بالحديث والمغازلة التى تبعث على الشبق والغلمة وتدعو الى الطرب وسماع الاغانى وما شابهه وقال بطليموس سببه أن تكون الشمس والقمر في برج واحد أو متناظرين من تثليث أو تسديس فتى كان كذلك كانا مطبوعين على مودة كل واحد منهما لتكون سهمى سعادتهما في مولديهما في برج واحد أو يتناظران السهمان من تثليث أو تسديس بعد أن يكون نظر صاحبهم المحبة والصداقة فذلك دليل على ان هذين المولودين محبتهما من جهة المنفعة ومنفعتهما من جهة واحدة وأن أحدهما ينتفع بمودة صاحبه فتجاب

واما

واما الشيخ فقد حده بانه مرض يشبه الماليخوليا تولده الفكرة من استحسان الصور والشمائل ولا يشترط اقترانه بشهوة جماع وقالت اعرابية العشق جل أن يرى وخفي عن الورى فهو كامن في الصدور كالنار في الحجران قدح أورى وان ترك توارى وهذا حد له بحقيقته في النفس ويؤيد عدم اشتراط الشهوة فيه والحسن قول بعضهم

وما الحب من حسن ولا من سماحة * ولكنه شيء به الروح تكلف

وعلامة ما يكون منه عن شهوة فقط زواله اذا زالت لانه عرض واما الكائن عن مشاكلة في النفس وارتسام في الذهن فحدلا يزول ومتى صح ارتسم عند كل من المتحابين ما عند الآخر اصفاء جوهر النفس وخلوها للمحبوب وقد تكون العوارض المذكورة سببا لانقلابه الى الحد الاصلي كما ستجده واما نحو الرسيس والحب وغيرهما فاسماء اقترحتها الشعراء للتغزل والتشبيب لا تنطبق في الحقيقة على ماذكرنا لكن ربما كان لبعض منها مسيس مناسبة فالرسيس من الرس وهو الثبات ورسوخ صورة المحبوب في النفس وزعموا انه أول المراتب ولا ينطبق على المعنى اللغوي ويليه الحب وهو في الحقيقة أول الالفة واشتق من حبة القلب أو من حباب الماء أو من حب البعير اذا برك أو من حبب الاسنان وهو بياضها وحدت المحبة بالميل الدائم بالقلب الهائم أو قيام للمحبوب بما يحب وعدم مشاركة شيء معه وفيه أنشد المتنبي يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

وأنشد بعضهم ومن عجب اني أحن اليهم * واسأل عنهم من لقيت وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها * ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

وألطف منه قوله خيالك في عيني وذكرك في فمي * ومثواك في قلبي فاين تغيب

والحب أخص من العشق لانه عن أول نظرة وأقصاه امتزاج الارواح والرأفة أشد لانها مبالغة في الرحمة قال الحرانى هي أرق الرحمة والرحمة أعم لوقوعها على غير ذي صلة بخلاف الرأفة ويقرب من الحب الود أو خالصه فيكون من الحب كالرأفة من الرحمة وفي معناه المقة والتتيم حالة يملك بها المعشوق العاشق فاذا زاد فهو الوله أعني الخروج عن حد الترتيب وأنشد في المعنى

الحب أوله ميل يهيم به * قلب المحب فيلقى الموت كاللعب

يكون مبدؤه من نظرة عرضت * أو مزحة أشعلت في القلب كاللهب

كالنار مبدؤها من قدحة فاذا * تضرمت احرقت مستجمع الحطب

وأنشد أيضا ثلاثة أحباب فحب علاقة * كذا حب تملاق وحب هو القتل

والشجو هو الحزن والطرب أيضا ضده ويطلق على القهر والغلبة وهو هنا عشق يقترن بالهم كما في ديوان الصبابة والخلة هي تمام المحبة سواء كانت بلا علة وهي الصداقة أو بها وهي فرط العشق الذي لا يخالطه غيره أخذت من الخلو والتخلي فكأن القلب لما تخلى للمحبوب دون غيره اتصف بها والعلاقة وهي في الصحيح اسم لمبادي المحبة أخذت من غلق بالتحريك أي حبت وكسحاب الهوى وبهاء ويجوز ان يراد بها شدة اختلاط القلب بالحب ويقرب منها الغرام وهو أشد لانه ولع واشتغال بالحب والهوى مطلق الميل والارادة ويطلق على ذهاب العقل في العشق وعلى نفس المحبوبة واما العشق فاعم منها وقيل أخص وهو عجاب بالحب أو افراط فيه وأخذ من العاشقة وهي شجرة تعلق وتلصق بما يليها وهي

المتقدمة بينهما المحبة والمودة ويمتزجان ويؤيد هذا قول الخبزارزى

ولكن أرواح المحبين تلتقي
اذا كانت الاجساد عنهن نوءا

وأحسب روحينا من الاصل واحدا
ولكنه ما بيننا متقسما

ولو لم يكن هذا كذا ما تألمت
له مهجتي بالغيب لما تألما

ومن علاماته اغضاء المحب عند نظر محبوبه اليه ورميه بطرفه نحو الارض وذلك من مهابته له وحيائه منه وعظمته في صدره ولهذا يستهجن الملوك من يخاطبهم وهو يحد النظر اليهم بل يكون خافض الطرف الى الارض قال الله تعالى مخبرا عن كمال أدب نبيه صلى الله عليه وسلم في ليلة الاسراء مازاغ البصر وما طغى وهذا غاية الادب فان البصر لم يزغ يمينا ولا شمالا ولا طمح متجاوزا الى ماهو وراءه ومنها اضطراب يبدو للمحب عند رؤية من يشبه محبوبه أو عند سماع اسمه كما قيل

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى
فهيج أشجان الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما
أطار بليلى طائرا كان في صدري

دعا باسم ليلى أسخن الله عينه
وليلى بأرض الشام في بلد قفر

ومنها أنه يستدعي سماع اسم محبوبه ويستلذ الكلام في أخباره ويحب أهل محبوبه وقرابته وغلمانه وجيرانه ومن ساكنه كما قال الشاعر

فيا ساكني أكناف دجلة كلكم
الى القلب من أجل الحبيب حبيب

وقال آخر

أحب لحبها السودان حتى
أحب لحبها سود الكلاب

ومنها كثرة غيرته عليه ومحبة القتل والموت ليبلغ رضاه والانصات لحديثه اذا حدث واستغراب كل ما يأتي به ولو أنه عين المحال وتصديقه وان كذب وموافقته وان ظلم والشهادة له وان جار واتباعه كيف يسلك

الابلاب ومن ثم تسميه العامة عاشق الشجر والغمرة سكر القلب بتذكار الحب واشتغاله به والشغف شدته مأخوذ من شغاف القلب أي غلافه أو سويدائه وبالمهملة رأس القلب مما يلي نياطه ويؤنث كأن النوع من الحب المجعول هذا الاسم علما عليه قد بلغ هذا المحل والمراد من القلب هنا أمر معنوي في الانسان لا الشكل المعلوم وعنه ينتج الوله ثم الهيام واما الاستكانة فالخضوع أو شوق ينزع النفس من البدن الى لقاء الحب ومن ثم قد يقتل عند الرؤية والشوق أروع وهل يزيده الوصل أو ينقصه خلاف واستدل للاول بقول الشاعر

وأعظم ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الخيام من الخيام

والثاني بقوله فالقت عصاها واستقر به النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

والاصح انه ان كان لمجرد شهوة تقص بقضائها بل ربما عدم والا بان كان كلفا لا تكلفا وطبعا لا تطبعا وميلا نفسيا أنشأته المشاكلة فلا يزيده الوصل الا رسوخا على أنه لا دليل في الثاني على الدعوى لعدم ذكر الشوق في الشعر لانه ذكر استقرار النوى وهو البعد الذي هو أعم فيجوز تفسيره بفرد غير الشوق على ان المحققين أجمعوا على أن الشوق حال الغيبة يغاير الشوق حال الحضور كما انشد ابن الرومي في ذلك

أعانقها والنفس بعد مشوقه * اليها وهل بعد العناق تداني
وألثم فاها كي تزول صبابتي * فيشتد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحين يمتزجان

وأما الصبوة فلا تطلق حقيقة الا على الميل والافتتان الواقعين زمن الصبا لكن تطلق تجوزا على مطلق الميل للمشابهة والنزوع والاشتياق كالصبابة أو هي رقة وحرارة في الشوق والوجد شدتها والكلف الاستغراق والاشتغال وبالكسر العاشق نفسه والشجن الهم والكرب تحمل النفس كل مشقة متعلقها الحب والكآبة شدة الحزن كالتفجع أو هو توجع وبكاء على الفقد والبرح والغل شدة العشق أو الغل من الغلل يعني العطش والجامع ميل النفس والحنين شوق ممزوج برقة وكلف وتذكر يهيج الباعثة والبال شدة الشوق والجوى ضيق الصدر وكتم الهوى والارق والسهد شدة السهر وتواتر أحوال المحبوب على القلب وفي معناه التحرق واللذع والولع وكذا اللوعة واللاعج واما الوصب والنصب فلوعة مع مرض وغم وكذا الكمد والدنف شدته قيل مع صفرة أو الكمد تغير الى سواد والدنف الى صفرة وهو مولد والتبل والخبل الجنون وهذا في الاصح آخر المراتب والجزع عدم الصبر على الفرقة والهلع أشده والدله بالمهملة احتراق القلب بنار الحب والخلابة سلب العقل والهيام مجرد الحب أو هو والسياحة فيه والبله حمق أو غفلة فيكون هنا استغراقا في الحب فهذه حقيقة أسمائه التي جعلها مراتبه وليست الا باعتبار صفة أو أول أو تسمية جزء أو سبب بكل أو مسبب وعكس ذلك وانما المراتب ما قررناه وفي ترتيب هذه الاسماء خلاف يرد على من التزم ترتيبها ونحن قد أوضحنا نفس المعاني ومنها يسهل الترتيب والتنزيل على المراتب فتأمله

*(فصل فيما ذكرله من العلامات) *وهي أحوال يتصف بها البدن كتغير الالوان والعينين وتواتر النبض والخفقان وربما ازدادت هذه عند رؤية المحبوب أو سماع ذكره حتى انها قد تقضي بالهلاك وكذا اعتقال اللسان وأحوال يتصف بها الفكر كفساد الذهن

والتعقل

ثم الاسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه والتعمد للقعود بقربه والدنو منه واطراح الاشغال الشاغلة عنه والزهد فيها والرغبة عنها والاستهانة بكل خطب جليل داع الى مفارقته والتباطؤ في المشي عند القيام عنه وجوده بكل ما يقدر عليه مما كان يتمتع به قبل ذلك حتى كأنه هو الموهوب له وهذا قبل استعار نار الحب فاذا تمكن اعرض عن ذلك كله وبدله سؤالا وتضرعا كأنه يأخذ من المحبوب حتى أنه يبذل نفسه دون محبوبه كما كانت الصحابة يفدون النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب بنفوسهم حتى تصرعوا حوله كما قيل

يفديك بالنفس صب لو يكون له
أعز من نفسه شئ فداك به

ومنها الانبساط الكثير الزائد والتضايق في المكان الواسع والمحاربة على الشئ يأخذه أحدهما وكثرة الغمز الخفي والميل والتعمد للمس اليد عند المحادثة ولمس ما أمكن من الاعضاء الظاهرة وشرب ما أبقى المحبوب في الاناء قلت ومنها تقبيل نعله في غيبته وقد رأيت من فعل هذا فعنفته على ذلك فقال اسكت يا فلان ما تعلم ما في هذا من اللذة ثم اني وجدت هذا المذكور بمكة وأرسل معي كتابا الى محبوبه المذكور لانه جاور فقلت له كيف أمكن الصبر يا زيد عن عمرو فأنشد

ولله مني جانب لا أضيعه
وللهو مني والخلاعة جانب

ومنها تقبيل جدار الدار كما قيل

أمر على الديار ديار ليلى
أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا

ومنها الاتفاق الواقع بين المحب والمحبوب ولا سيما اذا كانت المحبة محبة تشاكله ومناسبة فكثيرا ما يتكلم المحبوب بكلام أو يريد أن يتكلم به فيتكلم المحب بعينه وكثيرا ما يمرض المحب بمرض محبوبه قلت وقد اتفق هذا

والتعقل وقد مر ثم هذه قد يستدل عليها بالتطور والتنقل (قيل) أتى بشاب الى طبيب فلما تأمله لم يجد به ألما فقال وهو قابض على نبضه لغلام معه قد أخذني البرد فأتني بالفرجية فتغير نبض الشاب تحت يده فقال لامه ان هذا عاشق امرأة اسمها فرجية فقال وهو كذلك ونحوه أنشد

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى * فهيج أشواق الفؤاد وما يدرى

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * أطار بليلى طائرا كان في صدرى

وفى معناه محبة كل ما ينسب الى المحبوب حتى الجدار وفيه قيل

أمر على الديار ديار ليلى * أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

وأبلغ من ذلك هجر ما كان عليه زمن الوصل زمن الفرقة من نحو ملبس ومأكل والاستلذاذ بتقبيل النعل قال ابن أبي حجلة وقد رأيت من فعل ذلك وعنفته فادعى في ذلك لذة عظيمة فقلت له بعدها وقد رأيته بمكة كيف تصبر على ما أعلم فيك فأنشد يقول

ولله مني جانب لا أضيعه * وللهو مني والخلاعة جانب

(أقول) وفيه نظر عظيم حيث جعل حصة الله منه نصفا وعدد المقابل وهو دليل مزيد الاشتغال بالله حيث لم يجعل المقاسم واحدا خصوصا واللهو في شعره أعم من أن يكون بالمحبوب أو غيره وأما التشبه بالمحبوب في سائر الافعال والاقوال والميل الى ما يحبه والاستلذاذ باستعمال ما كان من أثره فأمر معلوم لا يجهل ومطلوب بين العشاق حتى قيل ان شخصا وجد في تركته اثنا عشر جملا وفردة من السراويل لكونه رأى ميل محبوبه اليها وآخر ألف هاون لسماع صوت هاون محبوبته وأما اتحاد الاجساد والمرض حيث يمرض الآخر فكثير قيل مرض أبو نواس ولم يعلم سبب مرضه حتى عاده شخص فأخبره بمرض عنان جارية الناطفي وانها انشطت فكتب اليها

انى حممت ولم أشعر بحماك * حتى تحدث عوادى بشكواك

فقلت ما كانت الحمى لتطرقني * من غير ما سبب الا بحماك

وخصلة كنت فيها غير متهم * عافاني الله منها حين عافاك

حتى قد اتفقت نفسي ونفسك فى * هذا وذاك وفى هذا وفى ذاك

وفى معناه أنشد وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة فى هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمني اللوم

ويقرب من هذا قول الشافعي

مرض الحبيب فعدته * فمرضت من حذرى عليه

وأتى الحبيب يعودني * فبرئت من نظرى اليه

اذا تقرر هذا فليكن الاخف منه كالغيرة وبذل النفس وترك ما سوى المحبوب بالطريق الاولى وكذا نظائرها كاستحلاء ما يتعلق به من نحو حديث وملبوس ورؤية ما ينسب اليه ويقوله حسنا صحيحا وان كان بالخلاف ولم ينسب نحو هذا الى المبالغة عند العشاق للاتيان باعظم منه كما سمعت (قال الزراع) ودع عندى جارية كان يهواها فذرفت احدى عينيه فغمض الاخرى عن الملاذ عقوبة لها أربعا وستين سنة حتى مات وأما حصول العشق برؤية فى النوم أو بالاثر أو بالسماع أو بالكلام أو الوصف أو اللمس أو باول نظرة أو بالمطاولة

يمرض لمرضه ويصح لصحته فلا شك من الارتياب في حصوله ممن كان له خدمة ملازمة له وأما وقوع ذلك للمتقدمين فكثير فمن ذلك ما حكى عن أبي نواس انه مرض فدخل عليه بعض أصحابه يعودونه فوجدوا به خفة قال فانبسط معنا وقال من أين جئتم فقلنا من عند عنان جارية الناطفي فقال أو كانت عليلة قلنا نعم وقد عوفيت الآن فقال والله لقد أنكرت علتي هذه ولم أعرف لها سببا غير انى توهمت ان ذلك لعلة نالت بعض من أحب ولقد وجدت في يومى هذا راحة ففرحت طمعا أن يكون الله عافاها منها قبلي ثم دعا بدواة وكتب الى عنان

انى حممت ولم أشعر بحماك
حتى تحدث عوادى بشكواك
فقلت ما كانت الحمى لتطرقني
من غير ما سبب الا بحماك
وخصلة كنت فيها غير متهم
عافاني الله منها حين عافاك
حتى اذا اتفقت نفسي ونفسك فى
هذا وذاك وفى هذا وفى ذاك

ومنها انه اذا سئل عن أمر أجاب بخلافه وكثرة التثاؤب والتمطى والتكسل اذا نظر الى محبوبه ونكته فى الارض بابهام رجله وهذا كثيرا ما يقع للنساء وعضها على شفتها السفلى وضربها على عضديها أو ثدييها واظهار محاسنها لمن تهواه توهمه انها ترى ذلك لبعض أهلها ونظرها الى اعطافها ووضعها الحديث فى غير موضعه (اياك أعني واسمعي ياجاره) ومنها الانقياد للمحبوب فى جميع ما يختاره من خير وشر فان كان المحبوب مشغوفا بالعلم اجتهد المحب فى طلبه أشد من اجتهاده وان كان مشغوفا بالنوادر والحكايات الحسان والاخبار المليحة المستحسنة بالغ المحب في طلبها وحفظها وان كان مشغوفا بحرفة أو صناعة اجتهد في تعلمها ان أمكنه ذلك

فارغ بطال صفر من كل خير فيحمله حبه على التشبه به وفي أخبار العشاق ان عاشقا عشق السراويلات من أجل سراويل معشوقته فوجد في تركته اثنا عشر جملا وفردة من السراويل ذكره الصيمري وعشق آخر الماونات من أجل صوت هاون محبوبته فوجد في تركته عشرة آلاف منها وقد وقفت من هذا على أشياء كثيرة والجنون فنون

(الفصل الثالث في مراتبه وأسمائه)

أقول هذا الفصل عقدناه لذكر مراتب الحب وسياقه وأسمائه واشتقاقه على اختلاف لغاته واتفاق رواته ومن المعلوم ان الشئ اذا كان عند العرب عظيما وخطره جسيما كالمزبر والرمح والخمر والسيف والداهية والمحبة المحرقة وما أدراك ماهيه وضعوا له أسماء كثيرة وكانت عنايتهم به شهيرة ولاشئ يعدل اعتناءهم بالحب الذى يسلب اللب فاول مراتبه الهوى وهو ميل النفس وقد يطلق ويراد به نفس المحبوب قال الشاعر

ان التى زعمت فؤادك ملها
خلقت هواك كما خلقت هوى لها

ثم العلاقة وهى الحب اللازم للقلب كما قال الشاعر

ولقد أردت الصبر عنك فعاقنى
علق بقلبى من هواك قديم

وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الكلف وهو شدة الحب وأصله من الكلفة وهى المشقة يقال كلفه تكليفا اذا أمره بما يشق عليه فكان الحبيب يكلف المحب مالا يطيق ويتغافل عن قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقيل هو مأخوذ من الاثر وهو شئ يعلو الكلف أيضا لون بين ... حمرة كدرة ثم العشق هو اسم لما فضل عن المقدار الذى اسمه الحب وفي الصحاح العشق

والمعاشرة وزيادته بالبعد لقوم والقرب لآخرين فبحسب الامزجة وقد أسلفت في طالعة الكتاب تفصيل ذلك وقبول المزاج سرعة الانتقاش والفرق بين لطافة المزاج وكثافته ونحو ذلك مما ينبئك على تعليل هذا فليراجع وقد ظهر لى في ذلك ان الناس اما ناظرون بلا حجب أو بها اما من العاشق والمعشوق معا أو من أحدهما فقط وتختلف الحجب لطفا وصفاء وعكسهما فهذه أسباب الاختلاف وان كانت لاهل الحقيقة بالذات

(الباب الاول فيمن استشهد من المحبين شوقا الى حضرة رب العالمين)

لما كان غاية المحبة اما وصولا الى المطالوبات الدنيوية أو الاخروية ومبدؤها من الحواس الظاهرة غالبا والباطنة ومطالبها العالية ومقاصدها الذاتية اما اشتغال عن الحق بخيالات وهمية تنتقش في العقل من الخلق أو ميل نفسى الى المبدع باستيحاش ممن سواه لاجرم قسمت المحبة قسمين أشرفهما متعلقا الثواب وهو الحب في الله لانه لا يفنى متعلقه ولا تكيف غايته ولا يفضله شئ في الحقيقة اذ ما سواه أوهام تضمحل وتزول واعراض تفنى وتحول ولا شبهة في ان ادخار مالا يتطرق اليه تغير ولا فناء أولى في الحكمة عند العقلاء فلذلك صدرت به الابواب ومدار ما يذكر هنا في الاصل على ذكر من أفنى نفسه في طاعة ربه وأكثر اعترافه من الخلية لا في نعيم اذا تقرر هذا فالمحبة كما قال الحصرى وصول الى مقام الانس والنعمة باطنا والوحشة والبلاء ظاهرا بشرط الاشراف على الغيوب وفناء الكل في بقاء المحبوب وهذا تعريف لها بحسب الغاية الخاصة وكان عليه ان يورد التعريف التام العام أولا ثم يفصل وقال الاستاذ أبو يزيد البسطامى هى استهلاك النفسانية مع بقاء الروحانية وهذا عندى قريب من الاول غير أن بعض شراح الفصوص قال ان فيه تعريفا بالمادة وأظنه أخذ ذلك من قوله استهلاك وفيه تكلف ونقل الحدبن البحرانى في شرح التائية على قول الاستاذ فقالت هوى غيرى قصدت وأقربهما وأحسن منهما ما نقل عن شيخ الطريقة الجنيد رضى الله عنه وقد سئل ما المحبة فقال هى الصفاء في الباطن مع حقائق الحق والوفاء في الظاهر مع استعمال دقائق الشرع فهذا والله هو الحد التام وان كان الى الخاص أميل فان قوله الصفاء في الباطن يريد به الخلوة الحقيقية التى هى قفل أبواب الحواس عن ممارسة الخلق ونشر القلب بالاستكانة والخضوع على أعتاب الحق ونفى الكدورات الحسية عن الحواس النفسية لالحاقها بالحضرة القدسية وذلك غير تام قبل نفى العوائق وقطع العلائق والخروج من شوائب الخلائق ليتحقق الصفاء والتخلق بتلك الحقائق هناك وجدت الكائنات تحالفت * على أنها والعون منى معينتى

حيث انتفت معاندات الاغيار وتحققت ممازجات الاخيار حتى انتقشت المطلوبات الحقيقية في مرآة الصور الخلقية وانبسطت أشعة الاحوال البسطية حيث انتفت الكدورات الوحشية

فلم تهونى مالم تكن فى فانيا * ولم تفن مالم تجتلى فيك صورتى

وقوله والوفاء في الظاهر يعنى لكل معاهد بعهده وموعود بوعده وضال برده ومتغفل بتنبيهه وتقوية بجده لان العارف المتصف بما ذكر خليفة الله على خلقه ينفذ فيهم أوامره ويقيم شرائعه فان فعل ذلك ظاهرا وباطنا فهو النبى وخلفاؤه ومن فعله على الاول فهم السلاطين أو على الثانى فهم الافراد الاقطاب جوامع الاسرار ومعادن الحقائق والاستبصار

والاستبصار علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل وورثة الانبياء

فعالمنا منهم نبى ومن دعا * الى الحق منا قام بالرسلية

وأما قوله استعمال دقائق الشرع فاشارة الى معنى لا يدركه الا الخواص وان غاص عليه من غاص فان فيه اشارة الى حفظ الكليات التى عليها مدار النظام واستقصاء الجزئيات التى قصر عنها الكلام واجتهاد النفس فى جمع ما تفرقت فيه الآراء وتشعبت اليه الاهواء بيد ان ذلك قيام لم يخط على كل ذى قدو اشكال اقيسة فكر لم يستخلصها كل ذى جد اللهم حققنا بحقائق معارفك وارفعنا من حضيض زوايا الخمول الى أوج استقامة لطائفك وانقل أنفسنا من مراكز عكس الصعود الى أشرف منازل السعود وأما قول بعضهم وينسب الى ذى النون المصرى المحبة أرق بلا رقاد وجسم بلا فؤاد وتهتك فى العباد وتشتت عن البلاد فتعريف بصورة الحالة الراهنة من المحبة بعد قطع الطرق فان الارق الذى هو السهر من الفكر فى الامور الطارئة على النفس لا يكون الا بعد تمكن تلك الامور فى الذهن وأن الجسم لا يكون بلا فؤاد الا اذا فنى فهى كناية عن عدم الالتفات الى ما من شأنه أن يدرك بالقلب مما سوى الموجود المطلق بقرينة المقام وفيه تكلف وخلط لحالة المجانين باحوال المحبين وباقى الكلام ظاهر وعندى أن المحبة ميل نفسانى الى المراد يعضده الجزم بالاعتقاد ورؤية ماسوى المطلوب من الفساد وفى الدين ارتداد واليه أشار عارف الوقت والحقيقة وسلطان عشاق الخليقة بقوله

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا قضيت بردتى

فقولنا ميل كالجنس ونفسانى كالفصل والى المراد فصل قريب ولذلك أخره وهذا هو فعل المادة والصورة والجزم فى الاعتقاد بالفاعلية وغايته ذلك الثبات على الحب حيث ثبت ان ماسواه فساد فقد جمع هذا الحد طرداً ومنعكساً أحوال المحبة على وجه العموم فمن أراد تخصيصه فبالفصول اللائقة ثم لهذه المحبة أوصاف وشروط منها أن لا يبالى المحب بما يرد من المحبوب وان يؤثر رضاه على نفسه فليتلذذ فيه بالبلاء كالعطاء وبالغيبة كالحضور والهجر كالوصل والفناء كالبقاء اذا كان ذلك رضا المحبوب قال العارف

فكل الذى ترضاه والموت دونه * به أنا راض والصبابة ارضت

فانظر الى هذا الاستاذ كيف أوضح طرق السلوك للسالك ودل على المطالب والمسالك وأوضح مرقاة الوصول للدارج ونكب عن المعارج الى أسنى المعارج حيث قال * نعم بالصبا قلبى صبا لاحبتى * لان الزمان المذكور محل الميل الى مرادات النفس وشهواتها ففى البيت مع الجناس التام واستيفاء مادة الكلام تحرير أحوال الغرام بأقصى المرام ثم أكد ما أسس وابدع ما جنس وقوى جزئى الميل حتى صار كليا بما وشح من بديع نظامه وأتى من لطيف كلامه بقوله

محجبة بين الاسنة والظبا * اليها انثنت ألبابنا اذ تثنت

ممنعة خلع العذار نقابها * مسربلة بردين قلبى ومهجتى

فجدوا أيها المقصرون وانتبهوا أيها الغافلون وبادروا أيها المشمرون فان المطلوب خطير والوصول عسير وليس هذا قطعا عن الطريق وتخذيلا للهمم كما زعمه بعض الشراح المتلبسين بهذه الصناعة الظانين أن الوصول الى هذا النفس بالظاهر من البلاغة

الفساد وهو أمر هذه الاسماء وقلما نطقت به العرب وكأنهم ستروا اسمه وكنوا عنه بهذه الاسماء فلم يكادوا يفصحون به ولا تكاد تجده فى شعرهم القديم وانما أولع به المتأخرون ولم يقع هذا اللفظ فى القرآن ولا فى السنة الا فى حديث ابن داود الظاهرى كما يأتى بيانه وقال ابن سيده العشق عجب المحب بالمحبوب يكون فى عفاف الحب ودعارته وقيل العشق الاسم والعشق المصدر وعشيق كثير العشق وامرأة عاشق وشجرة يقال لها عاشقة تخضر ثم تدق وتصفر قال الزجاجى واشتقاق العاشق من ذلك وقال الفراء العشق نبت لزج فسمى العشق الذى يكون بالانسان للزوجته ولصوقه بالقلب وقال ابن الاعرابى العاشقة اللبلابة تخضر وتصفر وتعلق بالذى يليها من الشجر فاشتق من ذلك العاشق ذكره فى ديوان العاشقين والعشيق يكون للفاعل والمفعول وجمع العاشق عشق وعشاق ويقال فى المرأة عاشقة وامرأة عاشق أيضا وقد تقدم ذكر ذلك والله أعلم ثم الشغف قال العزيزى فى غريب القرآن شغفها حبا أصاب حبه شغاف قلبها والشغاف غلاف القلب ويقال هو حبة القلب وهى علقة سوداء فى صميمه وشغفها حبا ارتفع حبه الى أعلى موضع فى قلبها مشتق من شغاف الجبال أى رؤسها وقولهم فلان مشغوف بفلانة أى ذهب به الحب أقصى المذاهب وأما الشعف بالعين المهملة فهو احراق الحب القلب قال فى الصحاح شعفه الحب أى أحرق قلبه وقد قرئ بهما جميعا شغفها حبا وشعفها وكذلك اللوعة واللاعج أعنى مثل الشعف فى الاحراق فاللاعج اسم فاعل من قولهم لعجه الضرب اذا آلمه وأحرق جلده ويقال هوى لاعج لحرقة الفؤاد من الحب وفى الصحاح لوعة الحب

والبراعة كلا بل هو تبيين وتحقيق لئلا يقدم على هذا الامر الامن أراد أو همته وغاو قيمته ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولا يلتبس بالعلم غير أهله ولا يسق الفرع على غير أصله فللحب أقوام كرام نفوسهم * فنزهه عما سوى الحب ما خلى الى غير ذلك مما دلت عليه أبياته الفائقة وعباراته الرائقة وألفاظه الشائقة التي هي لصوادق الهمم الى مقام الوصول سائقة ولولا ما في ذلك من التطويل الذي يستغرق المدد مع المدد ويستنفد الابد فضلا عن طول الامد لاوضحت لك ما في كلامه من الاسرار الحقيقية الدالة على ان أبيات القصيدة وضعت كدرج المرقاة في الابرام والنقض لا يجوز تقدم بعضها على بعض (ومن لطيف ما اتفق لى) انى خلوت بنفسي ليلة وكانت ليلة الجمعة سادس رجب الفرد من شهور احدى وسبعين وتسعمائة فاخذت أتفكر في كلامه متصفحا في دقائقه الى ان قام في فكرى معارضة بين ما اتفق له من قوله وعيدك لى وعد البيت وقوله * عذب بما شئت غير البعد * وقوله وأصعب شئ دون اعراضكم سهل * وبين قوله وكل الذى ترضاه البيت فانه في جميع الابيات أشار الى انه راض بكل افعال المحبوب خلا البعد والهجر ثم أشار في هذا البيت الى الرضا بسائر الحالات ومنها البعد والهجر ثم قام عندى جواب ان ذلك عام خصص ثم غشيني النوم فرأيت كأني بالمدرسة الاشرفية وقد زينت بانواع الزينة وليس فيها غيرى واذا برجل طويل غليظ شديد البياض في يده عكاز أخضر متوشح بثوبين أبيضين وعلى رأسه كالازار فقام عندى أنه الشيخ فاذا هو قد سلم على ووضع يده على كتفي ووقفنا متقابلين وهو يقول لى هذا جواب الفقهاء ولم أقصده فقلت يا سيدى وما الذى قصدت قال اما تعلم أن المسافر أثقل ما يكون في مبادى سفره ثم لم يزل يخف اذا طالت طريقه حتى لم يبق الا هو ورمح مافني قلت نعم قال وكذلك السالك لم يزل يلقى مرادات نفسه حتى اذا وصل انطوى في دائرة المحبوب فلم يبق له مطلوب كما في الحديث القدسي فبي يسمع وبي يبصر فعلمت ان هذا الشأن لا يدرك بالعلوم الظاهرة ان لم تداركها نفحات من الحضرة الطاهره فرجعت عما كنت عزمت عليه من الكتابة على القصيدة الان تداركني الالطاف الباهره (وقال بعض العارفين) شرط المحبة ان تكون ميلا بلا نيل وشرطا بلا جزاء لئلا تزول عند زوال العوض ويتأكد ذلك في أحباء الله عز وجل روى عن على رضى الله عنه انه كان يقول في مناجاته الهى ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ولكني وجدتك أهلا للعبادة ومن ثم قيل أفضل الحمد ما وقع دالا على استحقاق الله بلا شرط نحو نحمدك يا من جلت صفاته عن الاحصاء بخلاف ما وقع في مقابلة شئ كالحمد لله على ما أنعم وأخبر السراج عن أبى بكر الازدستانى بسنده الى ابن كثير قال لما تاب داود عليه السلام كان له يوم نوح تجتمع اليه فيه الناس حتى الوحوش والطيور فينوح ويعظ مذكرا بالجنة ثم النار ثم الاهوال ثم الخوف من الله وفى كل واحدة يموت من كل طائفة خلق وولده قائم على رأسه فيقول حسبك يا ابت قدمات الناس ثم يقول له العباد لا تعجل بطلب الجزاء فيخر ساجدا مغشيا عليه فتأخذ كل طائفة من مات منها وتذهب ثم يدخل بيت عبادته وهو يقول يا اله داود أغضبان أنت عليه أم راض الى ان يخر مغشيا عليه وأخرج عبد العزيز بن على الطحان عن ابن عطاء في معنى قوله عز وجل انى مسني الضر وانت ارحم الراحمين أن أيوب لم يزل يأكله الدود حتى لم يبق غير قلبه ولسانه

نوقته فهذا هو الهوى المحرق ثم الجوى وهو الهوى الباطن وفى الصحاح الجوى الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن ثم التتيم وهو أن يستعبده الحب ومنه سمى تيم الله أى عبد الله ومنه قيل رجل متيم ثم التبل وهو أن يسقمه الهوى ومنه رجل متبول في الصحاح تبلهم الدهر وأتبلهم اذا أفناهم ثم التدله وهو ذهاب العقل من الهوى ويقال دلهه الحب أى حيره ثم الهيام وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم والهيام بالكسر الابل العطاش وقوم هيم أى عطاش والصبابة رقة الشوق وحرارته والمقة المحبة والوامق المحب والوجد الحب الذى يتبعه الحزن وأكثر ما يستعمل في الحزن والدنف لا تكاد تستعمله العرب في الحب وانما ولع به المتأخرون وانما استعملته العرب في المرض والشجو حب يتبعه هم وحزن والشوق سفر القلب الى المحبوب قال في الصحاح الشوق والاشتياق نزاع النفس الى الشئ وقد جاء في السنة وأسألك النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك واختلف في الشوق هل يزول بالوصال أو يزيد فقالت طائفة يزول لانه سفر القلب الى المحبوب فاذا وصل اليه انتهى السفر

فالقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

وقالت طائفة بل يزيد واستدلوا بقول الشاعر

وأعظم ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الخيام من الخيام

قالوا لان الشوق هو حرقة المحبة والتهاب نارها في قلب المحب وذلك مما تزيده القرب والمواصلة والصواب أن الشوق الحادث عند اللقاء والمواصلة غير الشوق الذى كان عند الغيبة عن المحب قال ابن الرومى أعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدانى وألثم فاها كي تزول صبابتي

فأكل بعضه بعضا حتى بقيت واحدة فدبت الى قلبه فقال ذلك لا نه قال أى رب لم أخف من بلاء مادام قلبي عارفا بحلاوة ذكرك فأوحى الله اليه بم تنظر الى غدا قال بهاتين العينين قال لا ولكن أخلق لك عينين يسميان البقاء لتنظر الى البقاء بالبقاء (وقيل) خرج عيسى عليه السلام فى سياحته ليلة برد وريح ومطر فعاج الى كهف ليستظل فخرج اليه أسد فقال أنت أحق بمكانك وعاد وهو يقول رب لكل ذى روح ملجأ الا عيسى فأوحى اليه كأنك استبطأتني فوعزتى وجلالى لازوجنك بحوارى ولأ ولمن عليك أربعة آلاف سنة (وحكى) المنذرى عن ابن سعد يرفعه ان انصاريا بكى من خشية الله خوفا من النار حتى حبسه البكاء فى بيته فحكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه فلما اعتنقه خر ميتا فقال جهزوا صاحبكم فان الفرق بتحريك الراء يعنى الخوف فلذ بالمعجمة يعنى قطع كبده (وحكى) أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة عبد الواحد بن زيد عن الفضيل بن عياض ان ابن زيد سأل ربه ثلاث ليال ان يريه رفيقه فى الجنة فاذا بقائل يقول هى ميمونة السوداء قال فقلت وأين هى قال بالكوفة فخرجت فى طلبها فلما سألت عنها قالوا هى مجنونة وانها بموضع كذا ترعى غنيمات لنا فجئتها فرأيتها قد غرست عكازا وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشرى والغنم ترعى مع الذئاب بلا ضرر وهى تصلى فلما رأتنى أوجزت فى صلاتها ثم قالت يا ابن زيد ليس هذا موضع الموعد فقلت ومن أين عرفتيني فقالت الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وفى رواية أخرى قالت جالت روح وروحك فى عالم الملكوت فتعارفنا فقلت لها عظيني فقالت واعجبا من واعظ يوعظ ثم قالت يا ابن زيد لو وضعت معيار القسط على جوارحك لخبرتك بمكنون ما فيها يا ابن زيد ما من عبد أعطاه الله شيأ من الدنيا فابتغى اليه ثانيا الا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب البعد وبعد الانس الوحشة وأنشدت

يا واعظا قام لاحتساب * يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقا * هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا * غيك أو تبت من قريب
كان لما قلت يا حبيبي * موقع صدق من القلوب
تنهى عن الغى والتمادى * وأنت فى النهى كالمريب

قال ثم سألتها ما بال الذئاب التى مع الغنم لا تضرها فقالت أصلحت ما بيني وبينه فاصلح ما بين الذئاب والغنم (وفى الكتاب المذكور) عن ابن المبارك قال بينما أطوف فى الجبال اذا أنا بشخص فلما دنا منى اذا هو امرأة عليها ثياب من صوف فلما دنا سلمت ثم قالت من أين قلت غريب قالت وهل تجد مع سيدك وحشة الغربة وهو مؤنس الضعفاء ومحدث الفقراء فبكيت فقالت ما بكاؤك ما أسرع ما وجدت طعم الدواء قلت هكذا العليل ثم قلت عظيني يرحمك الله فأنشدت

دنيا غرارة فذرها * فانها مركب جموح
دون بلوغ الجهول منها * منيته نفسه تطوح
لا تركب الشر فاجتنبه * فانه فاحش قبيح
والخير فاقدم عليه جهرا * فانه واسع فسيح

فقلت زيديني قالت سبحان الله أوما فى هذا الموقف من الفوائد ما أغنى عن الزائد قلت لا غنى لى عنه فقالت أحبب ربك شوقا الى لقائه فان له يوما يتجلى فيه لاوليائه (وفيه) عن أبى الفيض ذى النون المصرى رضى الله عنه قال بينما أنا فى السياحة اذ لقيتنى امرأة فقالت من أين قلت غريب فقالت كما قيل لابن المبارك الا انها زادت حيث نهيت عن

والبلبال الهم ووسواس الصدر والبلابل جمع بلبلة يقال البلابل الشوق وهى وساوسه والتباريح الشدائد والدواهى يقال برح بها الحب والشوق اذا أصابه منه البرح وهو الشدة والغمرة ما يغمر القلب من حب أو سكر أو غفلة والشجن الحاجة حيث كانت وحاجة المحب أشد الى محبوبه وقال الراجز

انى سأبدى لك فيما أبدى
شجنان شجن بنجد
وشجن لى ببلاد السند

وقال آخر

تحمل أصحابى ولم يجدوا وجدى
والناس أشجان ولى شجن وحدى

والوصب ألم الحب ومرضه فان أصل الوصب المرض والكمد الحزن المكتوم والكمد تغير اللون والارق السهر وهو من لوازم المحبة والحنين الشوق والجنون أصل مادته الستر والحب المفرط يستر العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه ولا ما يضره فهو شعبة من الجنون ومن الحب ما يكون جنونا والود خالص الحب وألطفه وأرقه وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة والخلة توحيد المحبة فالخليل هو الذى توحد حبه لمحبوبه وهى مرتبة لا تقبل المشاركة ولهذا اختص بها من العالم الخليلان ابراهيم ومحمد صلوات الله عليهما كما قال واتخذ الله ابراهيم خليلا وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وفى الصحيح عنه لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وقيل انما سميت خلة لتخلل المحبة جميع أجزاء الروح قال الشاعر

قد تخللت مسلك الروح منى
وبذا سمى الخليل خليلا

وزعم من لا علم عنده ان الحبيب أفضل من الخليل وقال محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله وهذا الزعم باطل لان الخلة خاصة

البكا مان قالت البكاء راحة القلب فما كتم شئ أحق من الشهيق والزفير فاذا أسبلت الدمعة استرحت وهذا ضعف عند العقلاء فتعجب من ذلك وقال وصف لي رجل فقصدته فاقمت على بابه أربعين يوما فلما رآني بعد ها هرب مني فقلت له سألتك بالله الا ما وقفت فقال ما تريد فقلت تعرفني بما عرفته فقال ان لي حبيبا اذا قربت منه قربني وأدناني واذا بعدت صوب بي وناداني واذا قمت باليسير رغبني ومناني واذا عملت بالطاعة زادني وأعطاني واذا عملت بالمعصية صبر علي وتأناني فهل رأيت مثله انصرف عني ولا تشغلني ثم ولى يقول

حسب المحبين في الدنيا بأن لهم * من ربهم سببا يدني الى سبب
قوم جسومهم في الارض سائرة * وان أرواحهم تختال في الحجب
لهفي على خلوة منه تسددني * اذا تضرعت بالاشفاق والرغب
يارب يارب أنت الله معتمدي * متى أراك جهارا غير محتجب

(وعن أبي الفتح بن سحنون) قال كان سعدون صاحب محبة لله لهجا بالقول صام ستين سنة حتى خف دماغه فسماه الناس مجنونا لتردد قوله في المحبة فغاب عنا زمانا وكنت مشتاقا الى لقائه فبينما أنا بفسطاط مصر على حلقة ذي النون واذا به وعليه جبة من صوف فنادى يا ذا النون متى يكون القلب أميرا بعد ما كان أسيرا فقال اذا اطلع الخبير على الضمير فلم ير فيه الا هو قال فخر مغشيا عليه ثم أفاق وهو يقول

ولا خير في شكوى الى غير مشتكى * ولا بد من شكوى اذا لم يكن صبر

ثم قال يا أبا الفيض ان من القلوب قلوبا تستغفر الله قبل ان تذنب قال نعم تلك قلوب تثاب قبل ان تطيع قال يا أبا الفيض اشرح لي ذلك قال يا سعدون أولئك أقوام أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين فهم قد فطموا النفوس عن روح الشهوات فهم رهبان من الراهبين وملوك في العباد وأمراء في الزهاد للغيث الذي أمطر في قلوبهم المولهة بالقدوم الى الله تعالى شوقا فليس فيهم من أنس بمخلوق ولا مسترزق من مرزوق فهو في الملأ حقير وعند الله خطير ثم ولى وعن أبي سليمان قال مررت ليلة فسمعت في جبل اللكام رجلا يقول في دعائه سيدي وأملي وموئلي ومن به تم عملي أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك وقلب لا يشتاق اليك ودعاء لا يصل اليك وعين لا تبكي عليك فعلمت انه عارف ثم صعق فتركته وانصرفت واذا أنا برجل نائم فركضته وقلت قم فان الموت لم يمت فرفع رأسه وقال ما بعد الموت أشد منه (وعن عبد الله بن المبارك) قال مررت في سياحتي بالشام بطبيب يصف لكل ما يحب فقلت له يا طبيب أعندك دواء للذنوب فقال نعم فلما تفرق الناس قال لي يا هذا عليك بورق الفقر وعروق الصبر واهليلج الصفا وبليلج الرضا وعار يقون الكتمان وسقمونيا الاحزان فامرسهم بماء الاجفان ودعهم في طاجن القلق وأوقد تحتهم نار الفرق وصفهم بمنخل الارق وأشربهم على الحرق فانه شفاؤك وأنشد

يا طبيبا بذكره يتداوى * وصفوه لكل داء غريب
ليس حزني عليك شئ عجيب * انما الصبر عنك شئ عجيب

(وسئل أبو بكر الشبلي) ما علامات العارف قال صدره مشروح وقلبه مجروح وجسمه مطروح قيل من العالم قال من عرف الله وعمل بما علمه الله وأعرض عما نهاه الله قيل فما الصوفي قال من صفا قلبه ورمى الدنيا وجفا الهوى واتبع المصطفى قيل فما التصوف قال

وهي توحيد المحبة كما تقدم والمحبة عامة اتخذ نبيا خليلا فحصل من انعام الحب العام على الخاص والعام

حللت بهذا حلة ثم حلة
بهذا فطاب الواديان كلاهما

والغرام الحب اللازم يقال رجل مغرم بالحب وقد لزمه الحب وفي الصحاح الغرام الولوع والغريم الذي يكون عليه الدين وقد يكون الذي له الدين قال كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

والوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وله أسماء أخر غير هذه أضربت عنها خوف الاطالة والمحبة أم باب هذه الاسماء كلها وقيل الشوق جنس والمحبة نوع منه ألا ترى ان كل محبة شوق وليس كل شوق محبة وخالف ذلك صاحب المنظوم والمنثور فقال زعموا ان العشق والوجد والهوى أن يهوى الشئ فيتبعه غيا كان أو رشدا والحب حرف تنتظم هذه الثلاثة فيه وقد يقال للعاشق والواجد والذي يهوى الامر محب وللناس في حد المحبة كلام كثير فقيل هي الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل هي قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك وقيل ذكر المحبوب على عدد الانفاس كما قال المتنبي

يراد من القلب نسيانكم
وتأبى الطباع على الناقل

وقيل هي مصاحبة المحبوب على الدوام كما قيل

ومن عجب اني أحن اليهم
وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها
ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

وقيل هي حضور المحبوب عند المحب دائما كما قال الآخر خيالك في عيني وذكرك في فمي * ومثواك في قلبي فأين تغيب وفي اشتقاقها أيضا

التالف والاعراض عن التكلف وأحسن منه تصفية القلوب لعلام الغيوب وأحسن منه
التعظيم لامر الله والشفقة على عباد الله وأحسن منه من صفا من الكدر وخلص من العكر
وامتلأ من الفكر وتساوى عنده الذهب والمدر (وعن ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه) قال
كنت يوما من الايام مارا بقبر فترحمت عليه وبكيت عليه فأتى من معي عنه فقالت قبر
حميد بن جابر أمير هذه المدن غرق في الدنيا ثم استنقذه الله بلغني انه سر يوما من الايام بما هو
فيه ثم نام مع بعض محاظيه فرأى رجلا واقفا على رأسه وفي يده كتاب فناوله اياه ففتحه فاذا
هو مكتوب بالذهب لا تؤثر فانيا على باق ولا تغتر بملكك وسلطانك وخدمك ولذاتك فان
الذي أنت فيه جسيم لولا انه عديم وملك لولا ان بعده هلك وفرح وسر ولولا ان
بعده غرور فسارع الى أمر الله فانه يقول وسارعوا الى مغفرة من ربكم فانتبه مرعوبا
وخرج الى هذا الجبل فما زلت أتعهده حتى مات ودفن ههنا (وحكي) أن ملكا أراد
الركوب يوما فدعا بثياب الزينة فجيء بها فردها وقال أريد ثياب كذا فجيء بها فردها حتى
جيء باصناف كثيرة ثم اختار ما أراد وفعل كذلك بالدواب فلما ركب نفخ ابليس في أنفه
فملأه من التكبر ما لا يوصف حتى انه لم يخاطب أحدا فبينما هو في موكبه اذا برجل رث
الهيئة قد قبض على لجام دابته وهو يقول لي اليك حاجة قال حتى أرجع قال لا بل مكانك
قال أذكرها قال ادن مني فطأطأ فقال له أنا ملك الموت فتغير واضطرب وسأله أن يعود
فيودع أهله فأبى وقبضه مكانه (وحكي) انه عارض في ذلك الوقت رجلا زاهدا فقال له كما
قال للملك فقال حبا وكرامة فقال له ملك الموت هل لك حاجة تقضي اليها فقال لا حاجة أحب
الي من لقاء الله فقال اختر على أي حالة أقبضك فقال ألك ذلك قال نعم فتوضأ وصلى فلما
سجد قبضه (وعن عتبة المعروف بالغلام) وسمي بذلك لكثرة خدمته انه كان مقيما
بالجبانة فبلغ خبره علي بن سليمان أمير العراق فخرج حتى وقف عليه فلم يرفع رأسه فرد
عليه فقال له الامير كيف أصبحت قال متفكرا في القدوم على الله بخير أم بشر ثم بكى
وأطرق رأسه منكسا الى الارض فقال الامير قد أمرت لك بالف درهم فقال قبلتها على أن
تقضيني معها حاجة فقال وقد سر بذلك وما هي قال تقبل مني ما وهبتني فقال قد فعلت
وانصرف ولقد كان عتبة هذا لا ينام الا أول الليل ثم يستيقظ فزعا مرعوبا ينادي النار النار
قد شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات ثم يتوضأ ويقف للخدمة وان البكاء ليمنعه
القراءة وكثيرا ما يقول اللهم يا عالما بحاجتي غير معلم بما أطلب وما أطلب الا فكاكي من النار
اللهم ان الجزع قد أرقني من الخوف فلم يؤمني وكل هذا من نعمتك السابغة علي وكذلك
فعلت باوليائك وأهل طاعتك الهي قد علمت لو كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع الناس
طرفة عين (وعن سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه) الناس ثلاثة أصناف صنف
مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على بابه ينتظر الكرامة وصنف
مضروب بسوط التوبة مقتول بسيف الندامة مضطجع على بابه ينتظر العفو وصنف
مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الشهوة مضطجع على بابه ينتظر العقوبة (وعن
حيان القيسي) العباد مع الله على ثلاث طبقات قوم ظعن بهم عن البلاء لئلا يسترق الجزع
سرهم فيكون هذا حكمة أو يكون في صدورهم حرج من قضائه وقوم ظعن بهم عن
مساكنة أهل المعاصي لئلا تغتم قلوبهم فمن أجل ذلك سلمت صدورهم للعالم وقوم صب

أقوال فقيل هي مشتقة من حبة القلب وهي سويداؤه ويقال ثمرته فسميت المحبة بذلك لوصولها الى حبة القلب وقيل
هي مشتقة من اللزوم والثبات ومنه
أحب البعير اذا برك فلم يقم وقيل من
حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه
أو ما يعلو الماء عند المطر الشديد فعلى
هذا المحبة غليان القلب وقيل من حب
الماء الذي يوضع فيه لانه يمسك ما فيه
من الماء ولا يسع غيره اذا امتلأ به
كذلك اذا امتلأ القلب من الحب فلا
اتساع فيه لغير المحبوب وعلى ذكر حب
الماء الذي يسميه المصريون الزير ما
أحسن قول القاضي محيي الدين بن
عبد الظاهر ملغزا في كوز الزير وفيه
اعتراض يشينه وحسن نظم يزينه

وذي اذن بلا سمع * له قلب بلا قلب
اذا استولى على حب
فقل ما شئت في الصب

(الفصل الرابع في مدحه وذمه)

أقول هذا الفصل عقدناه لمدح العشق
وذمه وترياق وسمه فكم مدحه عاقل
وذمه متعاقل هيهات فات من ذمه
المطلوب ومن أين للوجه المليح ذنوب
فمن خصاله المحموده وفضائله الموجوده
ما قاله العلامة قدامة العشق فضيلة
تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخي
كف البخيل وتصفي ذهن الغبي وتطلق
بالشعر لسان العجمي وتبعث حزم العاجز
وهو عزيز يذل له عز الملوك وتضرع
له صولة الشجاع وهو داعية الادب
وأول باب تفتق به الاذهان والفطن
وتستخرج به دقائق المكايد والحيل
واليه تستريح الهمم وتسكن نوافر
الاخلاق والشيم يمتع جليسه ويؤنس
أليفه وله سرور يجول في النفوس
وفرح يسكن في القلوب وقيل لبعض
العلماء ان ابنك قد عشق فقال الحمد لله
الآن رقت حواشيه ولطفت معانيه
وملحت اشاراته وظرفت حركاته وحسنت عبارته وجادت رسائله وجليت شمائله فواظب على المليح واجتنب القبيح

عليهم العذاب صبا فما ازدادوا بذلك الا حبا (أقول) والتقسيم الاول شامل لطبقات العالم السعيد منهم والشقي الا ان القسم الاول أسعد السعداء وأما هذا التقسيم فهو تقسيم لاهل الله فقط على أن لنظن نتكلف للاول ان يكون مثله وفي هذا تلميح الى التسليم البحث في القضاء والقدر والاول الى الاختيار (وعن سحنون بن حمزة الخواص) أن أبا بكر البصري رجلا من أكابر الاولياء مات قبل الجنيد بيسير وكان قد سمى نفسه بالكذاب لبيت قاله وهو

فليس لي في سواك حظ * فكيف ما شئت فامتحني

فحصر بوله أثر قوله هذا فتضجر فسمى نفسه الكذاب في المحبة (غيره)

ولو قيل طأ في النار أعلم انه * رضا لك أو مدن لنا من وصالك
لقدمت رجلي نحوها فوطئتها * سرورا لاني قد خطرت ببالك

وله أيضا

وكأن فؤادي خاليا قبل حبكم * وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك أجابه * فلست أراه عن فنائك يبرح
رميت ببين منك ان كنت كاذبا * وان كنت في الدنيا بغيرك أفرح
وان كان شئ في البلاد بأسرها * اذا غبت عن عيني بعيني يملح
فان شئت واصلني وان شئت لا تصل * فلست أرى قلبي بغيرك يصلح

وله أيضا

يا من فؤادي عليه موقوف * وكل همي اليه مصروف
يا حسرتي حسرة أموت بها * ان لم يكن لي اليك معروف

(وعن الجنيد رضي الله عنه) قال أنفذني السري في حاجة فلما قضيتها دفع الى رقعة وقال قد أجزتك هذه الرقعة ففتحتها فاذا فيها

ولما شكوت الحب قالت كذبتني * ألست أرى منك العظام كواسيا
وما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتخرس حتى لا تجيب المناديا
وتضعف حتى لا يبقي لك الهوى * سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

(ودخل أبو بكر الشبلي) يوما المارستان فوجد غلاما أسود قد غل الى سارية فلما رآه قال يا أبا بكر قل لربك ما كفاه أن تيمني بحبه حتى قيدني وأنشد يقول

على بعدك لا يصبر * من عادته القرب * وعن قربك لا يصبر * من تيمه الحب
فان لم ترك العين * فقد أبصرك القلب

فصعق الشبلي وخر مغشيا عليه فلما أفاق وجد القيود مطروحة ولم ير الاسود * وعن علي بن سعيد العطار قال مررت ببغداد بمكفوف مجذوم فاذا الزنبور يقع عليه فيقطع لحمه فقلت الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه وفتح من عيني ما أغلق من عينيه قال فبينما أنا اردد الحمد اذ صرع فبينما هو يتخبط نظرت اليه فاذا هو مقعد فقلت مكفوف بصرع مقعد مجزوم قال فما استتممت كلامي حتى صاح بي فقال ما دخولك فيما بيني وبين ربي دعه يفعل بي ما يشاء ثم قال وعزتك وجلالك لو قطعتني اربا اربا أو أصببت علي العذاب صبا ما ازددت لك الا حبا ولا لشبلي رضي الله عنه

ان المحبين أحياء ولو دفنوا * في الترب أو غرقوا في الماء أو حرقوا
أو يقتلوا بسيوف وسط معركة * أو حتف أنف وان أضناهم القرق
لو يسمعون منادي الحب صاح بهم * يوما لباه من بالحب يحترق

اذا صنف كتابا أو وصف هوى أو بعينها وقد صدق فيما قال العباس بن الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى * ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال غيره

وما سرني اني خلي من الهوى * ولو أن لي ما بين شرق ومغرب

وقال آخر

ولا خير في الدنيا بغير صبابة * ولا في نعيم ليس فيه حبيب

وقال آخر

أسكن الى سكن تلذ بحبه * ذهب الزمان وأنت خال مفرد

وقال آخر

اذا لم تذق في هذه الدار صبوة * فموتك فيها والحياة سواء

وقال آخر

ولا خير في الدنيا اذا أنت لم تذر * حبيبا ولا وافى اليك حبيب

وقال آخر

ما ذاق بؤس معيشة ونعيمها * فيما مضى أحد اذا لم يعشق

وقال المتنبي

وعذلت أهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقلت أنا مضمنا لقول المتنبي هذا مع زيادة التورية

ان تسألوا عما لقيت من الهوى * فأنا الذي مارسته وعرفته
بالغت في رشف الرضاب وطعمه * وعزلت أهل العشق حتى ذقته

(حكي) ان الملك بهرام جور كان له ولد واحد فاراد ترشيحه للملك بعده فوجده ساقط الهمة دني النفس فسلط عليه المؤدبين والقيمين فعشق منهن واحدة فأعلم الملك بهرام بذلك ففرح وأرسل الى التي قيل انه عشقها أن تجني عليه وقولي اني لا أصلح الا لشريف النفس (وعن

(وعن أحمد بن عيسى الجزار) قال دعتنى امرأة الى غسل ولدها فلما جردته قبض على يدى فقلت سبحان الله أحياة بعد موت فقال ان المحبين لله أحياء وان ماتوا * ودعا عبد الواحد يوما جماعة من الصوفية وأولمهم وكان فيهم عتبة الغلام فقام لخدمتهم ولم يأكل فلما انصرفوا قال له عبد الواحد لم لا تأكل قال ذكرت أهل الجنة واجتماعهم على الموائد وقيام الخدم على رؤسهم فاشتقت الى ذلك فأبت نفسى الطعام فبكى عبد الواحد وتفرقا متعاهدين على ان لا يولما ولا يشبعا من نوم ولا طعام وقيل لأن عتبة عاهد الله على أن لا ينام الا مغلوبا وقرأ غلام يوما بين يدى صالح المزى بالمعجمة نسبة الى قرية بدمشق وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فقال كيف يكون حميم وشفيع مطاع والمطالب لهم رب العالمين والملائكة تسوقهم بمقامع الحديد يسحبون تارة على الوجوه ويمشون أخرى ما بين باك ومناد بالويل ثم صاح باويلتاه وياسوء منظراه وبكى وبكت الناس فقام شاب فيه تأنث فقال أوكل ذلك فى القيامة يا أبا بشر فقال وأكثر من ذلك لقد بلغنى انهم يصرخون الى أن تنقطع أصواتهم فقال الشاب انا لله وانا اليه راجعون ثم بكى وخر ميتا بعد أن استقبل ودعا بالتوبة فرؤى بعد قليل فى النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال أدخلنى الجنة ببركة مجلس صالح ودعا صالح يوما فمر به مخنث وهو يقول فى دعائه اللهم اغفر لاقسانا قلبا وأجمدنا عينا وأقربنا بالذنوب عهدا فسمع المخنث فمات فرؤى فى المنام فقال كما قال الشاب وقال عبد الوارث نظرت الى رباح القيسى يقبل غلاما من أهله فقلت تحبه قال نعم قلت ما كنت أظن ان فى قلبك بقية لاحد فخر مغشيا عليه فلما أفاق مسح وجهه وقال الغماهى رحمة منه ألقاها فى قلوب العباد (وحكى) ابن سعيد التيمى قال نظرت الى جارية سوداء تسف الخوص وهى تقول

لك علم بما يحن فؤادى * فارحمن ذلتى وانفرادى

فقلت لها ما علامة الحب وكان الى جانبها رجل يصرع فقالت يا بطال الحب أن تقول لهذا المجنون قم فيقوم ومقته فقام والجنى يقول ويحك لاعدت اليه أبدا فهذا ملخص ما ناسب ترجمة الباب وقد ذكر فى الاصل ما لا علقة له اذا أمعن النظر بهذا المحل وربما يأتى بعضه حيث نجد له محلا

(فصل من الباب فى ذكر من فارقت روحه من الاحباب) قال عبد الرحمن الصوفى مررت فى أسواق بغداد سوق النخاسين فرأيت جمعا كبيرا على شاب مطروح فقلت ما باله قالوا سمع قارئا يقرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فسقط مغشيا عليه قال فلما سمع الكلام انتبه وهو يقول

ألم يأن للهجران ان يتصرما * وللغصن غصن البان ان يتبسما
وللعاشق الصب الذى مات وانحنى * أما آن أن يبكى عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحى * كتابا على نقش الوشاة منمنما

ثم صاح وخر مغشيا عليه (وروى) عن ابن الحوارى مثل ذلك الا أنه زاد وللغصن غصن البان أن يتشكلا وفى البيت الاخير كتابا حكى نقش الوشاة * وقام أبو زهير فى مجلس المزى فقال له اقرأ فقرأ صالح وقدمنا الى ما عملوا من عمل الى قوله وأحسن مقيلا فقال له أعدها فلم يزل يكررها حتى سقط ميتا وفى رواية الحافظ مغلطاى عن أبى القاسم فى الامالى وابن أبى

عالى الهمة ملك أو عالم فلما قالت ذلك راجع العلم وما عليه الملوك من شرف الهمة حتى برع فى ذلك وتولى الملك فكان من خيرهم وأثبت ذلك فى حكمة الى كسرى ان الملك لا يكمل الا بعد عشقه وكذلك العالم قالوا والعشق المباح مما يؤجر عليه العاشق كما قال شريك وقد سئل عن العشاق فقال أشدهم حبا أعظمهم أجرا قالوا وأرواح العشاق عطرة لطيفة وأبدانهم ضعيفة وأرواحهم بطيئة الانقياد لمن قادها حاشى سكنها الذى سكنت اليه وعقدت حبها عليه وكلام العشاق ومنادمتهم تزيد فى العقول وتحرك النفوس وتطرب الارواح وتجلب الافراح ويتشوق الى سماع أخبارهم الملوك فمن دونهم ويكفى العاشق المسكين الذى لم يذكر مع الملوك ومع الشجعان الابطال انه يعشق ويشتهر بالعشق فيذكر فى مجالس الملوك والخلفاء فمن دونهم تدور أخباره وتروى أشعاره ويبقى له العشق ذكرا مخلدا ولولا العشق لم يذكر له اسم ولا جرى له رسم ولا رفع له رأس ولا ذكر مع الناس وقال المرزبانى سئل أبو نوفل هل سلم أحد من العشق فقال نعم الجلف الجافى الذى ليس له فضل ولا عنده فهم فأما من فى طبعه أدنى ظرف أو معه دماثة أهل الحجاز وظرف أهل العراق فلا يسلم منه وقال بعضهم لا يخلو أحد من صبوة الا أن يكون جافى الخلقة ناقصا أو منقوص البنية أو على خلاف تركيب الاعتدال

فواعجبا للدهر لم يخل مهجة
من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

ويكفى العاشق انه يرتاح للمعروف وإغاثة الملهوف كما قيل

ويرتاح للمعروف فى طلب العلا
لتحمد يوما عند ليلى شمائله

وقال أبو النجاب رأيت فى الطواف فتى نحيف الجسم بين الضعف يلوذ ويتعوذ ويقول ودت بأن الحب يجمع كله فيقذف فى قلبى وينطلق الصدر

الدنيا فى كتاب الخائفين عن صالح ومحمد بن واسع وحبيب وثابت البنانى ومالك بن دينار انهم قالوا أتينا اباز هير الضرير المذكور وقت الظهيرة للزيارة فخرج الينا وكأنه نشر من قبر فصلى وجلس كالمهموم فسلمنا عليه فقال لصالح اقرأ فقرأ الآية المذكورة فخر ميتا فقلنا هل له من احد فقال الحاضرون نعرف امرأة تأتيه من هنا ببعض حاجاته فاستحضرناها وأخبرناها بالقصة فقالت لعل فيكم صالحا قلنا وما يدريك به قالت كثيرا ما كان يقول لى ان قرأ على صالح قتلنى فجهزناه رحمه الله تعالى (أخبرنا أبو الطيب) وكان صوفيا من أهل سر من رأى مدينة بالعراق قال حضرنا يوما فى مجلس ومعنا رجل صوفى يقال له أبو الفتح فقرأ قارئ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فقال الرجل بلى وخر مغشيا عليه فلم يفق الى ان ذهب النهار ثم مضى فبلغنى بعد أيام انه حضر بالكرخ مجلسا فانشدت فيه جارية الابيات المنسوبة الى عبد الصمد المغربى الاشبيلى المعروف بالمعدل

يا بديع الدل والغنج * لك سلطان على المهج * ان بيتا أنت ساكنه
غير محتاج الى السرج * وجهك المعشوق حجتنا * يوم تأتى الناس بالحجج

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبية كيف قلت فلما بلغت البيت خر ميتا * وأخرج فى الامالى عن عبد المؤمن القصة الا أن البيت الاخير * وجهك المأمول حجتنا * قلت ولعل الذى مات من سماعه الرجل هو هذا لان العارفين اذا سمعوا ما يدل على صاحب البقاء كان أكثر أخذا من نفوسهم ولا شبهة فى أن المأمول أبلغ * وحكى أبو الفرج الصوفى قال كنا نجتمع للخدمة وكان بالقرب منا رجل اسمه القاسم الشركى يرعى عنيزات وكلما دعوناه الى السماع أبى فمر به صبى يوما يغنى

أن هواك الذى بقلبى * صيرنى سامعا مطيعا * أخذت قلبى وغمض عينى
سلبتنى العقل والهجوعا * فدع فؤادى وخذ رقادى * فقال لا بل هما جميعا
فراح منى بحاجتيه * وبت تحت الهوى صريعا

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبى كيف قلت فخاف الصبى منه ومضى فجعل يقول له لا بأس عليك كيف قلت فلم يجبه وانصرف فرجع هائما الى رجل هناك بعبرية يقال له حامد الفاخورى وكان عارفا بالاشعار فجعل يردد الابيات عليه ثلاثة أيام وهو يضطرب حتى مات وأخرج مغلطاى عن ابن أبى الدنيا والمنذرى آخر الترغيب فى فضل الخوف عن ابن عمر وصححه الحاكم ان رجلا حبشيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله فضلتم علينا بالالوان والنبوة أفرأيت ان آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت أأكون معك فى الجنة قال نعم ثم قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله كان له بها عهد عند الله ومن قال سبحان الله كتب له بها مائة ألف حسنة فقال رجل يا رسول الله كيف يهلك بعد هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده أن الرجل ليجيء يوم القيامة بعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله لولا ما يتفضل الله من رحمته ثم نزلت هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا الى قوله وملكا كبيرا فقال الحبشى يا رسول الله وهل ترى عينى فى الجنة مثل ما ترى عينك فقال نعم فبكى الحبشى حتى فاضت نفسه رضى الله عنه قال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه فى حفرته بيده رواه الطبرانى عن أيوب بن عتبة * وأخرج مغلطاى عن ابن

ثم لا ينقضى ما فى فؤادى من الهوى * ومن فرحى بالحب أو ينقضى العمر فقلت يا ابنتى أما لهذه البنية حرمة تمنعك من هذا الكلام فقال بلى والله ولكن الحب ملأ قلبى فتمنيت المنى والله ما سرنى ما بقلبى منه ما فيه أمير المؤمنين من الملك وانى أدعو ان يثبته الله فى قلبى عمرى ويجعله ضجيعى فى قبرى دريت به أم لا أدرى هذا دعائى وله قصدت وفيه ترغيبت مما يعطى الله سائر خلقه ثم مضى (قلت) ذكرت هنا ما قاله الاخطل وقد لامه عبد الملك على الخمر فقال ليت شعرى ما يعجبك فيها وأولها مرار وآخرها خمار فقال لكن بينهما والله نشوة لا أبيعها بخلافتك يا أمير المؤمنين أخذه الشاعر فقال

ان يكن أول المدام كريها
أو يكن آخر المدام صداعا
فلها بين ذا وذاك هنات
وصفها بالسرور لن يستطاعا

وأما ما جاء فى ذمه وسريان سمه فأكثر من أن يحصر فكم ترك الغنى صعلوكا والمالك مملوكا كما قيل

ظل من فرط حبه مملوكا
ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته جآذر القصر صبا
مستهاما على الصعيد تريكا

وهذه الابيات لبعض ملوك الاندلس وسيأتى ذكرها فى الباب الثانى من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وكم من عاشق أتلف فى معشوقه ماله وعرضه ونفسه وضيع أهله ومصالح دينه ودنياه ووقع فيما يا بلاه أى والله

والعشق يجتذب النفوس الى الردى
بالطبع واحسدى لمن لم يعشق

قالوا وكم عاشق هرب من الحب الى مواقف التلف ليتخلص من التلف بالتلف وعلى هذا حكاية دعبل الشاعر قال كتب بالثغر فنودى بالنفير فخرجت مع الناس فاذا بفتى يجر رمحه بين يدى فالتفت فنظر الى فقال أنت دعبل قلت نعم قال اسمع منى ثم أنشد

أبى الدنيا فى كتاب الخوف باسناده الى عاصم البصرى قال كنت اماما بمسجد ابن جراذ وكان يتردد الى رجل فسألنى يوما مصحفا ينظر فيه فاعطيته اياه فخرج وهو يقول فسيكون لى ولهذا المصحف نبأ عظيم واختفى فلم أره بقية اليوم بحضر الصلاة فلما كان الصباح دخلت عليه فوجدته ميتا والمصحف على صدره فخرجت متفكرا فى أى شئ أكفنه واذا أنا بجماعة من العباد منهم حسان وحبيب وابن واسع ومع كل كفن وحنوط فقالوا أتعرف هنا رجلا مات فقلت لا أعرف الا رجلا غريبا كان يصلى هنا فقالوا أنت أشقى من أن تعرف حجاما ثم دخلوا عليه وجعلوا يتنافسون فى تجهيزه ثم صلوا عليه ودفنوه ورأيت هذه الحكاية فى أنيس الجليس الا انه زاد ورأيت المصحف مفتوحا وأول سطر فيه الله نزل أحسن الحديث الآية * وفى الحليه عن ابن السماك قال دخلت البصرة على رجل أعرفه فسألته أن يدلنى على رجل من العباد فدخلنا على رجل منكس الرأس كثير الصمت لابس الشعر فلم يكلمنا وخرجنا فقال لى أتدخل على ابن العجوز فدخلنا على شخص يشبه الاول وعنده أم له عجوز فقالت لا تذكروا لولدى نارا ولا جنة فتفجعونى فيه فلما جلسنا عنده رفع رأسه فقال أما للعباد موقف يقفون فيه فقلنا بين يدى من خلقهم فشهق شهقة فارق الدنيا * وفيها قال دخل جماعة على أبى سعيد القطان فقرأ رجل منهم سورة الدخان فلما انتهى الى قوله ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين جعل يضطرب ويعلو صدره حتى غشى عليه وأصاب صدره فأدماه وجاءت النساء وخرجنا الى الباب فلما سكتت الغوغاء دخلنا عليه فاذا هو على فراشه يردد الآية حتى قضى عليه * وحكى مغلطاى عن ابن أبى الدنيا قال كرر ابن خليد قوله عز وجل كل نفس ذائقة الموت فناداه مناد كم تكرر هذه الآية فقد قتلت بها أربعة نفر من الجن لا يرفعون رؤسهم حتى يموتوا ورأيت فى أنيس الجليس القصة وزاد فيه أن رجلا قصد الحاج فعدل عن الطريق تائها أثر نوم فاذا هو فى أرض لا يعهد مثلها واذا بقوم قد أقبلوا الى ماء هنالك فتوضؤا ودعوه الى الصلاة بهم فصلى وقرأ الآية فخروا الى الارض وحركوا فوجدوا أمواتا وقائل يقول له يا عبد الله ان هؤلاء قوم من الجن قد اعتزلوا ههنا للعبادة وان الخوف لم يترك فيهم بقية وأنت ان أردت الحاج فامض امامك فستظفر بأصحابك طلوع الفجر قال الرجل فكان كذلك وعنه عن محمد بن صالح قال خرجنا ومعنا قارئ يقرأ فسمعته امرأة من أهل البصرة على سطح فاضطربت حتى غشى عليها واحتملت الى بيتها فلم تبرح حتى قضت نحبها وكان لها مشهد عظيم وعن محمد عن منصور بن عمار قال مررنا فى جوف الليل فاذا بشاب قائم يصلى وهو يقول فى مناجاته الهى ما أردت بمعصيتى مخالفتك ولقد عصيتك اذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل ولكن خطيئة عرضت وأعاننى عليها شقائى وغرنى سترك المرخى وقد عصيتك بجهدى وخالفتك بجهلى فالآن من عذابك من يستنقذنى وبحبل من أتصل ان أنت قطعت حبلك منى واشباباه واشباباه فلما فرغ تلوت آية من كتاب الله وهى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الآية فسمعت دكدكة وانقطع الصوت فلما أصبحنا رجعنا على الاثر واذا بجنازة وعجوز قد أخذ منها الكبر فسألناها فقالت مر قارئ بولدى فقرأ آية فتفطرت مرارته ومات وعنه من طريق آخر الحكاية زاد فيها بعد قوله ان قطعت حبلك واسوأتاه اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا فياليت شعرى أمع المثقلين نحط أو مع المخفين نجوز ويحى كلما طال عمرى كثرت ذنوبى ويحى كلما كبرسنى

أتانى أمرى رشاد * بين حب وجهاد بدنى بغزو عدوى * والهوى بغزو فؤادى ثم قال كيف ترى [illegible]
والله قال [illegible]
الحب ثم قاتل حتى قتل
(وقال الواو الدمشقى)
سبيل الهوى وعر وحلو الهوى مر
وبرد الهوى حر ويوم الهوى دهر
(وقال غيره)
العشق مشغلة عن كل صالحة
وسكرة العشق تنفى سكرة الوسن
(وقال عبد المحسن الصورى)
وكان ابتداء الذى بى مجونا
فلما تمكن أمسى جنونا
وكنت أظن الهوى هينا
فلاقيت منه عذابا مهينا
(وقال محمد اليزيدى)
كيف يطيق الناس وصف الهوى
وهو جليل ماله قدر
بل كيف يصفو لحليف الهوى
عشق وفيه البين والهجر
(وما أحسن قول عبد الله بن أسباط القيروانى)
قال الخلى الهوى محال
فقلت لو ذقته عرفته
فقال هل غير شغل قلب
ان أنت لم ترضه صرفته
وهل سوى ذفرة ودمع
ان لم تردجر يه كففته
فقلت من بعد كل وصف
لم تعرف الحب اذ وصفته
(تنبيه) الهوى أكثر ما يستعمل فى الحب المذموم قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقد يستعمل فى الحب الممدوح استعمالا مقيدا ومنه الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال ابن عباس الهوى اله معبود وقرأ أفرأيت من اتخذ الهه هواه فتلخص من الآية الكريمة والحديث الشريف أن الهوى ينقسم على قسمين هوى محمود وهو فى الخير والصلاح

كبرت خطاياي فيا ويلي كم أتوب وكم أعود ولا أستحي من ربي قال منصور فلما سمعت كلام الشاب وضعت في علي باب داره وقرأت الآية المذكورة وعلمت الباب فلما رجعت الحكاية الا انه ذكر عن العجوز ان الشاب كان يصنع الخوص ويبيعه ويقسمه بين القوت والصدقة وشراء الخوص وعن ذي النون المصري قال بينما أنا أسير على جانب البحر في الليل واذا أنا بجارية عليها أطمار شعر وهي ناحلة ذابلة فدنوت منها السماع ما تقول واذا هي متصلة الاحزان بالاشجان وقد عصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان فصرخت وسقطت الى الارض فأفاقت وهي تقول سيدي لك تقرب المتقربون في الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات ولجلال قدسك تصافقت الامواج المتلاطمات أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار والنجم الزهار وكل شيء عندك بمقدار لانك العلي القهار وأنشدت

أحبك حبين حب الوداد * وحبا لانك أهل لذاك

فأما الذي هو حب الهوى * فحب شغلت به عن سواك

وأما الذي أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراك

فما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاك

ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فوقفت متعجبا واذا بنسوة على أحسن ما يكون من الحالات قد أقبلن فاحتملنها ثم غبن وأقبلن بها قد جهزت فقدمتني للصلاة وهن وراثي فلما فرغت مضين بها قال المختصر عن مغلطاي رأيت غير مامرة شيخا مغربيا يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة الى الكتبيين ويكثر من انشاد شعر بلا وزن مضمونه ان الحاكم أخذ ماله المتروك عن والده وأوراقا كثيرة منها هذا الشعر وانه استمع ليلة المحدث في سيرة ابطال وقد ذكر أن جماعة قتلوا في الجهاد فقال المغربي للمحدث وفيم قتل هؤلاء قال في سبيل الله قال المغربي وأنا ايضا أموت في سبيل الله فقال له المحدث افعل فتمدد الى جانبهم فحرك فاذا هو ميت وعن أبي الحسن أحمد بن أبي الحواري قال مررت في الشام بقبة واذا أنا بامرأة تدق الحائط فقلت لها ما بالك فقالت امرأة ضالة دلني على الطريق فقلت أي الطريق تريدين قالت طريق النجاة قلت هيهات ان بيننا وبينه عقبات لا تقطع الا بسير حثيث ونصح المعاملة وقطع العلائق الشاغلة من أمور الدنيا والآخرة فقالت سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تنقطع وحفظ عليك فؤادك فلم ينصدع ثم خرت مغشيا عليها فقلت للنساء حركنها فاذا هي ميتة ووصيتها الى جانبها ان كفنوني في أثوابي وخلوا ما بيني وبينه فان كان لي عنده خير فهو أسعد لي والا فبعدا لنفسي وفي الاصل قيل كان بالموصل رجل نصراني يكنى أبا اسمعيل وانه سمع يوما قارئا يقرأ وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون فبكى حتى غشي عليه ثم أسلم وصحب فتحا الموصلي فحدث عنه انه نظر يوما الى الدخان يفور من المدينة فبكى وقال قد قرب الناس قربانهم فليت شعري ما قربانى وجعل يبكي حتى فارق الدنيا هذا ما قرره من أول الباب الى هنا وفي كل نظر وذلك انه عقد الباب كله لعشاق الله ثم ذكر فصلا لمن مات بذلك على انه قد ذكر قبل الفصل من مات وبعده من لم يمت ثم فصل بآخر وقال انه لعشاق الحور العين وقد أطمنا ما يتوقف فيه النظر حيث لم نذكر الا ما يظهر فيه طرف المناسبة ومن هنا الى آخر الباب لم يخالف أوله فلا فائدة في

وهوى مذموم وهو في الشر والفساد وفي الهوى هوى لانه يهوي بصاحبه الى النار قلت لو قال يهوي بصاحبه الى الهاوية لكان أنسب وقال بعضهم الهوى الهوان زيدت فيه النون كما قيل

فسألتها باشارة عن حالها
وعلي فيها للوشاة عيون

فتنفست صعدا وقالت ما الهوى
الا الهوان أزيل عنه النون

وقوله تعالى أخلد الى الارض واتبع هواه قيل أخلد الى الارض أي سكن اليها ونزل بطبعه عليها وكانت نفسه أرضية سفلية لا سماوية علوية وبحسب ما يخلد العبد الى الارض ويهبط من السماء قال سهل قسم الله للاعضاء من الهوى لكل عضو حظا فاذا مال عضو منها الى الهوى رجع ضرره الى القلب وللنفس سبع حجب سماوية وسبع حجب أرضية فكلما دفن العبد نفسه أرضا أرضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفن النفس تحت الثرى وصل قلبه الى العرش وحاصل القضية ان العشق والهوى أصل كل بلية وفيه ذل كل نفس أبيه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمرء أن يذل نفسه قال الامام أحمد تفسيره أن يتعرض من البلاء لما لا يطيق وهذا مطابق لحال العاشق فانه أذل نفسه لمعشوقه كما قيل

اخضع وذل لمن تحب فليس في
شرع الهوى أنف يشال ويعقد

وقال آخر

مساكين أهل العشق حتى قبورهم
* عليها تراب الذل بين المقابر

وقال الشيخ شرف الدين بن الفارض

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
فما اختاره مضنى به وله عقل

وعش خاليا فالحب راحته عنا
فأوله سقم وآخره قتل

* (الفصل الخامس في اختلاف الناس فيه هل هو اضطراري أو اختياري) *

الفصل فتأمل عن منصور بن عمار قال بينا أنا في السياحة اذ مررت بخدم وقصر ملكي لا تمكن الاحاطة بوصفه فهممت ان أدخله فانتهروني فلم أبال بهم ودخلت فاذا أنا بشاب في أرفع طبقات الجمال والملابس وقد استحضر صبية تناسبه فلما رآني هم بقتلي فقلت أنا طبيب وقد رأيت فيك داء فقال وما هو قلت ميلك الى الفاني وجهلك ما لا يبقى وغفلتك عما عند الله ثم وصفت له الجنة والنار وما فيهما فتجرد من وقته وكان ملك البصرة فلما خرجنا وقد زال ما في القصر من البهجة تعلقت به الصبية وقالت على من تتركني ثم تجردت وخرجا هائمين فلما كان بعد عام وأنا في الطواف اذا أنا به يتضرع وقد أخلقته العبادة حتى لم أعرفه الى أن قال لي أما تعرفني يا طبيب ثم ذكرني بالحال ثم قال لي هل لك ان تنظر الى نسوان يعني الصبية قلت نعم فأخذ بيدي حتى أوقفني عليها فلما رأتني قالت مرحبا أيها الطبيب ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فقال الرجل اني على أثرها فلا تبرح ثم نظر اليها وخر ميتا وعن عبد الواحد بن زيد قال اشتكيت ألما في ساقي حتى منعني القيام فتحاملت حتى عجزت فجمعت ازاري في المحراب وتوسدته فغفلت واذا أنا بجارية كأنها جوهرة شفافة وعليها من الملابس ما يبهر العين رؤيته وخلفها جوار كأنهن الاقمار فقالت لبعضهن احملنه ولا تؤذينه ثم قالت افرشنه ومهدنه وأقبلت تملس على ألمي ثم قالت قم الى صلاتك بلا أذى فانتبهت كالذي نشط من عقال وعنه من رواية أخرى انها قالت له أنا لك خذ في طلبي فاني في طلبك قال فلم أنم بعدها وفي أخرى عنه قال فما أخذتني السنة حتى رأيت شابا وبيده ورقة بيضاء فناولني اياها واذا فيها

ينام من شاء على غفلة * والنوم كالموت فلا تتكل
تنقطع الاعمال فيه كما * تنقطع الدنيا على المنتقل

وكان كثيرا ما يردد هذه ويقول فرق الموت بين المصلين ولذة الصلاة و بعدد أفعال الخير ولعل الوقائع متعددة وعن صاحب المصارع بسنده الى محمد بن الفرج قال نظرت الى جارية تباع فقلت بكم هذه قيل بألف دينار فرفعت رأسي الى السماء وقلت اللهم أنت تعلم أني لا قدرة لي على ذلك واني لو سألتك اياها لوهبتها لي ولكني أسألك أنفس منها عندك من لا تمرض ولا تسقم ومهرها عندي أن لا أنام ليلا ولا أطعم نهارا ولا أضحك الى أحد وها أنا مجد في المهر فلم ير بعد ذلك على غير ما قال حتى مات * وعن رابعة العدوية قالت كان لي ورد في الليل قد اعتدته فمرضت مرضا أعقبني فترة عنه فبينما أنا راقدة اذ نظرت كأني في روضة كثيرة النبات والقصور وجارية تطارد طيرا أخضر تريدان تأخذه فالتهيت بحسنها عنه وقلت دعيه لاني لم أر أحسن منه فقالت ألا أريك أحسن منه فقلت بلى فأخذت بيدي فادخلتني الى قصر ثم قالت لجوار فيه افتحوا باب القبة ففتح لها باب فدخلت الى بيت يحار فيه البصر من تلألؤ نوره ثم رفع عن بستان وخرج منه وصائف بأيديهن مجامر الند والعنبر فقالت لهن الى آخذة بيدي الى أين فقالوا الى فلان قد قتل في البحر فقالت ألا تجهزن هذه المرأة فقالوا قد كان لها حظ في ذلك ففتر كته فانتبهت فزعة ولم أنم بعدها وبقي من هذا الباب بعض حكايات لا تناسب الترجمة ومع ذلك فائدتها قليلة فلذلك أضربنا عنها

(الباب الثاني في أحوال عشاق الجواري والكواعب وذكر ما صدر لهم من العجائب)

(وفيه خمسة أقسام الاول فيمن اشتهرت سيرته وظهرت في الحب سريرته) قد تقدم في

أقول هذا فصل عقدناه لما تقدم ذكره وأسفر كالصباح سفره اذ للناس فيه كلام من الظرفين و تبختر بين الصفين فقائل بأنه اضطراري وقائل بأنه اختياري ولكل من القولين وجه مليح وقدح جريح ونحن نذكر من ذلك ما يتم به الانتفاع ونتكلم في طوله وعرضه بالباع والذراع فمن ذلك ما قاله القاضي أبو عمرو محمد بن أحمد النوقاني في كتابه تحفة الظراف العشاق معذورون على كل حال مغفور لهم جميع الاقوال والافعال اذ العشق انما دعاهم على غير اختيار بل اعتراهم على جبر واضطرار والمرء انما يلام على ما يستطيع من الامور لا في المقضي عليه والمقدور وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحامل كانت ترى يوسف عليه الصلاة والسلام فتضع حملها فكيف ترى هذه وضعته أباختيار منها كان ذلك أم باضطرار لا بل باضطرار وفقد اقتدار هذا مما لا يشك فيه ذو لب لا يختلج خلافه في قلب (قلت) وجاء في تفسير قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه أي رأينه في أعينهن كبيرا وقيل حضن من الدهش وقال ابن عباس أمذين وأمنين من الدهش وقطعن أيديهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن ألم الحز في أيديهن لاشتغالهن بحسنه وقال وهب كن أربعين امرأة فمات منهن تسع وجدا بيوسف وكمدا عليه وما أحسن قول بعض بني عذرة وقد قال له بعض العرب ما لاحدكم يموت عشقا في هوى امرأة يألفها انما ذلك ضعف نفس ورقة وخور تجدونه فيكم يا بني عذرة فقال أما والله لو رأيتم الحواجب الزج فوق النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى وقال الفضيل بن عياض لو رزقني الله دعوة مجابة لدعوت الله تعالى بها أن يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية وروى أبو السائب المخزومي وكان من أهل العلم والدين بمكان متطلقا باسما

أحوال العشق انه من الاحوال القديمة حتى ورد فيه ما سمعت من الاخبار والآثار وغالب ما يكون من قبل النساء حتى قال بعض العارفين وأظنه الجنيد كان النساء حبائل الشيطان فهن حبائل العرفان اذ قد يتوصل العاقل من عشقهن الى معرفة مبدعهن لان المقدمات الصحيحة تنتج الاغراض الصحيحة وبالحرى من أمعن النظر في مخلوق زائل ترقى عند معرفة غايته الى دائم فاعل وهذا مثل قولهم الرياء قنطرة الاخلاص عن ابن عباس قال لما اعتقت بريرة وكان زوجها حبشيا وفي رواية أسود وخيرت فاختارت الفسخ جعل يطوف في المدينة باكيا يترضاها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تزوجتيه فقالت ان أمرتني بذلك فقال لا آمرك ولكني شفيع وقد أخرج القصة البخاري وفي تتمة ذيل الامالي للقالي عن ابن الانباري قال دخلت على ابراهيم بن محمد وقد سامته جارية له البيع فاجابها وكان يحبها فانشد

أبت الغداة بوصلها غدار * فدموع عينك لا تجف غزار
واستبدلت بك صاحبا ومؤانسا * وكذا الغواني وصلهن معار

كان ابن عباس يوما جالسا بفناء الكعبة اذ وضع بين يديه شخص قد حمله قومه الى الكعبة يستشفون له فكشف عنه فانشد

بنا من جوى الاحزان والحب لوعة * تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكن ما أبقى حشاشة ما ترى * على ما ترى عود هناك صليب

فرأى رسما عافيا وحسا خافيا وجسما باليا فمكث أربعين يوما لا يسأل الله بعد صلاته الا المعافاة من العشق * وأخرج ابن عساكر في الامالي ان هذا المذكور عذري وقال السيوطي في شرح الشواهد ان اسمه عروة بن قيس وانه ولع بجارية من العرب فزوجوه بها بشفاعة الحسين بن علي فاقام معها مدة وكانت أمه تقسم عليه ان يفارقها وهو يقول لها أخاف تلاف نفسي فلم ترض فلما كان يوم حر شديد وقفت حافية على الرمل وأقسمت لا تزول أو يفارق عروة الجارية ففارقها وفاء بامه فجعل يزداد به الوجد حتى امتنع من الطعام والشراب وعاد أهله وابو اعليه فاقام أياما وحمل كما ذكر الى الكعبة فلم يغن عنه فلما عادوا به توفي في الطريق وحكي ان الاحوص بن جعفر الشاعر المشهور كان يهوى أخت زوجته ولا يفصح باسمها وفي الامالي ان اسمها نخلة فتزوجت برجل من العرب اسمه مطر فاشتد بالاحوص الغرام فباح به وأنشد

أ ان نادى هديل ذات فلج * مع الاشواق في فنن حمام
ظللت كأن دمعك در سلك * هوى نسقا وأسلمه النظام
تموت تشوقا طربا وتحيا * وأنت جوى بدائك مستهام
كأنك من تذكر أم حفص * وحبل وصالها خلق رمام
صريع مدامة غلبت عليه * تموت لها المفاصل والعظام
واني من بلادك أم حفص * سقى بلدا تحليه الغمام
أحل النعف من أحد وأدنى * مساكنها الشبيكة أو سنام
سلام الله يا مطر عليها * وليس عليك يا مطر السلام
فلا غفر الاله لمنكحيها * ذنوبهم وان صلوا وصاموا
كأن المالكين نكاح سلمى * غداة يرومها مطر نيام

الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين وقو قلوبهم واعطف عليهم قلوب المعشوقين فقيل له في ذلك فقال والله انه لهو أفضل من عمرة من الجعرانة ثم أنشد

يا هجر كف عن الهوى ودع الهوى
للعاشقين يطيب يا هجر
ماذا تريد من الذين جفونهم
قرحى وحشو قلوبهم جمر
متذبلين من الهوى ألوانهم
مما تجن قلوبهم صفر
وسوابق العبرات فوق خدودهم
درر تفيض كأنها قطر

والظاهر أن قوله أفضل من عمرة من الجعرانة هو الذي جسر الفتح ابن خاقان على قوله من أبيات

أيها العاشق المعذب صبرا
فخطايا أهل الهوى مغفوره
زفرة في الهوى أحط لذنب
من غزاة وحجة مبروره

قلت وقد بالغ في هذا الكلام حتى استحق الملام فليته اكتفى بما قيل في التمثيل

على أنني راض بأن أحمل الهوى
وأخلص منه لا علي ولا ليا

والظاهر أن الحامل على هذا ما ذهب اليه الشافعي في أن الميت عشقا من الشهداء للحديث الوارد في ذلك وسيأتي ذكره في باب العفاف ان شاء الله تعالى وقال التميمي في كتابه امتزاج الارواح سئل بعض الاطباء عن العشق فقال ان وقوعه باهله ليس باختيارهم ولا بحرصهم عليه ولا لذة لاكثرهم فيه ولكن وقوعه بهم كوقوع العلل المدنفة والامراض المتلفة لا فرق بينه وبين ذلك وقال المدائني لام رجل رجلا من أهل الهوى فقال لو كان الذي هوى باختيار لاختار أن لا يهوى ولكن لا اختيار لذي هوى قالوا والعشق نوع من العذاب والعاقل لا يختار العذاب قال السيوطي في هذا قال المؤمل

شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر

فان يكن النكاح أحل شئ * فان نكاحها مطر حرام

فلولم ينكحوا الا كفاه * لكان كفيثها الملك الهمام

فطلقها فلست لها بكفء * والا عض مفرقك الحسام

وساق فى المطرب الحكاية بعينها الا انه زاد بيتا فى الاول وهو

ألا يا نخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

وقال فى البيت الاخير والا يعلو مفرقك بدل عض * وأخرج أبو الفرج الاصفهانى عن زياد بن غطفان قال كنا بباب بعض الولاة واذا باعرابى ينادى من أراد أن يسمع العجائب فليدن منى فدنوت منه واذا هو الرماح بن مالك القيسى فقلت ما عندك فقال اعلم انى علقت امرأة يقال لها أم جحدر فاتصلت بها وطال الامر وانى عتبتها يوما فقلت لها الوصل عليك مردود فقالت ما قضى الله فهو خير وارتحلوا عنا وطال الامر وارجعنى الشوق فنذرت مراجعتها ان دنت دارها فلما كان ذلك خرجت أتصفح أحياء العرب حتى وجدت امرأتين امام البيت فى كساء فسلمت عليهما فردت احداهن وسألت عن شأنى فاخبرتها فأشارت لى بدخول بيت فدخلت واذا الساكنة أم جحدر وقامت لتدخل الى واذا بغراب ينعق فتغيرت فاقسمت عليها الا ما أخبرتنى عن تغيرك فقالت ان الغراب يخبرنى ان لا اجتماع ففارقتها وغدوت لما أصبح النهار فاخبرتنى امرأة أخيها ان شاميا خطبها الى أهلها فزوجوه بها فمكثت بالقرب من خبائها مترددا أياما الى ان مضى بها فكنت أنشد

أجارتنا ان الخطوب تنوب * على وبعض الآمنين نصيب

أجارتنا لست الغداة ببارح * ولكن مقيم ما أقام عسيب

فان تسأليني هل صبرت فانني * صبور على ريب الزمان صليب

جرى بانبتات الحبل من أم جحدر * ظباء وطير بالفراق نعوب

نظرت فلم أعيف وعافت وبينت * لها الطير قبلى والبيب لبيب

فقالت حرام ان نرى بعد يومنا * جميعين الا ان يلم غريب

أجارتنا صبرا فيار بهالك * تقطع من وجد عليه قلوب

وما نقله هنا من ان ابن ميادة سرق الابيات فغير مسلم فى الجميع وابن ميادة هو الرماح بن مالك ابن برد بن ميادة المشار اليه والابيات له ما عدا الاولين ولهما ثالث لم يورده والثلاثة لامرئ القيس بن حجر الكندى ولهما حكاية عجيبة هى انه لما قتل والده مضى الى قيصر ملك الروم يستنصره فوعده النصر فاقام بالقسطنطينية أياما فرأته ابنة قيصر فعلقته وراسلته فاجتمع بها وفيها يقول الا عم صباحا القصيدة المشهورة وان القصة بلغت قيصر فكره قتله جهارا للشنعة فالبسه حلة قد دهن زيقها بالسم وأمره بالمسير فلما بلغ جبلا يقال له عسيب عن القسطنطينية مسافة تين لعب فيه السم فنزل الى جانب قبر فلما أحس بالموت سأل عن القبر فقيل هو قبر امرأة غريبة فقال أدفنونى الى جانبها وأنشد البيتين الاولين وبعدهما

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

واما قوله فان تسأليني هل صبرت الى آخر الابيات فللرماح وما ذكر من ان الثالث لجاهلى لم يعلم له ناقل وقد ساق القصة ابن هشام فى شرح الدريدية وذكرها ابن عساكر فى تاريخه الكبير وقوله نظرت فلم أعيف يعنى لم أدرك حال الفرقة من زجر الطير المعروف عندهم

يكفى المحبين فى الدنيا عذابهم * والله لاعذبتهم بعدها سقر

حكى انما الناقى لانه حمى يسقر الهيدا وقال ابو ابن حزم قال رجل لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين انى رأيت امرأة فعشقتها فقال عمر ذلك مما لا يملك وقال كامل فى سلمى

يلوموننى فى حب سلمى كأنما
يرون الهوى شيأ تمنيته عمدا
ألا انما الحب الذى صدع الحشا
قضاء من الرحمن يبلو به العبدا

وقال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية وقد فسر كثير من السلف قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بالعشق وهذا لم يريدوا به التخصيص وانما أرادوا به التمثيل وان العشق من تحميل ما لا يطاق والمراد بالتحميل هنا التحميل القدرى لا الشرعى الامرى انتهى كلامه وقال عبيد الله بن طاوس فى قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا قال اذا نظر الى النساء لم يصبر نقله عنه سفيان بن سعيد فى تفسيره وقالوا قد رأينا جماعة من العشاق يطوفون على من يدعو لهم أن يعافيهم الله من العشق ولو كان اختيارا لازالوه من نفوسهم ومن هنا يتبين خطأ كثير من العاذلين ويظهر ان عذلهم فى هذا الحال بمنزلة عذل المريض فى مرضه ومن أحسن قول بعضهم

يا عاذلى والامر فى يده
هلا عذلت وفى يدى الامر

وانما ينبغى العذل قبل تعلق هذا الداء بالقلب وانصباب دمع العاشق الصب وذهب جماعة من الاطباء وغيرهم الى انه اختيارى لا اضطرارى وقد تقدم فى حد العشق الذى ذكره ابن سينا وغيره انه مرض وسواسى يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل فهذا تصريح منهم بأن الانسان هو الذى تار فى العشق بتسليط فكرته الواقع فى بحار سكرته قالوا ولان المحبة ارادة قوية والعبد يحمد ويذم على ارادته

بالعيافة وهو علم نفيس ولنا فيه رسائل وأخبر ابن دريد عن عمه قال عشقت حبيبة الحضرمية ابن عم لها فدرى قومها فحجبوها فأنشدت

هجرتك لما ان هجرتك أصبحت * بنا شمتاً تلك العيون الكواشح

فلا يفرح الواشون بالهجر ربما * أطال المحب الهجر والحب ناصح

وبعد النوى بين المحبين والهوى * مع القلب مطوى عليه الجوارح

وهذا الذى ذكر من أول الباب الى هنا كالمقدمة لهذا الباب وقد آن الشروع فى مقاصده وأصدرها بأحد العشاق الاربع قال الفارسى فى تنزيه النفس من لدن أراد الله الاوفق على نظام الترتيب حيث جعل دائرة العالم العلوى أربعة والعناصر والرياح والطبائع كذلك جعل المذاهب وطريقة الحقيقة بنى مسالك الصوفية والعشاق كذلك وكل من هذه معروف فى مواضعه فاما العشاق فجميل بثينة ومجنون ليلى وكثير عزة وقيس لبنى وهذا سر اشارة الاستاذ فى الثانية وغيرها الى ماذكرنا كقوله

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى أو كثير عزة

وأقدم الكلام على جميل لانه كما يقال أنسب الاربعة وأما تقديمه فى نزهة النفوس المجنون فراعاة للاولية وجميل المذكور هو ابن عبد الله بن عامر يتصل نسبه بقضاعة كذا قاله مغلطاى عن أبى الفرج الاصفهانى كان شاعرا فصيحا منطقيا صادق الصبابة عفيفا منزها عن الرذائل عارفا بالنسب روى عنه كثير وهو عن هدبة بن الخشرم عن الحطيئة عن زهير ابن أبى سلمى بضم السين صاحب المعلقة نشأ فى قومه بنى ربيعة بوادى القرى بين المدينة ومكة فعلق بثينة بنت يحيى بن ثعلب من قومه صغيرين فلما انتشا خطبها فرد لان العرب كانت تستهجن ان تزوج من جرى بينهما عشق فكان يأتيها سرا ويتحادثان فعلموا به فارادوا قتله وانها أغرته عن ذلك فاستخفى وفى ذلك يقول

فلو ان ألفا دون بثينة كلهم * غيارى وكل حارب مزمع قتلى

لحاولتها امانهارا مجاهرا * واماسرى ليلى ولو قطعت رجلى

فلما شاع ذلك شبب حواش أخو بثينة بأخت جميل وتفاخرا فغلبه جميل بشهادة العرب حتى قالوا له قل ماشئت فى نفسك وأبيك وأنت الباسل الجواد والحواش قل وأنت دونه فى نفسك ويقال ان سبب عشقه بثينة انه سرح ابله يوما بوادى البغيض وانسطع فأتت مع جوار يملأن الماء فنفرت بفصيل له فسبابا وهذا أخذ من قوله

وأول ماقاد المودة بيننا * بوادى بغيض يابثين سباب

وقلت لها قولا فجاءت بمثله * لكل كلام يابثين جواب

واستعدى أهلها عليه مروان بن هشام الحضرمى وكان واليا من قبل عبد الملك على تيماء وقيل ربعى بن دجاجة فتوعده فمضى مستخفيا الى الشام وقيل الى سيد من بنى عذرة فاحسن مكانه وزين سبع بنات له رجاء أن يعلق واحدة منهن فيزوجه بها فكن يرفعن الخباء اذا أقبل جميل ففطن لذلك فانشد

حلفت لكيما تعلميني صادقا * وللصدق خير فى الامور وأنجح

لتكليم يوم واحد من بثينة * ورؤيتها عندى ألذ وأملح

من الدهر لو أخلو بكن وانما * أعالج قلبا طامحا حيث يطمح

ولهذا يحمد مريد الخير وان لم يفعله ويذم مريد الشر وان لم يفعله وقد ذم الله تعالى الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا وأخبر ان عذابهم أليم ولو كانت المحبة لاتملك لم يتوعدهم بالعذاب على مالا يدخل تحت قدرتهم ومنه قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى ومحال ان ينهى الانسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته قولوا والعقلاء قاطبة مطبقون على لوم من يحب ما يضر بمحبته وهذه فطرة فطر الله عليها الخلق فلو اعتذر بأنى لا أملك قلبى لم يقبلوا له عذرا * (قلت) * والقول الصحيح الذى ليس فيه رد ولا عن محبوبه صد التفصيل فى ذلك وهو ان العشق يختلف باختلاف بنى آدم وما جبلوا عليه من اللطافة ورقة الحاشية وغلظ الكبد وقساوة القلب ونفور الطباع وغير ذلك فمنهم من اذا رأى الصورة الحسنة مات من شدة مايرد على قلبه من الدهش كما تقدم فى حق النسوة اللاتى متن لما رأين يوسف عليه الصلاة والسلام وقد كان مصعب بن الزبير اذا رأته المرأة حاضت لحسنه وفيه يقول الشاعر

انما مصعب شهاب من الله
تجلت بنوره الظلماء

ومنهم من اذا رأى المليح سقط من قامته ولم يعرف نعله من عمامته قال الشاعر

فما هو الا أن يراها فجاءة
فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

فهذا وأمثاله عشقه اضطرارى والمخالفة فيه مكابرة فى المحسوس ومنهم من يكون أول عشقه الاستحسان للشخص ثم تحدث له ارادة القرب منه ثم المودة وهو ان يود لو ملكه ثم يقوى الود فيصير محبة ثم يصير خلة ثم تصير هوى ثم يصير عشقا ثم يصير تتيما والتتيم حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق ثم يزيد على التتيم يصير ولها والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطل عن التمييز فهذا وأمثاله مبدأ عشقه اختيارى

(وفى نزهة النفوس) لرؤية يوم واحد من بثينة * ألذ من الدنيا لدى وأملح

وهو أحسن تركيبا وأظهر فى إعمال أفعل التفضيل وقوله من الدهر معمول حلفت وفى نسخة مدى الدهر وهو أحسن وأنسب فقال الشيخ ارحين الخباء فوالله ان يفلح أبدا يعنى لا يرجع عن العشق ويدل للاول قوله

أتانى عن مروان بالغيب انه * مقيد دمى أو قاطع لسانيا

ففى العيش منجاة وفى الارض مهرب * اذا نحن دافعن لهن المثانيا

ويحتمل تعدد الواقعة ولما عزل عاد وقيل مما استدل به على تمكن عشقهما وانه لا يمكن سلوه عنها مع حكاية البنات المذكورة قوله فيما رواه الشهاب محمود فى منازل الاحباب عنه

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل * الى الآن ينمى حبها ويزيد

وأفنيت عمرى فى انتظار نوالها * وأفنت بذاك الدهر وهو جديد

(والعشاق من أمثال ذلك كثير فمن ذلك قول عروة)

هواها هوى لا يعرف القلب غيره * فليس له قبل وليس له بعد

(وقول المجنون) ولما أبى الا جماحا فؤاده * ولم يسل عن ليلى بمال ولا أهل

تسلى بأخرى غيرها فاذا التى * تسلى بها تغرى بليلى ولا تسلى

وأعظم ما قيل فى هذا المعنى وأسجع وألطف وأرق وأصنع وأمنع قول الاستاذ رحمه الله

حديثى قديم فى هواها وماله * كما علمت بعد وليس له قبل

فانه قد جمع مع معانى الابيات المذكورة لصناعات البديعية من المقابلة الضدية والطرفية ولعمرى انها لم تجتمع لغيره فيما أعلم وعن مغلطاى عن أبى الفرج وشت جارية بجميل وبثينة الى أبيها وانه الليلة عندها فأتى وأخوها مشتملين معتمدين سيفيهما القتله فسمعاه يقول لها بعد شكوى شغفه بها هل لك فى طف ءما بى بما يفعل المتحابان فقالت قد كنت عندى بعيدا من هذا ولو عدت اليه لن ترى وجهى أبدا فضحك ثم قال والله ما قلته الا اختبارا ولو اجبت اليه اضربتك بسيفى هذا ان استطعت والا هجرتك أما سمعت قولى

وانى لأرضى من بثينة بالذى * لو أبصره الواشى لقرت بلابله

بلى وبان لا أستطيع وبالمنى * وبالامل المرجو قد خاب آمله

وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضى * أواخره لا نلتقى وأوائله

فقالا لا ينبغى لنا ايذاء من هذه حالته ولا منع التزاور وانصرفا وسأل عبد الملك يوما كثيرا عن حال جميل وبثينة فقال يا أمير المؤمنين سايرته يوما اليها فلما وصلنا بالقرب منهم أقبلت مع نسوة فلما رأينه ولين ووقفا يتحادثان من أول الليل حتى طلع الفجر ثم قالت حين أزمعا الفراق ادن منى فدنا فأسرت اليه فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشد

فما مزن فى جبال منيفة * ولا ما أكنت فى معادنها النحل

باشهى من القول الذى قلت بعدما * تمكن فى حيزوم ناقتى الرحل

وعن كثير قال سألنى جميل أخذ موعد من بثينة فقلت هل بينكما موعد قال بوادى الدوم وهى تغسل الثياب فجئت أباها وهو جالس فحادثته قليلا ثم أنشدته

وقلت لها يا عز أرسل صاحبى * على نأى دار والموكل مرسل

فان تجعلى بينى وبينك موعدا * وان تأمرينى بالذى فيه أفعل

الشاعر

العشق أول ما يكون مجانة * فاذا تمكن صار شغلا شاغلا

ولهذا قال بعض الفلاسفة لم أر حقا أشبه بباطل ولا باطلا أشبه بحق من العشق هزله جد وجده هزل أوله لعب وآخره عطب قال الشاعر

تولع بالعشق حتى عشق * فلما استقل به لم يطق

رأى لجة ظنها موجة * فلما تمكن منها غرق

قال صاحب روضة المحبين وهذا بمنزلة السكر مع شرب الخمر فان تناول المسكر الاختيارى وما يتولد عنه من السكر اضطرارى فمتى كان السبب واقعا باختياره لم يكن معذورا فيما تولد عنه بغير اختياره ولاريب ان متابعة النظر واستدامة الفكر بمنزلة شرب المسكر فهو يلام على السبب ولهذا اذا حصل العشق بسبب غير محظور ولم يلم عليه صاحبه كمن كان يعشق امرأته أو جاريته ثم فارقها وبقى عشقها غير مفارق له فهذا الايلام على ذلك كما فى قصة مغيث وبريرة المشهورة وقد ظهر بهذا ان العشق يكون اضطراريا تارة وتارة اختياريا وذلك بحسب حالة العاشق كما تقدم فحينئذ يكون ادعاء من قال انه اضطرارى مطلقا أو اختيارى مطلقا غير مقبول عند ذوى العقول والله تعالى أعلم أقول الى هنا انتهى الكلام على هذه الفصول التى طاب زمانها واعتدل * وظهر بها فى وجنة الورد حمرة الخجل * وما بقى الا الدخول فى الابواب على الوجه المقترح والاتيان بما فتح الله سبحانه ومن دق باب كريم فتح

وآخر عهد منك يوم لقيتني * بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فضربت سجاف البيت وقالت اخسأ فقال أبوها ما هذا فقالت كلب يأتينا من وراء هذه الرابية اذا نام الناس فمضيت وأخبرته فأقبل حتى اجتمعا ليلة وسارته كما سلف الا أنه أنشد البيتين عند افاقته لم يغير فيهما غير أن قال * فما مكثهم في مجارجنة * ولا ما أسرت

وعن مغلطاي قال دخلت بثينة على عبد الملك وقد أخلقها الدهر فقال لها ما الذي رأى فيك جميل حتى عشقك فقالت ما رأى فيك الناس حتى ولوك الخلافة فضحك حتى بدت له سن سوداء كان يسترها ودخل مصعب بن الزبير يوما على زوجته عائشة بنت طلحة وكان شغفا بها فوجدها تمشط فتمثل بهذا البيت

ما أنس لا أنس منها نظرة عرضت * بالحجر يوم جلتها أم منظور

فقيل له ان أم منظور المشار اليها في هذا البيت موجودة فاستحضرها واستحكاها عن سبب قول جميل هذا البيت فقالت كنت ماشطة لبثينة والخيز يتها يوما فاقبل على بعير مار فرآها فوخز عينيه فانشد البيت فأمرها مصعب ان تصنع بعائشة كذلك وصنع هو كجميل وله فيها من الاشعار ما لا يحصى ما بين وصف ونسيب وذكر حكاية الى غير ذلك فمن مستجادها اللامية التي أنشدها لعمر بن أبي ربيعة وكان من أجل معاصر به في الشعر لقيه يوما فتفاخرا واستنشده جميل فانشد

ألم تسأل الاطلال والمتربعا * ببطن حليات دوارس بلقعا
أتانا رسول من ثلاث كواعب * ورائقة تستجمع الحسن أجمعا
فلما توقفنا وسلمت أقبلت * وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما عرفنني * وقلن امرؤ باغ أضل وأوضعا
وقربن أسباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلما قسن أصبعا
فقلت لمطريهن بالحسن انما * ضررت فهل تستطيع نفعا فتنفعا

فانشده جميل أثر هذه القصيدة قصيدته المشهورة التي أولها

لقد فرح الواشون ان صرمت حبلي * بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
يقولون مهلا يا جميل وانني * لاقسم مالي عن بثينة من مهل
أحلما فقبل اليوم كان أوانه * أو أخشى فقبل اليوم أوعدت بالقتل
(ومنها) اذا ما تناشدنا الذي كان بيننا * جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل
كلانا بكى أو كاد يبكي صبابة * الى الفه فاستعجلت عبرة قبلي
فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها * ويا ويح أهلي ما أصيب به أهلي
خليلي فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

ومنها بيتان أنشدهما وقدم به رجل فاضافه فريدا فجعل يأكل ويبث وجدا به على ابنة عمه حتى أتى عليه وهما

ويعجبني من جعفر ان جعفرا * يلح على قرصي ويبكي على جمل
فلو كنت عذري العلاقة لم تكن * بطينا وأنساك الهوى كثرة الاكل

ولما أنشد جميل هذه القصيدة قال لعمر يا أبا الخطاب هل لك في هذا الروي شيء قال نعم وأنشد

جرى ناصح بالود بيني وبينها * فقربني يوم الخصاب الى قتلي

قال الحسن وأقسامه * والحبيب وكلامه * ولاسيما اذا ابتسم عن حبب * واضطرب في ثغره الضرب * فعذب مقبله وتساوى من حسنه في الحال ماضيه ومستقبله * هنالك يحتوي من الجمال على القسمين اللذين هما الظاهر والباطن والظاعن والقاطن فالجمال الباطن المحمود لذاته كالعلم والبراعة والجود والشجاعة * والجمال الظاهر ما ظهر من غصن قوامه الرطيب ووجهه الذي فاق البدر بلا غيبة والشمس عند المغيب * عند ذلك يشمت بالبدر شاماته ويقول لخده الذي ازداد بها حسنا من زاد زاده الله في حسناته فلذلك قيل الحسن الصريح ما استنطق الافواه بالتسبيح وقيل بل هو كما قيل

شيء به فتن الورى غير الذي * يدعى الجمال ولست أدري ما هو

قلت وهو الصحيح لانه لا يدرى كنهه ولا يعرف شبهه حتى كأنه نكرة لا تتعرف ومجهول لا يعرف ولذلك قال بعضهم الحسن معنى لا تناله العبارة ولا يحيط به الوصف وقيل الحسن مشتق من الحسنة قلت والذي يظهر انه لهذا المعنى قيل للشامات حسنات قال بعضهم في سوداء مليحة

يارب سوداء تجلى * بحسنها الظلمات
ماذا يعيبون فيها * وكلها حسنات

وقلت أنا

ووجه زال البدر ونقمه فأضحت * محاسنه بلحيته عيوبا
قليل الحظ بالشامات أمسى * فما حسناته الا ذنوبا

وقيل الحسن أمر مركب من أشياء وضاءة وصباحة وحسن تشكيل وتخطيط ودموية في البشرة وقيل الحسن تناسب الخلقة واعتدالها واستواؤها ورب صورة متناسبة الخلقة وليست في الحسن بذلك وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا تم بياض المرأة في حسن شعرها فقد تم حسنها وقالت عائشة رضي الله عنها وطارت

وطارت بوجد من فؤادي ونازعت * قرينتها حبل الصفاء الى حبلي
فما أنس ما الاشياء لا انس موقفي * وموقفها يوما بقارعة النخل
فلما نواقفنا عرفت الذي بها * كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل
ومنها فسلمت واستأنست خيفة أن يرى * عدوي بكائي أو يرى كاشح فعلي
فقالت وارخت جانب الستر انما * معي فتحدث غير ذي رقبة أهلي
فقلت لها ما بي لهم من ترقب * ولكن سري ليس يحمله مثلي

وقيل ان جميلا لم ينشده في هذه المرة شيأ بل قال له امض بنا الى بثينة فقال له قد حجر علي فقال دلني على أبياتها ففعل ومضى عمر فاجتمع بها ثم عاد ثانية وتلاقيا فانشد جميل رائيته وهي

خليلي عوجا اليوم حتى تسلما * على عذبة الانياب طيبة النشر
فانكما ان عجتما لي ساعة * شكرتكما حتى أغيب في قبري
وانكما أن لم تعوجا فانني * سأصرف وجدي فأذنا اليوم بالهجر
ومالي لا أبكي وفي الايك نائح * وقد فارقتني شختة الكشح والخصر
أيبكي حمام الايك من فقد إلفه * واصبر مالي عن بثينة من صبر
يقولون مسحور يجن بذكرها * فأقسم مابي من جنون ولا سحر
وأقسم لا انساك ماذر شارق * وماهب آل في معلمة قفر
ومالاح نجم في السماء معلق * وما أورق الاغصان من ورق السدر
لقد شغفت نفسي بثين بذكركم * كما شغف المجنون يابثن بالخمر
ذكرت مقامي ليلة البان قابضا * على كف حوراء المدامع كالبدر
فكدت ولم أملك اليها صبابة * أهيم وفاض الدمع مني على النحر
فياليت شعري هل أبيتن ليلة * كليلتنا حتى نرى ساطع الفجر
تجود علينا بالحديث وتارة * تجود علينا بالرضاب من الثغر
فليت الهي قد قضى ذاك مرة * فيعلم ربي عند ذلك ماشكري
ولو سألت مني حياتي بذلتها * وجدت بها ان كان ذلك من أمري

فلما سمعها عمر اعجب بها ثم قال لجميل دونك هذه وأنشد * أمن آل نعم أنت غاد فمبكر *

ومنها وغاب قمير كنت أرجو غيوبه * وروح رعيان ونوم سمر
فحييت اذ فاجأتها فتولهت * وكادت بمكتوم التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتني * وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر
أريتك اذ هنا عليك ألم تخف * رقيبا وحولي من عدوك حضر
فوالله ماأدري أتعجيل حاجة * أتى بك أم قد نام ما كنت تحذر
فقلت لها بل قادني الشوق والهوى * اليك وماعين من الناس تنظر
فيالك من ملقى هناك ومجلس * لنا لم يكدره علينا مكدر
يمج ذكاء المسك منها مفلج * رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر
يرق اذا تفتر عنه كأنه * حصا برد أو اقحوان منور
وترنو بعينيها الى كما رنا * الى زرب وسط الخميلة جؤذر
فلما تولى الليل الا أقله * وكادت توالي نجمه تتغور

البياض شطر الحسن وقالوا في الجارية جميلة من بعيد مليحة من قريب فالجميلة التي تأخذ ببصرك فاذا دنت منها لم تكن كذلك والمليحة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقيل الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم والمليحة أيضا من الملحة وهي البياض والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه وقال بعضهم الظرف في القد والبراعة في الجيد والرقة في الاطراف والخصر والشأن كله في الكلام وأحسن الحسن مالم يجلب بتزيين وقال امرؤ القيس

* وجدت بها طيبا وان لم تطيب *

وقال آخر

ان المليحة من تزين حليها
لا من غدت بحليها تتزين

وقال بعض أهل اللغة العرب تقول الحلاوة في العينين والملاحة في الفم والجمال في الانف والظرف في اللسان ومنه قول الحسن رضي الله عنه اذا كان اللص ظريفا لا يقطع أي اذا وقع دفع عن نفسه بطلاقة لسانه ومنطقه وما أحسن قول بعضهم البدن فيه الوجه والاطراف * وفي الوجه المحاسن واليها الاستشراف * وفي المحاسن النكت التي هي الغاية في الاستحسان والاستظراف كالملاحة في العين ونكتة الملاحة الدعج وكالحسن في الفم ونكتة الحسن الفلج وكالطلاوة في الجبين ونكتة الطلاوة البلج وكالرونق في الخد ونكتة الخد الضرج ومما يستحسن في المرأة طول أربعة وهي أطرافها وقامتها وشعرها وعنقها وقصر أربعة يديها ورجليها ولسانها وعينيها والمراد بهذا القصر المعنوي فلا تبذو مافي بيت زوجها ولا تخرج من بيتها ولا تستطيل بلسانها ولا تطمح بعينيها وبياض أربعة لونها وفرقها وثغرها وبياض عينيها وسواد أربعة أهدابها وحاجبيها وعينيها وشعرها وحمرة أربعة لسانها وخدها وشفتيها مع لعس واشراب بياضها بحمرة وغلظ أربعة ساقها ومعصمها وعجيزتها

أشارت الى بأن القوم قد كان منهم * هبوب ولكن موعد لك عزور
فاراعني الا مناد برحلة * وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تنور منهم * وايقاظهم قالت أشر كيف تأمر
فقالت أباديهم فاما أفوتهم * واما ينال السيف ثارا فيثأر
فقالت أتحقيق لما قال كاشح * علينا وتصديق لما كان يؤثر
اذا كان مالا بد منه فغيره * من الامر أدنى للخفاء وأستر
أقص على أختي بدء حديثنا * ومالي عما يعلما متأخر
لعلهما ان يبغيا لك حيلة * وان يرحبا صدرا بما كنت أحصر
فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتا * أقلي عليك اللوم فالامر أيسر
يقوم فيمشي بيننا متنكرا * فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجني دون من كنت أتقي * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي * ألم تتق الاعداء والليل مقمر
وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا * أما تنتهي أو ترعوي أو تفكر

وقد أنشد عمر هذه القصيدة لعبد الله بن عباس بحضرة نافع بن الازرق واتفق أهل ذلك العصر على انه ليس أحد أشعر من جميل وابن أبي ربيعة وكان جميل يثني على ابن أبي ربيعة كثيرا وكان الناس يقولون هو في عينيته أشعر من جميل في لاميته والذي يظهر ان جميلا أشعر مطلقا عند التأمل ومن أشعار جميل أيضا قوله

ألا ليت أيام الصفاء جديد * ودهرا تولى يا بثين يعود
فنبقى كما كنا نكون وأنتم * صديق واذ ما تبذلين زهيد
وما أنس ما الاشياء لا أنس قولها * وقد قربت نضوي أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التي ترى * أتيتك فاعذرني فدتك جدود
خليلي ما أخفي من الوجد ظاهر * ودمعي بما أخفي الفؤاد شهيد
ألا قد أرى والله لا ريب غيره * اذا الدار شطت بيننا ستزود
اذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي * من الحب قالت ثابت ويزيد
وان قلت ردي بعض عقلي أعش به * مع الناس قالت ذاك منك بعيد
فما ذكر الخلان الا ذكرتها * ولا البخل الا قلت سوف تجود
فلا أنا مردود بما جئت طالبا * ولا حبها فيما يبيد يبيد
جزتك الجوازي يا بثين سلامة * اذا ما خليل بان وهو حميد
وقلت لها بيني وبينك فاعلمي * من الله ميثاق له وعهود
وقد كان حبيكم طريفا وتالدا * وما الحب الا طارف وتليد
وان عروض الوصل بيني وبينها * وان سهلته بالمنى لصعود
فأفنيت عيشي بانتظار نوالها * وأبلت بذاك الدهر وهو جديد
فليت وشاة الناس بيني وبينها * يدوف لها سما طماطم سود
وليتهم في كل ممسى وشارق * تضاعف أكبال لهم وقيود
ويحسب نسوان من الجهل انني * اذا جئت اياهن كنت أريد

وشاهقالك وجه أو بمتجبتها وجبينها وعينها وصدغها وضيق أو بعتقها ومنخرها ومنفذ أذنيها وما هنالك وهو المتصورة لا مطلقهن للمرآة قيل وجدت جارية في زمن بني ساسان بهذه الصفات المذكورة جميعها فما كان أحقها أن يقال في حقها

لوان عزة ما كت شمس الضحى
في الحسن عند موقف لقضى لها

وحكي أن بعضور أحد ملوك الصين أهدى الى كسرى أنوشروان ملك فارس هدية من جملتها جارية تغيب في شعرها وتتلألأ جمالا فبعث اليه كسرى بهدية من جملتها جارية طولها سبعة أذرع تضرب أهداب عينيها خديها كأن بين أجفانها لمعان البرق مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرهن اذا مشت

(فصل) قال في روضة المحبين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال جرير بن عبد الله وكان عمر بن الخطاب يسميه يوسف هذه الامة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت امرؤ وقد حسن الله خلقك فأحسن خلقك وقال بعض الحكماء ينبغي للعبد أن ينظر كل يوم في المرآة فان رأى صورته حسنة فلا يشنها بقبيح فعله وان رآها قبيحة فلا يجمع بين قبح الصورة والفعل وقد نظم بعضهم هذا فقال

يا حسن الوجه توق الخنا
لا تفسدن الزين بالشين
ويا قبيح الوجه كن محسنا
لا تجمعن بين قبيحين

ولما كان الجمال من حيث هو محبوبا للنفوس معظما في القلوب لم يبعث الله نبيا الا جميل الوجه كريم الحسب حسن الصوت كما قال علي بن أبي طالب وقد سئل أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل القمر وفي صفته صلى الله عليه وسلم

فاقسم طرفي بينهن فيستوي * وفي الصدر بون بينهن بعيد
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بوادي القرى اني اذا لسعيد
وهل اهبطن أرضا تظل رياحها * لها بالثنايا القاويات وئيد
وهل ألقين سعدى من الدهر مرة * وما رث من حبل الوصال جديد
فقد تلتقي الاهواء من بعد يأسها * وقد تطلب الحاجات وهي بعيد
وهل أزجرن حرفا علاة شملة * بخرق تباريها سواهم قود
على ظهر مرهوب كأن نشوزه * اذا جاز هلاك الطريق رقود
سبتني بعيني جؤذر وسط ربرب * وصدر كمثل اللون اللجين وجيد
تزيف كما زافت الى سلفاتها * مباهية طي الوشاح ميود
اذا جئتها يوما من الدهر زائرا * تعرض منقوص اليدين صدود
يصد ويغضي عن هواي ويجتني * ذنوبا علينا انه لعنود
فاصرمها خوفا كأني مجانب * ويغفل عنا مرة فنعود
فمن يعط في الدنيا قرينا كمثلها * فذلك في عيش الحياة رشيد
يموت الهوى مني اذا ما لقيتها * ويحيا اذا فارقتها فيعود
يقولون جاهد يا جميل بغزوة * وأي جهاد غيرهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشة * وكل قتيل بينهن شهيد
اذا فكرت قالت قد أدركت وده * وما ضرني بخلي ففيم اجود
ومن كان في حبي بثينة يمتري * فبرقاذي ضال علي شهيد
ألم تعلمي يا أم ذا الودع انني * أضاحك ذكراكم وأنت صلود

وممن كان يلهج بهذه القصيدة لرصانتها والطفها معبد وكان من أشهر الناس بالدخول وضرب العود والغناء والقريض وكان أعظم منه حكى عنه في الاغاني ان الجن افتتنت به فاخرجوه الى مكة فأقام بها لا يفتح بابه وان معبدا أراد الاجتماع به فقصده وأقام يطرق الباب فلم يجب فهجس له انه لا يخرجه الا الغناء فأنشد * علقت الهوى منها وليدا * البيت فلم يشعر الا وقد فتح الباب وأذن له فدخل عليه فتحادثا وأنشده (وما أنس ما الاشياء لا أنس قولها) الى خمسة أبيات ثم قال انما غنيتك ذلك لاني علمت انك تريد ان أغنيك

وما أنس ما الاشياء لا أنس شادنا * بمكة مكحولا أسيلا مدامعه

وان الجن قد نهتني عنه قال معبد فقلت لم تعدما أدير ثم فارقته حين رأيته يستثقل المجالسة وطلبت ان يكمل لي السرور بأن أضم الى اجتماعي به اجتماعي عن رأى جميلا فأخذ عنه القصيدة فنعيت لي شيخ في بني عذرة فجئته فسألته عن جميل فحدثنا انه كان في ابل له واذا رجل غشاه نزل به فلما تثلثا قال له هل لك ان تصنع معي من الخير ما لو كانت لك الدنيا ذهبا وانفقتها على لم تبلغ معشاره قلت وما هذا قال تمضي الى وراء السفح فتنشد لي بكرة صفتها كذا قلت نعم ومضيت فوجدت العرب مجتمعين على جزور ينحر فاستطلعتهم عنها ثم استأذنتهم في البيوت وقلت لهم ان النساء أدرى بالمارة فأذنوا فانصرفت أتصفح الحي الى ان احتدم النهار ولم أظفر بطلبه واذا أنا بثلاث بنات فقلت لأنصرفن اليه وادع هذا المسير فجئتهن فسلمت فرددن ثم استنشدتهن البكرة فقالت احداهن قد أصبت

ضاء مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد
نظام لحق أو نكال لملحد

(وقال أيضا)

فأجمل منك لم ترقط عيني
وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا رآه يقول

أمين مصطفى بالخير يدعو
كضوء البدر زايله الظلام

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رآه ينشد قول زهير

لو كنت من شيء سوى بشر
كنت المضيء لليلة البدر

ونظرت اليه عائشة يوما ثم تبسمت فسألها عن ذلك فقالت كأن أبا كبير الهذلي انما عناك بقوله

واذا نظرت الى أسرة وجهه
برقت كبرق العارض المتهلل

وفي الجملة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن في الذروة العليا وروى ان بعض الصحابة لقي راهبا فقال صف لي محمدا كأني أنظر اليه فاني رأيت صفته في التوراة والانجيل فقال لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير فوق الربعة أبيض اللون مشربا بالحمرة جعد الشعر ليس بالقطط جمته الى شحمة أذنه صلت الجبين واضح الخد أدعج العينين أقنى الانف مفلج الثنايا كأن عنقه ابريق فضة ووجهه كدائرة القمر فأسلم الراهب وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا الحسن قد ألقيت عليه المحبة والمهابة فمن وقعت عليه عيناه أحبه وهابه وقد كمل الله سبحانه له مراتب

الكمال ظاهرا وباطنا فكان أحسن خلق الله خلقا وخلقا صورة ومعنى وهكذا كان يوسف عليه الصلاة والسلام الذي قسم

حاجتك ثم أدخلتني بيتا وأتتني بقدح مفضض فيه تمر وصحفة شامية مفضضة فيها لبن
فتناولت كفايتي ثم قالت ان بكرت تأتي هذه الشجرة فتطوف بها الليل فرجعت اليه
وحدثته القصة فابتهج كالذي أصاب بغيته وأنا لا أدري فلما جاء الليل وآنس ان قد غمت
عمد الى رحله فاستخرج بردين ملوكيين من برود الخلافة فاتزر بأحدهما واتشح بالآخر
ومضى فتبعته بحيث لم يشعر حتى تلاقيا فلم يكن بينهما الا ما يرضى الوشاة الى ان رأيا
الصبح فلما أزمعا الفراق سبقته وغمت وجاء فصلى ثم نبهني وهو مسرور فأكل معي وشرب
ثم أخبرني انه جميل وانها بثينة ثم أعطاني بردا واعتذر وودعني بعد ان قال هل لك ان تمضي
فتنشدها أبياتا قلتها بعد منصرفي عنها قلت نعم فأنشدني وما أنس ما الاشياء الابيات الخمسة
فمضيت اليها فقلت قد جئت بالامس طالبها واليوم مسلما وذكرت ثناءه ووجده ثم قلت
هل أنت بارزة الى قالت نعم فسمعت جارية تقول لها يا بثينة ان عليه برد جميل ثم خرجت
فى زينة وقالت يا أخا تميم ان بردك لا يشبه ما عليك واستخرجت ملاءة مصبغة بالعصفر
واقسمت ان أتشح بها ففعلت وأنشدتها ما قال ورجعت بملحفة بثينة وبرد جميل وحكى
الشيخ لمعبد ان جميلا لما اجتمع ببثينة قالت له هل قلت شيأ فأنشدها

علقت الهوى منها وليدا ولم يزل * الى اليوم ينمي حبها ويزيد
وأفنيت عمري فى انتظاري نوالها * وأفنت بذاك الدهر وهو جديد

قال معبد فرجعت جذلان بما اجتمع لي مما طلبت وعن أبي زيد حين قرئت عليه هذه
القصيدة ان هذين البيتين يليهما قوله فلا أنا مردود البيت وفى نسخة ان قوله فما أنس
ما الاشياء بعد قوله فلا أنا مردود ومنه برواية مغلطاى

وكأن طارقها على علل الكرى * والنجم وهنا قد دنا لتغور
نشوان ريح مدامة معلولة * بذكي مسك أو سحيق العنبر
انى لاحفظ غيبكم ويسرني * لو تعلمين بصالح ان تذكري
ويكون يوما لا أرى لك مرسلا * أو نلتقي فيه على أشهر
ياليتني أخشى المنية بغتة * ان كان يوم لقائكم لم يقدر
لو أستطيع تجلدا عن ذكركم * فأفيق بعد صبابتي وتفكري
لو تعلمين بما أجن من الهوى * لعذرت أو لظلمت ان لم تعذري
قلتبكين الباكيات ولم أبح * يوما بسرك معلنا لم أغدر

(ومنه)

منع النوم شدة الاشتياق * وادكار الحبيب يوم الفراق
ليت شعري اذا بثينة بانت * هل لنا بعد بينها من تلاق
ولقد قلت يوم نادى المنادي * مستحثا برحلة وانطلاق
ليت لي اليوم يا بثينة منكم * مجلسا للوداع قبل الفراق
حيث ما كنتم وكنت فانى * غير ناس للعهد والميثاق

وعن ابن عياش قال لقيت عجوزا من بني عذرة فقلت لها هل تروى شيأ عن جميل ومحبوبته
قالت نعم كنت يوما وبثينة قد انفردت بمرغزلا والعرب قد اعتزلت الطريق خوف المارة
الى الشام واذا برجل قد أقبل الينا فاستثبتناه فاذا هو جميل فقلت له قد عرضتنا ونفسك
شرا فمن أين جئت قال من هذه الهضبة ولي بها ثلاثة أنتظر الفرصة لاحدث بكم عهدا فاني

الحسن تضعفين فيبين سارة و يوسف نصف الحسن ونصف الحسن بين سائر الناس وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
انه مر الى يوسف ليلة الاسرا وقد أعطى
شطر الحسن وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يستحسن ان يكون الرسول حسن
الوجه حسن الاسم وكان يقول اذا
أبردتم بريدا فليكن حسن الوجه
حسن الاسم وقد روى الخرائطي من
حديث ابن جريج عن أبي مليكة يرفعه
من آتاه الله وجها حسنا واسما حسنا
وجعله فى موضع غير شائن له فهو من
صفوة الله من خلقه وقال وهب قال
داود يارب أى عبادك أحب اليك قال
مؤمن حسن الصورة فقال أى عبادك
أبغض اليك قال كافر قبيح الصورة
ويذكر عن عائشة رضي الله عنها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
ينتظره نفر من أصحابه على الباب فجعل
ينظر فى المرآة ويسوى شعره ولحيته
ثم خرج اليهم فقالت يارسول الله وأنت
تفعل هذا فقال نعم اذا خرج الرجل الى
اخوانه فليجمل نفسه فان الله جميل
يحب الجمال وقال معاوية لرجل
دخل عليه فرأى فى وجهه ما يكرهه
ما يمكن ان الله ما يمنع أحدكم اذا خرج
من منزله أن يتعاهد أديم وجهه

(فصل) قوله تعالى لقد خلقنا
الانسان فى أحسن تقويم أى فى أحسن
تعديل لقامته وصورته وحسن شارته
منتصبا يتناول مأكوله بيده مزينا
بالعقل لا كالبهائم وعلى هذا حكاية
الرشيد لما خلا بزوجته فى ليلة مقمرة
فقال لها ان لم تكونى أحسن من هذا
القمر فانت طالق فافتى علماء زمانه
بالحنث الا يحيى بن أكثم فانه قال لا يقع
عليه الطلاق فقيل له خالفت شيوخك
فقال الفتوى بالعلم ولقد أفتى به من
هو أعلم منا وهو الله سبحانه وتعالى
منه قال لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وجاء فى تفسير قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء انه الصوت الحسن

ذاهب الى مصر فحدثنا ساعة وهو لا يتماسك فجئته بقدح فيه تمر واقط فنال منه يسيرا ثم ودع ومضى فلم نلبث أن جاء أهل الحي ومنه

أرى كل معشوقين غيري وغيرها * يلذان في الدنيا و يغتبطان

وأمشي وتمشي في البلاد كأننا * أسيران للاعداء مرتهنان

أصلي فأبكي في الصلاة لذكرها * لي الويل مما يكتب الملكان

ضمنت لها أن لا أهيم بغيرها * وقد وثقت مني بغير ضمان

ألا يا عباد الله قوموا لتسمعوا * خصومة معشوقين يختصمان

وفي كل عام يستجدان مرة * عتابا وهجرا ثم يصطلحان

يعيشان في الدنيا غريبين أينما * أقاما وفي الاعوام يلتقيان

وعن سهل الساعدي قال قال لي رجل هل تعود جميلا فانه مريض فدخلنا عليه فاذا هو يجود بنفسه فنظر الي وقال ما تقول في رجل لم يزن قط ولم يشرب خمرا ولم يسفك دما و يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله منذ خمسين سنة قلت من هذا فاني أظنه ناج قال أنا قلت عجيب منك تشبب ببثينة هذه المدة وأنت كذلك قال أنا في آخر يوم من الدنيا لا نالتني شفاعة محمد ان كنت وضعت يدي عليها لريبة وأكثر ما كان مني أن أسند يدها الى فؤادي أستريح ساعة ثم أغمي عليه فلما أفاق أنشد

صرح النعي وما كنى بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول

قومي بثينة فاندبي بعويل * وابكي خليلك دون كل خليل

ولما حضرته الوفاة قال من ينعاني الى بثينة قال رجل أنا فأعطاه حلته فراح حتى جاء الحي فانشد

بكر النعي وما كنى بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول

بكر النعي بفارس ذي همة * بطل اذا حم اللقاء مذيل

فسمعته بثينة فخرجت مكشوفة تقول

وان سلوي عن جميل لساعة * من الدهر لا حانت ولا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر * اذا مت بأساء الحياة ولينها

ثم قالت للناعي يا هذا ان كنت صادقا فقد قتلتني وان كنت كاذبا فقد فضحتني فقلت لها والله اني لصادق وأخرجت الحلة فلما رأتها صرخت وصكت وجهها وأقبل النساء يبكين معها حتى خرت مغشيا عليها ثم أفاقت وأنشدت وان سلوي البيتين فلم يسمع منها غيرهما حتى قضت

* (أخبار كثير عزة) *

هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الاسود الشهير بابي جمعة قد أوصله الكلبي في جمهرة النسب الى ماء السماء بن حارثة بن ثعلبة المشهور أحد أولاد الازد ومن أجداده عمرو بن ربيعة الذي دعا العرب عن دين ابراهيم الى عبادة الاصنام واقترح السوائب والبحيرة فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج يجر قصبه في النار وهو من خزاعة سموا بذلك لانقطاعهم عن الازد أيام سيل العرم وجاؤا الى الشام وهو صاحب عزة بنت جميل بن حفص ابن اياس بن عبد العزى يتصل نسبها الى عبد مناف علقها جارية قد كعبت نهودها بدليل قوله

نظرت اليها نظرة وهي عاتق * على حين أن شبت وبان نهودها

نظرت اليها نظرة ما يسرني * بها حمر انعام البلاد وسودها

والوجه الحسن ولهذا قال أبو فراس قد فاق بدر السما محسنا * والناس في حبه سواه فزاد في بعذاره شبه الحسن والبدر لا تعجبوا ربنا قدير يزيد في الخلق ما يشاء (وحكي) عن بعض النساء انها كانت تكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك فقالت انها تحسن الوجه وأنا أحب أن يحسن وجهي * وحكي ان المأمون استعرض جيشا فمر رجل قبيح الوجه فاستنطقه فرآه ألكن فأمر باسقاطه وقال ان الروح اذا وقع أثرها في الظاهر كانت صباحة واذا وقع أثرها في الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل لا ظاهر له ولا باطن وكل شخص له حكمان أحدهما من جهة جسمه وهو منظره والآخر من جهة نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فرع أصحاب الفراسة من معرفة أحوال النفس الهيئة البدنية حتى قال بعض الحكماء قلما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة وقد قال عليه الصلاة والسلام اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فهذا كله يدل على أن الحسن وكمال الجسم من الفضائل و يدل عليه قوله تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم والحسن أول سعادة الانسان لان الله تعالى بلطيف حكمته لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من الآفات الا واضاف اليها ما يناسبها من العقل والصفات وقلما تجد الخلق الا تبعا للخلقة تناسبا مطردا وأصلا لا ينعكس واجماعا لا ينفرد وما خلق الله نبيا قط الا وقد بهر أهل زمانه بحسنه واحسانه فاذا نظرته أول مرة رأيته أحسنهم صورة وأتمهم بنية فهو أولاهم رتبة وأعلاهم منقبة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يعذب الله حسان الوجوه سود الحدق قال الامام فخر الدين الرازي في اسرار التنزيل ما ملخصه حسن الصورة وان كان أمرا مرغوبا فيه فان حسن السيرة أفضل منه ويدل عليه وجوه منها أن حسن الصورة

وكان سبب دخول الهوى بينهما ان كثيرا مر بغنم له ترد الماء على نسوة من ضمرة بوادى الخبت فارسلن له عزة بدريهمات تشترى بها كبشا من منه فنظرها نظرة متأمل فداخله منها ما كان فرد الدراهم وأعطاها الكبش وقال ان رجعت أخذت حقى فلما عاد نسألته ذلك فقال لا أقتضى الا من عزة فقلن له ليس فيها كفاءة فاختر احدانا فأبى وأنشد البيتين فى ملن يبرز نهاله كارهة ثم داخلها ما داخله وانه خرج لزيارتها يوما ومعه اداوة ماء ففنت من الحر ورفعت له نار فأمها واذا بعجوز فناشدته من الرجل فقال صاحب عزة فقالت له انت القائل

اذا ما أتينا خلة كى تزيلنا * أبين وقلنا الحاجبية أول

سنوليك عرفا ان أردت وصالنا * ونحن لتلك الحاجبية أوصل

هلا قلت كما قال جميل

يارب عارضة علينا وصلها * بالجد تخلطه بقول الهازل

فاجبتها بالقول بعد تأمل * حبى بثينة عن وصالك شاغل

لو كان فى قلبى كقدر قلامة * فضل لغيرك ما أتتك رسائلى

والله لا سقيتك شيأ فتركها وانصرف ولما اشتدت حالته أنشد

يزهدنى فى حب ميه معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبى

فقلت دعوا قلبى وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وما تبصر العينان فى موضع الهوى * ولا تسمع الآذان الا من القلب

هكذا رواه ابن اسحق وقال الشهاب محمود بذلك ونقل فى الطبقات الابيات الا أنه قال * يزهدنى فى حب عزة معشر * ثم قال هذه الابيات لكثير وقد توهم قوم انها لذى الرمة بدليل قوله * يزهدنى فى حب ميه معشر * وليس كذلك وانما كان سهوا ودخل كثير على عبد الملك بن مروان فقال له وقد كان يتهمه بالتشيع بحق على هل رأيت أعشق منك فقال لو أقسمت على بحقك لاخبرتك فقال بحقى الا ما اخبرتنى فقال يا أمير المؤمنين خرجت يوما واذا أنا بصياد قد نصب شبكته ليصطاد ما يسد به رمقه فقلت له أتساعدنى تشاركنى فيما يكون قال نعم فجاءت ظبية فوقعت فى الاحبولة فسبقنى اليها فحلها ثم مسح وجهها وقبلها وأطلقها وأنشد

أيا شبه ليلى لا تراعى فاننى * لك اليوم من وحشية لصديق

أقول وقد أطلقتها من وثاقها * فأنت لليلى ما حييت طليق

فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك دقيق

ودخلت عزة على أم البنين بنت عبد العزيز فقالت لها ما الحق الذى مطلته كثيرا اذ قال

قضى كل ذى حق فوفى حقوقه * وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت وعدته قبلة فقالت نجزيها وعلى اثمها وفى روايه ان الحكايه مع سكينة بنت الحسين وفى الذيل من رواية الفارسى * قضى كل ذى دين فوفى ديونه * وفى أخرى غريمه ولابيت حكايه من عجيب الاتفاق هى أن كثيرا كان له غلام يتجر على العرب فأعطى النساء الى أجل فلما اقتضى ماله منهن ماطلته عزة فقال لها يوما وقد حضرت فى نساء أما آن ان تفى بما عندك فقالت كرامة لم يبق الا الوفاء فقال صدق مولاى حيث يقول قضى كل ذى دين وأنشد البيت فقلن له أتدرى من غريمتك فقال لا فقلن هى والله عزة فقال أشهد كن

من حسن الصورة لا اصالة ومنها ان يوسف عليه الصلاة والسلام اجتمع له حسن الصورة وحسن السيرة ثم انه بسبب حسن الصورة وقع فى أنواع من البلايا منها ان أباه كان يحبه أزيد من اخوته بدليل قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا فلهذا قصدوا قتله بدليل حكايته عنهم اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ومنها انه وقع بسبب الحسن فى أسر الرق ومراودة امرأة العزيز وادخاله السجن بسبب ذلك فلما علم الملك بعد ذلك حسن سيرته اصطفاه لنفسه وقال له انك اليوم لدينا مكين أمين ولم يقل صبيح مليح فدل ذلك على أن حسن السيرة أفضل من حسن الصورة ومعلوم أن حسن الصورة لا يبقى الا أياما قلائل واما حسن السيرة فانه لا يزول أثره ولا تبطل نتيجته (قلت) وممن حصل له الاذى بسبب حسن صورته نصر بن حجاج وذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر ليلا فسمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فاشربها

أم هل سبيل الى نصر بن حجاج

فدعا نصر بن حجاج وهو من بنى سليم فرآه أحسن الناس وجها وله شعر حسن فحلق شعره فكان أحسن منه بشعر فقال لا تساكنى فى بلد فتشفع نصر اليه أن لا يخرجه من المدينة فلم يقبل عمر رضى الله عنه فلما ودعه نصر قال له يا أمير المؤمنين لقد سمتنى قتل نفسى فقال عمر كيف ذلك فقال قال الله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم فقرن هذا بهذا فقال عمر ما جنيت لكن أقول ما قال شعيب عليه السلام ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله وانه أضعفت الثواب انصر عطاءك ليكون ذلك عوضا له (أقول) ذكرت بجملته

على اتهاني حل ما عندها ومضى فاخبر مولاه بالحكاية فقال له وأبيك ما عندك الا ما رأيت في روضة الدولتين لابي شامة ان النبي وهبه كثير ألف دينار وأنشد حين اعتق الغلام

سيملك في الدنيا تشفيق عليكم * اذا غاله من حادث الدهر غائله
يود بأن يمسي سقيما لعلها * اذا سمعت عنها بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف في طلب العلا * لتحمد يوما عند عز شمائله

ودخلت عزة على عبد الملك فقال لها أترويين قول كثير

لقد زعمت اني تغيرت بعدها * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير
تغير جسمي والخليقة كالتي * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت لا أدري هذا ولكن أروي قوله

كأني أنادي صخرة حين اعرضت * من الصم لو تمشي بها العصم زلت
صفوحا فما تلقاك الا بخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

فضحك من ذلك وقيل أنه سألها عن قول قضى كل ذي دين وهذان البيتان من قصيدة طويلة رواها في الذيل عن ابن دريد عن عمه عن حماد عن كثير وقال انها من عجائب شعره وهي

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا * قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
وما كنت ادري قبل عزة ما البكا * ولا موجعات الحزن حتى تولت

وفي رواية ولا موجعات القلب البيت

فقد حلفت جهدا بما نحرت له * قريش غداة المازمين وصلت
أناديك ما حج الحجيج وكبرت * بفيفا غزال رفقة وأهلت
وكانت لقطع الحبل بيني وبينها * كناذرة نذرا فأوفت وحلت
فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت
ولم يلق انسان من الحب ميعة * تعم ولا غماء الا تجلت

كأني أنادي البيتين

أباحت حمى لم يرعها الناس قبلها * وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت
فليت قلوصي عند عزة قيدت * بحبل ضعيف حزمنها فضلت
وغودر في الحي المقيمين رحلها * وكان لها باغ سواي فدلت
وكنت كذي رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت
وكنت كذات الظلع لما تحاملت * على ظلعها بعد العثار استقلت
أريد الثواء عندها وأظنها * اذا ما أطلنا عندها المكث ملت
فما أنصفت أما النساء فبغضت * الي واما بالنوال فضنت
يكلفها الخنزير شتمي وما بها * هواني ولكن للمليك استذلت
هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من اعراضنا ما استحلت

ومن أول القصيدة الى قوله فما انصفت لزوم ما لا يلزم ولم يخالفه الا في البيت المذكور والبيتين الذين بعده وحكايتها ان كثيرا سافر مع جماعة الى مكة فاتفق ان خرجت عزة وزوجها في ذلك السير فلما كان في أثناء الطريق مرت بجمل له فسلمت على الجمل فبلغ كثيرا ذلك فجاء الى الجمل فحله وأطلقه من الحمل وأنشد

بالصبر فكان أحسن منه بشعر قول بعضهم في ذلك حلقوا رأسه ليزداد قبحا * غيرة منهم عليه وشحا كان صبحا عليه ليل بهيم * فمحوا ليله وأبقوه صبحا

وما أحسن قول السراج الوراق

مليح قلندري
عشقت من ريقته قرقفا
وماله اذ ذاك من شارب
قلندر يا حلقوا حاجبا
منه كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد في عدله
فاختار أن يبقى بلا حاجب

(وقال) ابن سنا الملك

حكيت بجسمي نحولا
فهل تعشقت حسنك
وكان جفنك مضني
فصرت كلك جفنك
وزادك السقم حسنا
والله انك انك

(فصل) قد تقدم ذكر ما يستحسن من المرأة فلنذكر ههنا ما قالته الشعراء في تشبيه الاعضاء بالحروف لانهم أكثروا من ذلك فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالميم والصاد والثنايا بالسين والطرة المضفورة بالشين ومن أحسن ما قيل في ذلك قول محاسن الشواء

أرسل فرعا ولوى هاجري
صدغا فأعيا بهما واصفه
فخلت ذا من خلقه حية
تسعى وهذا عقربا واقفه
ذي ألف ليست لوصل وذي
واو ولكن ليست العاطفه

(وقول الآخر)

ياسين طرتها وصاد عيونها
اني أعوذهما بسورة طه

(وقول ابن مطروح)

قالت لنا الف العذار بخده
في ميم مبسمه شفاء الصادي

(وقول ابن نباتة)

صنم الجمال تعبد من عينها * والنون حاجبها [illegible]

حييتك عزة بعد الهجر وانصرفت * فحى ويحك من حياك ياجمل
ليت التحية كانت لى فارددها * مكان ياجمل حييت يارجل

زاد أبو على بيتا بين هذين وهو

لو كنت حييتها مازلت ذا مقة * عندى ولا مسك الادلاج والعمل

ثم اتفق ان زوجها أمرها ليلة ان تقتبس نارا وقال فى ان النزهة تستعطى سمنا فلقيها كثير فاخبرته بحاجتها فاخرج اداوة سمن وجعل يسكب فى اناء عزة وهما يتحادثان فلم يشعرا حتى غرقت ارجلهما فلما رجعت انكر زوجها كثرة السمن واقسم عليها فاخبرته فحلف ليضربنها أو لتخرجن فتشتم كثيرا بحيث يسمعها ففعلت فانشد يكافيها الخبر البيتين وفى منازل الاحباب انها وقفت عليه وهو يبرى سهاما فجعل يبرى ساعده فدخلت عليه فسحت الدم بثوبها وأن زوجها لم ينكر الا وجود الدم وقيل له أنت أشعر ام جميل فقال كيف يكون أشعر منى وهو القائل

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى * وفى الغر من أنيابها بالقوادح

وأنا القائل هنيئا مريئا البيت وليس فيما ذكر دليل على انه أشعر منه وانما يدل ذلك على أن كثيرا أرق قلبا وأشفق على محبوبته وأشد عشقا فلو سيق الكلام لذلك لكان ألصق بالمعنى وأولى وتمام القصيدة

ووالله ماقاربت الا تباعدت * بصرم ولا أكثرت الا أقلت
فان تكن العتبى فأهلا ومرحبا * وحقت لها العتبى لدينا وقلت
وان تكن الأخرى فان وراءنا * مناويح لو سارت بها العيس كلت
فلا يبعدن وصل لعزة أصبحت * بعاقبة أسبابه قد تولت
خليلى ان الحاجبية طلحت * قلوصيكما اذناقتى قد أكلت
أسيئى بنا أو احسنى لاملومة * لدينا ولا مقلية أن تقلت
ولكن أنيلى واذكرى من مودة * بنا خلة كانت لديك فضلت
وانى وأن صدت لمثن وصادق * عليها بما كانت لدينا أدلت
فما أنا بالداعى لعزة بالجوى * ولا شامت ان نعل عزة زلت
فلا يحسب الواشون أن صبابتى * بعزة كانت غمرة فتجلت
وأصبحت قد ابليت من دنف بها * ولا بعدها من خلة حيث خلت
ومامر من يوم على كيومها * وان عظمت أيام أخرى وجلت
وأضحت بأعلى شاهق من فؤاده * فلا القلب يسلاها ولا العين ملت
فيا عجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس اذ وطنتها كيف زلت
وانى وتهيامى بعزة بعدما * تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجى ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقيم اضمحلت
كأنى واياها سحابة ممحل * رجاها فلما جاوزته استهلت

وخرج يوما من عند عبد الملك فاعترضته عجوز معها نار فى روثة فقالت من أنت فقال صاحب عزة فقالت أنت القائل

وماروضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

وجهك المشرق نور انم
بحروف قد ورت من قدرة
ماجرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها
طرفك الفتان والميم الفم

وقال شهاب الدين أحمد بن الخيمى

ان صدغ الحبيب والفم والعا
رض منه واو وصاد ولام
هى وصل بين المحاسن لما
تم حسنا وبالعذار التمام
غير أنى أراه وصل وداع
فيه يقضى افتراقنا والسلام

(وقلت أنا)

تحيبت تعالى قده حين سمته

وقال قوامى رمحه مايقوم

وخط عذارى أعجم الخال لامه

ولم أدر أن اللام فى الخط يعجم

(وقلت أيضا)

يرنو الى بعين نون حاجبها

كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان

(وقلت أيضا) فى عكس هذا المعنى وهو تشبيه الحروف بالاعضاء فى تقريظ قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن

فكم ألف بها أمسى
رشيق القامة النضره
وكم شين بحاشية الـكتاب تخالها طره
وعين أصبحت فى العين مثل العين والنقره

(وقلت أيضا) فى تقريظ كتاب ورد على من بعض الاحباب من رسالة افتتحها بقصيدة منها

وفيت النوم بعدك ياعلى
فلا تعجب لدمعى ان توالا
ووافانى كتاب منك طال
حكت الفاته السمر الطوالا

كم شاهدت من خط ولـكن * مثالك ما رأيت له مثيلا لئن أمسيت به الفات قطع * فكم وصل بضمن الوصالا

وكم ألف به للوصل لاحت * كغصن البان لينا واعتدالا ٤٣ تعانق لامها طورا بينا * وآونة تعانقها...

باطيب من اردان عزة موهنا * اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

قال نعم قالت ويحك اذا أوقد المندل الرطب على هذه الروثة أو بخرت به أمك العجوز الشنباء كانت كذلك فهلا قلت كما قال امرؤ القيس بن حجر الكندى

ألم تريانى كلما جئت زائرا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فناولها مطرف خز ا كان معه وقال أستري على ذلك وهذه الحكاية نقلها قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان فى تاريخه ثم قال ان بعض مشايخ الادب قال ليس على كثير شئ فان قوله اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها نعت للروضة المذكورة انتهى وهذا جيد لولم يطلب كثير من العجوز الستر فانه عرفنا بذلك انه ما أراد الا المعنى المعترض فيكون هذا تصحيف الابيات قصده وتوفى كثير سنة خمس ومائة فى اليوم الذى مات فيه عكرمة مولى ابن عباس ودفن فى مقابر المدينة وله فى عزة أشعار كثيرة من محاسنها قوله

يقولون سوداء العيون مريضة * فاقبلت من أهلى اليها أعودها

فوالله ما أدرى اذا أنا جئتها * أأبرئها من دائها أم أزيدها

اذا جئتها وسط النساء منحتها * صدودا كأن النفس ليس تريدها

ولى نظرة بعد الصدود من الجوى * كنظرة ثكلى قد أصيب وحيدها

وقيل ان هذه الابيات لذى الرمة لانه بعد ما ذكر يقول

وكنت اذا ما جئت ميا أزورها * أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

ومنها وقد سأل عبد العزيز ان يرشده الى قبر عزة فلما وقف عليه أنشد

وقفت على ربع لعزة ناقتى * وفى البرو شاش من الدمع يسفح

فياعز أنت البدر قد حال دونه * رجيع تراب والصفيح المضرح

وقد كنت أبكى فراقك خيفة * فهذا لعمرى اليوم أنأى وأنزح

فهلا فداك الموت من ان تزينه * بمن هو أسوأ منك حالا وأقبح

ألا لا أرى بعد ابنة النضر لذة * لشئ ولا ملجا لمن يتملح

فلا زال رمس ضم عزة سائلا * به نعمة من رحمة الله تسفح

فان التى أحببت قد حال دونها * طوال الليالى والضريح الموجح

أرب بعينى البكا كل ليلة * فقد كان مجرى الدمع عينى يقرح

اذا لم يكن ما تسفح العين لى دما * وشر البكاء المستعار المسيح

ومنها ألا حييا ليلى أجد رحيلى * وآن أصحابى غدا بقفولى

تبدت له ليلى لتذهب عقله * وشاقتك أم الصلت بعد ذهول

أريد لانسى ذكرها فكأنما * تمثل لى ليلى بكل سبيل

اذا ذكرت ليلى تغشتك عبرة * تعل بها العينان بعد نهول

ومنها حلفت برب الراقصات الى منى * خلال الملا يمددن كل جديل

يمين امرئ مستغلظ من الية * يكذب قيلا قد ألح بقيل

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بليلى ولا أرسلتهم برسول

فان جاءك الواشون عنى بكذبة * فروها ولم يأتوا لها بحويل

طلعت اللام فيه عذار خد
وخلت النقط فوق الخد خالا

وأمسى طالع الطاآت فيه
تعلم لينه الغصن اعتدالا

(وقال القاضى الفاضل) من رسالة كتب بها الى موفق الدين خالد القيروانى وقد وقف له على رسالة كتبها بالذهب جامعها فن ألفات ألفت الهمزات غصونها حمائم ومن لامات بعدها يحسدها المحب على عناق قدودها النواعم ومن صادات نقعت غلة القلوب الصوادى والعيون الحوائم ومن واوات ذكرتما فى وجنة الاصداغ من العطفات ومن ميمات دنت الاهوا من ثغرها لتنال جنى الرشفات ومن سينات كأنها الثنايا فى تلك الثغور ومن دالات دالات على الطاعة لكانها بانحناء الظهور ومن جيمات كالمناسر تصيد القلوب التى تحقق لروعات الاستحسان كالطيور وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وخالد فيها خالد وتحيته فيها الحامد ويده تضرب فى ذهب ذائب والناس تضرب فى حديد بارد

*(الباب الثانى فى ذكر المحبين الظرفاء من الملوك والخلفاء)

أقول هذا باب عقدناه لذكر أحسن الملوك طباعا وأطولهم باعا وأطيبهم عيشا وأكثرهم طيشا وأرقهم شعرا وأدقهم فكرا وأقربهم مرجوعا وأكثرهم بالحبيب ولوعا انهم فى الحقيقة أولى الناس بذلك وأحقهم باللوم على تلك الارائك وذلك بحسب ما سولت لهم نفوسهم وزينته لهم جليسهم كما قيل

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

فمنهم من فتنه محبوبه بالنظر حتى مات كمدا وحكى مثل نور الدين الشهيد ... بوستان ...

فلا تعجلي ياليل ان تفهمي * بنصح أتى الواشون أم بحبول

ومنها

تذكرت أترابا لعزة كالمهى * حبين بلفظ ناعم وقبول
وكنت اذا لاقيتهن كأنني * مخالطة عقلي سلاف شمول

ومنها

كفى حزنا للعين ان رد طرفها * لعزة عير آذنت برحيل
وقالوا نأت فاختر من الصبر والبكى * فقلت البكى أشفى اذن لغليل
توليت محزونا وقلت لصاحبي * أقاتلتي ليلى بغير قتيل
لعزة اذ ما حل بالخيف أهلها * فاوحش منها الخيف بعد حلول
وبدل منها بعد طول اقامة * تبغث نكباء العشي جفول
لقد أكثر الواشون فينا وفيكم * ومال بنا الواشون كل مميل
ومازلت من ليلى لدن طر شاربي * الى اليوم كالمقصى بكل سبيل

ومنها

لاتغدرن بوصل عزة بعدما * أخذت عليك مواثقا وعهودا
ان المحب اذا أحب حبيبه * صدق الصفاء وانجز الموعودا
الله يعلم لو أردت زيادة * في حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة خاشعين سجودا
والميت ينشر ان تمس عظامه * مسا ويخلد ان يراك خلودا

وهذا الشعر رواه الحافظ مغلطاي كما هو عن جميل وقد رأيته في النزهة منسوبا اليه وبعد ما ذكر بيتا استشهد به على مجيء التوكيد بالحرف قال وكثيرا ما نقله النحاة هكذا

لالا أبوح بحب بثنة انها * أخذت على مواثقا وعهودا

قال القالي هو لكثير وذكر بثنة سبق قلم والاصل عزة وان الشعراء كثيرا ما يعدلون عن اسم من يريدون الاملاء يدون تورية وغيره وسيأتي لذلك ايضاح

ومنها

تفرق أنواع الحجيج على منى * وفرقهم شعب النوى بين أربع
فلم أر دارا مثلها دار غبطة * وملقى اذا التف الحجيج لمجمع
أقل مقيما راضيا بمقامه * وأكثر جارا ظاعنا لم يودع
فشاقوك لما وجهوا كل وجهة * سراعا وأخلوا عن منازل بلقع
فريقان منهم سالك بطن نخلة * وآخر منهم سالك خبت يفرع

(أخبار قيس ولبنى)

هو قيس بن ذريح بن سنة وفي رواية ابن الحباب يتصل نسبه ببكر بن عبد مناة عذري وهو من خزاعة واسم أبيه علي أو هو جده وكان ينزل بظاهر المدينة وهو رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب وسبب علاقته بلبنى بنت الحباب الكعبية انه ذهب لبعض حاجاته فر بني كعب وقد احتدم الحر فاستسقى الماء من خيمة منهم فبرزت اليه امرأة مديدة القامة بهية الطلعة عذبة الكلام سهلة المنطق فناولته اداوة ماء فلما أصدر قالت له ألا تبرد عندنا وقد تمكنت من فؤاده فقال نعم فمهدت له وطاء واستحضرت ما يحتاج اليه وان أباها جاء فلما وجده رحب به ونحر له جزورا وأقام عندهم بياض اليوم ثم انصرف وهو أشغف الناس بها فجعل يكتم ذلك الى ان غلب عليه فنطق فيها بالأشعار وشاع ذلك عنه وانه مر بها ثانيا فنزل عندهم وشكا

خليع العذار واحتج بقول الشاعر في
[illegible]

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء
فجمع ما بين ذات العقود وابنة العنقود
لكن مع صيانة ورجوع الى ديانة فهو
ان طال به المجلس اختصر وان جنى
فيه على محبوبه اعتذر كما قيل
ان أكن قد جنيت في السكر ذنبا
فاعف عني يا راحة الارواح
أي عقل يبقى هناك لمثلي
بين سكر الهوى وسكر الراح
ومنهم من نال بالراح اللذة المحظورة وأخرج
بها وجنة الحبيب من صورة الى صورة
فجارى النديم في الجري بالوسما الى
الحبيب سمو حباب الماء حالا على حال
فأفضى به ذلك الى هلكه وفساد ملكه
كما اتفق للامين بن الرشيد وغيره قال
الربيع قعد الامين يوما للناس وعليه
طيلسان أزرق وتحته لبد أبيض فوقع
في شماله فقضة فوالله لقد أصاب
وما أخطأ وأسرع فما أبطأ ثم قال يا ربيع
أتراني لا أحسن التدبير والسياسة
ولكن وجدت في شم الآس وشرب
الكاس والاستلقاء من غير نعاس
أشهى الي من مقابلة الناس وكذلك
خلع قبله الوليد بن يزيد وبعده المتوكل
وغيرهم من الخلفاء والامراء عن آثر
راحة النفس على طلب السياسة والذي
أوردها ما لاق ما ذهبوا اليه بالصريح
[illegible] التجميع علي وجمليع كما قيل
[illegible] حسبي ما لي
تفارقنا علي وجمليع
(وما أحسن قول أبي الفتح البستي)*
[illegible]
[illegible]

فحبوبهم من الملوك فاضبع مع كونهما لكاله كالملوك وهم في ذلك لشدة الباس

اليها حتى تخايلها مازل به من حبها فوجد عندها أضعاف ذلك فانصرف وقد علم كل واحد ما عند الآخر فمضى الى أبيه فشكا اليه ذلك فقال له دع هذه وتزوج احدى بنات عمك فنم منه وجاء الى أمه فكان منها ما كان من أبيه فتركهما وجاء الى الحسين بن على وأخبره بالقصة فرثى له والتزم له أن يكفيه هذا الشأن فمضى معه الى أبي لبنى فسأله في ذلك فاجابه بالطاعة وقال يا ابن رسول الله لو أرسلت لكفيت بيد أن هذا من أبيه أليق كما هو عند العرب فشكره ومضى الى أبي قيس ونقل السيوطى في شرح الشواهد عن ابن عساكر ان الحسين ابن على لما بلغه انقباض أبي قيس عن ذلك جاء اليه حافيا على حر الرمل فقام ومرغ وجهه على أقدامه وكان ذريح مليا فمضى مع الحسين حتى زوج قيسا بلبنى ونقل الجلال السيوطى ان الحسين أدى المهر من عنده ولما تزوجها أقام مدة مديدة على أرفع ما يكون من أحسن الاحوال ومراتب الاقبال وفنون المحبة وان قيسا كان على أبلغ ما يكون من أنواع البر بامه فشغله الانهماك مع لبنى عن بعض ذلك فحسدت لابيه التفريق بينهما فقالت له وما لو زوجته بمن تحمل لتجيء بولد كان أبقى لنسبك وأحفظ لبيتك ومالك وانهما عرضا على قيس ذلك فامتنع امتناعا يؤذن باستحالة ذلك وقال لا أسيبها قط وأقام يدافعهما عشر سنين الى ان أقسم أبوه أوهى أمه لا يكنه سقف أو يطلق قيس لبنى فكان اذا اشتد الهجير يجيئه فيظله بردائه ويصطلى هو حتى يجيء الفيء فيدخل الى لبنى فيتعانقان ويتباكيان وهى تقول له لا تفعل فتهلك الى ان قدر أن طلقها فلما أزمعت الرحيل بعد العدة جاء وقد فوض فسطاطها فسأل الجارية عن أمرهم فقالت سل لبنى فأتى اليها فمنعه أهلها وأخبروه انها غداة غد ترحل الى أهلها فسقط مغشيا عليه فلما أفاق أنشد

وانى لمفن دمع عينى بالبكى * حذار الذى قد كان أو هو كائن

وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة * فراق حبيب لم يبن وهو بائن

وما كنت أخشى ان تكون منيتى * بكفيك الا ان ما حان حائن

وقال أيضا

يقولون لبنى فتنة كنت قبلها * بخير فلا تندم عليها وطلق

فطاوعت أعدائى وعاصيت ناصحى * وأقررت عين الشامت المتملق

وددت وبيت الله انى عصيتهم * وحملت فى رضوانها كل موثق

وكلفت خوض البحر والبحر زاخر * أبيت على أثباج موج مغرق

كأنى أرى الناس المحبين بعدها * عصارة ماء الحنظل المتفلق

فتنكر عينى بعدها كل منظر * ويكره سمعى بعدها كل منطق

وسقط غراب بحيث ينظره فنعق حين رحيلها فأنشد

لقد نادى الغراب ببين لبنى * فطار القلب من حذر الغراب

وقال غدا تباعد دار لبنى * وتنأى بعد ود واقتراب

فقلت تعست ويحك من غراب * وكان الدهر سعيك فى تباب

وتبعها حين ارتحلت ينظر اليها فلما غابت رجع فجعل يقبل أثر بعيرها فليم على ذلك فأنشد

وما أحببت أرضكم ولكن * أقبل أثر من وطئ الترابا

لقد لاقيت من كلف بلبنى * بلاء ما أسيغ له الشرابا

اذا نادى المنادى باسم لبنى * عييت فلا أطيق له جوابا

على خلاف ما عليه الناس وقلت لا العشق وأهله طبقات فمنهم من لا يطيب له العشق الا بالذل وهذا هو الغالب على العشاق الصادقين فى المحبة كما قال الشيخ شرف الدين بن الفارض

ولو عز فيها الحب ما لذ الهوى

ولم يك لولا الذل فى الحب عزتى

وكما قيل

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة

فكم عزة قد نالها المرء بالذل

ومنهم من يرى توحيد المحبوب وعدم الشريك كما قيل

ليس فى القلب كله موضع لحبيبين

ولا أحدث الامور اثنان

فكما العقل واحد ليس يدرى

خالقا غير واحد رحمن

فكذا القلب واحد ليس يهوى

غير فرد مباعد أو مدان

وكذا الدين واحد مستقيم

وكفور من عنده دينان

هو فى شرعة المودة ذو شر

ك بعيد من صحة الايمان

فمن كان على خلاف هذا ممن يرى الشريك فى المحبة كالرشيد وغيره كما يأتى بيانه فى بابه لم يكن محبا حقيقة وهذا الغالب على الملوك لكثرة ما لديهم واختلاف الشكل عليهم كما قيل

تنقل فلذات الهوى فى التنقل

ورد كل صاف لا تقف عند منهل

فالملوك ليسوا كغيرهم لقدرتهم على جلب من يحبونه بالنقود النضة والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ثم قد يعشق الملك العظيم فلا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه وانما أكثر ما يظهر من أمر الملوك أن يضعوا محبوبهم فى مقام مالكهم وحسبما الكوك [illegible] الحكم بن هشام ملك الاندلس

[illegible] ما بعد فيه طاحبه علو كا * وقد كان قبل ذاك مليكا تركتها ثم النعيم بها * [illegible]

يجعل الخد واضعا فوق ترب * للذي يجعل الحرير أريكا هكذا يحسن التذلل بالحر * اذا كان في الهوى مملوكا

ولما أجنه الليل أوى الى مضجعه فلم يطق قرارا فجعل يتململ و يتمرغ في موضعه و يقول

بنو الهم بالبيني ضجيعي * وجرت مذ نأيت عني دموعي
وتنفست اذ ذكرتك حتى * زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي
بالبيني فدتك نفسي وأهلي * هل لدهر مضى لنا من رجوع

وقال أيضا قد قلت للقلب لا لبناك فاعترف * قضت لبانة ما قضيت فانصرف

قد كنت أحلف جهدي لا أفارقها * أف لكثرة زيف القيل والحلف
حتى تكنفني الواشون فافتلتت * لا تأمنن أبدا من غش مكتنف
هيهات هيهات قد أمست مجاورة * أهل العقيق وأمسينا على سرف
حي يمانون والبطحاء منزلها * هذا لعمرك شكل غير مؤتلف

وأرسلت اليه يوما أمه بنات يعرضن لبنى عنده و يلهينه بالتعرض الى وصلهن فأنشد

يقر لعيني قربها و يزيدني * بها عجبا من كان عندي يعيبها
وكم قائل قد قال تب فعصيته * وتلك لعمري توبة لا أتوبها
فيا نفس صبرا لست والله فاعلمي * بأول نفس غاب عنها حبيبها

فلم يتصرفن ودمن على ما كن فيه فنادى يالبنى فقلن مالك قال خدرت رجلي وكان من المعلوم عند العرب انه اذا خدرت رجل الرجل وذكر لها أحب الناس اليها سكنت ثم قال

اذا خدرت رجلي تذكرت من لها * فناديت لبنى باسمها ودعوت
دعوت التي لو ان نفسي تطيعني * لفارقتها في حبها فقضيت
برت نبلها للصيد لبنى عشية * وريشت باخرى مثلها وبريت
فلما رمتني أقصدتني بنبلها * وأخطأتها بالسهم حين رميت
وفارقت لبنى ضلة فكأنني * قرنت الى العيوق ثم هويت
فيا ليت اني مت قبل فراقها * وهل يرجعن قول المفرط ليت
فوطن لنفس منك هلكا فانني * كأنك بي قد يا ذريح قضيت

ورأيت الابيات في كتاب لا أعرف جامعه وفيها يقول

فيا ليت اني مت قبل فراقها * وهل ينفعن بعد التفرق ليت
فان يك تهيامي بلبنى غواية * فقد يا ذريح بن الحباب غويت

فوطن البيت ولما اشتد شوقه وزاد غرامه أفضى به الحال الى مرض ألزمه الوساد واختلال العقل واشتغال البال فلام الناس أباه على سوء فعله فجزع وندم وجعل يتلطف به فأرسل له طبيبا وقينات يسألون عن حاله و يلهونه فلما أطالوا عليه أنشد

عند قيس من حب لبنى ولبنى * داء قيس والحب صعب شديد
فاذا عادني العوائد يوما * قالت العين لا أرى من أريد
ليت لبنى تعودني ثم أقضي * انها لا تعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضمن منها * داء خبل فالقلب منه عميد

فقال له الطبيب مذ كم هذه العلة بك ومذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت فقال

تعلق روحي روحها قبل خلقنا * ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كما زدنا وأصبح ناميا * وليس اذا متنا بمنفصم العقد

وقال الرشيد وقد عشق ثلاث جوار

ملك الثلاث الآنسات عناني
وحللن من قلبي بكل مكان
ما لي تطاوعني البرية كلها
وأطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك الا أن سلطان الهوى
وبه قوين أعز من سلطاني

(وقال) المستعين بالله بن الحكم الاموي أحد خلفاء المغرب وأجاد

عجبا يهاب الليث حد سناني
وأهاب لحظ فواتر الاجفان
وأقارع الاهوال لا متهيبا
منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدما
زهر الوجوه نواعم الابدان
حاكمت فيهن السلو الى الصبا
فقضى بسلطان على سلطان
فأبحن من قلبي الحمى وتركنني
في عز ملكي كالاسير العاني
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى
ذل الهوى عز وملك ثاني
ما ضر أني عبدهن صبابة
وبنو الزمان وهن من عبداني

(قلت) وكم مثله من ملك قاهر وسلطان قادر تذل لهيبته الاملاك وتذعن لسطوته الفتاك هدم الهوى أركانه وأذل عزه وسلطانه فقصر جفنه في الليالي الطوال وأوقعه مع عقله الحسن في أسر الاعتقال فقال

أما يكفيك انك تملكيني
وان الناس كلهم عبيدي
وانك لو قطعت يدي ورجلي
لقلت من الرضا أحسنت زيدي

وقيل هما للرشيد وقيل هما للمأمون وقيل هما للمهدي (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان) كان السلطان أبو عبد الله محمد بن السلطان الغالب بالله أحد ملوك الاندلس جميلا حسن السياسة متظاهرا بالدين رأيته مرارا ولكنه

ولكنه باق على كل حادث * و زائرتي في ظلمة القبر واللحد

وقال انما يسليك عنها تذكر مافيها من المساوي والمعايب وما تعافه النفس فقال:

اذا عبتها شبهتها البدر طالعا * وحسبك من عيب لها شبه البدر

لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما * على ألف شهر فضلت ليلة القدر

اذا ما مشت شبرا من الارض أرجفت * من البهر حتى ما تزيد على شبر

لها كفل يرتج منها اذا مشت * ومتن كغصن البان منضمر الخصر

وان أباه دخل وهو يخاطب الطبيب بذلك فجعل يؤنبه ويلومه فلما لم يفد ذلك عرض عليه التزويج فأنشد

لقد خفت ان لا تقنع النفس بعدها * بشئ من الدنيا وان كان مقنعا

وازجرعنها النفس ان حيل دونها * وتأبى اليها النفس الا تطلعا

فلما أيس منه استشار قومه في دائه فاتفقت آراؤهم على ان يأمروه بتصفح احياء العرب فلعل ان تقع عينه على امرأة تستميل عقله فاقسموا عليه ان يفعل ففعل وانه اتفق ان نزل بحي من فزارة فرأى جارية قدحسرت عن وجهها برقع خز وهي كالبدر حسنا وبهجة فسأل عن اسمها فقالت لبنى فسقط مغشيا عليه فارتاعت منه ونضحت وجهه بالماء وقالت ان لم تكن قيسا فمجنون فلما أفاق استنسبته فاذا هو قيس فأقسمت عليه ان ينال من طعامها فتناول قليلا وركب فجاء أخوها على أثره فاعلمته القصة فركب حتى استرده وأقسم عليه ان يقيم عنده شهرا فقال لقد شققت علي وأجاب فكان الفزاري يتعجب به ويعرض عليه الصهارة حتى لامته العرب وقالوا نخشى ان يصير فعلك سنة فيقول دعوني ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام وقيس يقول له ان فيكم الكفاية ولكني في شغل لا ينتفع بي معه فألح عليه حتى عقد له على أخته ودخل بها فاقام معها أياما لا تهش نفسه اليها ولا يكلمها ثم استأذن في الخروج الى أهله فأذنوا له فخرج الى المدينة وكان له بها صديق فأعلمه ان لبنى قد بلغها تزويجه فعمت لذلك وقالت انه لغدار واني طالما خطبت فأبيت والآن أجيب هذا وان أبا لبنى قد اشتكى قيسا الى معاوية وانه يشبب بابنته فكتب الى مروان بهدر دمه وأمره ان يروج ابنته بخالد بن خلدة الغطفاني وهو كندي حليف قريش فجعل النساء ليلة زفافها يغنينها

لبيني زوجها أصبح * لاحر بواديه له فضل على الناس * وقد باتت تناجيه

وقيس ميت حقا * صريع في بواكيه فلا يبعده الله * وبعدا للنواعيه

ولما بلغ ذلك قيسا اشتد به الغرام فركب حتى أتى محلة قومها فقالت له النساء ما تصنع هنا وقد رحلت مع زوجها فلم يلتفت حتى أتى موضع خبائها فتمرغ به وأنشد

الى الله أشكو فقد لبنى كما شكا * الى الله بعد الوالدين يتيم

يتيم جفاه الاقربون بجسمه * نحيل وعهد الوالدين قديم

(وأنشد حين بلغه هدر دمه)

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها * مقالة واش أو وعيد أمير

فلن يمنعوا عيني من دائم البكا * ولم يذهبوا ما قد أجن ضميري

الى الله أشكو ما ألاقي من الهوى * ومن كرب تعتادني وزفير

فاما بذل وهو أليق بالهوى
واما بعز وهو أليق بالملك

(وقال الملك الامجد)

من مثلي في عصري * بستاني في قصري
معشوقي مملوكي * غني لي من شعري

(وقال الملك الظاهر) في مملوكه إيبك الجامدار

أنا المالك مملوك ظبي أغيد
ومن العجائب مالك مملوك
وأنا الفتى واني من وصله
بين البرية معدم صعلوك
ولكم سفكت دما بسيفي عنوة
ودمي بسيف لحاظه مسفوك

(وقال الملك الاشرف في مملوكه) وكان خازنداره دو بيت

أفدى قمرا تحار فيه الصفة
يسخو بدمي وهو أمين ثقة
ماذا عجبا يحفظ مالي ويرى
روحي تلفت به ولا يلتفت

وبقية ماله من المقاطيع ذكرتها في الباب الاول من نقل الكرام في مدح المقام وذكرت فيه أيضا حكاية محبوبه ابن مملوكه وما بان فيها عنه من حسن السيرة وهي من أغرب ما يحكى عن الملوك وقال الملك تميم

بالله جدلي بوعد صدق
وخل هذا الدلال عنكا
ولا تدعني أطل أشكو
مثل محبا ليس يشكا

(وحكى) عن المأمون انه غضب على جاريته عريب المغنية وكان كلفا بها فأعرض عنها واعرضت عنه ثم أسلمه الغرام وأقلقه الشوق حتى ارسل اليها يطلب مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت اليه وكلمها فلم ترد عليه فأنشأ يقول

تكلم ليس يوجعك الكلام

ومن حرق الحب في باطن الحشا * وليل طويل الحزن غير قصير
سأبكي على نفسي بعين غزيرة * بكاء حزين في الوثاق أسير
وكنا جميعا قبل أن يظهر النوى * بأنعم حالي غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا * بطون الهوى مقلوبة بظهور
لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا * ولكنما الدنيا متاع غرور

(وقال أيضا) وان تك لبنى قد أتى دون قربها * حجاب منيع ما اليه سبيل
فان نسيم الجو يجمع بيننا * ونبصر قرن الشمس حين تزول
وأرواحنا بالليل في الحين تلتقي * ونعلم أنا بالنهار نقيل
وتجمعنا الارض القرار وفوقنا * سماء نرى فيها النجوم تجول
الى أن يعود الدهر سلما وتنقضي * ترات نراها عندنا وذحول

وحجت لبنى في تلك السنة فاتفق خروجه أيضا فتلاقيا فأهبت وأرسلت اليه مع امرأة تستخبر عن حاله وتسلم عليه فأعاد السلام والسؤال وأنشد

اذا طلعت شمس النهار فسلمي * فاني بسليني عليك طلوعها
بعشر تحيات اذا الشمس أشرقت * وعشر اذا اصفرت وحان رجوعها
ولو أبلغتها جارة قولي اسلمي * طوت حزنا وارفض منها دموعها

وحين انقضى الحج مرض مرضا أنهكه فأكثر الناس من عيادته فجعل يتفكر لبنى وعدم رؤيتها فأنشد

ألبنى لقد جلت عليك مصيبتي * غداة غداة اذ حل ما أتوقع
تمنينني نيلا وتلوينني به * فنفسي شوقا كل يوم تقطع
ألومك في شأني وأنت مليمة * لعمري واجفى للمحب وأقطع
وأخبرت اني فيك مت بحسرة * فما فاض من عينيك للوجد مدمع
اذا أنت لم تبكي على جنازة * لديك فلا تبكي غدا حين أرفع

فحين بلغتها الابيات جزعت جزعا شديدا وخرجت اليه مخفية على ميعاد فاعتذرت عن الانقطاع وأعلمته انها انما تترك زيارته خوفا عليه أن يهلك والا فعندها ما عنده ولكنها جلدة (وفي منازل الاحباب) يرفعه الى ابن عباس قال مررت بربع عفا رسمه واذا بشخص فسلمت عليه فلم يرد فمضيت واذا هو يناديني فرجعت فرد علي السلام واعتذر ثم ذكر انه تعتريه غيبة العقل أطوارا فهذا دمعه بسفح كالغيث فقلت له من أنت قال قيس بن ذريح وأنشد

أمانيه لبنى ولم يقطع المدى * بوصل ولا هجر فييأس طامع
أبى الله أن يلقى الرشاد متيم * ألا كل شئ حم لا شك واقع
هما برحا بي معولين كلاهما * فؤاد وعين ماقها الدهر دامع
اذا نحن أنفدنا البكاء عشية * فموعدنا قرن من الشمس طالع

قال الحافظ مغلطاي وأخبرت لبنى بمرضه في حبها فقالت دفعا للوهم مم يتمارض فبلغته القصة فأنشد

تكذبني بالود لبنى وليتها * تكلف مني مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت انني * لكم والهدايا المشعرات صديق
تتوق اليك النفس ثم أردها * حياء ومثلي بالحياء حقيق

المتقدمة وتمام حكايتها ذكرتها في الباب الثاني من السكردان وهي حكاية مليحة جدا ورأى المأمون أيضا يوما غلاما مليحا لاحمد بن يوسف فقال ما اسمك قال فتح فقال المأمون

يا فتح يا فاتح البلوائي
ويا عليما بطول شكوائي
الحمد لله لا شريك له
مولاك عبدي وأنت مولائي

فبلغ ذلك أحمد فوهبه الغلام قلت فكان كما قيل

كل ما يصلح للمو * لى على العبد حرام

وقعد والده الرشيد يوما عند زبيدة وعندها جواريها فنظر الى جارية واقفة على رأسها فأشار اليها أن تقبله فاعتلت بشفتيها فدعا بدواة وقرطاس فرقع فيه

قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه

ثم ناولها القرطاس فرقعت فيه

فأرحته كأني * حتى وثبت عليه

فلما قرأها كتبت استوهبها من زبيدة فوهبتها له فخلى بها وأقام معها أسبوعا يجري مكاتبهما فكتبت اليه زبيدة

وعاشق صب بمعشوقه
كأنما قلباهما قلب
روحاهما روح ونفساهما
نفس كذا فليكن الحب

(وحدث) أبو جعفر قال بينما محمد بن زبيدة يطوف في قصر له اذ مر بجارية له سكرى وعليها مطرف خز وهي تسحب أذيالها من التيه فراودها عن نفسها فقالت يا أمير المؤمنين انك قد هجرتني مدة ولم يكن عندي علم واتاك فانظرني الليلة حتى أتهيأ للقياك وآتيك في غد فلما أصبح انتظرها فلم تجئ فقام ودخل عليها وسألها انجاز الوعد فقالت يا أمير المؤمنين أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار فضحك وخرج من مجلسه فقال من بالباب من الشعراء فقيل

اذود

انودسوام النفس عنك وماله * على أحد الاعليك طريق
شهدت على نفسي بانك غادة * رداح وان الوجه منك عتيق
وانك لاتجزين مني صحابة * ولا أنا للهجران منك أطيق
وانك قسمت الفؤاد فنصفه * رهين ونصف في الحبال وثيق
كأن الهوى بين الحيازيم والحشا * وبين التراق واللهاة حريق
فان كنت لما تعلمي العلم فاسألي * وبعض لبعض في الفعال يفوق
سلي هل قلاني من خليل صحبته * وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق
وهل يجتوي القوم الكرام صحابتي * اذا اغبر مخشي العجاج عميق
وأكتم أسرار الهوى فأميتها * اذا باح مزاح بهن بروق
هل الصبر الاأن أصد فلا أرى * بأرضك الا أن يكون طريق

وروى ان قيسا انتقى ناقة من ابله وقصد المدينة ليبيعها فاشتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه ثم قال له ائتني غدا في دار كثير بن الصلت أقبضك الثمن فجاء وطرق الباب فادخله وقد صنع له طعاما وقام لبعض حاجاته فقالت المرأة لخادمتها سليه مابال وجهه متغيرا شاحبا فتنفس الصعداء ثم قال هكذا حال من فارق الاحبة فقالت استخبره عن قصته واستخبرته فشرع يحكي أمره فرفعت الحجاب وقالت حسبك قد عرفنا حالك فبهت حين عرفها لاينطق ساعة ثم خرج لوجهه فاعترضه الرجل وقال مابالك عد لتقبض مالك وان شئت زدناك فلم يكلمه ومضى فدخل الرجل فقالت له ماهذا الذي فعلت انه لقيس فحلف انه لايعرفه وأنشد قيس معاتبا لنفسه

أتبكي على لبنى وأنت تركتها * وكنت عليها بالملا أنت أقدر
فان تكن الدنيا بلبنى تقلبت * فللدهر والدنيا بطون وأظهر
كأني في أرجوحة بين أحبل * اذا فكرة منها على القلب تخطر

وقيل انه حين جاء ليقبض ثمن المطية رأى لبنى فعاد مبهوتا فسأله الرجل فقال له لاتركب لي مطيتين فقال أنت قيس قال نعم قال ارجع لنخبرها فان اختارتك طلقتها وظن الرجل انها تبغض قيسا فخيرها فاختارت قيسا فطلقها لوقته (وحكى) ان سبب طلاقها ان قيسا قصد ابن أبي عتيق وكان أكثر أهل زمانه مروأة في ذلك فجاء الى الحسن والحسين وأعلمهما ان له حاجة عند زوج لبنى وطلب ان ينجداه عليه فضيا معه حتى اجتمعوا به وكلموه في ذلك فقال سلوا ماشئتم فقال له ابن أبي عتيق أهلا كان أو مالا قال نعم فقال أريد ان تطلق لبنى ولك ماشئت عندي فقال أشهدكم انها طالق ثلاثا فاستحيوا منه وعوضه الحسن مائة ألف درهم وقال له لو علمت الحاجة ماجئت وروى ان لبنى عاتبت قيسا على تزويج الفزارية خلف لما ان عينيه لم تكتحل برؤيتها ولم يكلمها لفظة واحدة وانه لو رآها لم يعرفها وأخبرته لبنى انها كارهة زوجها وأعلمته انها لم تتزوجه رغبة فيه بل شفقة على قيس حين أهدر دمه ليخلي عنها فطلقها حين علم مابينهما وأرسل أخو الفزارية الى قيس حين أبطأ عنه يسأله الرجوع فأعاد الرسول بالخيار في أمر أخته فاختار الرجل عدم الفرقة وقصد قيس معاوية مدحه فرق له وكان ذلك قبل طلاق لبنى فقال له ان شئت كتبت الى زوجها بطلاقها فقال لا ولكن ائذن لي ان أكون ببلدها ففعل فنزل قيس حين زال هدر دمه بجنبها

الليل يمحوه النهار فأنشأ الرقاشي يقول
متى تصحو وقلبك مستطار
وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما
فتاة لاتزور ولا تزار
اذا استنجزت منها الوعد قالت
كلام الليل يمحوه النهار

(وقال مصعب)

أتعذلني وقلبي مستطار
كئيب لايقر له قرار
بحب مليحة صادت فؤادي
بالحاظ يخالطها احورار
ولما ان مددت يدي اليها
لألمسها بدا منها نفار
فقلت لها عديني منك وعدا
فقالت في غد منك المزار
فلما جئت مقتضيا أجابت
كلام الليل يمحوه النهار

(وقال أبو نواس)

وخود أقبلت في القصر سكرى
ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الرداء عن منكبيها
من التخميش وانحل الازار
وهز الريح أردافا ثقالا
وغصنا فيه رمان صغار
هممت بها وكان الليل سترا
فقام لها على المعنى اعتذار
وقالت في غد فمضيت حتى
أتى الوقت الذي فيه المزار
وقلت الوعد سيدتي فقالت
كلام الليل يمحوه النهار

فقال له ويلك أكنت مطلعا علينا أو ثالثنا في القصر فقال لا والله ياأمير المؤمنين ولكن نظرت اليك فعرفت ما في نفسك وعبرت عما في ضميرك فأمر له بأربعة آلاف درهم ولصاحبيه

مثلها وذكرت هنا ماقلته في ابن نهار
أقول لموعدي زوروا بليل * بدا كالبدر فيه ثم غابا

كلام الليل يا ابن نهار زبد ۞ اذا طلعت عليه الشمس ذابا (وقاث) أبيت ريان الجفون من الكرى ۞

وتظافرت مدائحه فيها حتى غنى بها معبد والغريض واضرابهما ففرق الناس له هذا ولما طلقت نقلت الى العدة بأمر ابن أبي عتيق فمن ذاهب الى انها أكملت عدتها وتزوجها وأقاما الى الموت بدليل مدحه لابن أبي عتيق حيث قال

جزى الرحمن أفضل ما يجازى ۞ على الاحسان خيرا من صديق
فقد جربت اخوانى جميعا ۞ فما ألفيت كابن أبي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع ۞ ورأى حدت فيه عن الطريق
وأطفأ لوعة كانت بقلبي ۞ أغصتني حرارتها بريقي

ومن ذاهب وهم الاكثر الى انها ماتت في العدة وان مدحه لابن أبي عتيق حين لم يشك في عودها اليه وقد نهاه عن مدحه وقال له من سمع بهذا يعدني قوادا والقائلون بموت لبنى في العدة أجمعوا ان قيسا خرج حين بلغه ذلك حتى وقف على قبرها وأنشد

ماتت لبينى فموتها موتى ۞ هل ينفعن حسرة على الفوت
انى سأبكى بكاء مكتئب ۞ قضى حياة وجدا على ميت

ثم بكى حتى أغمى عليه فحمل ومات بعد ثلاث ودفن الى جانبها وكان ذلك في سنة وله أشعار كثيرة منها ما حكاه الشهاب في منازل الاحباب عن أبي العباس على تردد في انه لابن الدمينة

وفي عروة العذري ان مت أسوة ۞ وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند
وبي مثل ما قد نابه غير انني ۞ الى أجل لم يأتني وقته بعد
وفيض دموع العين بالليل كلما ۞ بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

ومنها
لقد عنيتني يا حب لبنى ۞ فقع اما بموت أو حياة
فان الموت أيسر من حياة ۞ منغصة لها طعم الشتات
وقال الآمرون تعز عنها ۞ فقلت ولا اذا حانت وفاتى

(ومنها)
فما وجدت وجدي بها أم واحد ۞ ولا وجد النهدي وجدي على هند
ولا وجد العذري عروة في الهوى ۞ كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

(ومنها)
لو ان امرأ أخفى الهوى عن ضميره ۞ لمت ولم يعلم بذاك ضمير
ولكن سألقى الله والنفس لم تبح ۞ بسرك والمستخبرون كثير

(ومنها)
عفا سرف من أهله فسوارع ۞ فجنبا أريك فالبلاد الدواقع
فكة فالاخياف أخياف طيبة ۞ بها من لبينى مخرف فمرابع
لعل لبينى ان يحم لقاؤها ۞ ببعض بلادي ان ما حم واقع
بجذع من الوادي خلاء أنيسه ۞ عفا وتخطته العيون الجوازع
ولما بدا منها الفراق كما بدا ۞ بظهر الصفا الصلد الشقوق الشوائع
تمنيت ان تلقى لبيناك والمنى ۞ تعاصيك أحيانا وحينا تطاوع
وما من حبيب وامق لحبيبه ۞ ولا ذي هوى الا له الدهر فاجع
وطار غراب البين وانشقت العصا ۞ ببين كما شق الاديم الصوانع
ألا يا غراب البين قد طرت بالذي ۞ أحاذر من لبنى فهل أنت واقع
وانك لو أبلغتها قيلي أسلمي ۞ طوت حزنا وارفض منها المدامع
أتبكي على لبنى وأنت تركتها ۞ وكنت كآت غيه وهو طائع

وأبيت أسهر فيك مع سمرى
وتلوم ان أصبحت في يوم الجفا
مجنون ليلى فيك يا ابن نهار

(حكى) انه كان للمتوكل غلام اسمه شفيع وكان من أحسن الفتيان فكان المتوكل يجن به جنونا فأحب يوما أن ينادم حسين بن الضحاك وأن يرى ما بقى من شهوته وكان قد أسن فأحضره فسقاه حتى سكر وقال لشفيع اسقه فسقاه وحياه بوردة وكانت على شفيع ثياب موردة فمد حسين يده الى ذراع شفيع فقال المتوكل أتجمش أخص خدمي بحضرتي فكيف لو خلوت به ما أحوجك الى الادب وكان المتوكل قد غمز شفيعا على العبث به فدعا بدواة فكتب

وكالوردة الحمراء حيا بزهرة
من الورد يمشي في قراطق كالورد
تمنيت أن أسقى بعينيه شربة
تذكرني ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلة
خليا ولكن من حبيب على وعد

ثم دفعها الشفيع فاعطاها للمتوكل فاستملحها وقال أحسنت يا حسين ولو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك ولكن بحياتي يا شفيع الا كنت ساقيه بقية يومنا وأمر له بمال كثير وكان شفيع مذكورا يكتب على طراز قبائه الايمن

بدر على غصن نضير
شرق الترائب بالعبير

ويكتب على الطراز الايسر

خطت صحيفة وجهه
في صفحة القمر المنير

(ومن غريب) ما يحكى ان يزيد بن عبد الملك بن مروان كان صبا بحبابة بجاريته فخلا يوما في لهوه معها وقال لاكذبن قول من قال ان الدهر لا يصفو لاحد يوما وأحضر حاجبه وقال له

فلا تبكين في أثر شيء ندامة * اذا نزعته عن يديك النوازع
فليس لأمر حاول الله جمعه * مشت ولا ما فرق الله جامع
كأنك لم تقنع اذا لم تلاقها * وان تلقها فالقلب راض وقانع
فيا قلب خبرني اذا شطت النوى * بلبنى وصدت عنك ما أنت صانع
أتصبر للبين المشت مع الجوى * أم أنت امرؤ ناسي الحياء فجازع
فما أنا ان بانت سليمى بهاجع * اذا ما استقلت بالنيام المضاجع
وكيف ينام المرء مستشعر الجوى * ضجيع الاسى فيه نكاس روادع
فلا خير في الدنيا اذا لم تزورنا * لبينى ولم يجمع لنا الشمل جامع
أليست لبينى تحت سقف يكنها * واياي هذا ان نأت لي نافع
ويلبسنا الليل البهيم اذا دجا * ونبصر ضوء الصبح والفجر ساطع
تطا تحت رجليها بساطا وبعضه * أطاه برجلي ليس يطوى به مانع
وافرح أن تمسي بخير وان يكن * بها الحدث العادي ترعني الروائع
كأنك بدع لم تر الناس قبلها * ولم يطلعنك الدهر فيمن يطالع
وقد كنت أبكي والنوى لا أظنه * بنا وبكم لم ندر ما البين صانع
وأهجركم هجر البغيض وحبكم * على كبدي منه كلوم صوادع
فوا كبدي من شدة الشوق والاسى * ووا كبدي اني الى الله راجع
وأعجل للاشفاق حتى يشفني * مخافة شحط الدار والشمل جامع
وأحمد للارض التي من ورائكم * لترجعني يوما اليك الرواجع
فيا قلب صبرا واعترافا لما ترى * ويا حبها قع بالذي أنت واقع
لعمري لمن أمسى وأنت ضجيعه * من الناس ما اختيرت اليه المضاجع
ألا تلك لبنى قد تراخى مزارها * وللبين غم ما يزال ينازع
اذا لم يكن الا الجوى فكفى به * جوى حرق قد ضمنتها الاضالع
أبائنة لبنى ولم تقطع المدى * بوصل ولا صرم فييأس طامع
نهاري نهار الوالهين صبابة * وليلي تنبو فيه عني المضاجع
وقد كنت قبل اليوم حلوا وانما * تقسم بين الهالكين المصارع

وهذان البيتان في غير رواية أبي علي

ولولا رجاء القلب ان يعطف النوى * لما حملته بينهن الاضالع
له وجبات اثر لبنى كأنها * شقائق برق في السحاب لوامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لي الليل هزتني اليك المضاجع
أقضي نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني بالليل والهم جامع
اذا نحن أنفدنا البكاء عشية * فموعدنا قرن من الشمس طالع
وللحب آيات تبين للفتى * شحوب وتبرى من يديه الاشاجع
وما كل ما منتك نفسك خاليا * تلاقي ولا كل الذي أنت تابع
تداعت له الاحزان من كل وجهة * فحن كما حن الطيور السواجع
وجانب قرب الناس يخلو بهمه * وعاوده فيها هيام مراجع

لاتأذن لاحد يدخل على ولا تعلمني بخبر ولو كان فيه ذهاب ملكي مدة هذا اليوم وأقام معها في أتم حال فتناولت رمانة فشرقت فماتت لوقتها فعرض له عليها طرف من الوله فحال بينه وبين الصبر ومنع من دفنها حتى سأله جماعة من بني أمية في دفنها ولاطفوه في ذلك فأمر بدفنها وقال

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وقيل انه لم يقم بعدها الا سبعة أيام ومات أسفا عليها ومثل فعله هذا في عدم دفنه لمحبوبته ما حكيته في نقل الكرام في مدح المقام في الباب الرابع عن السلطان جلال الدين خوارزم شاه لما مات مملوكه قلج منع من دفنه فكان يحمل معه في محفة وكلما حضر بين يديه طعام قال احملوا هذا الى قلج فقال له بعض الامراء أيها الملك قد مات قلج فضرب عنقه فلا حول ولا قوة الا بالله وتمام حكايته ذكرتها في الكتاب المذكور

(الباب الثالث في ذكر من عشق على السماع ووقع من النزوع الى الحبيب في النزاع)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من عشق قبل أن يرى فتم عليه ما تم لما جرى من دمعه ما جرى فأصبح لا يقر له قرار بعد ان كان قرير العين وشهد على عينيه بما لم تريا فكان لكن كاف ان يعتقد بين شعرتين كم ليلة رقص فيها على السماع وجمعة سهر من لياليها مثنى وثلاث ورباع فهو أعلى طبقة ممن عشق باللمس أو غيرها من بقية الحواس الخمس والظاهر ان ذلك لمشاكلة بينه وبين المحبوب في نفس الامر أو تعارف سابق في عالم الذر كما قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس وأحسن في الاقتباس

عجيبة ما عرفت الدهر سلوتها * تسري الى النفس أو تجري مع النفس
وما لها آخر لكن أولها * تعارف سابق في حضرة القدس

أراك اجتنبت الحى من غير بغضة * ولو شئت تجنع اليك الاصابع
كأن بلاد الله مالم تكن بها * وأن كان فيها الناس قفر بلاقع
ألا انما أبكى لما هو واقع * وهل جزع من وشك بينك نافع
أحال على الدهر من كل جانب * ودامت ولم تقلع على الفجائع
فمن كان محزونا غدا لفراقنا * مذا الآن فليبك لما هو واقع

وقد انتهت أخباره كما وجدت وكأنى بغبى يعترض على نقلى له من مراتب من حظى بالتلاق الى مراتب من مات دونه من العشاق ولم يدر أن الحيثيات توجب بالتأمل الصائب والفهم الذكى الثاقب مالم يدركه الغافل الغبى اما تقدم هذه الاربعة فقد علم وأما ذكر هذا هنا فقد قال فى النزهة والبدور السافرة وطوالع الازهار وغالب شراح ديوان الاستاذ ومن بحث عن أحوال العشاق انه رأس أهل الهوى ولكن وقوعه فى فرقة المحبوب أوقعه فى هذه المرتبة وقال المتكلمون على الديوان المذكور ان سلطان العشاق وأستاذ العارفين على الاطلاق قد أشار الى تفضيله على الكل حيث شبه غرامه بغرامه حسن لبنى ببهجة الحضرة الممدوحة حيث قال

بفرط غرامى ذكر قيس بوجده * وبهجتها لبنى أمت وأمت

لا يقال قد أفرد غيره بالذكر أيضا لان أساليب دقائق كلامه وأفانين مطاوى نظامه تجل عن أن تنال الابشق الانفس والله يؤتى فضله من يشاء فان قوله فان كنت ليلى ان قاى عامر ونحوه ليس تمويها بعظم الشأن كما فى البيت السابق اه قلت وقد يقال لا تفضيل لقيس فى البيت على غيره فيجاب بأن قوله رضى الله عنه

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى أو كثير عزة

صريح فى جعله فى مقابلة المجموع حيث ذكرهم بالحرف الدال على الانتقال عن الاروع ومثل بالامثل وذلك يقتضى التفضيل على الجميع وحكمة ذلك والله أعلم كونه قد عرف لذة الوصل والتلاق ثم رمى بغصة البعد والفراق وذلك عند العقلاء أبلغ وأعظم وأرفع فى مقاساة الغرام وأفخم وفيه تلميح بما ذكر فى التفضيل بين البشر والملائكة

(أخبار المجنون وصاحبته ليلى)

قد اختلف فى اسمه هل هو عامر أو مهدى أو الاقرع أو معاذ أو قيس ابنه أو ابن الملوح أو البحترى بن الجعد والصحيح الاول الاشارة عارف الوقت فى البيت السابق وفى نسبه عامرى أو كلابى أو جعدى أو قشيرى أو المجانين متعددة أو هما اثنان فى بنى عامر أو لم يكن أحد وانما امرؤ تعشق واستكبر عن أن يصرح باسمه واسم محبوبته فوه بالمجنون وليلى والصحيح انه من بنى عامر وهو عامر بن ملوح بن مزاحم يتصل نسبه عند صاحب الاغانى الى كعب بن ربيعة بن صعصعة كان مديد القامة جعد الشعر أبيض اللون ولم ينله الهزال والجنون وتغير اللون الا من العشق وصاحبته هى ليلى بنت مهدى بن سعد تتصل بنسبه فى كعب بن ربيعة وكنيتها أم مالك وهذا أخذ من قوله ذلك فى شعره كثير انحو قوله

تكاد بلاد الله يا أم مالك * بما رحبت يوما على تضيق

وهذا كاستدلالهم بأن اسم أبيه ملوح بن مزاحم وانه مات قبل اختلاط عقله فعقر عليه ناقة بقوله عقرت على قبر الملوح ناقتى * بذى السرح لما أن جفاه أقاربه
وقلت لها كونى عقيرا فاننى * غداة غد ماش وبالامس راكبه

ومن مجال الكرى فى الاعين النعس قولى للمشاكلة بينه وبين المحبوب الى آخره فيه اشارة الى انك لا تجد اثنين يتحابان الا وبينهما مشاكلة وا تفاق فى بعض الصفات لا بد من هذا ولهذا اغتم أبقراط حين وصف له رجل من أهل النقص انه يحبه فقال ما أحبنى الا وقد وافقته فى بعض أخلاقه ويؤيد هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم وقد سأل عائشة رضى الله تعالى عنها عن امرأة كانت تدخل على نساء قريش فتضحكهن قدمت المدينة فنزلت على امرأة تضحك الناس بها فقال على من نزلت فلانة فقالت على فلانة المضحكة فقال الحمد لله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وأنشد طرقة

تعارف أرواح الرجال اذا التقوا
فمنهم عدو يتقى وخليل

وقال أبو الهذيل العلاف لا يجوز فى دور الفلك ولا فى تركيب الطبيعة ولا فى القياس ولا فى الحس ولا فى الممكن ولا فى الواجب أن يكون محب ليس لمحبوبه اليه ميل والظاهر ان هذا السر الذى ذكرناه من وجود ما بينهما من المشاكلة فان قلت فقد رأينا من أحب من لا يحبه ولا يلتفت اليه قلت ذكر عن ذلك أجوبة أحسنها أن يقال المحبة على قسمين القسم الاول محبة غرضية فهذه لا يجب الاشتراك فيها بل يقابلها مقت المحبوب وبغضه للمحب كثيرا الا اذا كان له معه غرض نظير غرضه فانه يحبه لغرضه منه كما يكون بين الرجل والمرأة لان لكل منهما غرضا مع صاحبه والقسم الثانى محبة روحانية سببها المشاكلة والاتفاق بين الروحين فهذه لا تكون الا من الجانبين ولا بد فلو فتش المحب محبة صادقة قلب محبوبه لوجد عنده من محبته نظير

فلا يبعدنك الله يا ابن مزاحم * فكل امرئ للموت لابد شاربه

وروى باسقاط هاء السكت وحذف البيت الاخير وذكروا ان سبب عشقه لليلى انه مر يوما على ناقة له وعليه حلتان من حلل الملوك بامرأة من قومه وعندها نسوة يتحدثن فاعجبهن فاستنزلنه للمنادمة فنزل وعقر لهن ناقته وأقام معهن بياض اليوم فاقبل فتى اسمه منازل يسوق غنما فانصرفن اليه وتركن المجنون فقام مغضبا وأنشد

أأعقر من جرا كرائم ناقتي * ووصلي مقرون بوصل منازل

اذا جاء قعقعن الحلي ولم أكن * اذا جئت أخفوا صوت تلك الخلاخل

فقوله من جرا كرائم يعني من أجلها وكرائم اسم المرأة التي كن عندها وروى ووصلي مفضول أي دون وصل منازل وهو أليق بالمقام وفي النزهة

اذا جاء قعقعن الحلي ولم يكن * اذا جئت بل أخفين صوت الخلاخل

يقول قد أظهرن صوت الحلي حين جاء منازل وهذه كناية عن قيامهن له ولم يكن ذلك عند مجيئي وهذا هو اللائق ولم يؤخذ من البيت السابق وقيل تداعيا المناضلة أو الصراع فقال له المجنون قم الى حيث يرينك ولا تراهن فافعل ما تقول وأنشد في ذلك

اذا ما انتضلنا في الخلاء نضلته * وان يرم رشقا عندها فهو ناضلي

فعلى هذا يكون ضمير عندها عائدا على النسوة وهذا دليل على شدة استحيائه فانه يقول له مادمت تنظر اليهن فانك تشجع فتغلبني وهذا على حد قوله

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي * فانت بمرأى من سعاد ومسمع

يقول جدى في السجع فان سعاد تنظرك وتسمعك قلت هذا مانقل في الاصل عن ابن الكلبي ولا دليل فيه على تعلقه بليلى وانما الدليل فيما رواه صاحب نزهة المشتاق قال لما دعته النسوة الى النزول نزل وجعل يحادثهن ويقلب طرفه حتى وقعت عينه على ليلى فلم يصرف عنها طرفا وشاغلته فلم يشتغل ثم قال لها هل عندكن ما تاكلن قالت لا فعمد الى الناقة فنحرها وقطعها وجاءته لتمسك معه اللحم فجعل يحز بالمدية في كفه وهو شاخص فيها حتى اعرق كفه فجذبتها من يده ولم يدر ثم قال لها ألا تاكلين الشواء فقالت نعم فطرح من اللحم شيأ على الغضى وأقبل يحادثها فقالت له انظر الى اللحم هل استوى أم لا فمد يده الى الجمر وجعل يقلب بها اللحم فاحترقت ولم يشعر فلما علمت ما داخله صرفته عن ذلك ثم شدت يده بهدب قناعها ثم ذهب وقد تحكم عشقها من قلبه وقيل انها بعد هذا المجلس استدعته للمحادثة وقد داخلها الحب فقالت له هل لك في محادثة من لا يصرفه عنك صارف فقال ومن لي بذلك ثم نزل وعقر ناقته كما مر وانها كانت مغرمة بأحاديث الناس والاشعار وكان هو أروى الناس لذلك فكانت تستدعيه لتسمع منه وكان يجيبها الى ذلك فتداخلت بينهما المحبة وفي نديم المسامرة انهما انتشآ صغيرين برعيان الغنم بدليل قوله

تعلقت ليلى وهي ذات تمائم * ولم يبد للاتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم ياليت أننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

فتحابا وانها حجبت عنه فداخله جنون وعلى كل الطرق لما عرف كل منهما ما عند الآخر وتمكنت المحبة منهما جعل يأتيها نهارا قبل الحجب ويذهب ليلا وفي ذلك يقول

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا * لي الليل هزتني اليك المضاجع

الثلاثة هي أصل ينبوع المحبة اذ لا يخلو حب أحد من أن يستند الى شيء منها وقد قيل

ثلاث محبات فحب علاقة

وحب تملاق وحب هو القتل

وأحوال الناس تختلف في ذلك (فمنهم) من يحب بمجرد الوصف دون المعاينة فيفني بما وصف له محبة ومارآه ولكن وصفه له واصف كما قيل

فانني ان أرى الديار بطرفي

فلعلي أرى الديار بسمعي

أخذه القاضي الفاضل فقال

عللوني عن الشآم بذكرى

ان قلبي عليه بالاشواق

مثلته الذكرى لسمعي كأني

أتمشى هناك بالاحداق

وقال بعض الحكماء ان الله عز وجل جعل القلب أمير الجسد وملك الاعضاء فجميع الجوارح تنقاد له وكل الحواس تطيعه وهو مدبرها وبارادته تنبعث ووزيره العقل وعاضده الفهم ورائده العينان وطليعته الاذنان وهما في باب النقل سيان لا يكتمانه شيأ ولا يطويان عنه سرا يعني العين والاذن وقيل لافلاطون أيهما أشد ضررا السمع أم البصر فقال هما للقلب كالجناحين للطائر لا ينهض الا بهما ولا يستقل الا بقوتهما وبما قص أحدهما اقتحامل بالآخر على تعب ومشقة قيل فما بال الاعمى يحب ومارأى والاصم يحب ومارسمع فقال له لذلك قلت ان الطائر قد ينهض باحدى جناحيه ولا يستقل طيرانا فاذا اجتمعا كان ذهابه أمضى وطيرانه أقوى وكان يقال الحب أوله السماع ثم النظر كما أن أول الحريق الدخان ثم الشرر (حكي) عن أبي تمام انه سمع جارية تغني بالفارسية فشجاه صوتها فقال ولم أفهم معانيها ولكن * شجت قلبي فلم أجهل شجاها

اقضى نهاري بالحديث وبالمنى * ويجمعني بالليل والهم جامع

قلت وقد تقدم ان البيتين لقيس بن ذريح وصرح فى نزهة العشاق بذلك وقال ان المجنون كان يتمثل بهما وهذا هو الصحيح فانهما كانا متعاصرين حتى نقل فى الاغانى ان قيسا مر بالمجنون وهو فى مبادى مخالطة العقل والانفراد وكان كل منهما يشتهى لقاء صاحبه فسلم عليه فلم يرد فعرفه بنفسه فقام اليه واعتنقه وتباكيا واشتكى كل الى الآخر ما عنده فقال المجنون لقيس ان حى ليلى قريب فهل لك ان تبلغها سلامى فمضى حتى وقف بها ونسب نفسه فتعارفا وبلغها فاخبرته ان وجدها به أعظم ولكن قالت أنا عاتبة عليه حيث يقول

أتت ليلة بالغيل يا أم مالك * لكم خير حب صادق ليس يكذب

ألا انما أبقيت يا أم مالك * صدى أينما تذهب به الريح يذهب

فأى ليلة كانت ومتى اختليت معه بالغيل أو غيره فقال لها الا تحمليه على ما تقول الناس فلم يردسوا وانصرف قيس ليخبره فلم يجده وكان المجنون عند أبيه أعظم منزلة من اخوته وكان أبوه ذا ثروة فدفع له خمسين بعيرا وراعيها فى مهر ليلى فلم يقبل أبوها مع انه دونهم لما ان العرب كانت تكره تزويج اثنين انتشرت أخبارهما بالمحبة فخيروها بينه وبين رجل اسمه ورد وهددوها على ان تختاره ففعلت كارهة وفى ذلك يقول المجنون

ألا يا ليل ان ملكت فينا * خيارك فانظرى لمن الخيار * ولا تستبدلى منا دنيا

ولا برما اذا حث القتار * يهرول فى الصغير اذا رآه * وتعجزه ملمات كبار

فمثل تأيم منه نكاح * ومثل تمول منه افتقار

وأبصر يوما فى طريقه الى زيارتها جارية عسراء فتطير وأنشد

وكيف يرجى وصل ليلى وقد جرى * بجد القوى من ليل أعسر حاسر

صريع العصا جذب الزمان اذا انتحى * لوصل امرئ لم تقض منه الاواطر

وشكا ذلك اليها فقالت لا بأس عليك والله لا اجتمعت بغيرك الا كارهة وكانت قبل هذا القول قد امتحنته لتنظر ما عنده من المحبة لها فدعت شخصا بحضرته فسارته أو صرفت وجهها عنه الى غيره ثم نظرته قد تغير حتى كاد ان يتفطر فأنشدت تقول

كلانا مظهر للناس بغضا * وكل عند صاحبه مكين

وفى رواية وكل مظهر فى الناس وبعده

واسرار الملاحظ ليس تخفى * وقد تغرى بذى اللحظ العيون

وبهذين البيتين تظافرت الروايات وجاءت فى رواية * وقد تغرى بذى اللحظ الظنون * وبعده وكيف يفوت هذا الناس شئ * وما فى الناس تظهره العيون

فسر بذلك حتى كاد أن يذهب عقله فانصرف وهو يقول

أظن هواها تاركى بمضلة * من الارض لا مال لدى ولا أهل

ولا احد أفضى اليه وصيتى * ولا صاحب الا المطية والرحل

محا حبها حب الاولى كن قبلها * وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

وفى رواية ولا وارث الا المطية والاولى أصح وانسب لان المطية لا ترث وتستصحب كما جاء فى كلام العرب ان الحمار مع الحمار مطية * واذا خلوت به فبئس الصاحب

وأصل ذلك ان الصحبة فى الاصل مجرد الاجتماع واما شدة المخالطة والمداخلة فصداقة

فلست كأنني أعمى معنى * يحب الغانيات ولا يراها

قال ابن طاهر قلت لأبي تمام أخذت هذا المعنى من أحد فقال نعم من قول بشار

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة
والاذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا لمن لا ترى تهوى فقلت لهم
الاذن كالعين توفى القلب ما كانا

قلت والظاهر أن بشارا أخذ قوله هذا من كلام الحكيم المتقدم ذكره وتبعه أبو يعقوب الخزيمى فقال

قالت وتهزأ بى غداة لقيتها
يا للرجال لصبوة العميان
فأجبتها نفسى فداؤك انما
عينى وأذنى فى الهوى سيان

(وقال بشار أيضا) الحب انما يتولد بالقلب والفكر وأنشد فى ذلك

يزهدنى فى حب عبدة معشر
قلوبهم فيها مخالفة قلبى
فقلت دعوا قلبى وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يعشق ذو اللب
وما تبصر العينان فى موضع الهوى
ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وقال الحصرى وقد صدق فيما نطق انما أحست الحواس الخمس بواسطة توسطها النفس (وقد قال الخليل بن أحمد)

ان كنت لست معى فالذكر منك معى
يرعاك قلبى وان غيبت عن بصرى
العين تبصر من تهوى وتعشقه
وناظر القلب لا يخلو من النظر

وقال مظفر بن ابراهيم الاعمى فى الاعتذار عن العشق مع العمى

قالوا عشقت وأنت أعمى
ظبيا كحيل الطرف ألمى
وحلاه ما عاينتها
فتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك فى المنا
م فما أطاف ولا ألما
من أين أرسل للفؤا * د وأنت لم تنظره سهما
ومتى رأيت جماله * حتى كساك هواه سقما

(وخرج

(وخرج يوما) فى سفر مع قوم فافضت به الطريق الى مسلكين أحدهما يمر برهط ليلى ولكنه يزيد مرحلة فتقدم الى القوم وسألهم ان يسلكوها أو يمكثوا له حتى يرجع فابوا عليه فقال أنشدكم الله لو أن شخصا تحرم بكم فضل بعيره أكنتم تستعفونه قالوا نعم فقال ان ليلى لاعظم من ذلك وأنشد

أأترك ليلى ليس بينى وبينها * سوى ليلة انى اذن لصبور
هبونى امرأ منكم أضل بعيره * له ذمة ان الذمام كبير
وللصاحب المبرور أعظم حرمة * على صاحب من أن يضل بعير
عفا الله عن ليلى الغداة فانها * اذا وليت حكما على تجور

(واستنشد شخصا) عن عروة بن حزام فاخبره بحاله وانه مات براحة فتعجب من كثرة ذكر الناس له مع حسن حاله فى العشق وأنشد

عجبت لعروة العذرى أمسى * أحاديثا لقوم بعد قوم
وعروة مات موتا مستريحا * وها أنا ذا أموت كل يوم

ولما اشتهر أمرهما فى العرب وشاع شعره فيها منعه أهلها الزيارة وكان فى حى ليلى امرأة من بنى عامر قد تزوجها رجل من قريش ومات عنها وقد ترك لها صبية فكان يأتيها المجنون يتعرف منها أخبار ليلى فبلغ أهلها ذلك فزجروا المرأة وجاء المجنون فاخبرته فانشد متمثلا بيت امرئ القيس وضم اليه ثانيا له

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب
فلا تزجرينى عنك خيفة كاشح * اذا قال شرا أو أخيف لبيب

ثم تركها وكان يأتى غفلات الحى فلما علموا بذلك شكوه الى مروان فكتب الى عامله بهدر دمه اذا وجد عند ليلى فقرؤا عليه ذلك فأنشد

لئن حجبت ليلى وآل أميرها * على يمينا جاهدا لا أزورها
وأوعدنى فيها رجال أبوهم * أبى وأبوها خشنت لى صدورها
على غير شئ غير أنى أحبها * وأن فؤادى عند ليلى سميرها

ولما يئس من زيارتها قلق لذلك قلقا أدى لزوال عقله فهام على وجهه يلعب بالتراب والعظام لا يعقل غير ذكرها وانها جزعت لذلك جزعا أدى الى سقمها فحج بها أهلها فرآها ثقفى فخطبها اليهم فاجابوا بعد ان ردوا جماعة ونمى الى المجنون ذلك فأنشد

ألا ان ليلى العامرية أصبحت * تقطع الامن ثقيف حبالها
هم حبسوها محبس البدن وابتغى * بها المال أقوام ألا قل مالها
اذا ما التفت والعيس صفر من الثرى * من العين جلى عبرة العين حالها

هذا ما تظافرت به الاخبار وفى رواية الاثالث ليلى العامرية أصبحت وفيها والعيس صفر من البكا وقد حرف هذا البيت وفى رواية الاغانى لقد حبسوها محبس البدن وفى أخرى بعده

خليلى هل من حيلة تعلمانها * فيدنى بها تكليم ليلى احتيالها
فان أنتما لم تعلماها فلستما * بأول باغ حاجة لا ينالها
كان مع الركب الذين اغتدوا بها * غمامة صيف زعزعتها شمالها
نظرت بمفضى سيل حوضين والضحى * تحت باطراف المحارم آلها

و بأى جارحة وصلت لوصفه نثرا ونظما * والعين داعية الهوى وبه تم اذا استتما فاجبت أنى موسوم

العشق انصاتا وفهما
أهوى بجارحة السما
ع ولا أرى ذات المسمى

(وقال المدنى)

أيا من لامنى فى حب
من لم يره طرفى
لقد افرطت فى وصـ
فك لى فى الحب بالضعف
فقل هل تعرف الجنـ
ـة يوما بسوى الوصف

وما أحسن قول المهذب بن الشحنة من قصيدة مدح بها مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب مطلعها

وانى امرؤ أحببتكم لمكارم
سمعت بها والاذن كالعين تعشق
وقالت لى الآمال ان كنت لاحقا
بأبناء أيوب فأنت الموفق

وقلت أنا من قصيدة أمدح بها مولانا السلطان الملك الناصر حسن وفيه زيادة حسنة مطلعها

وحيات وجهك وهو بدر مشرق
قلبى عليك كما علمت وأشفق
يا من اذا ما لاح آس عذاره
أمسى ولى بالعشق غصن مورق
ما لاح خدك بالعذار مكاتبا
الا ظننت بانه لى معتق

(ومنها)

كم ذا رقصت على السماع بذكره
والاذن قبل العين قالوا تعشق

وحاصل القضية ان من الناس من يعشق على السماع ويفنى فى محبة من لا رآه لكن وصف له ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم ان تنعت المرأة لغير زوجها حتى كأنه ينظر اليها والحديث فى الصحيح قال فى الواضح المبين ومنهم من يعشق أثرا رآه كما يحكى ان رجلا عشق أثر كف امرأة رآه فى حائط فلما أيس أهله من صلاحه تركوه حتى مات (ومنهم) من يحب فى النوم شكلا لا يعرفه فيهيم به كما قيل

بمنهلة الاجفان هيج شوقها * مجامعة الآلاف ثم رآلما
اذا التفت من خلفها وهي تعتلي * على العيس جلى عبرة العين حالما

وحين تحقق عنده تزويجها أنشد

دعوت الهي دعوة ماجهلتها * وربي بما تخفي الصدور خبير
لئن كان يهدي برد أنيابها العلا * لافقر مني انني لفقير
فقد شاعت الاخبار أن قد تزوجت * فهل يأتيني بالطلاق بشير

وجعل يمر ببيتها فلا ينظر اليه ثم أنشد

ألا أيها البيت الذي لا أزوره * وان حله شخص الي حبيب
هجرتك اشفاقا وزرتك خائفا * وفيك على الدهر منك رقيب
سأستعتب الايام فيك لعلها * بيوم سرور في الزمان تئوب
وافردت افراد الطريد باعدت * بي النفس حاجات وهن قريب
لئن حال واش دون ليلى لربما * أتى اليأس دون الامر فهو غصيب
ومنيتني حتى اذا ما رأيتني * على شرف للناظرين يريب
صددت وأشمت العدو بصرمنا * أثابك بالليلى الجزاء مثيب

والبيتان الاولان لمحمد بن أمية هذا ما نقله والصحيح ان البيت الاول للمجنون ذكر ذلك في النزهة وأقره في تسريح الناظر غير انه قال في الثاني والثالث انهما ليسا للمجنون وفيه وفي روايته هنا * بيوم سرور في الزمان تئوب * والمعنى واحد وبقي أبيات من هذه القصيدة أخرتها الان لما حكاية وحين بلغه نقلها الى الثقفي أنشد

كأن القلب ليلة قيل يغدى * بليلى العامرية أو يراح
قطاة غرها شرك فباتت * تجاذبه وقد علق الجناح
فلا في الليل نالت ما ترجي * ولا في الصبح كان لها براح

وفي تسريح الناظر عن الامالي قال اجتمع الى المجنون عزوة من قومه ممن كان ينادمه حال صحته وقد ذهب وابه حين بنى الثقفي بليلى فعزموا على أن يسافروا به متنزهين في أحياء العرب ليذهب ما به فساروا وهو معهم تعادوه الصحة دورا والجنون دورا وهم يردون كل متنزه ويعرضون عليه من بنات العرب كل من أجمع على حسنها وانهم غفلوا عنه ليلة ثم افتقدوه فرأوه قد ذهب فركب ابن عم له في طلبه فرآه عند مشرعة وبين يديه ظبية لاحراك بها وهو يمسح عنها التراب ويقبلها ويبكي هذا ما في تسريح الناظر زاد في نزهة المشتاق انه كان ينشد

أيا شبه ليلى لا تخافين انني * لك اليوم من وحشية لصديق

فقال له أذهب بنا فلم يجب فقال أذهب لتمر بليلى فقام معه فلما جاء الى أصحابه جلس متفكرا لا يخاطبهم حتى جاء الليل فلما كان السحر هبت نسمة وأبرق برق مما يلي حي ثقيف فأنشد

طربت وشاقتك الحمول الدوامع * غداة دعا بالبين أسفع نازع
شجاه نعيبا بالفراق كأنه * حريب سليب نازح الدار جازع
فقلت ألا قد بين الامر فانصرف * فقد راعنا بالبين قبلك رائع
سقيت سماما من غراب فانني * تبينت ما أخبرت اذ هو واقع
ألم تر أني لا محب ألومه * ولا يبديل بعدهم أنا قانع

ياليت شعري من كانت وكيف سرت * أطلعة الشمس كانت أم هي القمر
أظنها العقل أبداها تدبره * أو صورة الروح أبدتها الى الفكر
أو صور تمثلت في النفس من أملي * فقد تحير في ادراكها البصر
أو لم يكن كل هذا فهي حادثة * أتى بها سببا في حتفي القدر

ومنهم من يعشق باللمس قيل وهو رأس الشهوة (ومنهم) من يعشق بالشم كما قيل

والعين تعشق ما تهوى وتبصره * كذاك يعشق فيك الانف والاذن

(ومنهم) من أخبرني انه دخل الى حمام فرأى فيه شعرة طويلة سوداء لبعض النساء ولم يعلم لمن هي فأخذها وأقامت عنده زمانا واصابه من حب صاحبتها ما أشرف به على التلف كما قيل

تلفت بشعرة وسمعت غيري * يقول سلمت من تلفي بشعره

(ومنهم) من يعشق جنية رآها في نومه ووصفت نفسها له وجاءته غير مرة على زعمه كما حكى أبو الفرج الاموي ان جعفر بن أبي جعفر المنصور كان يعشق امرأة من الجن حتى كثر ولعه بذلك فصار يصرع في النوم مرات حتى مات من ذلك فحزن عليه أبو جعفر حزنا شديدا وكان جعفر خليعا ماجنا ولما نهى المنصور مطيع بن اياس عن صحبة ابنه جعفر قال وأي مستصلح فيه وأي غاية لم يبلغها في الفساد فقال ويلك وبأي شئ هذا قال يزعم انه يعشق امرأة من الجن وهو مجتهد في خطبتها ودأبه جمع أصحاب العزائم عليها وهم يعدونه ويمنونه فوالله ما فيه فضل لغير ذلك من جد ولا هزل ولا كفر ولا ايمان ومن شعره فيها

لابنة الجني في الحي طلل * دارس الآيات عاف كالخلل

قلت هذا الذي يقال في حقه المجنون فنون (ومثل هذا ما أخبرني) به صاحبنا جمال الدين بن عبد الله قال

الم

ألم تردار الحي في رونق الضحى * بحيث انحنت للهضبتين الاجارع
وقد يتناءى الالف من بعد صحبة * ويصدع ما بين الخليلين صادع
وكم من هوى أو جيرة قد ألفتهم * زمانا فلم يمنعهم البين مانع
كأني غداة البين ميت حوبة * أخوظما سدت عليه المشارع
يخلص من أوصال ماء صبابة * فلا الشرب مبذول ولا هو نافع
وبيض تطلى بالعبير كأنها * نعاج الفلا جيبت عليها البراقع
تحملن من وادي الاراك وأومضت * لهن بأطراف العيون المراتع
فجئن ربع الدار حتى تشابهت * هجائنها والجون منها الجوامع
وحتى حملنا الحور من كل جانب * وخاضت صدور الرقم منها الاكارع
فلما استوت تحت الخدور وقد جرى * عبير ومسك بالعرانين رادع
أشرن بان حثوا الجمال فقد بدا * من الصيف يوم لافح الظل مانع
فلما لحقنا بالحمول تباشرت * بنا مقصرات غاب عنها المطالع
يعرضن بالدل المليح وان يرد * خباهن مشغوف فهن موانع
فقلت لاصحابي ودمعي مسبل * وقد صدع الشمل المشتت صادع
أليلى بابواب الخدور تعرضت * لعيني أم قرن من الشمس طالع

ومرض قبل الاختلاط فقلق قلقا شديدا ودخل عليه جماعة أهله وأبوه للعيادة فسمعوه ينتحب باشد تحرق وتوجع وينشد

ألا أيها القلب الذي لج هائما * بليلى وليدا لم تقطع تمائمه
أفق قد أفاق العاشقون وقد أنى * لما بك ان تلقى طبيبا تلائمه
فمالك مسلوب العزاء كأنما * ترى نأي ليلى مغرما انت غارمه
أجدك لا ينسيك ليلى ملمة * تلم ولا ينسيك عهدا تقادمه

فاستتروا حتى أتم نشيده ودخلوا عليه فحادثوه في السلو فزاد في الهيام والماء وفي جعل يعاود موضعها ويتمرغ في التراب ويبكي الى الليل وعزم على التوحش والخروج فراجع ابن عم له في ذلك فكان يعزم عليه ان لا يفعل ويشاغله الى أن بلغه ان ليلى دخلت الى جارة لها فنضت اثوابها واغتسلت ونظرت الى نفسها وقالت ويح ابن الملوح لقد عاق بي عظيما على غير استحقاق فانشدك الله أصادق هو في وصفي أم كاذب فقالت بل صادق ثم خرجت من عندها وعادت لاخذ سواك نسيته فلما صار في يدها قالت سقى الله من أعطانيه فقالت لها جارتها ومن أعطاكيه قالت قيس فخرج هائما وأنشد

نبئت ليلى وقد كنا بنخلها * قالت سقى الله منه منزلا خربا
قالت لجارتها يوما تسائلها * لما استحمت وألقت عندها السلبا
ياحبذا راكبا كنا نهش له * يهدي لنا من أراك الموسم القضبا
ناشدتك الله الا قلت صادقة * أصادق وصفه المجنون أم كذبا

وقيل انما خرج من نظره اليها يوم رحلها زوجها أو قومها جين بلغهم زيارته لها وكان حضوره يوم رحيلها على خفية رجاء أن يسكن ما به فزاغ واختشى قومه أن يفتضح فيقتل لما تقدم من انه كان قد هدر دمه ان دخل الحي وحذر فقال الموت أولى وخرج على وجهه

الجنيات انما تصرع الرجال من الانس على العشق وطلب الفساد وكذلك رجال الجن لنساء بني آدم

* (فصل في ذكر ما ينخرط في سلك العشق على السماع والشهادة على الغائب) *

كقول ديك الجن وقيل عبد المحسن الصوري

بأبي فم شهد الضمير له
قبل المذاق بانه عذب
كشهادتي لله خالصة
قبل العيان بانه رب

(وما أحسن قول الآخر)

أهيم الى العذب من ريقه
كما هيم العاشقين العذيب
شهدت عليه وما ذقته
يقينا ولكن من الغيب غيب

(وقال بشار بن برد)

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر
الا شهادة أطراف المساويك

(وقال المتوكل الليثي)

كأن مدامة صهباء صرفا
ترقرق بين راووق ودن
تعل به الثنايا من سليمى
فراسة مقلتي وصحيح ظني

(وقال امرؤ القيس)

وثغر لها طيب واضح
لذيذ المقبل والمبتسم
وما ذقته غير ظني به
وبالظن يقضي على ما اكتتم

(وقال ابن حمديس الصقلي)

وما ذقت فاها ولكنني
نقلت شهادة عود الاراك

(وقال البهاء زهير)

فتنت به حلوا مليحا فذ ثنوا
يا عجب شئ كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندي بطيبه

وعن المزلى عن رجل من بنى عامر أو هو رباح بن سعد بن اثالة قال خرجت أثر سماء أربعنا
بها وأحيت الارض بعد الجدب فبينا أنا بوادى القرى أو الغيل اذ لاح لى شخص الى جانب
حجر يبكى فقصدته وسلمت عليه واذا هو المجنون فقلت ما يبكيك فقال هذا السيل ثم
تنفس الصعداء ثم أنشد الابيات التى وعدنا بها وهى تمام القصيدة التى أولها الا أيها البيت
وقيل انه أنشد القصيدة كاملة فى هذا الوقت وفى النزهة ان خالد بن كلثوم ضم هذه الى تلك
من عند نفسه والا فالمجنون لم ينشدها الا متفرقة وهى

جرى السيل فاستبكانى السيل اذ جرى * وفاضت له من مقلتى غروب
وماذاك الا حين ايقنت انه * يكون بوادانت منه قريب
يكون أجاجا دونكم فاذا انتهى * اليكم تلقى طيبكم فيطيب
فيا ساكنى أكناف نخلة كلكم * الى القلب من أجل الحبيب حبيب
أظل غريب الدار فى أرض عامر * الى كل مهجور هناك غريب
وأن الكثيب الفرد من أيمن الحمى * الى وان لم آته لحبيب *
ولا خير فى الدنيا اذا أنت لم تزر * حبيبا ولم يطرق اليك حبيب

وقيل ان آخر مجلس للمجنون من ليلى انه لما اختلف عقله وفرق ماعليه وتوحش جاءت
أمه اليها فاخبرتها بذلك وسألتها ان تزوره فعساها ان تخفف ما به فقالت اما نهارا فتعذر
خيفة أهلى وسآتيه ليلا فلما أمكنتها الفرصة أتته وهو مطرق يهذى فسلمت عليه ثم
قالت له أخبرت انك من أجلى جننت وقد * فارقت أهلك لم تعقل ولم تفق
فرفع رأسه اليها وأنشد

قالت جننت على رأسى فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع الانسان فى الحين

زاد عليهما فى نديم المسامرة

لو تعلمين اذا ما غبت ما سقمى * وكيف تسهر عينى لم تلومينى

ثم فارقته فهام من ثم مع الوحش وقيل سئل عن سبب خروجه فقال لقيتها يوما فشكيت
اليها ما نزل بى من حبها وقلت ان لم ترحمينى ذهب عقلى فقالت هو المطلوب ففهمت مرادها
وقيل كان فى يمانه مقاصة لقوله

قضاها لغيرى وابتلانى بحبها * فهلا بشئ غير ليلى ابتلانيا

ثم ان الاسانيد الصحيحة والآثار المتظافرة دلت على انها كانت من الغرام به والميل اليه
أيضا بمنزلة عظيمة حكى رباح بن عامر وكان من الحريشيين قال دخلت من نجد اريد الشام
فاصابنى مطر عظيم فقصدت خيمة رفعت لى فاذا بامرأة فسألتها التظليل فاشارت الى ناحية
فدخلت وقد أقبل رعاة وابل وغنم كثيرة ثم قالت للعبيد سلوه من أين الرجل فقلت من نجد
فتنفست الصعداء ثم قالت نزلت بمن فيها فقلت ببنى الحريش وفى رواية ببنى جعدة
فرفعت ستارة كانت بيننا واذا بامرأة كأنها القمر ثم قالت أتعرف رجلا فيهم يقال له قيس
ويلقب بالمجنون قلت أى والله سرت مع أبيه حتى أوقفنى عليه وهو مع الوحش لا يعقل
الا أن ذكرت له ليلى فبكت حتى أغمى عليها فقلت مم تبكين ولم أقل الاخيرا فقالت أنا والله
ليلى المشؤمة عليه غير المساعدة له أو قالت غير المكافئة أو المواسية له ثم أنشدت

الا

نحلو حديث فقلت من لى * لو انه صادق الحلاوه

(قلت) وبقى هنا حكاية تتعلق بمن عشق على السماع من الحمقى
والمغفلين وهى ما حكاه الجاحظ قال
عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته فى
هيئة حسنة وقماش مليح فقام الى
وأجلسنى معه ففاتحته فى القرآن فاذا
هو فيها ماهر ففاتحته فى شئ من النحو
فوجدته فيه ماهرا ثم فى اشعار العرب
واللغة فاذا به كامل فى جميع ما يراد منه
فقلت والله قوى عزمى على تقطيع
دفتر المعلمين فكنت كل يوم أجالسه
وأزوره قال فاتيت فى بعض الايام الى
زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت
عنه جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت
أروح أعزيه فجئت الى بابه فطرقته
فخرجت الى جارية فقالت ما تريد
فقلت اريد مولاك فقالت مولاى
جالس وحده فى العزاء ما يعطى لاحد
الطريق اليه فقلت قولى له صديقك
فلان يطلبك فدخلت وخرجت الى
وقالت بسم الله فعبرت اليه فاذا هو
جالس وحده فقلت أعظم الله أجرك
لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة
وهذا سبيل لا بد منه فعليك بالصبر ثم
قلت له هذا الذى توفى ابنك قال لا
قلت فوالدك قال لا قلت فاخوك قال
لا قلت فمن قال حبيبتى فقلت فى نفسى
هذه أول المناحس ثم قلت سبحان الله
النساء كثير وتجد غيرها وتقع عينك
على أحسن منها فقال وكأنى بك قد
ظننت أنى رأيتها فقلت فى نفسى هذه
منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت
من لا رأيته فقال اعلم انى كنت فى
الطارمة واذا برجل عابر وهو يغنى
ويقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة
ردى على فؤادى اينما كانا

فقلت فى نفسى لولا ان أم عمرو هذه ما فى
الدنيا مثلها ما قيل فيها هذا الشعر فهويتها فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو يغنى ويقول

ألا ليت شعرى والخطوب كثيرة * متى رحل قيس مستقل فراجع
بنفسى من لا يستقل برحله * ومن هو ان لم يحفظ الله ضائع

ولما أيس من ليلى حين ارتحلت مع زوجها واشتد هيمانه اجمع قومه ان يتقدموا الى أبيه فى حمله الى مكة فلعل الله ان يخفف عنه ففعل وسار معه ابن عمه زياد بن كعب فرأوا بحمامة على دوحة تنوح فوقع المجنون صاغيا لها وتخلف معه ابن عمه فقال له سر بنا فقد أبعد الرفاق فتنفس الصعداء وأنشد

أإن هتفت يوما بواد حمامة * بكيت ولم يعذرك بالجهل عاذر
دعت ساق حر بعد ما علت الضحى * فهاج لك الاحزان ان ناح طائر
تغنى الضحى والصبح فى مرجحنة * كثاف الاعالى تحتها الماء حائر
كان لم يكن بالغيل أو بطن ايكة * أو الجزع من قول الاشاءة حاضر
يقول زياد اذ رأى الحى هجروا * أرى الحى قد ساروا فهل أنت سائر
وانى وان غال التقدم حاجتى * ملم على أوطان ليلى فناظر

ودخل مكة فنظر الى الناس وهم يدعون ربهم محرمين فانشد

دعا المحرمون الله يستغفرونه * بمكة وهنا ان تمحى ذنوبها
وناديت أن يارب أول سؤلتى * لنفسى ليلى ثم انت حسيبها
فان أعط ليلى فى حياتى لا يتب * الى الله خلق توبة لا أتوبها

فزجره أبوه عن ذلك وأمره أن يدعو الله ان ينسيه ذكرها وأخذه حتى امسكه استار الكعبة ثم قال له قل اللهم انسنى ذكرها وامح من قلبى حبها فقال اللهم اجعنى بها وارزقنى حبها وزدنى بها كلفا وفيها تلفا وأنشد مكملا فى الابيات السابقة

يقر لعينى قربها ويزيدنى * بها عجبا من كان عندى يعيبها
فكم قائل قد قال تب فعصيته * وتلك لعمرى توبة لا أتوبها
فيا نفس صبرا لست والله فاعلمى * بأول نفس غاب عنها حبيبها

ولما اجتمع الناس بمنى سمع هاتفا يهتف بليلى فخر مغشيا عليه الى الصباح ثم افاق متغيرا حائل اللون وأنشد

عرضت على نفسى العزاء فقيل لى * من الآن فايأس لا أعزك من صبر
اذا بان من تهوى وأصبح نائيا * فلا شئ اجدى من حلولك فى القبر
وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى * فهيج احزان الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * اطار بليلى طائرا كان فى صدرى
دعا باسم ليلى ضلل الله سعيه * وليلى بأرض عنه نازحة قفر

ثم انساب منهم وكانت هذه سياحته الكاملة فجعل يقتات بعشب البر حتى طالت اظفاره وغطاه شعره فالفته الوحوش فكان يرد الماء معها ثم يهيم على وجهه حتى يقع بالشام فيرى أقواما وأرضا ينكرها فيقول أين جبل توباد من بنى عامر وهو جبل كان يرعى هو وليلى عنده الغنم فيقولون له أين أنت من توباد و يعرضون عليه الثياب والطعام فيأبى و يقول دلونى عليه فيرحمونه و يقولون له اتبع نجم كذا يوصلك اليه فيمضى حتى يقع باليمن فيكون له مثل ذلك الى ان يظهر أحيانا بالجبل فينشد حين ينظره

بهذا اليوم قال الجاحظ فعادت عزيمتى وقويت همتى على ترك تقطيع الدفتر بحكاية أم عمرو

(الباب الرابع فى ذكر من نظر أول نظرة فاحترق من خد الحبيب بجمرة)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أوقعه النظر فى الضرر المؤدى الى السهر اذ هو داعية الارق وزناد الحرق كم دعا الى الجماع المحرم بالاجماع فهو سهم مسموم وفعل مذموم وفى مبدئه يمكن استدراكه وأسير يرجى فكاكه فاذا تكرر أدى الى ما ضر وته كيت وكيت أما ترى الحبل بتكراره البيت كما قيل

كل الحوادث مبداها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها
فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها
فى أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته
لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

(قوله) وفى مبدئه يمكن استدراكه الى آخره وذلك ان الرجل تمر به المرأة فيكون ظاهر هيئتها وشكلها وصورتها مشاكلا لطبعه فتتحرك نفسه وتنبعث همته من أول نظرة فاذا تكرر نظره اليها ازداد حبه لها وان جلس حتى يراها صار الذى به أضعاف ما كان فان نظرت اليه نظرة افتتن بجمالها ووقع فى أسر حبالها ودخل فى عداد العاشقين وهذا مما يؤيد قول من ذهب الى ان العشق اختيارى لانه لم يصر عاشقا الا بعد وقوع هذه المقدمات وكان يمكنه حسم مادة ذلك بعد النظرة الاولى اللهم الا فيما اندر كما تقدم فى ذكر النسوة اللاتى رأينا يوسف عليه السلام ففتن من أول نظرة وكان يقال النظر من المحب موت عاجل ومن المحبوب سهم قاتل وكان يقال نهيا

واجهشت للنوباد حين رأيته * وكبر للرحمن حين رآني
وأذريت دمع العين لما عرفته * ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلت له قد كان حولك جيرة * وعهدي بذاك الصرم منذ زمان
وقلت له أين الذين عهدتهم * بقربك في حفظ وطيب أمان
فقال مضوا واستودعوني ديارهم * ومن ذا الذي يبقى على الحدثان
واني لأبكي اليوم من حذري غدا * فراقك والحيان مؤتلفان
سجالا وتهتانا وبلا وديمة * وسحا وتسجالا وتنهملان

وعن فتى من قيس أو هو رباح بن مالك قال لما أخذ المجنون الى مكة للاستشفاء كما مررت يوما واذا أنا بجماعة قد تعلقوا بشخص متغير اللون ناحل البدن وقدهم أن يلقي نفسه من جبل فسألت عنه فاذا هو المجنون خرج ليتنسم صبا نجد فقلت علام تحبسونه قالوا نخاف أن يجني على نفسه ولو تقدمت اليه فاخبرته انك من نجد لسكنت روعه ففعلت فجعل يسألني عن موضع موضع ويبكي أحر بكاء ثم أنشد

ألا حبذا نجد وطيب ترابها * وأرواحها ان كان نجد على العهد
ألا ليت شعري عن عوارضتي قبا * لطول الليالي قد تغير نا بعدي
وعن جارتينا بالنخيل الى الحمى * على عهدنا أم لم يدوما على العهد
وعن علويات الرياح اذا جرت * بريح الخزامى هل تهب على نجد
وعن أقحوان الرمل ماهو صانع * اذا هو أسرى ليلة بثرى جعد
وهل أسمعن الدهر أصوات هجمة * تطالع من وهد خصيب الى وهد
وهل انفضن الدهر أفنان لمتي * على لاحق المتنين مندلق الوخد

ومر يوما على جبلي نعمان وهو موضع من نجد به جبلان ليسا بالعظيمين بينهما واصل بسير فقال لرفقته معه هذا مكان يقرب من منزل كانت تنزل به ليلى فمن أي الرياح تهب منه قالوا الصبا فحلف لا يبرح من مكانه حتى تهب فمضوا وتركوه ثم عادوا بعد ثلاث فأقام وامعه حتى هبت فأنشد

أيا جبلي نعمان بالله خليا * سبيل الصبا يخلص الى نسيمها
أجد بردها أو تشف مني حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت * على نفس مهموم تجلت همومها

قلت قال في النزهة بعد ذكر هذه الابيات ان أبا الفرج بن الجوزي تزوج امرأة اسمها نسيم الصبا فأقام معها مدة ثم وقعت بينهما وحشة ففارقها فاشتد بها كلفه وزاد غرامه وراسلها فأبت عليه وطال بينهما الامر وانها حضرت مجلس وعظه يوما فلاحت منه نظرة فرآها وقد استترت بجاريتين فتنفس الصعداء وأنشد أيا جبلي نعمان الابيات واستحييت ثم ذهبت وقد داخلتها الرقة له فحكت لبعض النساء ذلك فضمن فاخبرته فراسلها فأجابت فتزوجها

ومر يوما بعدما تمكن منه التوحش بليلى ظاعنة فلما رآها سقط مغشيا عليه فاخذه بعض قومها فمسح عنه التراب وسألوها أن تكلمه رقة عليه فاستعذرت من الخوف فأرسلت امرأة تأمنها بالسلام والاستعطاف والاستعذار وانها لولا الخوف لأتته فلما بلغته المرأة ذلك ثاب اليه عقله وأنشد

أقول لأصحابي هي الشمس ضوءها * قريب ولكن في تناولها بعد
لقد عارضتنا ريح ليلى بنفحة * على كبدي من طيب أرواحها برد

من كثرت لحظاته دامت حسراته (وقال أعرابي) العشق نبت بذره النظر وماؤه المزاور وغماؤه الوصل وقتله الهجر وحصاده التجني (وقال الصوري)

غرست الهوى باللحظ ثم احتقرته * وأهملته مستأنسا متسامحا
ولم تدر حتى أينعت شجراته * وهبت رياح الوجد فيه لواقحا
فأمسيت تستدني من الصبر عازبا * عليك وتستدعي من النوم نازحا

(وقال الاصمعي) كنت في بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون قد جاءت فتحرك الناس فقمت معهم فاذا بجارية قد وردت الماء ما رأيت مثلها قط في حسن وجهها وتمام خلقتها فلما رأت كثرة تشوف الناس اليها أرسلت برقعها فكأنه غمامة غطت شمسا فقلت لم تمنعينا النظر الى وجهك هذا الحسن فأنشأت تقول

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

ثم نظر اليها اعرابي وقال أنا والله ممن قل صبره وأنشد

أوحشية العينين أين لك الاهل * أبالحزن حلوا أم محلهم السهل
وأية أرض أخرجتك فانني * أراك من الفردوس ان فتش الاصل
ففي خبرينا ما طعمت وما الذي * شربت ومن أين استقل بك الرحل
لان علامات الجنان مبينة * عليك وان الشكل يشبهه الشكل

(أقول) هذا والله هو السحر الحلال والعذب الزلال قد اشتمل على مذهب السحر الكلامي والتقسيم البابي فكأني بها وقد ذكرت له الاهل وصفتهم من حيا ونجدها الحزن والسهل

فما زلت مغشيا على وقد مضت * اناة ولا عندى جواب ولا رد
أقلب بالايدى وأهلى تعولنى * يفدوننى لو يستطيعون ان يفدوا
ولم يبق الا الجلد والعظم عاريا * ولا عظم لى ان دام ما بى ولا جلد
أدنياى مالى فى انقطاعى وغربتى * اليك ثوابا منك ذين ولا نقد
هدينى بنفسى أنت وعدا فربما * جلا كربة المكروب عن قلبه الوعد
وقد يبتلى قوم ولا كبليتى * ولا مثل وجدى فى الشقاء بكم وجد
غزتنى جنوب الحب من كل جانب * اذا حان من جند فقول أتى جند

وسئل يوما وهو حاضر من الغمرة ما أحسن ما رأيت قال ليلى فقيل له ذلك معلوم وانما نعنى غيرها فقال ما رأيت شيأ غيرها وذكرتها الاسقط من عينى الاظبيا رأيته يوما فذكرت ليلى فزاد فى عينى حسنا فانطلقت أعدو خلفه حتى كاشر جلاى وغاب عن عينى فاخذت راحتى ثم انطلقت حتى وجدته وقد فتك به ذئب فاخذت سهما وضربت به الذئب فلم يخط قلبه فشققت بطنه وأخرجت ما أكل فضممته الى ما بقى من الظبى ودفنته وأنشد

أبى الله أن يبقى لحى بشاشة * فصبرا على ما شاءه الله بى صبرا
رأيت غزالا يرتعى وسط روضة * فقلت أرى ليلى تراءت لنا ظهرا
فياظبى كل رغدا هنيئا ولا تخف * فانك لى جار ولا ترهب الدهرا
وعندى لكم حصن حصين وصارم * حسام اذا عملته أحسن العبرا
فما راعنى الا ذئب قد انتحى * فاعلق فى أحشائه الناب والظفرا
فبوأت سهمى فى كتوم غمزتها * فخالط سهمى مهجة الذئب والنحرا
فاذهب غيظى قتله وشفى جوى * بقلبى ان الحر قد يدرك الوطرا

واجتمع اليه النساء يوما فقلن له أما آن لك ان تصرف عنك هوى ليلى ليرد اليك عقلك فانها امرأة من النساء وفينا عنها كفاية فاختر احدانا فقال لهن لو ملكت لفعلت ولكنى مغلوب فقلن ما أعجبك منها قال كل شئ رأيته وسمعته فقلن صفها فانشد

بيضاء خالصة البياض كأنها * قمر توسط جنح ليل مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد * ان الجمال مظنة للحسد
وترى مدامعها ترقرق مقلة * سوداء تعرب عن سواد الاثمد
خود اذا كثر الكرام رأيتها * تحمى الحى واذا تكلم تقصد

وقال له رجل من قومه انى قاصد حى ليلى فهل عندك شئ تقوله لها قال نعم أنشدها اذا وقفت بحيث تسمعك هذه الابيات

الله يعلم ان النفس قد هلكت * باليأس منك ولكنى أمنيها
منيتك النفس حتى قد أضر بها * وأبصرت خلفا مما أمنيها
وساعة منك ألهوها ولو قصرت * أشهى الى من الدنيا وما فيها

قال الرجل فمضيت حتى وقفت بخيامها فلما أمكنتنى الفرصة أنشدت بحيث تسمع الابيات فبكت حتى غشى عليها ثم قالت أبلغه عنى السلام وأنشده

نفسى فداؤك لو نفسى ملكت اذا * كان غيرك يجزيها ويرضيها
صبرا على ما قضاه الله فيك على * مرارة فى اصطبارى عنك أخفيها

أرينى مكان البدر ان أفل البدر
وقومى مقام الشمس ان بعد الفجر
ففيك من الشمس المنيرة ضوءها
وليس لها منك التبسم والثغر

(وحكى) انه دخل أصبهان مغن كان يتغنى بهذين البيتين

سماعا يا عباد الله منى
وكفوا عن ملاحظة الملاح
فان الحب آخره المنايا
وأوله شبيه بالمزاح

قلت وفى هذا دليل على ان العين هى التى تجلب الحين واذا كان ذلك كذلك فلنذكر هنا مناظرة وقعت بين القلب والعين ولوم كل منهما صاحبه والحكم بينهما وهى لما كانت العين زائدة ومحبة القلب زائدة وهذه لها لذة النظر وهذا له لذة الظفر كانا فى الهوى شريكى عنان وفرسى رهان فلما وقعا فى السهاد والحرق وأضر بصاحبهما الارق قال القلب يقول الارجانى لطرفه الجانى

تمتعتما يا مقلتى بنظرة
وأوردتما قلبى أشر الموارد
أعينى كفا عن فؤادى فانه
من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال أبو الطيب المتنبى

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه
فمن المطالب والقتيل القاتل

(وقول الآخر)

عوقب قلبى وجنى ناظرى
ورب ما عوقب من لا جنى

(وقول الآخر)

نظر العيون الى العيون هو الذى
جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا
ما زالت اللحظات تغزو قلبه
حتى تشحط بينهن قتيلا

قال الرجل فلما بلغه ذلك بكى حتى غشي عليه ثم أفاق وهو يقول عجبت لعروة العذرى البيتين السابقين في صدر القصة ولما أيس أهله منه وخالط الوحوش أخذوا يحتالون على اصلاحه فقال أبوه يوما للشخص أريد ان تمر به فتذكر له ليلى وانك من عندها وانها تذكره كثيرا فاذا أعطاك سمعه وتمكنت منه فاذكر له انها تشتمه وتنتقصه فعساه ان يداخله كرهها قال الرجل فمضيت حتى اجتمعت به وأعلمته بذلك حتى ذكرت انها تشتمه فأنشد

تمر الصبا صفحا بساكن ذى الغضى * ويصدع قلبي ان يهب هبوبها
اذا هبت الريح الشمال فانما * جوابي بما يهدى الى جنوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس حيث كان حبيبها
وحسب الليالي ان طرحنك مطرحا * بدار قلى تمسى وأنت غريبها
حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا * هنيئا ومغفور لليلى ذنوبها

هذا ما ذكر في الاصل وأنكر في النزهة ذلك وقال ان أبا المجنون مات قبل اختلاط عقله كما سبق وفي تسريح الناظر ان الذى أمر الرجل بذلك زياد بن كعب أحد بني عم المجنون وهو الاوجه وقيل للمجنون يوما أتحب ليلى قال نعم حبا خالط الدم ومازج الاعضاء قيل فما يغني حبك لها وهي مريضة وأنت لا تعودها فتنفس الصعداء وأنشد

يقولون ليلى بالصفاح مريضة * فماذا اذا يغني وأنت صديق
شفى الله مرضى بالصفاح فانني * على كل شاك بالصفاح شفيق

وعن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن المسور بن مخرمة وكان واليا على الصدقات من قبل مروان أو عبد الملك وله صحبة عند الذهبي قال قدمت على بني عامر لاخذ أموال الصدقة فرأيت شخصا عاريا يلعب بالتراب فأمرت له بثوب فقيل لي لو كان يلبس لكان في مال أبيه كفاية فانه سيد الحي ولكنه قد تولع بحب امرأة فصيرته هكذا قال فقمت اليه وكلمته فلم يعقل فقيل لي ان أردت ان يفهم ما تقول فاذكر له ليلى فقلت أتحب ليلى قال نعم فقلت له أتريد ان أزوجك بها قال أويمكن ذلك قلت نعم فقال بالله من جميل لو ان أهل الارض شكروك معي لم يفوا فعند ذلك قام فلبس ثيابه وأقام معه يوعده الى يوم يجتمع لهم فيهم ليأخذه فأخبروه باهدار السلطان دمه فصرفه وقيل هموا بقتاله فصرفه انما كان خوف الفتنة فقال المجنون له والله انك لم تف بالوعد ثم مزق ما عليه وانصرف وفي الكتاب ما يشعر بان القصة مع محمد ابن نوفل وليس كذلك لما ستعرفه من ان نوفلا لم يزل من ذلك اليوم متطلبا لاخبار المجنون جامعا لاشعاره وانه قدم سنة من السنين يسأل عنه فقالوا لم نعرف له خبرا فركب في طلبه حتى لاح له وراء اراكة بين قطيع من الغزلان وقد غطاه شعره فصعد نوفل الشجرة مستخفيا وشربت الظباء وانصرفت فوقف المجنون يرعى هذا ما في الاصل وفي نزهة المشتاق انه انصرف معهم ولم يمكنه الاجتماع به فرجع متأسفا وشكا ما به الى شيخ كبير في بني سعد فقال له الشيخ ان للمجنون دابة يألفها وانها تحمل له الطعام والخبز أحيانا فيأكل منها ولو صحبتها لامكن ان تظفر به ففعل فهرب المجنون منها فرجع وأخبر الشيخ فقال له الشيخ قد قرأت في سالف الاخبار ان سلطانا قال لوزيره أخبرني عن أعظم الجثة وأقوى الذوات أشد حافر على الارض وقد أمهلتك ثلاثا فان لم تجب جللتك بالسيف فمضى مهموما وكان له ابنة قد اتخذت قصرا مفتوحا الى الاربع جهات على قارعة الطريق للنزهة فلما رأت ما بأبيها

(وقال ابن مدرك) تجرحت بلحظي خد الحبيب * فما طالب المقلة الفاعله
ولكنه اقتص من مهجتي * كذاك الديات على العاقله

فلما سمعت العين انشاده وفهمت مراده أشارت اليه وأخذت في الانكار عليه فقالت بالعجب من ظالم يتظلم وأخرس يتكلم أليس من الخبر الذى شاع وذاع انك أنت الملك ونحن الاتباع ترسلني فيما تريد كالبريد وتعقب ذلك بالتهديد أما سمعت قول أبي هريرة رضى الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده فان طاب الملك طابت جنوده وان خبث الملك خبثت جنوده وقال سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله فبين ذنبي وذنبك اذ ذاك كما بين عماى وعماك وقال علام الغيوب فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب فلما سمعت النفس ما دار بينهما من الجدال قالت في الحال

أنا ما بين عدوين هما قلبي وطرفي
ينظر الطرف ويهوى الـ
قلب والمقصود حتفي

(وقال آخر)

يقول قلبي لطرفي اذ بكى جزعا
تبكي وأنت الذى حملتني الوجعا
فقال طرفي له فيما يعاتبه
بل أنت حملتني الآمال والطمعا
حتى اذا ما خلا كل بصاحبه
كلاهما بطويل السقم قد قنعا
نادتهما كبدى لا تعتبا فلقد
قطعتماني بما لاقيتما قطعا

(وقال آخر)

ما بنت قلبي لما * رأيت جسمي نحيلا
فألزم القلب طرفي
وقال كنت الرسولا
فقال طرفي لقلبي

قلت فكان كما تقول العامة تقابين ... استعطفته

صفاعين وما أحسن قول الآخر

فوالله ما أدرى أنفسى ألومها * على الحب أم عينى القريحة أم قلبى

استعطفته حتى أخبرها فاستسهلت الامر وقالت له اذا عدت اليه من الغد فأخبره ان أقوى رائحة رائحة الخبز وأعظم الاشياء لذة الجماع وأشد حافر على الارض البغال فلما أعلمه قال له أخبرنى من أين لك ذلك فصدقه الامر فاستحضر البنت وقال لها التى لم تخبرينى عن تعليل ذلك والاضربت عنقك فانك بكر لم تعلمى أحوال النساء ولا لذة الجماع فقالت أيد الله الملك ان قصرى منفتح للاهوية فلم أجد من لدن فطنت به رائحة يتكيف بها الهواء أعظم من الخبز ولم يتحرك جدار القصر من شئ غير البغال واما الجماع فانى أخذته من شدة ألم الوضع وما شاهدت من مقاساة النساء فيه فلو لم يكن الجماع أعظم لذة ما عدن اليه والرأى عندى ان تصنع خبزا وتجعله فى طابق يضم بخاره وتفتحه حيث يشمه فانه يقف لبعد عهده به فتذكر له ليلى فيزداد أنسا قال الرجل فمضيت وعملت برأى الشيخ وطيبت الخبز بالافاويه حتى اذا أقبل ولمحته من خلال الاراكة كشفت الخبز وصعدت لتشرب الظباء فشربن وسرن ووقف يشم الرائحة فانشدته من الشجرة

أتبكى على ليلى ونفسك باعدت * مزارك من ليلى وشعبا كما معا

فاندفع يقول

فاحسن ان يأتى الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة أجزعا

بكت عينى اليسرى فلما زجرتها * على الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية ان يصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع * اليك ولكن خل عينيك تدمعا

معى كل عز قد عصى عاذلاته * بوصل الغوانى من لدن ان ترعرعا

اذا راح يمشى فى الرداءين أسرعت * اليه العيون الناظرات التطلعا

ثم سقط مغشيا عليه فتمثلت بقوله

يا دار ليلى بسقط الحى قد درست * الا الثمام والا موقد النار

أبلى عظامك بعد اللحم ذكركها * كما ينحت قدح الشوحط البارى

ما انفك الدهر من ليلى تموت كذا * فى موقف وقفته أو على دارى

فرفع رأسه وقال من أنت حياك الله فقلت له نوفل أخبرنى ما صنعت بعدى فانشد الاحبيت ليلى الابيات ثم أخذ يفاوضنى فى الكلام حتى سنح له قطيع ظباء فطفق يعدو حتى اختلط بها وفارقته فلم أره بعده قال وفى النزهة انه تطلبه مرة أخرى غير هذه فوجده بين حجرين ميتا فأخذه ودفنه وسيجى ذكر ما رأى له من الاشعار منقوشا فى التراب أورده آخر القصة على النمط السابق فى غيره ومر برجلين قد اصطادا ظبية وربطاها فعزم عليهما ان يطلقاها فابيا عليه فأطلقها بشاة من غنمه وأنشد

شريت بكبش شبه ليلى ولو أبوا * لاعطيت مالى من طريف وتالد

فيا بائعى شبه الليلى قتلتما * وجنبتما ما ناله كل عابد

فلو كنتما حرين ما بعتما فتى * شبيها لليلى بيعة المتزايد

واعتقتماها رغبة فى ثوابها * ولم ترغبا فى ناقص غير زائد

وقيل ان الرجلين أخوه وابن عمه وانه أنشدهما متعرضا لبخلهما

يا أخوى اللذين اليوم قد أخذا * شبيها لليلى بحبل ثم غلاها

انى أرى اليوم فى أعطاف شاتكما * مشابها أشبهت ليلى خلاها

فان لمت قلبى قال لى العين أبصرت * وان لمت عينى قالت الذنب للقلب

فعينى وقلبى قد تشاركن فى دمى * فيارب كن عونا على العين والقلب

قلت والحاكم بينهما الذى يحكم بين الروح والجسد اذا اختصما كما ورد فى الخبر عن سيد البشر لا تزال الخصومة يوم القيامة بين الخلائق حتى تختصم الروح والجسد فيقول الجسد للروح أنت التى حركتنى وأمرتنى وصرفتنى والا فأنا لم أكن أتحرك ولا أفعل شيأ بدونك فتقول الروح له وأنت الذى أكلت وشربت وتمتعت فانت الذى تستحق العقوبة فيرسل الله سبحانه وتعالى ملكا يحكم بينهما فيقول مثلكما مثل مقعد بصير وأعمى يمشى دخلا بستانا فقال المقعد للاعمى أنا أرى ما فيه من الثمار ولكن لا أستطيع القيام وقال الاعمى أنا أستطيع القيام ولكن لا أبصر شيأ فقال المقعد تعال فاحملنى فانت تمشى وأنا أتناول فعلى من تكون العقوبة فيقولان عليهما فيقول فكذلك أنتما

(فصل فى ذكر سحر الجفون ونبل العيون)

فمن ذلك قول بشار وهو أغزل بيت قالته الشعراء فيما حكاه قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان

أنا والله أشتهى سحر عينيـ * ـك وأخشى مصارع العشاق

(ونقل) شيخنا الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبى فى تاريخ الاسلام عن ابن حيوس انه قال من أغزل ما أعلم قول عبد المحسن الصورى

بالذى ألهم تعذيـ * ـبى ثناياك العذابا

ما الذى قالته عينا * ك لقلبى فأجابا

قلت وهما أغزل من قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * يقتلننا ثم لا يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به

وانه عرض عليهما القتل حين أبيا فلاتها الا انه كان أجلد منهما وفى رواية فداها بقلوص ولما ذهبت نعدو أنشد ابياتا شبه ليلى الابيات وزادهنا

فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك رقيق

قد وردت هذه الرواية من طرق كثيرة وفى احداها ياصاحبي اللذان وهو أسلم من الزحاف هذا ما تلخص من صحيح أخباره واما ماقيل من انه مر بزوج ليلى وهو فى حى بنى عامر عند ابن عم له يصطلى فوقف على رأسه وأنشد

بربك هل ضممت اليك ليلى * قبيل الصبح أوقبلت فاها

وهل زفت عليك قرون ليلى * زفيف الاقحوانة فى نداها

فقال اما اذ حلفتنى فنعم فصرخ المجنون وقبض الجمر بكلتا يديه وسقط مغشيا عليه فأكل الجمر لحم راحتيه وقام زوج ليلى مغموما وماقيل أيضا من ان أبا المجنون طرقه ضيوف ليلا فارسله الى أبى ليلى ليقترض منه سمنا فامرها أبوها ان تخرج اليه بنحى فتملا وعاءه فجعلت تسكب فيه ويتحادثان حتى غرقت أرجلها وانه جاء ليلة أخرى يستقدح نارا فخرجت اليه بقضبة فكان يتحدث معها ويقطع من برد عليه يلف به النار وكلما احترقت قطعة أخذ أخرى حتى صار عريانا فلم يصح اسناده عندنا كصحة غيره ومثل ذلك ماقيل من ان جنونه كان مجازاة لقوله قضاها لغيرى أولسماع هاتف أنشد

كالامغرم فى حب ليلى * بقى وفيك من ليلى التراب

فاختلط عقله واما حال موته فالصحيح ماقدمناه وقيل ان رجلا شاميا كان مغرما باشعاره واشعار قيس بن ذريح قدم للاجتماع به أوا رجل من بنى جعدة أومرة أوهو الصباح بن عامر الكنانى أقوال فسال أهله عنه فاخبروه انه متوحش من الانس الاصدقا له يذهب اليه فى كل يوم يكتب مايقول من الاشعار ودابة تذهب اليه بطعام فمضى اليهما يسألهما الحيلة فى الاجتماع عليه فقالا له اقصده فى موضع كذا فستجده جالسا قد خط حوله التراب وهو يعبث بأصابعه فيه فاذا رآك أخذ الاحجار وهم بضربك فاصرف بصرك عنه وأطل الجلوس ثم أنشد مايحضرك من شعر قيس فانه مغرم به فاذا فعلت بلغت ماتريد منه فمضى الرجل يقتفى أثره حتى وجده على ماوصف فلما أنس به قال رحم الله قيسا حيث يقول

نبيت ونضحى كل يوم وليلة * على منهج تبكى عليه القبائل

قتيل لبنى صدع الحب قلبه * وفى الحب شغل للمحبين شاغل

فقال أنا والله أشعر منه حيث أقول

سلبت عظامى لحمها فتركتها * معرقة تضحى اليه وتضجر

واخليتها من مخها وكأنها * قوارير فى أجوافها الريح تصفر

اذا سمعت ذكر الفراق تقطعت * علائقها مما تخاف وتحذر

خذى بيدى ثم انهضى بى تبينى * بى الضر الا اننى أتستر

ثم انساب يعدو وفارقته فلما كان اليوم الثانى جئت على العادة وأنشدت قول قيس

تبادر أم تروح غدا أو راحا * ولن يستطيع مرتهن براحا

سقيم لايصاب له دواء * أصاب الحب مقلتيه فباحا

وعذبه الهوى حتى براه * كما القين بالسفن القداحا

(وقال ابن سهل الاشبيلى) فى مطلع موشحه

ألحاظها للقتل * فى كرها أوفى نصيب

ترمى وكلى مقتل * وكلها سهم مصيب

(وقال الملك الناصر داود صاحب الكرك)

بأبى أهيف اذا رمت منه

لثم ثغر يصدنى عن مرامى

قدحى خده بسور عذار

مقلتاه أضحت عليه مرامى

* (فصل فى وصف العيون الضيقة وغيرها) * قال ابن النبيه

يصد بطرفه التركى عنى

صدقتم ان ضيق العين بخل

(وقال أيضا)

من بنى الترك لين العطف قاسى ال

قلب سهل الخداع صعب المراسى

ضيق العين وهو من صفة البخ

ل فان جاد كان ضد القياس

يجذب القوس فاكتست وجناه

ثوب ورد طرازه من آس

ورمى عن قوسين سهمين هذا

فى فؤادى وذاك فى القرطاس

(وقال ابن قرناص)

علقته تتريا * يشجى القلوب بتيه

لايرتجى الجود منه

بالوصل من ضيق عينه

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

يهب العذول لو قد رأى ألحاظه

تركية تدع الحليم سفيها

يثنى الملام وقال دونك والاسى

هذى مضايق لست أدخل فيها

(وقال الشيخ صفى الدين الحلى)

فى منهر شاذا ظرلته

كادت لواحظه بسحر تنطق

ان شاءيلقانى بخلق واسع

عنه يقابلنه طرف ضيق (حكى)

الخرائطى عن بعض العلويين قال بينما أنا واقف على الحسن بن هانئ فكاد

وهو ينشد ويلي على نجل العيو * ن النهد الضمر البطون

الناطقات على الضمير لنا بألسنة الجفون

فكاد يذيقه جرع المنايا * ولو أسقاه ذلك لاستراحا

فقال أنا أشعر منه حيث أقول

فما وجد مغلوب بصنعاء موثق * بساقيه من ثقل الحديد كبول

قليل الموالي مستهام مروع * له بعد نومات العشاء عويل

يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل

بأعظم مني روعة يوم راعني * فراق حبيب ماله سبيل

ثم فعل فعلته بالامس وعاودته فقلت أحسن والله قيس حيث يقول

ألا يا غراب البين ويحك أنبني * بعلمك في لبنى وأنت خبير

فان أنت لم تخبر بشئ علمته * فلا طرت الا والجناح كسير

ودرت بأعداء حبيبك بينهم * كما قد تراني بالحبيب أدور

وفي رواية ابن الاعرابي

ألا يا غراب البين هل أنت مخبري * بخير كما خبرت بالنأي والشر

وخبرت أن قد جد بين وقربوا * جمالا لبني مثقلات من العذر

وهجت قذى عين للبنى مريضة * اذا ذكرت فاضت مدامعها تجري

وقلت كذاك الدهر ما زال فاجعا * صدقت وهل شئ بباق على الدهر

فقال له المجنون أحسن والله لكني أشعر منه حيث أقول * كأن القلب البيتين فامهلته حتى فرغ ثم قلت وأحسن قيس أيضا حيث يقول * واني لمفن دمع عيني بالبكا * الابيات السابقه في قصة قيس قال فبكى حتى ظننت انه فاضت نفسه ثم قال أحسن والله وأنا أشعر منه حيث أقول

وأدنيتني حتى اذا ما سبيتني * بقول يحل العصم سهل الاباطح

تناءيت عني حين لا لي حيلة * وغادرت ما غادرت بين الجوانح

قال ولم أزل أعاوده أكثر ما يقول الى ان تطلبته فوجدته بين أحجار ميتا وفي رواية ان هذا الرجل لم يجتمع به وأخرى رآه ميتا ومحل ذلك قد دلت عليه دابته وانه لم يكتب أشعار الا من عند صديقه المتقدم ذكره وبالجملة فمحل الاجماع انه وجد ميتا فاحتمل وغسل ودفن وحضر جنازته جميع بني جعدة وسعد والحريش وحضر أبو ليلى فأظهر جزعا شديدا وتنصل واعتذر بانه لم يعلم ان أمره يفضي الى هذه الحالة ولو يعلم لاحتمل العار وزوجه ولما غسل وجدوا الرقعة مكتوبا بها

ألا أيها الشيخ الذي ما بنا يرضى * شقيت ولا هنئت من عيشك الخفضا

شقيت كما أشقيتني وتركتني * أهيم مع الهلاك لا أطعم الغمضا

كأن فؤادي في مخاليب طائر * اذا ذكرت ليلى يشد به قبضا

كأن فجاج الارض حلقة خاتم * علي فما تزداد طولا ولا عرضا

وقيل ان ليلى توفيت قبله وانه سمع هاتفا يقول

أمنعية بالموت ليلى ولم تمت * كأنك عما قد أظلك غافل

فسقط ميتا وهذا أمر يتعذر الوصول الى تحقيقه وله أشعار كثيرة بلا أسباب من محاسنها قوله

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا فارغا فتمكنا

ومنها تقول العدا لا بارك الله في العدا * تقاصر عن ليلى ورثت رسائله

فوقف عليه اعرابي وعمل له فقال أعد علي فأعاد عليه فقال يا ابن أخي ويلك أنت وحدك من هذا ويلي أنا وأنت وويل ابني هذا وويل هذه الجماعة وويل جيراننا كلهم (وقال سبط التعاويذي)

بين السيوف وعينيه مشاركة
من أجلها قيل للاغماد أجفان

(وقال رشيد الدين الفارقي)

ان في عينك معنى
حدث النرجس عنه
ليت لي من غضه سهما في قلبي منه

(قال محمد بن العفيف التلمساني)

لحاظك أسياف ذكور فما لها
كما زعموا مثل الارامل تغزل

(وله أيضا)

يا عاشقين حاذروا
مبتسما عن ثغره
فطرفه الساحر مذ
شككتم في أمره
تريد أن يخرجكم
من أرضكم بسحره

(وقال أيضا)

قضاة الحسن ما صنعي بطرف
تمنى مثله الرشأ الربيب
رمى فأصاب قلبي باجتهاد
صدقتم كل مجتهد مصيب

(وقلت أنا من قصيد)

حبيب نازل في كل قلب
وسيف لحاظه يهوى النزالا
يرى قتل المحب بلا دليل
ولا سيما اذا أبدى الدلالا
اذا استقبلت سيف اللحظ منه
رأيت الموت من ماضيه حالا

(وقلت أيضا من قصيد)

تغار الشمس منها حين تبدو
كغصن البان في خضر البرود

بأطراف من الحناء حمر * وألحاظ كبيض الهند سود

(وقلت أيضا من قصيد) آلت لواحظه على أهل الهوى * أن لا ترى قتلى بغير مهند يرثوا وصارم لحظه في جفنه

ماضي الغرار ولم يعس باغمد
فإذا تجرد للحب فلا تسل
عن سيف جفن كالحسام مجرد

(وقلت أيضا من قصيدة)

غزال غزاني باللحاظ لأنه
إذا ما بدا في حومة الحرب ضيغم
تكلمني ألحاظه بسيوفها
ولم تر قبلي ميتا يتكلم

(وقلت من قصيدة)

تسل سيوفا من لواحظ طرفها
ولكن لها من عادة الجفن غامد
تجردها والدمع كالنيل سائح
فما تنثني إلا وسيحان جامد

(وقلت أيضا من قصيد)

يرنو إلي بعين نون حاجبها
كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان
أمير حسن من الأتراك حاجبه
على المحب له في مصر سلطان
غزت لواحظه في أهل مصر كما
غزا الأنام بأرض الشام غازان

وأما الحور فقد اختلف الناس فيه فقال أبو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين في شدة سوادها وقال يعقوب الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض وقال قطرب الحوراء الحسنة الخلق صغرت العين أم كبرت وقال أبو عمرو الثعلبية الحوراء السوداء العين التي ليس في عينها بياض ولا يكون هذا في الإنس إنما يكون في الوحش واشتقاق حور يدل على صحة ما قاله يعقوب وأبو عبيدة لأنهم إنما يرجعونه في الغالب على البياض مثل الدقيق الحواري والمدرمك الشديد البياض وقلما يتفق بياض العين إلا مع شدة سوادها لأن بياضها مع الزرقة ليس هنا النقي في البقاء وقد أكثر الشعراء في وصف العين بالحور والسواد وقل في شعرهم وصف العين الزرقاء على أنه جاء في حديث عائشة رضي الله عنها

ولو أصبحت ليلى تدب على العصا * لكان هوى ليلى جديدا أوائله

ومنها

فلو تلتقي في الموت روحي وروحها * ومن بين رمسينا من الأرض منكب
لظل صدى رمسي وإن كنت رمة * لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

قلت قال في النزهة وشتان ما بين هذا وما بين قول توبة في ليلى الأخيلية

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت * علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا * إليها صدى من جانب القبر صائح

أقول لو تحرى الكلام أن قول المجنون أبلغ لأن تلاقي روحي ميتين أعظم في جانب المبالغة من تلاقي حي وميت وكلام توبة من الثاني ويمكن نقل هذا إلى مبحث حكمي وعكس كلام صاحب النزهة فقد أجمعت الحكماء بل وأصحاب الشرع بأن استلذاذ الأرواح وإدراكها بعد مفارقة الهياكل الجسمية أشد وأقوى فتأمله ومنها

فلو زرت بيت الله ثم رأيتها * بأبوابه حيث استجار حمامها
لمست ثيابي إن قدرت ثيابها * ولم ينهني عن مسهن حماؤها
ولو شهدتني حين تأتي منيتي * حلا سكرات الموت عني ابتسامها

ومنها

أقول لألف ذات يوم لقيته * بمكة والأنضاء ملقى رحالها
بربك أخبرني ألم تأثم التي * أضر بجسمي من زمان خيالها
فقال بلى والله سوف يمسها * عذاب وبلوى في الحياة تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع إلى جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها ذنبها وأقالها * وإن كان في الدنيا قليلا نوالها

ومنها

وأحبس عنك النفس والنفس صبة * بذكرك والممشى إليك قريب
مخافة أن يسعى الوشاة بظنة * وأحرسكم أن يستريب مريب
لقد جعلت نفسي وأنت اخترمتها * وكنت أعز الناس عنك تطيب
فلو شئت لم أغضب عليك ولم يزل * لك الدهر مني ما حييت نصيب
أما والذي يبلو السرائر كلها * ويعلم ما تبدي به وتغيب
لقد كنت مما تصطفي النفس خلة * لها دون خلان الصفاء حجوب

ومنها

ألا ليت ليلى أطفأت حر زفرة * أعالجها لا أستطيع لها ردا
إذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا * وجدت لمسراها ومنسمها بردا
على كبد قد كاد يبدي بها الهوى * ندوبا وبعض القوم تحسبني جلدا
وإني بما في الهوى منجد النوى * سبيلان التي من خلافهما جهدا
سقى الله نجدا من ربيع وصيف * وماذا ترجي من ربيع سقى نجدا
بلى إنه قد كان للعيش مدة * وللعيش والركبان منزلة حمدا
أبى القلب أن ينفك من ذكر نسوة * رقائق لم يخلقن شوها ولا نكدا
إذا رحن يسحبن الذيول عشية * ويقتلن بالألحاظ أنفسنا عمدا
مشاعيط لا ترجح بخصورها * روادف وعثات ترد الخطا ردا
وتهتز ليلى العامرية إذ مشت * ولاثت بثوب القز ذا غدر جعدا
إذا حرك المدرى ضفائرها العلا * مزجن بذي الريحان والعنبر الوردا

ومنها

ومنها أبى القلب الا حبه عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمرو
تكاد يدي تندى اذا ما لمستها * وتنبت في أطرافها الورق الخضر
ومنها وقد ضعف فعاده الناس ولم تعده ليلى فانشد
ألا ما لليلى لا ترى عند مضجعي * بليل ولا يجري بذلك طائر
بلى ان عجم الطير تجري اذا جرت * بليلى ولكن ليس للطير زاجر
أزالت عن العهد الذي كان بيننا * بذي الايك أم قد غيرتها المقادر
فوالله ما في القرب لي منك راحة * ولا البعد يسليني ولا أنا صابر
ووالله ما أدري بأية حيلة * وأي مرام أو خطار أخاطر
وتالله ان الدهر في ذات بيننا * على لها في كل حال لجائر
فلو كنت اذ أزمعت هجري تركت لي * جميع القوى والمجر مني وافر
ولكن أيامي بحقل عنيزة * وبالردم أيام جناها التجاور
وقد أصبح الود الذي كان بيننا * أماني نفس والمؤمل حائر
لعمري لقد كدرت يا أم مالك * حياتي وساقتني اليك المقادر
ومنها فوا كبدي من حب من لا يحبني * ومن زفرات ما لهن فناء
أريتك ان لم أعطك الحب عن يد * ولم يك عندي اذ أبيت اباء
أتاركتي للموت أنت فميت * وما للنفوس الخائفات لقاء
ومنها وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو عقلوا قالوا به نظرة الانس
ومنها وشغلت عن فهم الحديث سوى * ما كان فيك فانتم شغلي
وأرى جليسي اذ يحدثني * ان قد فهمت وعندكم عقلي
ومنها سرت في سواد القلب حتى اذا انتهى * بها السير وارتادت حمى القلب حلت
فللعين تهمال اذا القلب ملها * وللقلب وسواس اذا العين ملت
ووالله ما في القلب شيء من الهوى * لأخرى سواها أكثرت أم أقلت
ومنها ذكرت عشية الصدفين ليلى * وكل الدهر ذكراها جديد
على أليه ان كنت أدري * أينقص حب ليلى أم يزيد
ومنها يا ويح من أمسى تخلس عقله * فأصبح مذهوبا به كل مذهب
خليا من الخلان الا معذرا * يضاحكني من كان يهوى تجنبي
اذا ذكرت ليلى عقلت وأرجعت * روائع عقلي من هوى متشعب
وقالوا صحيح ما به طيف جنة * ولا الهم الا بافتراء التكذب
تجنبت ليلى اذ يلج بك الهوى * وهيهات كان الحب قبل التجنب
ألا انما غادرت يا أم مالك * صدى أينما يذهب به الريح يذهب
ولم أر ليلى بعد موقف ساعة * بخيف منى ترمي جمار المحصب
وتبدي الحصا منها اذا قذفت بها * من البرد أطراف البنان المخضب
فأصبحت من ليلى الغداة كناظر * مع الصبح في أعقاب نجم مغرب
ومنها واني لمجنون بليلى موكل * ولست عزوفا عن هواها ولا جلدا

كذلك عتاق الطير زرق عيونها

ومن هنا أخذ العبدي قوله حين قال له معاوية انك أحمر فقال والذهب أحمر فقال انك لازرق فقال والبازي أزرق

(الباب الخامس في ذكر تغير الالوان عند العيان من صفرة وجل وحمرة خجل وما في معنى ذلك من عقد اللسان وسحر البيان)

أقول هذا باب عقدناه لذكر تغير لون المحبين اذا وقعت العين في العين وهرب الدم الى شبكة الدماغ فقال له الحاجر الى أين وقد نصت الاطباء على السبب في ذلك وجلوا من اصفرار المحب واحمرار المحبوب سواد كل حالك وأنا أوردهنا ما قالوه بنصه وأصوغه كالخاتم بفصه وأعقبه بذكر ألوان الحسان بأحسن بيان وأوضح تبيان هذا مع ما ينجر في ذيل ذلك من التفضيل بين السمر والبيض ووقوع محب السمان من الشعور والارداف في الطويل والعريض واختم ذلك بفصل في ذكر ما يعتري المحب من خفقان قلبه وطيران عقله ولبه فأقول وبالله التوفيق (قال بعض الاطباء) سبب اصفرار وجه العاشق الفزع فان الدم يأوي مع الفزع وربما نظر المعشوق الى العاشق فجأة فيضطرب قلبه وتشتعل الحرارة ثم تخمد فاذا خمدت برد التامور فاذا برد التامور جمد الدم واستحال اللون الى السواد والخضرة ثم يستقر فيصفر وأما احمرار وجه المعشوق فمن الخجل والخجل عرض من حركة تامور القلب فينجبل الدم ولطفه فيظهر في أرق مكان في الوجه وذلك عند معالجة الحرارة العرضية ومجاهدتها الدم لما يندفع فيطلب الخلاص حتى ينتهي الى تحت الرأس فيمنعه الحاجز من النفوذ فيهبط الى الوجه فيحمر الوجه قالوا والوجه الرقيق البشرة الصافي الاديم

اذا ذكرت ليلى بكيت صبابة * لتذكارها حتى يبل البكا الخدا

ومنها ألا يا حمام الايك مالك باكيا * أفارقت ألفا أم جفاك حبيب

دعاك الهوى والشوق لما ترنمت * هتوف الضحى بين الغصون طروب

تجاوب ورقا قد أذن لصوتها * فكل لكل مسعد ومجيب

ومنها لقد غردت في جنح ليل حمامة * على الفها تبكي واني لنائم

كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا * لما سبقتني بالبكاء الحمائم

ومنها اذا قربت داري كلفت وان نأت * اسفت فلا بالقرب أسلو ولا البعد

وان وعدت زاد الهوى لانتظارها * وان بخلت بالوعد مت على الوعد

ففي كل حب لا محالة فرحة * وحبك ما فيه سوى محكم الجهد

ومنها وهو كما قال في النزهة من الاشعار التي قيلت على الاوهام قال المحاضر وانه في مكة بات ليلة فجعل يحدث نفسه كالذي في النوم ويعاقب امرأة حاضرة فقيل له في ذلك فخاف ان ليلى كانت الى جانبه في هذا الوقت ثم أنشد

طرقتك بين مسبح ومكبر * بحطيم مكة حيث كان الابطح

فحسبت مكة والمشاعر كلها * وجبالها باتت بمسك تنفح

ومنها لئن نزحت دار بليلى لربما * غنينا بخير والزمان جميع

وفي النفس من شوقي اليك حرارة * وفي القلب من وجدي عليك صدوع

وأما قصيدته الموسومة المؤنسة فهي أطول قصيدة أنشدها وواظب عليها قيل انه كان يحفظها دون أشعاره وانه كان لا يخلو بنفسه الا وينشدها وهي من محاسن الاشعار وأرقها لفظا وأعذبها سبكا وألطفها شجوا وأبلغها نسيبا وغزلا تهيج الشجون وتعين المحزون وللناس في الاقتصار على بعضها والاستصفاء منها احتلاف كثير احسنه

تذكرت ليلى والسنين الخواليا * وأيام لا اعدي على الدهر عاديا

ويوم كظل الرمح قصرت ظله * بليلى فلهاني وما كنت لاهيا

فيا ليل كم من حاجة لي مهمة * اذا جئتكم بالليل لم ادر ماهيا

خليلي ألا تبكيانى التمس * خليلا اذا أنزفت دمعي بكى ليا

فما أشرف الايفاع الا صبابة * ولا أنشد الاشعار الا تداويا

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

لحى الله أقواما يقولون اننا * وجدنا طول الدهر للحب شافيا

وعهدي بليلى وهي ذات مؤصد * ترد علينا بالعشي المواشيا

فشب بنو ليلى وشب بنو ابنها * واعلاق ليلى في فؤادي كما هيا

اذا ما جلسنا مجلسا نستلذه * تواشوا بنا حتى أمل مكانيا

سقى الله جارات لليلى تباعدت * بهن النوى حيث احتللن المطاليا

بثمرين لاحت نار ليلى وصحبتي * بذي الغضا تزجي المطي النواجيا

فقال بصير القوم لمحة كوكب * بدا في سواد الليل من ذي يمانيا

فقلت لهم بل نار ليلى توقدت * بعليا تسامى ضوءها فبدا ليا

خليلي لا والله لا املك الذي * قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

الشبيل يحمر واذا فزع تصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من وقته قال الشاعر حمرة خالط صفرة في بياض

مثل ما حاك حائك ديباجا

وقالوا احمر تلون الانسان يولدها الفرح والضحك والنعمة وصفرة تلونه يولدها الفزع والبؤس والغم والسقم واما أحسن الالوان فانه الاحمر بدليل ان الدم صديق الروح الجمرة لونه وأفضل الياقوت وأنفره الاحمر وأجود الذهب الاحمر وأفضل العسل الذهبي والياقوتي وتمدح الارض بحمرة التربة وأكرم الخيل أشقرها وهي ديباجها وأكرم الابل حمرها وهي التي قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعظم مقدار ذلك لو ان لي حمر النعم ولو ان لي طلاع الارض ذهبا وأحسن الانوار الورد والشقائق والجلنار وأحسن الحلل المصبوغة المعصفرة وأحسنها ما كان صبغة القرمز وأحسن الخمر الحمراء ولذلك وصفتها الشعراء بلون النار والعندم والعصفر والياقوت والعبقر وأحسن الالوان المخلوقة النار ومن أجل ذلك اكتنى عبد العزى بن عبد المطلب أبا لهب وكان يكنى قبل ذلك أبا عتبة لانه كان من أحسن الناس وجها وكانوا يشبهون احمرار وجهه بلهيب النار لانه كان مشرق الوجه ملتهبه كما كنى النبي صلى الله عليه وسلم أبا المهلب أبا صفرة لصفرة كانت في وجهه ويقال في المثل كأن وجهه النار وكأن في وجنته الجمر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أهلك الرجال الاحمران وأهلك النساء الاحامرة والاحمران الخمر واللحم والاحامرة الذهب والزعفران والخمر واللحم قال الشاعر

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت * مالي وكنت بهن قدما مولعا

الخمر واللحم السمين وماطلي * بالزعفران فلا أزال عروما

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه المائز الاحمر وقال وهب بن عبد الله ما رأيت خلا سوداء في حلة حمراء

قضاها

قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا
وخبرتماني أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت * فما للنوى ترمى بليلى المراميا
ولوان واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت أتانيا
وماذا لهم لا أحسن الله حالهم * من الحظ في تصريم ليلى حباليا
وقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل * بي النقض والابرام حتى علانيا
فيارب سو الحب بيني وبينها * يكون كفافا لا علي ولا ليا
فما طلع النجم الذي يهتدى به * ولا الصبح الا هيجا ذكرها ليا
ولا سرت ميلا من دمشق ولا بدا * سهيل لاهل الشام الا بداليا
ولا سميت عندي لها من سمية * من الناس الا بل دمعي ردائيا
ولا هبت الريح الجنوب لارضها * من الليل الا بت للريح حانيا
فان تمنعوا ليلى وتحموا بلادها * علي فلن تحموا علي القوافيا
فاشهد عند الله اني أحبها * فهذا لها عندي فما عندها ليا
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا * وبالشوق مني والغرام قضى ليا
وان الذي أملت يا أم مالك * أشاب فؤادي واستهام فؤاديا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا
اراني اذا صليت يممت نحوها * بوجهي وان كان المصلى ورائيا
ومابي اشراك ولكن حبها * وعظم الجوى أعيى الطبيب المداويا
أحب من الاسماء ما وافق اسمها * وأشبهه أو كان منه مدانيا
خليلي ليلى أكبر الحاج والمنى * فمن لي بليلى أو فمن ذا لها بيا
لعمري لقد أبكيتني يا حمامة الـ * ـعقيق وابكيت العيون البواكيا
خليلي ما ارجو من العيش بعدما * أرى حاجتي تشرى ولا تشترى ليا
وتجرم ليلى ثم تزعم انني * سلوت ولا يخفى على الناس ما بيا
فلم أر مثلينا خليلي صبابة * أشد على رغم الاعادي تصافيا
خليلان لا نرجو اللقاء ولا نرى * خليلين الا يرجوان تلاقيا
واني لاستحييك ان تعرض المنى * بوصلك أو أن تعرضي في المنى ليا
يقول أناس علّ مجنون عامر * يروم سلوا قلت اني لما بيا
بي اليأس أوداء الهيام أصابني * فاياك عني لا يكن بك ما بيا
اذا ما استطال الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا
اذا اكتحلت عيني بعينك لم تزل * بخير وجلت غمرة عن فؤاديا
فانت التي ان شئت أشقيت عيشتي * وأنت التي ان شئت أنعمت باليا
وأنت التي ما من صديق ولا عدو * يرى نضو ما ابقيت الا رثى ليا
أمضروبة ليلى على ان ازورها * ومتخذ ذنبا لها أن ترانيا
اذا سرت في الارض الفضاء رأيتني * أصانع رحلي ان يميل حياليا

(وأما قول الشاعر)
هجان عليها حمرة في بياضها
تروق به العينين والحسن أحمر
فانه عنى به الحسن في حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقالة ابن عبد ربه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة لطول المكث في الكن والتضمخ بالطيب
(قال أعرابي)
وما تسليت عن صفراء عالية
كالعاج صفرها الاكنان والطيب
(وقال آخر)
كأن لون البيض في الادحي
لونك لولا صفرة الجادي
يريد انها تتضمخ بالجادي وهو الزعفران وصفرة البيضة لا تدرك صفرته وقالوا الجارية الحسناء تتلون تلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشاء صفراء
(قال الشاعر)
بيضاء ضحوتها وصفـ
ـراء العشية كالعرار
(وقال بشار بن برد)
فخذي محاسن زينة
ومعصفرات هن أنفر
فاذا بلغنا فادخلي
في الحمران الحسن أحمر
وقال الحريري في درة الغواص أما قولهم الحسن أحمر فمعناه أنه لا يكتسب ما فيه الجمال الا بتحمل مشقة كما يمار منها الوجه كما قالوا السنة المجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر كما قيل
واذا رأت عيناك طرفا أسودا
فاعلم بان هناك موتا احمرا
وأحسن زينة النساء في أحسن الجلباب ولذلك أطنبت فيه الشعراء

يمينا اذا كانت يمينا وان تكن * شمالا ينازعنى الهوى عن شماليا
وانى لاستغشى ومابى نعسة * لعل خيالا منك يلقى خياليا
هى السحر الا أن للسحر رقية * وانى لا ألقى لها الدهر راقيا
ومنها اذا نحن أدلجنا وأنت امامنا * كفى لمطايانا بذكراك هاديا
ذكت نار شوقى فى فؤادى فاصبحت * لها وهج مستضرم فى فؤاديا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
أسائلكم هل سال نعمان بعدنا * وحب الينا بطن نعمان واديا
ألا ياحمامى بطن نعمان هجتما * على الهوى لما تغنيتما ليا
وأبكيتمانى وسط صحبى ولم أكن * ابالى دموع العين لو كنت خاليا
ويا أيها القمريتان تجاوبا * بلحنيكما ثم اسجعا عللانيا
فان أنتما استطربتما أو أردتما * لحاقا باطلال الغضى فاتبعانيا
ألا ليت شعرى ماالليالى وماليا * وما للصبا من بعد شيب علانيا
ألا أيها الواشى بليلى ألا ترى * الى من تشيها أو لمن أنت واشيا
لئن ظعن الاحباب ياأم مالك * فما ظعن الحب الذى فى فؤاديا
فيارب اذ صيرت ليلى هى المنى * فزنى بعينيها كما زنتها ليا
والا فبغضها الى وأهلها * فانى بليلى قد لقيت الدواهيا
على مثل ليلى يقتل المرء نفسه * وان كنت من ليلى على اليأس طاويا
خليلى ان ضنوا بليلى فقربا * لى النعش والاكفان واستغفرا ليا

(أخبار عروة بن حزام وصاحبته عفراء)

هو عروة بن حزام بن مالك بن حزام بن ضبة بن عبد بن عذرة شاعر لبيب حاذق متمكن فى العشق قيل انه أول عاشق مات بالهجر من المخضرمين أو من العذريين ولشدة مقاساته فى العشق ضرب المثل بين العرب والمولدين قال المجنون عجبت لعروة العذرى البيت وقال أبو عيينة

فما وجد النهدى اذ مات حسرة * عشية بانت من حبائله هند
ولا عروة العذرى اذ طال وجده * بعفراء حتى شف مهجته الوجد
كوجدى غداة البين عند التفاتها * وقد طار عنها بين أترابها البرد

وقال آخر

وقبلك مات من وجد بهند * أخو نهد وصاحبه جميل
وعروة والمرقش هام دهرا * باسماء فلم يغن العويل
قتيل الريح من قبل الغوانى * فلا قود ولا يودى قتيل

وقال جرير

هل أنت شافية قلبا يهيم بكم * لم يلق عروة من عفراء ما وجدا
مافى فؤادى من داء يخامره * الا التى لو رآها راهب سجدا
ان الشفاء وان ضنت بنائله * فرع البشام الذى تجلو به البردا

الى غير ذلك وعفراء هى بنت مهاصر اخى حزام كلاهما ابنا مالك من بطن من العذريين يقال له نهد قال فى تسريح النواظر ان سبب عشقهما أن أباه حزاما توفى ولعروة من العمر أربع سنين وكفله مهاصر أبو عفراء فنشأ جميعا فكان يألفها وتألفه فلما بلغ الحلم سأل عروة عمه تزويجها فوعده ذلك ثم أخرجه الى الشام بعير له وجاء ابن أخ له يقال له أثالة بن سعيد بن

من فضة قد طوقت عنابا

(وما أحسن قول الوأواء الدمشقى)

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

(وقال) المرزبانى قال لى ابن دريد سهرت ليلة فلما كان آخر الليل أغمضت عينى فرأيت رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل على وأخذ بعضادتى الباب وقال أنشدنى أحسن ماقلت فى الخمر فقلت ماترك أبو نواس لاحد شيأ فقال أنا أشعر منه فقلت ومن أنت فقال أنا ابن ناجية من أهل الشام (وأنشدنى)

وحمراء قبل المزج صفراء بعده
بدت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا
عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت أسأت الترتيب فقال ولم قلت لانك قلت وحمراء فقدمت الحمرة ثم قلت بين ثوبى نرجس وشقائق فأخرت الحمرة فهلا قدمتها على الاخرى فقال وماهذا الاستقصاء فى هذا الوقت يابغيض ثم انصرف (وقال المتنبى)

قالت وقد رأت اصفرارى من به
وتنهدت فأجبتها المتنهد

(أخذه الآخر فقال)

قالت لترب معها منكرة
لو قفى هذا الذى نراه من
قالت فتى يشكو الهوى متيم
قالت بمن قالت بمن قالت بمن

(وقال ابن النبيه)

وفى الكأس حمراء بيضاء مطفلة
يزرن بعيون السمر يحمى احورارها

وقال علاء الدين بن دبوقا من أبيات

أرى العقد فى ثغره محكما
يرينا الصحاح من الجوهر
وتكملة الحسن ايضاحها
رويناه عن وجهك الازهر

ومنثور دمعى غدا أحمرا * على آس عارضك الاخضر

مالك يريد الحاج فنزل بعمه هصر فبينما هو جالس يوما تجاه البيت اذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها ومعصميها تحمل اداوة سمن وعليها ازار أخضر فلما رآها وقعت من قلبه بمكان عظيمة فخطبها من عمه فزوجه بها وان عروة أقبل مع العير وقد حمل اثاله عفراء على جمل أحمر فعرفها من البعد وأخبر أصحابه فلما التقيا وعرف الامر بهت لا يحير جوابا حتى افترق القوم فأنشد

وانى لتعرونى لذكراك رعدة * لها بين جلدى والعظام دبيب
فما هو الا أن أراها فجاءة * فابهت حتى ما يكاد يجيب
فقلت لعراف اليمامة داونى * فانك ان أبرأتنى لطبيب
فمالى من حمى ولا مس جنة * ولكن عمى الحميرى كذوب
عشية لا عفراء منك بعيدة * فتسلو ولا عفراء منك قريب
بنا من جوى الاحزان والبعد لوعة * تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشة مقول * على ما به عود هناك صليب
وما عجب موت المحبين فى الهوى * ولكن بقاء العاشقين عجيب

وقيل انه لم ينشد فى ذلك الموقف سوى البيتين الاولين واما قوله فقلت لعراف اليمامة الى قوله ولا عفراء منك قريب فانه أنشده حين اتى الى الطبيب وسبب ذلك انه حين وصل الحى أخذه الهذيان والقلق وأقام أياما لا يتناول قوتا حتى شفت عظامه ولم يخبر بسره أحدا وانه حمل ليلة الى فضاء ليتنزه به فسمع رجلا يقول لولده على اى ناقة حملت الشعب يعنى قرب الماء فقال على العفراء فاغمى عليه ساعة ثم قام مخبولا وكان باليمامة عراف يعنى كاهنا له قرين من الجن يعرفه الاخبار ودواء بعض الادواء وكان يقال له رباح بن راشد وكنيته أبو كهلا مولى لبنى يشكر فحملوه اليه فلما رآه أخذ يعالجه بأنواع العلاج والرقى والصب عليه واصل ذلك ان العرب كانت اذا تخيلت بشخص سحرا جعلت على رأسه طبقا فيه ماء ثم أذابت الرصاص وسبكته فى ذلك الماء ودفنته فى فضاء من الارض فيزول عن الشخص ما به وان الكاهن فعل بعروة ذلك مرارا فلما لم ينجع اخبرهم ان ما به ليس الا من العشق وقيل انه عرف ذلك من يوم قدومهم به فلما أحس باليأس انشد فقلت لعراف اليمامة الابيات فحمل الى عراف آخر بنجد ففعل به مثل ذلك فانشد الابيات الآتية فى نونيته وهى قوله جعلت لعراف اليمامة واما قوله بنا من جوى الاحزان ويروى وبى من جوى الاحزان فعلى الاصح كما فى النزهة انه من هذا الشعر وقيل انشده حين حمل الى ابن عباس ليدعو له بمكة وقد سلف ان صاحب القصة غيره وان صحح ابن عساكر خلافه ولما أيس من الشفاء تمرض بين أهله زمانا حتى شاع انتحاله فى العرب مثلا وان ابن ابى عتيق مر به يوما فرأى أمه تلاطف غلاما كالخيال فسألها عن شأنه فقالت هو عروة فسألها نضو الغطاء عنه فلما شاهده قضى عجبا ثم استنشده فانشد جعلت لعراف اليمامة حكمة الابيات ولما علم الضجر من اهله قال لهم احملونى الى البلقاء فانى ارجو الشفاء فلما حل بها وجعل يسارق عفراء النظر فى مظان مرورها عاودته الصحة فاقام كذلك الى ان لقيه شخص من عذرة فسلم عليه فلما أمسى دخل على زوج عفراء فقال له متى قدم هذا الكلب عليكم فقد فضحكم بكثرة ما يتشبب بكم فقال من قال عروة فقال انت أحق بما وصفته به والله ما علمت بقدومه وكان زوج عفراء موصوفا بالسيادة ومحاسن الاخلاق فى قومه فلما اصبح جعل

ولا ثغر الادون تقبيله ثغر
ولا بيض الاسود حظى عندها
ولا سمر الادون أعطافها السمر
(وقال بدر الدين بن المحدث)
يصفر لونى حين أنظر وجنة
منها تعلم حسنه الورد الجنى
يفنى الزمان وليس يفنى حبه
وقد انحنيت وما أراه ينحنى

(حكى) عن أبى أيوب وزير المنصور أنه كان اذا دعاه المنصور يصفر ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع لونه فقيل له أنا نراك مع كثرة دخولك على أمير المؤمنين وأنسه بك تتغير اذا دخلت اليه فقال مثلى ومثلكم فى هذا مثل بازى وديك تناظرا فقال البازى للديك ما أعرف أقل وفاء منك لاصحابك فقال وكيف قال تؤخذ بيضة فيحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأكفهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد الا طرت من هنا الى هنا وصحت وان علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت الى غيرها وأما أنا فأوخذ من الجبال وقد كبرت فتخاط عيناى وأطعم الشئ اليسير وأساهر فامنع من النوم وأونس اليوم واليومين ثم أطلق على الصيد وحدى وأطير اليه وآخذه وأجئ الى صاحبى فقال الديك ذهبت عنك الحجة أما والله لو رأيت بازيين فى سفود ما عدت اليهم أبدا وأنا فى كل يوم أرى السفافيد ملوءة ديوكا فلا تكن حليما عند غضب غيرك وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرفه لكنتم أسوأ حالا منى عند طلبه لكم (قلت) والذى هرب منه وقع فيه على الصحيح الاشهر ولم يزل يصفر منه حتى أذاقه الموت الاحمر هذا بعد ان أخذ أمواله وتركه فى أسوأ حالة (حكى) انه كان يدهن حاجبه بدهن يسحر فيه المنصور ولا يتمكن منه اذا رآه حتى ضرب به المثل فقيل ادهن من أبى

يتصفح الامكنة حتى لقي عروة فعاتبه وأقسم بالمحرجات أنه لا ينزل الا عنده فوعده ذلك فذهب مطمئنا وان عروة عزم أن لا يبيت الليل وقد علم به فخرج فعاوده المرض فتوفي بوادي القرى دون منازل قومه وقيل وصلها لرواية ابن العاص قال استعملني عمر رضي الله عنه في جباية صدقات العذريين فبينما أنا يوما بازاء بيت اذ نظرت امرأة عند كسر البيت والى جانبها شخص لم تبق الا رسومه فجلست أنظر اليه فتموج ساعة ثم خفق خفقة فارق الحياة فقلت لها من الرجل فالت عروة فقلت كانه قضى فقالت نعم ولما بلغ عفراء وفاته قالت لزوجها قد تعلم ما بينك وبيني وبين الرجل من الرحم وما عنده من الوجد وان ذلك على الحسن الجميل فهل تأذن لي ان أخرج الى قبره فاندبه فقد بلغني انه قضى قال ذلك اليك فخرجت حتى أتت قبره فتمرغت عليه وبكت طويلا ثم أنشدت

ألا أيها الركب المخبون ويحكم * بحق نعيتم عروة بن حزام
فان كان حقا ما تقولون فاعلموا * بأن قد نعيتم بدر كل ظلام
فلا لقي الفتيان بعدك راحة * ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت انثى تماما بمثله * ولا فرحت من بعده بغلام
ولا لا بلغتم حيث وجهتم له * ونغصتم لذات كل طعام

وفي كتاب النزهة لابن داود ان ركبا شاهدوا موته فلما قدموا الحي وأنشد رجل منهم عند بيت عروة ألا أيها القصر المغفل اهله * بحق نعينا عروة بن حزام فجاوبته عفراء ألا أيها الركب هكذا بيتا فبيتا الى أربعة والباقي في العفراء وهذا غير صحيح لان القبر في طريقها قبل منازلهم وفي هذه الرواية بدل قوله فلا لقي الفتيان * فلا هني الفتيان بعدك غادة * والاول ألطف وبدل فلا وضعت انثى فقل للحبالى لا يرجين غائبا وفيه اضافة غير مناسبة فلا مناسبة بين الحمل والغيبة الابتأويل لا يليق بفصاحة العرب ولما فرغت من شعرها ألقت نفسها على القبر فحركت فوجدت ميتة وما قيل من انها منعت المجيء الى قبره ومن انه كان في عهد عثمان أو معاوية وان الذي شهده الحاكي احدهما ومن ان عمر قال لو أدركتهما لجمعت بينهما غير صحيح الرواية كما في النزهة نعم حمل قول عمر على الرؤية وتمسك من قال ان عفراء لم تر قبره بقولها

عداني ان أزورك يا خليلي * معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمت من الدواهي * وعابونا وما فيهم رشيد
فاما اذ ثويت اليوم لحدا * فدور الناس كلهم اللحود
فلا طابت لي الدنيا فراقا * لبعدك لا يطيب لي العديد

ولما قضت دفنت الى جانبه فنبت من القبرين شجرتان حتى اذا صارتا على حد قامة التفتا فكانت المارة تنظر اليهما ولا يعرفان من أي ضرب من النبات وكثيرا ما أنشدت فيهما الناس فمن ذلك قول الشهاب محمود

بالله يا سرحة الوادي اذا خطرت * تلك المعاطف حيث الزند والغار
فعانقيهم عن الصب الكئيب فما * على معانقة الاغصان انكار

وقول صاحب الاصل

غصنان من دوحة طال ائتلافهما * فيها فخالت صروف الدهر فافترقا

(وقال آخر) فصار

فوات النهود) * وهذا النوع الاخير مما يميل اليه المصريون في الغالب وللناس فيما يعشقون مذاهب

(فمما قيل في تفضيل السمر)

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن
لكنني أعشق السمر المهازيلا
اني امرؤ أركب المهر المضمر في
يوم الرهان فدعني واركب الفيلا

(وقال علي بن الجهم)

وعائب للسمر من جهله
مفضل للبيض ذي محل
قولوا له دعنا اما تستحي
من جهلك الكافور كالمسك

(قال أبو جعفر الشطرنجي)

أشبهك المسك واشبهته
قائمة في لونه قاعده
لاشك اذ لونكما واحد
انكما من طينة واحده

(وقال الشريف الرضي في تفضيل السود)

أحبك يا لون السواد فانني
رأيتك في العينين والقلب توأما
وما كان سهم العين لولا سوادها
ليبلغ حبات القلوب اذا رمى
اذا كنت تهوى الظبي ألمى فلا تلم
جنوني على الظبي الذي كله لما

(وقال مسلمة)

لام العواذل في سوداء فاحمة
كأنها في سواد القلب تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا
اني أهيم بشخص كله خال

(وقال ابن رشيق)

دعا بك الحسن فاستجيبي
يا مسك في صبغة وطيب
تيهي على البيض واستطيلي
تيه شباب على مشيب
ولا يرعك اسوداد لون * كنقطة الشادن الربيب

فصار ذا فى يد تحـو به ليس له * منهما براح وهـذا فى الفـلاة لقا

حـتى اذا ذويا يوما وضمهـما * بعد التفرق بطن الارض واتفقا

حنا على العهد فى أرجائها فنا * كل على الفـه فى الترب واعتنقا

قلت و بين هذين خلاف فى اللفظ والمعنى و يحتمل رجوعـه الى خصوص وعموم مطلق فان الاول أرق وأعذب وألطف ولكنه قاصر عن المراد وغير دال على خصوص المقام وفيه التكرار والذى عدته البلاغة عيبا فان الرند والغار مترادفان وفيه عيب خفى الا على الناقد فانه لم يجعل المتعانقين المتحابين بل أمر السرحة يعنى الشجرة أن تعانق تلك المعاطف يعنى معاطف المعشوقة نيابة عن العاشق وعلل ذلك بالانكار على تعانق المتحابين وقد تظافرت كلمات المحبين باستسهال الذم فى قضاء لوطر وأما الثانى فقد تضمن حكاية الحال مع حسن الاستعارة المكنية ودل على المقام ولكنه غير رقيق ولا خال عن السماجـة وتوفى عروة بن حزام على ماذكر الذهبى فى تاريخه فى خلافة عثمان سنة ثلاثين من الهجرة ورأيت فى كتاب مجهول التأليف ان وفاته كانت لعشر بقين من شوال سـنة ثمـان وعشرين ومن محاسـن شعره قصيدته التى على حرف النون فقد ضمنها حكاية حاله بالفاظ رقيقـه ومعان أنيقـه وهى هذه

خليلى من علياء هلال بن عامر * بصـنعاء عوجا اليوم وانتظـرانى

ولا تزهدا فى الاجر عندى واجملا * فانـكمابى اليـوم مبتليـان

ألم تعلما ان ليس بالمـرج كلـه * أخ وصـديق خالص فـدرانى

أفى كل يوم أنت رام بـلادها * بعينـين انساناهـما غـرقان

وعيناى ماوفيت نشز افتنظرا * بمافيهـما الاهـما تـكفان

ألا فاحـملانى بارك الله فيكما * الى حاضر البلقاء ثم دعانى

على جسرة الاصلاب ناجية السرى * تقطع عـرض البيـد بالوخـدان

ألما على عفـراء انـكما غـدا * بشحط النوى والبين مفترقان

فياواشـيى عفراء و يحكما بمن * وماوالى مـن جئتـما تشـيان

بمـن لو أراه غائبا لفديتـه * ومـن لو رآنى غائبـا لفـدانى

فياواشـيى عفراء دعانى ونظرة * تقـر بها عينـاى ثم زمانى

أغـركما منى قميص لبسـته * جـديدا و بردا يمنـة زهيـانى

متى تكشفا عنى القميص تبينا * بى الضر مـن عفـراء يافتيـان

اذا تربا لحماقليـلا وأعظـما * بلـين وقلبا دائم الرجفـان

على كبدى من حب عفراء قرحة * وعيناى من وجـدى بها تـكفان

فعفراء أرجى الناس عندى مودة * وعفراء عـنى المعرض المتـوانى

أحب ابنة العذرى حبا وان نأت * ودانيت فيها غـير مامتـدانى

اذا رام قلبى هجـرها حال دونه * شـفيعان من قلـبى لهـا جـدلان

اذا قلت لا قالا بلى ثم أصبحا * جميعـا عـلى الرأى الذى يريان

فيارب أنت المستعان على الذى * تحـملت من عفـراء منـذ زمان

فياليت كل اثنين بينهما هوى * من الناس والانعام يلتقيـان

فيقضى حبيب من حبيب لبانة * و يرعاهـما ربى فـلا يريان

المقامات الحسان فى السكر من هنا ذكر الملك الكامل شعبان رحمه الله

* وأما ماقيل فى تفضيل البيض على السود فاكثر من أن يذكر له شاهد أو يعتد اليه ساعد المساعد قال الجاحظ والعرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد وربما مدحوا بالسواد ولكن أصل ما يبنون عليه أمرهم ذمه (وقال كشاجم)

يامشبها فى فعله لونه

لم تعدما أوجبت القسمه

خلقك من خلقك مستخرج

والظلم مشتق من الظلمه

وأما القصيرة الغليظة من النساء فانها نوع مذموم عند صاحب كل منثور ومنظوم (قال الشاعر)

وأنت التى حببت كل قصيرة

الى ولم تشعر بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد

قصار الناس شر النساء البحاتر

والبحاتر هن القصار الغلاظ

(وقال بعض السلف)

جعـل الله البهاء والهوج مع الطـوال والدهاء والدمامة مع القصار والخير فيما بين ذلك وما أطرف قول الشريف الناسخ

واحرباه من هوى قصيرة

فى الارض منها ألف ألف قامه

اذا رنا الى الخفاف طرفها

قال القفا يا كاتب السلامه

و بعض الناس يفضل السمان و يقول السمنه نصف الحسن وهو يستر كل عيب فى المرأة و يبدى محاسنها قيل ولهذا قيل جميلة لان الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم وقد تقدم ذكره

(فصـل فى ذكر ما يعترى المحب من اصفرار لونه عند رؤية محبوبه وخفقان قلبه وطيران عقله ولبه) (قال صاحب روضة المحبين) وقد اختلف فى سبب هذه الروعة

فيا ليت محيانا جميعا وليتنا * اذا نحن متنا ضمنا كفنان
و ياليت أنا الدهر في غير ريبة * خليان نرعى القفر مؤتلفان
هواى امامى ليس خلفى معرج * وشوق قلوصى فى الغدو يمانى
هواى عراقى وثنى زمامها * لبرق اذا لاح النجوم يمانى
متى تجمعى شوقى وشوقك تظلعى * ومالك بالعبء الثقيل يدان
يقول لى الاصحاب اذ يعذلوننى * أشوق عراقى وأنت يمانى
تحملت من عفراء ماليس لى به * ولا للجبال الراسيات يدان
كأن قطاة علقت بجناحها * على كبدى من شدة الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفيان
فقالا نعم تشفى من الداء كله * وقاما مع العواد يبتدران
نعم و بلى قالا متى كنت هكذا * ليستخبرانى قلت منذ زمان
فما تركا من رقية يعلمانها * ولا سلوة الا وقد سقيان
وما شفيا الداء الذى بى كله * ولا ادخرا نصحا ولا ألوانى
فقالا شفاك الله والله مالنا * بما حملت منك الضلوع بدان
فرحت من العراف تسقط عمتى * عن الرأس ما ألتاثها ببنان
معى صاحبا صدق اذا ملت ميلة * وكان بدفنى سرعة عدلانى
فياعم ياذا العذر لازلت مبتلى * حليفا لهم لازم وهوان
غدرت وكان الغدر منك سجية * فألزمت قلبى دائم الخفقان
وأورثتنى غما وكربا وحسرة * وأورثت عينى دائم الهملان
فلا زلت ذا شوق الى من هويته * وقلبك مقسوما بكل مكان
وانى لاهوى الحشر اذ قيل اننى * وعفراء يوم الحشر ملتقيان
ألا ياغرابى دمنة الدار بيننا * أبالهجر من عفراء تنتحبان
فان كان حقا ما تقولان فاذهبا * بلحمى الى وكريكما فكلانى
كلانى أكلا لم ير الناس مثله * ولا تهضما جنبى وازدردانى
ولا تعلمان الناس ما كان قصتى * ولا يأكلن الطير ما تذرانى
ألا لعن الله الوشاة وقولهم * فلانة أضحت خلة لفلان
اذا ما جلسنا مجلسا نستلذه * تواشوا بنا حتى أمل مكانى
تكنفنى الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحد لكفانى
ولو كان واش باليمامة أرضه * أحاذره من شؤمه لأتانى
يكلفنى عمى ثمانين ناقة * ومالى والرحمن غير ثمان
فوالله ماحدثت سرك صاحبا * أخالى ولا فاهت به الشفتان
سوى اننى قد قلت يوما لصاحبى * ضحى وقلوصانا بنا تخذان
ضحينا ومستنا جنوب ضعيفة * نسيم لرياها بنا خفقان
تحملت زفرات الضحى فأطقتها * ومالى بزفرات العشى يدان
فياعم لا أسقيت من ذى قرابة * بلالا فقد زلت بك القدمان

والفزع والاضطراب فقيل سببه ان المحبوب سلطانا على قلب محبه أعظم من سلطان الرعية فاذا رآه فجأة راعه ذلك كما يرتاع من يرى من يعظمه فجأة فان القلب معظم للمحبوب خاضع له والشخص اذا فجأه المعظم عنده راعه ذلك وقيل سببه انفراج القلب له ومبادرته الى تلقيه فيهرب الدم منه فيبرد ويرعد ويحدث الاضطراب والرعد فور بما مات وبالجملة فهذا أمر ذوقى وجدانى وان لم يعرف سببه ومن أحسن ما قيل فى الاعتذار عن خفقان القلب عند رؤية المحبوب قول الوراق الحظيرى

يقول لى حين وافى * قد نلت ما ترتجيه
فما لقلبك قد جا * ء خفقه يعتريه
فقلت وصل التغرس * والقلب يرقص فيه

(ومثله قول الآخر)

لا تنكر واخفقان قلـ
بى والحبيب لدى حاضر
ما القلب الا دارة * دقت له فيها البشائر

(وما أحسن قول ابن سنا الملك)

أما والله لولا خوف سخطك
لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا
وليس هما سوى قلبى وقرطك

(وقال معين الدين)

لم أنسه اذ قال أين تحلنى
حذرا على من الخيال الطارق
فأجبت فى قلبى فقال تعجبا
أرأيت عمرك ساكنا فى خافق

(وقال آخر)

وسكنت قلبا خافقا
ياساكنا فى غير ساكن

(وقال الطغرائى)

برض النسيم وصح والداء الذى
أشكوه لا يرجى له افراق
هذا خفوق البرق والقلب الذى
ضمت عليه جوانحى خفاق

(أورد) ابن الابار فى تحفة القادم قول ابن تقى من أبيات حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقى ومنيتى

أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق ثم قال

نسب بعض أهل عصرنا ابن تقي الى التطفل على

ومنيتني عفراء حتى رجوتها * وشاع الذي منيت كل مكان
فوالله لولا حب عفراء ما التقى * على رواقا بيتك الخلقان
رواقان خفاقان لاخير فيهما * اذا هبت الارواح يصطفقان
ولم أتبع الاظعان في رونق الضحى * ورحلي على نهاضة الخذيان
لعفراء اذ في الدهر والناس غرة * اذا خلقان بالصبي يسراني
لادنو من بيضاء خفاقة الحشى * بنية ذي قار ورة شنا آن
كأن وشاحيها اذا ما ارتديتهما * وقامت عنانا مهرة سلسان
ولدس بأبدان لما ملتقاهما * ومتناهما رخوان يضطربان
وتحتهما حقفان قد ضربتهما * قطار من الجوزاء ملتبدان
أعفراء كم من زفرة قد أذقتني * وحزن ألح العين بالهملان
وعينان ما وافيت نشرا فتنظرا * بما فيهما الا هما تكفان
فهل حاديا عفراء ان خفت فوتها * على اذا ناديت مرعو بان
ضروبان للتالي القطوف اذا ونى * بسيحان من يعصى به حذران
فمالكما من حاديين كسيتما * سرابيل مغلاة من القطران
ومالكما من حاديين رميتما * بحمى وطاعون ألا تقفان
فويلي على عفراء ويلا كأنه * على الكبد والاحشاء حد سنان
ألا حبذا من حب عفراء ملتقى * نعم والا حيث يلتقيان
لوان أشد الناس وجدا ومثله * من الجن بعد الانس يلتقيان
ويشتكيان الوجد ثمة أشتكي * لاضعف وجدي فوق ما يجدان
فقد تركتني ما أعي لمحدث * حديثا وان ناجيته ونجاني
وقد تركت عفراء قلبي كأنه * جناح غراب دائم الخفقان

قوله خليلي خطاب بالنداء محذوف الاداة لاثنين وليس بشرط أن يكونا موجودين فقد جرت عادة العرب بذلك حتى قيل انهم وان خاطبوا الواحد جعلوا الصيغة لاثنين اما ليجري مجرى التأكيد أو انهم يطلبون التعظيم أو انهما أقل الرفقة وقوله الى حاضر البلقاء يريد المكان الذي كانت به كما سبق في الحكاية ويروى الى حاضر الروحاء موضع بالبلقاء من طرف حوران وقوله حسرة الاصلاب صفة مشبهة كناية عن العجلة التي لم تدعه يشد كور الناقة ويروى نواخة السرى ومواره أي عجلة تبلغ المآرب وقوله بمن لو أراه البيت كناية عن الاتحاد وشدة المحبة حتى لم يقع تأثير بينهما من نقل شئ وقوله متى تكشفا وروى بدله متى ترفعا والاول أبلغ لاخصيته ولزوم رؤية البدن منه وقوله اذا تر يا جواب متى وروى بدله تعرفا والاول ألطف وقوله كان قطاة البيت قد أخذه المجنون حيث قال

* قطاة غرها شرك فباتت * البيت وهذا من السرقات العامة التي تتفاوت بحسن الاختلاس والتظرف ومعنى هذا انه شبه كبده في شدة خفقانه من هياج نار العشق بقطاة علقت بجناح واحد وجعلت ترفرف بالآخر طلب الخلاص وأما المجنون فقد تظرف ثم بالغ لانه جعل القلب هو القطاة بعينها وجعل المعلق هو الشرك واعلم ان ابن الاثير ألف كتابا سماه أعمدة المعاني للمنثور والمنظوم ذكر فيه من اقترح معنى ومن سرق منه وزاد عليه فقال في

أبعدته عن أضلع تشتاقه
ولو قال
أبعدت عنه أضالعا تشتاقه
لكان أحسن ثم ذكر بعدها ما أضافه على قول ابن تقي المذكور وقول ابن الحكم جعفر بن عثمان

ان كان لابد من رقاد
فأضلعي هاك عن وسادي
ونم على خفقها هدوا
كالطفل في هزة المهاد

(وقال) ابن الاثير في المثل السائر في أبيات ابن تقي المذكور وهذا من الحسن والملاحة بالمكان الاقصى ولقد خفت مغانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصا والبيت الاخير هو الموصوف بالابداع وبه وبأمثاله أقرت الابصار بفضل الاسماع وقلت أنا موافقا لاهل ذلك العصر في الرد على ابن تقي

أتاني زائر فكي الملالا
وأتبعه صدودا واستطالا
فقلت له تعود فقال لالا
دوام الوصل يورثك الملالا

(الباب السادس في ذكر الغيرة وما فيها من الحيرة وقرع سن ديك الجن)
أقول هذا باب عقدناه لذكر غيرة المحب على المحبوب حتى من نفسه وأبناء جنسه والمحبوب فيها نوعان والمضر وبون بسوطها ضربان فالاول يحبه الله ورسوله ويتم به للعاشق سؤله والثاني مذموم وصاحبه ملوم فالنوع المحبوب منها أن يغار عند قيام الريبة والنوع المذموم أن يغار من غير ريبة بل من مجرد سوء الظن وهذه الغيرة تفسد المحبة ولا تترك مناصحة لانها توقع العداوة بين المحب والمحبوب وربما حملته على الوقوع فيما اتهمه به ويترتب عليها مفاسد كثيرة مما يؤدي الى فساد الصور والحكايات في هذا الباب مشهورة (وقد روي)

هذا الموضع ان المجنون تظرف حيث أسند الخفقان الى القلب والتعليق الى الشرك وأما انا فأقول ان قول عروة أبلغ لان الكبد ليس من شأنه الحركة ولا الخفقان كما هو دأب القلب فاسناد الخفقان الناشئ عن العشق اليه أبلغ ولان حركته تستلزم حركة القلب دون العكس ولا يساوي هذا المعنى كون القلب محل التعقل ومسكن المحبوب كما في كلامهم اذ الملحوظ حينئذ الروح الحيواني قوله عراف اليمامة قد سبقت قصته والعراف في الاصل الكاهن واستعمله هنا على الطبيب لاتحادهما لغة وما ألثاتها يعني ما رددتها وهي كناية عن شدة المرض وعمه المدعو عليه هو أبو عفراء وقد عرفت عذره وقوله ولوان واش باليمامة قد استعاره المجنون حيث قال

ولوان واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت أتانيا

وهي سرقة شنيعة مذمومة وهو هنا أظرف وابلغ من حيث الايهام لان قوله أحاذره من شؤمه يحتمل ان يكون ولو باقصى فارس وهذا هو اللائق بالمبالغة واما حضرموت واليمامة فكلاهما في أقليم واحد فلا يعظم مجيء الواشي

(اخبار عبد الله بن عجلان وصاحبته هند)

هو عبد الله بن عجلان بن عبد الاحب بن عامر بن كعب يتصل بقضاعة وهو فخذ من بني الحريش وسعد افترقوا من قضاعة على ما ذكر في الانساب اربعون فخذا وفي النزهة انه عذري وليس كذلك ولكن بينه وبينهم حيث لا ترمى العصا وذلك دون خمس جدود قال في كتاب الانساب كانت العرب تعد الرجل منها ما لم يفارقهم بخمس بطون فاذا بلغ ذلك قالوا قطع النسب ورميت العصا وكان عبد الله هذا يكنى أبا عمرة وهو شاعر مفلق وناطق مزلق رقيق أديب قال في بلغة الاشفاق في ذكر أيام العشاق وهو جزء لطيف لابن رشيق موضوعه ذكر مدة العشاق في العشق ان عبد الله هذا أقل العشاق أياما عاش مكابد المحبة وغصة العشق ثلاثين سنة وهو جاهلي ضرب به المثل كما ضرب بعروة فمما قيل فيه قول قيس

فما وجدت وجدي بها أم واحد * ولا وجد النهدي وجدي على هند

ولا وجد العذري عروة في الهوى * كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

فقوله النهدي اشارة الى ابن عجلان هذا وقد سماه عمرا في أبيات سبقت في قصته وقوله على هند متعلق بوجدي فليحذر من فهم صاحب النزهة وقول البحتري

هوى لاجميل في بثينة ناله * بمثلي ولا عبد بن عجلان في هند

وهند هي بنت كعب بن عمرو بن ليث النهدي يتصل مع عبد الله في النسب قال في الظرائف ان سبب اعتلاقه بها انه خرج يوما الى شعب من نجد ينشد ضالة فشارف ماء يقال له نهر غسان وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه فلما علا ربوة تشرف على النهر المذكور رآهن على تلك الحالة فمكث ينظر اليهن مستخفيا فصدعن حتى بقيت هند وكانت طويلة الشعر فاخذت تمشطه وتسبله على بدنها وهو يتأمل شفوف بياض جسمها من خلال سواد الشعر ونهض ليركب راحلته فعجز وأقعد ساعة وكان يقال عنه قبل ذلك ان العرب كانت تصف له ثلاث رواحل قائمة فيحلقها ويركب الرابعة فعند ذلك داخله من الحب ما أعجزه وعطل حركاته فانشد فورا

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة * اذا شئت لمسا للثريا المستها

من النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح ان من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره الله فالغيرة التي يحبها الله أن تكون في ريبة والغيرة التي يكرهها الغيرة في غير ريبة * وقال عبد الله بن شداد الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل أهله وغيرة تدخل النار * وقال صاحب روضة المحبين الذي يحب الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته واجلاله واذا خلا قلبه من الغيرة لله ورسوله فهو من المحبة أخلى وان زعم انه من المحبين فكذب من ادعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمته ويسعى في أذاه ومساخطه ويستخف بامره وهو لا يغار لذلك بل قلبه بارد فكيف يصح لعبد ان يدعي محبة الله وهو لا يغار لمحارمه اذا انتهكت ولا لحقوقه اذا ضيعت وأقل الاحوال أن يغار له من نفسه بترك ارتكاب معاصيه والتفريط في حقه واما الغيرة على المحبوب فانها تحمد حيث يحمد الاختصاص به ويذم الاشتراك فيه شرعا وعقلا كغيرة الانسان على زوجته وأمته والشيء الذي هو يختص به وهذه الغيرة تختص بالمخلوقين ولا تتصور في حق الخالق لانه سبحانه وتعالى يجب على جميع المخلوقين ان يحبوه ويذكروه ويعبدوه ويحمدوه خلافا لبعض جهلة الصوفية ممن كان اذا رأى من يذكر الله أو يحبه يغار منه وربما اسكته ان أمكنه ويقول غيرة الحب تحملني على هذا وانما ذلك حسد وبغي وعدوان ونوع معاداة لله ومراغمة لطريق رسله أخرجوها في قالب الغيرة وشبهوا محبته بمحبة الصورة وهذه الغيرة انما تحسن في محبة من لا تحسن المشاركة في محبته كغيرة الانسان على محبوبه من الآدميين كما تقدم ذكره * قال القشيري قيل لبعضهم أتحب ان تراه قال لا قيل ولم قال أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلي قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية وهذه أيضا غيرة فاسدة وغايته صاحبها ان يعفى عنه وان يعد ذلك من شطحاته

أتى

أتتني سهام من لحاظ فارشقت * بقلبي ولو استطيع ردار ددتها

ثم قال هذه والله الضالة التي لا ترد ثم عاد وقد تمكن الهوى منه فاخبر صديقاله فقال اكتم مابك واخطبها الى أبيها فانه يزوجك بها وان أشهرت عشقها حرمتها ففعل وخطبها فاجيب وتزوج بها وأقاما على أحسن حال وانعم بال لا يزداد فيها الا غراما فمضى عليهما ثمان سنين وانها أقامت على ذلك لم تحمل وكان أبوه ذا ثروة ليس له غيره فاقسم عليه ان يتزوج غيرها ليولد له ولد لحفظ النسب والمال فعرض عليها ذلك فابت ان تكون مع أخرى فعاود أباه فامره بطلاقها فابى فالح عليه وهو لم يجب الى أن بلغه يوما أن عبد الله قد تمكن السكر منه فعدها فرصة وأرسل اليه يدعوه وقد جلس مع أكابر الحي فنعته هند وقالت والله لا يدعوك لخير وما أظنه الا عرف انك سكران فيريد أن يعرض عليك الطلاق ولئن فعلت لمت واظن انك فاعل قال في النزهة وكان قد دخل على هند قبل ذلك اليوم عجوز كاهنة تضرب الحصا واخبرت هندا انها ستطلق فابى عبد الله الا الخروج فجاذبته ويدها مخلقة بالزعفران فاثرت في ثوبه فلما جلس مع أبيه وقد عرف اكابر العرب حاله فاقبلوا يعنفونه ويتناوشونه من كل مكان حتى استحى فطلقها فلما سمعت بذلك احتجبت عنه فوجد وجدا كاد ان يقضى معه وأنشد

طلقت هندا طائعا * فندمت بعد فراقها * فالعين يذرف دمعها

كالدر من آماقها * متحلبا فوق الردا * فتجول في رقراقها

خود رداح طفلة * ما الفحش من اخلاقها * ولقد ألذ حديثها

واسر عند عناقها * أن كنت ساقية بنبـ * ـل الادم أو بحقاقها

فاسقى بني نهد اذا * شربوا خيار زقاقها * فالخيل تعلم كيف الـ

ـحقها غداة لحاقها * بأسنة زرق منحـ * ـن القوم حدرقاقها

حتى ترى قصد القنا * والبيض في أعناقها

ولم يزل شوقه ينمو ووجده يسمو حتى لزم الوساد وتوفي على ماذكر في النزهة قبل عام الفيل بأربعة اعوام وكان سبب وفاته على الاصح انه قصد هندا وقد تزوجت في نمير وهي قبيلة من عامر وكان بينهم وبين بني نهد ثارات ودماء كثيرة فحذره أبوه من ذلك ومناه الاجتماع بعكاظ في الاشهر الحرم حيث تكف الجاهلية عن الحرب فابى وخرج سرا حتى أتاها فرآها جالسة على حوض وزوجها يسقى ابلاله فلما تعارفا شد كل منهما على صاحبه ودنا منه حتى اعتنقا وسقطا الى الارض فجاء زوجها فوجدهما ميتين وقيل ان عجوزا دخلت عليه في مرضه فأخبرتهم انه عاشق وان يطبخوا له شاة ويرفعوا قلبها ويقدموها اليه ففعلوا فجعل يحاولها بضعة بضعة فقال أما الشاة كم قلب فقال له اخوه أعاشق أنت ولم تدر فتأوه ومات وقيل رأى زوج هند يطوف وعليه ثوب فيه كف بالخلوق كالذي في ثوبه حين جاذبته فمات وقيل انه ترنم بهذه الابيات يوما ومد بها صوته فمات وهي

ألا ان هندا أصبحت منك محرما * وأصبحت من ادنى حموتها حما

فاصبحت كالمقمور جفن سلاحه * يقلب بالكفين قوسا وأسهما

وقيل ان هذه الابيات لمسافر بن عمرو أنشدها حين ولع بهند بنت عتبة وأراد زواجها فخرج الى النعمان بن المنذر بالحيرة ليطلب مهرها وقيل جملت منه فخرج هاربا وأصابه من عشقها مرض كبر معه فاستحضر له النعمان اطباء العرب فاجمعوا على كيه فكوى وبرئ فقدم أبو

المذمومة وأما أن بعد في مناقبه وفضائلها ان يقال له أتحب أن ترى حبيبك فيقول لا فلا ورؤيته أعلى نعيم الجنة وهو سبحانه وتعالى يحتجب عن عبد ما ان يسأله النظر اليه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان من دعائه اللهم اني أسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك وقول هذا القائل أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلي من خدع الشيطان والنفس وهو شبه ما يحكى عن بعضهم أنه قيل له الا تذكره فقال أنزهه أن يجري ذكره على لساني وقد وقع بعضهم في شئ من ذلك فلاموه فانشد

يقولون زرنا واقض واجب حقنا
وقد أسقطت حالي حقوقهم عني
اذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها
ولم يأنفوا مني أنفت لهم مني

وبعضهم من ترك الحج غيرة على بيته أن يزوره مثله وقد دلت شخصا على ترك الصلاة فقال لي اني لا أرى نفسي أهلا ان أدخل بيته فانظر الى تلاعب الشيطان بهؤلاء وأما الغيرة على المحبوب من الآدميين فللناس فيها ضروب وحسنات غالبها ذنوب فمنهم من يغار على المحبوب من النسيم اذا هب أو سماع أنه في الدرب

أغار اذا آنست في الحي أنة
حذرا وخوفا ان تكون لحبه

(وقال آخر)

تغار من الطيف الملم جارتها
ويغضب من مر النسيم غيورها

(وقال ابن الاثير في المثل السائر)

سافرت الى الشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة فدخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أربابها يلهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو أغار اذا آنست في الحي البيت المتقدم فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي

لو قلت للدنف المشوق فديته * مما به لأغرته بفدائه والذي أخذه من قول العباس بن الأحنف ألم أتق ذا الشجن بنوح عينيه

سفيان أوهو غيره فسأله عن مكة فلما انتهى الى زواج هند شهق فمات وقيل خرج فمات فى الطريق وقيل هى يعنى الابيات للغيرة فى اسماء النهشلية والصحيح ان أبيات المغيرة هذه

تحدثنا أسماء ان سوف نلتقى * أحاديث طسم انما كنت حالما
ألا أصبحت أسماء حجرا محرما * وأصبحت من أدنى حموتها حما

ولابن عجلان أشعار كثيرة من محاسنها قوله

قد طال شوقى وعادلى طربى * من ذكر خود كريمة الحسب
غراء مثل الهلال صورتها * أومثل تمثال صورة الذهب

ومنها

ألا أبلغا هندا سلامى وان نأت * فقلبى مذ شطت بها الدار مدنف
ولم أر هندا بعد موقف ساعة * بأنعم من أهل الديار تطوف
أتت بين أتراب تمايسن اذ مشت * دبيب القطا أوهن منهن ألطف
يباكرن مرآت خليا ودادة * ذكيا وبالايدى مدال ومسوف
أشارت الينا فى حياء وراعها * سراة الضحى منى على الحى موقف
وقال تباعد يا ابن عم فاننى * منيت بذى صول يغار ويعنف

ومنها

خليلى زورا قبل شحط النوى هندا * ولا تأمنا من دار ذى لطف بعدا
ولا تعجلا لم يدر صاحب حاجة * أغيا يلاقى فى التعجل أم رشدا
ومرا عليها بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لوجهيكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجارنا * ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا
غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد دارى من دياركم بعدا

(أخبار ذى الرمة وصاحبته مى)

هو غيلان بن معدى بن عمرو الكنانى القحطانى أوهو سعدى وقيل ابن عقبة بن بهوس بن ربيعة يتصل من عبد مناف بالياس بن مضر وهو الاصح أديب شاعر رقيق النظام جزل الكلام وافر الحظ من الفصاحة والشعر ورقة المزاج خبير بأحوال العشق والرمة بالضم وتكسر قطعة حبل تجعل فى عنق البعير ووهب طريف بن غطفان بعيرا الشخص بالحبل الذى فى عنقه فقيل أعطاه برمته فضرب مثلا لمن يعطى الشئ جميعه وبالكسر العظام البالية وسمى بذلك لانه كان كثيرا ما يجعل فى عنقه أوعلى عاتقه الحبل أوانه سمى بذلك لشدة نحوله فى العشق ومى هى بنت طلابة بن قيس بن عاصم الغسانى أحد ملوك العرب والده قيس نظير المنذر بن ماء السماء كان ذا حظ فى الملك يميل اليه العرب ويعطى القياد حتى ضربت به الامثال قال طرفة بن العبد بعد اشتكاء سوء حظه *ولو شاء ربى كنت قيس بن عاصم* يعنى فى ارتفاع الجد وسعة الملك قال فى النزهة وكان ذو الرمة لطيف المنظر حسن الهيئة طويلا الى رقة وبياض واسع الصدر عجل المشية وكانت مى جارية الى القصر ما هى سمراء بدينة الا أن فى كلامها عذوبة وفى طرفها تغزل قال فى الظرائف ان سبب اعتلاقه بها أنه مر يوما بالحى وقد أدركه الاوام فنظر الى بيت قد شرع رواقه وارتفعت أطباقه وعلا عموده وأطنابه ومدت أوتاده وأسبابه فقصده حتى وقف بازائه واذا هو بامرأة تمشط حاسرة الرأس قد أسبلت شعرها كأنه عثاكيل النخل ووجهها يشف من خلاله فناداها هل من اداوة تبرد الغليل فابرزت اليه ماء قد شيب بلبن فشرب ثم ناشدته الراحة فنزل وقدمت اليه طعاما

فاكل

الاحسنك ذلك المحبوبا حذرا عليك وانى بك واثق * ان لا ينال سواى منك نصيبا ومنهم من يلحق فى الغيرة يومه بأمسه ويغار على المحبوب من تزيين كلام نفسه كما قال البحترى

لى لا احسد ناظرى عليكا * حتى أغض اذا نظرت اليكا
وأراك تخطر فى شمائلك التى * هى فتنتى فاغار منك عليكا
ولو استطعت منعت لفظك غيرة * كى لا أراه مقبلا شفتيكا
خلص الهوى لك واصطفتك مودتى * حتى أغار عليك من ملكيكا

ومنهم من يغار عليه من ازاره ولبس ازاره

أرى الازار على ليلى فاحسده * ان الازار على ماضم محسود

قلت ولهذا البيت حكاية لطيفة وهى ما حكى عن الحسن بن زيد أمير المدينة أنه قال يوما لابى السائب وكان قد جمله وكساه فكان يركب معه فى موكبه ويسلم على النساء اذا مر بهن فنهاه الامير عن ذلك فسار معه يوما وعليه قلنسوة ففعل كعادته فأنشده الامير *أرى الازار على ليلى البيت فقال له أبو السائب بأبى أنت وأمى من الذى قال هذا البيت فقال قيس فتخلف أبو السائب عن مسايرته ثم لحق ولا قلنسوة عليه فقال له الامير أين القلنسوة قال تصدقت بها على الشيطان الذى ألقى هذا البيت على لسان قيس ومنهم من يغار عليه من ارتشاف السلاف كما قال كشاجم

وعذبنى قضيب فى كثيب * تشارك فيه لين واندماج
أغار اذا دنت من فيه كاس * على در يقبله زجاج
واشفق ان دنا المصباح منه * على بدر يقابله سراج

وتبعه المتنبى فقال فى ممدوحه أغار من الزجاجة حين تجرى * على شفة الامير أبي حسين

فأكل ولم تزل تنادمه وهو يعجب بها ويحترق قلبه الى ان انصرف بعد بياض النهار وقد
علق من قلبه بحبها الاعج يعجز عن اطفائه وغرام كل عن اخفائه فجعل تعاوده الزيارة
فقيل له في تقليل ذلك وان بلادها بعيدة عن بلاده وان ذلك يوجب له نصبا ومشقة فأنشد

وكنت اذا ما جئت ميا أزورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

وجلس قوم يتحادثون فافضوا الى حديث ذي الرمة وفيهم عقبة بن مالك الفزاري وهو
يومئذ شيخ قد جاوز المائة فقال مني خذوا اخبره أتاني يوما فقال ان حي مية خلوف فهل
تسعدني في الزيارة فركبنا حتى أتيناها فلما نظر النساء الى ذي الرمة عرفنه فجئن حتى
جلسن عنده وتفاوضوا في الحديث فقالت ظريفة من النساء اسمعنا ياذا الرمة ما قلت
فالتفت الي وقال لي قفي فأنشدت قوله

وقفت على ربع لمية ناقتي * فمازلت أبكي عنده وأخاطبه

فلما انتهيت الى قوله

نظرت الى اظعان مي كأنها * ذرا النخل أو أثل تميل ذوائبه

فأسبلت العينان والقلب كاتم * بمغرورق نمت عليه سواكبه

بكى وامق حال الفراق ولم تحل * حوائلها أسراره ومعاتبه

هو الالف قد حان الفراق ولم تحل * محاولها أسراره ومقانبه

قالت الظريفة لكن اليوم فلتحل ثم مضيت فلما انتهيت الى قوله

وقد حلفت بالله مية ما الذي * أحدثها الا الذي أنا كاذبه

اذا فرماني الله من حيث لا أرى * ولا زال في أرضي عدو أحاربه

قالت مي ويحك ياذا الرمة خف عواقب الله عز وجل ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا سرحت من حب مي سوارح * على القلب أمته جميعا عوازبه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مية ما أصحه وهنيأ له قال فتنفس ذو الرمة تنفسة
كاد حرها يذهب بلحيته ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا نازعتك القول مية أو بدا * لك الوجه منها أو نضى الدرع سالبه

فيالك من خد أسيل ومنطق * رخيم ومن خلق تعلل شاربه

وفي رواية القالي اذا راجعتك بدل اذا نازعتك فقالت الظريفة هذا القول قد تنوزع
والوجه قد بدا فمن لنا بان ينضي الدرع سالبه فقالت مي ماذا تريدين وتضاحكت فقالت
الظريفة ان لهذين لشأنا فقوموا بنا فقمت ومضيت وجلست بحيث أراهما فجعلا تعاتبا طويلا
ولن يبرح من مكانه ولم أسمع منهما غير ان قالت كذبت والله ولم أعلم علام كذبته ثم جاءني
ومعه قارورة دهن قد أتحفته بها فقال لي شأنك وهي ثم قال وهذه قلائد قد أعطتنيها فوالله
لاقلدتها بعيرا وعقدها في سيفه وانصرفنا فلما ظعن الحي جاءني فقال امض بنا نودع
الآثار فخرجنا حتى وقفنا على اطلال مية فأنشد

ألا فاسلمي يادار مي على البلا * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وان لم تكوني غير شام بقفرة * تجر بها الاذيال صيفية كدر

وانفضحت عيناه بالعبرة فقلت مه فقال اني لجلد وان كان مني ما ترى ثم انصرفنا فوالله

ومنهم من يمتنع من ذكر محبوبه مخافة تعريضه لحب غيره له كما قال علي بن عيسى الرافعي

من نفسه كما قال أبو تمام

بنفسي من أغار عليه مني
وأحسد مقلة نظرت اليه
ولو أني قدرت طمست عنه
عيون الناس من حذري عليه
حبيب بث في جسمي هواه
وأمسك مهجتي رهنا لديه
فروحي عنده والجسم خال
بلا روح وقلبي في يديه

(وقال أيضا)

أغار عليك من قلبي
وان أعطيتني أملي
واشفق ان أرى خديك
نصب مواقع القبل

(وقال الآخر)

يامن اذا ذكر اسمه في مجلس
لذ الحديث به وطاب المجلس
اني لمن نظري أغار وانني
بك عن سواي من الانام لانفس

ومنهم من يغار عليه من وصاله له مخافة أن يكون مفتاحا لغيره كما قال علي بن عبد الله الجعبري

ربما اسر في صدودك عمدا
وطلابيك وامتناعك عني
حذرا أن أكون مفتاح غيري
فاذا ما خلوت كنت التمني

(وقال آخر)

ولما رمت باللحظ غيري حسبتها
كما أثرت بالعين تؤثر بالقلب
واني لأرجو ان تدوم بعهدها
ولكن سوء الظن من شدة الحب

(وقد بالغ ابن مطرح حيث يقول)

فلو أضحى على تلفي مصرا
لقلت معذبي بالله زدني
ولا تسمح بوصلك لي فاني
أغار عليك منك فكيف مني
ولست بواصف يوما حبيبا

ما رأيت أشد صبابة ولا أحسن صبرا منه وكان آخر العهد به وله أشعار كثيرة فمن الطفها القصيدة الحائية التى أولها

أمنزلتى مى سلام عليكما * على النأى والنأى يود وينضح
ومنها ذكرتك اذ مرت بنا أم شادن * امام المطايا تشرئب وتنصح
من المؤلفات الرمل أدماء حرة * شعاع الضحى فى متنها يتوضح
وأينا كأنا عامدون لصيدها * ضحى فهى تنبو تارة وتزحزح
هى الشبه اعطافا وجيدا ومقلة * ومية أبهى بعد منها وأملح
ومنها على حين راهقت الثلاثين وارعوت * لذاتى فكاد الحلم بالجهل يرجح
اذا خطرت من ذكر مية خطرة * على القلب كادت فى فؤادى تجرح
تصرف أهوى القلب منى ولا أرى * نصيبك من قلبى لغيرك يمنح
فبعض الهوى بالهجر يمحى فينمحى * وحبك عندى يستجد ويرجح
ولما شكوت الحب كيما تثيبنى * بوجدى قالت انما أنت تمزح
بعادا وادلالا على وقد رأت * ضمير الهوى قد كان بالجسم يبرح
لئن كانت الدنيا على كما أرى * تباريح من ذكراك فالموت أروح
ومنها خليلى عدا حاجتى من هواكما * ومن ذا يواسى النفس الا خليلها
ألما بمى قبل أن تطرح النوى * بنا مطرحا أو قبل بين يزيلها
وان لم يكن الا تعلل ساعة * قليلا فانى نافع لى قليلها
ومنها خليلى عوجا من صدور الرواحل * بجمهور حزوى فابكيا فى المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفى وحى البلابل
ومنها ولما تلاقينا جرت من عيوننا * دموع كففنا غربها بالاصابع
ونلنا سقاطا من حديث كأنه * جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع
ومنها اذا هبت الارياح من نحو جانب * به آل مى زاد قلبى هبوبها
هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

(أخبار مالك وصاحبته جنوب)

هو مالك بن الحرث بن الصمصامة بن أخرش الجعدى من بنى أخرش أخو ذى الرمة قال فى الانساب هم أكبر فخذ من قحطان ولم يعقب أخو ذى الرمة غيره وغير مسعود وهمام وهم قبائل معروفة وكان مالك شجاعا جلدا ذا نجدة ولكنه مات بالعشق على نحو ثمان وعشرين من عمره (وجنوب) هى بنت قيس بن أصبغ بن محصن بن أخرش الجعدى علقها شابا بين وسبب ذلك انه جاء يوما الى أخيها الاصبغ يسترفقه الى حى من كنانة لحاجة عرضت لمالك عندهم لما بينهما من الصحبة والقرابة فرأى جنوب وقد ألقت ما عليها من اخلاس بأخضر شغاف فرآها على بغتة فوقعت من قلبه فعاد وقد تمكن حبها منه فافضى بذلك الى رجل من أصحابه فوشى به الى أخيها وكان معروفا بالشجاعة فحلف ليقتلنه ان تيقن ذلك فضمهما يوما مجلس وقد أقبلت جنوب فلم يستطع ان يكلمها وأخذته رعدة فضمه شخص الى صدره وفطن الاصبغ فقام خجلا وبقى مالك مغشيا عليه فلما أفاق أنشد

خليلى ان حانت وفاتى فادفنا * برابية بين المقابر فالنفر

لغيره فكان ذلك سبب فراقها واتصالها بالموصوف له وذلك من قلة عقله وحمقه وقد رأيت جماعة بهذه الصفة ومنهم من بالغ فى الغيرة حتى قتل محبوبه مخافة أن يموت هو فيتمتع بمحبوبه بعده غيره كما ذكر ذلك عن جماعة من جملتهم ديك الجن الحمصى وقد أفردت لحكايته رسالة مستقلة وسميتها قرع سن ديك الجن وكتبت بها الى مولانا السلطان الملك الناصر حسن فى سنة ستين وسبعمائة وهو فى سرياقوس وكان قد تقدم ما يوجب ذلك فلذلك افتتحت الرسالة المذكورة بقولى يقبل الارض وينهى ان ديك الجن المذكور من جملة جنونه انه كان يهوى جارية وغلاما له فمن شدة حبه لهما وغيرته عليهما خشى أن يموت وان غيره يتمتع بهما بعده فعمد اليهما فذبحهما بسيفه واحرق جسديهما وصنع من رماد الجارية برنية للخمر ومن رماد الغلام برنية أخرى كذلك وكان يضعهما فى مجلس أنسه عن يمينه وشماله فكان اذا اشتاق الى الجارية قبل البرنية المعمولة من رمادها وملأ منها قدحه وأنشد

يا طلعة طلع الحمام عليها
وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها التراب وطالما
روى الهوى شفتى من شفتيها
وأجلت سيفى فى مجال خناقها
ومدامعى تجرى على خديها
فوحق نعليها وما وطئ الثرى
شئ أعز على من نعليها
ما كان قتلتها لانى لم أكن
أبكى اذا سقط الغبار عليها
لكن ضننت على سواى بحسنها
وأنفت من نظر العيون اليها واذا اشتاق الى الغلام قدم البرنية المعمولة من رماده وملأ منها قدحه وبكى

لكيما

لكيما تقول العبدلية كلما * رأت جدثى سقيت ياقبر من قبر

وفى النزهة فادفنا عنى مابين الرابية فالنغر قال والرابية طريق بين نجد وتهامة تسلكه العرب والنغر تربة مشهورة وهذه الرواية أصح وأنسب بالمعنى وفيها بدل سقيت حييت ثم ان العرب نجعوا النجعة وسيمة بعنى مكانا أمطر وأعشب سابقا فوقف مالك يتصفح الظعن متخفيا حتى مرت جنوب فأخذ بخطام بعيرها وأنشد

رأيتك ان أزمعتم اليوم نية * وغالك مصطاف الحمى ومرابعه
أترعين ما استودعت أم أنت كالذى * اذا ما نأى هانت عليه ودائعه

فبكت ثم قالت أرعى والله ولا تهون عندى ودائعه فأطلقها ومضى فى نشيده يقول

ألا ان وردا دونه قلة الحمى * منى النفس لو كانت تنال شرائعه
وكيف ومن دون الورود عوائق * وأصبح حامى ما أحب ومانعه
فلا أنا فيما صدنى عنه طامع * ولا أرتجى وصل الذى هو قاطعه

ثم انصرف فبات ليلة قلقا فلما أصبح ركب وضرب الفضاء ليتنزه نفسه فبينما هو على ماء يستريح اذ سمع شخصا يشتكى الى شخص ثقل رأسه وقلة سمعه فقال له منذ كم أصابك قال من أمس فقال هذا من الهواء الذى كان بارحة أمس فانه جنوب وهواء الجنوب ضار فلما طرق الكلام رأسه قال أى والله لا أضر من هواها أجد وسقط كالمصروع فجاؤا اليه واحتملوه بعد ان قارب الفراق ثم مضوا به الى الحى فقام ليلتين ثم قضى (وفى النزهة) انهم دعوا له بطبيب فلما أبصره أنكر حاله فدعا بشراب وسقاه فلما تمكن منه أنشد

خليلى ان العبدلية أزمعت * على الصد والهجران فاستدنيا عنسى
فلا صبر لى بعد الفراق على الجفا * ولا راحة الا التوسد فى رمسى
فصبر محب عن حبيب يحبه * محال وهل جسم يعيش بلا نفس

ثم شهق شهقة خرجت نفسه قلت وهذه الابيات قد نقلتها من جزء لطيف سماه صاحبه جلاء الاذهان فى منتخب شعر قتلى الحسان وفى النزهة نقله عن ذى الرمة ورواه بلفظ ان المقرية يعنى مية وفى لطائف الفوائد وظرائف الشوارد لابن عبد ربه ان مالكا هذا لما قضى اتصل نعيه بجنوب وقد قدم اليها لبن فلما امتصته ووقع الكلام فى أذنها اضطربت خفيفا ثم اضطجعت فاذا هى ميتة *(أخبار عبد الله بن علقمة وصاحبته حبيش)* هو عبد الله بن علقمة بن زرارة من قحطان (وصاحبته حبيش) بنت سعد بن أسلم من خزيمة قبيلة من اليمن ولم يذكره فى النزهة ولكنى رأيت فى ظرائف الاخبار ان سبب اعتلاقه بها انه أضاف أهلها فأجلسوه فى متحدثهم فخرجت حبيش وعلى وجهها سب أخضر فوقفت تحلب ناقة وهو ينظر فضرب الهواء السب فكشف وجهها ويديها وكانت طويلة الى الرقة واسعة الصدر كأن وجهها البدر فلما غابت عن عينه ساعة ثم عاوده الشعور فسكت خيفة أن يظهروا على حاله ثم جاءت اليه باللبن ليشرب فلما تناوله ارتعد حتى سقط من يده ففطنت لما به وكان شابا كأنه القمر فداخلها ما داخله ولم يكونا متقاربين فى المنزل لأنهما من قبيلتين فافترقا على ما داخلهما من الهوى وان الغلام أرسل أمه بهدية اليها وتبعها وأقاما عندها فلم يزل كذلك يذهب مع أمه ويعود اليها أياما وكان فى أوائل الهجرة فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى جذيمة وعليهم خالد بن

وأنشد قوله فيه أشفقت أن يرد الزمان بغدره * أو أبتلى بعد الوصال بهجره

ثم أنا استخرجت من ضمنه
لبليتى وأثرته من خفره
فقتلتموه على كرامة
فلى الحشا وله الفؤاد بأسره
عهدى به ميتا كأحسن نائم
والطرف يفسح دمعتى فى نحره
لو كان يدرى الميت ماذا بعده
بالحى منه بكى له فى قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه
ويكاد يخرج قلبه من صدره

(أقول) هذا الذى يقال له الجنون فنون فانا لله وانا اليه راجعون من فعل هذا المجنون على انه من أرق الناس شعرا وأكثرهم للمحبوب ذكرا فمن شعره الفائق ونظمه الرائق قوله فى الدعاء على المحبوب

كيف الدعاء على من خان أو ظلما
ومالكى ظالم فى كل ما حكما
لا واخذ الله من أهوى بجفوته
عنى ولا اقتص لى منه ولا انتقما

(أقول) صار الطالب مطلوب وهذا الفقه المقلوب ما كفاه انه فعل بالاحباب مالا تفعله الكلاب حتى يقول لا واخذ الله من أهوى بجفوته ويمزج رقة شعره بقسوته فهو فى الخفة والطيش وقتل المحبوب لا فى ايش ولا على ايش فمن غلب عليه هواه كما تراه ففعل بمحبوبه ما فعل وأقام ضربه بالسيف مقام القبل

أحبابه لم تفعلون بقلبه
ماليس تفعله به أعداؤه

وقد أثبت هذه الرسالة بكمالها فى الباب الاول من كتابى مرآة العقول ومما ينخرط فى سلك هذه الحكاية ما حكاه الشيخ أثير الدين أبو حيان فى تفسيره عند قوله تعالى يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك ونقل عن العزيز انه كان قليل الغيرة وتربة إقليم مصر اقتضت هذا يعنى قلة الغيرة ثم قال وأين هذا مما يجرى لبعض

الوليد فصادفوا العرب ظاعنين ورأوا عبد الله وراء القوم يسوق قلوصاله وأمسكوه وعرضوا عليه الاسلام فقال وما هو فقالوا كذا وكذا فقال أرأيتم ان أنا لم أسلم فما أنتم صانعون قالوا انضرب عنقك فقال هل لكم ان تتركونى أمضى الى الظعن قالوا بلى ونحن فى أثرك فمضى يتصفح الهوادج حتى وقف على هودج حبيش فناداها اسلمى حبيش فقد نفد العيش وفى رواية انقطع فقالت حبيش أو أسلم عشرا أو تسعا وترا أو ثمانا أو ثلاثا نثرا على الخلاف فى السيرة والمستدرك والتهذيب ثم أنشد

أريتك ان طالبتكم فوجدتكم * ببرزة أو أدركتم بالخوانق
أما كان حقا ان ينول عاشق * تكلف ادلاج السرى والودائق
فانى لاسرى لدى أضعته * ولاراق عينى بعد وجهك رائق
على ان ما ناب العشيرة شاغل * ولا ذكر الا أن يكون توامق
فها أنا أسو رلديك مكبل * وما ان رآ نى بعدها اليوم ناطق

فأجابته

أرى لك أسبابا أظنك مخرجا * بها النفس من جنبى والروح زاهق

فأجابها

فان يقتلونى يا حبيش فلم يدع * هواك لهم منى سوى غلة الصدر
فانت التى قفلت جلدى على دمى * وغشمى وأسلت الدموع على النحر

فأجابته

ونحن بكينا من فراقك مرة * وأخرى وقاسيناك العسر باليسر
فأنت ولا تبعد فنعم أخو الندى * جميل الحيا فى المروأة والبشر

وفى رواية بعد قوله تكلف ادلاج السرى والودائق

فلا ذنب لى قد قلت أنا هنا معا * أثيبى بود قبل أخذ الصفائق
أثيبى بود قبل ان يشحط النوى * وتنأى الليالى بالحبيب المفارق

ثم ضربه غلام وأطار يده وقدم فضربت عنقه وقيل أوثقوه أولا حين أدركوه وانه رأى رجلا منهم فقال له اما تستطيع ان تعرضنى على النساء قبل ان تقتلونى فقيل هل ما طلبت وعلى كلا الاحوال أنهم قتلوه وانها نزلت حين رأت ذلك فقبلته وشهقت شهقة أو شهقتين فماتت ولما أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال أما كان فيكم رجل رحيم وفى نديم المسامرة للقدسى ان عبد الله حين فشا أمره مع حبيش قالوا لامه ان ولدك قد تولع بهذه وليست من حيكم فاعرضى عليه نساءكم لعله يشتغل بواحدة منهن عنها ففعلت فقيل له ما ترى فيهن قال حسنا وجمالا فقيل أيما أحسن هن أم حبيش فتنفس الصعداء ثم قال ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان فمضى مثلا فى العرب

(أخبار نصيب وصاحبته زينب)

هو ابن محجن نصيب بضم النون وفتح الصاد المهملة الشهير بالشاعر الزنجى مولى راشد بن عبد العزى من كنانة وصاحبته أم بكر زينب بنت صفوان بن غازى كنانية فى الاصح وليست زنجية كما زعم وسبب الوصلة بينهما ان نصيبا كان يرعى ابل مولاه وكانت رعاة مولاه تخالط رعاة صفوان فى المبرك بوادى البوار وكانت زينب تأتى رعاة أبيها فتأخذ لبنا وان نصيبا تولع ببرى القسى وارائشة السهام وحز الاوتار فبرع فى ذلك حتى اشتهر فى أحياء العرب وكان يجلس لفعل ذلك وتذهب الرعاة فتقوم عنه بالخدمة وتخلف الحلوب من النوق فى المعاطن فتأتى زينب وهى جارية صغيرة فتأخذ اللبن فينظرها وكان حاذقا حسن التأمل فى

بيتين من الجارية وكانت قد غنت بهما فالبس حتى أتى برأس الجارية مقطوعا فى طشت وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط ذلك الرجل المستعيد ومرض مدة حياة ذلك الملك (قلت) لومات كان معذورا فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ومثل هذا أيضا ما فعله جعفر بن سليمان وذلك انه لما اشترى جاريته الزرقاء وكانت جارية نفيسة غالية الثمن وهى بثمانين ألف درهم وكانت من القينات الحسان ذوات الالحان فقال لها يوما هل ظفر منك أحد ممن كان يهواك بخلوة أو بقبلة فخشيت أن يبلغه شئ كانت فعلته بحضرة جماعة أو يكون قد بلغه فقالت لا والله الا يزيد بن عون العبادى قبلنى وقذف فى فى لؤلؤة بعتها بثلاثين ألف درهم فلم يزل جعفر يطلبه ويحتال له حتى وقع فى يده فضربه بالسياط حتى مات (قلت) قد استراح والله من هذا الصداع كله وأنشد عبد المحسن الصورى حيث قال فى عدم الغيرة على محبوبه

تعلقته سكران من خمرة الصبا
به غفلة عن لوعتى ونحيبى
وشاركنى فى حبه كل ماجد
يشاركنى فى مهجتى بنصيب
فلا تلزمونى غيرة ما ألفتها
فان حبيبى من أحب حبيبى

وقد بالغ الآخر فقال يتبجح بالقيادة

أقول بحمد الله لا عن كراهة
وغير فؤادى على رغم أنفه

وما أحسن قول أبى الحسين الجزار

قلت لما سكب الما
فى على الارض الشرابا
غيرتمنى عليه * ليتنى كنت ترابا

وقال نور الدين الاشعرى وأحسن ما شاء

دقائق لمحاسن ولطائف الشمائل وهي من ذلك في أرفع المراتب فنشأ عنده من حبها ما غير باله واشغل حاله فشبب بها وفشا ذلك فأتت العرب مولاه فقالت ان عبدك هذا قد برع في الشعر ونخشى ان يهجو أحدنا أو يشبب بنسائنا وليس لنا في أحد الحلتين سيرة فقال له مولاه اني بائعك فانظر لنفسك فاقبل حتى دخل على الامير وهو يومئذ عبد العزيز بن مروان فانشد

لعبد العزيز على عترته * وغيرهم من ظاهره
فبابك أسهل أبوابهم * ودارك مأهولة عامره
وكلبك ارأف بالزائرين * من الام بالابنة الزائره
وكفك حين ترى السائلين * لاثرى من الليلة الماطره
فمنك العطاء ومنا الثناء * بكل محبرة سائره

فامر له بألف دينار فقال أصلحك الله اني عبد لا آخذ الجوائز ولكن أباع فقال لخادمه أمض به الى باب الجامع فاذا انتهت الرغبات فيه فاخبرني فمضى فلما نودي عليه بذل فيه شخص خمسين دينارا فقال نصيب قولوا يحسن كذا وجعل يعدد صنائعه وهو يوفي بها حتى انتهى الى ألف دينار فاخذه الامير فكان في خدمته الى ان توفي فاوصى به سليمان بعد ان اعتقه على ماذكر بعض المعتنين بذكر محاسن الحبش والزنج فكان من أكبر سماره وكان يلهج بالعشق وقال ابن فاتك في محاسن العبيد ان سليمان استخفى ليلة فسمع نصيبا وقد استخلى بنفسه يبكي ويقول متمثلا بكلام المجنون قضاها لغيري البيت فاستحضره فقال ماهذه التي قضاها لغيرك وابتلاك بحبها أوعاشق أنت قال أي والله جعلت فداك من العشق فقال ولمن قال لجارية في كفالة علقتها فمنعت منها القلة حسبي وحقارة نسبي عند العرب فكنت أجلس في ممرها لأختالسها النظر وفي ذلك أقول

جلست لها كيما تمر لعلني * اخالسها التسليم ان لم تسلم
فلما رأتني والوشاة تحدرت * مدامعها خوفا ولم تتكلم
مساكين أهل العشق ماكنت اشترى * حياة جميع العاشقين بدرهم

فوعده سليمان بتزويجها (في النزهة) ومحاسن العبيد لابن فاتك انه زوجه بها وأقام معها وانها توفيت عنده في خلافة سليمان وقيل انه تزوجها على يد اليزيد بن الوليد وماذكره هنا من ان يزيد استخبره هل عشقت فقال نعم عشقت جارية حمراء يعني من البيض ومنعت منها مدة فلما توفي من كان يمنعها كتبت اليها

فان أك حالكا فالمسك لوني * ومالسواد جلدي من دواء
ولي كرم عن الفحشاء ناء * كبعد الارض عن جو السماء
ومثلي في رجالكم قليل * ومثلي لايرد عن النساء
فان ترضي فردي قول راض * وان تأبي فنحن على السواء

فقالت المال والعقل يغطيان غيرهما فتزوجته يدل على ان ليس ليزيد في تزويجها شيء وقيل انه تزوجها على يد ابن أبي عتيق وفي تسريح النواظر انه لم يتزوجها وانها اعتذرت حين أرسل اليها بان العرب تعيرها بزواج الزنجي والمتواتر خلاف ذلك أخبر التنوخي والتوزي كلاهما عن ابن الجزار بسنده الى العتبي قال شهدت هوادج مزينة حين نزلنا الى مكة فلما نزل الحاج خرج من أعظمها هودجا امرأة وقدم لها مهادا فجلست وأقبل زنجي

(الباب السابع في افشاء السر والكتمان عند عدم الامكان)

أقول هذا باب عقدناه لذكر افشاء السر وضده وهزل كل منهما وجدناه للمحبين فيهما مذهبان مذهبان فمنهم من أباح اباحته ورأى في افشائه راحته ومنهم من رأى كتمانه من الديانة فجعل من مراتب الحب في أعز مكانه حيث قال باح مجنون عامر بهواه

وكتمت الهوى فمت بوجدي
فاذا كان في القيامة نودي
من قتيل الهوى تقدمت وحدي

نعم من الناس من كتمه فاراه كتمانه عدمه ومنهم من أفشاه فوقع فيما يخشاه ولكل من المذهبين شاهد وبحر دمع زائد لا ينجو غريقه ولا تسلك طريقه فالعاشق منهما بين داءين كلاهما الاخطر وسيفين لابد من قتله باحدهما على الصحيح الاشهر كما قال شهاب الدين السهروردي المقتول بحلب

وارحمة للعاشقين تحملوا
سر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم
وكذا دماء العاشقين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم
عند الوشاة المدمع السفاح

والذي أراه في ذلك كله وتمييز وابله من طله ان المحب اذا علم من محبوبه الوفاء وعدم الجفاء فواجب عليه افشاء السر الى الحبيب وابداء العلة الى الطبيب كما قيل

وبح بالسر ائر في أهلها
واياك في غيرهم أن تبوحا

وقد ظرف أبو جعفر الشطرنجي حيث قال

قل لمن شئت انني بك مغرم * ثم دعه بروضة ابليس

وقد قال بعض من مارس الحب وحلب أشطره افشاء الحب نوع من الحمق

القبو بيو شكوى ما يقاسيه طرف من السحر (قلت) بل هو السحر كله ومعظمه وجله وقد عرف ذلك من جربه وأدبه

حتى جلس الى جانبها فرسا تق ابل وهو يقول

بزينب ألمم قبل ان يدخل الركب * وقل ان تمليناقما ملك القلب

فوثبت المرأة فضربت الذى الى جانبها وقالت قد فضحتنا فسألناعنهما فقيل هى زينب وهو نصيب ونحو هذا عن الزبير عن الحزامى وعن ابن خلف وابن الجوهرى فى اخبار السودان وكل يصف المرأة بالبياض ماعدا الاول فانه قال انها زنجية وعن ابن خلف من طريق آخر بينما نحن فى الركب اذا زنجى يمشى والى جانبه امرأة كأنها البدر والمسك يسطع منهما فقلت له من أنت قال أنا الذى أقول

ألا ليت شعرى ما الذى هو حادث * غداغربة النأى المفرق والبعد

لدى أم بكر حين تقذفها النوى * بنا ثم يخلوا الكاشحون بها بعدى

اتصرمنى عند الذين هم العدا * فتشمتهم بى أم تدوم على العهد

فصاحت المرأة لا والله بل تدوم على العهد وتوفى نصيب سنة ثلاث عشرة ومائة وقيل احدى عشرة وفى كتاب ابن الجوهرى كانت وفاته تاسع شوال من السنة المذكورة وقيل توفيت قبله ورؤى باكيا عليها وهو يقول

أيا دهر ما هذا النامنك مرة * عثرت فاقصدت الحبيب المحببا

وأبدلتنى من لا أحب دنوه * واسقيتنى صبا من العذب مشربا

ومن لطائف شعره

كسيت ولم أملك سوادا وتحته * قميص من الصوهى بيض بنائقه

وما ضر أثوابى سواد وانى * لكالمسك لا يخلو عن المسك ناشقه

ولاخير فى ودامرئ متكاره * عليك ولافى صاحب لا توافقه

اذا المرء لم يبذل من الود مثله * بعافية فاعلم أنى مفارقه

ومنها وما فى الارض أشقى من محب * وان وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيا ابدا حزينا * مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكى ان نأوا شوقا اليهم * ويبكى ان دنوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند التنائى * وتسخن عينه عند التلاقى

(اخبار المرقش وصاحبته اسماء)

هو عمرو او عوف بن سعد مالك بن قيس بن ثعلبة بن ربيعة أعلى قبائل طيئ ولد باليمن قبل خروج ربيعة ثم انتقلوا الى العراق فنشأ بها وله أخوان أنس وحرملة رفعهم أبوهم الى نصرانى ببغداد يتعلمون الكتابة وكان سعد والده يرى دين النصرانية ومات فقام عمرو مقامه فى العرب فكان شجاعا مهابا فى العرب خرج يوما وقد قطع وادى نجران بأسد ونمر فلم يطق أحدان يمر منهما فلما رأى عمرو الاسد وثب عليه فزاوغه ووثب فصار على ظهره فامسك اذنيه مستثبتا ثم دق رأسه وسلخ جلده فلما أحس بالنمر التف فى جلد الاسد ونام رافعا سيفه فوثب النمر لينزل عليه فتلقاه بالسيف ثم سلخه وأخذ جلده عليه وأقبل على العرب فسموه المرقش وقيل سمى بذلك لقوله

الدار قفر والرسوم كما * رقش فى ظهر الاديم قلم

ومن ولد اخيه حرملة رجل دعته العرب بالمرقش الاصغر لشبهه ذا الثواسمائهى بنت عوف

وهذه وعلى هذا حكاية أحمد بن واصل قال لما كلفت عباسة بنت المهدى بجعفر بعد أن زوجها الرشيد وشرط عليه أن لا يقربها واشتد وجدها به وعشقها له ولم يطاوعها على ما أحبت وخاف على نفسه من الرشيد أن يظهر امرها فكتبت له

عزمت على قلبى بأن يكتم الهوى
فصاح ونادى اننى غير فاعل
فان لم تصلنى بحت بالسر عنوة
وان عنفتنى فى هواك عواذلى
وان كان موت لا أموت بغصتى
وأقررت قبل الموت انك قاتلى

فنالت منه ما أرادت وهل حصل لها ذلك الا بافشاء سرها وشكوى ضرها * وقال ابن شاذان الكاتب قالت لى عريب جارية المأمون كنت مع الواثق وهو يطوف على حجر جواريه عند خروجه الى انبار متنزها فدخل على فريدة جاريته وكان يحبها جدا وكان أيضا يهوى وصيفة لها ولم يكن يعلم ذلك غيرى فلما رأته عند مولاتها دخلت خزانتها وقامت على رأسها وعليها عصابة مكتوب عليها بالذهب هذان البيتان

عينى تبكى حذر البين
ما أسخن الفرقة للعين
لم أر فى الحب ولوعاته
أوجع من فرق الفين

فقال لى الواثق فهمت يا عريب فقلت نعم يا سيدى فكتب على الارض بقضيب فى يده

ظهر الهوى وتهتكت أستاره
والحب خير سبيله اظهاره
فاعص العواذل فى هواك مجاهرا
فالعيش المستهام جهاره

فتنفست الاريحاء وتضاحكنا فضنت فريدة فقالت يا سيدى علمت بما انتما فيه فامتن على امتك بقبولها

ابنة

ابن سعد بن مالك أيضا وكان عمرو قد ألفها من التربية صغيرين فخطبها الى عمه فانعم ومضى عمرو الى جار له فلاقه فمدحه وحظى عنده فامسكه مدة وان الفلا موقع بالبادية وطرقها جدب فقدم مرادى على عوف يخطب أسماء فزوجه بها على مائة ناقة واحتملها الى قومه وعمدوا الى عظام كبش قد نحروه ودفنوا عظامه وصيروها قبرا فلما قدم عمرو أخبروه انها ماتت وأروه القبر فلزمه حتى ضنى وتغير حاله فبينما هو يوما منتحبا اذ سمع ولدا قد اقتتل مع آخر على كعب يقول هذا أخذته من عظام الكبش الذى دفن وقيل لعمرو انها أسماء فدعاه وسأله الخبر فخبر من عرف ذلك دعا بزوج ابنته وسار الى طلب المرادى فقيل ان اخوته شعروا به فردوه فمات وتظافرت الاخبار بانه وصل الى واد بقرب مراد وقد ثقل فى المرض فقال لزوج ابنته لها أتركيه واذهبى بناقة قد اجهدناها فلما سمع ذلك كتب على مؤخر الرحل

يا صاحبى تلبثا لا تعجلا * ان الرواح رهين ان لا تفعلا
فلعل لبثكما يقرب بيننا * أو يسبق الاسراع سيبا مقبلا
يا راكبا اما عرضت فبلغن * أنس بن سعد ان لقيت وحرملا
لله دركما ودر أبيكما * لا يفلت العبدان حتى يقتلا
من مبلغ الاقوام ان مرقشا * أضحى على الاصحاب عبئا مثقلا
وكانما ترد السباع بشلوه * اذ غاب جمع بنى ضبيعة منهلا

فلما رأى اخوته الكتابة قتلا الرجل والمرأة واما عمرو فحين ذهبا عنه بقى مطروحا فأوى الى غار هناك وكان بالقرب راع من مراد فبينما هو به اذا هو بغنم وراعيها فلما بصر به الراعى قال له من أنت قال له المرقش أنا رجل من مرادى فراعى من أنت فاعلمه باسم الذى هو عنده فاذا هو زوج أسماء فقال له هل تكلم مولاتك قال لا ولكن تأتينى جاريتها من عندها لاخذ اللبن قال فى النزهة وكانت أسماء قد مرضت أيضا شوقا اليه فلم تغتذ الا بقدح من لبن فى اليوم فنزع عمرو خاتمه وقال للراعى ألقه فى القدح فستصيب به خيرا فلما رأته دعت الجارية فاخبرتها ان لا علم لها فنادت زوجها وأخبرته القصة فاستحضر الراعى فلما عرفه ركب وأركب زوجته فادركوا عمرا وبه رمق فاحتملوه عندهم فمات وقيل أنشد عند موته

سما نحوى خيال من سليما * فأرقنى واصحابى هجود
فبت أدير أمرى كل حال * وأذكر أهلها وهم بعيد
على ان قد سما طرفى لنار * يشب لها بذى الارطى وقود
حواليها مها بيض التراقى * وآرام وغزلان رقود
نواعم لا تعالج بؤس عيش * أوانس لا تروح ولا ترود
يرحن معا بطاء المشى رودا * عليهن المجاسد والبرود
سكن ببلدة وسكنت أخرى * فقطعت المواثق والعهود
فما بالى أفى ويخان عهدى * وما بالى أصاد ولا أصيد
ورب أسيلة الخدين بكر * منعمة لها فرع وجيد
وذى أشر شتيت النبت عذب * نقى اللون براق برود
لهوت بها زمانا فى شبابى * وزينها النجائب والقصيد
أناس كلما أخلقت وصلا * عنانى منهم وصل جديد

(وله) أغالبك القلب اللجوج صبابة * وشوقا الى أسماء أم أنت غالبه
يهيم ولا يعيى باسماء قلبه * كذاك الهوى أمراره وعواقبه

وعلى قوله يا راكبا البيتين أورد المصنف الحكاية المشهورة دليلا على ذكاء العرب واسندها الى بعض وليعوا أصلها قال يغرو وجملة القول بان أسامة بن غسان بن حارث الكتانى

الى بالف دينار ومنهم من لا يجرى ذكر العشق على لسانه البتة ويسكت حتى كأن به السكتة ولم أر فى ذلك مما يتنافس فيه المتنافس أحسن من قول ابن قلاقس

كتمت الهوى عند العواذل ضنة
عليهم عن أصبو اليه وأهواه
ولو قلت انى عاشق فطنوا به
لعلمهم أن ليس يعشق الا هو

ومنهم من يبوح باسمه ويرى التصريح باسمه فبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

(وقال) ابراهيم بن عبد الله رأيت على خد جارية مكتوبا بالغالية

كل يوم أذوب من ألم الشو
ق وقلبى من الصدود قريح
لم أجد خلوة اليك فاشكو
ما بقلبى لعله يستريح
ويح قلبى كأنه لحد قبر
ضم أعضاء ميت فيه روح

وفى البيت الثانى من هذه الابيات تنبيه على ان افشاء السر الى الحبيب لا يكون الا خلوة فينبغى أن لا يعلم به خلا ولا صديقا ما وجد الى ذلك طريقا كما قيل

يا موقد النار الهابا على كبدى
اليك أشكو الذى بى لا الى أحد
اليك أشكو الذى بى من هواك فقد
طلبت غيرك للشكوى فلم أجد

وقال الاحوص

لعمرك ما استودعت سرى وسرها
سوانا حذارا أن تضيع السرائر

(ومن ظريف) ما مر بى فى هذا الباب ان بعض العشاق أنشد بمحبوبته قول الشاعر

سرى وسرك لم يشعر به أحد
الا الاله والا انت ثم أنا فقالت له بلا انسى القوادة وانم الابدان تدرى بسرنا وتطلع على أمرنا * ومن أحسن ما سمعته [illegible]

قتل أبوه صبرا فى تميم فخرج يستجيش له نصرة وذلك قبل يوم أوارة بأعوام يسيرة فلما طال عليه المدى وقد صحب عبدين لخدمته ولحقته علة فعزما على قتله فلما أحس ذلك قال لهما هل أنتما مبلغا بنتى هذين البيتين قالا وما هما قال تقولان

ألا يا بنات الحى ان أباكما * لله دركما ودر أبيكما

فلما أتيا الحى أخبرا بموته فقالوا هل أوصى بشيء فقالا لا ضر علينا فيما ذكره وذكرا لهم القول فقالت احدى بناته أقتلوا العبدين فقد قتلا أبى فقالوا ومن أين لك ذلك قالت ان هذا الكلام سفه وهذر وقد كان مصونا عن ذلك وانما كتم عنهما تكملة البيتين والاصل

ألا يا بنات الحى ان أباكما * أضحى قتيلا فى التراب مجندلا
لله دركما ودر أبيكما * لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فاستخبروهما فأقرا بالقصة قلت وفى البيت خزم بالحرف الاول وهو عيب مشهور سائغ الاستعمال فى الصناعة وقوله بنات الحى ثم عدل الى التثنية فى قوله ان أباكما جرى على الغالب فى خطاب العرب فانهم يستعملون التثنية فى موضع الجمع والافراد قال ابن النحاس وأصل ذلك ان البدوى كان أكثر ما يكون مع راعيه ورفيقه أوانه نزل ابنتيه منزلة الجمع تعظيما ثم عاد الى أصله وقد حكى فى شرح العبدونية هذه القصة عن المهلهل وقال فى صدر البيت الاول من مبلغ الاقوام ان مهلهلا والباقى على حكمه

(أخبار عتبة بن الحباب وصاحبته ريا)

هو عتبة بن الحباب المنذر بن الجموح الانصارى وصاحبته هى ريا بنت الغطريف السلمى علقها بمسجد الاحزاب يوم متنزه وأصل ذلك ان عبد الله بن معمر القيسى حين دخل المدينة قال بينما قد زرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا وجلست اذا أنا بشخص ينشد بصوت شجى ولا أراه

أشجاك نوح حمائم السدر * فأهجن منك بلابل الصدر
يا ليلة طالت على دنف * يشكو الفراق وقلة الصبر
أسلمك من تهوى لحر جوى * متوقد كتوقد الجمر
ما كنت أعلم انني كلف * حتى تلفت وكنت لا أدرى
فالبدر يشهد انني كلف * مغرى بحب شبيهة البدر

وفى رواية صاحب الاصل تقديم هذا وصدر الذى قبله ما كنت أحسب انى شجن فتبعت الصوت فرأيت شابا حرقت الدموع خده فقال لى أجلس أحدثك أنا الان كنت يوما بمسجد الاحزاب اذا بنسوة يتنزهن فيهن جارية لم أر مثلها وقفت على وقالت ما تقول فى وصل من يطلب وصلك ثم مضت فلم أعرف خبرها ثم غشى عليه ساعة فلما أفاق أنشد

أراكم بقلبى من بلاد بعيدة * تراكم ترونى فى القلوب على البعد
فؤادى وطرفى يأسفان عليكم * وعندكم روحى وذكركم عندى
ولست ألذ العيش حتى أراكم * ولو كنت فى الفردوس أو جنة الخلد

فشرعت فى تسليته فقال هيهات أو يؤوب القارظان مثل مشهور وأصله أن أخوين خرجا يجتنيان القرظ نبت معروف فلم يعلم لهما خبر قال عبد الله فلما طلع الصبح قلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فانشد

يا للرجال ليوم الاربعاء أما * ينفك يحدث لى بعد النوى طربا

أنم من الزجاج بما حواه

قلت وما يبعد أن يكون المتصف بهذه الصفة من ذرية القائل

وما أكتم الاسرار لكن أنمها
ولا أترك الاسرار تغلى على قلبى
فان قليل العقل من بات ليله
تقلبه الاسرار جنبا على جنب

وأين هذا من قول القائل

وقائلة ما بال جسمك لا يرى
سقيما وأجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبى بحبك لم يبح
لجسمى فجسمى بالهوى ليس يعلم

ويحكى ان سكينة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم مرت فى جواريها بعروة ابن أذينة وهو يغنى فقالت لجواريها من الشيخ فقلن عروة فمالت نحوه فقالت يا أبا عامر انك تزعم انك لم تعشق قط كيف وأنت تقول

قالت وأبثثتها سرى فبحت به
قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى فقلت لها
غطى هواك وما ألقى على بصرى

وقالت كل ما ترى حولى من الجوار أحرار ان كان هذا الكلام خرج عن قلب سليم قط (حكى) عن أحمد بن أبى عثمان الكاتب انه كان صديقا لابى الفضل عبد الغفار الانصارى فعشق أحمد جارية لام جعفر اسمها نعمى وهام بها فأطلعه على سره ووصفها له فعشقها عبد الغفار الانصارى فاعتل علة طويلة فاتصل خبره بام جعفر وظنت ان به علة فوجهت اليه طبيبا فانشد

أرسلت أم جعفر لى طبيبا
لشكاتى فضل علم الطبيب
وحوائى وأصل دائى لديها
فى يدى شادن غرير ربيب

بمبرو هابان نعمى دوائى * كى تداوى مريضها عن قريب فسمعت أم جعفر الابيات وسألت عن قصته

فلما وقف عليها أوهبته الجارية وهجر أحد عبد الغفار وقال جعلتك موضعا للسرى فأفسدت علي والمفاسد المترتبة على

ما إن يزال غزال فيه يظلمني * يهوي إلى مسجد الأحزاب منتقبا
يخبر الناس أن الأجر همته * وأنه طالب للأجر محتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما أتى ظهرا * مضمخا بفتيت المسك مختضبا

فضينا إلى المسجد فحين صلينا الظهر أقبل النسوة ولم نر الجارية فيهن فقلن له ما ظنك بطالبة وصالك فقال وأين هي قلن له مضى بها أبوها إلى السماوة فأنشد

خليلي ريا قد أجد بكورها * وسارت إلى أرض السماوة عيرها
خليلي قد غشيت من كثرة البكا * فهل عند غيري عبرة أستعيرها

فقلت له قد وردت بمال جزيل أريد به الحج وقد عزمت على أن أبذله في حاجتك فهل لك أن تسير معي إلى قومها وأبيها فقال نعم فسافرنا إلى أن وفينا أباها ففرش لنا الانطاع ونحر لنا النحائر فقلنا لا نأكل له طعاما أو يقضي حاجتنا فقال اذكروها فأعلمناه بخطبة عتبة فقال من عتبة فقلنا من الانصار قال ذلك اليها فقلنا له اخبرها فدخل عليها وأعلمها فشكرت عتبة فقال قد دعي إلى أمرك معه وأقسم لا أزوجك به فقالت إن الانصار لا يردون ردا قبيحا فإن كان ولا بد فأغلظ عليهم المهر فقال نعم ما أشرت به ثم خرج فقال قد أجبت ولكن على ألف دينار وخمسة آلاف درهم هجرية ومائة ثوب من الابراد والخز وخمسة أكراس من العنبر فضمنا له ذلك وقلنا إذا أحضرناه أجبت قال أجبت فأحضرنا ذلك فأولم أربعين يوما ثم أخذناها ومضينا فحين قاربنا المدينة خرج علينا خيل كثيرة حسبناهم بأمر أبيها فقاتلناهم زمانا فجاءت طعنة في نحر عتبة فسقط ودمه يفور فجاءتنا النجدة فإذا هو ميت فحين علمت الجارية بموته جاءت حتى انكبت عليه وأنشدت

تصبرت لا أني صبرت وإنما * أعلل نفسي أنها بك لاحقه
ولو أنصفت روحي لكانت إلى الردى * أمامك من دون البرية سابقه
فما أحد بعدي وبعدك منصف * خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة فماتت فوريناهما معا قال عبد الله فأقمت سبع سنين ثم رجعت إلى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لا أبرح أو أزور عتبة فجئت فإذا أنا بشجرة عليها ألوان من الورق قد نبتت على القبر فسألت عنها فقالوا شجرة العروسين

(أخبار الصمة وصاحبته ريا)

هو أبو مالك الصمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاش القشيري التغلبي من بني ربيعة كان أديبا شجاعا عارفا بأيام العرب ووقائعها ومواضعها وكثيرا ما يسند إليه ابن دريد والأصمعي قال ابن الفوار والوزير أنه أدرك أوائل الاسلام (وريا) هي بنت مسعود بن رقاش أيضا كانت ذات ظرافة وفراسة ومعرفة وحسن نشأت مع الصمة صغيرين وكانا يتذاكران الأدب وملح الأشعار فأعجب بها وتمكنت منه ولم يكن عندها منه مقدار ما عنده منها علما شكا ما يجده منها إلى بعض أصدقائه أرشده إلى تزوجها فخطبها إلى عمه فأنعم على مائة من الإبل فمضى الصمة إلى أبيه فأعطاه تسعا وتسعين فأبى مسعود إلا التمام وعبد الله إلا ذلك وحلف كل على ما قاله وأوقفوا الأمر فحملت الصمة الأنفة على أن خرج عنهما إلى العراق فقالت الريا ما رأيت رجلا أضاعه أبوه وعمه ببعير إلا الصمة لما عندهما من العلم بحبه لها فلما طال عليه الأمر وتنازعه الشوق والشهامة المانعة له من العود بلا طالب مرض حتى أضناه السقم

افشاء السر إلى الغير كثيرة ولهذا قال أبو العلاء المعري

فظن بسائر الإخوان شرا
ولا تأمن على سر فؤادا

وقال الصاحب محيي الدين الجزري من رسالة فواعجبا كيف لا يتفطن من لا أسميه ولا ينشق لكثرة ما أحوم حول القول فيه ولا أوفيه إن شرحت فاضت نفوس فضلا عن عيون وترامت إلى مهاوي الإثم الظنون ولو أبديت به ضه أخاف أن يفطن الناس وإن أفضت فيه أخشى أن لا يحمله سمع ولا يسعه قرطاس (ومن أحسن ما سمعته في كتمان السر قول النابغة) وكان الإمام علي رضي الله عنه يتمثل به وهو

لا تفش سرك إلا إليك
فإن لكل نصيح نصيحا
فإني رأيت وشاة الرجا
ل لا يتركون أديما صحيحا

وكتب بهما عبد الملك بن مروان إلى الحجاج وكان قد استكتمه أمرا في كتاب كتبه إليه فظهر وقال عمرو بن العاص ما استودعت أحدا سرا فأفشاه فلمته لأني كنت أضيق منه صدرا به حين استودعته أخذه الشاعر فقال

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذي يستودع السر أضيق

(وقال آخر)

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها
فسرك عند الناس أفشى وأضيع

(وقال أبو جعفر الشطرنجي)

فلا تخبر بسرك كل أمته
وصير من حشاك له حجابا
فما أودعت مثل النفس سرا
ولا أغلقت مثل الصدر بابا

(وحكى) الماوردي أن عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال ومستودعي سرا تضمنت ستره * فأودعته من مستقر الحشى قبرا فقال ابنه

وقيل أتى كاهنا بالعراق فسأله عما اضمر فاخبره انه لا يتزوج بها ابدا فضعف والصحيح كما حكاه صاحب قوت القلوب في اخبار المحب والمحبوب انه قدم رجل يقال له غاوي بن رشيد بن طلابة المذحجي على مسعود فخطب منه ريا وامهرها ثلثمائة ناقة برعائها فزوجها فحملها الى مذحج فبلغ الصمة ذلك فلزم الوساد وطال أمره فدخل عليه رجل كان يألفه فعنفه وسلاه فأنشد

أمن ذكر دار بالرقاشين اعصفت * بها بارحات الصيف بدأو رجعا
حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وسعيا كما معا
فما حسن ان يأتي الامر طائعا * وتجزع ان داعي الصبابة اسمعا
كأنك لم تسمع وداع مفارق * ولم ترشعبي صاحبين تقطعا
بكت عيني اليمنى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

الرقاشين اسم وادبين نجد واليمن كانت تنزله بنو ربيعة والبارحات رياح معلومة صيفية تستشئم بها العرب والضمير يعود على الوادي * وفي قوت القلوب أعصفت بها سافحات الصيف يريد بالدار والسافحات أيضا رياح لكنها لا تخص الصيف فيشكل التعيين هنا وقوله وسعيا كما معطوف على قوله ونفسك باعدت يريد ان السعي والنفس أبعداه عن المحبوبة وغلط في قوت القلوب حيث أعرب وسعيا كما نصبا بالياء على انه معمول باعدت عطفا على مزارك وقوله فما حسن ان يأتي الامر وبكت عيني اليمنى البيتين قد استعارهما المجنون وباقي الشعر واضح ويقال ان في القصيدة طولا

ولما رأيت البشر أعرض دوننا * وحالت بنات الشوق تحنى نزعا
تلفت نحو الحمى حتى وجدتني * وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا
واذكر ايام الحمى ثم انثني * على كبدي من خشية ان تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
أما وجلال الله لو تذكرينني * كذكراك ما كفكفت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكرى لو انه * تضمنه صم الصفا لتصدعا

ولما طالت عليه دعاله صاحبه العراقي بطبيب حاذق فلما تأمله قال انما يشكو العشق لا غيره وارى ان يلزم النزهة والفرح نحو البساتين ليتشاغل عما هو فيه فاخرجه صاحبه مع بعض الخدم الى الثغور فبينما هو يوما على شاطئ نهر وقد جد به الكرب اذ سمع امرأة تنادي ابنتها يا ريا فسقط مغشيا عليه فاحتملوه الى بستان هناك واضجعوه فلما أفاق انشد

تعز بصبر لا وجدك لا ترى * سنان الحمى احدى الليالي الغوابر
كأن لساني من تذكر الحمى * وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

ولم يزل يرددها حتى قضي ولما وصل خبره الى ريا داخلها من الوجد ما أمسكت معه عن الطعام والشراب وجعلت تبكي حتى ماتت ومن لطيف شعره قوله

ألا من لعين لا ترى قلل الحمى * ولا جبل الأوشال الا استهلت
الا قاتل الله الحمى من محلة * وقاتل دنيانا بها كيف ولت
غنينا زمانا باللوى ثم أصبحت * براق الهوى من اهلها قد تخلت
فما وجد اعرابية قذفت بها * صروف النوى من حيث لم تك ظنت
تمنت احاليب الرعاء وخيمة * بنجد ولم يقدر لها ما تمنت

عبد الله هو وصيي وأحسن ما شاء
ولكنني أخفيه حتى كأنني
من الدهر يوما ما أحطت به خبرا
(وقال آخر)
ياذا الذي أودعني سره
لا ترج ان تسمعه مني
لم أجره بعدك في خاطري
كأنه مامر في أذني
(وقال بشار)
لأخرجن من الدنيا وحبكم
بين الجوانح لم يعلم به أحد
(وقال طلحة بن أبي بكر)
لا تظهرن محبة لحبيب
فترى بعينك منه كل عجيب
أظهرت يوما للحبيب مودتي
فاخذت من هجرانه بنصيب
(قيل) أسر رجل الى رجل حديثا فلما فرغ قال أحفظته قال بل نسيته وقال ابن المعتز كلما كثرت خزان الاسرار زاد ضياعها ومن كلام الحكماء احفظ ذهبك كما تكتم مذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه ومن كلام القاضي الفاضل وأمت الاسرار في قلبك والحد موتاها في جنبك فقبيح بك ان يرى لك سر الا عند غيرك (ووصف اعرابي قوما) فقال سيوفهم آفات الاعمار وصدورهم قبور الاسرار وما أحسن قول ابن مماتي من ابيات
وضاق على السجن حتى كأنني
حللت به للضيق في صدر محنق
فيا ليتني كالدمع في جفن عاشق
فاخرج او كالسر في صدر أحمق
(وقال العباس بن الاحنف)
باح دمعي فليس يكتم سرا
ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب اخفاه طي
فاستدلوا عليه بالعنوان

اذا ذكرت نجداوطيب ترابها * وبردالحصى من أرض نجد لونت

(ومنه) أرى الدهربالتفريق والبين مولعا * ولاجمع مابين المحبين آبيا

فأف عليه من زمان كأننى * خلقت واياه نطيل التعاديا

(أخبار كعب وصاحبته ميلاء)

هو أبو خثعم كعب بن مالك أو عبد الله أو خثعم بن لابى بن رباح بن ضمرة طائى من عرب الحجاز يعرف بالخبل وكان جوادا سخيا شجاعا مألوف الصورة (وميلاء) هى بنت لابى بن رباح أصغر اخواتها كانت أجمل نساء الحجاز وكان كعب قد خطب الى عمه أخت ميلاء وكانت تسمى أم عمرو فزوجه بها فشغف بها شديدا وألفها طويلا وانه دخل عليها يوما فوجدها قد نضت ماعليها وهى عريانة فسرته حين نظر اليها فقال أنشدك الله هل تعلمين امرأة أحسن منك فقالت نعم أختى ميلاء فقال ومن لى بان أنظرها فاخبأته وأرسلت اليها فحضرت فلما رآها وقعت من قلبه موقعا أدى الى زوال عقله من العشق فانطلق فى طلبها فاستعرضها وشكا اليها مالقى من حبها فاعلمته انها أعظم من ذلك فى حبه وشعرت أختها فتبعتهما فرأتهما يتشاكيان المحبة فمضت الى اخوتها وكانوا سبعة فاخبرتهم بذلك وقالت اما أن تزوجوا كعبا من ميلاء أو تغيبوها عنى فلما علم بمعرفة اخوتها به هرب الى الشام فمكث بها أياما وان شاميا خرج يريد الحج فضلت به الطريق فاسترشد امرأة وكانت بالتقدير المحتوم ميلاء والى جانبها أختها فانشد الشامى متمثلا

أفى كل يوم أنت من بارح الهوى * الى الشم من اعلام ميلاء ناظر

بعمشاء من طول البكاء كأنما * بها حزن ناظر طرفها متحادر

تمنى المنى حتى اذا قلت المنى * جرى واكف من دمعها متبادر

كما أرفض سلك بعدما ضم ضمة * بخيط القتيل اللؤلؤ المتناثر

قلت وهذا الشعر قاله كعب حين علق ميلاء قبل وقوعه الى الشام والمصنف تبع الشيزرى فى أنه قاله بالشام وأصل الحال غلط الشيزرى فى قوله الشم فانه قرأها الى الشام بدليل ان الشامى لما أنشد الشعر سألته عن الرجل قال من الشام قالت أو تعرف صاحب الشعر قال هو اعرابى اسمه كعب مع انه يحتمل أن تكون معرفتها من ذكر اسمها و يكون ماذكر صحيحا ولما أخبرها باسم الاعرابى أقسما عليه أن لايبرح حتى ينظره اخوتها فانهم يكرمونه ثم سألاه هل تروى له غير ذلك قال نعم وأنشد

خليلى قد رضت الامور وقستها * بنفسى وبالفتيان كل مكان

ولم أخف يوما للرفيق ولم أجد * خليا ولا ذا البث يستويان

من الناس انسانان دينى عليهما * مليان لولا الناس قد تقياني

منوعان ظلامان ماينصفاننى * بدلهما والحسن قد خلبانى

يطيلان حتى يعلم الناس اننى * قضيت ولا والله ماقضيانى

خليلى اما أم عمرو فمنهما * وأما عن الاخرى فلا تسلان

بلينا بهجران ولم ير مثلنا * من الناس انسانان يهتجران

أشد مصافاة وأبعد عن قلى * وأعصى لواش حين يكتنفانى

يبين طرفانا الذى فى نفوسنا * اذا استعجمت بالمنطق الشفتان

الحبيب فى نفسه والحاق يومه بأمسه وهو من أعظم الابواب حشوه وأكثرها رشوحا [illegible] وأبلغها خطابه وأكثرها [illegible] وسنورد من ذلك ماستخبار له ويحسن عند أهل الأنشاد انشاده ليعلموا ان الاديب على الحبيب يحتال ويجارى برقة ألفاظه الجريال فمن ذلك وهو من أحسن ماسمعته فى مغالطة الحبيب

قم بنا يانور عينى * نجعل الشك يقينا

فالى كم ياحبيبى * يأثم القائل فينا

(ومثله قول الآخر)

ماأنس لاأنس قولها بعنى

ويحك ان الوشاة قد علموا

ونم واش بنا فقلت لها

هل لك ياهند فى الذى زعموا

قالت لماذا ترى فقلت لها

كى لا يضيع الظنون والتهم

(وقال العباس بن الاحنف)

كان لم يكن بينى وبينكم هوى

ولم يك موصولا بحبلكم حبلى

وانى لاستحيي لكم من محدث

يحدث عنكم بالملالة والمطل

(وقال آخر)

نسبت الى ذنب ولم أك مذنبا

وحملتنى فى الحب مالا أطيقه

وماطلبى للوصل حرصا على البقا

ولكنه أجر اليك أسوقه

(قلت) ما يرضى يروح سواه بسواه حتى يسوق اليه الاجر أيضا (ومما قلته أنا فى هذا المعنى)

لم أطلب الوصل من أجلى فديتك بل

من زاد حظى سواه امنه علامات

لكن خشيت بأن تبلى بعشق رشا

يقتص لى منك والدنيا مكافات

(وقال آخر)

قد أكثر الناس أنواع الحديث بنا

وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدرى انه صدقا

(وقال آخر)

فوالله ما أدرى أكل ذوى هوى * على شكلنا أم نحن مبتليان
فلا تعجبا مما بى اليوم من هوى * ففى كل يوم مثل ما تريان
خليلى عن أى الذى كان بيننا * من الوصل أو ماضى الهوى تسلانى
وكنا كريمى معشر حم بيننا * هوى فحفظناه بحسن صيان
تذود النفوس الحائمات عن الهوى * وهن بأعناق اليه ثوانى
سلام بأم العمر يشفى فقد بدا * به السقم لا يخفى وطول هوان
فما زادنا بعد المدى نقض حده * ولا رجعنا عن علمنا ببيان
خليلى لا والله مالى بالذى * تريدان من هجر الصديق يدان
ولا لى بالهجر اعتلاق اذا بدا * كما أنتما بالبين معتلقان
ولا لاهيا يوما الى الليل كله * ببيض لطيفات الخصور روانى
يمنيننا حتى ترعن قلوبنا * ويخلطن مطلا ظاهرا بليان
أعينى يا عينى حتام أنتما * بهجران أم العمر تختلجان
فما أنتما الا على طليعة * على قرب أعدائى كما تريانى
فلو ان أم العمر أضحت مقيمة * بمصر ودونى الشحر شحر عمان
اذن لرجوت الله يجمع بيننا * وانا على ما كان ملتقيان
من البيض نجلاء العيون كلاهما * مقيم وعيشى ضارب بجران
أفى كل يوم أنت رام بلادها * بعينين انساناهما غرقان
اذا ذرفت عيناى قالت صحابتى * لقد ولعت عيناك بالهملان
ألا فاحملانى بارك الله فيكما * الى حاضر الروحاء ثم ذرانى

هذا ما نقله الجل وأخرج هنا عن الاغانى ان من قوله ولا لاهيا يوما الى آخر القصيدة لم ينشده الشامى قلت وقوله ففى كل يوم أنت رام وقوله ألا فاحملانى البيتان مسروقان من كلام عروة بن حزام ثم نزل وجاء اخوتهما فاكرموه ودلوه على الطريق بعد أن استخبروا منه عن كعب وموضعه ثم توجهوا فى طلبه وضعفت ميلاء على ما رواه فى نهاية الادب بصداع أصابها فلما حضروا بكعب نزل ناحية وصادف وقت فواتها فرأى الناس عند البيت مجتمعين فاحس قلبه بالشر فقال لصبى بازاء البيت الذى هو فيه من أبوك قال كعب وكان تركه صغيرا حين مضى الى الشام فقال له ما اجتماع الناس على طنب هذا البيت قال على خالتى ميلاء ماتت الساعة فلما سمع ذلك وضع يده على قلبه واستند الى طنب البيت وحرك فوجد ميتا فدفنوه الى جانبها رحمة الله عليهما

(القسم الثانى فيمن جهل اسمه أو اسم محبوبته أو شئ من سيرته أو ما آل حقيقته) ختمناه بصنف لطيف القوانين فى ذكر عقلاء المجانين ونحن وان كنا قد ذكرنا من هذا النوع فيما سلف بعضا لكنهم انما نقص واشياء ما ذكرنا بالنسبة الى هذا الكتاب لقلة حصه والا فهم مشهورون كثير الخلاف من يأتى بعد وسنقف على كثير منهم كامل النسب والاسباب أذكره ان شاء الله تعالى لكنه غير قوى الشهرة ولم أتبعه فى التنويع بأن أقول نوع فيمن نزل به الحال ونحو ذلك اذ لا طائل فيما صنع ولا فائدة فيما نوع ووضع وانما كان الاولى ان يذكر المشاهير ثم أهل الجاهلية وهكذا كما وقع ترتيبه هنا وهؤلاء القوم كثيرون (فمنهم

يأسينى عندك لى مظلمه * فاستفت فيها ابن أبى خيثمة فانه يرويه عن جده * وجده يرويه عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى
نبينا المبعوث بالمرحمه
ان انقطاع الخل عن خله
فوق ثلاث ربنا حرمه
وأنت مذ شهر لنا هاجر
أما تخاف الله فينا فيه

(وقال جميل)

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا
سوى ان يقولوا اننى لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة
الى وان لم تصف منك الخلائق

(قلت) هكذا رأيته فى غالب ما وقفت عليه من نسخ الحماسة وسمعت من أفواه أهل الادب أعنى ان قافية البيت الاول عاشق والصحيح انها وامق لان المعنى على ذلك بيانه ان الوامق المحب لغير ريبة والعاشق المحب لريبة واذا كان ذلك كذلك لم تصح المغالطة الا بقوله وماذا عسى يقول الواشون سوى انى لك وامق أى محب لغير ريبة

(وقال ابن رواحة الحموى)

ان كان يحلو لديك قتلى
فزد من الهجر فى عذابى
عسى يطيل الوقوف بينى
وبينك الله فى الحساب

(حكى) أن بعضهم أنشد شابا كان يحبه
ماذا تقول اذا اجتمعنا فى غد
وأقول للرحمن هذا قاتلى
فقال له الشاب أقول هذا أراد أن ينيكنى فما مكنته (وقال ابن سنا الملك) من رسالة وأنا والله فى أمرك مغلوب والسبب انى أنا المحب وأنت المحبوب ولا أتجالد عليك فاغرك وأخون حبك ولا أتصنع عليك فاغشك وأغم قلبك اعمل ما شئت فانا الصابر وافعل كيف شئت فانا الشاكر وقل فلى سمع تعشق قولك والتفت ترى آمالى ترفرف حولك وافعل فانت المعذور واستطل فانا المضرور بل المسرور وارجع الى الود

(فمنهم سامة بن لؤي بن غالب القرشي مشهور)

قال في النزهة نحر يوما للضيوف مائة من الابل فاكلوا قليلا وبقي الغالب فعاتبه أخوه كعب في ذلك وقال له لو أبقيت عليها الحاجة كان أولى فغضب منه ورحل مستخفيا فنزل على أزدي فنظرت اليه زوجته فوقع من قلبها وهي من قلبه وزوجها رصدهما فلم يستطيعا أن يعرف كل منهما الآخر ما عنده فاستاك أسامة ورمى السواك فاخذته وامتصته ففطن زوجها لذلك فعزم على قتله فسم له قدحا من لبن وقدمه اليه فغمزته فاراقه ثم ركب وسار فهوت ناقته في الخيلة الى عرفة لترعاها فلما جذبتها خرجت حية فضربت ساق سامة فمات لوقته وبلغ الازدية فلم تزل تبكيه حتى ماتت ولولا ما في هذه الحكاية من الاعتبار بمصادفات الاقدار لم أوردها اذ لا مناسبة لها بهذا المعيار

(ومنهم عمرو بن عوف وريا)

هوى جارية اسمها ريا فشغف بها طويلا فخطبها الى أهلها فلم يجيبوه وزوجوها من غيره فلما شعر زوجها بحال عمرو معها رحل بها حتى نزل اليمن ببني الحرث بن كعب وطال الحال على عمرو فطاش عقله وطار لبه فاشار عليه أصدقاؤه أن يقصد مكة فيتعلق بأستار الكعبة ويسأل الله اما جمعه عليها أو صرف قلبه عنها ففعل فبينما هو يطوف في الموسم اذ رآه شخص من بني الحرث فوقعت بينهما ألفة فاخبره بالحال وغياب المرأة فاعلمه بمكانها منهم فقال عمرو هل لك في صنيعة يحسن شكرها قال نعم قل فقال عمرو ليتخلف كل منا عن أصحابه بعد النفر ثم تسير الى مكان يقرب منها وتمضي أنت فتعلمها بمكاني ففعلا ومضى به الرجل حتى جعله في بيته وذهب فاعلم ريا فكانت تأتيه فيتحادثان ويتشاكيان ما لقيا من الوجد فانكر زوجها غشيانها المنزل من غير عادة وحسن حالها بعدما كانت فيه من الضجر فاظهر لها سفرا يغيب فيه عشرا ثم عاد بعد ليلتين وقد فرشت لعمرو بساطا امام البيت وتحادثا فنام كل على طرف من البساط آمنا فنبه عمرا فثار عليه بالسيف فقال من ينجيني منك يا عمرو وانا لم أهرب هنا الا منك فقال يا ابن العم والله لم يكن بيننا أكثر من الحديث وانما غلب على حبها من الصغر فقال زوجها حيث تحققت ان لا ريبة فلا بأس عليك فاقاما جميعا حتى مات عمرو ومن العشق والعفة والوجد وحكي انها عمرت بعده فسئلت على أي شيء مات عمرو وجدا بك مع أنه لا حسن عندك فقالت ما كنت بالقبيحة ولقد كنت أروى الشعر وأحسن الادب

(ومنهم بشير الشهير بالاشتر وجيداء)

هوى جارية من قومه اسمها جيداء فاشتد بها كلفه وزاد في حبها تلفه فنعها أهلها عنه فثار بينهم شر وخصومة عظيمة فلما طال شوقه واضمحل حاله جاء الى صديق يقال له نمير فقال له هل عندك صنيع تمن به على عسى ان تعود روحي الي قال أشر بما شئت فاني فاعل قال تمضي الى حي جيداء فاذا صادفت جاريتها فاخبرها بحالي فعسى ان تأخذ لي موعدا قال نمير فمضيت حتى لقيت الجارية فاخبرتها فمضت الى مولاتها فأخذت منها موعدا بأن تأتي بعد العشاء عند شجرات هناك فلما كان الليل أقبلت فقام اليها بشير وهممت بالانصراف عنهما فقال والله ما بيننا أكثر مما ترى فكانك فجلسنا حتى مضى شطر من الليل فعزمت على الذهاب فكادت نفس بشير ان تزهق ثم سألها الاقامة معه بقية الليلة فقالت لا سبيل الى ذلك الآن يكون في صاحبك هذا خير فقلت فيم شئتم فرمت بثيابها الي وقالت اذهب الى

الذي بيننا فكل ذنب لك مغفور (وقال أيضا) وأنا أستعيذ بالله من ذنب يوجب عتبك ويلح عذلك ويصرف قلبك ويجعلك ثاني عطفك بغيرك على الغلا

لست على هجرك جلد القوى ولا على
عتبك شاكي السلاح (وقال ابن السوادي) الشاعر المشهور

أشكو اليك ومن صدودك اشتكي
واظن من شغفي بانك منصفي
وأصدعنك مخافة من أن يرى
منك الصدود فيشتفي من يشتفي

(وحكى) القاضي أبو عمر محمد بن يوسف الازدي قال كنت اساير أبا بكر محمد بن داود الاصفهاني ببغداد واذا بجارية تغني من شعره

أشكو اليك فؤادا أنت متلفه
شكوى عليل الى الف يعلله
سقم يزيد على الايام كثرته
وأنت في عظم ما ألقى تقلله
الله حرم قتلي في الهوى سفها
وأنت يا قاتلي ظلما تحلله

فقال محمد بن داود كيف السبيل الى استرجاع هذا فقلت له هيهات سارت به الركبان (وقال أبو عبد الله)

قلبي عليك أرق من خديكا
وقواي أوهى من قوى جفنيكا
لم لا ترق لمن تعذب قلبه
ظلما ويعطفه هواه عليكا

(وقال أبو العلاء المعري)

لغيري زكاة من جمال فان تكن
زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

(وقال ابن سنا الملك)

وغانية لم تعد عشرين حجة
أقول لها قولا لديه صواب
عليك زكاة فاجعليها وصالنا
فعمرك في العشرين وهي نصاب

(وقال ناصر الدين النقيب)

لقد وجبت عليك زكاة حسن
وفيه كمثل ما في المال حق
فلا تعدل به عني فاني * لمصرفه الفقير المستحق

(وقال القاضي) شمس الدين بن خلكان رحمه الله من قصيدة

خدرى كانت اذا فسيجى مزوجى و يطلب القدح للحلب فلا تعطه حتى تطيل نكده ثم ارم به اليه فانى أفعل ذلك فاذا عاد اللبن فلا تأخذه حتى يضعه بنفسه أو يطول وقوفه فانه بعد ذلك لا يأتيك بقية الليلة قال نعم ففعلت ذلك غير انى بعد ان طال وقوفه باللبن وأراد وضعه واردت أخذه تحالفنا فكب القدح فقال هذا طماح ثم عمد الى سوط مفتول فضربنى حتى زايلتنى نفسى وهممت ان أوجره بالسكين فخلصونى وردوا على الستر وجاءت أمها تعنفنى وتوصينى بأن لا أخالف زوجى ظنا انى ابنتها وتقول مالك وللاشتر ثم قامت عنى على ان ترسل الى ابنتها الاخرى تؤنسنى فلما جاءت جعلت تبكى وتدعو على من ضربنى واضطجعت الى جانبى فوضعت يدى على فمها ثم قلت ان أختك مع بشير فى موضع كذا وقد جرى لى من جهتها ما علمت وأنت أولى بالستر على أختك فارتعدت ساعة ثم أنست فبت معها فى طيب ليلة من اللطف والعفة حتى اذا جاء الصباح وأقبلت أختها فانكرت من معى فقلت هى أختك وستخبرك بما كان ثم مضيت الى بشير فاعلمته بالخبر فلما رأى تأثير السوط فى بدنى وخروج الدم قال لقد عظمت صنيعتك ووجب شكرك قال ابن طاهر فلم يقم بعدها بشير الا دون شهر وجاءه شخص فقصد مساجنته فقال وهو يتناول عنبا أتفكه وجيداء قد قضت الساعة فلم يسمع منه الا شهقة وحرك فاذا هو ميت فبلغ الخبر الجارية فهتكت سترها وجزت شعرها وألقت نفسها فى بئر هناك فماتت

(ومنهم مسعدة بن واثلة الصارمى)

قال فى تسريح النواظر وكان غلاما حسن الوجه سخى الكف شجاعا وان أباه توفى فاختلف مع عمه على بكرات فرحل مغضبا حتى نزل على بنى باهلة فاقام عندهم برهة فورد الماء يوما فصادف جارية على بعير تشد عقاله وهمت بالنزول فلما رأته قالت هل لك فى ان تكفينى كلفة التعب قال وفيم تتعبين وماذا تطلبين قالت مل هذه السقاية ورمت بها الى فلما ملأتها وهمت ان تتناولها شمرت عن زندين كأنما جبت عنهما بالبلور الصافى ثم تناولت القربة فانكشف البرقع عن وجه كأنما تستعير منه الشمس الضياء فداخلنى ما خشيت معه زهاق نفسى قال ثم مضى متغير الحال فشكا الى صديق له ما جرى له وسأله عن اسم الجارية فقال هى رملة بنت اثيلة بن مصقع واعلمه بمكانها فكان يمضى فى كل يوم فيقف حتى يراها فيشكو اليها ما عنده من حبها قال الشيزرى فداخلها من العشق ما داخله فلما علم أهلها بذلك حجبوها وبلغه علمهم فخرج حياء وخوفا فرأى حمامات على اراكة ينحن فهاجت بلابله فانشد

دعت فوق أغصان من الايك موهنا * مطوقة ورقاء فى أثر آلف

فهاجت عقابيل الهوى اذ ترنمت * وشبت ضرام الشوق بين الشراسف

ثم أدركه الليل قريبا من حى خشى ان يكونوا من قومها فنزل قريبا منهم فسمع قائلا يقول

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

وكان يرى الطيرة فارتابت نفسه من ذلك وراجعه القلق ثم أخذته سنة فاذا هو بقائل ينشد

ولا شئ بعد اليوم الا تعلة * من الطيف أو تلقى بها منزلا قفرا

فزاد قلقه ثم طوته السنة فسمع قائلا يقول

لن يلبث القرناء ان يتفرقوا * ليل يكر عليهم ونهار

الآن فى رتبة أرعى لها السهد القديم صيانة للنصب لهتكت سترى فى هواك وذلى *

خلع العذار ولج فيك مؤنبى

لكن خشيت بان تقول عواذلى

قد جن هذا الشيخ فى هذا الصبى

(وقال آخر)

حججى عليك اذا خلوت كثيرة

واذا حضرت فاننى مخصوم

لا أستطيع أقول أنت ظلمتنى

الله يعلم أننى مظلوم

(وقال المكرم)

الناس قد أثموا فينا بظنهم

وصدقوا بالذى أدرى وتدرينا

ماذا يضرك فى تصديق ظنهم

بان نحقق ما فينا يقولونا

حملى وحملك ذنبا واحدا ثقة

بالعفو أجمل من اثم الورى فينا

(وقال المتنبى)

زودينا من حسن وجهك ما دا

م فحسن الوجوه حال يحول

وصلينا نصلك الآن فى الدنـ

يا فان المقام فيها قليل

(أقول) هذا البيت الاخير حسن فى بابه فيما يتعلق بمغالطة الحبيب واستعطافه وأما الاول ففيه تنفير فليته أراح واستراح وترك التهكم بالوجوه الملاح على ان التلعفرى اقتدى به فى التهكم باحبابه (فقال دوبيت)

يا تارك ربع الصبر منى مهدوم

ما آن يرى لغائب الوصل قدوم

خفف بك فى العشاق وارفق بهم

ولا تحسب ان دولة الحسن تدوم

(الباب التاسع فى الرسل والرسائل والتلطف فى الوسائل)

أقول هذا باب عقدناه لذكر مراسلة الاحباب بشكوى الجوى فى الجواب وهو باب خطر وقد نافق السوق طالما مر من فيه المحب على الرسول سلعة التحول لا سيما من قل صبره واشتهر أمره فاصبح وهو فى البيت طريح

واستعمل في مراسلة الحبيب حتى الريح كما قيل   فيا نسيم الصبا   أتت الرسول له * والقسم الى منك غيرك

لم يبق يوما عاشقان بحالة * الا وقد جاءتهم الاغيار
كل وان طال المدى منصرم * حكم الاله وسارت الاقدار

فقام فركب متفكرا وسار فلما برق الفجر اذا هو براع ينشد

كفى بالليالي مخلقات لجدة * وبالموت قطاعا حبال القرائن

فعرف صوته فقال فلان قال نعم فقال له ما دهاك قال قد ضاجعت رملة الثرى فسقط مغشيا عليه فلم يفق حتى حميت الهاجرة وحمل الى بيته فانشد

يا راعي الضأن قد ألقيت لي كمدا * يبقى و يقلقني يا راعي الضأن
نعيت نفسي الى روحي فكيف اذا * أبقى ونفسي في اثناء كفاني
لو كنت تعلم ما اسررت في كبدي * بكيت مما تراه اليوم أبكاني

فلم يزل يردده حتى مات   *(ومنهم ذرعة بن خالد العذري)*

كان غلاما حسن الوجه عذب المنطق سخي الكف راوية عارفا بأيام العرب واشعارها خرج يوما للصيد فلما ورد المشرعة وجد النساء يغترفن الماء ودونهن جارية قد انفردت تمشط شعرها على جانب الغدير وقد اسبلته كأنه الليل المظلم و وجهها من خلاله كأنه البدر في تمه فحين ابصرها سقط مغشيا عليه فقامت اليه فرشت عليه الماء فلما افاق وابصرها قال وهل مقتول يداويه قاتله قالت كفيت ما تشكو وحادثته فثابت نفسه اليه وقد داخلها ما داخله من الحب ثم رجع وهو يقول خرجنا للصيد فاصطادنا ثم انشد

خرجت أصيد الوحش صادفت قانصا * من الريم صادتني سريعا حبائله
فلما رماني بالنبال مسارعا * رقاني وهل ميت يداويه قاتله
الا في سبيل الحب صب قد انقضى * سريعا ولم يبلغ مرادا يحاوله

قال ابن الفرات ثم انه لزم الوساد أياما وان أمه أقسمت عليه حين سمعته يكرر الابيات الا ما اخبرها بحاله فاطلعها على الامر فعرفت الجارية فاذا هي ظريفة بنت صفوان بن وائلة العذري فمضت اليها واعلمتها القصة وقبلت رجليها على ان تزوريه فعسى ان يشفى ولدها فقالت ان الوشاة كثيرون ولكن خذي هذا الشعر اليه فان أمسكه فانه يشفى ثم جزت لها شيأ من شعرها فلما ذهبت اليه جعل يتنشقه فتراجعت نفسه شيأ فشيأ حتى اشتهى ما يأكل فقدم اليه فتناوله وقام فكان يأتي قريبا من الابيات فيسارقها النظر وتخالسه هي أيضا الى ان فطن اهلها فالوا على قتله وبلغه فوقع الى اليمن وكان كلما اشتد شوقه قبل الشعر وجعله على وجهه فيستريح لذلك فلما كان يوم من الايام وقد خرج لبعض حاجاته سقط منه الشعر فلما أيس منه عزم على العود فعنف فقال دعوني فاني أرجو ان اظفر او اموت فصحبه غلام قال أبو شراعة فرأيته في الطريق وعليه بردان وهو يعلم الصبي الابيات ويقول له اذا حاذيت موضع كذا فانشدها وارفع صوتك ولك أحد هذين البردين فتبعتهما حتى بلغ الموضع فانشد

مريض بأفناء البيوت مطرح * بما به من لاعج الشوق يبرح
وقالوا الاجل اليأس عودي لعل ما * تشكاه من آلام وجد ليمسح
وليس دواء الداء الا بحيلة * اضر بنا فيها غرام مبرح
اذا ما بسألناها نوالا بتيله * فصم الصفا منها بذلك أسمح

فتبعت الصبي وهو لا يشعر بي فلما اذا ارتفع عقيرته بالابيات ينشدها فسمعت من

بلغ سلامي الى من لا أكلمه
انى على ذلك الغضبان غضبان
لا يا رسولي لا تذكر له غضبي
فذاك مني تمويه وبهتان
وكيف أغضب لا والله لا غضبت
انفاسه ام من قتلي لفرحان
أكل يوم لنا رسل مرددة
وكل يوم لنا في العتب ألوان
أستخدم الريح في حمل السلام لكم
كأنما أنا في عصري سليمان

فهو من الهوى على خطر ومن اقامة الهجر على سفر لا يقر له قرار ولا يصطلي لو جنة محبوبه بنار لا جرم انه يتعلل بالنسيم العليل ويقول لاستنشاق اليسير منه قليلك لا يقال له قليل (ومن أحسن ما سمعته في هذا الباب) قول الواو الدمشقي

بالله ربكما عوجا على سكني
وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا في حديثكما
ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة
ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب
فغالطاه وقولا ليس نعرفه

(أخذه) من قول عمر بن أبي ربيعة من أبيات يصف بها قوادة

فأتتها طبة عالمة * تمزج الجد مرارا باللعب
تغلظ القول اذا لانت لها
وتراخى عند سورات الغضب

قيل ان ابن أبي عتيق قال لعمر لما سمع قوله هذا ما احوج المسلمين الى خليفة يدبر أمرهم مثل قوادتك هذه (ومثل قول الواو أقول الآخر)

ألا يا نسيم الريح بلغ رسالتي
سليمى وعرض بي كأنك مازح

وان أعرضت عني فوه مغالطا * بغيري وقل يا حسنه عليه النوائح   (وقولنا الا خر هو بيت)   بالطف اذا القيته من أهواه

بعض الابيات فائلا يقول

رعى الله من هام الفؤاد بحبه * ومن كدت من شوقى اليه اطير

لئن كثرت بالقلب أتراح لوعة * فان الوشاة الحاضرين كثير

فيمشون يستشرون غيظا وشرة * ومامنهم الا أب وغيور

فان لم أزر بالجسم رهبة مصدر * فللقلب آت نحو كم فيزور

وفى النزهة * فان لم أزر بالجسم خيفة معشر * وهو أحسن ثم رجع الصبى فانشدابياتها فاغشى عليه ساعة ثم افاق وهو ينشد

اظن هوى الخود الغريرة قاتلى * فياليت شعرى ما بنو العم صنع

أراهم وللرحمن درصنيعهم * ترا كى دمى هدرا وخاب المضيع

ثم مضى متنكرا حتى دخل بيته ولزمه أياما الى ان زفت ظريفة لى رجل منهم يقال له ثعلب فلما بلغه الخبر اضطرب ساعة ثم أغمى عليه فحركه فاذا هو ميت وبلغها فلزمت البكاء أياما ولم يمكن الرجل من نفسها فلما كانت ذات ليلة خرجت من بعد انتصاف الليل فتبعتها حتى انتهت الى نهر فالقت بنفسها فيه فاخرجها وليس بها حراك ثم احتملها الى الخيمة فلما أصبح الصبح جاءت أمها فوجدت بها رمقا ولكنها لم تفقه كلاما فاشارت ان تسقى الماء فسقوها فقضت من وقتها وفى روضة القلوب انها غرقت ولم تخرج الا ميتة

(ومنهم شخص)

قال التوزى مسندا عن بعضهم انه رآه وقد تهيأ الى الحج فلما ادخل بغداد رآه وقد اقبل تحت قصر ومعه تفاح فحمل يرشق به الى القصر جوار تماوله بأيديها فقال له ويحك ألم ترد الحج فانشد ولما رأيت الحج قد آن وقته * وابصرت برك العيس بالركب يعسف

رحلت مع العشاق فى طلب الهوى * وعرفت من حيث المحبون عرفوا

وقد زعموا ان الجمار فريضة * وتارك مفروض الجمار يعنف

فهيأت تفاحا ثلاثا وار بعا * فزعفر لى بعض وبعض مغلف

وقفت حيال القصر ثم رميته * فظلت له ايدى الملاح تلقف

وانى لأرجوان تقبل حجتى * وماضمنى للحج سعى وموقف

(ومنهم رجل من بنى كندة) فخذ من بنى عذرة أورده مجهولا وكذا ابن ابى الاصبع فى الطبقات فى ترجمة الحرث بن كلدة وفى النزهة قال لا نعلم اسمه وحكايته مشهورة وهى ان أخاه استخلفه على بيته وخرج لغرض فصادف يوما ان دخل وزوجة أخيه سافرة فرآها فلما علمت بذلك سترت وجهها بيديها فكان ما لقيه من رؤية معصميها اضعاف ما لقيه من وجهها فخرج وقد اشتعل الحب فى قلبه فاقام أياما يكابد العناء حتى لزم الوساد وجاء أخوه فابصره وقد ذوت أعضاؤه وذهبت محاسنه وتغير جسمه فلم يترك عرافا ولا طبيبا حتى دعاه له فلم ينجع شيأ فوصف له الحرث بن كلدة وكان أحذق أهل زمنه فلما رآه قال ليس به الا العشق فقالوا وما السبيل الى معرفة ذلك قال تسقوه الخمر فعساه ان يصرح ففعلوا ثم غدا عليهم فقالوا له قد ذكر العشق ولكن لم يصرح باسم المحبوبة فقال زيدوه ففعلوا فصرح بربا زوجة أخيه فقال أخوه اشهد كم انها طالق ثلاثا لانى أعتاض عنها ولا أعتاض عن أخى فبشروه فقال هى على كأمى ان تزوجتها ومات بعد قليل وقيل خرج هائما ولم يدر أين مات

هبت لنا ريح شمالية
متت الى القلب باسباب
أدت رسالات الهوى بيننا
عرفتها من بين أصحابى

(وكان) الصاحب بن عباد رحمه الله اذا سمع هذين البيتين ترنح لهما وقد عقدت للنسيم بابا مستقلا فى كتابى سلوك السنن فى وصف السكن وذكرت فيه أشياء تليق بهذا الباب منها قول أمين الدين ابن عطايا

أنا أهوى غصن النقا وهو لاه
وفؤادى بحبه فى التيه
يانسيم الصبا ترفق عليه
وتلطف به ولا تؤذيه
وتحمل رسالة ليس الا
لك أمينا فى حملها أرتضيه
واذا لم يكن رسولى نسيما
نحو غصن النقا فمن يثنيه

(وقال ابن الخياط الدمشقى)

يانسيم الصبا الولوع بوجدى
حبذا أنت لو مررت بهند
ولقد رابنى شذاك فبالله
متى عهده باطلال نجد

(وقال مهيار الديلمى)

بحلوا ريح الصبا نشركم
قبل أن تحمل شيحا وخزامى
وابعثوا لى فى الدجى طيفكم
ان أذنتم لجفونى أن تناما

(حكى) از نور الدين على بن سعيد المغربى صاحب المرقص والمطرب مر مع جماعة من الادباء المصريين وفيهم أبو الحسين الجزار فرأوا فى طريقهم غلاما نائما تحت شجرة وقد ذهب الهوى فكشف ثيابه عنه فقال أبو الحسين الجزار قفوا لينظم كل منا فى هذا شيأ قال فما لبث أن قال نور الدين المذكور

الريح أقود ما يكون لانها * تبدى خفايا الردف والاعكان وتميل بالاغصان عند هبوبها وان

وان أخاه حير فقدمات أسفاولماسقوه الخمرغنى أبيا تاحذفتهاهاوفى مختصر الشبقات لسخافتهافاختلف فى أيهما أكرم * ونظير ذلك فى السماحة ماوقع للحكم بن المطلب المخزومى فانه هوى جارية فاشتراهابمال عظيم وأراد الدخول بهافلبس أفخر ثيابه ومضى ليعلم أباه وكان أبوه يحب أخاه عتبة أكثر منه فاقسم عليه ان يهب الجارية لاخيه ففعل فابى أخوه فاعتقها حتى قيل انه مات بحبها وله عطايا مشهورة قيل ان رجلا حجاز بالزمه دين ثلاثة آلاف دينار فقصد خالد بن عبد الله القسرى بهدايا فصادف الحكم وكان جابيا حينئذ فلما وقف على قصته وهب له أربعة آلاف دينار وقال له وفر عليك المشاق

(ومنهم غلام)

قال فى النزهة هذلى واسمه راشد بن صفوان الهذلى قال الجلال السيوطى فى شرح الشواهد عن ابن عساكر ان اسمه غاوى وكان له كلب اسمه راشد وكان له صنم يأتى اليه كل صبيحة فيسجد له ويذهب الى الصيد فجاء يوما فرأى الثعالب قد بالت على رأس الصنم فكسره وأنشد

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم أقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص عليه الخبر فاسلم فقال له ما اسمك قال غاوى قال وكلبك قال راشد قال لا أنت راشد وكلبك غاوى ثم ذهب وكان يغدو على بنى عامر لالفة بينه وبين رجل منهم فلمح جارية منهم يقال لها هيفاء بنت عبد الله بن عامر وكانت من أجمل نساء العرب فغادره من حبها ما كاد ان يأتى على نفسه ثم ان الجارية تزوجت بشخص من جهينة فلما حملها الى حيه وطال على الغلام الشوق وانقطاع الاخبار ذهب عقله فكان يسيح عاريا فصادف صيادا قد اصطاد خشفا فوقف ينظر اليه ويبكى ثم أنشد

وذكرنى من لا أبوح بذكره * محاجر ظبى فى حبالة قانص
فقلت ودمع العين يجرى بحرقة * ولحظى الى عينيه لحظة شاخص
ألا أيهذا القانص الظبى حله * وان كنت تأباه فعشر قلائص
خف الله لا تحبسه ان شبيهه * حبيبى فقد أرعدت فيه فرائصى

فقال له الصياد دونك فتقدم اليه وقبله وأطلقه وأتبعه نظره حتى غاب ثم قال للصياد ائتنى غدا فى موضع كذا وأقبل يسوق عشرا من الابل فأبى الصياد قبولها فاقسم عليه الا ما أخذها فقبلها وانصرف

(ومنهم قيس بن منقذ بن مالك الكنانى المشهور بابن الحدادية)

كان يهوى نعمى الخزاعية وكانت كنانة وخزاعة يتقاربون فى المنزل لان بينهم نسبا لم ترم فيه العصا فكان قيس يجلس الى نعمى فيتحادث معها فدخل بينهما الهوى وقيل انها رأته وقد ركب يوما فى ملعب وزينة ففخر على أكثر من حضر بالشجاعة فدعته للمحادثة وقد نزلت مع أتراب لها على متنزه فنزل وتحادثت معه ساعة فاقبل راع يسوق غنما فاشترى قيس منه عنزة وذبحها لنساء فلما أكلن وقد ترك الفاضل منها على الارض ثم تمثل بهذا البيت ويقال انه لحاتم الطائى

اذا لم يكن للطير فى زاد عزوة * نصيب فلسوا فى الورى بكرام

وفى النزهة اذا لم يكن للوحش والمعنى قريب فانتشأ الود بينهما ولم يزالا على ذلك برهة الى ان أجدبت سنونهم فارتحلوا منتجعين وافترقت القبيلتان فلما كان يوم من الايام نظرت

حتى تقبل أوجه الغدران ولذلك العشاق يتخذونها * رسلا الى الاحباب والاوطان وقال أبو الحسين الجزار

مابقى أحد منا يأتى بمثلى هذا فسيروا بنا

(وقال على الصفار)

اذا هب النسيم بطيب نشر
طربت وقلت ايه يا رسولى
سوى انى أغار لان فيه
شذاك وأنه مثلى عليل

(وكان القاضى محيى الدين) بن عبد الظاهر يحب شابا مغنيا اسمه نسيم وله فيه عدة مقاطيع منها قوله

ان كانت العشاق من أشواقهم
جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلو لهم يا ليتنى
كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

(فقلت) أنا كاتبى حاضرا خاطبه مضمنا

ان كنت فى عشق النسيم متيما
وزعمت ان هواه ليس بمتلفى
فانا أقول لمن تحرش بالهوى
عرضت نفسك للبلا فاستهدف

وقال القاضى محيى الدين أيضا فى محبوبه النسيم

يا من غدا لى من عوا
صف هجره الريح العقيم
أترى يطيب لى الهوى
ويقال قد رق النسيم

(وقلت أنا كاتبى حاضرا خاطبه)

بالله ان رق النسيم وأخمدت
نار توججها يد التبريح
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ودع العذول وقوله فى الريح

(وقال القاضى محيى الدين أيضا)

شكر النسمة أرضكم
كم بلغت عنى تحيه
واكم أطالت بل أطا
بت فى رسائلها الذكيه
لاغروان حفظت أحا
ديث الهوى فهى الذكيه

(أخذه) صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدى من أهل العصر فقال يا طيب نشر هب لى من أرضكم * فاثار كامن لوعتى وتشكى

محيى الدين المتقدم عليه
ان ابن أيبك لم تزل سرقاته
تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه
جهلا فراح كلامه في الريح
وقد ذكرت في النسيم أشياء مليحة في كتابي سلوك السنن المذكور واقتصرت منها على هذا القدر هنا خوف الاطالة ويجب أن يكون الرسول من أهل الصيانة وممن يرجع الى ديانه لئلا يطمع فيه بر خليلا بعدان كان رسولا كما اتفق لرسول ابن سناء الملك الذى قال فيه
راح رسولا وجاءني عاشق
وعاقه عن رسالتي عائق
وعاد لا بالجواب بل بجوى
أخرسه والهوى به ناطق
(وقال الآخر)
راح الرسول اليه وهو مفند
رجع الرسول اليه وهو متيم
ولهذا قال ابن الاثير ليس على الحسن أمانه وفي مثله تعذر الخيانه (وقال المتنبي)
مالنا كلنا جو يارسول
أنا أهوى وقلبك المتبول
وكلما عاد من بعثت اليها
غار مني وخان فيما يقول
أفسدت بيننا الامانات عينا
هاوخانت قلوبهن العقول
أي عيناها بسحرها أفسدت امانة الرسول في الرسالة وخانت العقول قلوبها أي فارقت العقول القلوب بسببها قال الارجاني
قسما لقد رجع النسيم عليلا
لما سرى مني اليك رسولا
ودرى بحبك انه قد خانني

كنانة الى موضع ديارها فوجدوا البروق ملية والسحب فضية فعلموا ان الغيث همها فارتحلوا الى أن نزلوا بها فانظر قدس في مواضع خزاعة فتذكر اجتماعهم فتنفس الصعداء وأنشد اذا ما نأت نعمى فهل أنت جازع * قد اقتربت لوان ذلك نافع
قد اقتربت لوأن في قرب دارها * نوالا ولكن كل ماصين مانع
فان تلق لي نعمى هديت فخبرها * وسل كيف ترعى بالمغيب الودائع
وظني بها حفظا لغيبي ورعية * لما استرعيت والظن بالغيب واسع
وقد يلتقي بعد الشتات أولو النوى * ويسترجع الحي السحاب اللوامع
وماذات جيد نازعت حبل حابل * لتنجو ثم استسلمت وهي طائع
باحسن منها ذات يوم لقيتها * لما انظر نحوى كذى البيت خاشع
كان فؤادى بين شقين من عصا * حذار وقوع البين والبين واقع
فقلت لها يانعم خلى محلنا * فان الهوى والشمل بانعم جامع
فقالت وعيناها يفيضان عبرة * باهلى بين لى متى أنت راجع
فقلت لها تالله لايدرى مسافر * اذا أضمرته الارض ما الله صانع
واني لعهد الود راع وانني * لوصلك مالم يطوني الموت طامع
ثم لم يزل متعللا بالاماني يعتوره الخبال أياما الى ان بلغه ان خزاعة بحجيل بالشم من اليمن فارتحل حتى وقع بهم فقيل انه عند رؤيتها سقط ميتا وقال في النزهة أقام عندهم الى ان أغارت عليهم بنو فزارة فقتل يومئذ

(ومنهم توبة بن حمير بن أسيد الخفاجي)

وكان شجاعا مبرزا في قومه سخيا فصيحا مشهورا بمكارم الاخلاق ومحاسنها وخفاجة على ماذكر في النزهة فخذ من قحطان وكانت تنزل بني الاخيل كعب بن معاويه ويغزون معهم ويتحدثون في المسرح وكان رئيس بني الاخيل حذيفة بن شداد بن كعب وكان له ابنة قد شاع في العرب ذكرها بالحسن والفصاحة وحفظ أنساب العرب وأيامها وأشعارها فغزوا يوما فلما رجعوا جاءت من توبة التفاتة وقد برزت النساء بالبشر والاسفار للقاء القادمين من الغزو فرأى ليلى فافتتن بها فجعل يعاودها فيتحادثمعها الى ان أخذت قلبه وأطارت لبه فشكا له يوما ما نزل به منها فاعلمته ان بها منه أضعاف ذلك فاقاما على التزاور والى ان جبهاز وجها فقلق توبة لذلك حتى خامره الجزع فكان يذهب بعقله أحيانا فاشاروا عليه بتعاطى الاسفار والخوض في المحادثات فعزم على الشام فمر بجميل فانزله وأحسن خدمته ثم تداعيا الصراع وكانا في موقف تشرف منه بثينة عليهما فصرعه جميل ثم نضله ثم قهره على ظهر الفرس ولم يكن له كفؤا فقال له توبة كانك تحسب ذلك منك ولم تدرانه بريح هذه الجالسة وأشار الى بثينة ثم دعاه الى واد يخفى عنها وتصارعا فيه فصرعه توبة ثم مضى في طريقه فمر سحرا باشجار في وادي الغيل وعليها حمائم تغرد فعاودته الاشجان فانشد
أأنت بليلى دارها لاتزورها * وشطت نواها واستمر مريرها
وخفت نواها من جنوب عفيرة * كما خف من نيل المرامى جفيرها
يقول رجال لايضرك نأيها * بلى كل ماشق النفوس يضيرها
أليس يضر العين ان تكثر البكى * ويمنع منها نومها وسرورها

لكل لقاء نلتقيه بشاشة * وان كان حولا كل يوم نزورها
خليلي روحا راشدين فقد أتت * ضريه من دون الحبيب وثبيرها
يقر بعيني أن ارى العيس تعتلي * بنا نحو ليلى وهي تجري صقورها
وما لحقت حتى تقلقل عرضها * وسامح من بعد المرام عسيرها
وأشرف بالارض اليفاع لعلني * أرى نار ليلى أو يراني بصيرها
فناديت ليلى والحولى كأنها * مواقير نخل زعزعتها دبورها
فقالت أرى أن لا تفيدك صحبتي * لهيبة أعداء تلظى صدورها
فمدت لي الاسباب حتى بلغتها * برفقي وقد كاد ارتقائي يضيرها
فلما دخلت الخدر اطت نسوعه * واطراف عيدان شديد سيورها
فارخت لنضاخ الذفارى منصة * وذي شبرة قد كان قدما يسيرها
واني ليشفيني من الشوق ان ارى * على الشرف النائي المخوف أزورها
وان اترك العيش الحسير بأرضها * يطيف بها عقبانها ونسورها
حمامة بطن الواديين ترنمي * سقاك من الغر الغوادي مطيرها
ابيني لنا لازال ريشك ناعما * ولا زلت في خضراء دان بريرها
وقد تذهب الحاجات يسترها الفتى * فتخفى وتهوى النفس ما لا يضيرها
وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت * فقد رابني منها الغداة سفورها
وقد رابني منها صدود رأيته * واعراضها عن حاجتي وقصورها
ارتك حياض الموت ليلى وراقنا * عيون نقيات الحواشي تديرها
ألا يا صفى النفس كيف بقولها * لو ان طريدا خائفا يستجيرها
تخير وان شطت بها غربة النوى * ستنعم ليلى أو يفادى أسيرها
وقالت أراك اليوم أسود شاحبا * واني بياض الوجه جرجورها
وغيرني ان كنت لما تغيرت * هواجر لا أكتنها وأسيرها
اذا كان يوم ذو سموم أسيره * وتقصى من دون السموم ستورها
وقد زعمت ليلى باني فاجر * لنفسي تقاها أو عليها فجورها
فقل لعقيل ما حديث عصابة * تكنفها الاعداء ناء نصيرها
فان لا تناهوا يركب اللهو نحوها * وخفت برجل أو جناح يطيرها
لعلك يا قيسا ترى في مريرة * معذب ليلى ان رآني أزورها
وادماء من سر الهجان كأنها * مهاة صوار غير ماس كورها
من الناعجات المشي تعبا كأنما * يناط بجذع من أوال جريرها
من العير كنانيات حرف كأنما * مريرة ليف شد شدا مغيرها
قطعت بها موماة أرض مخوفة * مخوف رداها حين يستن مورها
ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم * دعاميص ماء نش عنها غديرها
وقسورة الليل التي بين نصفه * وبين العشا قد رب منها أسيرها
أبت كثرة الاعداء ان يتجنبوا * كلابي حتى يستثار عقورها
وما يشتكى جهلي ولكن عزتي * تراها باعدائي لبيبا طرورها

ابن السلطان صلاح الدين انه كان في أيام أبيه أحب قينة وشغف بها فبلغ صلاح الدين فمنعه من صحبتها ومنعها منه فحزن ولم يمكنه أن يجتمع بها ومضى على ذلك مدة أيام فسيرت اليه مع خادم كرة عنبر فكسرها فوجد فيها زر ذهب فلم يفهم مرادها بذلك وجاء القاضي الفاضل فعرفه الصورة فقال في الحال

أهدت لك العنبر في وسطه
زر من التبر رقيق اللحام
فالزر في العنبر تفسيره
زرهكذا مستترا في الظلام

وقال علاء الدين المغربي من رسالة النيرين وهي من المحب الكئيب الى حبيب الحبيب افتتحها بقوله يقبل الارض وينهى بين يدي المالك الرحيم سلطان الملاح وليث الكفاح منها

ذهب النيل وعادا * وغرامي يتمادى
كلما قلت غدا ينقص بعض الوجد زادا
كل قلب غير قلبي * نال في الحب المرادا
وأنا المسكين وحدي
نلت في الصحب العنادا

(قال الراوي) ثم ان علاء الدين قال وانا المسكين وحدي بلت في صحن القطائف وعملت الخل ناطف وصلبت ابليس بدقنه وتركته ينخفض ويصفق ويغني

تلالاه تلالاه * ياعوينات الغزالة

رحم الله من قتلني وأي فخر في قتل مثلي وهل أنا الا شويعر مخارف مسخرة قد جعل وسائله وسائله وقصائده مصائده تستحلب ضرع الضراء ويميط قناع القناعة ان جاع أكل من تقطيع الاعاريض وان عطش شرب من بحور القريض في زمان لا فرق فيه عند أهله بين القادح والمادح والصائح والنائح (قد ذقت منه ما لبس بقلمه

أبو الحسين القلاع من قرشى)

بل أي شئ أحسن من عشقين مترفين أليفين يتراضعان ثدي الصحبة ويتراشفان كأس المحبة ويقتطفان ثمر الوصال ويشاهدان أنواع الدلال ويتواصلان [illegible]

أمخترمى ريب المنون ولم أزر * جوارى من همدان بيضا نحورها
تنوء بأعجاز ثقال وأسوق * جدال وأقدام لطاف خصورها
أظن بها خيرا واعلم انها * ستنفك يوما أو يفك أسيرها
ارى اليوم يأتى دون ليلى كانما * أتت حجة من دونها وشهورها
على دماء البدن ان كان بعلها * يرى لى ذنبا غير انى ازورها
وانى اذا ما زرتها قلت يا أسلمى * و يا بأبى قول أسلمى ما يضيرها

وهذه القصيدة قال صاحب النزهة أنشدها كلها حين سمع سجع الحمائم وقيل أنشدها متقطعة بحسب الوقائع وانما جمعتها الشعراء وها انا أورد ذكر غريبها وما وقع لبعض ابياتها من الحكايات قيل لما وقفت ليلى على قوله ولما دخلت الخدر غضبت غضبا شديدا ثم أمسكت عن كلامه برهة فتوسل اليها وعرض عليها انه يريد ان يسقى نفسه السم ان لم تكلمه فجمعت ثلاثة من أهلها بحيث يخفون عليه واستحضرته فلما آنسته قالت أى خدر دخلت معى حتى تقول ما تقول فقال هذا استرسال الشعراء ثم ذكر لها أمثال ذلك وتنصل ففرحت بسماع أهلها ذلك وقوله منصة يريد بها الستر وقوله حمامة بطن الواديين ترنمى هو أول بيت تفوه به من القصيد الى قوله وكنت اذا ما زرت ليلى ثم ضم الباقى وأما قوله وكنت اذا ما زرت ليلى فالحقه بعد اكمالها وسبب انشاده انه كان يزورها على خيفة وخفية فلما اشتد التحريج عليها جعلت بينها وبينه أمارة فقالت اذا مررت فوجدتنى مبرقعة فاجلس مطمئنا فلا حرج حينئذ فلما قوى حرصهم وتوعدهم لها وأجمعوا ان يفتكوا به اذا رآها خرجت يوم ميعاد سافرة على كثيب بحيث يراها على البعد فلما أقبل ورآها سافرة مضى فى طريقه متنكبا وهو يقول وكنت اذا ما زرت ليلى الابيات ثم دخل الشام فاقام بها يسيرا فلم يأخذه قرار وتاقت نفسه الى العرب فكان يخرج الى الربوة ليسلى نفسه فلم يكن له دأب الا البكاء فاقام أياما لا يلذ له حال ولا ينعم له بال فخرج يريد البادية فرحين قابل حيها بصغير يلعب فقال له هل أنت عارف بليلى قال نعم قال أمض اليها وأنشد

* وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت * وعد الى فاحسن منقلبك فمضى الغلام فأنشد البيت لليلى فعلمت ان توبة قد ورد الحى فقالت للغلام قل له انها الآن مبرقعة فمضى الغلام اليه واعلمه بذلك فاعطاه دينارين وأقبل فحدثها زيارتها ثم قال لها امكنينى من تقبيل يدك وفى الروض النضير انه سألها قبلة فانشدت

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى ان نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

ففطن انها استرابت منه فحلف انه لم يرد سوأ وان نفسه قد حدثته بان يجربها فاستشاطت شوقا ثم ودعها على استحياء ومضى فما استقر به المنزل حتى عزمت خفاجة على غزو المدليين فخرج فقتل فى الوقعة ولما وقع وبه رمق ادركه ابن عمه فقال له هل لك حاجة قال نعم تبلغ ليلى هذه الابيات وأنشد

ألا هل فؤادى من صبا اليوم طافح * وهل ماوأت ليل به للنواجع
وهل فى غدان كان فى اليوم علة * سراح لما تلوى النفوس الشحائح
ولو ان ليلى الاخيلية سلمت * على ودونى جندل وصفائح

الغرام و يتباسطان مباسطة الحمام ولا يحضرهما غير مزاح ومراح ولا يلثمهما غير كاس راح أثنان كالفرد من طول اعتناقهما

باتا بليل حميد غير مذموم

يسفران عن نيرين و يبتسمان عن درين و يتسارقان النظر بلواحظ جؤذرين كأنهما اقتسما فنون الحسن والاحسان بكفة الميزان ان تناقلا بعتاب أو تراسلا بكتاب فدر منثور وسحر غير محظور وان تسابقا فى ميدان الهوى أو تراشقا بسهام الجوى قالوا نرء وتور والساحر مسحور وهى رسالة لطيفة ظريفة كلها من هذا النوع اقتصرت منها على هذا القدر خوف الاطالة وقد ذكرتها بكمالها فى الجزء الثانى من حاطب ليل وقلت أنا مما كتبته الى بعض الاصحاب

كتبت اليكم والسطور حروفها
بها أعين ترنو لكم وترمق
ولى قلم أمسى لرطب لسانه
سلام مشوق قد براه التشوق

(الباب العاشر فى الاحتيال على طيف الخيال وغير ذلك مما قيل فيه على اختلاف معانيه)

أقول هذا باب عقدناه لذكر طيف الخيال الزائر وما قيل فى سيره من المثل السائر اذ للشعراء فى اقتناصه بتحيل وحسن تخيل طالما أكثروا من ذكره واستخرجوه من وكره فقربوا عليه بعد المسافه ولم يعاقوا الحاق زجره بالعيافه ومن المشهورين فيه بالاجاده أبو عباده وغيره كابن النقيب المتحيل على اصطياد خيال الحبيب حيث قال وأحسن فى المقال

نصبت جفونى للخيال حبائلا
لعل خيالا فى الكرى منه يسنح
وكيف اذا غمضتهن اصيد
ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

ومما أحسن قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى التورية ومولع بفخاخ * يمدها وشباك قالت لى العين ماذا *

لسلمت

لسلمت تسليم البشاشة أو زقا * اليها صدى من جانب القبر صائح
ولو ان ليلى في السماء لاصعدت * بطرفي الى ليلى العيون الكواشح
ولو أرسلت وحيا الى عرفته * مع الريح في موارها المتناوح
أأغبط من ليلى بما لا أناله * ألا كل ما قرت به العين صالح
سقتني بشرب المستضاف فصردت * كما صرد اللوح النطاف الصحاصح
وهل تبكين ليلى اذا مت قبلها * وقام على قبري النساء النوائح
كما لو أصاب الموت ليلى بكيتها * وجاد لها جار من الدمع سافح
وفتيان صدق قد وصلت جناحهم * على ظهر مغبر التنوفة نازح
بمائرة الضبعين معقورة النسا * أمين القرى مجترة غير جانح
وماذكرني ليلى على نأي دارها * بنجران الا الترهات الصحاصح

قوله ولو ان ليلى البيتين قد سبق الكلام عليها في قصة المجنون و زقا بالزاى وقوله وهل تبكين ليلى يعنى وهل هي باكية اذا مت فليلى في البيت فاعل حذرا مما توهم هنا وفي النزهة وماذكر تنبيه على بعد دارها وقيل ان هذه القصيدة أنشدها حين خرج قبل ورود الوقعة وانما أنشد عند موته قوله

عفا الله عنها هل ابيتن ليلة * من الدهر لا يسرى الى خيالها

وان ابن عمه حين جاء أنشدها الابيات أو هذا البيت فاجابته

وعنه عفا ربي وأحسن حاله * فعزت علينا حاجة لا ينالها

وقيل مات عشقا وكيف كان لما بلغ نعيه ليلى خلعت الزينة وأقامت على الحزن حتى ماتت بعده لكن بعده بسنين كثيرة فقد قيل ان وفاة توبة كانت سنة سبعين وقيل احدى وسبعين ووفاة ليلى كانت احدى ومائة قيل مرت بقبر توبة فقال زوجها هذا قبر توبة الكذاب فقالت لم يكن والله كذابا فقال لها الدس يقول ولو أن ليلى الاخيلية البيتين سلمى عليه لننظر فامتنعت فاقسم عليها أن تفعل فلما سلمت خرج من طاقة القبر بومة فاجفلت الناقة فوقعت ليلى ميتة فدفنت الى جانبه وقيل طير كانت العرب تزعم أنه يقيم في هامة المقتول حتى يؤخذ بثاره وحكى انها هي التى قصدت ذلك وهذه القصة رواها في النزهة عن متفرقين و وثقها وأما هنا فقد حكى ما قررناه الا السبب عن ليلى نفسها وانها حكت ذلك للحجاج حين قدمت عليه تجتديه من جدب الزمان فوهب لها مائة من الابل برعاتها وذلك فيما أخرجه المدائنى عن مولى عنبسة قال كنت مع أستاذي عند الحجاج اذ قال له الحاجب ان بالباب امرأة فقال أدخلها فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه الى الارض واستجلسها ثم استنسبها فانتسبت فقال ماجاء بك قالت اخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد فقال لها صفي لنا الفجاج فقالت الفجاج مغبرة والارض مقشعرة والبرك معقل وذو العيال مختل والهالك المقل والناس مسنتون رحمة من الله يرجون وأصابتنا سنون مجحفة مبطلة لم تدع لنا هبعا ولا ربعا ولا عافطة ولا نافطة أذهبت الاموال وفرقت الرجال وأهلكت العيال فانظر الى هذه الفصاحة والبلاغة ولذلك انقاد لها سامع تحبيره فقولها اخلاف النجوم تريد به الانواء فان العرب يعرفون بمساقط النجوم الانواء يستدلون بها على صحة السنة وخصبها وكثرة الامطار فكأنها تعد بذلك فاذا لم تأت بذلك فقد أخلفت وقلة الغيوم تريد به لازمها الغالب وهو المطر وفيه عطف الاخص

عبد الله السروجى وأحسن ما شاء
أنعم بوصلك لى فهذا وقته
يكفي من الهجران ما قد ذقته
أنفقت عمرى في هواك وليتنى
أعطى وصولا بالذى أنفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره
وسلوت كل الناس حين عشقته
أنت الذى جمع المحاسن وجهه
لكن عليك تصبرى فرقته
كم جال في ميدان حبك فارس
بالصبر منى في هواك سبقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة
فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم
عبدى وملك يدى وما أعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم
أدرى بذا وأنا الذى شوقته
يا حسن طيف من خيالك زارنى
من فرحتى بلقاء ما حققته
فمضى وفي قلبي عليه حسرة
لو كان يمكننى الرقاد لحقته

(وقال أبو تمام)

زار الخيال لها لا بل أزاره
فكر اذا نام فكر الناس لم ينم
ظبى تقنصته لما نصبت له
من آخر الليل اشراكا من الحلم

(وقال أيضا)

يا لها لذة تنزهت الار
واح فيها سرا من الاجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب
غير انا في دعوة الاحلام

(وقال البحترى) وهو من المكثرين في وصف الخيال المجيدين فيه ولكثرة ولوعه به واشتهاره ضرب به المثل فقيل خيال البحترى (ومن ذلك قوله)

اذا ما الكرى أهدى الى خيالها

على الاعمو كلب البرد شدته والعرب تطلق هذا الاسم على أيام مخصوصة من تاسع كانون أعني كيهك الى ثامن عشر شباط أعني أمشير والفجاج هنا الارض وغبرتها كناية عن عدم نداوة الارض فان ذلك يثير الغبار واقشعرار الارض عدم نباتها والبرك الابل وعقلها كناية عن عدم ما تحمله والاجشال اليبس والاملاق والهبعاء الحسنة والربعاء السيئة وعن الاصمعي الهبعاء ما نزرع في سوى الربيع والربعاء ما نزرع فيه أوهما مطران أو الابل والغنم ضعيف وفي تهذيب الاصلاح للتبريزي هما كلمتان يراد بهما الاخبار عن نفاد ما في اليد مثل ما عنده سبد ولا لبد والعافطة العنز والنافطة النعجة ويقال أيضا لا ثاغية ولا راغية أي لا غنم ولا ابل ثم مدحته حتى استغنى وقال لم يصب وصفي منذ دخلت العراق غيرها ثم قال لخازنه اقطع لسانها فاراد ذلك فقالت ويحك انما أراد العطاء فراجعه فغضب وأمر بغودها ثم قال لجلسائه هذه ليلى التي مات توبة من حبها ثم قال لها أنشدينا ما قال فيك فانشدت حمامة بطن الواديين فقال وما قالت أنت فيه فقالت كثيرا أيها الامير فقال هات فأنشدت

نظرت ومن دون عماية منكب * وبطن الركايا نظرته النواظر
أوانس ان لم يقصر الطرف دونهم * فلم تقصر الاخبار والطرف قاصر

وهي قصيدة ترثيه فيها بكلام حسن غير أن فيها طولا

(ومن محاسنها في توبة)

أتته المنايا بين زغف حصينة * وأسمر خطى وجرداء ضامر
على كل جرداء السراة وسابح * دوان بشبال الحديد زوافر
عوابس تعدو الثعلبية ضمرا * فهن سراح بالشكيم الشواجر
فلا يبعدنك الله يا توب انما * لقاك المنايا دارعا مثل حاسر
فان لم يكن بالقتل براقاتكم * ستلقون يوما ورده غير صادر
فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى * لقدر عيالا دون جار مجاور
ولا تأخذ الابل المهارى رماحها * لتوبة من صرف السرى الصنابر
اذا ما رأته قائما بسلاحه * نقته الخفاف بالثقال البهازر
اذا لم يجز منها برسل فقصره * ذرى المرهفات والقلاص التواجر
قرى سيفه منها مشاشا وضيفه * سنام المهارى السباط المشافر
وتوبة أحيى من فتاة حيية * وأجرأ من ليث بخفان خادر
ونعم الفتى ان كان توبة فاجرا * وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلها * فتطلعه عنها ثنايا المصادر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * قلائص يفحصن الحصى بالكراكر
ولم يبن ابرادا عتاقا لفتية * كرام ورحل قيل في الهواجر
ولم ينجل الضيفان عنه وبطنه * خميص كطى السبت ليس بخادر
فتى كان للمولى سناء ورفعة * وللطارق السارى قرى غير فاتر

(ومنها) فاقسمت أبكي بعد توبة هالكا * وأحفل من نامت صروف المقادر
على مثل همام وكابن مطرف * تبكي البواكي أو كبشر بن عامر

تغيب ايقاظا وتنم هجدا (وقوله)
إذا الليل أعطانا من الوصل بلغة
تننا تباشير الصباح الى الهجر
(وقوله أيضا)
بعثت طيفها الى يودوني
سيرشهر بن للمهارى العتاق
زار واهنا من الشام خفيا
مستهاما صبا بأرض العراق
فقضى ما قضى وعاد اليها
والدجى في بروده الاخلاق
(وقوله)
وليلة هومنا على العيس أرسلت
بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي
بعطفى غزال بت وهنا أغازله
فكم من يد لليل عندي جيدة
وللصبح من خطب تذم غوائله
(وقال عبد الصمد بن المعذل)
وأصل النوم بيننا بعد هجر
فاجتمعنا ونحن مفترقان
غير ان الارواح خافت رقيبا
فطوت سرها عن الابدان
منظر كان لذة القلب الا
أنه منظر بغير عيان
قال المرتضى هذه الابيات تروى للحميدوفي وهي كثيرة من مثله ودخل ابن القطان الشاعر البغدادي يوما على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص قال قد عملت بيتين لا يمكن أن يعمل لهما ثالث لاني قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير روهما فانشد
زار الخيال بخيلا مثل مرسله
فما شفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط الا كي يوافقني
على الرقاد فينفيه ويرتحل
فقال الوزير للحيص بيص ما تقول في دعواه فقال ان أعادهما سمع لهما ثالثا
بلادهما فقال الحيص بيص

غلامان كانا استوردا كل سورة * من المجد ثم استوثقا في المصادر
ربيعي حيا كانا يفيض نداهما * على كل مغمور نداء وغامر
كأن سنا ناريهما كل شتوة * سنا البرق يبدو للعيون النواظر

(ومن مراثيها فيه أيضا)

أيا عين بكي توبة بن الحمير * بسح كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة * بماء شؤون العبرة المتحدر
سمعن بهيجا أضلعت فذكرنه * وما يبعث الاحزان مثل التذكر
كأن فتى الفتيان توبة لم يسر * بنجد ولم يطلع مع المتغور
ولم يرد الماء السدام اذا بدى * سنا الصبح في بادي الحواشي منور
ولم يغل بالجود الجياد يقودها * أسرته يوم المشان فاقسر
ولم يغلب الخصم الصحاح ويملأ الـ * جفان سديفا يوم نكباء صرصر
وصحراء موماة يحار بها القطا * قطعت على هول الجنان بمنسر
يقودون قبا كالسراحين لاحها * سراهم وسير الراكب المتهجر
فلما بدت أولى العدو سقيتها * بصيباب مسكوب المزاد المقير
ولما أهابوا بالنهاب حويتهم * بخاطي البضيع كره غير أعسر
بمر ككرر الاندرى مشابر * اذا ما ونينا مخصف الشد محضر
وألوت باعناق طوال وراعها * صلاصل بيض سابغ ومسور
لم تر أن العبد يقتل ربه * فيظهر جد العبد من غير مظهر
قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه * اذا الخيل جالت في القنا المتكسر
فيا توب للهيجا ويا توب للندى * ويا توب للمستنبح المتنور
ويا رب مكروب أجبت ونائل * بذلت ومعروف لديك ومنكر

وانشدته غير ذلك مما لا حاجة لنا الى ذكره اذ ليس على شرط بطنا فانعم عليها فوق ما سألت ثم قال لها هل بقي لك حاجة قالت نعم تدفع الى النابغة أحكم فيه بما أرى وكان يتهاجى هو واياها فلما سمع بذلك هرب الى الشام فتبعته ثم استأذنت عبد الملك فيه فاذن لها وأظنه الذي سألها عن توبة أكان كما يقول الناس فقالت يا أمير المؤمنين كان والله سبط البنان حديد السنان عفيف المئزر جميل المنظر لا معاويه كما قيل هنا ثم انها لم تزل في طلب النابغة حتى توفيت بقومس بلدة من أعمال بغداد على جانب الفرات وقيل بحلوان والمدى بينهما قريب وهذا يعارض ما سبق من موتها عند قبر توبة وظاهر تظافر الروايات صحة الاول

(ومنهم عامر بن سعيد بن راشد) وينسب الى كعب بن الاميل الطائي كان يهوى ابنة عمه جميلة بنت واثلة بن راشد قال في النزهة ان ولادتهما كانت في ليلة واحدة ونشآ غير متفرقين حتى بلغا الحلم وقد اشتد كلف كل منهما بصاحبه وكان سعيد ذا ثروة وكان أخوه واثلة قد اتفق معه على تزويج ابنته من عامر فاتفق ان وقع بين تميم ومزينة فانتهبت مزينة فلم يترك لسعيد ثنية ولا ناب ووقع فيه جراح كثيرة مات أثر الوقعة بأيام وقد املق أهله فامتنع واثلة من تزويج عامر وحجبت جميلة عنه فاختبل واعتوره الجنون وقال الشيزري لم يمنعه منها الاملاقه وانما كان أبوه يمنعه عن أن يشيع عشقها فلما مات أشاعه في العرب

(وقال آخر) ألا رب طيف منك بات معانقي * الى ان دعا داعي الصباح فخيلا وأول من وصف الطيف عمرو بن قمئة فيما حكاه المرتضى في كتاب الطيف والخيال فقال

نأتك أمامة الا سؤالا
والا خيالا يوافي خيالا
خيال يخيل لي نيلها
ولو قدرت لم تخيل نوالا

وأول من طرد الطيف طرفة ابن العبد حيث قال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب
اليها فاني واصل حبل من وصل

(وتبعه جرير فقال)

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا
وقت الزيارة فارجعي بسلام

وأعجب من جرير في طرد الخيال الراعي حيث هجاه فقال

طاف الخيال باصحابي فقلت لهم
أملك ليلى أتت ليلا أم الغول

وقد رد على جرير مولانا قاضي القضاة تاج الدين بن السبكي واحسن ما شاء حيث قال

ياليت شعري هل أحب
جرير اذ أبدى اعتذاره
ان كان يصدق حبه
فالقلب منه كالحجارة
لا بل أشد قساوة
فانظر له أبدى عواره
اذ قال قولا لم يقله
عاشق أو ذو جسارة
طرقتك صائدة الفؤا
د وليس ذا وقت الزيارة

(وقال في الرد عليه أيضا)

هذا مقالك يا جرير
ولدى أشنع ما يقال
هل ثم وقت ليس يصـ
ـلح للزيارة والوصال
أم قيل ذلك فارجعي

وشبب بها فامتنع عمه لما سبق لك بيانه من عادة العرب ولما اشتد به الحال أشار النساء على والدته ان تعرض عليه العذريات فكان كما رأى واحــدة يشكرها ثم يتنفس الصعداء ويقول ماء ولا كصــداء المثل السابق فلما كان بعد مدة قدم رجــل من طيئ على والده فخطب جميلة منه وذكر النسب فزوجها منه فلما زفت اليه وقع عامر على الوساد فاعتزلت به أمه عن العرب لئلا يرى الزفاف قال الاخفش سعيد بن مسعدة خرجت في طلب ضالة لي فوقفت على هذا البيت أو قال نزلنا على ماء لطيئ فاذا أنا بخيمة منفردة فقصدتها وأخرج الحكاية في نديم المسامرة عن أبي عمرو بن العلاء عن تميمي فاسندها الى الاصمعي وأخرج الدقاق عن الاسدي ان المباشر للحكاية هو الاصمعي وعلى كلا التقديرين فحمل الاتفاق ان الرجل حــين انتهى الى البيت رأى عجوزا عليها بقية الجمــال ساهية متفكرة وفي كسر البيت شخص كالخيال مسجى عليــه قطيفة قال فسألتها عنه فقالت هو ولدي وشأنه كذا وأعادت القصة ثم قالت هل لك ان تعظه فوعظته وزهدته حتى قلت له انها امرأة كغيرها ألا ترى كيف يقول كثير هل وصل عزة الا وصل غانية * في وصل غانية من وصلها خلف فقال هو ماثق يعني أحمق وأنا وامق يعني صادق الالفة فلست كهو انما أنا كأخي تميم يعني جميلا حيث يقول

ألا لا يضير الحب ما كان ظاهرا * ولكن ما أخــفى الفؤاد يضير
ألا قاتل الله الهوى كيف قادني * كما قيــد مغــلول اليــدين أسير

ثم أنشد

ألا ما للمليحــة لا تعــود * أبخــل بالمليحــة أم صــدود
مرضت فعادني عــوادقومي * فما لك لم ترى فيمن يعــود
فقدتك بينهــم فبكيت شــوقا * وفقــد الالف يا أملي شــديد
فلو كنت المريضة لا تكوني * لعدتكم ولو كثر الوعيــد
ولا استبطأت غيرك فاعلميه * وحولي من ذوي رحمي عــديد

ثم فاضت نفسه فخرعت فقالت العجوز لا تخف فقد استراح مما كان فيه ولكن ان أحببت كمال الصنيعة فانعه الى الابيات ففعلت فخرجت جارية عليها أثر العرس وهي أجمل من رأيت فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته وأنشأت

عــداني ان أزورك يا منايا * معاشر كلهم واش حسود
أذاعوا ما علمت من الدواهي * وعابونا وما فيهــم رشــيد
فاما اذ حللت ببطن أرض * وقصر الناس كلهم اللحود
فلا بقيت لي الدنيا فــواقا * ولا لهــم ولا أثرى عديد

ثم خرجت ميتــة فخرج شيخ وهو يقول لئن لم أجمع بينكما حيين لاجمعن بينكما ميتــين ودفنهما في قبر هذا ما اتفق عليه سوى الوعظ فلم يرو عن الاخفش وبعض تغيير في الابيات فان الاخفش لم يرو الثالث وروى التميمي لم تعدني أي بدل لا تعود * ومرضت فعادني أهلي جميعا * وفي النزهة فما استبطأت غيرك وهو الاقعد وفي قولها عن التميمي * عداني أن أعودك يا حبيبي * معاشر فيهم وفيها انها قالت له حــين نعي بفيك الحجر المصلت من تنعي قلت فلانا قالت أوقد مات قلت نعم وعن الاصمعي انه حــين سأله عن حاله لم ينطق فقال له من حوله أذكر له الشعر فانشد

فردت طيف خيالها
هذا خيال منك فاسد
الطيف أعشق منك اذ
وافى اليك وأنت راقد
لا عادمثــلك ما بقي
في الناس للعشاق عائد
(وقلت أيضا من قصيدة)
يطالبني قلبي به فكأنني
غريم وقلبي في تقاضيه مغرم
ولي منه في ليلي الكرى ونهاره
خيال ملم أو حبيب مسلم
(وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني)
يا حبذا طيفك من قادم
يا أحســن العالم في العالم
طيف تجلى نوره ساطعا
حتى رأته مقلة النائم
يا غائبا يحكم في مهجتي
على طالت غيبة الحاكم
غار على حسنك أن يشتكي
حظي منــه انه ظالمي
وقد أحسن التهامي في تفضيل الخيال على الحقيقة حيث قال
وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت
سيان ما أشبه الوجدان بالعدم
الطيف أحسن وصلا ان لذته
تخلو من الاثم والتنغيص والندم
وقــد بلغ النهاية في اللطف كشاجم حيث اعتــذر على لسان الحبيب عن تأخر الخيال فقال
لقد بخلت حتى بطيف مسلم
علي وقالت رحمة لحبيبي
أخاف على طيفي اذا جاء طارقا
وسادك أن يلقاه طيف رقيبي
وما أحسن أيضا اعتــذار المغربي وقد ضمنه ابن عنــين وكتب به من اليمن

سبق القضاء بأنني لك عاشق * حتى الممات وأين منك مذاهبي

فانشد أخلو بذكرك لا أريد محدثا * وكفى بذلك نعمة وسرورا

أبكي فيطربني البكاء وتارة * يأتي فيأتي من أحب أسيرا

فاذا أتى سمح بفرقة بيننا * أعقبت منه حسرة وزفيرا

وفيها قال انه عامر بن غالب وجميلة بنت أميل

(ومنهم ما حكى الاصمعي) قال بينما أنا أسير اذ جنني الليل فأويت الى جبانة فتوسدت قبرا فاذا أنا بهاتف منه يقول

انعم الله بالخيالين عينا * وبمسراك يا سعاد الينا

وحشة ما لقيت من خلل القبر عسى ان نراك أو ان ترينا

فدخلت حين طلع الصبح الى الحي فاذا أنا بجنازة فتبعتها حتى جاؤا بها فدفنت الى جانب القبر الذي سمعت منه الصوت فحدثتهم بذلك فأخبروني ان هذا الرجل منهم احب ابنة عمه هذه فتزوج بها فلم تقم الا قليلا فلما حضرته الوفاة تعاهدا على أن لا تتزوج بعده فاشتد بها الوجد حتى ماتت الليلة قلت وهذا جائز ان يقع من النفوس المجردة اذا تصادق اعتلاقها فان اللذات بعد مفارقة الهياكل الجسمانية أعظم

(ومنهم فتى أسدي) أحب ابنة عمه وكان اسمها سعدى فمنعه أبوه أن يتزوج الا بارفع منها وأبى الغلام الاهي فلما أيس أبوها زوجها من رجل فاشتد وجد الغلام وانه لقيها يوما فأنشد

لعمري يا سعدى لطال تأيمي * ومعصيتي شيخي فيك كلاهما

وتركي للحيين لم أبغ منهما * سواك ولم يربع هواي عليهما

(فقالت الجارية)

حبيبي لا تعجل لتفهم حتى * كفاني ما بي من بلاء ومن جهد

ومن عبرات تعتريني وزفرة * تكاد لها نفسي تسيل من الوجد

غلبت على نفسي جهارا ولم أطق * خلافا على أهلي بهزل ولا جد

ولن يمنعوني ان أموت بزعمهم * غدا خوف هذا العار في جدث وحدي

فلا نفس ان تأتي هناك فتلتمس * مكاني فتشكو ما تحملت من جهد

فقد أوضحت له انها هالكة من الغد بعشقه فلما كان الموعد جاء فوجدها ميتة فاحتملها الى شعب بذري جبل يقال له عرفات بفتح المهملة وضمها ملتزما الهافات واختفى أمرهما حولا حتى مر شخص من العرب فسمع هاتفا على الجبل يقول

انا الكريمان ذوا التصافي * الذاهبان بالوفاء الصافي

والله ما لقيت في تطوافي * أبعد من غدر ومن اخلاف

من ميتين في ذرى اعراف

فصعد الناس فوجدوهما على تلك الحالة فواروهما

(ومنهم عمرو بن كعب بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك العرب المشهور) قال ابن عساكر وكان من فرسان العرب وحماتها وكرمائها وشجعانها وان جده النعمان صاحب الخورنق هو الذي كفله حين مات أبوه وهو صغير فلما زهد النعمان في الملك كما هو مشهور وضاع أمر الغلام قال في الشامات فأخذه عمه أبو النجاد فلما بلغ عنده وكان له بنت

من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا

فكدت أوقظ من حولي به فرحا

وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا

ثم انتبهت وآمالي تخيل لي

نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

(وقال ابن المعتز)

أبصرته في المنام معتذرا

الي مما جناه يقظانا

ولان حتى اذا هممت به

وجدته عند الصبح لا كانا

(قيل) من نكد الدنيا ان الانسان يرى في منامه انه شم طيبا أو واصل حبيبا أو نال عزا أو وجد كنزا فاذا انتبه لم ير من ذلك شيأ ورب ما رأى انه قد احدث فاذا انتبه رأى ذلك يقينا في ثيابه كما قيل فيه

أرى في منامي كل شيء يسرني

ورؤياي بعد النوم أدهى وأقبح

فان كان خيرا فهو أضغاث حالم

وان كان شرا جاء في قبل أصبح

(وقال المعري)

الى الله أشكو انني كل ليلة

اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام

فان كان شرا فهو لا شك واقع

وان كان خيرا فهو أضغاث أحلام

(وما أحسن قول ابن التلميذ)

عاتبت اذ لم يزر خيالك في الـ

نوم فشوقي اليك مسلوب

فزارني منعما وعاتبني

كما يقال المنام مقلوب

(وقال ابن الاحنف)

وأحلم في المنام بكل خير

فاصبح لا أراه ولا يراني

ولو أبصرت شرا في منامي

لقيت الشر من قبل الأذان

(وما أظرف قول ابن المعتز)

ألم الخيال بلا جهده * وأبدلني الوصل من صده وكم نومة لي قوادة * أتت بالحبيب على بعده (ومثله قول الآخر)

تعرف بالعقيلة وهى من أجل نساء العرب وأعلمهن بالادب وأحوال العرب أياما ووقائع فعلقت نفس عمرو بها واشتد ولوعه وزاد غرامه فخطبها الى عمه فطلب منه مهرا يعجز عنه فأشار عليه بعض أصحابه بالخروج الى أبرويز بن كسرى لما كان بين جدودهما من الوصلة فلما ذهب فى الطريق مر بعراف فبات عنده فاستعلم منه الامر فأخبره انه ساع فيما لا يدرك فعاد فوجد عمه قد زوج العقيلة لفزارى فهام على وجهه الى اليمامة فلما بنى بها الفزارى وكان عندها من العشق لعمرو أضعاف ما عنده لها فكانت تشد الفزارى إذا جن الليل الى كسر البيت وتبيت فى الخدر فاذا أصبح الصبح نطلقه فيستحى أن يخبر العرب بذلك فقام على هذا الحال سبعين ليلة فلما كثر توبيخ العرب له واختلاف ظنونهم به خرج فلا يدرى أين ذهب وأقامت العقيلة ببيت أبيها لا تتناول الا الاقل مما يمسك الرمق ودأبها البكاء على عمرو وهو كذلك ولم يمكنهما الاجتماع قال الفريابى فى عجيب الاتفاق فى تطابق أحوال العشاق فرض عمرو مرضا كاد أن يأتى على نفسه فكان لا يرى الا شاخصا الى السماء متمسكا بسبب قد علقه بيديه من العشاء الى الصباح وهو ينشد

اذا جن ليلى فاضت العين أدمعا * على الخد كالغدران أو كالسحائب

أو دطلوع الفجر والليل قائل * لقد شدت الافلاك بعد الكواكب

فأسقى الاعلى ذوب مهجتى * ولم أدر يوما كيف حال الحبائب

فلما كان بعد أيام دخل عليه صديقه فوجده غاصا بالضحك مستبشرا فسأله فقال

لقد حدثتنى النفس أن سوف نلتقى * ويبدل بعد بيننا بتدانى

فقد آن للدهر الخؤن بأنه * لتأليف ما قد كان يشتمانى

ثم شهق شهقة فاضت نفسه فيها قال الفريابى فضبط اليوم الذى مات فيه فوجدموت عقيلة فى ذلك اليوم أيضا وأخرج المصنف عن ابن دريد عن الفرزدق قال خرجت فى طلب غلام آبق فلما صرت على ماء لبنى حنيفة جادت السماء بالامطار فلجأت الى بيت من جريد النخل فيه جارية سوداء فانزلتنى فلم ألبث الاريثما أخذت الراحة وقد دخلت لى جارية كأنها لقمر تحيت ثم قالت ممن الرجل قلت تميمى قالت من أيها قبيلة قلت من نهشل ابن غالب فقالت اذا أنتم الذين يقول فيكم الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

قلت نعم قالت قد هدمه جرير بقوله

أخزى الذى سمك السماء مجاشعا * وأحل بيتك بالحضيض الاوهد

قال فأعجبتنى ولما رأت ذلك فى عينى قالت أين تؤم قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكرى * بها أهل المروأة والكرامه

ألا فسقى المليك أجش جونا * تجود بصحة تلك اليمامه

أحيى بالسلام أبا نجيد * فأهل للتحية والسلامه

قال فأنست بها فقلت أذات خدر أم ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا * تؤرقه الهموم على الصباح

تقطع قلبه الذكرى وقلبى * فلا هو بالخلى ولا بصاح

حكاه خيالا فى الكرى فأتيكه

(وقال بعض مشايخ العصر)

لو ان طيفك فى المنام جليسى

ما بت أشكو لوعتى ورسيسى

قمر أدار على خمرة ريقه

ولحاظه وحديثه المأنوس

ما همت فى قربه وحضوره

ووفاته الاعلى إبليس

وما أحسن قول القاضى الفاضل رحمه الله هذا على أن الطيف لا أعتد له بمنة وان ركب المجاهل وقطع المراحل وتخطى الى أغصان القنا وخاض جداول الظبا ووطئ شوك النصال وعثر بحبال الخيال ودنا وأعين الشهب حولى برّوان وأطراف القسى دوان وكيف أعتد له بمنة والفكر مدنيه وأنا يقظان ويمثل ما لم يكن من قربه كما مثلت العيون منه ما كان (حكى) عن بعض المغفلين انه تعب فى تحصيل امرأة كان يهواها مدة طويلة فلما حصلت عنده فى البيت وضع رأسه ونام فقالت له لأى شئ فعلت هذا فقال من عشقى فيك أنام لعلى أرى خيالك فى النوم (وحكى) عن بعض البخلاء انه قال لمحبوبته وضعت خدى على الارض لكى ترضى فقالت أعطنى دينارا حتى أخليك تضع خدك على خدى ولقد بلغ نهاية اللطف قول القائل

قالت لطيف خيال زارنى ومضى

بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال خلفته لو مات من ظمأ

وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

قالت صدقت الوفا فى الحب عادته

يا برد ذاك الذى قالت على كبدى

(وقول الآخر)

فهلا منعتم اذ منعتم كلامها

خيالا يوافينا على البعد هاديا

سقى الله اليمامة دار قوم * بها عمرو يحن الى الرواح
فقلت لها من عمرو فانشدت
اذار قد النيام فان عمرا * هو القمر المنير المستنير
ومالى فى التبعل من براح * وان رد التبعل لى أسير
ثم سكتت كأنها تسمع كلاما ثم أنشأت تقول
يخيل لى أبا كعب بن عمرو * بانك قد حملت على سرير
فان يك هكذا يا عمرو وانى * مبكرة عليك الى القبور
ثم شهقت شهقة فماتت

(ومنهم ماحكاه الاصمعى) وقد قال له الرشيد حدثنى باعجب ما رأيت قال أخبرنى السميدع بن عمرو الكلابى وقد جاوز المائة قال كنت كثير الاسفار فمررت قاصدا اليمامة ببيت يلوح وقد قرب الليل فأردت المبيت عنده فقالت لى امرأة منه أضيف أنت قلت نعم فقالت على الرحب والسعة ولكن تنح حتى يأتى رب المنزل فعدلت الى طوى هناك فسقيت ناقتى وجلست واذا بسوداء تحمل جفنة ثريد معها تمر ورطب فقالت تعلل بهذا فقلت فى دونه كفاية فأكلت وأخرجت دقيقا فاطعمت ناقتى وتوسدت ذراعها واذا بغيم قد حال بينى وبين البيت ثم غلبت عينى فلم أفق الا والشاب على أحسن ما يكون ومعه عبيد قد أقبلوا بحطب ونار فاضرموها وجاؤا بكبش فذبح وكشط وطبخوا وثردوا وقدم الينا فأكلنا ثم قال لى كن هنا حتى آتيك الصباح فلما أشرف الصبح جاء ففعل كما فعل ليلته فلما أكلنا قال لم أقض حقك فاقم عندى يومك فقلت سمعا وطاعة فركب ومكثت ساعة واذا الجارية تقول لى أجب ابنة عمك فقلت كيف أكلمها وقيمها غائب وقالت من وراء حجاب فاقبلت فسلمت فقالت يا ابن العم أتريد اليمامة قلت نعم قالت فاحفظ عنى هذه الرسالة وأعد الى جوابها وأنشدت
أعلى العهد مالك بن سنان * أم سقاه أفاوق الغدر ساق
ان يكن خان أوتناءى فانى * لعلى العهد ما استناع رماق
ما ألم الرقاد مذ بنت الا * بجفون قريحة الآماق
فعليك السلام ما لألأ النو * ر وما دب فى الثرى عرق ساق
ثم قالت ليكن انشادك الابيات بالحضرمة فلما خرجت فى اليوم الثانى خرج الشاب فقال يا ابن عمى هل أنت مبلغ عنى رسالة وعائد الى بجوابها قلت نعم قال قف بقران بنى سحيم وأنشد
أيا سرحتى قران بالله خبرا * عن البكرة العيساء كيف نزاعها
فلو ان فيها مطعما لمتيم * نأت دارها عنه وخيف امتناعها
لهان عليه جوب كل تنوفة * يخاف عليه جورها وضياعها
تغربت عن نفسى وأيقنت انها * تريد وداعا يوم جد وداعها
فلما دخلت اليمامة وقفت حيث وصف وأنشدت الابيات واذا بجارية حاسرة كأنها مهرة تنشد
تحمل هداك الله منى تحية * اليه جديد كل يوم سماعها
وخبران عن العيساء ان قد توجعت * عليها مراعيها وطال نزاعها
لقد قطع البين المشتت إلفه * عزيز علينا ان يحم انقطاعها
ثم شهقت شهقة فماتت فلما اردت الانصراف وقفت بالحضرمة وأنشدت أبيات المرأة
فسمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما فقال له قل فانشد

فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها
فلن تمنعوا منى البكا والقوافيا
فهلا منعتم اذ منعتم حديثها
خيالا يوافينا على البعد ثاويا

(الباب الحادى عشر فى قصر الليل وطوله وخضاب شفقه ونصوله وما فى معنى ذلك) أقول هذا باب عقدناه لذكر من طال سهاد جفنه القصير فأمسى وماله الى أسفار الصباح سفير فهو ينشد من شدة الحرق وكثرة الارق
يا ليل طل أولا تطل
لابد لى أن أسهرك
لو بات عندى قمرى * ما بت أرعى قمرك
ولم تزل العشاق تشكو من الليل وطوله ويصفونه بسواد الوجه عند حلوله وعذرهم فى ذلك ظاهر وكيف لا وقد قال فيه الشاعر
مات الظلام بليل
أحييته حين عسعس
لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس
(وقال شرف الدين أحمد بن منقذ)
لما رأيت النجم ساه طرفه
والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافرا
أيقنت ان صباحهم قد ماتا
(وقال أيضا)
ولرب ليل تاه فيه نجمه
قطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فاجابنى
لو كان فى قيد الحياة تنفسا
قلت وقبل الشروع فى ايراد مقاطيع هذا الباب نذكر هنا حكاية لطيفة تتعلق بطول الليل وقصره وهى ما حكاه أبو محمد اسمعيل بن منصور الجواليقى قال وقف على والدى وهو جالس فى حلقة يقرأ فيها عليه الطلبة شاب فقال يا سيدى
وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها

فأجابني فتى لم يحل عن وفائه ابن سنان * لا ولا غاله انتشاء الفراق
ان بين الحشا المبيب اشتياق * ليس يطفي جواه الا التلاقي
انما أبقت الهموم خيالا * باليا ممسكا بماء الرماق

ثم شهق شهقة فمات فلما رجعت الى الحي أخبرت المرأة بجوابها فشهقت شهقة فارقت نفسها وعلت الاصوات فأقبل الشاب فقال لي ما شأنها فأعلمته الخبر ثم أنشدته جواب أبياته فقال فها انا أيضا ميت ثم اضطجع فكأنما كانت نفسه بيده وهذه الحكاية أخرجها في نديم المسامرة والشهاب في منازل الاحباب والحافظ مغلطاي في الواضح وأمثال هذه عندهم يعرف بالعشق المسلسل ونظير ما حكاه الشيرزي عن العتبي قال تذاكرنا العشق يوما وبيننا شيخ ساكت فقلنا له ألا تحدثنا بما عندك في هذا فقال جلسنا يوما للشرب ومعنا قينة فغنت

علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكى

فقال شاب في المجلس أحسنت والله يا سيدتي أتأذني لي أن أموت فقالت مت راشدا ان كنت عاشقا وكان يهوى القينة فاضطجع فاذا هو ميت فتنغص مجلسنا ثم دخلت الى أهلي فأخبرتهم بالقصة وكان لي إبنة تهوى الشاب ونحن لا ندري فلما سمعت الخبر قامت الى خلوة وأنكرت قيامها فدخلت اليها فاذا هي متوسدة كما وصفت لها الشاب ميتة فلما خرجنا بجنازتها وبالشاب وجدنا جنازة ثالثة واذا هي القينة ماتت حين بلغها موت إبنتي لانها كانت تهواها *(ومنه ما أخرج الحافظ عن ابن دريد عن عبد النعالي غلام أبي الهذيل)* قال رجعت من تشييع جنازة وقد اشتدت الهاجرة فملت الى ظل أتفيأ به فسمعت صوتا مطربا فطرقت الباب أستقي الماء فخرج شاب على أحسن صورة غير ان العلة لم تبق الا رسمه فادخلني الى موضع أنيق بالفرش وجاءت جارية فغسلت رجلي ثم بعد يسير جاءت بالطست فقلت قد غسلت قالت نعم ولكن أغسل يديك للغداء فغسلت وجاؤا بطعام فأقبل يضاحكني ويأكل متغصصا والعبرة تخنقه ثم جاء بشراب فسقاني وشرب ثم قال قم بنا الى نديم الى فدخلت معه الى بيت لطيف فيه قبر قد صب حوله الرمل فجلسنا فشرب وسقاني ثم أنشد يقول

أطأ التراب وأنت رهن حفيرة * هالت يداي على صداك ترابها
إني لاغدر من مشى ان لم أطأ * جفون عيني ما حييت جنابها
لو أن حشو جوانحي متلبس * بالنار أطفأ حرها وأذابها

ثم أكب على القبر مغشيا عليه فجاءه خادم فرش عليه الماء فأفاق فشرب وسقاني وأنشد

اليوم تاب لي السرور لانني * أيقنت إني عاجلا بك لاحق
فغدا أقاسمك البلا ويسوقني * طوعا اليك من المنية سائق

ثم قال وقد وجب عليك حقي فاحضر غدا جنازتي فدعوت له بطول البقاء وانصرفت فقال

عققتني ان لم تقل جاور خليلك مسعدا في رمسه * كيما ينالك في البلا ما ناله

فانصرفت عنه فلم أعرف نوما حتى أصبحت وأتيته فاذا هو قد مات فدفن الى جانبها قلت نقل في عجيب الاتفاق وليس من شأنه هذا ان الشاب كان يهوى إبنة عمه ومنع منها زمانا ثم مات أبوها فتزوج بها فأقام معها ثلاث ليال ثم حمت ساعة من نهار فجلس وأخذ رأسها على ركبته فطلبت الماء فشربت فشرقت فماتت فدفنها في بيته وأقام يبكي وقد هجر الطعام والشراب

ونجره الثار يصليناه النارا * فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة * ان لم يزرني بالجوزاء ان زارا قال فلما سمعها والدي قال له يا ولدي هذا شئ من معرفة النجوم وتسييرها الا من صنعة أهل الادب فانصرف الشاب من غير حصول فائدة فاستحيا والدي لكونه سئل عن شئ ليس عنده منه علم وآلى على نفسه أن لا يجلس في حلقة حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر في ذلك وحصل معرفته ثم جلس وقال معنى البيت المسؤل عنه ان الشمس اذا كانت في آخر القوس كان الليل في غاية الطول لانه يكون آخر فصل الخريف واذا كانت في آخر الجوزاء كان الليل في غاية القصر لانه في آخر فصل الربيع فكأنه يقول اذا لم يزرني فالليل عندي في غاية الطول وان زارني كان الليل عندي في غاية القصر وقد أنصف القائل

لا أظلم الليل ولا أدعي
ان نجوم الليل ليست تسير
ليلي كما شاءت فان لم تزر
طال وان زارت فليلي قصير

(وما أحسن قول الارجاني)

وما ليلنا الاسواء وانما
تفاوته أناسهران ونمتم

(وما أحسن ما قيل في قصر الليل) قول أبي إسحق الصولي

وليلة من الليالي الزهر
قابلت فيها بدرها ببدري
لم تك غير شفق وفجر
حتى تولت وهي بكر الدهر

(وقال الرضي)

يا ليلة كاد من تقاصرها
يعثر فيها العشاء بالسحر

(وقال آخر)

سألت الليل لم ولى هزيما
وقلبت الحبيب على اقتراحي
يقول كواكبي غارت وسارت * مخامرة علي الى الصباح

(ومن أحسن ما قيل في طول الليل قول العباس

والشراب واللبس والنوم فكانت مدته الى ان لحق بها ثلاثة عشر يوما وأيضا من نظير المسلسل ماروى عن يونس النحوي قال نزلت بصديق لي ببادية يقال له مالك العذري فاذا نحن بامرأة تقول قد تكلم فاستبشر النساء بذلك فسألت صديقي عن الخبر فقال رجل منا أحب ابنة عمه وتزوجها رجل وحملها الى الحجاز فصار ملقى على فراشه من نحو حول لا ينطق فقلت أحب ان انظره فقمنا حتى وقفنا عليه فقالت أمه يا ولدي هذا عمك مالك ففتح عينيه وأنشد

ليبكني اليوم أهل الود والشفق * لم يبق من مهجتي الا شفا رمق
اليوم آخر عهد بالحياة فقد * اطلقت من ربقة الاحزان والقلق

ثم تنفس فاذا هو ميت فقمنا عنه فلما رجعنا اذا نحن بشابة بيضاء ناعمة الشباب تبكي بحرقة وجزع فسألناها عن السبب فانشأت

اليوم ابكي لصب شف مهجته * طول السقام واضنى جسمه الكمد
ياليت من خلف القلب المقيم به * عندي فاشكو اليه بعض ما اجد
أتشر تربك أسرى لي النسيم به * أم أنت حيث يناط السحر والكبد

ثم شهقت شهقة خرت ميتة فسألنا عنها فاذا هي تهوى الشاب قلت قال في التزيين عن الرياشي عن يونس هذا قال اجتمعت بصديقي بعد ذلك اليوم بمدة لا تزيد عن شهرين فقال لي اتعرف الشاب الذي مات يوم كذا قلت نعم قال قدم علينا الحجازي زوج ابنة عمه فاخبر ان المرأة من لدن حملها لم تنفك عن المرض حتى قضيت يوم كذا فاذا هو اليوم الذي مات فيه الشاب

(ومنهم ما حكاه الكاتب) قال كنا في متنزه وقد أقبل ابن عائشة بسوس غلاما لا يستطيع ان يملك نفسه فسألناه عن امره فقال من العشق فتذاكرنا أخبار العشاق فقلت ألا احدثكم باعجب من هذا قالوا هات قلت أخبرني بعض العرب قال مررنا بماء وعليه صبية يتعاطسون وقريب منهم شاب عليه أثر الجمال الا أنه كالمتحل من علة فسلمت عليه فقال ممن الراكب قلت من الحي فقال من كم عهدك به قلت قريبا فتنفس الصعداء وأنشد

سقى بلدا أمست سليمى تحله * من المزن ما يروى به ويسيم
وان لم أكن من قاطنيه فانه * يحل به شخص على كريم
ألا حبذا من ليس يعدل قربه * لدي وان شط المزار نعيم
ومن لامني فيه حبيب وصاحب * فرد بغيظ صاحب وحميم

ثم اغشي عليه فنضحنا عليه الماء فأفاق ثم أنشد

اذا الصب الغريب رأى خضوعي * وانفاسي تزين بالخشوع
ولي عين أضربها التفاقي * الى الاجزاع مطلقة الدموع
الى الخلوات يأنس فيك قلبي * كما أنس الغريب الى الجميع

فقلت له ان كان لك حاجة فيها شفاء نفسك فخبرني بها فاني مطيع فقال اعلم انك محل ولكن لم تدرك مني الاصبابة لا تتلافى فقمنا فبلغني انه لم يبت تلك الليلة

(ومنهم ما حكاه في منازل الاحباب) وقال كان في بني عذرة فتى ظريف يهوى محادثة النساء فعلق جارية فاضنته حتى لزم الوساد وسئلت في امره فامتنعت حتى اذا بلغ الموت جاءته فحين رآها أنشد

أريتك ان مرت عليك جنازتي * تمر على ايدي طوال وشرع
أما تتبعين النعش حتى تسلمي * على رمس ميت في الحفيرة مودع

أو صفو فقد نسيت النهارا
(وقال آخر)
عهدي بنا ورداء الليل مشتمل
والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلي مذ بانوا افديتهم
ليل الضرير فصبحي غير منتظر
(وقال ابن العتارية)
لقد ساهرتني عيون الدجى
وقد نام عني عيون الملاح
اذا ما شكا الليل هجر الصباح
شكوت الى الله هجر الصباح
(وقال ابن الزقاق)
لي مسكن شطت به غربة
جادت لها عيناي بالمزن
ما أحسن الفجر ولا راقني
بياضه مذ بان في الظعن
كأنما الصبح لنا بعده
عين قد ابيضت من الحزن
(وما أحسن قول القاضي الفاضل)
بتنا على حال يسر الهوى
وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له
ان غبت عنا هجم الصبح
(وقال ياقوت)
كأن الثريا راحة تشبر الدجا
لتعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب
يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا
أخذه الشيخ صدر الدين بن الوكيل فقال
بكف الثريا وهي جذما يقاس لي
شقاق الدجا من الشرق والغرب
ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت
فما تنقضي بالليل أو ينقضي نحبي
وقد أحسن الارجاني في الاعتذار عن طول الليل فقال
لا أدعي جور الزمان ولا أرى

ليلي يزيد على الليالي طولا لكن مرآة الصباح تنفست * لهم اصدأ وجهها المصقولا (وقال مضر بن الفقعسي)

فحلفت انهالم تعلم انه بلغ به الحب الى هذا الحال وأخذت تستعطفه فتمثل بقول بشر بن حضرم الكلابي

اتت وحياض الموت بيني و بينها * وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

ثم اغشي عليه وانكبت تقبله فاذا هو ميت فلم تمكث بعده الا قليلا

*(ومنهم ماحكاه ابن الجوزي) * ان رجلا علق جارية نصرانية وأخذه وامنه حتى أزال عقله فحمل الى البيمارستان فأقام به مدة وكان له صديق يتعاهده فقال له يوما وقد أشرف على التلف قد أيست من ملاقاة فلانة في الدنيا وأخاف ان لا ألقاها في الآخرة ان مت مسلما ثم تنصر ومات فخرج من عنده فوجدها عليلة وهي تقول قد أيست من فلان في الدنيا فأنا أسلم لالقاه في الآخرة ثم أسلمت وماتت

*(ومنهم الحرث المشهور بابن الفرند من خزاعة) * وقال في الشامل انه من قحطان نشأ وابنة عمه عفراء بنت الاحجم مترجين بالالفة الى ان بلغا فتزوج بها فأقاما مدة ينمو الهوى بينهما الى ان عزمت يوما على ان تزور أباها فجهزها اليه فاقامت مدة وكل منهما يأبى ان يجيء بنفسه وزادت الوحشة بينهما وحلف أبواهما على ان لا يأتي احدهما الآخر مخافة ان تزري العرب به فمرض الحرث فكتب اليها

صبرت على كتمان حبك برهة * ولي منك في الاحشاء أصدق شاهد

هو الموت ان لم تأتني منك رقعة * تقوم لقلبي في مقام العوائد

فاجابته كيف الذي تخشى وصرت الى المنى * ونلت الذي يهوى برغب الحواسد

ووالله لولا ان يقال تظننا * بي السوء ماجانبت فعل العوائد

فلما قرأها في الرقعة وانتشق ريحها وكانت أعطر زمانها غشي عليه فاذا هو ميت فقيل لها ماكان عليك لو أحييته بزورة قالت خشيت ان يقال صبت اليه ولكني قاتلة نفسي عن قريب فلم يشعر بها الا وهي ميتة

*(ومنهم عياش الكناني) * قال هشام خرجنا في حاجة وهو معنا فمررنا ببني حنيفة فرأى جارية منهم فوقعت من قلبه موقعا عظيما فتخلف عنا وراسلها فأبت وكان لايخطئ سهمه اذا رمى فقصب قوسا وأقبل في الليل وهي نائمة بين أخوتها فايقظها فلما شعرت به قالت لئن لم تذهب لا وقظنهم فيقتلونك فحلف ان أعطته يدها يضعها على فؤاده تسكينا لما به انصرف ففعلت فانصرف فلما كان من قابل أتى وفعل كفعلته فقالت له كالاول فحلف ان أمكنته من رشفة مضى ففعلت وشعر به الحي فتبعوه فخرج على جبل واعقب الوقت سماء فرجع النساء وأخذ الجارية من الوجد أضعاف ماعنده فخرجت مع جارية من الحي وقد أزهر القمر فرآها على بعد وقد أسبلت شعرها من الندى فحسبها بعض من يطلبه فرماها بسهم فلم يخط قلبها ونزل فوجدها متضمخة وقد أشفقت على الهلاك فقتل نفسه

*(ومنهم مارواه اعرابي أو هو جبلة بن الاسود) * قال خرجت في طلب ضالة فوقعت على راع عنده غنم يرعاها وقد اتخذ بيتا في كهف هناك فسألته القرى فرحب بي وأنزلني ثم جاء بشاة فذبحها وجعل يشوي ويقدم الي ويحادثني حتى اكتفيت فلما جن الليل اذا بفتاة كاحسن مايكون من النساء قد أقبلت اليه فجلسا يتحادثان حتى طلع الفجر فمضت وسألته الذهاب فأبى وقال الضيافة ثلاثا فاقمت فلما جاء الليل رأيته يقوم ويقعد متضجرا ثم أنشد

(وقال آخر)

وليلة لم أدر ماسنة الكرى

كأن بجفوني مسمعي والكرى عذل

(وقلت أنا)

مذ غبت عن شمس الدين ما اكتحلت

عيني بغير فتور والسهد والسهر

كم بت أرعى نجوم الليل من أرق

يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

وقال الشريشي فاما أكثر الشعراء فهم من الليل أفزع والى النهار انزع لان الليل أجمع لاشتات الهموم والفكر واجلب لشوارد الاحزان والذكر وقال امرؤ القيس

وليل كموج البحر أرخى سدوله

علي بانواع الهموم ليبتلي

(وقال قيس بن ذريح)

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى

ويجمعني والهم بالليل جامع

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا

لي الليل هزتني اليك المضاجع

(وقال ابن المعتز)

لا تلق الا بليل من تواصله

فالشمس نمامة والليل قواد

كم عاشق وظلام الليل يستره

لاقى الاحبة والواشون رقاد

(وقال المتنبي)

كم زورة لك في الاعراب خافية

أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لي

وانثني وبياض الصبح يغري بي

هذا البيت أمير شعر المتنبي على كثرة الجيد فيه وفيه مقابلة خمسة بخمسة وقد أخذه بعضهم فقال

أقلي النهار اذا أضا صباحه

وأظل أنتظر الظلام الدامسا

فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكا

والليل يرثي لي فيدبر عابسا وقد أحسن في أخذه فإن فيه أيضا مقابلة خمسة بخمسة قال ابن يحيى في قول المتنبي ما

مابال مية لاتأتى كعادتها * أعاجها طرب أم صدها شغل
لكن قلبي عنكم ليس يشغله * حتى الممات ومالى غيركم أمل
لو تعلمين الذى بى من فراقكم * لما اعتذرت وطابت لك العلل
نفسى فداؤك قد أحللت بى سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل
لوان غاديه منه على جبل * لمادوانهد من أركانه الجبل

فسألته عن شأنه فقال هذه ابنة عمى وأنا أحبها فخطبتها من عمى فأبى على لفقرى وزوجها من رجل وقد حملها الى هذا الحى فخرجت عن مالى وعملت راعيا لهم فهى تأتينى على غفلة من زوجها فانظر اليها وتتحادث ليس غيره والآن قد قلقت لفوات ميعادها وفى الطريق أسد قد كسر وأخاف ان يكون أصابها فعلى رسلك حتى أعود وأخذ السيف ومضى قليلا ثم عاد يحملها وقد أصابها الاسد فطرحها ثم غاب ورجع يجر الاسد مقتولا فطرحه وانكب يقبلها ويبكى ثم قال لى أسألك بالذمة الا ما دفنتنى واياها فى هذا الثوب وكتبت على القبر هذا الشعر فانى لابقاء لى بعدها ثم انكب عليها فاذا هو ميت وقيل انكب على السيف فخرج من ظهره وفى رواية ونمنا الى الصباح فوجدته ميتا فلففتهما ودفنتهما وكتبت على القبر الشعر الذى أوصى به وهو

كنا على ظهرها والدهر فى مهل * والعيش يجمعنا والدار والوطن
ففرق الدهر بالتصريف ألفتنا * فاليوم يجمعنا فى بطنها الكفن

ثم فرقت الغنم ومضيت الى عمه فاخبرته بذلك فكاد ان يقضى أسفا على عدم الجمع بينهما *(ومنهم كامل بن الرضين)* وكان يحب ابنة عم له يقال لها أسماء فافتتن بها حتى أنحله السقم ولزم الوساد فسأل أبوه أباها ان يزوجها منه فقال له أجله الى لأزوجه بها ففعل فلما علم بذلك قال أو أنا بموضع تسمعنى به قالوا نعم فشهق شهقة فمات فقالت قد كنت قادرة على زيارته فتركتها خوف الريبة فلا تبعنه ثم مرضت فقالت لاخص نسائها صورى لى صورته ففعلت فلما اعتنقته فارقت نفسها فدفنت الى جانبه وكتب على قبريهما

بنفسى من لم يمتعا بهواهما * على الدهر حتى غيبا فى المقابر
أقاما على غير التزاور برهة * فلما أصيبا قربا بالتزاور
فياحسن قبر زار قبر محبه * ويازور جاءت بريب المقادر

(ومنهم مرة النهدى) وكان قد شغف بابنة عمه ليلى وكانت أوحد نساء زمانها حسنا فكتم حبه لها حتى تزوجها فاقاما مدة لا يزداد حالهما الا شغفا الى ان أمره الخليفة بالتجهيز الى غزو خراسان فشكا اليها عدم القدرة على فراقها فقالت اصنع ما شئت فحملها معه حتى أودعها عند صاحب له وتعجل الغزو فلما رجع كره ان يدخل ابتداء فجلس بازاء القصر فخرجت جارية فسألها ما صنعت المرأة التى خلفتها عندكم فقالت ذاك القبر الجديد قبرها فتردد حتى خرجت أخرى فاخبرته مثل ذلك فمضى الى القبر فجعل يتمرغ ويبكى ثم أنشد

أياقبر ليلى لوشهدناك أعولت * عليها نساء من فصاح ومن عجم
وياقبر ليلى ما تضمنت قبلها * شبيها لليلى فى عفاف وفى كرم
وياقبر ليلى أكرمن محلها * يكن لك ما عشنا علينا بها نعم
وياقبر ليلى ان ليلى غريبة * بأرض لم يشهدك خال به وعم

شيخنا تقى الدين بن دقيق العيد قال لمولا علماء المعانى والبيان والبديع أتحسنون ان تقولوا مثل قول المتنبى أزورهم وسواد الليل البيت فاذا قالوا لا قال فاى فائدة فيما تصنعونه ويريد بذلك ان العمل غير العلم والمباشرة دون الوصف (ومثل قوله هذا) ما حكاه بعضهم عن بعض الوعاظ انه كان على منبره يتكلم فى المحبة وأمور العشق وأحواله ومد أطناب الاطناب فى ذلك فقام اليه بعض الجماعة فقال

بعيشك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصبح أو قبلت فاها
وهل رفت عليك فروع ليلى
رفيف الاقحوانة فى نداها

فقال الواعظ لا والله فقال له فاقشر (وقال المتنبى)

وكم لظلام الليل عندك من يد
تخبر ان المانوية تكذب
وقاك ردى الاعداء تسرى اليهم
وزارك فيه ذو الدلال المحجب

المانوية قوم يعتقدون ان الخير كله من النور والشر كله من الظلام فكذبهم بانه وجد الخير فى الظلام حيث ستره عن أعدائه ووقاه شرهم وكان عونا له على زيارة من يحبه (وقال ابن رشيق)

أيها الليل طر بغير جناح
ليس فى العين راحة فى الصباح
كيف لا أبغض الصباح وفيه
بان عنى أولو الوجوه الصباح

(حكى الاصمعى) قال حضرت الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ دخل أبو نواس فقال ما أحدثت بعدنا يا أبا نواس فقال يا أمير المؤمنين ولو فى الخمر فقال قاتلك الله ولو فى الخمر فأنشده

ياشقيق الروح من حكم
نمت عن ليلى ولم تنم

الابيات حتى أتى على آخرها فقال أحسنت والله يا غلام اعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فاخذها وخرج

أنشدني أبياتك التي تقول فيها

فان لم تبلغني اليكم ركائبي

فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت أشار الشريف الى نعله البالية وقال أهذه كانت من ركائبك فاطرق المطرز ساعة ثم قال لما عادت هبات سيدنا الشريف أيده الله تعالى الى مثل قوله

وخذ النوم من جفوني فاني

قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ماترى لانك خلعت مالا تملكه على من لا يقبل فاستحيا الشريف منه وكان الشيخ صدر الدين ابن الوكيل رحمه الله تعالى يقول والله قول المطرز عندي أحسن من قول الشريف * وقال أبو البشر المظفر الاعمى دخلت على الملك الكامل فقال لي أجز هذا النصف قد بلغ العشق منتهاه

فقلت وما درى العاشقون ماهو

فقال وانما غرهم دخولي

فقلت فيه فهاموا به وتاهوا

فقال ولي حبيب يرى هوانى

فقلت وما تغيرت عن هواه

فقال رياضة النفس في احتمالى

فقلت وروضة الحسن في حلاه

فقال اسمر لدن القوام ألمى

فقلت يعشقه كل من يراه

فقال ريقته كلها مدام

فقلت ختامها المسك من لماه

فقال ليلته كلها رقاد

فقلت وليلى كلها انتباه

ثم ان مظفر الدين أكملها مدحا في السلطان الملك الكامل تغمده الله برحمته ومنه وكرمه

ولم يزل كذلك حتى مات ودفن الى جانبها

(ومنهم رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف) تزوج ابنة عمه فشغف بها حتى لم يستطع فراقها فنفد مامعه وضاق حاله ولم يكتسب شيأ يقتات به فقالت له يوما لو خرجت الى هشام ابن عبد الملك فسألته شيأ لما منعك فجهز نفسه فلما صار قرب الرصافة أغمي عليه ساعة ثم أفاق وأنشد

بينما نحن بالبلا كث بالقا * ع سراعا والعيس تهوى هويا

خطرت خطرة على القلب من ذكـ * ـراك وهنا فما استطعت مضيا

قلت لبيك اذ دعاني لك الشو * ق وللحاديين ردا المطيا

فكررنا صدور عيس عتاق * مضمرات طوين بالسير طيا

ذاك مالقين من دلج السير * وقول الحيداة بالليل هيا

ثم قال للجمال أرجع قال ياسبحان الله قد وصلت الى الرصافة فاقسم لا يخطو الا راجعا فلما عاد صادفه رجل من بني عمه فاخبره ان زوجته قد ماتت فلم يسمع منه الا شهقة وفارقته نفسه

*(فصل فيمن أباح به الحب ثقله * حتى أذهب عقله)* وهؤلاء المعرفون عند أهل التواتين بعقلاء المجانين وقد أفردوا كثيرا بالتأليف وجعلتهم من المجاهيل لاشتباههم فيما قدمت من الشروط

(فمنهم ما أخرجه مغلطاي عن الاديب) قال عشق فتى عندنا جارية فلم يزل يزداد ولعه بها حتى ذهب عقله فكان آونة يسكن الى الناس وأخرى يسكن الخربات ويتوحش همررت به يوما في خربة يثير التراب على وجهه فسألته عن حاله فانشد

تيمني حبها وأضناني * وفي بحار الهموم ألقاني

كيف احتيالي وليس لي جلد * في دفع مابي وكشف أحزاني

يارب أعطف بقلبها فعسى * ترحم ضعفي وطول أشجاني

ففارقته ومضيت فلما كان بعد مدة اذا أنا به يتمرغ على الارض فلما أبصرني قال ياعم أنا الليلة ميت فدعوت له ومضيت فلما أصبحت غدوت عليه فاذا هو قد قبض

(ومنهم ماذكره ابن المرزبان في الذهول والنحول عن سعيد بن ميسرة) قال صحبنا شاب فكان لايلهج الا بهذه الابيات

ألا انما التقوى ركائب أدلجت * وأدركت الساري بليل فلم ينم

وفي صحبة التقوى غناء وثروة * وفي صحبة الاهواء ذل مع العدم

فلا تصحب الاهواء واهجر محبها * وكن للتقي الفا تكن في الهوى علم

فسألناه لمن الابيات قال لاخ لي كنت أحبه حبا شديدا ولم أر أمزح منه مع التقوى فسألته الدنيا تلهج بهذه أم الاخرى فقال لا ولا أخبرك به حتى ينفذ من يدي ودام على ذلك حتى لزم الفراش فكانت الاطباء تختلف اليه ولم تؤثر معه شيأ وكان يصرخ الليل كله فاجمعنا على ان ندعه وشأنه فكان يجلس نهاره على الباب وكلما مر به شخص يسأله الى أين يذهب فيقول الى موضع كذا فيقول لو مررت على من نريد لحملناك حاجة فقال له صاحب له أنا مار حيث تريد فقال

تقرأ السلام على الحبيب تحية * وتشيه بتطاول الاسقام

وتفيده ان التقى ذم الهوى * لما غدا مستوغلا بزمام

قال نعم فما كان باسرع من ان رجع فقال بلغتهم رسالتك فقالوا

(الباب الثاني عشر في قلة عقل العذول وما عنده من كثرة الفضول)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أكثر القيل والقال من العذال واستحق بأسماله لحبيبه عند عذله ان يسال

لئن كان تقوى الله ذمتك ان تنل * أمورا نهى عنها بنهى حرام
فزرنا النقضى من حديث لبانة * ونشفى نفوسا آذنت بسقام

قال فوثب قائما ثم أنشد يقول

سأقبل من هذا وفيه لذى الهوى * شفاء وقد يسلو الفتى جدوامق
اذا اليأس حل القلب لم ينفع البكا * وهل ينفع المعشوق دمعة عاشق

قال ومضى فقمت خلفه وحدى حتى أتى منزل رجل من أهل الفضل والرأى والدين وكانت له ابنة من أجمل النساء فوقف على الباب وقال

فها أنا ذا قد جئت أشكو صبابتى * وأخبركم عما لقيت من الحب
وأظهر تسليما عليكم لتعلموا * بأن وصولى ثم ذا منكم حسبى

قال فلما فهمت القصة وخشيت ان يظهر أمر قلت له ما ضرك لو سلمت على باب القوم ولم يأذنوا لك قال بلى قلت كيف وهم يقولون بالله ربك لا تمر ببابنا * انا نخاف مقالة الحساد وقيل يا صالح قد قالوا هذا قلت نعم فجعل يهذى ويقول

ان كان قد كرهوا زيارة عاشق * فلرب معشوق يزور العاشقا

ثم رجع فلزم الوساد حتى مات

(ومنهم ما حكاه الوراق عن الصوفى) قال حدثنى صديق لى قال دخلت البيمارستان ببغداد فرأيت شابا نظيف الثياب قد شد الى سارية ووراءه وسادة وبيده مروحة فسلمت عليه وقلت له ماذا تريد فقال قرصين وفالوذج فاحضرتهما فلما فرغ قلت له هل تطلب غير هذا قال وما أظنك تقدر عليه قلت أذكره فلعل الله أن يساعدنى عليه فقال تمضى الى زقاق الغفلة فتقف بباب كذا وتقول مجنونكم من ذا أنحله فضيت وفعلت ما قال فخرجت الى عجوز فقالت قل له عليلكم من ذا أعله فرجعت اليه وأخبرته بذلك فشهق شهقة فمات فرجعت الى الباب فوجدت الصراخ وقد ماتت الجارية

*(ومنهم ما حكاه السامرى) *قال مررت أنا وصديق لى بدير هرقل فقال هل لك أن تدخل فتنظر الى ما فيه من ملاح المجانين فدخلنا واذا بشاب نظيف الثياب حسن الهيئة جميل المنظر فحين بصر بنا قال مرحبا بالوفد قرب الله بكم بأبى من أين أقبلتم فقلنا جعلنا فداءك ومتع الله بك أقبلنا من كذا ثم قلنا له ما أجلسك ههنا وأنت لغير هذا المكان أهل وهو لغيرك محل فتنفس الصعداء وهو مشدود الى الجدار فى سلسلة وصوب طرفه الينا وأنشد

الله يعلم اننى كمد * لا أستطيع أبث ما أجد
روحان لى روح تضمنها * بلد وأخرى حازها بلد
أما المقيمة ليس ينفعها * صبر وليس يقربها جلد
وأظن غائبتى كشاهدتى * بمكانها تجد الذى أجد

قلت وسيأتى منه انه ينسب هذا الشعر لخالد الكاتب ولا يمكن ان يقال ان هذا المحكى عنه هو لان خالدا لم يحبس وانما كان سائحا كما سيأتى فلم يبق الا استعارة أحدهما من الآخر قال الراوى ولما فرغ من شعره التفت الينا فقال هل أحسنت فقلنا نعم ثم ولينا فقال بأبى ما أسرع ذها بكما أعيرانى سمعكما فعدنا اليه فأنشد

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم * ورحلوها وسارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها * ترنو الى ودمع العين منهمل

وكيف لا وهو لكثرة فضوله وقلة محصوله يدخل بين الروح والجسد والوالد والولد ظالما أصبح بين المحبين فقابيز صفة

غير لا يفتح له باب ولا يرد عليه جواب
وأتعب من ناداك من لا تجيبه
وأغيظ من عاداك من لا تشاكل
وما التيه خلقى فى الهوى غير اننى
بغيض الى الجاهل المتعاقل
فليته استراح وأراح وصان عرضه المباح فقد أكثرت الشعراء فى الرد عليه واعتذرت المحبون اليه كما قيل
يا عاذلى فى هواه * اذا بدا كيف أسلو
يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو
وكان يقال ليس من العدل سرعة العذل وكان يقال رب ملوم لا ذنب له
وكان يقال
* لعل لها عذرا وأنت تلوم *
فكم عاذل زاد المحب بعذله لجاجة وجنونا أكثر من الحاجة
لا بد ان هوى يلوم انه
كالريح يغرى الناس بالاحراق
(وقال الآخر)
وما عذولى ناهيا عنكم
لكنه بالصبر أمار
قال اسلهم ان لم تطق هجرهم
قلت له النار ولا العار
(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)
يا من اذا باعت الابصار أسودها
بحبة فوق خديه فقد ربحت
يزيدنى العذل تبريحا الذبه
فليت عذال قلبى فيك لا برحت
(وما أحسن قول بلدينا محمد بن العفيف التلمسانى)
أسرفت فى اللوم ولم تقتصر
وزدت فى لومك يا ذا العذول
قد رضيت نفسى بمحبوبها
وانما المولى كثير الفضول
(وقال والده وأحسن ما شاء)
ولى على عاذلى حقوق هوى

شكرى عليه ببعضها يجب لام فلما رآه هام به * فكنت فى عشقه أنا السبب (وقال الآخر) فما اجتهد اللاحى وجاء بلومه

فودعت ببنان عقده عنم * ناديت لاحملت رجلاك يا جمل
ويلي من البين ماذا حل بي وبها * يا نازح الدار حل البين وارتحلوا
يا حادي العيس عرج كي أودعها * يا حادي العيس في ترحالك الاجل
اني على العهد لم أنقض مودتهم * فليت شعري وطال العهد ما فعلوا

فقلنا له مجنونا المنتظر ما فعل ماتوا فقال قسمت عليكم ماتوا فقلنا نعم فجذب نفسه في السلسلة جذبة دلع منها لسانه وبرزت عيناه وانبعث الدم من شفتيه وشهق فاذا هو ميت فما ندمنا على شئ أعظم منه وحكاها المبرد كما هي وزاد ان قال فوجدنا في الدير مجانين الس فيهم أنظف من شاب عليه بقايا ثياب ناعمة فدنونا منه فقال أنشدوني شيأ من الشعر أو أنا أنشدكم فقلنا له أنشد فأنشد الشعرين فلما قال ما فعلوا قال رجل بغيض معنا ماتوا فقال وأنا أيضا أموت فقال له افعل ماشئت فتجذب حتى مات وأخرج الزجاج في أماليه عن المبرد الحكاية أيضا لكنه قال فقال لنا أنشدوني فقلت لرفيقي أنشده فأنشد

قبلت فاها على خوف مخالسة * كقابس النار لم يشعر من العجل
ماذا على رصد في الدار لو غفلوا * عني فقبلتها شرا على مهل
غضي جفونك عني وانظري أمما * فانما افتضح العشاق بالمقل

فقال أنا وهذا القائل على طرفي نقيض فانه يرى محبوبه وأنا مقصى فقلنا له أنت عاشق قال نعم قلنا لمن قال أنت سؤل قلت محسن ان أخبرت قال عقد لي أبي على ابنة عم لي ثم توفي وترك مالا كثيرا فاستولى عمي على المال ونسبوني الى الجنون قال المبرد هذا كله والقيم يقول احذروه فانه يتغير ثم التفت الي وقال أنشدني أنت فانك من أهل الادب فلم يحضرني الا قول الشاعر

قالت سكينة والدموع ذوارف * تجري على الخدين والجلباب
ليت المغيري بالذي لم أجزه * فيما أطال تبصري وطلابي
كادت ترد لنا المنى أيامه * اذ لا الام على هوى وتصابي
خبرت ما قالت فقلت وكأنما * ترمي الحشا بصوائب النشاب
أسكين ما ماء الفرات وطيبه * مني على ظمأ وحب شراب
بألذ منك وان نأيت وقلما * يرعى النساء أمانة الغياب

(ومنهم ما حكاه الاسدي عن أبيه) قال دخلت دير هرقل فوجدت شابا حسن الهيئة مكبلا بالحديد فقلت له من الذي أوجب لك هذه الحالة فانشد

نظرت اليها فاستحلت بنظرتي * دمي ودمي غال فارخصه الحب
وغاليت في حبي لها ورأت دمي * رخيصا فمن هذين داخلها العجب

(ومنهم ما حكاه ابن عيسم) قال مررت بحربه فرأيت مجنونا مقيدا بالحديد يتمرغ في التراب ويقول

الا ليت ان الحب يعشق مرة * فيعرف ماذا كان بالناس يصنع
يقولون فز بالصبر انك هالك * وللصبر مني ألف مرة أجزع

(ومنهم ما حكاه أبو الحسن المؤدب) قال انحدرت من بالس أريد العراق فبينما أنا في بعض أزقة الموصل اذ سمعت صيحة فسألت فقيل دار المجانين فدخلت فاذا أنا بشاب في الحديد قد تضرج بالدم فلما بصر بي قال من أين قلت من بالس قال وأين تريد قلت العراق قال أتعرف بني فلان قلت نعم قال هم الذين صيروني الى ما ترى في عشقهم وأنشد

وزخرف الحذو روالكلام يمينه وذل أسل من هذا وصد عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه (وحكى) ابن وكيع انه كان يهوى غلاما نصرانيا يشنيس فلامه بعض أصحابه عليه ولم يكن رآه فاتفق أن الغلام مر بهما فلما رآه صاحب ابن وكيع استحسنه وقال لو عشقت هذا ما لمتك ولم يعلم انه محبوبه الذي لامه عليه فقال ابن وكيع في الحال

أبصره عاذلي عليه * ولم يكن قبلها رآه
فقال لو عشقت هذا * ما لامك الناس في هواه
قل لي الى من عدلت عنه * فليس أهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

زعموا انني هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الا هواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعي * فسلوه ان كان قلبي سلاكم
قال لي عذلي متى تبصر الرشد * وتسلو فقلت يوم عماكم

(وقال أيضا)

ان قوما يلحون في حب سعدى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها ولاموا عليها * أخذوا طيبا وأعطوا خبيثا

(وقال أيضا)

من منصفي من عاذل جاهل * يخون باللوم لمن لا يخون
ان قلت ما نصحك الا أذى * قال وما عشقك الا جنون

(وقال محمد بن شرف القيرواني)

قل للعذول لو اطلعت على الذي * عاينته لعذرت ما يعنيني
أتصدني أم الغرام تردني * وتلومني في الحب أم تغريني
دعني فلست معاقبا بجنايتي * اذ ليس دينك في المحبة ديني

(وما أحسن قول الآخر) يقول لي العاذل في

زموا المطايا واستقلوا ضحى * ولم يبالوا قلب من تيموا
ماضرهم والله برعاهم * لو ودعوا بالطرف أو سلموا
مازلت أذرى الدمع فى أثرهم * حتى جرى من بعد دمعى دم
ما أنصفونى يوم بانوا ضحى * ولم يفوا عهدى ولم يرحموا

(ومنهم الفوبرك وهو من المشاهير فى عقلاء المجانين) قال الابلى رأيته والصبيان يرمونه بالحجارة فلما رآنى قال أماترى ما يصنع هؤلاء بى مع ما أنا فيه من العشق والجنون فقلت له لست مجنونا قال بلى والله وبى عشق شديد قلت فما أنشدت فيه شيأ قال بلى وأنشد

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو * فهذا له حد وهذا له حد
هما استوطنا جسمى وقلبى كليهما * فلم يبق لى قلب صحيح ولا جلد
وقد سكنا تحت الحشا وتحالفا * على مهجتى أن لا يفارقها الجهد
فأى طبيب يستطيع بحيلة * يعالج من داءين مامنهما بد

وقال يوما وقد لقيته وفى عنقه حبل يقودونه يا أبابكر بماذا يعذب الله عباده قلت بجهنم فقال صفها فقلت له ومن الذى يقدر أن يصف عذاب الله فقال أنا والله فى عذاب أعظم منه وكشف عن جسم نحيل وعظام بالية وأنشد

انظر الى ما صير الحب * لم يبق لى جسم ولا قلب
أنحل جسمى حب من لم يزل * من شأنه الهجران والعتب
ما كان أغنانى عن حب من * دونها الاستار والحجب

وقال له ابن الزيات متى حدث بك العشق قال من زمان طويل ولكن كنت أكتمه حتى غلب فقال انشدنى ماقلت فيه فأنشد

كتمت جنونى وهو فى القلب كامن * فلما استوى والحب أعلنه الحب
وخلى الجسم الصحيح يذيبه * فلما أذاب الجسم ذل له القلب
فجسمى نحيل للجنون وللهوى * فهذا له نهب وهذا له نهب

(ومنهم خالد بن يزيد) يكنى أبا القاسم ويعرف بالكاتب خراسانى الاصل بغدادى المنشأ أحد كتاب الجيش فى الدولة العباسية ومن المشهورين باللطف والرقة وحسن الشعر ثم اعتراه الجنون قيل من السوداء نقله فى النزهة وقال انها كانت تعتريه زمن الباذنجان فاذا جاء الشتاء حسن حاله وحكى فى امتزاج الارواح وزياض الطائف انه خرج الى بعض الاعمال باذربيجان فشهد مجلسا وفيه قينة فأعجب بها وطلب أن يستصحبها فامتنعت فداخله حبها حتى خامر عقله وكان يصحو احيانا ويغمو احيانا فترك العمل مدة ثم استعمله محمد بن عبد الملك فى كتابة بعض الاعمال فهرب ماجنة تغنى

من كان ذا شجن بالشام يطلبه * ففى سوى الشام أمسى الاهل والشجن

فسقط مغشيا عليه حين سمع ذلك وتذكر حال الماجنة وأنها أخبرته انها تطلب الشام ثم أفاق ورجع ورمى العمل وكان يركب قصبة ويطوف ببغداد وأهلها يطلبونه خصوصا أرباب الدواوين ليسمعوا شعره قيل قال له ابن الجهم يوما هب لى قولك

*ليت ما أصبح من رقة خديك بقلبك * فقال من الذى يهب ولده ورآه يوما والصبيان يضربونه فأدخله بيته ثم قال له بعد ما أخذ الراحة ماذا تريد قال هريسة ورطبا فاحضرهما

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده
ووكل أجفانى برعى كواكبه
فيا عاذلى دعنى عساه يعودلى
ويامهجتى صبرا على ماكواك به

(وقال عرقلة)

قال العواذل ما الذى استحسنته
منه وما يسبيك قلت جميعه

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله)

ياخيبة العاذل الذى قد
أطال فى العذل واستطالا
عذبنى ثم قال تسلوا
عن حب ما فقلت لالا

(وقال أيضا)

أيها العاذل الغبى تأمل
من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين
ان فى الليل والنهار عجائب

(وقال) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر

كم على عاذلى وكم لحبيبى
ذاك تكبيره وذا تهليله
ياثقاتى وأين منى ثقاتى
أين من يبتغى الى الوسيله
أنا ميت فقبلوا فى اليه
فحياتى وحقه تقبيله

(وقال النور الاسعردى)

أقول لعاذلى لما نهانى
وقد وجد المقالة اذ جفانى
علمت بأنه مر التجنى
وفاتك انه حلو اللسان

(وقال أبو الفتح قادوس فى الاكتفاء)

من عاذرى فى عاذل * يلوم فى حب رشا
اذا طلبت وصله * قال كفى بالدمع شا

(ومثله قول شيخ الشيوخ بحماة)

أغضب العشاق منه إننى
لم ابع فى حبه رشدى بغى

قلت قد أضنيت جسمى قال قد * قلت كى تذهب بروحى قلت كى (وقال أيضا)

فلما أكل قال له أسمعني شيأ من شعرك فانشد

تناسيت ما أودعت سمعك باسمعي * كأنك بعد الضرخال من النقع
فان كنت مجبولا على الصد والجفا * فمن اين لى صبر فاجعله طبعي
هل الحب تجنيه على الثقاتة * فافرح بعد اليأس مني ومن نفعي
علام الجفا يامن كلفت بحبه * اتتلفني بالهجر منك و بالقطع
لئن كان اضحى فوق خديك روضة * فان على خدى غدرا من الدمع

فقال له احسنت والله و وجد لذلك وجدا عظيما ثم قال له اسمعني شيأ غير هذا قال حسبك لن ينالك بهر يسئلك و رطبك اكثر مما سمعت وخرج من عنده (وله ايضا)

ياتارك الجسم بلا قلب * ان كنت اهواك فما ذنبي
يامفردا بالحسن افردتني * منك بطول الهجر والحب
ان تك عيني ابصرت فتنة * فهل على قلبي من عتب
حسيبك الله لما بي كما * انك في فعلك بي حسبي

(ودخل) على ابن عبادة فرفع مجلسه فقال ابن الاعرابي من هذا فقال اوما تعرفه قال لا قال هو خالد الكاتب فقال له ابن الاعرابي اسمعنا من شعرك فانشد

لو كان من بشر لم يفتتن البشرا * ولم يفق في الضياء الشمس والقمرا
نور تجسم منحلا ومنعقدا * سلك تضمن في تنظيمه دررا

(فقال) له ابن الاعرابي كفرت هذه صفة الخالق لا المخلوق انشدنا غير هذا فقال

ارى الك لما حججت في غضبك * تترك رد السلام في كتبك

حتى أتى على قوله اقول للسقم عد الى بدني * حبا لشئ يكون من سببك

فقال له انك لفوق ماوصفت به ووقف عليه ابراهيم بن المهدى عشية وقد تلفع برداء أسود فقال له انت القائل قد بكى العاذل لى من رحمة * فبكائي لبكاء العاذل

قال نعم قال ياغلام ادفع له مامعك فقال خالد وماذاك قال ثلثمائة دينار قال لا اقبلها او تعرفني من انت قال انا ابن المهدى فاخذها وانصرف ابراهيم فلما بويع له بالخلافة طلبه فقال له أنشدني من شعرك فانشد

عش فحبيك سريعا قاتلي * والضنى ان لم تصلني واصلي
قد طغى الشوق بقلب دنف * فيك والسقم بجسم ناحل
فهما بين اكتئاب وضنى * تركاني كالقضيب المائل

(وحكى) عن حمزة الشاعر نحو ماسبق عن ابن الجهم من رؤيته مع الصبيان وادخاله واطعامه لكنه قال فاطعمته رطبا فقط واستنشدته فانشد

قد حاز قلبي فصار يملكه * فكيف اسلو وكيف أتركه
رطيب جسم كالماء تحسبه * يخطر في القلب منك مسلكه
يكاد يجرى من القميص من النعمة لولا القميص يمسكه

(فصل في ذكر من جرع كأس الضنى وصبر على مكابدة العنا واتصف بذلك كله من النساء وتبدت بعد فراق محبوبه على النوى او كان منها داعية الاعتدا) وحكى صاحب النزهة قال نشأ ببني حران شاب ببعض التجار يدعى واصفا وكان كامل الحسن والظرف واللطافة

(ومثله قول الوداعى)

يالائمي في هواه * أفرطت في اللوم جهلا
مايعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

(وما أحسن) قول ابن سناء الملك في هذا المعنى

أهوى الغزالة والغزال وربما
نهنهت نفسي عفة وتدينا
ولقد كففت عنان عيني جاهدا
حتى اذا أعييت أطلقت العنا

(وقوله أيضا)

دنوت وقد أبدى الكرى منه ما أبدى
فقبلته في الخد تسعين أو احدى

(وقوله أيضا)

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره
فما باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتهجم
فياليته لو كان يدفع بالتي

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

اليكم هجرتي وقصدى
وفيكم الموت والحياة
أمنت أن توحشوا فؤادى
فآنسوا مقلتي ولا توا

(وقال ابن المعتز)

زاحم كمي كمه فالتويا
وافق قلبي قلبه فاستويا
وطالما اذاقا الهوى فاكتويا
ياقرة العين وياهمي ويا

(وقال ابن مطروح)

والله لاخطر السلو بمهجتي
مادمت في قيد الحياة ولا اذا

(رجع الكلام في العذل)

(وقال الآخر دوبيت)

لما نظر العذال وجدى بهتوا
في الحال وقالوا لوم هذا عنت
ماتحسب الا اننا نعذله
يسمع من يعقل من يلتفت

والعفة وكان له ابنة عم تسمى لطيفة وكانت على أرفع ما يكون من مراتب الجمال ومحاسن الاخلاق والخصال فتوفي أبوها وتركها صغيرة فكفلها عمها حتى بلغت فكانت تنظر الى ابن عمها فيعجبها الى ان تمكن حبه منها فمرضت وهي تكتم أمرها وكانت امرأة عمها فطنة مجربة للامور فامتحنتها فوجدتها تغيب عن حسها أحيانا فاذا دخل الغلام صحت والتمست ما تأكل فأخبرت أباه فقال بالمنعمة ثم زوجه منها فأوقع الله حبها في قلبه فأقاما على أحسن حال مدة وهو يأمرها ان تكون دائما متزينة متطيبة ويقول لها الا أحب ان أراك الا كذا فلم تزل على ذلك فضعف الشاب فمات فوجدت عليه وجدا وطار عقلها فكانت تتزين بأنواع زينتها كما كانت وتمضي فتمكث على قبره باكية الى الغروب قال الاصمعي مررت أنا وصاحب لي بالجبانة فرأيتها على تلك الحالة فقلنا لها علام ذا الحزن الطويل فانشأت

فان تسألاني فيم حزني فانني * رهينة هذا القبر يا فتيان
واني لاستحييه والترب بيننا * كما كنت أستحييه حين يراني

فعجبنا منها ثم انحرفنا فجلسنا بحيث لا ترانا ننظر ما تصنع فانشأت

يا صاحب القبر يا من كان يؤنسني * وكان يكثر في الدنيا موالاتي
قد زرت قبرك في حلي وفي حلل * كأنني لست من أهل المصيبات
لزمت ما كنت تهوى ان تراه وما * قد كنت تألفه من كل هيآتي
فمن رآني رأى عبرى مولهة * مشهورة الزي تبكي بين أموات

ثم انصرفت فتبعناها حتى عرفنا مكانها فلما جئنا الى الرشيد قال حدثني بأعجب ما رأيت فأخبرته بأمر الجارية فكتب الى عامله على البصرة ان يمهرها عشرة آلاف درهم ففعل ووجه بها اليه وقد أنهكها السقم فتوفيت بالمدائن قال الاصمعي فلم يذكرها الرشيد مرة الا ذرفت عيناه (وحكى) بعض أهل المدينة قال دعاني صاحب لي لسماع جارية تغني فدخلنا عليها فاذا هي منخرطة الوجه متغيرة تكثر من السهو والاطراق كأنها مشغولة فعزمت عليها ان تخبرني بما بها فقالت برح الذكر ودوام الفكر وخلوة النهار وتشوقي الى من سار والذي ترى بما وصفت لك فان كنت ذا أرب صرفت العتب عن ذي الكرب واجتهدت في الطلب لدواء من أشرف على العطب وأخذت العود فغنت تقول

سيوردني التذكار خوض المهالك * فلست لتذكار الحبيب بتارك
أبى الله الا ان أموت صبابة * ولست بما يقضي الاله بمالك
كأن بقلبي حين شط به النوى * وخلفني فرد اصدور النيازك
تقطعت الاخبار بيني وبينه * لبعد النوى واستد سبل المسالك

فوالله لقد خفت أن تسلب عقلي بغنائها فقلت جعلني الله فداك وهذا الذي صيرك الى ما أرى يستحق ذلك مع ان الناس كثير فلو تسليت بغيره فلعل ما بك يسكن أو يخفف فقد قال الاول

صبرت على اللذات لما تولت * وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان أطعمت تاقت والا تولت

فقالت قد رمت ذلك فكنت كما قال قيس ولما أبى الا جماحا البيتين فاسكتتني حججها عن المحاورة وما رأيت كمنطقها وحسنها وأدبها (وحكى) الزبير بن بكار قال دخلت على الامير ابن طاهر حين قدم من الحجاز فتبسم في وجهي ثم قال

وعذول رابني في نصحه
كلما زدت أبا زاد لجليا
ما عذولي قط الا عاشق
ستر الغيرة بالعذل وداجى
(وقال آخر)
لو رأى وجه حبيبي عاذلي
لتفارقنا على وجه جميل
(أنشدني الشيخ برهان الدين بن القيراطي)
ذهب العمر بلوم
وصدود من غزال
في سبيل الحب عمر
ضاع في قيل وقال
(وقال الشيخ ابراهيم بن المعمار)
لو رأى حسن وجهه * عاذلي في التبسم
ذهبت روحه كما * قيل في دور دوهم
(وقال أيضا)
لح العذول ولامني * فيمن أحب وعنفا
فهممت ألطم رأسه * مما ملئت تأسفا
لكنما زلقت يدي
وقعت على أصل القفا
(وما أظرف قول النور الاسعردي)
وقالوا ودع المعشوق واهجره دائما
ألم تره بعد الملاحة ينتف
أينتف من أجلي ويتعب دائما
وأهجره تالله ما أنا منصف
(وقال آخر)
قل للعذول أطلت اللوم في قمر
يزيد في كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما في حسنه عجب
قم فانظر الورد في خديه منثورا
(وقال محيي الدين البغدادي)
ان لامني من لا رآه فقد
جار على الغائب بالحكم
وان لحاني من رآه فقد
أضله الله على علم

(وقال البهاء زهير) أنت الحبيب الاول * ولك الهوى المستقبل عندي لك الود الذي * هو ما عهدتموا كمل

لئن باعدت بيننا الانساب * فقد قربت بيننا الآداب

وان أمير المؤمنين اختارك لتأديب ولده فأمر لك بعشرة آلاف درهم وعشر تخوت وبغال تحمل عليها امتاعك فشكرت فضله فلما عزمت على الانصراف قال زودنا أيها الشيخ حديثا نذكرك به فقلت أحدثك بما رأيت أو بما سمعت قال بما رأيت قلت بينا أنا بين المسجدين أو قال على أثاوة الاعرج اذا أنا برجل صاد ظبيا وهم ليذبحه فنشب الظبي بقرنيه فدخلا في جوفه فسقط وسقط الظبي ميتين أو قال رأيت حبالة منصوبة وظبيا مذبوحا وراجلا ميتا فجاءت امرأة حاسرة وهي تقول

ياحسن باطل لكنه أجل * على الاساءة ما أودى بك البطل
ياحسن قلقل أحشائي وأزعجها * وذاك ياحسن عندي كله جلل
أمست فتاة بني نهد علانية * وبعلها في أكف القوم يبتذل
قد كنت راغبة فيه أضن به * فحان من دون ضن الرغبة الاجل

ثم شهقت فماتت فلم أر أعجب من الثلاثة وفي رواية وبعلها فوق أيدي القوم محتمل فوهب له عشرة آلاف درهم ثم قال أتدرون ما استفدنا من الشيخ قالوا لا قال قوله علانية يعني ظاهرة وهذا حرف لم أسمعه من العرب (وحكي) ان امرأة أحبت رجلا وكان متمنعا عنها زمانا فراسلته أن يتزوج بها ففعل وكانت بينهما الفة شديدة فكانا على ذلك مدة فمرض فمات فجعلت المرأة تتردد الى قبره ولزمته يوما تبكي وتنشد

كفى حزنا اني أروح بحسرة * وأغدو على قبر ومن فيه لا يدري
فيانفس شقي جيب عمرك عنده * ولا تبخلي بالله يانفس بالعمر
فما كان يأبى أن يجود بنفسه * لينقذني لو كنت صاحبة القبر

ثم زادت في النحيب وانكبت على القبر فاذا هي ميتة (وحكي) الربيع قال مررت بجارية على قبر تقول

بنفسي فتى أوفى البرية كلها * وأقواهم في الموت صبرا على الحب

قال فقلت لها بم صار كذلك قالت كان اذا عنف في حبه يصبر واذا ألحي عليه يسكت واذا زاد به الغرام ينشد هذين البيتين

يقولون ان جاهرت قد عضك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما للذي يهوى ويكتم حبه * من الامر الا أن يموت فيقبرا

ولم يزل يكررهما حتى مات فها أنا مقيمة على حفظ عهده لا أبرح حتى يتصل القبران ثم صرخت وسقطت فاجتمع النساء فحركنها فاذا هي ميتة فدفنت الى جانبه (وحكي) رجل من تميم قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها فاذا أنا بجارية كأنها قمر تعشي بصر من ينظر اليها فلما رأتني قالت مالك قلت ضلت لي ابل فلم أعرف خبرها فقالت هل أدلك على من عنده علمهن قلت بلى قالت ان الذي أعطاكهن هو الذي أخذهن وهو أحق بردهن فسله من طريق التيقن لا من طريق الاختبار فأعجبني كلامها ووقفت أنظر اليها ثم راودتها عن نفسها فقالت هبك ليس لك مانع من أدب أما لك زاجر من الحياء فقلت لن يرانا الا الكواكب فقالت أين مكوكبها فقلت ألك بعل قالت قد كان ولكن دعي الى ما خلق له فصار الى ما خلق منه ثم أنشأت

اني وان عرضت أشياء تضحكني * لموجع القلب مطوي على الحزن
اذا دجا الليل أحياني تذكره * وزادني الصبح أشجانا على شجن

القلب فيك مقيد * والدمع فيك مسلسل
يامن يهدد بالصدو * د ثم تقول وتفعل
قد صح عذرك في الهوى
لكنني أتعلل
قل للعذول لقد أطلـ
ـت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوى
وعذلت من لا يقبل
غضب العذول أخف من
غضب الحبيب وأسهل

(وقال أبو العتاهية) لقيت أبا نواس في المسجد الجامع فعذلته وقلت له أما آن لك أن ترعوى وتزدجر فرفع رأسه الي وقال

أتراني يا عتاهي * تاركا تلك الملاهي
أتراني مفسدا بالـ
ـنسك عند القوم جاهي

فلما ألححت عليه في العذل أنشأ يقول

لا ترجع الانفس عن غيها
مالم يكن منها لها زاجر

فوددت اني قلت هذا البيت بكل شئ قلته وقال جوبان القواس

أصغي الى قول العذول بجملتي
مستفهما عنه بغير ملال
لتلقطي زهرات ورد حديثكم
من بين شوك ملامة العذال

قلت هذا هو العاشق والمحب الوامق الا تراه كيف صغى الى عذوله الفاعل الصانع وجني من عذله جني النحل ممزوجا بماء الوقائع فهو في هذا المقام من الاثبات كما قال أبو الشيص من أبيات

أجد الملامة في هواك لذيذة
حبا لذكرك فليلمني اللوم

(وقال ابن رشيق) وقد زاد على أبي الشيص في قوله هذا ابن جابر الخزاعي حيث يقول

هددت بالسلطان فيك وانما
أخشى صدودك لا من السلطان
أهوى الملامة فيك حتى لو دري * أخذ الرشا من الذي يلحاني

وكيف

وكيف ترقد عين صار مؤنسها * بين التراب وبين القبر والكفن

ابلى الثرى وتراب الارض جدته * كأن صورته الحسناء لم تكن

أبكي عليه حنينا حين أذكره * حنين والهة حنت الى وطن

أبكي على من حنت ظهري مصيبته * وطير النوم عن عيني وأرقني

والله لا أنس حتى الدهر ما سجعت * حمامة أو بكى طير على فنن

فقلت لها عندما رأيت من جمالها وفصاحتها هل لك في زوج لا تذم خلائقه وتؤمن بوائقه فاطرقت مليا ثم أنشدت تقول

كنا كغصنين في أصل غذاؤهما * ماء الجداول في روضات جنات

فاجتث خيرهما من جنب صاحبه * دهر يكر بفرحات وترحات

وكان عاهدني ان خانني زمني * ان لا يضاجع أنثى بعد مثواتي

وكنت عاهدته أيضا فعاجله * ريب المنون قريبا من سنيات

فاصرف عنانك عمن ليس يردعه * عن الوفاء خلاف في التحيات

(وحكى) ابراهيم الموصلي قال كان كثيرا ما يصف لي زلزل جارية عنده فلما مات مولاها وسمعت عرضها للبيع ركبت حتى دخلت عليها فاذا هي جارية كاد الغزال ان يكونها لولا ما تم منها ونقص منه فسألتها أن تغني فأخذت العود وغنت

أقفر من أوتاره العود * فالعود للاقفار معمود

وأوحش المزمار من صوته * فماله بعدك تغريد

من للمزامير ولذاتها * وعارف اللذات مفقود

فالخمر تبكي في أباريقها * والقينة الخمصانة الرود

فركبت الى أمير المؤمنين فاعلمته بها فاستحضرها فلما وقعت من قلبه قال لها هل لك ان أشتريك فقالت أما اذا اشتريتني فلا خير لك في فرجها وأعتقها وأجرى عليها مؤنة (ومن وفاء النساء) ان كسرى أبرويز ترك جارية كانت حظية فطلب ولده أخذها فعالجت ناوس كسرى ففتحته ودخلت فمصت خاتما مسموما كان في أصبعه فماتت

*(القسم الثالث فيمن خالسته عيون الاماء فاسلمته الى الغناء
وكادت ان تقضي عليه لولا المداركة بالوفاء)*

ومما ينبغي ايراده هنا صدر الحكاية المشهورة عن حبابة وهي جارية في الاصل للاحوص وقيل لرجل مدني وانها كانت تسمى العالية وانه دخل بها على يزيد بن عبد الملك في خلافة أخيه وعليها ازار له ذنبان وبيدها دف فغنته

ما أحسن الجيد عن مليكة والـلبات اذ زانها ترائبها

ياليتني ليلة اذا هجع الـناس ونام النيام صاحبها

في ليلة لا يرى بها أحد * يسعى علينا الا كواكبها

فاشتراها بأربعة آلاف دينار فبلغ أخاه فعزم على ان يحجر عليه فردها فاشتراها رجل من أفريقية وقد تولعت بها نفس يزيد وكان قد تزوج سعدى بنت عبد الله بن عثمان وزنجية بنت عبد الله بن جعفر وأمهر كلا منهما عشرين ألف دينار فخاف من سليمان الحجر فلم يزل كاتما وجده الى ان أفضت اليه الخلافة فارسلت سعدى مولى لها في طلب حبابة فبلغه

حسبي لقول الناس بعد منيتي * هذا قتيل في وداد فلان

فلا نفقن عليك عمري كله * ولا عشقن عليك كل هوان

قلت والذي أقوله أنا في المقام ان صاحب هذا الكلام غريم الغرام ونديم كؤس المدام ألا تراه كيف بالغ حتى جعل العذول جفاله فاصبحت حالته كما قيل ضغث على اباله فهو كما قال بعض السادات من أهل الولايات لو تعلم العوام ملوقا لو بنا من حلاوة العفو لتقربوا الينا بالجنايات ومثل قوله هذدت بالسلطان قول الآخر

وان نذرت فيك العشية قتلتي
فللموت عندي في هواك سلام

ومن أعجب الاشياء خوفي في الهوى
وفي كل يوم في جمالك حمام

(وقلت أنا)

وعاذل بالغ في عذله
وقال لما هاج بلبالي

بعارض المحبوب ما تنتهي
قلت ولا بالشيب والوالي

(وقلت أيضا)

عذلوا على من رام قتلي في الهوى
فكلامهم ضرب من الهذيان

جهلوا وما علموا بأن الطعن في الـ
محبوب غير الطعن في الميدان

(وقلت أيضا)

كم خالف العذال قولي في الذي
في كل يوم حسنه يزداد

ان قلت أمسى في الملاحة مفردا
قالوا انثنى عطفه المياد

(وقلت أيضا)

ياعاذلي لا تلحني * في حب هذا القبطي
واقطع بوصل بيننا * بالله رأس القط

(وقلت أيضا)

مليح الترك لا سيما الخطائي
عليه الشيخ يعذر للتصابي

فدعني من ملامك يا عذولي
ففي الخطائين الصواب

(وقلت فيمن اسمها حكم الهوى)

حكم الهوى صدت فبت لاجل ذا * ولها بي من فرط الصبابة والجوى

انها في المدينة فمضى اليها فقيل بمصر فمضى اليها فقيل بافريقية فمضى حتى اجتمع بمولاها فاشتراها منه بمائة ألف درهم بعد امتناعه من بيعها ولولا اني أخبرته بأن الخليفة سيأخذها منه قهرا ولما ارتحل بها مولى سعدى أنشد الافريقي وقد تبعتها نفسه

أبلغ حبابة أسقي ربعها المطر * ماللفؤاد سوى ذكراكم وطر
ان سار صحبي لم أملك تذكركم * أو عرسوا تستهيم النفس والفكر

ولما مر بها على مكة شيعها الناس وقيل من المدينة وكانوا اماثي رجل الى ذي خشب وسألوها ان تزودهم صوتا فانشدت

سلكوا بطن محيض * ثم ولوا راجعينا   أورثوني حين ولوا * طول حزن وأنينا

ثم كتبت أسماءهم حتى عرضتهم على يزيد فوهب كلا ألف درهم ولما وصل بها الى سعدى ألبستها حللا ووهبتها جواهر وطيبا كثيرا ثم قالت للخليفة قد وهبك الله الملك فهل بقي عليك شئ وهي تعلم ما في نفسه فقال لا فقالت بل أنا أعلم فاخبرني عسى ان أوصلك اليه فقال العالية يعني حبابة فقالت أو تعرفها اذا رأيتها قال نعم فأخذت بيده حتى أدخلته عليها فسر وعظمت منزلة سعدى عنده وكانت عاهدت حبابة ان لا تدع لها حاجة عند الخليفة الا قضتها وان يجعل الخلافة لولدها ففعلت وكانت ربيحة قد اشترت سلامة وهي أيضا جارية كانت لمدني وكان قد رآها يزيد فوقعت من نفسه موقعا عظيما فلما اجتمعتا عنده قال أنا الآن كما قيل   فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

وأول ما عظمت به عنده ان دخل يوما فسمعها تغني من وراء الستر ولا علم لها به

كان لي يا يزيد حبك حينا * كاد يقضي على حين التقينا

فكشف الستر فوجدها مستقبلة الجدار فعلم انها لم تشعر به فالقى نفسه عليها وارتفعت منزلتها عنده وكان أصل الشعر الى ياسمين فغيرته وكانت حبابة أجمل نساء زمانها قد حوت اللطافة والمعرفة بالادب والآلات والغناء وأخذته عن أهله مثل معبد وجميلة وأم عوف وغيرهم وكان يزيد قبل خلافته يختلف الى أم عوف ويقترح عليها ان تغني

متى أجر خائفا تسرح مطيته * وان أخف آمنا تنبو به الدار
سيروا الي وأرخوا من أعنتكم * اني لكل امرئ من وتره جار

فسأل حبابة ان تغنيه ولم يمكنها الطعن على أم عوف فبكتت يزيد بحبه لها بان غنت أثر الصوت   أبى القلب الا أم عوف وحبها * عجوزا ومن يحبب عجوزا يفندا

فضحك وقال لمن هذا فقالت لمالك فكان كثيرا ما يسألها ان تغنيه وغنت يوما

لعمرك انني لاحب سلعا * لرؤيتها ومن بجنوب سلع
تقر بقرب ساعيني واني * لاخشى أن تكون تريد فجعي
حلفت برب مكة والهدايا * وأيدي السابحات غداة جمع
لانت على التنائي فاعلمنه * أحب الي من بصري وسمعي

ولما أنشدته البيت الاول تنفست الصعداء فقال يزيد مالك وله والله ولو أردته حجرا حجرا لحنت به البلد فقالت ما أصنع به انما أريد صاحبه أو ساكنه واقترح عليها وعلى سلامة يوما ان تغني كل منهما ما في نفسه ومن أصابت فلها ما تطلب فغنت سلامة فلم تصب وغنت حبابة   خلف من بني كنانة حولي * بفلسطين يسرعون الركوبا

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
فصحتك علما بالهوى والذي أرى
مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو

(وقلت من قصيدة)

ولزنت ميلي للعذول وقده
فرأيت ميلي للقوام رجيحا
ياعاذلي لا صاحبتك يد النوى
حتى توسد في التراب صفيحا
ولقد نصحت بني الصبابة في الهوى
لكنهم لا يقبلون نصيحا

(وقلت من قصيدة مدحت بها مولانا السلطان الملك الناصر)

فيا من جاء بعدل مستهاما
على حلو الشمائل ما أمرك

(وقلت ايضا من قصيدة أمدحه بها خلد الله ملكه مطلعها)

لك من حبيبك ما تحب وتشتهي
فاجعل مدامك من مقبله الشهي
واذا بدا لك ثغره متبسما
فاضحك على ذقن العذول وقهقه

(وقلت أيضا من قصيدة أرسلتها الى مولانا قاضي القضاة تاج الدين السبكي بدمشق الشام)

ياساكني السفح لي في حبكم سكن
وأنتم في سويد القلب سكان
دمعي يزيد كبا ناس لبعدكم
والعاذلون على ثور اه نيران

(ومنها)

قد كان ما كان من هجرانه زمنا
وقد وفي الآن فالعذال لا كانوا
أنا الذي لا أبالي في الغرام بما
يروى فلان ولا ما قال فلتان

(ومنها)

برهنت حسن الذي أهوى وقلت له
ما للعذول على ما قال برهان
ما لامني مذ رآني في الهوى رجبا

يرح شعبان فيما رمت شعبان . * (تنبيه) * كانت أسماء الشهور عند العرب غير هذه الاسماء

فأصابت

فاصابت بما في نفسه فقال احتكمي فقالت لي تهب سلامة وما لها في وقال اطلبي غيرها فابت الا هي فقال انت أولى بها وبما لها فقمت سلامة لانها كانت اوقع منها من التعليم عند معبد حتى كان يأمرها ان تدرب حبابة فذكرتها ذلك فقالت لا ترين الاخير ثم طلب يزيد شراءها فاعتقتها وزوجتها منه واختلفتا يوما في صوت لحنه معبد من شعر لجرير وهو قوله

ألا حي الديار بسعد اني * أحب لحب فاطمة الديارا

أراد الظاعنون ليحزنوني * فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فاستحضره يزيد ليقضي بينهما وقد أخبرانه الى حبابة أميل فقضى لها فقالت سلامة انما قضيت للنزلة ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صلة لما له على من الحق فاذن لها فمضى معبد فوجد سلامة قد سبقت حبابة بالصلة ولم تزل تفتقده حتى رجع وهذان البيتان غنتهما قينة للفرزدق عند الاحوص فقال الفرزدق ما أرق اشعاركم يا أهل الحجاز فقال الاحوص انما هو لجرير يهجوك به فقال ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعري وأحوجني مع شهواتي الى رقة شعره وقيل ان معبدا حين حضر عند الخليفة غنى قول كثير

ألم يأن لي يا قلب ان أترك الهوى * وان يحدث الشيب الملم لي العقلا

على حين صار الرأس مني كأنما * علت فوقه ندافة العطب أغزلا

فيا لاعزان واش وشي بي عندكم * فلا تكرميه ان تقولي له أهلا

كالوشي واش بودك عندنا * لقلنا تزحزح لا قريبا ولا سهلا

فأهلا وسهلا بالذي شد وصلنا * ولا مرحبا بالقائل اصرم لنا حبلا

فطرب يزيد حتى جعل الوسادة على رأسه ودار في الدار وهو يقول السمك الطرى أربعة ارطال عند بيطار حيان فلما رجع الى مجلسه ذكر اختلافهما السابق لمعبد فقضى لحبابة كما سبق فقالت له سلامة يا ابن الفاعلة تعلم ان الحق معي ولكن قضيت للنزلة فضحك يزيد وأحسن صلته وكان البيذق من المهرة في الغناء وكان يختلف الى حبابة فلما علت عند يزيد قصدها ليستعطيها وسمعت به فادخلته وقد جلست مع الخليفة فقالت له ان هذا أبي وشكرت من صوته واشارت اليه ان اقرأ فقرأ حتى بكى يزيد ثم أومأت ان غن فغنى شعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بتلحين ابن شريح

من لقلب مصفد * هائم القلب مكمد * انثنى زودته جوى

بئس زاد المزود * ثاويا تحت تربه * وهي رمس بفدفد

غير اني أعلل النـ ـفس باليوم أوغد

فطرب يزيد فضربه بمدهن من ذهب مفصص بالياقوت فاشارت اليه ان خذه فجعله في كمه فقال يزيد لحبابة انظري الى أبيك كيف أخذ مدهننا فقالت ما أحوجه اليه ثم خرج فامر له بثمانين دينارا وغنته يوما الشعر السابق أو القصة بتلحين ابن شريح فطرب وقال هل رأيت أطرب مني فقالت نعم معاوية بن عبد الله بن جعفر فغضب وأحضره فارسلت حبابة فاعلمته ان لا يطرب الا عندما تغني الصوت المذكور فلما غنته رقص وطرب وجعل يقول الدخن بالنوى فامر له يزيد بصلات اجتمعت ثمانية آلاف دينار وقال لها مرة أخرى من اطرب مني فقالت مولاي الذي باعني فاستحضره مقيدا فلما دخل عليه وقد ارسلت من عرفه القصة ايضا غنت فالقى نفسه على الشمعة حتى حرقت لحيته وهو يقول الحريق يا أولاد الزنا

المستعملة الآن لأنهم كانوا يسمون رجب الأصم ويسمون شعبان العاذل وبهذا يظهر معنى قولي في البيت الأخير أن الشعراء استعملوا هذا المعنى قديما وحديثا (ومن أحسن ما سمعت فيه)

وشادن مبتسم عن حبب * مورد الخد مليح الشنب

يلومني العاذل في حبه * وما درى شعبان اني رجب

(وقلت أنا أيضا)

يسطو علي من الدلال كأنه * غازان اذ يسطو على حرمانه

ان رد ني عنه قضيب قوامه * فأنا القتيل بلحظه وبيانه

اني وحقك في هواه متيم * صبا غدا رجبا على شعبانه

وقولهم سبق السيف العذل مثل من أمثال العرب يضرب في الامر الذي لا يقدر على رده وأصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة بن أد خرجا في طلب ابل له فافر فجمع سعد ولم يرجع سعيد فكان أبوهما ضبة اذا رأى رجلا مقبلا وقال أسعد أم سعيد ثم انه في بعض مسيره أتى الى مكان ومعه الحرث بن كعب في الشهر الحرام فقال له الحرث قتلت ههنا فتى هيئته كذا وكذا وأخذت منه هذا السيف فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث شجون ثم ضربه فقتله فقال سبق السيف العذل فتداولت الشعراء ذلك ونظموه (ومن أحسن ما سمعته فيه قول السراج الوراق)

قلت اذ جرد لحظا * حده يدني الاجل

يا عذولي كف عني * سبق السيف العذل

وعلى ذكر العذل والملام ذكرت قول أبو نواس في المدام

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

قال المفضل الضبي دخلت على الرشيد يوما فقال دلني على بيت أوله لا كتم بن صيفي في اصابة الرأي وجودة الموعظة وآخره لبقراط في

فضحك الخليفة ووصله بالف دينار ثم لم يزل منعكفا على الافاقة معها والمحافظة على اللهو والطرب والشرب قيل انه جعل فسقية من الخمر فى مجلسه وكان اذا طرب سقط فيها ومزق حلة قيمتها الف دينار قيل ذكر أخوه سليمان بحضرة الرشيد فقال الاصمعى كان رجلا نهما اذا قدم اليه السماط لا يصبر حتى يبرد بل يتناول اللحم بكمه واما أخوه يزيد فكان يسقط فى الخمر بثيابه فقال الرشيد للاصمعى ما أعلمك بالناس والله ان ثيابهما عندى وان الدهن فى اكمام سليمان وأثر الخمر فى ثياب يزيد ولما استمر على حاله وكان قد ولى الخلافة أثر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وقد اعتاد الناس العدل والاصلاح ثقل عليهم حاله وتعطلت الحاجات فضجوا فدخل عليه مسلمة أخوه فعنفه ولامه ووعظه وذكره عدل عمر وقيل انه قال من نفسه والله ما عمر بأحوج الى الله منى فهجر الجوارى والشراب أياما وقال لمسلمة ارجوان لا تعتبنى بعد اليوم ثم جلس للناس فثقل ذلك على حبابة فارسلت الى الاحوص فعمل شعرا واستحضرت معبدا فلحنه ثم احتالت على اسماعه الخليفة قيل عارضته وهو خارج الى الصلاة وقيل رشت خادما مقربا منه فاوقفها بحيث يسمع وانشدته فطرب وقال مروا مسلمة أو قال صاحب الشرط فليصل بالناس ولعن من يلومه فى ذلك وعاد فاعتكف على ما كان عليه وقيل ان الذى امره بالكف عن ذلك مولى خراسانى كان ذا رتبة عنده وانه قال له سأحضرك معهن وأقول انك اعمى فان عنفتنى رجعت وفعل فشعرن به وقن بضربنه فوقاه يزيد ثم قال له أدوم على ذلك أم لا فقال دم فاستمر والشعر الذى أنشده الاحوص هو هذا

الالا تلمه اليوم ان يتبلدا * فقد غلب المحزون ان يتجلدا
بكيت الصبا جهدى فمن شاء لامنى * ومن شاء آسى فى البكاء وأسعدا
وانى وان فندت فى طلب الصبا * لاعلم انى لست فى الحب أوحدا
اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العشق الا ما تلذ وتشتهى * وان لام فيه ذو الشنان وفندا
وعهدى بها صفراء رود كأنما * نضى عرق منها على اللون عسجدا
مهفهفة الاعلى وأسفل خلقها * جرى لحمه من دون ان يتخددا
من المدمجات اللحم خدا كأنها * عنان صناع مدمج الفتل عضدا
كأن ذكى المسك منها وقد بدت * وريح الخزامى عرفه ينفح الندى
وانى لأهواها واهوى لقاءها * كما يشتهى الصادى الشراب المبردا
فقلت ألا باليت أسماء أصقبت * وهل قول ليت جامع ما تبددا
علاقة حب كان فى زمن الصبا * فابلى وما يزداد الا تجددا
تنظرت رحاب الموقرات فكم ارى * اكاريس يحتلون خاخا فمنشدا
فاوفيت فى نشز من الارض يافع * وقد يسعف الايفاع من كان مقصدا
كريم قريش حين ينسب والذى * أقرت له بالملك كهلا وأمردا
وليس عطاء من كان منه بمانع * وان جل عن اضعاف اضعافه غدا
أهان تلاد المال فى الحمد انه * امام هدى يجرى على ما تعودا
تردى بمجد من أبيه وجده * وقد اورثا بنيان مجد مشيدا

معرفة الدواء فقلت يا أمير المؤمنين لقد هولت على فقال هو قول أبى نواس دع عنك لومى البيت قلت وبقى لهذا البيت حكاية لطيفة حكاها الحريرى فى درة الغواص عن حامد بن العباس أنه سأل على بن عيسى فى ديوان الوزارة عن دواء الخمار وقد علق به فاعرض عن كلامه فقال ما أنا وهذه المسئلة فخجل حامد منه ثم التفت الى قاضى القضاة أبى عمر فسأله عن ذلك فتنحنح القاضى لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالحى اهلها والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة فى الجاهلية وقد قال

وكأس شربت على لذة
وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه أبو نواس فقال

دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداونى بالتى كانت هى الداء

فاصفر حينئذ وجه حامد وقال لعلى بن عيسى ما ضرك يا بارد أن تجيب ببعض ما أجاب به قاضى القضاة وقد استظهر فى جواب المسئلة بقول الله تعالى أولا ثم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا وبين الفتيا وأدى المعنى وتبرأ من العهدة فكان خجل على بن عيسى من حامد بهذا الكلام أكثر من خجل حامد منه لما ابتدأه بالمسئلة وقال الشيخ صدر الدين بن الوكيل

ان الذى جعل الهموم عقاربا
جعل المدام حقيقة ترياقها
لم يصلت الراووق الا عندما
قطع الطريق على المدام وعاقها
ومعنفى فى الخمر لو قد ذاقها
ما لامنى لكنه ما ذاقها
قال اطرح صفراء يطفى جمرها
لهب القلوب اذا اشتكت احراقها
فليستدقها وخذ من بعد ذا * فى طرق لومك ان أردت فراقها وقد أنصف شيخ الشيوخ بحماه حيث قال

ولو

ولو كان بذل المال والجود مخلدا * من الناس انسانا لكنت المخلدا
فأقسم لا انفك ما عشت شاكرا * لنعماك ما طار الحمام وغردا

هكذا وجدت القصيدة وان بترها المصنف الآن في بعض أبياتها تغييرا في نسخة بدل اذا لم تكن تعشق * اذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا * يعني بالعزهاة بالمهملة فالزاي صعب اللهو والطرب و بدل قوله واني وان فندت واني وان أعرقت و بدل قوله لكنت المخلدا لكان ولما سمعه قال لحبابة من يقول هذا قالت الاحوص فاستحضره وأحسن صلته وتراسلت فيه يوما هي وسلامة فغنيتا الى ان قالت حبابة كريم قريش فقال يزيد من يعني قالت انت قالت سلامة أسمع باقيه واكملته فاجزل صلة الاحوص وكانت اذا غنته حبابة الشعر يطرب حتى يقول أحسنت ياحبيبتي أتأمريني ان أطير فتقول له الى من تكل الامة فيقول اليك واشتد طربه بها يوما فقال لها قد استخلفتك واستعملت فلانا عنك فقالت قد عزلته فقال أوليه وتعزلينه وقام مغضبا فلم تكترث به وارتفع النهار فدعا خادما لها فقال له ما تصنع حبابة قال قد اتزرت بازار خلوقي وهي تلعب بلعبها فقال هل تقدر ان تمر بها على ولاك حكمك فمضى فلاعبها ساعة واستل لعبة وفر فانطلقت في طلبه تخطر حتى مرت عليه فوثب واعتنقها وهو يقول وليته وهي تقول عزلته واصطلحا واقاما على ذلك الى ان قال يزيد يوما قد بلغني ان السرور لم يصف لشخص يوما كاملا واني مجرب ذلك ودعا بحجابه فاوصاهم ان لا يدخلوا عليه أحدا واحتجب معها ببستان له بقربة من الغوطة تسمى ببيت رأس على زعم المؤرخون ان يزيد بن معاوية وضع رأس الحسين بها حين قدموا به فلم يزل معها على عادتهما حتى انتصف النهار وانه ضاحكها ثم رشقها بعنبة أو حبة رمان وقيل هي ابتلعتها فشرقت بها فماتت واشتد غم يزيد وحزنه وأقام ثلاثا يرشفها ويضمها ولم يمكن أحدا من دفنها حتى تغيرت فلامه الناس وعذلوه واذن في تجهيزها ثم لم يستطع النهوض الى الصلاة عليها فقيل حمل على رقاب الناس وقيل قال له مسلمة أنا أكفيك مع انه لم يحضر ثم ضم اليه جويرية كانت تخدم حبابة فانس بها فقال لها يوما ههنا كما نجلس قالت نعم فانشد

كفى حزنا للهائم الصب ان يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا

وخرج الى قبرها فبكى طويلا ثم تمثل بقول كثير

فان تسل عنك النفس او تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارني فهو قائل * من اجلك هذا ميت اليوم اوغد

ثم مكث خمسة عشر يوما وعاوده القلق فامر بنبشها فقيل منعه أخوه وقال له يظن الناس انك أتيت في عقلك فيخلعونك فرجع وقيل استخرجها وجعل يقبلها فقيل له قد تغيرت فقال أراها أحسن منها اليوم وانه مات حينئذ وقيل أقام اربعين يوما ثم مات ودفن الى جانبها قالوا ولم يعلم خليفة مات عشقا سواه وأما سلامة فاقامت بعدهما حتى توفيت على ما قيل في عهد المنصور (وحكي) عن رجل انه قال دخل على غلامي ومعه كتاب ففتحته واذا فيه

تجنبك البلاء ونلت خيرا * ونجاك المليك من الغموم
فعندك لو مننت شفاء نفس * واعضاء فنين من الكلوم

فعلمت انه عاشق وأمرت بادخاله فلم يجده فعرضت الكتاب على جواري وقلت من عرفت منكن أمر صاحب هذا فهي له ومائة دينار فحلفن انهن لم يعرفن ذلك وبقي الكتاب

أعشق وقولك مقبولا على وطلى

(وقال الآخر)

لو تعلم الورق حنيني نحوكم
لمزقت من طرب أطواقها
ولو يذوق عاذلي صبابتي
صبا معي لكنه ما ذاقها

(حكي) ان السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضي الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد أحواله فلما دخل القاضي الى دار العماد الكاتب وجد أشياء أنكرها في نفسه مثل آثار مجالس انس وطيب ورائحة خمر وآلات طرب فانشده

ما ناصحتك خبايا الود من رجل
ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتي فيك تأبى أن تسامحني
بأن أراك على شئ من الزلل

(الباب الثالث عشر في ذكر الاشارة الى الوصل والزيارة)

أقول هذا باب عقدناه لذكر الزائر والمزور وما قيل فيهما من منظوم ومنثور وغير ذلك من عيادة الحبيب وما يستدل به عليه من روائح الطيب كما قيل

ولو ان ركبا يمموك لقادهم
نسيمك حتى يستدل بك الركب

نعم طالما أهدى الحبيب بزيارته سرورا وأسدى له الفضل زائرا ومزورا كما قيل

ان زارني فبفضله أو زرته
فلفضله فالفضل في الحالين له

فالزيارة من الحبيب لا تمل ولو ألحق فيها الوابل بالطل ومن أحسن ما قيل في زيارة الحبيب وعوده من قريب قول العكوك

بأبي من زارني مكتتما

خائفا من كل شئ جزعا زائرا نم عليه حسنه * كيف يخفى الليل بدرا طالعا رصد الخلوة حتى أمكنه

والدراهم سنة فى جانب البيت فبينا أنا يوما جالس اذ دخل على غلامى بكتاب مثل الاول
وفيه

ماذا أردت الى روح معلقة * عند التراقى وحادى الموت يحدوها
حثثت حاديها ظلما لجانبها * فى السير حتى تخلت فى تراقيها
والله لو قيل لى تأتى بفاحشة * وان عقباك دنيانا وما فيها
لقلت لا والذى أخشى عقوبته * ولا بأضعافها ما كنت آتيها
لولا الحياء لبحنا بالذى كتمت * بنت الفؤاد وأبدينا أمانيها

فطلبته فلم أجده أيضا فعمى أيضا أمره وقلت للخادم لا يأتيك أحد بكتاب الا قبضت عليه حتى أراه وكان قد قرب الحاج فلما وقفت بعرفة اذا بشاب على ناقة الى جانبى وقد أخذ منه النحول والسقم الا ان عليه آثار الجمال والادب فسلم على وقال هل تعرفنى قلت زدنى قال أنا صاحب الكتابين قالت قد وهبت لك الجارية ومائة دينار فامض وأعرفها وتسلمها فقد تعبت من أمرك قال لم أطلب شيأ مما تقول قلت فعرفنى اسمها لاكرمها من أجلك قال ما كنت بالذى يبوح بشئ وانصرف بعد ان أنشد

لعمرك ما استودعت سرى وسرها * سواها حذارا ان تضيع السرائر
أصون الهوى خوفا عليك من العدا * مخافة أن يغرى بذكرك ذاكر

(ومنهم) أبو عبد الله الخبشانى عشق جارية سوداء يقال لها صفراء ومرض من حبها حتى لزم الوساد فقيل لمولاها وأرسلت بها اليه فعساه ان يجد الشفاء فلما دخلت عليه قالت كيف أصبحت قال بخير ما رأيتك قالت ما تشتهى قال قربك قالت فما تشتكى قال هجرك قالت فبم توصى قال بك ان سمع لى قالت انى أريد الانصراف قال لا تعجلى ثواب الصلاة على فلما رآها ولت شهق شهقة فمات

(ومنهم) شاب بصرى قال فى النزهة اسمه ظريف بن نعيم الغفارى كان باعظم حالة من الجمال وأمكن رتبة من المال وانه اقترح على أبيه وكان من أكابر تجار البصرة أن يرسله بمتجر الى بغداد فمانعه زمانا وكان يقول له نحن غير محتاجين الى اكتساب بالاسفار فلا تفجعنى فيك فأبى الا السفر فجهزله جملا وسار حتى دخل بغداد فاقام بها مدة يتنزه ويسرح فى ملاذها ناظره ويشرح بمنازهها خاطره الى ان أشار عليه بعض ندمائه بحضور الدكة يعنى المكان الذى تباع به الجوارى فحضر مع خواص التجار وجى بجارية بهرت الحاضرين وأشغلت الناظرين فكانت كلما أراد أحد تقليبها لم تمكنه من النظر الى أكثر من عضو واحد وكانت كلما أراد أحد شراءها عابته حتى وقعت عينها على البصرى فأحبته وأطمعته بنفسها فساوم مولاها حتى أخذها بمائة ألف درهم ثم انطلق بها الى منزله فلما كان الليل اذا بطارق فخرج فاذا هو صاحب شرطة الحجاج فأخذوه حتى دخلوا به عليه فقال له على بالجارية التى اشتريتها فقال أصلح الله الامير انها زوجى فلا تكن سبب هلاكى فأمر بالقبض عليه وأرسل من جاء بالجارية فلما رآها علم انها لم تبق له ان عرف الخليفة ذلك فوجه بها الى الشام من ليلتها الى عبد الملك وحبس الشاب فلما زال عقله أطلقه وأخذ ماله وتوجه الشاب الى دمشق فاقام بها مدة ممتنغص الحياة فاراد ان يحتال على الاجتماع بالجارية فلم يمكن فوقع فى قصة ان رأى أمير المؤمنين ان يأمر جاريته نعمى أن تغنى لى ثلاثة أصوات اقترحها ثم يفعل ما شاء فليفعل فلما رأى القصة اشتد غضبه ثم عاوده الحلم فلما انصرف

زارنى والدجى أحم الحواشى
والثريا فى الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس
بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول
طول الله فيك غيظ الحسود

(وقال الآخر)

زارت على غفلة الرقيب
كظبية قد رعت بذيب
وكان وقت الوصال منها
أقصر من جلسة الخطيب

(قال الشيخ العلامة علاء الدين مغلطاى فى كتابه الواضح المبين أنشدنا عبد العزيز بن سرايا الحلى لنفسه زاعما انها أصدق كلمة قالها الاواخر)

يقولون لى بالله ما أنت فاعل
اذا زارك المحبوب قلت أنيكه

(وقال يعقوب الشيبانى)

قلت اذ زار من أحب وجنح الل
يل روض أبدى النجوم نهارا
ملك الحب زاره ملك الحس
ن فزادا على الوجود اقتدارا
فافرشوا الورد أطلسا حين يمشى
واجعلوا عسجد الكؤوس نثارا
واصرفوا حاجب الهلال فقد نم
بسرى الى العيون مرارا
واحجبوا أبيض الصباح وقولوا
لنجاشى الظلام كن برددارا

وعلى ذكر البردادار وما أحسن قول الآخر دوبيت

يا ليل بك الثناء والمدح يليق
اذ أنت لاهل العشق خل وصديق
اذ أنت جعلت برددار الهم
لا تعط عليهم قط الصبح طريق

(وقال ابن النبيه)

قلت لليل اذ حبانى حبيبا
وبخلعه النجوم عقدا أنت يا ليل زنجى فامنع الصبح وكن أنت يا دجى برددار

(وما أحسن   الناس

الناس أحضر الشاب والجارية وقال مرهابما شئت فقال لها غني لي قول قيس بن ذريح
لقد كنت حسب النفس الى أربعة أبيات فغنت فزق أثوابه ثم قال لها غني قول جميل
* ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * الى ستة أبيات فغنت فغشي عليه ثم أفاق فقال غني قول
المجنون * وفي الحيرة الغادون من بطن وجرة * الى أربعة أبيات فلما غنت قام فالقى
نفسه من شاهق فمات فقال عبد الملك لقد عجل على نفسه أيظن اني أخرجت جارية
وأعود بها خذها يا غلام فاعطها الورثته أو فتصدقوا بها عليه فلما نزلوا بها نظرت الى حفيرة
معدة للسيل فجذبت يدها من الغلام وهي تقول

من مات عشقا فليمت هكذا * لا خير في عشق بلا موت

والقت نفسها في الحفيرة فماتت وسأل القوم عن الغلام فقيل انه قدم من كذا وكذا يوما
ورؤى في الاسواق وهو يقول

غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد داري من ديار كم بعدا

وقيل أن القصة وقعت بين يدي سليمان بن عبد الملك وانه اقترح في الصوت الاول قول
امرئ القيس * أفاطم مهلا بعد هذا التدلل * الى ثلاثة أبيات وفي الثاني
* غدا يكثر الباكون منا ومنكم * البيتين (وفي الثالث)

تالق البرق نجديا فقلت له * يا أيها البرق اني عنك مشغول
يكفيك مني عدو ثائر حنق * بكفه كحباب الماء مصقول

وانه كان يطلب كل مرة النبيذ فيسقى (ومنهم) الشريف البياضي عشق جارية لبنت فخر
الملك فوجد بها وجدا عظيما وتطاول أمره حتى شاع في الناس ذكره ولم يزل حتى مرضت
فمرض أيضا هو فلما توفيت طاش عقله وبقي شهرا هادون ثم لحق بها وله فيها أشعار كثيرة

(منها) خليلي لي مرايا العراق فناديا * ألا من رأى قلبا من الوجد باليا
وان أنتما أعييتما في ابتغائه * ولم تجداه فابغيا لي ناعيا

(ومنها) دع الوقوف على الاطلال والدمن * فليس ينفع مسكون بلا سكن
أما تراني لا أثني على طلل * بعد الفراق ولا آوي الى وطن
وكيف يأنس قلبي بالديار وقد * أصاب فيها الردى من كان يؤنسني
ان الذين أذاقوني فراقهم * أفنيت بعدهم دمعي من الحزن
لله من لعبت أيدي المنون به * ضنا بما فيه أن يبقى على الزمن
جعلت روحي له من روحه عوضا * مقيمة معه في ذلك الكفن
فصار كالحي اذ روحي تحل به و * صرت كالميت اذ لا روح في بدني
وكيف تصحب روحي بعده جسدي * وكان ان غاب تأبى أن تصاحبني

(ومنهم) ما أخرجه ابن الجوزي في تنوير الغبش عن التنوخي والثوري يرفعانه الى اسمعيل
ابن جامع قال وقع بيني وبين أبي وحشة فذهبت الى خالي باليمن فكنت عنده من غرفة
تشرف على نهر فنظرت يوما الى سوداء قد أقبلت تملأ قربة فوضعتها واستراحت ثم أنشدت

الى الله أشكو بخلها وسماحتي * لها عسل مني وتبذل علقما
فداوي مصاب القلب أنت قتلته * ولا تتركيه هائم القلب مغرما

ثم ملأت القربة ومضت فنزلت أعدو حتى لحقتها أستعيد الصوت فابت وقالت في اي

قول شمس الدين محمد بن العفيف) ومابدر كالبدر زار بليل * فلاحسنه الدجى اذ تجلى ماهوى منزلي ولكن تجلى
بلهيب الجوى هنا ووفى
وعجيب منه فقيه ذكي
بمحل النزاع كيف استقلا
(وقال الآخر)
يا حبيبي وأنت بما نزلت بالوصل منعما
زرتني بعض ليلة * بت فيها مهوما
حين وليت غائبا * أفل البدر في السما
ليت شعري من الذي * من أخيه تعلما
(وقال بشار بن برد)
يا أطيب الناس ريقا غير مختبر
الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة
ثني ولا تجعلها بيضة الديك
قيل ان الديك يبيض في السنة بيضة
ولهذا قال بشار ذلك وقال ابن الساعاتي
في تاريخه في سنة ست وتسعين وستمائة
باض ديك ببغداد وسألت جماعة عن
ذلك فاخبروني به (قلت) وأخبرني في
الآن بعض الصوفية المقيمين عندي
بالصهريج انه باض عندهم ديك بيضة
صغيرة وجعل يصيح مثل الدجاجة ثم
أقام بعد ذلك سبعة أيام ومات (رجع
الكلام وقلت أنا)
لي حبيب له خبيب موافق
كل يوم يأتي اليه مرارا
قلت زر في مقام حي عندي
شغل الحلي أهله أن يعاروا
(وقلت أيضا من قصيدة)
زار الحبيب ووجهه الورد خجلان
فاصفر حين تثنى قده البان
قد كان ما كان من هجر انهزمنا
وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا
ما ضر في ضيق عيشي حين واصلني
سم الخياط مع الاحباب ميدان
(فصل في نم الطيب على الحبيب)
ما أحلى قول ابن سكرة
أهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة * تحت الظلام ولم تحذر من العسس يسترنها الدجى * وتأبى أشراقها الا عن التنفس

برق الثنايا وعطر النحر والنفس (أخذه المعتمد بن عبادة فقال وأحسن ماشاء)

شغل عن ذلك قلت بماذا قالت على درهمان فاعطيتها اياهما واستعدت الصوت حتى حفظته فلما أصبحت فاذا هو قد ذهب منى وأقبلت السوداء على عادتها فاستعدته منها فقالت كانك تستكثره بأربعة دراهم كأنى بك وقد أخذت عليه أربعة آلاف دينار فلما كنا عند الرشيد أو قال عند المأمون وبين يديه أربعة أكياس كل واحد ألف دينار قال من أطربنى فله ألف دينار فغنيته البيتين فرمانى بكيس واستعاد الصوت فرمانى بالآخر حتى أعطانى الاربعة فحدثته القصة فقال لم تكذب السوداء (ومنهم) ما أخرجه ابن اسحق قال انحدرت مع محمد بن ابراهيم من سر من رأى ودجلة فى طغيانها فاحضر الشراب فاندفعت جارية تغنى

وارحمة للعاشقينا * ما ان أرى لهم معينا
كم يشتمون ويضربو * ن ويهجرون فيصبرونا

فقالت له مغنية أخرى فيصنعون ماذا قالت هكذا ورمت بنفسها فى الماء وكان على رأس محمد غلام اشتراه بألف دينار فحين رأى فعل الجارية ألقى بنفسه وهو يقول

أنت التى غرقتنى * كيف الهوى لو تعلمينا
لاخير بعدك فى البقا * والموت زين العاشقينا

فدفع من طلبهما فقيل وجدا متعانقين وقيل استخرجا ودفنا وفى رواية الحافظ ان القصة وقعت فى بيت محمد المذكور وكان على الدجلة وان الغلام هو الذى ألقى نفسه قبل حين سمع الجارية فتبعته انها غنت هذا الصوت

ياقمر القصر متى تطلع * أشقى وغيرى بك يستمتع
ان كان ربى قضى كل ذا * منك على رأسى فما أصنع

(ومنهم) شخص كان يهوى مغنية عند عبد الله بن جعفر فشعف بها حتى كان يأتى الباب لسماع صوتها فلما فطن به زينها ونزل بها اليه فوجده نائما فنبهه وقال له دونكها فامض بها الى منزلك فلما رآها فحص برجله وحرك فاذا هو ميت وكانت هذه الجارية قد طلبها يزيد فأبى عبد الله أن يدفعها اليه فقيل انها ماتت بعد ذلك بيسير وان موتها كان عشقا

(القسم الرابع فى ذكر من حظى بالتلاق بعد تجرع كأس الفراق)

وهذا القسم هو الذى ترجمه من ساعده الزمان بطلوبه حتى ظفر بمحبوبه وذلك إما الشفاعة أو جاه أو حيلة أو عناية أزلية وهم أيضا بالنسبة الى النساء إما متعلق بالاحرار أو مرمى بالعشق من جهة الجوار (فمن الصنف الاول) عبد الله بن أبى بكر الصديق عشق عاتكة فكلف بها حتى كاد أن يطير عقله فلما تزوج بها أقام سنة لا يشتغل بسواها ثم قدم عليه تجارة من الشام فخرج ليتعاطى أمرها فخيل له حين خرج انه لم يعد ينظر الى عاتكة فعاد فى الاثر فخلس معها وترك التجارة فلما كان يوم جمعة وهو معها اذ فاتته الصلاة وهو لا يدرى وجاء أبوه فوجده عندها فقال له أجمعت فقال وهل صلى الناس فقال قد ألهتك عاتكة عن التجارة فلم ترتب فى ذلك ولم تقل شيأ وقد ألهتك عن الصلاة طلقها فطلقها طلقة واعتزلت ناحية فلما كان الليل قلق قلقا شديدا فأنشد

أعاتك لا أنساك ماذر شارق * وماناح قمرى الحمام المطوق
لها منطق جزل ورأى ومنصب * وخلق سوى فى حياء ومصدق
فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها * ولا مثلها فى غير شئ يطلق

وأوطواه الدجى عنا الا ظهرها *
فلا تمنعتها عن زيارتنا
خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما
تحوى معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره
والحلى تنزعه ما حيلة العرق

(وقال)

يوم يقول الرسول قد أذنت
فأت على غير رقبة ولج
أقبلت أهوى الى رحالهم
أهدى اليها بريحها الارج

(قيل) ويستدل بالطيب على السلوك فى المواطن التى يكون الناس فيها غير معروفين مثل الحمام ومعركة الحرب وموسم الحج وما زالت الشعراء تصف مواطن الحبيب بالطيب كما قال فيه ابن النبيه

ان جاء من يبغى لهم منزلا
فقل له يمشى ويستنشق

وقال محمد بن عبد الله النميرى فى زينب أخت الحجاج من قصيدة

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت
به زينب فى نسوة خفرات
له أرج من مجمر الهند ساطع
تطلع رياه من الكفرات
يخمرن أطراف البنان من التقى
ويطلعن نصف الليل معتجرات

(ومنها)

ولما رأت ركب النميرى أعرضت
بكره لان يلقينه حذرات

ولهذا البيت حكاية لطيفة اتفقت لقائله مع الحجاج وهى مشهورة بين أهل الادب أضربت عن اثباتها هنا خوف الاطالة وقال الطغرائى

قربنا فى ظلال الليل معتسفا
فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

(وقال آخر) وليس نسيم المسك ما تعهدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلف (وقال آخر)

وكان أبو بكر على سطح يصلي فسمعه فرق له فقال راجعها فقال قد راجعتها ثم أشرف على غلام له فقال له أنت حر وأشهدانى راجعت عاتكة ثم ضمها اليه وأعطاها حديقة على أن لا تتزوج بعده فلما قتل بالطائف رثته بابيات منها

وآليت لاتنفك عيني حزينة * عليك ولا ينفك جلدي اغبرا
فلله عينا من رأى مثله فتى * اكر واحمى فى الهياج واصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى الموت حتى يترك الجون أشقرا

وتزوجها عمر بعد ان استفتى عليا فى ذلك فافتى بأنها ترد الحديقة الى أهله وتتزوج ففعلت فذكرها على بقوله وآليت لاتنفك البيت ثم قال كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ثم تزوجت بعده بالزبير وبعده بالحسين بن على حتى قال ابن عمر من اراد الشهادة فليتزوج عاتكة وخطبها على فقالت انى لاضن بك عن القتل وخطبها مروان بعد الحسين فقالت ما كنت متخذة حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنهم ما حكاه معبد المغنى) قال بينا انا جالس اذ طرق بابى فقلت للغلام أخرج فانظر من بالباب فخرج وعاد مستأذنا فاذنت فدخل غلام فوضع بين يدى ثلثمائة دينار وقال غن لى

بالله يا طرفى الجانى على كبدى * لتطفئن بدمعى لوعة الحزن
لا لا أبوحن حتى يحجبوا سكنى * فلا اراه ولو ادرجت فى الكفن

فعملت له ما لحنا شجيا وغنيته به فاغمى عليه فنضحت عليه الماء فلما أفاق جعل يقبل يدى ورجلى على ان اعيد الصوت فقلت أخشى ان تموت فقال من لى بذلك فغنيته الصوت فخر مغشيا عليه فلم أزل انضحه بالورد والطيب حتى افاق فجعلت الدنانير بين يديه وقلت خذها وامض عنى فقال لك مثلها ان أعدته فشرهت عينى فقلت له ان أقمت عندى وأكلت طعامى حتى تقوى نفسك وأخبرتنى بقصتك أعدته ففعل وحدثنى انه خرج غب سماء وقد سال العقيق مع فتية الى متنزه فاذاهم بنسوة بينهن فتاة قد فضحت الشمس بعينين لا يرتدان الا باقتناص النفس فاوقعت به وعاد مسلوب العقل فاقام لم يعرف لها خبرا حتى كاد ان يقضى فقالت له قرابته لا بأس عليك اذا اربع الوقت خرجنا بك أوان الفرج فلا نعود الا بخبرها قال فلما جاء الابان خرجنا الى المتنزه فاذا نحن والنسوة كفرسى رهان فقلت لبعض قرابتى قولوا لهذه الجارية لقد أحسن من قال

رمتنى بسهم اقصد القلب وانثنت * وقد غادرت جرحا به وندوبا

فقالت الجارية قد احسن من أجاب

بنا مثل ما تشكو فصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفى السقام قريبا

فامسكت عن الجواب واتبعتها حتى عرفت المنزل فكنا نجتمع ونتحادث الى ان علم أهلها فحجبوها وخطبتها فامتنعوا محتجين بالشهرة فها انا على ما ترى قال معبد فغنيته الصوت ومضى فلما حضرت مع جعفر غنيته اياه فطرب وسأل عنه فاخبرته القصة فامرنى باحضاره فاحضرته اليه فطيب قلبه وركب الى الخليفة فحدثه بالحديث فاستحضرنا جميعا وطلب ان أغنيه الصوت فغنيته فطرب وكتب الى عامله على الحجاز باحضار الرجل وأهلها فلما حضروا أمهرها الخليفة وزوجها منه (ومنهم رجل عذرى) دخل على معاوية فى جمع فلما أخذ كل مجلسه قام فانشد

ولو كان بوجد ريح مسك فاتح * لوجدته منهم على اميال

(وقال ابن الرومى)

اعتبته من طيب ذكرك شمتهم
كادت تكون شماتة المسموعا

(وقال المتنبى)

وتفوح من طيب الثناء روائح
لهم بكل مكانة تستنشق

(فصل) ومن أحسن ما سمعته فى العيادة قول الطغرائى

خبروها انى مرضت فقالت
اضنى طارفا شكا ام تليدا
واشاروا بان تعود وسادى
فابت وهى تشتهى أن تعودا
وأتتنى فى خفية وهى تشكو
ألم الشوق والمزار البعيدا
ورأتنى كذا فلم تتمالك
أن أمالت على عطفا وجيدا

(أنشدنى) من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين بن نباتة

وما ولة فى الحب لما أن رأت
أثر السقام بعظمى المتهاض
قالت تغير ما نعهدته لهائم
أنا بالسقام وأنت بالاعراض

(وما أحسن قول السليمانى)

وأنا الذى اضنيته وهجرته
فهل صلة أو عائد منك الذى

(وقال الآخر)

لا تهجروا من لا تعود هجركم
وهو الذى بلبان وصلكم غذى
ورفعتم مقداره بالابتدا
حاشا كم أن تقطعوا صلة الذى

(ومن عظيم ما يحكى) عن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أن شرف الدين ابن عنين كتب اليه وهو ضعيف

انظر الى بعين مولى لم يزل
يولى الندى وتلاف قبل تلاف
أنا كالذى احتاج ما تحتاجه
فاغنم ثوابى والثناء الوافى

فحضر اليه الملك المعظم بنفسه ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار وقال أنت الذى وهذه صلتك وأنا العائد قلت وقد ليسبق لابن عنين الصلة والموصول وأجاد وهاصله الملك

معاوى ياذا الحلم والفضل والعقل * وذا البر والاحسان والجود والبذل
اتيتك لما ضاق فى الارض مسلكى * وانكرت مما قد أصيب به عقلى
ففرج كلاك الله عنى فاننى * لقيت الذى لم يلقه أحد قبلى
وخذلى هداك الله حقى من الذى * رمانى بسهم كان أهونه قتلى
وكنت ارجى عدله اذ أتيته * فاكثر ترداد ى مع الحبس والكبل
فطلقتها من جهد ما قد أصابنى * فهذا أمير المؤمنين من العدل

فاستدناه وقال له ما شأنك قال تزوجت ابنة عمى وكانت من المبرزات فى الجمال والحياء فانفقت عليها الى ان املقت فرفع أبوها القصة الى ابن أم الحكم فضيق على السجن والقيود حتى طلقت كارها فاعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوج بها فاتيتك مستغيثا بعدلك فكتب معاوية اليه يغلظ عليه ويأمره بالتخلى عنها ويقول فى آخر الكتاب

ركبت ذنبا عظيما لست اعرفه * فاستغفر الله من جور امرئ زانى
قد كنت تشبه صوفيا له كتب * من الفرائض أو آيات فرقان
حتى اتانى الفتى العذرى منتحبا * يشكو الى بحق غير بهتان
أعطى الاله عهودا لا أخيس بها * أولا فبرئت من دينى وايمانى
أن أنت راجعتنى فيما كتبت به * لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وفارقها بمجتمع * وأشهد على ذاك نصر وابن ظبيان
فما سمعت كما بلغت من عجب * ولا فعالك حقا فعل انسان

فلما وقف عليه قال وددت لو خلى بينى وبينها سنة ثم عرضنى على السيف ثم طلقها فاخرجها فلما وصلت الى معاوية وقد تعجب الناس من حسنها وقالوا هذه لا تصلح لاعرابى انما تكون لامير المؤمنين فعجب منها ثم استنطقها فاذا هى فتنة فقال له هل لك عوض عنها قال نعم اذا بان رأسى عن بدنى ثم أنشد

لا تجعلنى والامثال تضرب بى * كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حران مكتئب * يمسى ويصبح فى هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق * وأسعر القلب منه أى اسعار
والله والله لا أنسى محبتها * حتى أغيب فى رمس وأحجار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها * وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية من ذلك وخيرها بينه وبين ابن أم الحكم وبين ابن عمها فانشدت

هذا وان أصبح فى اطمار * وكان فى نقص من اليسار
أكبر عندى من أبى وجارى * وصاحب الدرهم والدينار
أخشى اذا غدرت حر النار * خلى شبيلى ما به من عار
لعلنا نرجع للديار * وان عسى نظفر بالاوطار

فقال خذها لا بارك الله لك فيها وأمر أن تقيم الى تمام العدة فلما انقضت دفعها اليه مع ناقة وعشرة آلاف دينار (ومنهم) ما حكاه فى منازل الاحباب عن بعض الجهدونية قال صحبت المتوكل الى الشام وكنت مغرما بالفراديس لظرفها فحين بلغناها قال المتوكل هل لك فى ان نتصفح الكنائس والرياض فنتنزه فيها فقلت نعم فاخذ بيدى وجعلنا نستقرى الاماكن

قصد الشاعر بوقوعه من هذا الملك المعظم شأنه العظيم سلطانه فكم أقر لابن عنين عينا ووفى عنه دينا فقال به السول وظفر بمن الصلة والعائد بيره الموصول لا جرم انه ملأ بحمده ديوانه وقال فيه من قصائده الطنانة

أكريم الشاعر من العار باسل
جميل المحيا كامل الحسن والحسنى
لعمرك ما آيات عينى خفية
هى الشمس للاقصى سناها وللادنى

(ولى أنا من قصيدة) فى هذا الوزن أمدح بها مولانا السلطان الملك الناصر ملخصها

تطاول غصن البان يحكى قوامه
فقلت له والله قد جئت فى المعنى
ولكن بدر التم والبحر قصرا
عن الناصر السلطان فى الحسن والحسنى

ومن ظريف ما اتفق لابن عنين هذا مع الملك المعظم انه حضر فى وقت بين يديه مع جماعة من الشعراء فقال لهم السلطان لا بد ان تهجونى فى وجهى فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لا بد من ذلك وألح عليهم فقال ابن عنين

نحن قوم ما ذكرنا الامرى
قط الا واشتهى أن لا يرانا

فقال له السلطان صدقت فقال (شعرنا مثل الخرا اذقت الخرا) فقال السلطان لا والله قبحك الله فقال (صقع الله به أصل لحانا) رجع الكلام الى العيادة ما أحسن قول السراج الوراق

قال صديقى ولم يعدنى
وعارض السقم فى أثر
لقد تغيرت يا صديقى
ونعم الله من تغير

(وقال أيضا)

برضت لله قوما * ما فيهم من جفانى
عادو لهم عادوا وعادوا * على اختلاف المعانى

ونشاهد

وشاهد ما فيها من العجائب وحسن ثياب النصارى حتى خلوت براهب الكنيسة فجعل الخليفة يسأله عن كل من يمر حتى أقبلت جارية لم ير من أحسن منها وبيدها مجمرة تبخر فسأله عنها فقال هي ابنتي قال ما اسمها قال شعانين فقال لها المتوكل يا شعانين اسقيني ماء فقالت يا سيدي ليس هذا الاماء الغدران وأنا لا استنظفه لك ولو كانت حياتي ترويك لجدت بها وأسرعت بكوز فضة فاومأت الى ان أشرب فشرب به ثم قال لها آن هويتك تساعديني فقالت انا الآن أمتك وأما اذا صدق المحب في المحبة فما أخوفني من الطغيان أما سمعت قول الشاعر

كنت لي في أوائل الامر حبا * ثم لما ملكت صرت عدوا
أين ذاك السرور عند التلاقي * صار مني تجنبا ونبوا

فطرب حتى كاد أن يشق ثوبه ثم قال لها هبيني نفسك اليوم فصعدت به الى غرفة مشرفة على الكنائس وجاء الراهب بخمر لم ير مثله وعاف المتوكل طعامهم فاستحضر أطعمة من عنده فلما أخذ منه الشراب أحضرت آلة وغنت

يا خاطبا مني المودة مرحبا * روحي فداؤك لا عدمتك خاطبا
أنا عبدة لهواك فاشرب واسقني * واعدل بكاسك عن جليسك اذ أبى
قدو الذي رفع السماء ملكتني * وتركت قلبي في هواك معذبا

فارغبها حينئذ فاسلمت وتزوجها فكانت من أحظى النساء عنده (ويقرب) من ذلك ماحكى عن الوليد بن يزيد انه عشق نصرانية وراسلها فابت عليه فكاد أن يطيش عقله فتنكر يوم عيد للنصارى وبايع صاحب بستان تتنزه فيه بنات النصارى فادخله فلما رأته قالت للبواب من هذا قال لها مصاب فجعلت تمازحه حتى اشتفى بالنظر اليها فقيل أتدرين من هذا قالت لا قالوا لها هو الخليفة فاجابت حينئذ وتزوج بها وفيها يقول

أضحى فؤادك يا وليد عميدا * صبا قديما للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة * برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
مازلت ارمقها بعيني وامق * حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من رأى * منكم صليبا مثله معبودا
فسألت ربي ان أكون مكانه * وأكون في لهب الجحيم وقودا

وفي ذلك يقول أيضا لما اشتهر امره بها

ألا حبذا سعدى وأن قيل انني * كلفت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون علينا ان نظل نهارنا * الى الليل لا أولى نصلي ولا عصرا

وكان يقال لم يبلغ مدرك هذا المبلغ لانه لم يطلب الا أن يكون صليبا في الزنار (ومثل) ذلك ماحكى عن ابن العباس بن الفضل انه عشق نصرانية بدير سرماجيس فكان لا يفارق البيع شغفا بها فوجدها يوما في بستان جلست معه أسبوعا فقال في ذلك

رب صهباء من شراب المجوس * قهوة بابلية خندريس
قد تجليتها بناي وعود * قبل ضرب الشماس بالناقوس
وغزال مكحل ذي دلال * ساحر الطرف ساحري عروس
قد خلونا بظبية نجتليه * يوم سبت الى صباح الخميس
بين ورد وبين آس جني * وسط بستان دير سرماجيس

ولهذا البيت أشباه ونظائر ذكرتها في كتابي الطارئ على السكردان منها ما حكي عن القاضي أبو بكر بن العربي وقف على حلقته وهو مشتغل بالعلم شاب مليح وبيده رمح فقال له بعض الفقهاء اذهب بهذا الرمح فهز الرمح وقال الساعة أضربك به فانشد القاضي أبو بكر في الحال لنفسه

يهددني بالرمح ظبي مهفهف
لعوب بالباب البرية عابث
فلو كان رمحا واحدا لاتقيته
ولكنه رمح وثان وثالث

وقد سألت جماعة من أهل العلم والادب عن استخراج الثالث من هذا البيت فلم يجد أحد منهم بطائل

(وقال ابن النقيب)

سمعت بما تشكو وما أنت واجد
فظلت دموع العين في الخد تسفح
وأرسلت خطي في العيادة نائبا
وما كل خط للعيادة يصلح

(وقال المعتمد بن عبادة)

مرضت فامسكت الزيارة عامدا
وما عن قلى أمسكتها اولا هجر
ولكنني اشفقت من أن أزوركم
فابصر آثار الكسوف على البدر

(وقال الشهاب محمود) في القول بالموجب

رأتني وقد نال مني النحول
وفاضت دموعي على الخد فيضا
فقالت بعيني هذا السقام
فقلت صدقت وبالخصر أيضا

وأورد في كتابه حسن التوسل قول الارجاني

غالطتني اذ كست جسمي الضنى
كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى
مثل عيني صدقت لكن سقاما

(وقلت) أنا حسين وقفت على قول الارجاني هذا بديها

شكوت الى الحبيبة سوء حظي * وما قاسيت من ألم البعاد
فقالت انت حظك مثل عيني * فقلت نعم ولكن في السواد

وقد بهتوا لما رأوني شاحبا
وقالوا به عين فقلت وعارض
(وقال ابن النقيب)
ومابي سوى عين نظرت لحسنها
وذاك لجهلي بالعيون وغرتي
وقالوا به في الحب عين ونظرة
لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي
(والاصل في هذا كله)
وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى
وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة
ولو صدقوا قالوا به أعين الانس
(وما أحسن قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني في مليح يعمل الكوافي)
اسم حبيبي وما يعاني
قد شغلا خاطري ولبي
لوا على فقلت قد را
ولوا كوافي فقلت قلبي
(وقول الشيخ صدر الدين بن الوكيل)
وبي من قسا قلبا ولان معاطفا
اذا قات أدناني يضاعف تبعيدي
أقربرقي اذ أقول أناله
وكم لما أبصاولكن لتهديدي
(وقال السراج الوراق)
ولوا وقد ضاعت جميع مصالحي
لهموم نفس ليت لاحلتها
قد كان عندك يافلان صريحة
فاجبتهم بعث الحمار وبعتها
(الباب الرابع عشر في الرقيب النمام والواشي الكثير الكلام)
أقول هذا باب عقدناه لذكر كل رقيب عاثر في العين كثير المين يرى المحب بعين المقيت في كل وقت ويرميه في الحضر والمغيب بكل سهم مصيب فكم ترك المحب مضنى وأفقره فيمن أحب وما استغنى فهو كالصبح قاطع اللذات تعيس الحركات قبيح المنظر سيئ الخبر كثير اللجاج حجر في دكان زجاج فهو والنمام في الاذى فرسا رهان واقتم

يثني في حسن جيد غزال * في صليب مفضض أبنوس
كم لثمت الصليب في الجيد منها * كهلال مكلل بشموس

(ويقرب) من ذلك ما حكاه الصلاح الصفدي في تاريخه قال رأيت بحماة رجلا وافر الحظ من الخط وقد أوثقه المؤيد ليكتب عنده فكان لا يمكنه من الخروج فحكي انه علق نصرانية بشيزر فكان يكتب الى المغرب بحماة ثم يذهب اليها فيجلس معها الى الصباح ويأتي وأقام على ذلك طويلا وانها قالت له يوما ان أحببتني فاركع لي واسلت صليبا فافعل وأنا رأيته
(ومنهم الشحمي) وهو رجل من فزارة أو هو من زبالة عشق ابنة عمه وكلف بها وأبى عمه ان يزوجه بها فتسور عليها ليلة فاحس به فقبض عليه وأتى به الى خالد القسري فاقام جماعة فشهد وانه سارق وسأله فاقر ليسترها فامر بقطع يده فرفع أخوه الى خالد رقعة يقول فيها

أخالد قد وطئت والله عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يأته المرء انه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه * لالفيت في أمره غير ناطق
اذا مدت الكعبان في السبق للعلا * فأنت ابن عبد الله أول سابق

فتجسس خالد على الامر فلما استصحه أحضر أباها وأمره أن يزوجها من الغلام فابى فاجبره وساق المهر من عنده *(ومنهم محمد بن صالح العلوي)* قال لما خرجنا على المتوكل أخذت أنا وأصحابي قافلة الحاج فغنمنا مالا ومتاعا لا يحصى وكنت قد جلست على كرسي وأصحابي يجمعون الى المال اذا أنا بامرأة قد رفعت سجاف هودج فاضاء منها الموضع ولا اضاءته بالشمس فقالت أين الشريف صاحب السرية فلي اليه حاجة قلت انه يسمع كلامك فقالت أنا حمدونية بنت عيسى بن موسى تعلم مكاننا عند الخليفة وأنا أسألك أن تأخذ مني ثلاثين ألف دينار مع اني أعطيتك ما في يدك ولكن أسألك بفضلك أن لا يكشف لي أحد وجها فناديت أصحابي فلما اجتمعوا قلت من أخذ منكم من هذه القافلة عقالا آذنته بحرب فردوا حتى الاطعمة وحفرتهم الى المأمن فلما ظفر بي الخليفة وحبسني بسر من رأى دخل على السجان يوما فقال ان بالباب امرأتين من أهلك يريدان الدخول عليك ولولا ان دفعتا الى دملج ذهب ما اذنت لهما فقد منع الخليفة أن يدخل عليك أحد فخرجت فاذا أنا بها مع امرأة وجارية تحمل شيأ فلما بصرت بي قالت أي والله هو وبكت لما رأتني فيه ثم قبلت قدمي وقالت لو استطعت ان آتيك بنفسي لفعلت ولكني لا أقصر في خلاصك ودونك هذه النفقة ورسولي يأتيك في كل يوم بما تريد حتى يفرج الله عنك ودفعت الى خمسمائة دينار وثيابا وطيبا وطعاما وانصرفت وقد أضرمت بقلبي نارا قدحتها النظرة الاولى فانشدت

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه * وتشعبت بشعابه أشجانه
وبدا له من بعدما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنعا أركانه
فبدا لينظر أين لاح فلم يطق * نظرا اليه وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سحت به أجفانه
يا قلب لا يذهب بحلمك باخل * بالنيل باذل تافه منانه

واقنع بما قسم الاله فامره * مالايزال على الفتى اتيانه
والبؤس ماض لايدوم كما مضى * عصر النعيم وزال عنك أوانه

ولم يزل وسولها يعاودنى بالاحسان وملاطفة السجان الى أن خرجت وعظم أمرى عند الخليفة فخطبتها فامتنع أبوها فكان سجن هواها أعظم من السجن فلم أر الا أن أتيت ابراهيم بن المقتدر فأخبرته بذلك وكان أبوها صنيعته فركب اليه فلم يفارقه حتى زوجنى بها ولابن صالح فيها وفى ابراهيم مدائح كثيرة تركتها (ومنهم جعد بن مهجع العذرى) قال عمرو بن أبى ربيعة انه كان فتى مغرما بمحادثة النساء وحفظ طرف الاخبار وملح الاشعار مع أنه غير عاهر الخلوة ولا سريع السلوة وكان يحضر الموسم فتقصده الناس لتسمع منه فانقطع سنة فسألت عنه العذريين فقال لى رجل تريد أبا المسهر قلت نعم اياه أعنى فتنفس الصعداء ثم قال قد أصبح والله كما قال

لعمرك ماحبى لاسماء تاركى * صحيحا ولا أقضى به فأموت

قلت وما به قال مثل ما بك من تيهكما فى الضلال قلت فمن أنت قال أخوه قلت كأنك واياه على طرفى نقيض ثم انطلقت أقول

أرائحة حجاج عذرة روحة * ولما يرح فى القوم جعد بن مهجع
خليلان نشكى ما نلاقى من الهوى * متى ما أقل يسمع وان قال أسمع
فلا يبعدنك الله خلا فاننى * سألقى كما لاقيت فى الحب مصرعى

فلما كان الموسم من قابل وأنا بعرفة رأيت شابا لم تبق الا رسومه فعرفته بناقته فسلمت عليه وسألته عن حاله فشكا الى ما به فقلت له ان هذا يوم دعاء فادع الله ان يزيل ما بك فلم يزل يدعو حتى حان الغروب فسمعته يقول

يارب كل غدوة وروحه * من محرم يشكو الضحى ولوحه
* أنت حسيب الخصم يوم الدوحه *

فقلت له وما الدوحة قال اذا انصرفنا حدثتك فلما انصرفنا حدثنى ان له أخوالا من كلب وانه حول ماله اليهم خشية التلف فأقام معهم وانه خرج يوما على فرس وقد صحب شرابا فاشتد الحر ورفعت له دوحة فقصدها ونزل تحتها فما استقر حتى بان له شخص عليه درع أصفر وعمامة سوداء يطرد سخلة وأتانا فقتلهما وقصد الدوحة ونزل بها فحادثته فخلب عقلى لفظه فدعوته الى الشراب فشرب وقام ليصلح من شأن فرسه فتزحزح الدرع عن ثدى كحق العاج فقلت امرأة أنت قالت نعم ولكن شديدة العفاف حسنة الاخلاق والمفاكهة فتحادثنا ساعة فأخذها النوم فوالله لقد هممت بهجر العفة لما داخلنى ثم راجعت المروأة فلما انتبهت وعزمت على الذهاب سألتها عن الزيارة فذكرت ان لها اخوة شرسة وأبا كذلك ثم مضيت وها أنا كما ترى فقلت ثبت نفسك فانى موصلك الى مطلوبك ثم قمت فشددت على ناقتى وصحبت ألف دينار ومطرف خز وقبة خضراء من أدم ومضينا حتى نزلنا بالشيخ فأحسن ملقانا فقلت له قد أتيتك خاطبا قال فوق الكفاءة أنت والمرغوب فى مثله فقلت لم أخطب الا لصاحبى هذا وهو ابن أختكم فقال الحسيب الكريم ولكن أخيرها بينكما فقلت ما انصفتنى فأومأ صاحبى الى ان دعه فقلت افعل فخيرها ففوضت الامر الى فحمدت الله فزوجتها من صاحبى وأمهرتها ألفا وكسوت الشيخ المطرف وسألته ان يبنى بها من ليلته

رضيعا لبان ومن أبلغ ماسمعته فى الرقيب

اناوالحبيب ماخلونا ولا طر * فة عين الا علينا رقيب
ماخلونا بحيث ان يمكن الده
ـر بانى أقول أنت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت أنت الـ
ـع فوافى فقلت كيم الطبيب

(وقول ابن المعتز)

وابلائى فى محضر ومغيب
من حبيب منى بعيد قريب
لم ترد ماء وجهه العين الا
شرقت قبل شربها برقيب

(وقال أيضا)

قد دنت الشمس للمغيب
وحان سوقى الى الحبيب
طوبى لمن عاش عشر يوم
له حبيب بلا رقيب

قيل لبعض العرب ما أمتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب وغيبة الرقيب

قال الصاحب بن عباد

قال لى ان رقيبى * سيئ الخلق فداره
قلت دعه وجهك الجنـ
ـة حفت بالمكاره

(وقال آخر)

لسهم الحب جرح فى فؤادى
وذاك الجرح من عين الرقيب
يوكل ناظريه بنا ويحكى
مكان الكاتبين من الذنوب
فلو سقط الرقيب من الثريا
لصب على محب أو حبيب

(وقال آخر)

يسقيك من كفه مداما
ألذ من غفلة الرقيب
كأنها اذ صفت ورقت
شكوى محب الى حبيب

(وقال أبو نواس)

لاحظته فتبسما * وخلا المكان فسلما
وبدا الرقيب فقلت لا
سلم الرقيب من العمى

(وقال الصفى الحلى)

ومليح له رقيب قبيح * يتغنى وغيره يتهنى
ليس فيه معنى يقال ولكن

ففعل وجئته من الغد فقلت كيف كانت ليلتك وكيف وجدت صاحبتك قال ابدت لي
كثيرا مما أخفته عني قديما وسألتها عن ذلك فانشدت

كتمت الهوى اني رأيتك جازعا * فقلت فتى بعض الصديق يريد
فان تطرحني أو تقول فتية * يضير بها برح الهوى فتعود
فوريت عما بي وفي الكبد والحشا * من الوجد برح فاعلمن شديد

فباركت له وانصرفت *(ومنهم ما حكاه أسدي وهو من العجائب المستلطفة)* قال
ضلت لي ابل فطلبتها في قضاعة حتى اذا دهمني الليل أمسيت في بيت تفرست انه كفؤ
للضيف فناديت اهله فلبتني امرأة كالشمس جمالا وقالت انزل على الرحب واجلستني عند
نار فاصطليت وأتتني بعشاء كثير فاكلت وهي تحادثني واذا ابل كثيرة قد اقبلت الى البيت
وقد أقبل شخص فبادرت اليه ومعها ولد تلاعبه فتناوله وجعل يلثمه وأنا اظنه عبدا
لقباحته حتى جلس الى جانبها فقال لها من الضيف قالت أسدي فعلمت انه زوجها
فجعلت أتأمل ما بينهما من المباينة ففطن لذلك فقال كانك تعجب منا قلت أي والله وأي
العجب قال أحدثك بوصولها الى قلت ما أشوقني الى ذلك قال اعلم اني كنت سابع سبعة
اخوة اذا رأيتني ظننتني عبدهم وكانوا يطرحوني للرعي ونحوه فضل لنا بعير فقالوا امض في
طلبه فقلت ما انصفتموني فقال أبي اذهب يا لكع والا جعلته آخر ايامك وتهددني بالضرب
فمضيت وأنا على أسوأ حالة من البرد والجوع فدفعني المساء الى عجوز عليها سمة الخير
والشرف والى جانبها هذه العزبة فجعلت تسخر بي وتقول هل لك اذا نام الناس ان تدخل
علي فاتحدث معك فاني لم أر احسن منك فقلت دعيني من هذا وأقبل أبوها واخوتها سبعة
فناموا بازاء الخيمة فاغراني الشبع والدفء فدخلت الستر فلما شعرت بي قالت من تكون
قلت الضيف قالت أخرج لاحياك الله ولاصيحن فخرجت فزعا فلقاني كلبهم يريدان
يأكلني وأنا أرده بعصاي حتى علق بجبة صوف علي فتجاذبنا حتى سقطت انا واياه في حفرة
لا ماء فيها وكانت الصبية شعرت بذلك فاقبلت حتى اذا بصرت بي قالت وددت والله ان
اجعلها قبرك لولا خشية الضرر ثم ادلت لي حبلا وقالت ارق فحين قاربت فم الحفرة انهارت
من تحت أقدامها فسقطنا جميعا فلما كان الصباح وافتقدوها فلم يجدوها وكان أبوها عارفا
بالقيافة فاقبلوا بالسيوف والاحجار على قتلنا فقال أبوها اني لاعرف من ابنتي مالاريبة فيه
فامسكونا وأخرجونا فاقبل علي أبوها فقال أفيك خير لازوجك بها اتقاء الشهرة فقلت
حين شممت الحياة وهل عندي الا الخير فزوجني بها على خمسين بكرة وأمة وعبدا
فرجعت الى أبي فاخبرته بذلك فاحضرها وأقبلت بها اليهم فأخذوها وبنيت بها وها هي
تسمع ما أقول *(ومن الصنف الثاني)* ماحكي عن علي رضي الله عنه انه كان له مؤذن
شاب وكان عنده جارية وكان اذا رآها المؤذن يقول لها اني أحبك فاخبرت عليا بذلك
فقال لها قولي له وأنا أيضا أحبك فماذا تريد فقالت له ذلك فقال اذا نصبر حتى يوفينا
أجورنا من يوفي الصابرين اجرهم فمضت وأخبرت عليا فدعابه وزوجه منها
(وحكي) عن عبد الله بن جعفر أنه كان يحب جارية له فبلغه انها تهوى عبدا
من عبيده فقال لها في ذلك فقالت أعيذك بالله من هذا فاقسم عليها ان تصدقه
فاطرقت ساكتة فزوجها منه ثم داخله من حبها ما كادان يذهب
عقله فدعا الغلام فقال له هل تنزل عنها بعشرة آلاف درهم فقال ولا بمائة الف فقال

بارك

هو عند النحاة جامل معنى (وقال آخر) قالت صفا الوقت ولكن * الرقيب كالقذى قلت اذا غاب الرقيب أرضني قالت اذا

(وقال آخر)

أحب العذول لتكراره * حديث الحبيب على مسمعي
واهوى الرقيب لان الرقيب * يكون اذا كان حي معي

(وقال أبو جعفر أحمد بن الابار)

زارني خيفة الرقيب مريبا * يتشكى القضيب منه الكثيبا
قال لي ما ترى الرقيب مطلا * قلت ذره أتى الجناب الرحيبا
عاطه اكؤس المدام دراكا * وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينك صرفا * واجعل الكاس منه ثغرا شنيبا
ثم لما ان نام من تنقيه * وتلقى الكرى سميعا مجيبا
قال لابد ان تدب عليه * قلت أبغي رشا وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا واثن عليه * قلت كلا لقد رأيت عجيبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * ودببنا على الرقيب دبيبا
هل رأيتم أو هل سمعتم بصب * نال محبوبه ونال الرقيبا

(قال ابن بسام) لقد تظرف ابن الابار وأبر وأحسن ما شاء وقدر وأظنه لو قدر على ابليس الذي تولى هذا المذهب لدب عليه ولم يخلص من يديه وابن المعتز كنى ولم يصرح حيث قال

فكان ما كان مما لست اذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

(وقال أبو نواس)

اذا هجع النيام خلا عني * وعمن كان يصلح للدبيب
الا التيك ما كان اغتصابا * يمنع الحب أو بخوف الرقيب

(وقال أبو الوليد محمد بن حسان الحنفي) نشر النسيم بعرفكم يتعرف

بارك الله لك فيها فلم يكن الا قليل ومات العبد فاعادها ابن جعفر وقيل انه حين دخل بها أنشد

رضيت بحكم الله فى كل امره * وسلمت امر الله فيه كما مضى
بلانى وأبلانى بحب دنية * وصبرنى حتى انمحى الحب فانقضى
لعمرى ما حبي بحب ملالة * ولا كان حبي زائلا فتنقضا
ولكن حبي معه ذل يزينه * و يعرض احيانا اذا الحب اعرضا

(حكى) الرياشى قال اشترى بصرى جارية على ارفع ما يكون من الجمال والفصاحة فكلف بها وكان مثريا فانفق عليها ما فى يده حتى اذا أملق ولم يبق معه شئ أشارت عليه ببيعها شفقة عليه فلما حضر بها السوق أخذت الى ابن معمر وكان عاملا على البصرة فاشتراها بمائة ألف درهم فلما قبض المال وهم بالانصراف أنشدت

هنيأ لك المال الذى قد حويته * ولم يبق فى كفى غير التذكر
أقول لنفسى وهى فى غشى كربة * أقلى فقد بان الحبيب أو أكثر
اذا لم يكن للامر عندى حيلة * ولم تجدى شيأ سوى الصبر فاصبرى

فاشتد بكاء مولاها وأنشد

فلولا قعود الدهر بى عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاصبرى
اروح بهم فى الفؤاد مبرح * أناجى به قلبا طويل التفكر
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت خذها ولك المال فانصرفا راشدين فوالله لا كنت سببا الفرقة محبين *(وحكى)* عن ابن دأب انه مرض مرضا شديدا وطال به الامر فدعوا له أطباء الروم فعالجوه بضروب من العلاج فلم يؤثر فيه شئ فامروا أهله ان يوكلوا به امرأة تسقيه من الخمر دون السكر لعله يبوح بما عنده فارسل اليه عمه بجارية فلما سقته وغنت عنده أنشد يخاطب الجارية المغنية وحاضنة كانت له يقول

دعونى لما بى وانهضوا فى كلاءة * من الله قد أيقنت ان لست باقيا
واذ قد دناموتى وحانت منيتى * وقد جلت عينى الى الدواهيا
أموت بشوق فى فؤاد مبرح * فياويح نفسى من به مثل ما بيا

فاعلموا عمه بذلك فرحمه و بعث اليه بجارية ظريفة كثيرة الادب فاستخرجت ما عنده بلطف فأخبرها انه رأى جارية أخته فى نومه فعشقها فاصابه هذا الحال فاعلمت أخته فوهبت له الجارية فبرئ من علته *(وحكى رجل)* قال عشق عبد اسود لصديق لى بالمدينة جارية لرجل أيضا وكان يواصلها سرا فلما علم مولاها جاء الى مولى العبد فاخبره بذلك فضرب العبد وسجنه فتوله واطار عقله فدخلت عليه يوما فقلت له ما هذا الحال قد فضحتنا بهذه السوداء فهل عندها ما عندك فبكى وأنشد

كلانا سواء فى الهوى غير أنها * تجلد أحيانا ومابى تجلد
تخاف وعيد الكاشحين وانما * جنونى عليها حين أنهى وأوعد

فخرجت واعلمت مولاه فخلف لا يبيتن حتى يجمع بينهما فاشتراها باثنى عشر دينارا وزوجها منه (وحكى) عن ابن جعفر أيضا انه وجد بجارية عنده اسمها عمارة وجدا شديدا فكان لا يستطيع فراقها سفرا ولا حضرا فقدم على معاوية سنة من السنين لاخذ حقه فزاره يزيد

نمت عليه به الدموع الذرف
لطفت معانيه فهب مع الصبا
ورقيبه بهبوبه لا يعرف
لم يدر زورته الرقيب لانه
أخفى عليه من النسيم وألطف
وكأنما يفد النسيم دياركم
وله على تلك الديار توقف

(قال عروة بن عبد الله) كان عروة بن أذينة الليثى نازلا فى دار أبى العقيق فسمعته ينشد لنفسه

ان التى زعمت فؤادك ملها
خلقت هواك كما خلقت هوى لها
فاذا وجدت لها وساوس سلوة
شفع الضمير الى الفؤاد فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها
بلباقة فادقها وأجلها
لما عرضت مسلما لى حاجة
أخشى صعوبتها وأرجو حلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبى
ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا وقال لعلها معذورة
فى بعض رقبتها فقلت لعلها

فاتانى أبو السائب المخزومى فقلت له بعد الترحيب والبشر ألك حاجة قال نعم أبيات لعروة بلغنى انك سمعته ينشدها فانشدته الابيات فلما بلغت الى قوله فدنا وقال لعلها معذورة طرب وصاح وقال هذا والله الدائم الصبابة الصادق لا كالذى يقول

ان كان أهلك يمنعونك رغبة
عنى فاهلى بى أضن وأرغب

لقد عدا الاعرابى طوره وانى لارجو أن يغفر الله لصاحب هذه الابيات لحسن ظنه بها وطلب العذر لها قال فعرضت عليه الطعام فقال لا والله ما كنت لاخلط بهذه الابيات طعاما حتى الليل وانصرف

(وقال ابن رشيق)

تأذى بلحظى من أحب وقال لى * اخاف من الجلاس ان يفطنوا بنا

فغنت الجارية بحضرته فاخذت بمجامع قلبه وتمكن حبها من نفسه وكان ذا دهاء فكتم أمرها فلما أفضت اليه الخلافة استشار أهل سره فى أمرها وانه لايهنأ له قرار دونها فقالوا له ان ابن جعفر عند الناس بمنزلة وتعرف ما كان عليه مع أبيك ولا نأمن غليك فى ذلك فألزم المهلة واجتهد فى الحيلة فاخذ فى تدبير ذلك حتى ظهر له فاحضر رجلا عراقيا معروفا بالدهاء والحيل وأطلعه على أمره فقال له مكنى مما أريد ولك على ان آتيك بها فقال لك ذلك وسترى منى ما يسرك ثم أعطاه مالا وثيابا وجواهر وخرج العراقى كبعض التجار حتى نزل بساحة عبد الله بن جعفر وبلغه فاحسن ملتقاه وأخذ العراقى فى التودد اليه فارسل اليه بقماش وجواهر وهدايا تزيد على ألف دينار وسأله قبولها فقبلها ونقله الى خواصه فزاد فى الهدايا الى أن صار من ندمائه فاحضر الجارية فلما غنت أعجب بها العراقى حتى قال ما ظننت ان فى الدنيا مثل هذه فقال له كم تساوى عندك قال الخلافة قال عبد الله تقول ذلك لتزين لى شأنها وتطلب بذلك سرورى قال يا سيدى أنا تاجر أجمع الدرهم الى الدرهم ولو بعتنيها بعشرة آلاف دينار لاخذتها قال قد بعتكها قال اشتريت وقام العراقى فرحا بما ظفر به وبات ابن جعفر متفكرا فما أصبح الا وقد جاء العراقى بالمال فقال له ابن جعفر أنا كنت مازحا فقال له يا سيدى أنت تعلم ان المزح فى البيع جد وهذا لا يليق بمثلك وأنت معروف بالكرم والصلاة فكيف ترضى أن يشيع عنك مثل هذا وطال بينهما الكلام الى أن خدعه وخرجها له وهو كالمجنون لا يملك نفسه فرحل بها من يومه وأقام ابن جعفر حزينا باكيا لا يقر له قرار فلما دخل العراقى الشام وجد يزيد قد مات واجتمع بولده معاوية فقص عليه الخبر وكان صالحا فقال له أخرج عنى بها فلا ترينى وجهك فخرج العراقى وكان قد قال للجارية أنا لست من رجالك وانما أخذتك للخليفة فاستترت فلم ير لها وجها فلما قال له معاوية ما قال جاء اليها وقال قد صرت لى ولكن استترى فانى معيدك الى مولاك ثم رحل بها حتى دخل على ابن جعفر فلما تلاقيا أخبره بالقصة وانه لم يكن تاجرا ولكن كان مطلوبه الجارية ليزيد وانه حين رآه قد هلك لم ير نفسه أهلا لها فاعادها اليه ولم ير لها وجها ثم أخذه فسلمها اليه فلما تلاقيا وتعانقا خرا مغشيين ساعة ثم أدخلها ورفع منزلة العراقى حتى صار أعظم الناس عنده ووهب له المال وانصرف وأقاما على ما كانا عليه (وحكى) فى الاغانى عن ابن أبى مليكة عن جده قال كان فى المدينة رجل ناسك كثير العبادة فر يوما بجارية تغنى شعر أعشى بنى قيس وهو

بانت سعاد فأمسى حبلها انقطعا * واحتلت العود فالجدين فالفرعا

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

فهام حتى كاد ان يخرج عقله وذهب اليه عطاء وطاوس يلومانه فى ذلك فأنشد

يلومنى فيك أقوام أجالسهم * فما أبالى أطار اللوم أم وقعا

وسمع ابن جعفر بذلك فاشترى الجارية بأربعين ألف درهم ثم أحضر الناسك وكان الصوت الذى سمعه من الجارية بتلحين عزة الميلاء فاحضرها وقال له تحب ان تسمع الصوت من صاحبته قال نعم فامرها فغنت فسقط مغشيا عليه فقال ابن جعفر قد أثمنا فيه الماء الماء فاتى بالماء فجعل ينضحه حتى أفاق فقال له اسمعه من الجارية قال قد رأيت ما وقع لى منه مع من لا أحبها فكيف منها فقال أتعرفها قال وهل أعرف غيرها فاخرجها له وسلمها اليه وقال هى لك والله ما رأيتها فقبل يديه ورجليه وقال قد أعدت عقلى وأحييت نفسى ودعا له فقال

وقال اذا كررت لحظك دونهم * على فما يخفى دليل مريبنا فقلت بلينا بالرقيب فقال ما * بلينا ولكن الرقيب بلى بنا

(وقال آخر)

ورقيب عدمته من رقيب
أسود الوجه والقفا والصفات
هو كالليل فى الظلام وعندى
هو كالصبح قاطع اللذات

(وسألت) فى وقت صاحبنا الشيخ برهان الدين القيراطى هل تحفظ شيأ مليحا فى هجو الرقيب فسكت لحظة وأنشدنى لنفسه

قال لى صاحب يروم قريضا
فى هجاء الرقيب فهو قبيح
عندكم فى الرقيب شئ مليح
قلت ما فى الرقيب شئ مليح

(وقلت) أنا من قصيدة

فديتك قد غاب الرقيب فغن لى
وقل فى ثقيل نحسه متغيب
رقيب نفى عن أرض ليلى عشية
وأخرج منها خائفا يترقب

(وقلت أيضا)

عاذلى فى الحبيب دعنى فانى
برحت بى فى حبه البرحاء
راقب الله فى محب حبيب
من نجوم السما له رقباء

(وقلت) أيضا من قصيدة

فبت ولى شغل عن العذل شاغل
يذود الكرى عنى من السهد زائد

(وقلت) أيضا من رسالة وأما الرقيب فامره عجيب وغلق الباب فى وجهه نصر من الله وفتح قريب فهو بالنهار من الذين يراؤون وبالليل ابن فاعلة لا ينام ولا يخلى الناس ينامون فاذاه اذا ورد من بعيد أقرب من حبل الوريد والعاشق بينه وبين العذول ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ان قعد قامت القيامة وان راح لا كتب الله عليه سلامة

بم (فصل فى النمام والواشى وما أظرف ما سمعت فى ذلك) * قال لى عودى غداة رأونى * ما الذى تشتهيه واجتهدوا بى

باغلام احمل معه مثل ثمنها مالا وثيابا وطيبا يتطيب به فاخذ ذلك وانصرف (وحكى) انه كان ببغداد رجل من ذوى النعم فعشق قينة على أوفر ما يكون من الجمال والمعرفة بالغناء والضرب فانفق عليها ما معه حتى ضاق حاله فاشار عليه بعض أصدقائه أن يأذن لها فى الغناء عند الناس فانها مطلوبة ويحصل له بذلك الثر وة فغم لذلك وأخبره ان الموت عنده أسهل من ذلك وقالت له الرأى أن تبيعنى فتحصل من ثمنى على غناك أو أكون أنا فى ثروة فانه لا يشترى مثلى الا غنى فحضر بها السوق فاشتراها هاشمى من أهل البصرة بألف وخمسمائة دينار فلما قبض المال وتفارقا صار كل منهما على أقبح حال من البكاء واجتهد فى الاقالة قال فخرجت لا أدرى الى أين أذهب اذ لا يمكننى الدخول الى البيت وقد أوحش منها فدخلت مسجدا فجعلت الكيس تحت رأسى ونمت فما انتبهت الا وشاب قد أخذ الكيس فقمت لاعدو خلفه فاذا رجلى مشدودة فما تخلصت الا وقد ذهب فاشتد ما بى فخرجت فلففت وجهى وألقيت نفسى فى دجلة طالبا ان أغرق فاستنقذنى الحاضرون ظانين انى وقعت غلطا فلما أخبرتهم بقصتى فمنهم من عنف ومنهم من رحم فخلا بى شيخ منهم فوعظنى وقال لست أول من افتقر بعد غنى أما كفاك ذهاب مالك حتى تذهب نفسك وتصير فى النار فسكن ما بى قليلا ثم عاودنى القلق فاخبرت صديقا لى فاعطانى خمسين درهما وأشار على ان أخرج من بغداد فعسى ان أجد من أكتب عنده من الاكابر لحسن خطى فعزمت على واسط لان لى بها صديقا من الكتاب فجئت فرأيت زلالا مهيأ فطلبت النزول معهم فقالوا نحملك بدرهمين ولكن الزلال الهاشمى لا نريد معه غريبا فتزيا بزينا كأنك بعض الملاحين فوقع بقلبى ان الزلال للذى اشترى جاريتى فاتسلى حينئذ بصوتها الى واسط فاشتريت الجبة ولبستها كالملاحين فما وقفت الا وجاريتى قد أقبلت ومولاها فضربت لها ستارة فلما انحدروا وجاء العشاء وأكلوا وشربوا قال للجارية الى كم هذا الحزن والمدافعة عن الغناء أأنت أول من فارقت مولاها وألحوا عليها فاخذت العود وغنت

باب الخليط بمن علمت فادلجوا * عمد القتالك ثم لم يتحرجوا
وغدت كأن على ترائب نحرها * جمر الغضى فى ساعة يتأجج

ثم غلب عليها البكاء ونهضت فانتفضت وصرعت فنضحوا عليها الماء وأذنوا فى أذنها فافاقت ولم يزالوا يتلطفون بها حتى عادت فغنت

فوقفت أنشد بالذين أحبهم * وكأن قلبى بالشفار يقطع
فدخلت دارهم أسائل عنهم * والدار خالية المنازل بلقع

فشهقت فكادت تتلف وصرعت فقالوا كيف حلتم مجنونا اطرحوه فلحقنى أمر عظيم فتصبرت فلما شارف القوم المنزل فى بعض الطريق أوقفوا الزلال وصعدوا يتنزهون وخلا الزلال فعمدت على غفلة الى العود فاصلحته على طريقة معروفة بينى وبينها فلما رجعوا وكان الوقت مقمرا تلطفوا بها وقالوا ترين ما نحن عليه فى هذا الوقت فبالله عليك الا ما انشرحت معنا فأخذت العود فشهقت شهقة منكرة ثم قالت هذا العود على طريقة كان يحبها مولاى ويضرب معى وانه لمعنا فقالوا لها والله لو كان معنا ما امتنعنا عن عشرته ليخف ما بك فقالت هو معنا لا محالة فقالوا للملاحين هل حملتم أحدا وأشفقت أن ينقطع السؤال فقلت أنا يا سيدى فاحضرنى وقال انى والله ما وطئتها وأنا رجل قد وسع الله على ما أخذتها الا

قلت مقلى به لسان وشاة * قطعوه فيه بصنع عجيب
وأضافوا اليه كبد حسود * فغدت فوقها عيون رقيب

وهذا مأخوذ من كلام بعض العشاق وقد قيل له ما الذى تشتهيه فقال أعين الرقباء وألسن الوشاة وأكباد الحساد

وقال الآخر

لى عندكم يوم التواصل دعوة
يا معشر الجلساء والندماء
أشوى قلوب الحاسدين بها وألـ
سنة الوشاة وأعين الرقباء

وقال صلى الله عليه وسلم أبغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وقال صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الاذى منهم رجل يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة

(وقال وضاح اليمنى)

فاعص الوشاة فانما
قول الوشاة هو الفتن
ان الوشاة اذا أتو
ك تنصحوا ونهوك عن

(حكى) انه غنى مغن بحضرة السلطان عماد الدين زنكى صاحب الشام بقول الشاعر

ويلى من المعرض الغضبان اذ نقل الـ
واشى اليه حديثا كله زور
سلمت فازور يثنى قوس حاجبه
كأننى كأس خمر وهو مخمور

فاستحسنهما السلطان وقال لمن هما فقيل لابن منير فامر باحضاره ليتخذه نديما ويحله من حضرته مقاما عظيما

(وقال السرى)

وألقاك بالبشر الجميل مداهنا
فلى منك خل ما علمت مداهن
أنم بما استودعته من زجاجة
يرى الشئ فيها ظاهرا وهو باطن

(وقال شهاب الدين بن الاثير)

انى بحبك مستهام مغرم
وسوى هواك على القلوب محرم
لاتسمعى قول الوشاة فانهم * زادوا الكلام ونقصوه وعموا
فمناى ان ترضى ولو بمنيتى * أيحوا الطلاق ثلاثة لى يلزم

لسماع غنائها فكن معنا الى منزلنا فاعتقها وأزوجك بها ولا أريد منك الا ان تحضرها كل ليلة وراء ستارة فنسمع غناءها وننصرف فقلت كيف أمنع ذلك عنك وأنت سبب حياتي فقال للجارية أرضيت بذلك قالت نعم وشكرته وزاد سرورها فجعلت تغني وأنا أقترح عليها الاصوات فتضاعف سرور الرجل ودمنا على ذلك حتى بلغنا نهر معقل ليلا ونحن ثملون فصعدت حتى ربضت الزلال لقضاء الحاجة فأخذني النوم ولم يدروا بي حتى سافر فأفقت بحر الشمس فلم أجدهم وعدت الى المحنة فجازني سمارية فنزلت معهم الى البصرة فدخلتها لم أعرف بها موضعا ولا أحدا ولم أكن سألت الرجل عن اسمه ولا موضعه فرأيت رجلا من بغداد مارا فقمت لأشكو اليه حالي ففاتني فتبعته حتى عرفت موضعه وجئت الى بقال فأخذت منه ورقة لأكتب حالي الى الرجل فاستحسن البقال خطي واسترشح حالي وسألني عنه فلم أشرح له أكثر من انه لم يبق في يدي شئ فقال هل لك ان تكتب عندي في كل يوم بنصف درهم وما تحتاج اليه فتضبط مالي فأجبته فرأى بعد شهر الزيادة بضبطي وحفظي ما كان يسرق له فزاد في اكرامي فزوجني بعد حول بابنته وأشركني في ماله غير اني في خلال ذلك منكسر النفس حزين القلب فلما كان ذات يوم رأيت الناس مجتازين بأنواع الزينة فسألت عن ذلك فقيل عيد الشعانين للنصارى والناس تخرج للفرجة فوقع في نفسي ان أخرج معهم وان عسى ان أظفر بأصحابي فاستأذنت الرجل فأصلح لي ما احتاج اليه وخرجت فأوصلت الاو الزلال بعينه في أواسط الناس فلم أملك ان طرت اليهم فحين رأوني فرحوا بي وقالوا نحن منذ فقدناك شككنا انك غرقت فخرجت الجارية من ثيابها وكسرت العود وجزت شعرها فلما وصلنا البصرة خيرناها فيما تريد فاختارت لبس السواد وتمثيل قبر تجلس عنده تبكي ثم أخذوني وأدخلوني عليها وهي على تلك الحالة فلما رأتني شهقت شهقة ما شككت في موتها فلما أفاقت قال مولاها قد وهبتها لك قلت لا ولكن اعمل ما تقدم من العتق والتزويج ففعل بالشروط السابقة وأعطاني ثيابا وخمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما كنت أجريه عليك الى اليوم وهو مستمر لك فجئت الى البقال فأعلمته بذلك وطلقت ابنته وأقمت مع الجارية في أحسن حال (وحكي) ان جعفر بن يحيى حين قدم البصرة مع الرشيد قال لاسحق بن ابراهيم قد بلغني ان ههنا جارية لم ير مثلها لكن لا يريها مولاها الا في بيته فاخرج بنا ننظر اليها فخرجنا والنخاس مستخفين حتى طرقنا الباب فخرج شاب متغير اللون في ثوب خشن فأدخلنا دارا خربة ففرش لنا حصيرا وأجلسنا ورحل فخرجت جارية بذلك الثوب الا انها تفوق الشمس حسنا وجمالا فأخذت العود وغنت

ان يمس حبلك بعد طول تواصل * خلقا وبيتك موحشا مهجورا
فلقد أراني والجديد الى البلا * دهرا بوصلك راضيا مسرورا
كنت المنى وأعز من وطئ الحصى * عندي وكنت بذاك منك جديرا

ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء فنهضت الى البيت تعثر القميص فسمعنا لهما بكاء وشهيقا ثم خفيت أصواتهما حتى ظننا انهما قبضا ثم خرج الشاب بالثوب بعينه وقال أشهدكم انها حرة وأريد أن تزوجوني بها ففعلوا وغم جعفر لفواتها وقال له ما حملك على هذا قال حديثي طويل ان شئت حدثتك به قال قل فقال أنا ابن فلان وقد كنا من ذوي النعم وهذا يعرف ذلك وأشار الى النخاس ثم قال وكانت هذه الجارية لأمي فنشأت أنا وإياها فأدخلنا المكتب

لكنها جمعت في نون والقلم

يشير الى قوله تعالى هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم وجاء في التفسير أن الهماز الذي يهمز الناس أي يذكرهم بالمكروه ويأكل لحومهم بالطعن والغيبة وعن الحسن هو الذي يلوي شدقيه في أقفية الناس وقيل الهمزة المؤاخذ بالمواجهة واللمزة بظهر الغيب وقيل بالعكس وقيل الهمزة جهرا واللمزة سرا بالحاجب والعين والنمام ناقل الكلام السيئ وقد أكثرت الشعراء من ذمه وخالفهم ابن رشيق فقال

لم أكره النمام اخواننا
أساء اخواني وما أحسنوا
ان كان نماما فعكوسه
من غير تكذيب لهم مامن

(وقال آخر)

اسمع نصيحة عارف
جمع النصيحة والفقه
اياك واحذر ان تكو
ن من الثقات على ثقه

(وقال آخر)

ومجلس راق من واش يكدره
ومن رقيب له باللوم ايلام
مافيه ساغ سوى الساقي وليس به
بين الندامى سوى الريحان نمام

(وقال آخر)

لا افتضاحي في عوارضه
سبب والناس لوام
كيف يخفى ما أكابده
والذي أهواه نمام

(وقال الشيخ صدر الدين بن الوكيل)

أخفيت حبك عن جميع جوارحي
فوشت عيوني والوشاة عيون
وحسبت ان جوانحي وجوارحي
مثل ترائي وما لهن عيون

فبرعنا في الادب واخرجت هي لتعليم الغنا فلم أطق فراقها فصرت معها فلما برعت فيه طلبت أمي بيعها فأيقنت بالموت فصدقتها الخبر فوهبتها الي وجهزوها الي ودخلت بها بعد ان امتنعت من تزويج بنات الاكابر وأظهرت الزهد والعفة كل ذلك لقصور شهوتي عليها والناس يظنونه عفة فأقمنا في أرغد عيش الى ان مات أبي فلم أحفظ النعمة فأنفقت الاموال وأكثرت من الهبة وأسرفت حتى لم يبق عندي الا هذا الثوب أتناوبه أنا واياها فأشفقت عليها فقلت لها حين دخل الخليفة الرأي اني أبيعك واعلم اني هالك أثر ذلك ولكني اختار ان تعيشي بخير فلما عرضت عليكم ودخلت الي قالت لو كان عندك مني ما عندي منك ماذكرت بيعا فقلت أتحبين ان أعتقك وأتزوج بك وتقيمي معي على هذا الحال فقالت ان كنت صادقا في الحب فافعل فخرجت وفعلت ذلك فعذره جعفر قال اسحق فلما ركبنا قلت له أنت تبذل الاموال وتغني المحاويج أفلا ترق لهذا قال بلى ولكن قد غبت لفوت الجاريه ثم التفت الى النخاس وقال كم صحبت من المال قال ثلثمائة ألف دينار قال ادفعها اليه وأمره ان يأتيني غدا فلما أعطاه النخاس المال وأخبره ان الذي كان عنده جعفر وانه يدعوك اليه كاد ان يطير فرحا وأقبل اليه من الغدو وقد تزين فأخبر به الخليفة فأجرى عليه رزقا وجعله من الكتاب لما رأى عنده من الظرف والادب وأمر كلا من العسكر ان يهاديه ففعلوا وأقام في النعم (وأغرب من ذلك) ما حكى ان أندلسيا كان مغرما بجارية يحبها حبا شديدا وانه أراد بيعها للوحشة فلما حقت الصفقة كاد ان يطير عقله فحكم المشترى في ماله فأبى فتشفع عنده بأكابر بلدته فلم يجب فمضى الى الملك وأخبره بحاله فأحضر المشترى وشفع عنده وبذل له مالا كثيرا فامتنع وادعى محبتها فلما رأى الاندلسي اليأس منها ألقى نفسه من شاهق فأبهت الملك وأمر ان يتلقى فقدر انه لم يصب بشئ وجئ به الى الملك فقال الله أكبر قد ظهر الحكم في ذلك ثم قال للمشترى قد رأيت ما فعل هذا من حبها فان كنت تحبها كما تقول فافعل كفعله فان عشت فأنت أحق بها فقال أفعل ثم هم بذلك ورجع فأمر ان يلقى غصبا فلما حقق ذلك قال أعطيته اياها فأخذت منه وأعيدت الى مالكها (وحكى) ان المأمون افتتن بجارية من جواري أبيه الرشيد وكان يكتم أمره وكانت من خواص الخدمة فبينا هي يوما تصب على يديه وقد التفت اذ أشار لها المأمون بقبلة فغمزته مشيرة بحاجبها الى انها خائفة ففترت في صب الماء ففطن الرشيد فحلف ان لم تخبره ليفتكن بها فأعلمته فنظر الى المأمون وقد كاد ان يقضي من الخوف فضمه وسكن ما به ثم قال له أتحبها قال نعم قال قم فاختل بها في هذه الخلوة ففعل فلما خرج قال له أنشد في هذه فأنشد

ظبي كنيت بطرفي * عن الضمير اليه
قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه
ورد أخبث رد * بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكاني * حتى قدرت عليه

(وحكى) ان ابراهيم بن المهدي زمن اختفائه من المأمون مكث عند عمته علية بنت المنصور وكان عندها جارية قد أحسنت تأديبها وتعليمها حتى صارت من الطف أهل زمنها وكلتها بخدمة ابراهيم فعلقها وزاد به الوجد وهو يكتمه حياء حتى سكر يوما فغنى

ياغزالا لي اليه * شافع من مقلتيه
والذي أجللت خديه * فقبلت يديه

وحاذرت لومي فبادرتني * الى اللوم من قبل ان أبدرك
فكنا كما قيل فيما مضى * خذ اللص من قبل ان يأخذك (ومنهم

أقول هذا لمعتقدنا اذ كر معاتبة الزمن الاماني وبث هوى أرق من النسيم المتوانى نعم في العتاب فوائد جمة وازالة كرب فلا يكن أمركم عليكم غمة وهو على أقسام عتاب هو في تأكيد المودة يحصل الحاصل وعتاب لتكذيب الناقل وعتاب لتمييز الحق من الباطل ومن المعلوم ان للعتاب بين الاحباب أصلا وفصلا وقطعا ووصلا لابد منه ولا غناء عنه اللهم الا عند من لا يراه البته ولا يعاتب الحبيب الا قلته كالبحتري حيث يقول

أعاتب الحب فيما جاء واحدة
ثم السلام عليه لا أعاتبه

وفي أمثال العرب أسوأ الادب كثرة العتاب (وقال الاحنف) العتاب مفتاح التقالي والعتاب خير من الحقد (وقد قال بشار في تقليل العتاب)

اذا كنت في كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
اذا كنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

(وقال سعيد بن حميد الكاتب)

أقلل عتابك فالبقاء قليل
والدهر يعدل مرة ويميل
ولعل أيام الحياة قصيرة
فعلام يكثر عتبنا ويطول

(وقال آخر)

وبعض العتاب اذا ما رقصت
يباعد هجرا ويدني وصالا
فعاتب أخاك ولا تجفه
فان لكل مقام مقالا

(ومن أظرف ما سمعته في من جفا من الاحباب ثم بادر بالعتاب قول بعضهم)

عتبت على ولا ذنب لي
على الذنب فيه ولا شك لك

بأبي وجهك ما أكثر حسادي عليه * أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففطنت للطفها بما أراد فأخبرت مولاتها فوهبتها له فلما رآها مقبلة أعاد الصوت فقبلت رأسه فنهاها فأخبرته أنها له فقرت عينه (وحكى) ان رجلا مكيا كان عنده جارية وكانت على أحسن صورة وألطف هيئة قد كملت فوق حسنها بالبراعة بالغناء والضرب حتى ان الناس كانوا يقصدون الحج لينظروا اليها لانه كان لا يخرجها الا زمن الموسم يطلب فيها الزيادة وانه كان بمكة فتى ناسك قد عرف عند الناس بالعبادة فوقع عنده من حب الجارية ما غير حاله وهيج بلباله وانحل بدنه وأهاج شجنه فكان يقنع في كل سنة بالنظر اليها زمن الموسم ثم يمكث باقي السنة عليلا في بيته فدخل عليه صديق له فعاين من حاله ما حير قلبه وأطار لبه فتلطف به حتى عرف أمره وما هو عليه من أمر الجارية ورغب اليه أن لا يفشي سره فخرج حتى اجتمع بمولاها فحدثه القصة فزينها وخرج بها كيوم الموسم فلما اجتمع الناس قال أشهدكم أني وهبت هذه الجارية لهذا الفتى فقيل له كيف تفعل هذا وقد بذل لك فيها الاموال قال دعوني اني أحييت كل من على الارض لان الله يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (وحكى) عن الحرث بن سليمان قال كنا بمجلس سليمان بن عبد الملك فأتاه سعيد بن خالد فقال له أنا شاك اليك من ظلمني وانتقص حرمتي قال من قال موسى شهوات قال علي به فاحضر فقال له أنت شتمت هذا قال لا وأيد الله أمير المؤمنين انما مدحت ابن عمه فاغتاظ فقال سليمان وعلام مدحته قال موسى يا أمير المؤمنين عشقت جارية حتى كادت نفسي تتلف في حبها ولم أكن أقدر على ثمنها فشكوت حالي الى أصدقائي فلم يجبني أحد فشكوت اليه فاستمهلني ثلاثا وأتيته وهو جالس فقال للغلام عنده أخرج لوديعة فاذا بالجارية فقال هذه طلبتك قلت نعم فقال تسلمها ثم قال للغلام أخرج ما عندي من النفقة فأخرجها فاذا هي مائة دينار فصرها مع طيب في ملحفة ودفع الكل الي فقال سليمان وما قلت فيه فأنشد

أبا خالد أعني سعيد بن خالد * أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد
ولكنني أعني ابن عائشة الذي * أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد
دعوه دعوه انكم قد رقدتم * وما هو عن احسانكم برقود

فأحضر سليمان وقال أحق ما يقول عمك موسى قال قد كان ذلك فقال كم عليك من الديون قال ثلاثون ألفا قال هي لك ومثلها وثلث مثلها قال موسى فلقيته صبيحة اليوم فقلت كم عندك من المال قال والله لم يبق منه شئ قلت ففيم أنفقته قال في تفريج عن صديق واعطاء محتاج وصلة رحم (وحكى) عن الربيع قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول اشتريت جارية وكنت أحبها فاقول لها

ومن السعادة أن تحب * وأن يحبك من تحبه
ومن الشقاوة أن تحب * ولا يحبك من تحبه

(فتقول)

ويصد عنك بوجهه * وتلح أنت فلا تعبه

(وحكى) عن ابراهيم بن ميمون قال حججت فاذا أنا بسوداء قائمة ساهية فانكرت حالها فكثت ساعة ثم أنشدت

ممن يكره العتاب جملة ويقول هو مفتاح الهجر ووسيلة الصدود والقطعية كما قيل

لا تقرعن سماع من * تهوى بتعداد الذنوب
فاذا فعلت فانما * ناقش الاحباب الا * من يعيش بلا حبيب

ومنهم من يراه مولا يأباه كما قيل

تصالح عاشقان على عتاب * فما افترقا الى يوم الحساب
فلا عيش كوصل بعد هجر * ولا شئ ألذ من العتاب
فلا هذا يمل حديث هذا * ولا هذا يمل من الجواب

(وقال آخر)

وأحسن أيام الهوى يومك الذي * تروع بالهجران فيه وبالعتب
إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا * فاين حلاوات الرسائل والكتب

(كتب) الحسن الى غلام كتابا يستعطفه فوقع الغلام في كتابه يزاد هجرا الى يوم القيامة فقال الحسن

كتبت الى الحبيب ببيت شعر * أعاتبه فاغضبه جوابي
أجبني يا ملول على كتابي * فان النفس تسكن بالجواب
فوقع في الكتاب يزاد هجرا * وابعادا الى يوم الحساب

(وذكرت هنا قول ابن رشيق)

وظبي من بني الكتاب يسبي * قلوب العاشقين بمقلتيه
رفعت اليه استقضي رضاه * وأسأله خلاصا من يديه
فوقع قد ردت فؤاده هذا * مسامحة فلا تعدى عليه

(وقال الشيخ العلامة أبو الثناء شهاب الدين محمود مضمنا)

وبتنا على حكم الصبابة مطمعي * زفيري وأحشائي وشربي المدامع
وحبي يعاطيني كؤس ملامة * وينشدني والهم للقلب صادع
أتطمع من ليلى بوصل وانما * تقطع أعناق الرجال المطامع

أعمرو علام تجنبتني * أخذت فؤادي وعذبتني
فلو كنت يا عمرو أخبرتني * أخذت حذاري فما نلتني

فقلت لها أو من عمرو قالت زوجي أو همني انه يحبني حتى تزوجته وعندي من الحب له ما عنده لي فتركني ومضى الى جدة فقلت هل لك أن أجمع بينكما قالت ومن لي بذلك فمضيت حتى وقفت بالساحل فصرت أنادي من يخرج من المركب يا عمرو وكانت قد وصفته لي بانه أحسن ما أرى فاذا أنا بفتى على ما وصفت فانشدته الشعر فقال قد رأيتها قلت فما يمنعك منها قال والله عندي أضعاف ما عندها وانما منعني الاكتساب قلت فكم يكفيك في كل سنة قال ثلثمائة درهم فاعطيته ثلاثة آلاف درهم وقلت هذه بعشر سنين فاذا فنيت أو قاربت فأتني أوجه اليك بمثلها ثم جمعت بينهما فكان أعظم عندي من الحج (وحكي) أن بعض التجار قدم لاصدقائه طعاما وفيه ديكبر بكة وقال ابن الجوزي سكباج وأبى أن يأكل معهم فامتنعوا لأجله فقال كلوا فلولا أذى يلحق منها الا كلت ثم عاود نفسه وقال أتحمل وآكل فلما فرغوا وجيء بالغسول غسل يده أربعين فقالوا له أبك وسواس قال لا ولكن هذا الاذى الذي قلت لكم وله حديث عجيب قالوا وما هو قال أوصاني أبي وكان من ذوي النعم ولا وارث له غيري أن أحسن الانفاق والتكسب وان أسبق الى السوق واتجر فيه فحفظت ما قال فبينا أنا يوما في السوق سحرا وقد عرفني الناس بذلك فكان ربما يأتي ذو حاجة في وقت لا يجد غيري فأقضيها فاكتسبت بذلك مالا وجاها فبينا أنا يوما جالس اذا بامرأة على حمار وخادم يمسكه فنزلت عندي فرحبت بها فرأيت نعمة وشكلا بهرني فقلت ماذا تريدين قالت ثيابا صفتها كذا فقلت أجلسي حتى يتكامل الناس وقد أذهبت عقلي وأطارت لبي فجمعت لها ثيابا بخمسة آلاف درهم فأخذتها وانصرفت ولم تعطني شيأ ولم أطق من دهشتي ان أقول لها في ذلك ووقع عندي أنها محتالة فقلت أبيع ما عندي وأعطي الناس وألزم بيتي فمضى على ذلك أسبوع فبينا أنا جالس اذ أقبلت على العادة فقمت وأجلستها ونسيت ما كان عندي فقالت قد أبطأنا عليك فقلت رفع الله قدرك عن هذا فأخرجت المال جميعه فأعطيته لاربابه مع ما ربحت في ذلك ثم طلبت ثيابا بألف دينار فأخذتها ومضت فعاودني ما مضى فأبطأت فقلت والله هذه حيلة أوفت خمسة آلاف درهم وأخذت ألف دينار ثم طالت غيبتها اشهرا وطالبني الناس فعزمت على بيع عقاري ومالي أو قل بعت وأوفيت واذا هي قد أتت على العادة ونزلت عندي فأنسيت ذلك فأخرجت المال جميعه وطلبت غيره فشاغلتها باحضار التجار فقالت هل لك تزوجة قلت لا والله وطمعت فيها فأخذت خادمها على خلوة وأرغبته في أن يكلمها فضحك وقال هي والله أعشق منك لها فرجعت وكلمتها في ذلك فضحكت وقالت الخادم يأتيك برسالتي ومضت ولم تأخذ شيأ اذ لم يكن بها حاجة من الاصل الا العشق فما كان بعد أيام حتى جاء الخادم فأكرمته وشرح لي انها مملوكة لام المقتدر وقد رغبت في جعلها قهرمانة علما تألفت بك مضت فشكت اليها حبك ورغبت اليها أن تزوجها بك فأبت دون أن تراك وقد أخذوا في حيلة يدخلونك بها اليها فان تمت ثم أمرك وهي أن تجلس الليلة بمسجد كذا فمضيت اليه فلما كان السحر أقبل خدام معهم صناديق فوضعوها واذا أنا بالخادم والجارية فأدخلوني في صندوق منها وجعلوا في الباقي ثيابا وحملوه الى الدار فكلما جاز وابطبقة

قالت هذا أفصح من فيه قطر بحيث ان أعجز وكيف لا وقد زج [illegible] والحق الحبيب [illegible] فأصبح وقد ضاقت عليه الحيلة وشبه تعر محبوبه بأنياب ضئيلة فقابل صفو عتابه بالكدر فيا قلبه القاسي أحديد أنت أم حجر وما أظنه ملأ كؤس هذا الملام الامن ماء ملام أبي تمام حيث تجاوز الحد في الاستعارة وخرج وعلى كتفه من الملام كاره فقال

لا تسقني ماء الملام فانني
صب قد استعذبت ماء بكائي

فهلا تنزه عن الانخراط في هذا السلك واقتدي بقول ابن سنا الملك

وأملي عتاب يستطاب فليتني
أطلت ذنوبي كي يطول عتابه
وفي غزلي ذكر العذيب وبارق
وما هو الا ثغره ورضابه

أو تخلق باخلاق الناس وتأسى بقول أبي فراس

أساء فزادته الاساءة حظوة
حبيب على ما كان منه حبيب
يعد علي الواشيات ذنوبه
ومن أين للوجه المليح ذنوب

على أنه رحمه الله يجوز أن يكون قصد معنى جليل القدر فحينئذ يكون كلامي حديث خرافة يا أم عمرو

وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم

(وقال الآخر)

واذا الحبيب أتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بألف شفيع

(وأحسن منه) قول عتيق بن محمد الوراق

كلما أذنب أبدى وجهه
حجة فهو مليح [illegible]
كيف لا يفرط في اجرامه
من أدلتها من الذنب مخرج

(وقال الحكم بن قنبر المازني)

كأنما الشمس [illegible]

من البوابين يريدون ان يفتشوا ذلك فتمنعهم حتى عارض خادم وقال لابد من تفتيش هذا الصندوق فادركني من الخوف ما انساب معه البول مني فصاحت أفسدت المتاع وكسرت عليه أوانى ماء الورد فقال اذهبي فضوا حتى أخرجوني في خلوة وجعلت تطعمني وتسقيني حتى أتتني يوما فعرضتني على السيدة فرضيتني لها فاحتالت في خروجي وأمرتني بأن أتزين في أحسن زينة الى باب الخلافة ففعلت فأخذوني وأجلسوني في بيت وجعلوا يدخلون ويخرجون ويذكرون ان هذا وقت زفاف فلانة على البزاز ويذكرون صاحبتي ففرحت فرحا أطار عقلي غير أني جعت جوعا أحرق أحشائي واستطعمت الخدام فلم يطعموني لانهم لم يعرفوني حتى جاء خادم يعرفني فشكوت اليه الجوع فقدم لي ديكبريكة فأكلت وغسلت يدي غسلا ظننت معه النقاء فلما خلوت بها رفستني وقالت عجبت كيف تفلح وأنت عامي سفلة وهممت بالخروج فتعلقت بها وأخبرتها القصة ثم قلت يلزمني صوم الابد والحج ماشيا والطلاق والعتاق وصدقة مالي ان لا آكلها بعد اليوم الا وأغسل يدي أربعين مرة فضحكت ودعت بطعام وشراب فأكلنا وشربنا ولما مضى أسبوع أعطتني مالا وأمرتني ان أشتري به دارا فاشتريت وتحولنا وقد صحبت نعمة عظيمة فأقمنا على أحسن حال (وحكى) التنوخي في المستجاد ونقله في نديم المسامرة قال حمل الى المأمون من البصرة عشرة قد رموا بالزندقة فلما اجتمعوا للنزول في السفينة جاء طفيلي فنزل معهم وقال ما أظن هؤلاء اجتمعوا الا لوليمة فلما قيدوا اندم وعلم ان لا خلاص له فحين ضربت أعناقهم وكان المأمون يعرفهم سأل عنه فقالوا لم نعرفه فسأله فقال زوجتي طالق ان كنت أعرفهم أو أحوالهم وانما رأيتهم مجتمعين فظننت انها وليمة فقال المأمون يبلغ التطفل باصحابه الى هذا عزروه وانلا يعود الى مثلها فقال ابن المهدي هبه لي يا أمير المؤمنين وأحدثك عن التطفل بحديث عجيب قال وهبته لك فحدثني قال يا أمير المؤمنين ركبت يوما حتى مررت بموضع فشممت رائحة طعام وأبازير ما شممت مثلها قط ورأيت معصما من الشباك أخذ بقلبي أيضا فاشتهيت ان آكل منه وأخذت في الحيلة اذ لم أكن أعرف أحدا من أهل المكان فجئت الى خياط قريب من المنزل فسألته عن اسم صاحب المكان فقال لي عن اسمه وانه تاجر يحب عشرة مثله فقلت أيشرب الخمر قال نعم وأظن عنده اليوم جماعة من أصحابه فمكثت ساعة فاذا هم مقبلون فقال لي هؤلاء أصحابه فحركت دابتي حتى لحقت بهم فقلت قد أبطأتم وفلان ينتظركم ثم دخلنا وهم يظنون أني من جماعة صاحب المنزل وهو يظن اني معهم فأكرمني كل منهم وقدم الطعام فأكلنا فقلت في نفسي هذا الطعام قد قضيت منه شهوتي وبقي الكف والمعصم ثم رفع الطعام ووضع الشراب وجاءت جارية ومعها عود فغنت

توهمها طرفي فأصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظري أثر

وصافحها كفي فآلم كفها * فمن ضم كفي في أناملها عقر

فهيجت بلابلي وطربت لحسن شعرها ثم غنت أيضا

أشرت اليها هل عرفت مودتي * فردت بطرف العين اني على العهد

فحدت عن الاظهار عمدا لسرها * وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت وطربت وطرب القوم حتى لم تملك نفوسنا ثم غنت أيضا

أليس عجيبا ان بيتا يضمني * واياك لا نخلو ولا نتكلم

في وجهه شافع يمحو اساءته
من القلوب وجيه حيثما شفعا

وهذا مأخوذ من قول أبي نواس في سياقه

وجهي اذا أقبلت يشفع لي
وبلا مطرفك حسن ما خلق

وفيه زيادة بذكر ما خلقها ولكن بيت الحكم أحكم بناء وأعذب ثناء

(وقال أبو فراس)

قل لاحبابنا الجناة علينا
درجونا على احتمال الملال
أحسنوا في فعالكم أو أسيئوا
لا عدمنا على كل حال

(وقال أيضا)

ألا أيها الجاني ونسأله الرضا
ويا أيها المخطي ونحن نتوب
لحا الله من يرعاك في القرب وحده
ومن لا يرد الغيب حين تغيب

(وقال الآخر)

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم
وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

(وقال الآخر)

واذا ما غضبت يوما عليه
لذنوب يطول فيها المقال
عطفتني عواطف الحب حتى
أترضاه كي يزول الملال

(وقال الآخر)

حجتي عليك اذا خلوت كثيرة
واذا حضرت فانني مخصوم
لا أستطيع أقول أنت ظلمتني
والله يعلم انني مظلوم

(وقال الفراء)

لو كان هذا موضع العتب لاشتفى
فؤادي ولكن للعتاب مواضع

(وقال ابن المعتز)

أتقبل معاذير من يأتيك معتذرا
فيما قال أو فجرا فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

سوى أعين تبدي سرائر أنفس * وتقطيع أنفاس على النار تضرم
اشارة أفواه وغمـز حواجب * وتكسير أجفان وكف تسلم

فسدتها على الحذق والاصابة غير انى قلت بقي عليك شئ فرمت العود وقالت كنتم تحضرون فى مجالس كم البغضاء فتمالموا منى فقلت قد فاتنى ما املت ان لم أتلاف قلوبهم فقلت هل عندكم عود فقالوا نعم واحضروه فأحكمت اصلاحه وغنيت

ما للمنازل لا تجيب حزينا * أصممن أم قدم البلاء فبلينا
لا بل بلين فهجن داعسا كنا * لتيم وأثرن منه دفينا
راحوا العشية روحة مذكورة * ان متن متنا أو حيين حيينا

فقبلت عند ذلك يدى وقالت معذرة اليك وزاد القوم فى اكرامى فلما رأيت مزيد بسطهم اندفعت أيضا فغنيت

أفى العدل أن تمسين لا تذكرينني * وقد سجمت عيناى من ذكرك الدما
الى الله أشكو بخلها وسماحتى * لها عسل منى وتبذل علقما
فردى مصاب القلب أنت سلبته * ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما
الى الله أشكو انها أجنبية * وانى لها ما عشت بالود محرما

فرأيت من طرب القوم ما فارقوا به عقولهم فأمسكت عنهم خشية أن يتلفوا ساعة ثم غنيت

هذا محبك مطوى على كمده * وجدا مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده
يا من رأى كلفا فى حبه دنفا * كانت منيته فى عينه ويده

فقالت الجارية هذا والله الغناء لا ما نحن فيه وسكر القوم حتى غابوا الا صاحب المنزل لجودة شربه فأمر بحملهم الى منازلهم وخلا بى فسألنى من أنا فأخذت أورى فأقسم على الا ما عرفته بنفسى وقال وقد ذهب أكثر عمرى هدرا فلم أعرف مثلك فلما عرفته بنفسى وثب قائما وقال لا أقضى ما بقى ليلتى فى خدمتك الا قائما فأقسمت عليه أن أجلس فجلس وأخذ يستخبرنى عن سبب مجيئى فأخبرته بالقصة حتى انتهيت الى انه لم يبق على الا المعصم فقال تناله ان شاء الله تعالى وعرض على جواريه فلم أر الغرض فقال يا سيدى لم يبق عندى الا أمى وأختى فقلت ابدأ بأختك فأتى بها فاذا هى الغرض فقلت ها هى فقال قد والله أقررت عينى ثم دعا بالشهود من ليلته فعقد لى عليها وأدخلنى بها فلما أصبحنا حول معها متاعا لا يوجد مثله الا عندك يا أمير المؤمنين وهذا ولدى فلان منها

(القسم الخامس فى ذكر من وسموا بالفساق من العشاق) وهؤلاء هم الذين وقعوا فى المعاصى أو هموا بها فسموا الفساق لجلالة العشق وعظمته عند أهله فانهم يرون تصور السلو معصية بل تصور خطور غير المحبوب فى الذهن كذلك ولا نعلم أحدا حقق هذا المناط للسالكين وبينه حق البيان للمتمسكين أجل من العارف الجامع لحقائق المعارف سيدى عمر بن الفارض أعاد الله علينا من مدده حيث يقول

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا قضيت بردتى

فان الخطور مجرد جواز الميل على القوى من غير ان يتمسك منه بشئ وهذا عند العقلاء قسرى لعدم احتياجه الى مقدمات والارادة مجرد الميل والخاطر باب الحدس والسهو

فلما أفاق استحيا وانقطع عن الركوب أياما فلما طال عليه ذلك كتب الى المأمون أبياتا منها

وبرا اليه من التمادى فى الباطل
وهذا الحق ليس به خفاء
فدعنى من بنيات الطريق
فقد محض الحق وقرع العتاب
حلقة الباب فقال طق

(وقال الآخر)

وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن
مودته طبعا فصارت تكلفا
وكأنني بمولانا وقد وقف على عتبة
العتاب وقال من دق الباب سمع
الجواب فأجابهم
فان كنتم تلقون فى ذاك كلفة
دعونى أمت وجدا ولا تتكلفوا

(فصل فى العفو والرضا والصفح عما مضى)

جاء عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل انه الرضا بغير عتاب وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم وقال صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من معتذر صادق أو كاذب لم يرد على الحوض

(وقال الشاعر)

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بفضلك عنه
ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنه

(وقال آخر)

ما أحسن العفو من القادر
لا سيما عن غير ذى ناصر
يا غاية القصد وأقصى المنى
وخير مرعى مقلة الناظر
ان كان لى ذنب ولا ذنب لى
فماله غيرك من غافر
أعوذ بالود الذى بيننا
أن تفسد الاول بالآخر

(كان) أبو محمد اليزيدى ينادم المأمون فغلب عليه الشراب ذات ليلة فعربد فأمر المأمون بحمله الى منزله فوقع
أنا المذنب الخطاء والعفو واسع

استيلاء الطبيعة الثانية على المزاج البشرى وهو صفة المخطور قسريه أعضاؤه من ثم لم يحكم الشرع مع غاية شرفه واحتياطه فى الاصلاح على الخارج بشئ رحمة وتخفيفا فقد بان ان الاستاذ يقول ان شرح المحبة مبنى على المراقبة المخالطة للقوى العقلية مخالطة نزل السهو فيها منزلة العمد فكان المحبوب هو قوى المحب التى بها يعقل كما أشار اليه أيضا فى الدلالة على غاية المرتبة بقوله

فلم تهوني مالم تكن فى فانيا * ولم تفن مالم تجتلى فيك صورتى

وهذا القسم هو الباب السادس من الكتاب وهو أصناف

(الصنف الاول فى ذكر من جله هواه على أذية من يهواه وهؤلاء اما نساء أو رجال وكل من القسمين اما بالغ مناه أو مكفوف أذاه)

(فمن الاول ماحكى) عن مرثد انه شغف بمحبة عمرو بن قتة حتى صار يأكل معه ومع زوجته فعلقته المرأة فارسلت اليه على غفلة من مرثد تقول ان عمك يدعوك فجاء فلم يجده فقامت اليه فراودته عن نفسه فابى فقالت لئن لم تفعل ما آمرك لأوذينك فقال ان الاذى ان أفعل ماتحبين وخرج فامرت بجفنة فوضعت على موضع قدمه وكان ملتصق الاصابع فلما جاء مرثد أخبرته ان رجلا من أقرب مايكون اليك ساومنى نفسى فامتنعت فجهد فى ان تخبره فابت وقالت أنا لا أصرح باسمه ولكن هذا قدمه فعرفه وهجره فانشد فى ذلك

لعمرك مانفسى بجد رشيدة * تؤامرنى شرا لاصرم مرثدا

عظيم رماد القدر لامتعبس * ولامؤيس منها اذا هو أخمدا

فقد ظهرت منه بوائق جمة * وأفرع من لومى مرارا وأصعدا

على غير ذنب ان أكون جنيته * سوى قول باغ جاهد فتجهدا

وقيل انه حلف ليضربنه بالسيف فهرب الى الحيرة وأرسل بهذين البيتين

رمتنى بنات الدهر من حيث لاأدرى * فما بال من يرمى وليس برامى

فلو أنها نبل اذا لاتقيتها * ولكنما أرمى بغير سهام

انتهى ماذكره وفى النزهة ان مرثدا أتى يوما من سفره فى الليل وكان الظلام شديدا فسمع زوجته وهى لاتشعر به تقول

لعمرك ان القلب شط به النوى * ولم تسعف الايام للدنف الصب

بليت بمن لم يدر حالى بحبه * الا ان عمرا فى الهوى قاسى القلب

فعلم انها مولعة به وان ذلك كان كيدا منها فقتلها وأرسل اليه فاصلح أمره معه فعلى هذا تكون هذه الحكاية من الرابع (ومن الثانى) قصة سوس المشهورة وللناس فيها كلام كثير غير ان المصنف رحمه الله لشدة معرفته باختلاف الالسن واللغات نقلها من نص الله عز وجل عليها فى التوراة فذكر ان فى سفر دانيال عليه السلام من هذه القصة ماترجمته لما كان فى السنة الثالثة من ملك يهوا كيم ملك يهوذا قدم بختنصر ملك بابل الى أورشليم يعنى بيت المقدس بالعربية وأسلمها الرب فى يده ثم نزلت ببيت صنمه بشنعار وهو موضع مشهور ببيت المقدس ولما استقرت آراؤهم على الشريعة الناموسية الموسوية حكم شخصين قاضيين عرفا بالعبادة والزهد فى بنى اسرائيل فكانا يحكمان فى الشعب ويأويان الى بيت يواكيم وكان له زوجة يقال لها سوسن وكانت فى أرفع رتبة من الجمال والحسن وبهجة المنظر والصلاح لان والديها كانا صديقين فى بنى اسرائيل وكانت فى كل يوم تنزل الى بستانها تمشى للنزهة

فان يكن الذنب عظما عرف العفو
ولا نيما ان كنت عند خليفة

وفى مجلس مالن يجوز بها العفو
فلما قرأها المأمون وقع فى الرقعة
سر الينا فقد عفونا عنك فلا عتب عليك
و ببساط النبيذ نطوى معه أخذه الشاعر
فقال

انما مجلس الشراب بساط
فاذا ماانقضى طويناه بساطه

(وقال ابن سناء الملك)

وأما ذلك الحبيب فانه حضر متفضلا
وجاء منذ للا لامتدللا واستجار بحرم
الحرمه وخفض جناح الذل من الرحمة
واعتذر بان الادلال دلاه بغرور
وأوقعه فى أمور وأخرجه من الظلمات
الى النور فقبل عذره وقبل ثغره
وامتثل أمره وثنى عنان القلب اليه
بحسن تثنيه وأذهب حلاوة جنى ريقه
مرارة تجنيه

واذا الحبيب أتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بالف شفيع

(وقال الآخر)

وزعمت أنى ظالم فهجرتنى
ورميت فى قلبى بسهم نافذ
فنعم ظلمتك فاعذرى وتجاوزى
هذا مقام المستجير العائذ

(وقال ابن زيدون)

يالقرا مطلعه المغرب
قد ضاق فى حبك المذهب
الزمتنى الذنب الذى جئته
صدقت فاصفح انى المذنب
فان من أغرب ماجرى
ان عذابى فيك مستعذب

(وقال آخر)

وماذا بحبته لقولى اعتذار
ولكنى أقول كما تقول
بطيبة قلب عفوك باعتذار
ويكيد ... الجميل

(الباب السادس عشر فى اغاثة العاشق المسكين اذا وصلت العظم السكين)

ورآها القاضيان فوقعت منهما واشتغلا بها عن النظر في الحكومات وكتم كل عن الآخر حتى اذا كان منتصف النهار من يوم شديد الحر قال كل منهما لصاحبه قد اشتد الحر فليذهب كل منا فيستريح وخرجا مضمرين العود رجاء الظفر بالجارية فلما التقيا فحص كل عن عود الآخر فاظهرا ما عندهما من حبها واتفقا عليها وانها دخلت مع جاريتين البستان فعزمت على الحموم وقد استخفيا فارسلت لجاريتين ليأتياها بزيت وغسول فظهرا واغلقا الابواب وقالا لها لئن لم تجيبينا والا قلنا انا وجدنا معك شابا ومن أجل ذلك ارسلت الجاريتين وأنت تعلمين مكاننا من بني اسرائيل قالت سوسن والله لا أغضب الرب أبدا وصرخت فصرخ القاضيان ومضى احدهما ففتح الباب وجاء العبيد فاخبراهم بالقصة فبقوا مبهوتين لانهم لا يعلمون عليها سوءا ثم أتى ابواكم فاعلموه بالامر وانهما لم يقدرا على امساك الشاب فجمع الشعب وتقدم الشيخان فكشفا عن سوسن وقالا نشهد على هذه انها دخلت البستان ومعها جاريتان فارسلتهما واغلقت الابواب فجاء حدث من وراء شجرة فضاجعها فحين رأينا المعصية صحنا فانفلت الشاب فبكت سوسن ورفعت طرفها الى السماء وقالت يا ألله يا دائم يا عالم الخفيات أنت تعلم انهما كذبا على ثم اقاما ها للقتل وكان دانيال عليه السلام شابا عمره ثلاث عشرة سنة فجاء وصاح عليهم ان قفوا فانها بريئة مما رميت به ثم امر بالتفريق بينهما فقال لاحدهما من تحت أي شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة بطم فقال كذبت وهذا ملاك الله شاهد عليك بالكذب ثم اخره وقدم الآخر وقال له من تحت أي شجرة جاء الحدث فقال من تحت شجرة زيت فقال كذبت واقامهما فنشرا ونزلت نار فاحرقتهما وحفظ الله الدم الزكي وعظم أمر دانيال عليه السلام (ومن الرابع ماحكى) في نديم المسامرة انه كان بالبصرة رجل اسمه عباد وكان يدعى بالمخنث لما كان يظهر من التزيي بزي النساء فاجتمع ليلة مع قوم وتذاكروا الشجاعة فقالوا له هازئين به هل تقدر ان تذهب فتدق هذا لوتدا بالضريح الفلاني وكان معروفا بالوحشة بعيدا عن العمارة فمضى حتى صار فيه فحين شرع يدق الوتد سمع صرير سلسلة تدنو كلما دق حتى صار عنده فاذا هو قرد قد ذهب من صاحبه فاخذه وهم ليخرج اذ سمع امرأة تخاطب رجلا فتقول ما الذي صنعت حتى تقتلني فيقول اقتلك وأموت خير من ان تصيري الى زوجك وأموت غما فخرج عباد حينئذ عليهما وصرخ على القرد فتعلق بالرجل فظنهما جنا فرمى السلاح فاخذه عباد وفك المرأة واستخبرها فاخبرته بابيها فعرفه وان هذا ابن عمها كان يهواها فخطبها الى أبيها فابى وهم بتزويجها من غيره وانها خرجت لمفترج فكبسها هذا مع جماعة فتفرق النساء اللواتي كن معها وأخذها هو فصيرها الى هذه الحالة فاخذها عباد الى أهلها وأخبر أصحابه بالقصة فكذبوه فاراهم ذلك فصار يعد من الشجعان (ومن الثالث) ماحكى عن حبوبة بن حباب الطائفي انه حين قتل أبوه رجلا من كلب من نخذورة ووجبت عليه الدية رهنه صغيرا مع أمه وخرج ليجمعها فات فاقاما عندهم وانه كان شابا حسنا جميلا فولع به النساء حتى شاع أمره فطردوه فخوقع بعدما قتل اخا امرأة اشتهر بها الى بلقين فاجاروه ففعل عندهم ما فعل في كلب واشتدوا عليه فجاء الى أمه ليلا فاخفته وأخبرت ظئرها فقالت ادفعيه الى فاخذته فجعلته في متاع لها لم اخرج البيت ومر عدي رئيس بني كلب فقال ما هذا قالت متاعي وانه لي سفر وأريد ان تجيره فقال قد أجرته وحمله الى بيته متوقيا انكره ففتش

اقول هذا باب عقدناه لذكر أكثر الناس فتوة واغزرهم مروءة وأرقهم قلبا وأحسنهم رفقا من أصبح بن الحبيب هجر وهجر وأمسى له بكؤس الحب الف سكر فلا جرم انه اعلن ذوي المحبة ووازن بنفسه من في قلبه من الغرام مثقال حبة فسعى في اصلاح حاله وساواه بنفسه وماله ولله در القائل في هذا المعنى الطائل

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا
أو معينا أو عاذرا أو عذولا

فان كنت خاليا من ذلك كله أعني باطماع كذوب على النوى اذا لم تقاتل باجبان فشجع قلت أولا أقل من ذلك يا ابنة مالك ولله در القائل في ذلك

لو تعلم الناس من شوقي ومن كلفي
ما بت أعلمه اسنعو بعاد

واستشفعوا الى الذي باجمعهم
وجاء عائدهم في زي قواد

(ومن العجب) ما سمعته في اغاثة العاشق والاخذ بثاره ما حكاه الجاحظ قال بلغني ان عاشقا مات بالهند عشقا فبعث ملك الهند الى المعشوق فقتله * وقال الخرائطي كان رجل نخاس عنده جارية لم يكن له مال غيرها وكان يعرضها في المواسم فتغالى الناس فيها حتى بلغت مبلغا كثيرا من المال وهو يطلب الزيادة فعلقها رجل فقير فكاد عقله أن يذهب فلما بلغه ذلك وهبها له فعوتب في ذلك فقال اني سمعت الله يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا أفلا أحيي الناس جميعا (وحكى) الخرائطي انه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية من غلمانه وجواريه متحابين فكتب الغلام اليها يوما

ولقد رأيتك في المنام كأنما
عاطيتني من ريق فيك البارد

وكأن كفك في يدي وكأننا
بتنا جميعا في فراش واحد

فظللت يومي كله متراقدا * لازلت في نومي ولست براقد

(فأجابته الجارية)

فرآه فقال لاحيالك الله وخرج فاقام عنده زمانا فعلق ابنته وطال بينهما الامر فانشد فيها

مازلت أطوي الحي أسمع حسهم * حتى وقفت على ربيبة هودج
فوضعت كفي عند مقطع خصرها * فتنفست صعدا ولما تنهج
وتناولت رأسي لتعلم مسه * بمخضب الاطراف غير مشنج
قالت وعيش أبي وحرمة والدي * لانبهن الحي ان لم تخرج
فخرجت خيفة أهلها فتبسمت * فعلمت ان يمينها لم تحرج

وبلغ عدي بن أوس ذلك فقتله (ومن الثالث) قصة وضاح اليمن المشهورة واسمه اسمعيل أو عبد الله أو عبد الرحمن بن كلال وكان من أمره انه كان يبرقع وجهه خوف الفتنة بحسنه وانه نشأ مع أم البنين بنت عبد العزيز صغيرين فكان لا يصبر احدهما عن الآخر فلما بلغت حجبت فازداد شوقهما فحين أفضت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك وقيل ليزيد والصحيح الاول لما سبق في قصة حبابة وذكر زوجات يزيد حج بها فازداد بوضاح الامر حتى نحل فخرج الى الشام فكان يطوف بالقصر الى ان ظفر بجارية لام البنين فاخبرها بمكانه وانه ابن عم مولاتها فاخبرتها فادخلته في صندوق فكانت اذا أمنت تمكث معه واذا خافت ادخلته الصندوق وجيء للوليد بجوهر نفيس فامر خصيا يحمله اليها فحين دخل الخصي وجد وضاحا فادخلته الصندوق واستوهبها الخادم لؤلؤة فابت فغضب وأخبر الوليد فدخل عليها فازحها واستوهب الصندوق فابت فراجعها فوهبته اياه واحتمله الى مجلسه فلما جاء الليل أمر غلمانه فحفروا الى الماء ثم قال مشافها للصندوق خفية قد بلغنا عنك أمر فان كان صحيحا فقد كفاناك والا فاعلينا في دفن الخشب ورماه ورمى الخصي حيا وقيل ضرب عنقه حين أخبره وأهال التراب ولم يبين لها غيظا وقيل فارقها وانها كانت تأتي المكان فتبكي فوجدت ميتة فيه وقيل انه لم يقتله بذلك وانما شبب بها حين رآها في طريق الحاج فبلغه تشبيبه بها فاستشار فيما يفعل به فقيل له اكرمه كما فعل معاوية بأبي دهبل حين شبب بأخته فأبى الا قتله (ومنه أيضا) سحيم وهو حبشي نشأ في بني الحسحاس وكان أعجميا غليظا ثم تخرج في الشعر وشاع ذكره حتى اشترى لعثمان فقال لا حاجة لي عن اذا شبع شبب بالنساء واذا جاع هجا فرده فاشتراه رجل منهم اسمه أبو معبد فعلق ابنته وانهم خرجوا الى سفر فتشوق أبو معبد الى ابنته فكان يتمثل بهذا البيت

عميرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فاكمل العبد القصيدة بما يزيد على مائة بيت فيها في التشبيب بابنة مولاه

وبتنا وسادانا الى علجانة * وحقف تهاداه الرياح تهاديا
توسدني كفا وتثني بمعصم * علي وتحوي رجلها من ورائيا
وهبت شمال آخر الليل قرة * ولا ثوب الا درعها وردائيا
فما زال ثوبي طيبا من نسيمها * الى الحول حتى أنهج الثوب باليا

فذهب جندل به ليبيعه فانشد

وما كنت أخشى جندلا ان يبيعني * بشيء ولو أمست أنامله صفرا
أخوكم ومولى مالكم وربيبكم * ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا
اشوقا ولما يمض بي غير ليلة * فكيف اذا سار المطي بنا عشرا

وأراك بين خلاخلي ودمالجي
وأراك فوق ترائبي ومجاسدي

فبلغ الخليفة خبرهما فانكحهما وأحسن اليهما على شدة غيرته (وقال) أبو الفرج بن الجوزي سمع المهلب فتى يتغنى في جارية له فقال المهلب

لعمري اني للحبين راحم
واني بر العاشقين حقيق
سأجمع منكم شمل ودمبدد
واني بما قد ترجوان خليق

ثم وهبها له ومعها خمسة آلاف دينار (وروى) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه جاءته جارية تستعدي على رجل من الانصار فقال لها عثمان ما قصتك فقالت يا أمير المؤمنين أحب ابن أخيه فما انفك أراعيه فقال له عثمان اما ان تهبها لابن أخيك أو اعطيك ثمنها من مالي فقال أشهدك يا أمير المؤمنين انها لابن أخي * واتي علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه بغلام من العرب وجد في دار قوم بالليل فقال له ما قصتك فقال لست بسارق ولكني اصدقك

تعلقت في دار الرياحي خودة
يذل لها من حسنها الشمس والبدر
لها في بنات الروم حسن ومنصف
اذا افتخرت بالحسن صدقها الفخر
فلما طرقت الدار من حر مهجة
اتيت وفيها من توقدها جمر
تبادر اهل الدار بي ثم صيحوا
هو اللص محتوما له القتل والاسر

فلما سمع علي شعره رق له وقال للمهلب اسمح له بها وتعوض عنها فقال يا أمير المؤمنين اساله لنعرف نسبه فقال النهاس بن عيينة العجلي فقال خذها فهي لك (وحكى) التميمي في كتابه لمتزايع النفوس ان معاوية بن أبي سفيان اشترى جارية من البحرين فاعجب بها اعجابا شديدا فسمعها يوما تنشد

فرق له فرده ولامه قومه وأرادوا قتل العبد فضن به ثم رفعه الى الحاكم فعزره ثمانين وانصرف فأنشد

أبا معبد بئس العراضة للفتى * ثمانون لم تترك لحلفكم جلدا
كسونى غداة البين سمرا كأنها * شياطين لم تترك قرارا ولا عهدا
فما السجن الا ظل بيت دخلته * وما السوط الا جلدة خالطت جلدا
أبا معبد والله ما حل حبها * ثمانون سوطا بل يزيدها وجدا
فان يقتلونى يقتلوا ابن وليدة * وان يتركونى يتركوا اسدا وردا
غدا يكثر الباكون منا ومنكم * وتزداد دارى من دياركم بعدا

فلما علم مولاه اصراره أحرقه (ومن الاول) المتجردة وهي امرأة المنذر بن ماء السماء وكانت من أعظم نساء العرب جمالا فلما مات عنها أخذها ولده النعمان فكان يجلسها مع نديميه النابغة والمنخل فشغفت بالمنخل وامتزجا فأمر النعمان يوما النابغة أن يصفها فقال

واذا طعنت طعنت في مستهدف * رابى المجسة بالعبير مقرمد
واذا نزعت نزعت من مستحصف * نزع الحزور بالرشاء المحصد

فقال المنخل هذا وصف معاين وحرض النعمان على قتله فهرب وكان عفيفا فلما خرج النعمان الى الصيد رجع بغتة فوجد المتجردة مع المنخل قد ألبسته أحد خلخاليها وشدت رجله الى رجلها فقتله وله فيها

ان كنت عاذلتى فسيرى * نحو العراق ولا تحورى
ولقد دخلت على الفتا * ة الخدر في اليوم المطير
والكاعب الحسناء تر * فل في الدمقس وفي الحرير
فدفعتها فتدافعت * مشى القطاة الى الغدير
ولثمتها فتنفست * كتنفس الظبي البهير
فرنت وقالت هل بجسـ * ـمك يا منخل من فتور
ماشف جسمي غير حبـ * ـك فاهتدى عنى وسيرى
وأحبها وتحبنى * ويحب ناقتها بعيرى
ولقد شربت من المدا * مة بالصغير وبالكبير
فاذا سكرت فاننى * رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فاننى * رب الشويهة والبعير
يا هند هل من نائل * يا هند للعانى الاسير

(ومن الرابع) ما يحكى عن سليمان بن عبد الملك وكان شديد الغيرة انه خرج لغرض ومعه سنان وكان فارسا معروفا بالشجاعة والمحبة لسليمان وكان حسن الغناء وكان يتركه كثيرا لمعرفته بغيرة سليمان فزاره ضيوف فأكرمهم فقالوا يا سنان لم تكرمنا ما لم تسمعنا الغناء وكان قد أخذت منه الخمر فأنشد

محجوبة سمعت صوتى فأرقها * في آخر الليل لما بلها السحر
تثنى على خدها مثنى معصفرة * والحلى منها على لباتها حصر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها لطروف الصوت منحدر

أبياتا منها   وفارقته كالغصن يهتز في الثرى * طريرا وسيما بعد ما طر شاربه   فلما فقالت هو ابن عمي فردها اليه وفي قلبه منها شرر النيران * وذكر الخرائطي أن المهدي خرج الى الحج حتى اذا كان بزبالة وجلس يتغدى اذا شاب بدوى دخل عليه وبكى وقال يا أمير المؤمنين انى عاشق ورفع صوته فقال الحاجب ويحك ما هذا قال انسان يصيح انى عاشق قال أدخلوه فأدخلوه فقال من عشيقتك قال ابنة عمي قال ألها أب قال نعم قال فما لا يزوجك بها قال ههنا شيء يا أمير المؤمنين قال ما هو قال انى هجين والهجين الذى أمه أمة ليست بعربية قال له المهدى فما يكون قال انه عندنا عيب فأرسل في طلب أبيها فأتى به فقال هذا ابن أخيك قال نعم قال فلم لا تزوجه كريمتك فقال له مثل مقالة ابن أخيه وكان من أولاد العباس عنده جماعة فقال هؤلاء كلهم بنو العباس وهم هجن فما الذى يضرهم من ذلك قال هو عندنا عيب فقال له المهدى زوجها اياه على عشرين ألف درهم عشرة آلاف للعيب وعشرة آلاف مهرها قال نعم فحمد الله وأثنى عليه وزوجها اياه وأتى ببدرتين فدفعهما اليه فأنشأ الشاب يقول

أبتعت ظبية بالغلاء وانما
يعطى الغلاء لمثلها أمثالى
وتركت أسواق القباح لاهلها
ان القباح وان رخصن غوالى

وعرض خالد بن الوليد عبد الله القسرى سجنه يوما فكان فيه يزيد بن فلان العجلى فقال له خالد في أى شيء حبست يا يزيد قال تهمة أصلح الله الامير قال أفتعود ان أطلقتك قال نعم أيها الامير وكره أن يعرض بقصته لئلا يفتضح معشوقه فقال خالد أحضروا رجال الحى حتى تقطع يده بحضرتهم وكان ليزيد أخ فكتب شعرا ووجه به الى خالد

أخالد هذا مستهام متيم * رمته لحاظ انه غير سارق
أقر بما لم يأته المرء انه *

فى ليلة النصف مايدرى مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لو خليت لمشت نحوى على قدم * يكاد من رقة للمشى ينفطر

فلما سمع سليمان الصوت خرج فزعا يتفهمه وكانت عنده جارية اسمها عوان وكان يحبها حبا شديدا وهى مشهورة بالجمال فجاء اليها فرآها على صفة الابيات وكانت يقظانة فلما فطنت به قال يا أمير المؤمنين قاتل الله الشاعر حيث قال

ألارب صوت جاءنى من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
قصير نجاد السيف جعد بنانه * الى أمة يدعى معا والى عبد

فسكن ما به وقال قد اعلن صوته قالت صادف منى يا أمير المؤمنين خلف ليقتلنه فارسلت عبدا يحذره وقالت ان لحقته قبل فلك دينه وأنت حر فسبقت رسل سليمان فجاؤا به فنظر اليه مليا ثم قال أنت المجترئ ويلك فقال أنا فارسلك فاستبقنى فقال لا أقتلك ولكن أزيل تفحلك وأمر به فخصى وألقى فى دبر الخصيان قالوا وفى ذلك الوقت بلغ سليمان كثرة المخنثين المغنين بالمدينة فكتب الى عامله أن أحصهم يعنى أضبطهم لننظر فى أمرهم فسبقت نقطة على الحاء فأمر العامل بخصيهم فقال كل عند خصيه كلمة سارت مثلا فقال طويس ماهذا الاختتان أعيد علينا وقال دلال بل هو الختان الاكبر وقال نسيم السحر بالخصى صرت مخنثا حقا وقال نومة الضحى بل صرنا نساء حقا وقال برد الفؤاد استرحنا من حمل ميزاب البول معنا وقال ظل الشجر ما اصنع بسلاح لا يستعمل ويروى أن الذى سمعه سليمان لم يكن سنان الكلبى بل كان سمير الايلى وفى الرواية بدل محجوبة وعادت سمعت وبدل قوله فى ليلة النصف فى ليلة البدر وهو أليق فى هذا المقام لان القمر وان لم ينقص ليلة النصف فهو فى ليلة البدر أبهج ولم يلهج الشعراء الا به وان سليمان قال حين وجع فى خصيه ان الفرس يصهل فتستودق الحجرة والفحل يخطر فتضبع الناقة والتيس ينب فتستحرم العنز والرجل يغنى فتشبق المرأة *(ومن الثانى)* ما حكى انه كان فى بنى اسرائيل رجل صالح يعمل بالمسحاة لفقره وكان عنده امرأة مفرطة فى الجمال وكان اذا قدم قامت لخدمته من فرش وتقديم طعام ونحوه وان عجوزا دخلت عليها فتأملت حسنها وذهبت فوصفتها للملك فعشقها ووعد العجوز بمال كثير على أن تخلصها له فقالت لها كيف تذهبين هذا الجمال مع رجل يعمل بالمسحاة ولو طاوعتينى لزوجتك بالملك وأمرتها أن تعصيه وترجع عن خدمته فجاء فلم تقم اليه على العادة ولم تقدم له شيأ فقال ماهذا يا هناه قالت هو ماتراه فقال أطلقك قالت نعم ففعل وتزوج بها الملك فحين نظر اليها كف ومد يده فشلت فرفع الامر الى نبى ذلك الزمان فجاء الوحى ان يعينى مافعل بصاحب المسحاة وقد ساق هذه الحكاية فى النزهة فى باب من عشق بالسماع وذكر ان المرأة أيضا فلجت وانها ماتت بعد سبعة أيام (ومنه) الزرقاء جارية ابن رامين كانت من المشاهير بالجمال والحسن والغناء وافتتن بها غالب أهل زمانها وكان الناس يقصدونها لسماع صوتها ويبذلون لها مالا خطيرا فاشتد ولوع يزيد بن عون الصيرفى بها فدخل عليها ومعه لؤلؤتان فقال لها قد بذل لى فيهما أربعون ألف درهم فقالت هبهما لى فقال أفعل ان شئت قالت شئت فحلف لا يعطيهما لها الا من فمه الى فمها فغمزت الخادم فخرج وكان يزيد وافقا منكسرا بين يديها يعنى كالمتأدب فجلس معقبا يعنى على رؤس أصابعه وتقدم اليها فأقبلت لثننا ولها فجعل يزوغ بفمه ليستكثر من مقابلتها

ولولا الذى قد خفت من قطع كفه * لالفيت فى أمرله غير ناطق
وإنى القطع خير من فضيحة عاشق
فدابدت الرايات للسبق فى العلا
فأنت ابن عبد الله أول سابق
فلما قرأ خالد الابيات علم صدق قوله ثم احضر أولياء الجارية فقال لزوجوا نزيل فتاتكم فقالوا أما وقد ظهر عليه ما ظهر فلا فقال ان لم تزوجوه طائعين لتزوجونه كارهين فزوجوه ونقد خالد المهر من عنده (وذكر) أحمد بن الفضل الكاتب ان غلاما وجارية كانا فى كتاب فهويها الغلام فلم يزل يتلطف بعلمه حتى صيره قريبا منها فلما كان فى بعض أيامه فى غفلة من الغلمان كتب فى لوح الجارية

ماذا تقولين فيمن شفه سقم
من طول حبك حتى صار حيرانا

فلما قرأته الجارية أغرورقت عيناها بالدموع رحمة له وكتبت تحته

إذا رأينا محبا قد أضربه
طول الصبابة أوليناه احسانا

فجاء المعلم فسمع ذلك منهما فأخذ اللوح وكتب هذين البيتين

صلى العريف ولا تخشين من أحد
أمسى العريف صغير السن ولهانا
أما الفقيه فلا يسطو عليه أذى
فانه قد بلى بالعشق ألوانا

وذكر الخرائطى عن أبى عساف قال مر أبو بكر رضى الله عنه بجارية وهى تقول

وهويته من قبل قطع تمائمى
متماشيا قبل القضيب الناعم

فسألها أحرة أنت أم مملوكة فقالت مملوكة فقال من هواك فتلكأت فأقسم عليها فانشدت

وأنا التى لعب الغرام بقلبها
قتلت بحب محمد بن القاسم

فاشتراها من مولاها وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبى طالب وقال هؤلاء فتن الرجال فكم والله قدمات بهن كريم وعطب بهن سليم ودخلت عزة على أم البنين أخت عمر

فانقضت

فانقضت عليه فأخذتهما وقالت المغلوب فى أسبه عود فقال أما أنا والله لا يزال طيب هذه الرائحة فى أنفى وفى ما حييت ابدا وانها أفضت الى جعفر بن سليمان وأبوه عامل المنصور فدخل على ابنه يعتبه على شرائها واشتغاله بها فى هذه الايام وقد خرج عليهم خارجى فغمز جعفر الخادم فأخرجها اليه فقبلت رأسه واجتليته فرضى ولم يعتب بعدها وان جعفرا قال للزرقاء وما هل تمكن احد من محبيك وما منك بشئ فخشيت ان تكتمه ما عساه ان يكون بلغه فأخبرته بواقعة الصيرفى فاحتال عليه حتى حصل عنده فضربه حتى مات

(ومن الثانى) ما حكى انه كان فى بنى اسرائيل رجل اسمه عبود كلف بابنة عمه حتى كان لا يصبر عنها ساعة فتزوج بها واقاما مدة فماتت فاشتد وجده وطار عقله فمضى الى المسيح عليه السلام وسأله ان يحييها له فقال لا يتيسر الا ان تهبها من عمرك شيأ فقال قد وهبتها نصف عمرى فأحياها له ومضيا وقد لحق عبودا تعب شديد فجلسا بستر بحان فوضع رأسه على ركبتها فنام فمر ملك الناحية فرآها فعلقت بقلبه وهوايضا بقلبها فأعرض عليها ان تكون معه فأجابته فحملها فى قبة وانتبه عبود فلم يجد احدا فقام مرعوبا فوجد قوما من المارة ينعتون حسنها فسألهم فاخبروه بانها مع الملك فلحقها وجعل يذكرها بما صنع وهى ساكتة فقال لها قد كنت مت وسألت المسيح فى احيائك ووهبتك نصف عمرى على ان تكونى معى فحيث لم ترضى فردى على ما وهبتك فقالت قد رددته فما خرجت الكلمة حتى ماتت

(ومن الثالث) ما حكى عن لقمان بن عاد الذى كان يضبط عمره بان يمسك النسر من حين خروجه من البيضة الى ان يموت فيؤتى بالآخر كذلك حتى عاش عمر سبعة كل واحد على ما قيل مائة عام انه كان مغرما بالنساء ومع طول عمره وكثرة تزوجه كان شديد الاحتراس وهن يخنه فتزوج جارية صغيرة وجعلها فى بيت نقره فى جبل لا يصعد عليه الا بالسلاسل وان عمليقا نظرها فوقعت من قلبه فأمر قومه فشدوه فى سيوف حزمة واستودعوها لقمان مدة فوضعها فى بيته فلما خرج تحرك العمليق فخلته الجارية فكان يكون معها الى أن يأتى لقمان فتجعله فى السيوف حتى انقضت المدة وطلبوا سيوفهم فدفعها ثم جلس فنظر الى نخامة فى سقف بيته فسألها عن فعلها قالت انا فامره ا تفعل فقصرت لان النساء لا يقدرن على رفع النخامة الى الاعلى لضعف مزاجهن فقال يا ويلتاه والسيوف دهتنى ثم رمى بالمرأة من أعلى الجبل ونزل فلقيته ابنته فكلمته فضربها بحجر فكسر رأسها فضربت العرب أمرها مثلا لمن يؤخذ بلا ذنب فكان يقول المظلوم منهم ما اذنبت الا ذنب صحر يعنى ابنة لقمان (ومن الثانى) ما حكى ان رجلا عشق ابنة عمه حتى فنى فى حبها فتزوج بها فكان لا يصبر عنها ساعة وكان يجالس الناس فلم يصبر الى انقضاء غرض المجالس حتى يدخل فينظرها ثم يرجع وان ابن عم لها غيرها اكترى دارا الى جانبها وراسلها فوقع حب كل عند الآخر فنزلت اليه ودخل زوجها فلم يجدها وسأل امها فقالت تقضين حاجة فطلبها مكان الحاجة فلم يجدها واذا هى قد أتت من الدار فعزم عليها ان تصدقه أين كانت فقالت اما اذ عزمت على فانى اصدقك وحدثته القصة فرمى عنقها وعنق امها وهرب فكان كثيرا ما يتمثل عند ذكر ذلك بشعر ديك الجن الآتى

* (الصنف الثانى فى ذكر من اشتدت به الغيرة الى ان خامرته الحيرة فجرته الى تهمة محبوبه فآثر قتله على نيل مطلوبه) *

ما كان هذا الدين قال الشنوعدته قبلة ومطلته ثم خرجت منها فقالت الغريمة وعلى اثمها (حدث) محمد بن عبد الله بن أبى مليكة عن أبيه عن جده قال دخل عبد الرحمن بن أبى عمار وهو يومئذ فقيه الحجاز على نخاس يعرض جوارى فعشق منهن واحدة واشتهر بذلك حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فكان جوابه

يلومنى فيك أقوام أجالسهم
فما أبالى أطار اللوم أم وقعا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن همه غيره فبعث الى سيد الجارية فاشتراها منه بأربعين ألف درهم وأمر قيمة جواريه أن تطيبها ففعلت ودخل الناس عليه فقال مالى لا أرى ابن أبى عمار فاخبر انه منقطع فى منزله لفرط ما به فأتاه ابن جعفر فلما رآه أراد أن ينهض فاستجلسه وقال ما فعل حب فلانة فقال هو فى اللحم والدم والعصب والعظام قال أتعرفها ان رأيتها قال أو اعرف غيرها قال فانا قد ضممناها اليك واحدة والله ما نظرت اليها وأمر بها فخرجت فى الحلى والحلل فقال هى هذه قال نعم بأبى أنت وأمى قال فخذ بيدها فقد جعلتها لك أرضيت قال أى والله وفوق الرضا فقال له ابن جعفر لكن والله لا أرضى أن أعطيكها هكذا احمل اليه يا غلام مائة ألف درهم

* (الباب السابع عشر فى ذكر دواء علة الجوى) *

أقول هذا باب عقدناه لذكر دواء الحب الذى أعجز اهل الطب فهم فيه حيارى سكارى وما هم بسكارى على ان الذى اجمعوا عليه واشار واليه اتمالاشتفاء من هذا الداء العضال الا بطيب الوصال مثل غمز النهدين وقرع الشفتين والتصاق البدنين وأين الحبيب ليس له دواء *

(حكى) ان عبدالله بن رغبان الكلبي وقيل عبد السلام المشهور بديك الجن الحمصي كان اديبا حاذقا شاعرا لبيبا كانما تنطق قريحته بالرقة واللطافة والغزل والظرافة الا انه كان من اعظم الفساق بين العشاق واجمعهم للقساوة والاشتياق وانه عشق جارية وغلاما واشتد بهما كلفه وتهالك في حبهما حتى حان تلفه فاشتراهما وكان يجعل الجارية عن يمينه والغلام عن شماله ويجلس للشرب فيلثمها ويشرب من يدها تارة والغلام اخرى ولم يزل كذلك الى ان قام في نفسه من شدة الحب انه سيموت ويصيران الى غيره فذبحهما وحرقهما وعمل من رمادهما برنيتين فكان يشرب فيهما ويقبلهما عند الاشتياق واشعاره في ذلك متظافرة ومن احسن ما كان ينشده عند تقبيل برنية الجارية قوله

يا طلعة طلع الحمام عليها * جنى لها ثمر الردى بيديها
حكمت سيفي في مجال خناقها * ومدامعي تجرى على خديها
رويت من دمها الثرى ولطالما * روى الهوى شفتي من شفتيها
فوحق نعليها الما وطئ الحصى * شئ اعز على من نعليها
ما كان قتليها لانى لم اكن * ابكى اذا سقط الذباب عليها
لكن بخلت على العيون بلحظها * وانفت من نظر العيون اليها

(ومن لطيف شعره ايضا)

جاءت تزور فراشي بعدما قبرت * فظلت ألثم نحرا زانه الجيد
وقلت قرة عيني قد بعثت لنا * فكيف ذا وطريق القبر مسدود
قالت هناك عظامي فيه مودعة * تعيث فيها بنات الارض والدود
وهذه الروح قد جاءتك زائرة * هذا زيارة من في القبر ملحود

(وعند تقبيل برنية الغلام)

اشفقت ان يرد الزمان بغدره * اوابتلى بعد الوصال بهجره
قمر قد استخرجته من دجنه * لبليتي وآثرته من خدره
فقتلته وله على كرامة * فلى الحشا وله الفؤاد باسره
عهدى به ميتا كأحسن نائم * والطرف يصفح دمعتي في نحره
لو كان يدرى الميت ماذا بعده * بالحي منه بكى له في قبره
غصص يكاد تفيض منها نفسه * ويكاد يخرج قلبه من صدره

(ومن لطيف شعره في الدعاء على المحبوب)

كيف الدعاء على من جار أوظلما * ومالكي ظالم في كل ما حكما
لا آخذ الله من اهوى بجفوته * عني ولا اقتص لي منه ولا ظلما

(ومما أرخه الفرس) عن أردشير ملك الطوائف انه لما حضر تر ثار وهي قلعة في برستجار من مدن الشرق استعصم بها ملكها المعروف بالساطرون وطال الامر فصعدت ابنته يوما على القلعة فرأت أردشير فعلقته فرمت اليه بكتاب في نشابة فيه ان أنت شرطت لي ان تتزوجني عرفتك كيف تاخذ القلعة فراجعها في شرطت الك ذلك فدلته فلما اخذ القلعة وتزوج بها ولقامامدة ضجرت ذات ليلة من شئ يؤلمها في الفراش فكشفوا فاذا هي باقة نرجس فتفكر في رقة جلدها فقال لها ما كان يطعمك ابوك قالت الشهد ومخ العظم والزبد

فيها وضع الصدر وعلى الصدور
لباته والنفس بعد مشوقة
اليه وهل بعد العناق تدانى
والثمه كي تزول حرارتي
فيشتد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله
سوى ان ترى الروحان يمتزجان
(وقال الآخر)
شفاء الحب تقبيل وشم
ووضع للبطون على البطون
وزهز تذرف العينان منه
وأخذ بالمناكب والقرون
(وقال آخر)
أسقم قلبي ثم لم يبره
عاقد زناره على خصره
لا تلتقي روحي مع جسمه
حتى أرى صدري على ظهره
(وقال أبو جعفر العدوى)
فسكر الهوى أدوى لعظمي ومفصلي
اذا سكر الندمان من لذة الخمر
وأحسن من قرع المثاني ونقرها
تراجع صوت الثغر يقرع للثغر
(وقال أبو دهقان)
حدثنا عن بعض أشياخه
أبو هلال شيخنا عن شريك
لا يشتفي العاشق مما به
بالشم والتقبيل حتى ينيك
وقال في الاغاني قال أبو العيناء أنشدت
أبا العير قول المأمون
ما الحب الاقبل
وغمز كف أوعضد
من لم يكن ذا حبه
فانما يبغي الولد
ما الحب الا هكذا
ان نكح الحب فسد
فقال كذب المأمون وأكل من خراى
وطين ور جليه البيزابنو أخطأ وأساء
[illegible] لو ان الحب في قلبي * فولو بالاذا فرخ وما ينفعني الحب * اذا لم اكسر البربخ

فقال

فقال اذا كنت غدرت بمن هو عليك بهذه الصفة من الشفقة والدلال فكيف بى واشتد عنده التخيل والغير والحساب فقتلها (وحكى) صاحب محاسن البلدان ونزهة الازمان ان لكل اقليم اختصاصا بصفة وتمييز الحالة تغلب عليه من قبل ما تتغير به الكائنات الفاسدة من العلويات وغيرها ان مصر وضعت فى طالع الجوزاء وهى تعرف عندهم بالتوأمين والعذراء والمؤنثة ومقتضاها الرقة وسرعة التأليف واللطف وعدم الانضباط على حالة وقلة الغيرة وكثرة الغفلة وقد ظهر أثر ذلك فى أفعالهم قال الاترى الى لطف العزيز وتغافله وقد رأى زوجته متهيئة للخلوة من غلق الباب ونحوه ولم يكن عالما بعصمة يوسف عليه السلام ليقال انه استند الى ذلك ومع هذا قال للرجل أعرض عن هذا وقال للمرأة استغفرى لذنبك وعكس ذلك الاقليم الخامس فقد وضع فى طالع المريخ ومقتضاه الغلظة واليبس والقسوة وسفك الدم ألا ترى ان ملكا من ملوك الاندلس كان شديد الكلف بجارية عنده حتى انه كان لا يستطيع عنها صبرا فجلس مع ندمائه يوما وغنت الجارية فاستعاد منها بعض خواصه صوتا فلما انقضى المجلس جىء بطست فوضع بين يدى مستعيد الصوت وقال له الملك أكشفه فاذا فيه رأس مقطوع فقال له استعد الصوت منها فقام مريضا وقد نقل الحكاية أبو حيان فى تفسيره ملخصا

(الصنف الثالث فى ذكر من عانده الزمان فى مطلوبه حتى شورك فى محبوبه فصنع من الحيل ما أفضى الى قتله وقتل من شاركه فى فعله)

حكى لى رجل بحلب سنة ثلاث وستين وتسعمائة ان رجلا موصليا علق امرأة فزاد بها وجده فكان لا يصبر عنها ساعة وتلطف بها حتى فارقت زوجها وتزوج بها وأقاما مدة وجاء يوما فوجدها تأكل فى طعام لم يكن جاء به فسألها عنه فقالت من بعض أهلى فداخله من ذلك شئ وقوى عنده وتجسس عن أمرها فلم يقع على شئ فمضى وركب دواء سميا ثم جاء به اليها فقال احتفظى بهذا فانه باهى فقالت كل منه فأكل ورفعت الباقى ومضى فعالج نفسه من السم وعاودها بعد يوم متمرضا فوجدها والرجل ميتين فخرج وقد انفق عليه الغم وباقى السم فمات من ليلته (ورأيت) فى الشهنامة الفارسية ما ترجمته ان أبرويز أحد ملوك الفرس تزوج امرأة صغيرة بديعة فى الحسن وقد بلغ ثمانين سنة فوجدبها وازداد عشقه لها وهى تظهر حبه وتخفى بغضه وعلقت ولده واشتد ميلها اليه وان الملك دخل فرآهما على الحالة المنكرة فكادت نفسه أن تزهق وعلم انه ان أظهر أنه رآهما أمرت المرأة ولده بقتله فرجع وأخذ فى تدبير الحيلة فاخذ كتابا وسم ورقه وجلده بالذهب ورصعه بالجواهر وأودعه صندوقا وجاء به الى المرأة فقال لها قد علمت ما حوت يدى من الذخائر والنفائس غير انه لم يكن يعدل نفسى الا هذا الصندوق فاحتفظى به وعلم انها ستطلع عليه ولده فلما خلت به أخبرته القصة فقال على بالصندوق فأحضرته ففضه فلم يجد الا الكتاب مطبوقا فحاول فتحه فوجد ورقه متعلقا بعضه ببعض فجعل يبل أصبعه من ريقه ويتصفح الاوراق فلعب السم فيه وعلم بالحيلة فاخذ السيف وخرج فضرب أباه فسقطا ميتين (ووقفت) فى سنة خمس وستين وتسعمائة بمحروسة دمشق على كتاب لم أعرف مؤلفه سماه ضرر الافكار فى التحريض على تزويج الابكار ذكر فيه ما ملخصه ان قدماء الفرس كانوا يمنعون التزوج بالثيب لان حكماءهم يقولون ان المرأة لا تلقى مقاليد طاعتها ولا تصدق لطائف شهوتها ولا

تقول غير هذا وأول يدى فارضيها الثم
قول المأمون ان نكح الحب فسد هذا
على قول من يرى ذلك كما ذكر المرزبانى
ان اعرابيا قال علقت امرأة كنت
آتيها فاخذتها وما جرت بيننا ريبة قط الا
أنى رأيت بياض كفها فى ليلة ظلماء
فوضعت يدى على يديها فقالت مه
لا تفسد ما صلح فانه

ما نكح الحب الا فسد

وحكى عن بعض الادباء انه كان يعشق
جارية فقالت أنت صحيح الحب كامل
الوفاء فقال نعم قالت فامض بنا حيث
شئت فلما حصل فى منزله لم يكن همه الا
أن رفع ساقيها وجعل يجامعها بجميع
جوارحه فقالت له وهى فى القالب

أسرفت فى نيكنا والنيك مصلحة
فارفق بفضلك ان الرفق محمود
فاجابها وهو فى عمله لا يفتر
ولم أنلك نيلك من تبقى مودته
لكن نيكى هذا نيك مجهود

فنفرت من تحته وقالت يا فاسق أراك
على خلاف ما قلت كأنك تجعل جماعى
سببا لذهاب حبك والله لا جمعنى وإياك
سقف بعد هذا أبدا وعلى هذا القول
جماعة أعنى ان الحب اذا نكح فسد
ومنهم من قال لا يستحكم الحب الا بعد
ايقاع الوطء وأنه اذا وقع الوطء ازدادت
المحبة ويسمونه مسمار المحبة كما قيل

لم يصف حب لمعشوقين لم يذقا
وصلا يحل على كل اللذاذات

(وقال هدبة بن الخشرم)

والله ما يشفى الفؤاد الهائما
نفث الرقى وعقدك التمائما
ولا الحديث دون ان تلازما
وتعلق القوائم القوائما

(وقال آخر)

وان لم يطرح الاصلع * فزجيه عن المطبخ ثم قال لى كيف رأيت قلت عجيبا من العجب قال كنت [illegible]

لولا لعيانكة التى * فى نظرة تقضت الوطر انى أريدك للنكاح * ولا أريدك للنظر لو كنت مشتهيا لذا * [illegible]

تمحض حسن مودتها الالمن يفض ختام بكارتها لانه القاطف لزهر محاسنها والمجتلى على أول مطالع بدر مواطنها فان وقع منها لغيره ودفنا در لا يعتد به ونزر لا ينبغي التمسك بسببه ولم تزل هذه الوصايا عندهم محفوظة و بعين الكمال ملحوظة وان ملكا جاوز الستين ولم يرزق ولدا وكان ذا ملك عظيم ومال و رزق جسيم فكان يتأسف على خروج ذلك منه وانتقاله عنه فجمع أهل التنجيم والخطوط وأمرهم بالنظر في ذلك فرأوا انه ان تزوج من الحبشة رزق ولدا يكون له الملك فأرسل فجيء له ببنت فاختار والها طالعا يبني بها فيه ووافقها فحملت و جاءت بذكر صحيح سوى حسن الخلقة فأولم الملك أربعين صباحا ونشأ الولد فحفظ الادب والحكمة وان أباه طلب تزويجه ونادى بعرض البنات عليه فوقع اختياره على واحدة ليست بالشريفة المناسبة للملك فأراد وا تحويله عنها فأبى فزوجه بها على غضاضة في نفسه ودخل فوجدها ثيبا فكتم أباه ذلك لشدة عشقه وشغفه بها وان أمه ودهاة النساء من خدمتها جعلن ينظرن في حب كل منهما لصاحبه فيجدنه أعظم حب الها منها له فكن يخبرن الملك فيقول ان صدق الحدس فانها ثيب ولا يستطيع أحد أن يكلمه في أمرها فلما أفضى الملك اليه بعد والده دخل يوم فوجدها كالتي فرغت من الجماع وكان له مدة لم يتغشاها وكان اذا جامعها تدوم حمرة وجهها مصفرة يوما وهذه والتي تغيب حال الفعل تسمى الربوخ فسألها عن العلة فأجابت انها تشكو صداعا وكان عارفا بالطب فلم يرض بذلك ولكن كره أن يغضبها فأمسك وتتكرر منه رؤيتها كذلك وكان قد برع في الدهاء فصنع قارورة طيب نفيسة وأتى بها الى بيتها فوضعها في صندوق محرز في خزانة سره وأخذ مفتاحها وجعل كلما جامعها أخرج من الطيب ودهن مذاكيره وسرته وأمرها فتدهن فرجها وأخبرها ان ذلك ذخيرة لم يظفر بها سواه وانه يقوى الاعضاء ويعين على الفعل ويحفظ الصحة والصبا والقوة وخرج عنها فخاء صاحبها فكانت تطيبه من الطيب الى ان علم ثبوت ذلك عندها فجاء بسم قاتل لوقته فأوهمها الاخذ من الدهن ووضع ذلك فيه واعلمها انه خارج في شغل يقيم فيه سبعة أيام وخرج بعسكره من البلد ثم عاد من الغد على غفلة مستخفيا فدخل عليها فوجدها والرجل فيهما رمق الحياة فرمى عنقهما وسأل عن الرجل فاذا هو جارها نشأ معها صغيرا فعلم انه الذي أزال بكارتها ثم أقام مدة فكان يعاوده من حبها وهو على سريره ملكه ما يذهب عقله فيقوم الى الخلوة ويذكر عشقها المسوقة عليه وايثارها الارذال فيسكن ما به ويعود فلم يزل أياما على ذلك حتى غلب الحب على التناسي فمات *(الصنف الرابع في ذكر من عوقب بالفسق ولم يشتهر بالعشق)* قد خلط المصنف هؤلاء بالعشاق وعقد للكل بابا عقوبة الفساق وأهل العشق الصحيح برئون من الاثم خارجون عن التسمية بهذا الاسم * فمن أهل هذا الصنف ما حكي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه آلى ان لا يهدر دم مسلم فأتي يوما بشاب أمرد مقتول فعرف المكان الذي وجد فيه واستكتم من جاء به أمره وقال أرجو ان لا يفوتني فلما كان بعد حول رأى طفلا ملقى في موضع الشاب فقال قد أدركت ما أطلب وأخذه فسلمه الى من ترضعه وأجرى عليها ما تحتاج اليه وقال لها اذا رأيت امرأة تقبله وتضمه فاعلميني فجاءت جارية يوما الى المرأة فقالت ان سيدتي تطلب الغلام ساعة فمضت به اليها فرشفته وضمته ثم دفعته الى المرأة فجاءت الى عمر فاعلمته بذلك فأخذ سيفه ومضى الى الباب فاذا أبوها شيخ

قال زهير بن مسكين يهوى جارية واستهام بها فلما أمكنته من نفسها لم تر عنده ما يرضيها فذهبت ولم ترجع اليه بعد فقال فيها اشعارا كثيرة منها

تقول وقد قبلتها ألف قبلة
كفاك أما شيء لديك سوى القبل
فقلت لها حب على القلب حفظه
وطول سهاد تستفيض له المقل
فقالت وأيم الله ان التقى
من الحب في قلب يخالفه العمل

(واما نكاح الطيف) فاختلفوا فيه فذهب أبو تمام الطائي الى انه لا يفسد الحب بخلاف نكاح الحقيقة وخالفه في ذلك جماعة ومنهم من اذا أفضى الى معشوقه اقتصر على الرشف والشم والعناق دون تعرض لنكاح والمانع له من ذلك أمران احدهما التورع وعفة النفس وخوف الوقوع في الكبيرة اذا كان محبوبه ممن لا يجوز له نكاحه كما قيل

ولربّ لذة ليلة قد نلتها
وحرامها بحلالها مدفوع

(وقال آخر)

أنا ذنون لصب في زيارتكم
فعندكم شهوات القلب والبصر
لا يضمر السوء ان طال الوقوف به
عف الضمير ولكن فاسق النظر

(وقال آخر)

خود حرائر ما هممن بريبة
كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الحديث زوانيا
ويصدهن عن الخنا الاسلام

وسيأتي ما ورد في هذا المعنى في باب العفاف والثاني ما قاله العلماء في أسباب البله وهو ان شهوة القلب ممتزجة بلذة العين وحب النفس معقود باختيار الطبائع الان يكون الحب تكلفا لاستفراغ ماء الشهوة فيصير الحرص على الجماع على قدر الهوى والهوى على تقليل القريبة فهن وافقت عينه قلبه ونفسه طباعه من محبوبه لكن حبه ولم تقعت عنه شهوة الجماع فوقع فيها

من

من الانصار قد كبر فقال أين ابنتك فقال بالبيت فقال كيف سيرتها فقال على أحسن حال من طاعة الله ورسوله والقيام بحق فقال مكانك حتى أدخل عليها وأعظها فقال أفعل فاستأذن عليها فحين صار عندها قال أصدقيني مافعلت والا رميت عنقك فقالت يا أمير المؤمنين انى والله محدثتك بما كان لا أكذبك شيأ اعلم ان عجوزا كانت تدخل على من الصغر وتخدمنى الى أن صرت كما ترى وأنا أظنها صالحة فقالت لى يوما قد عزمت على مكة وعندى ابنتى ولا آمن أن أتركها فى البيت فأريد أن أجعلها عندك حتى أعود فقلت كرامة فمضت وأحضرت شخصا مؤزرا مبرقعا فلما كان الليل وغت آمنة وثب على صدرى فنال منى فعمدت الى شفرة بالقرب منى ففجرت بها بطنه وجعلناه حيث رأيت فبعد مدة رأيت انى حامل فلما وضعت جعلته مكانه فدعا لها وجزاها خيرا وأوصى أباها بها

(ومنهم اعرابى من أسد) خرج لحاجة فنزل على باهلة عند امرأة تفقد مثله ما يحتاج اليه فلما لم ير عندها أحدا سامها نفسها فقالت على رسلك لا اصلح من شأنى وغابت ثم جاءت وقد أخفت مدية فوثب ليعانقها فضربته بها فى نحره فخر ميتا وسقطت حين رأت الدم وجاء بعض أهلها وهى على تلك الحالة فأجلسها حتى سكن ما بها وحدثته القصة فشاعت حتى قال فيها شاعرهم قيل جعفر بن علية وقيل صيفى بن سعيد الباهلى وقيل غيرهما هذه الابيات

لعمرى لقد أخفت معاداة ضيفها * وسوت عليه مهده ثم برت
فلما بغاها نفسها غضبت لها * عروق غث وسط الثرى فاستقرت
وشدت على ذى مدية الكف معصما * وضيئا وعزت نفسها فاستمرت
فأمت بها فى نحره وهو يبتغى الـنكاح ومرت فى حشاه وجرت
فنع كأن الغيل فى جوف صدره * وأدركها ضعف النساء فخرت

ويقرب منه ما حكى أن رجلا أضاف بنى هذيل فحين خرج عن البيوت رأى جارية منهم فراودها عن نفسها فتعاسفا فأخذت حجرا فضربته به فقضت كبده وبلغ عمر فقال هو قتيل لا يودى * وغزا رجل فخرج جاره فرأى فى بيته مصباحا وانصت فسمع قائلا يقول

وأشعث غره الاسلام منى * خلوت بعرسه ليل التمام
أبيت على ترائبها ويضحى * على جرداء لاحقة الحزام
كان مواضع الربلات منها * فئام ينتمين الى فئام

فدخل فقتله وكان فى عهد عمر أيضا فلما صبح أعلمه فنشد عمر عن سيرة الرجل فلم يقل الاخيرا فقال له اقتله فقال قد فعلت فجزاه خيرا واقتدى به فى عدم ايذاء الفاسق عبد الملك ابن مروان وقد حمل اليه رجل راود امرأة عن نفسها فاغلقت بينها وبينه فادخل رأسه فشدخته وقال لا يودى واما مصعب بن الزبير فأخذ بيه رجل وجده رجل مع زوجته فقتله *(ومنهم ما حكى عن عبد الله بن سبرة)* ان امرأة مغيبة يعنى غاب عنها زوجها ارسلت اليه فلما جاء أخبرته أن رجلا يسومها نفسها فقال ابعثى اليه واختفى فلما جاء قام فقتله وأمر الجارية فحفرت حفرة وألقاه فيها وقتل الجارية وجعلها معه وأعطى المرأة سبعين دينارا وقال اشترى بها خادما وقال * وكل حديث جاوز اثنين شائع * وكان عبد الله هذا من أعظم الناس مروأة حتى قيل ان شاميا اسمه فيروز خرج الى العرب يبيع العطر فوضع يده على عجيزة امرأة فقالت يا عبد الله بن سبرة وبلغه فخرج من أذربيجان فى طلب العطار الى

تكره المرأة من الرجل كما قيل
زارت حبى سعاد بلا جماع * فقالت حبلنا حبل انقطاع
الا فليبعد لمن لا كمثر * رأى المشوق كالشىء المضاع

وزعم بعضهم ان من جملة ما يتداوى به من لم يفز بالظفر السفر كما قال بعضهم

اذا ما شئت أن تسلو حبيبا * فاكثر دونه عدد الليالى

(وقال الآخر)

وقد زعموا ان المحب اذا دنا * يمل وان النأى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذى ود

(وقال الآخر)

وقالوا دواء الحب حب يزيله * لآخر أو طول التمادى على الهجر

(وقال آخر)

تداويت من ليلى بليلى من الهوى * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وذكر الحافظ أبو عبد الله البخارى فى تاريخه باسناده ان محمد بن داود صنع خاتما ونقش عليه سطرين الاول وما وجدنا لاكثرهم من عهد الثانى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان اذا رأى رجلا يلح بالنظر الى الاحداث قال له اقرأ ما على الخاتم فلعله ينتهى عن ذلك والله أعلم * وقال شمس الدين بن الاكفانى فى كتابه غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ما نصه اذا شرب العاشق طبيخ الحرمل سلا العشق وكذلك النيلج المندى اذا شرب العاشق منه أربع شعيرات بالماء قبل أن يتمكن منه العشق سلا وكذلك الحجر الموجود بعض الاوقات فى أجواف الدجاج اذا رمى فى ماء وشربه العاشق سلا وكذلك ان علق عليه أيضا وكذلك حجر السلوان يحكه باللبن ومن علق عليه حجر القلق وهو عاشق سلا وان كان حزينا زال الحزن ومن كان عاشقا لذكر وعمر غ فى متاع بغلين زال عشقه انتهى (تنبيه) التداوى بالجماع لا ينبغى

الشام حتى قتله

(ومنهم ما حكي عن جويرية بن أسماء عن عمه) قال خرجنا نريد الحج فبتنا ليلة بالقرب منا امرأة فلما أصبحنا اذا حية قد التفت على عنقها فخفنا من ذلك فلم تزل الى ان دخلنا الحرم فانسابت فلما قضينا المناسك سمعنا الغريض يقول لامرأة أي شقية أين حيتك فقالت في النار فقال ستعلمين من في النار فلما أردنا الخروج عزمت على صديق لي وبينه وبين الغريض صداقة ان يمضي بنا اليه لنسمع من غنائه فلما سرنا عنده أكرمنا وسأله صاحبي الغناء فغنى

مرضت فلم تحفل علي جنوب * وأدنيت والممشى الي قريب
فلا يبعد الله الشباب وقولنا * اذا ما صبونا صبوة سنتوب

واستعدناه الصوت فغنى قول المجنون عفا الله عن ليلى الابيات السابقة فتخيلنا ان الجبال ترقص طربا ثم استزدناه عند الوداع فغنى أبيات أبي الاسود الدؤلي التي أوصى بها ابنته عند الزفاف

خذي العفو مني تستديمي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
فاني رأيت الحب في الصدر والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فلما رجعنا اذا بالمرأة وقد جاءت الحية حيث انسابت فانطوت عليها وصفرت واذا بالوادي كله حيات فاقبلن ينهشنها حتى ماتت فسألت جاريتها فقالت بغت ثلاث مرات كل مرة تلد ولدا فتحرقه

(القسم السادس في ذكر من حل عقد المحبة وخالف سنن الاحبة)

وهو بالنسبة الى من استدرك الغلط واستقال ما فرط والى من تمادى على نقض العهد واخلاف الوعد ينحصر في صنفين أردفهما بثالث من هذا الكتاب اذ لم يكن مناسبا للباب قد سبق لك في الخطبة ان المؤلف رحمه الله قد أكثر في كتابه من التخليط في تبويبه وذكر غير المناسب لطول به ولكن لعمري لم يقع له بهذه الاوصاف أكثر من الباب السابع حيث ترجمه بمن استخفه الملل والضجر لطول الزمان فغدر المحبوب وهجر فان الواقف على هذه الترجمة يفهم منها انه يذكر متحابين نكث أحدهما عهد الآخر ثم اما عاد واما دام ولم يذكر من ذلك الا قصة كثير التي ترجم لها في الباب بمن تاب عن عقوقه ورجع الى معشوقه فمات في نادي الهوى وسوقه وها أنا أذكر ما وقع لي من ذلك على الشرط المتقدم ان شاء الله تعالى

(الصنف الاول في ذكر من تاب عن الخلاف ورجع الى حسن الائتلاف وكان محبوبه في الوجود فتراضيا على ضم شمل العهود)

حكى المسعودي في جزء لطيف سماه اقتداح زناد الاشواق واسترجاع شوارد العشاق ان المجنون أخبر بعد توحشه بزواج ليلى فجاء ولبس أثوابه وأقام مدة يظهر انحلال العشق وانه لم يبق له فيها أرب لما كان قد عاهدها انها تدوم معه على المحبة ولا تنقض عهد الصحبة فبينما هو ليلة نائم اذ رآها باكية فدنا منها فولت وجهها وقالت أي غادر لو ملكت أمري ما تملكه أنت من أمرك ما فعلت وايم الله اني لم أكن معه الا كمفترش النار في الهواجر أو متوسد السعدان عاريا فانتبه مرعوبا باكيا ثم نزع ما عليه وعاد الى التوحش * وفيه أيضا ان قيس ابن ذريح حين تزوجت لبنى خرج متصفحا أحياء العرب حتى ظفر بامرأة اسمها لبنى فتزوج بها وقال عشق بعشق وامرأة بامرأة وأقام معها والصحيح ان ذلك لم يكن باختياره

الشرح فنونه ما اذا كان المحبوب عن لا يجوز نكاحه وأما التداوي بالضم والقبلة فان تحقق الشفاء به كان نظير التداوي بالخمر عند من يبيحه بل هذا أسهل من ذلك فان شربه من الكبائر وهذا الفعل من الصغائر (شربة) تستعمل البوس والعناق والشفاه الرقاق في قاعة وايوان وبركة وشاذروان وطعام سبعة ألوان وبنفسج ونرجس وآس ومنثور وورد وريحان ودنان خندريس وألف دينار في كيس وجارية من بني الاتراك بساق سمين وطرف كحيل تستعمل هذه الحوائج على نطع أحمر ذي نقش أخضر وبعد هذا يدخل الحمام فانه مجرب والسلام *(شربة أخرى)* يؤخذ ثلاث مثاقيل من صافي وصال الحبيب ومثقال من ميدان الجفاء وخوف الرقيب وثلاث مثاقيل من نوى الاجتماع منقاة من غلت الهجر والانقطاع وأوقية من خالص الود والكتمان منزوعة من ميدان الصد والهجران ويؤخذ عطر النحور ولثم الثغور وضم الخصور من كل واحد مثقالان ويؤخذ مائة بوسة رمانية محكوكة مرضوضة منها خمسون صغارا سكرية وثلاثون زرق الحمام وعشرون عصافيرية ويؤخذ غنج حلبي وشخير عراقي من كل واحد مثقالان ويؤخذ أوقيتان من مص اللسان ولثم الفم مع الشفتين ويدق الجميع ويخلط ويذر على وزن ثلاثة دراهم غلمة مصرية ويضاف اليها حسن الاعكان المطوية ويغلى الجميع بماء المحبة على شراب الانس وخطب الطرب في مرحل العجلة ويصفى الجميع على مقعد دمشقي سلطاني ويحل فيه أوقيتان من شراب الرضاب ويشرب على الريق ثلاثة أيام ويكون الغذاء مزورة من يقطين الاشتياق يضاف اليها قلب لوز العناق وماء ليمون الاتفاق ويتناول بعد ذلك ثلاثة أرطال من المدام ويتبع برطلين من

وانما وقع بجميله ولم يقم معها وقد بسطت الخبر في قصته * وفيه ونقله المصنف هنا ان عزة ارادت ان تعلم ما لها عند كثير فتنكرت له ومرت به متعرضة فقام اليها وكلمها فقالت أين حبك عزة فقال جعلت فداك لو أنها أمة لي لوهبتها لك قالت لا تفعل فقد بلغني انها لك مخاصة وفي المحبة صادقة فقال دعيني منها فهل لك في المخالاة قالت وكيف تصنع بما قلت فيها قال أديره فيك ثم أنشد يقول

ماوصل عزة الا وصل غانية * في وصل غانية عن وصلها خلف

فكشفت عن وجهها فبهت فقالت الى هنا يافاسق فهلا كنت مثل جميل حيث يقول

لحا الله من لا ينفع الوعد عنده * ومن حبله ان مد غير متين

ومن هو ذو وجهين ليس بدائم * على العهد خلاف بكل يمين

ثم لم يزل يعتذر و ينتصل الى أن قبلته ولا مناقضة بين هذا و بين ما تقدم من انه أنث من جميل لقوله هنيئا مريئا البيت وقول جميل رمى الله في عيني بثينة الابيات لان تلك أدل على الاشفق وهذه على الاعشق وامناقصة ذي الرمة حيث عابت عليه المرأة تشبيهه محبوبته بالعنز في الابيات التي منها

أياظبية الوعساء بين جلاجل * و بين النقا أأنت أم أم سالم

فتنصل واعترف حتى وهبها الراحلة فاعادتها وصفحت فليس من هذا القبيل اذ ليس بنقض عهد وانما هو غفلة عن مقام الحبيب المحبوب فاداه التوغل في التشبيب ونظيرها ماسبق في قصة كثير من اعتراض العجوز عليه في قوله فاروضة بالحزن البيتين واما من رجع نادما على الهفوات فوجد الحبيب قد فات فرعته الغصص من ذلك كأس الممات فقليل * (ومنهم ماحكاه في النزهة ونقله هنا مجهولا) * ان كعب بن مسعدة الغفاري قال خرجت أنا ومالك بن غفيلة العذري نمشي في القمر اذا بنسوة تقول احداهن أي والله هو ثم قربن منا فقالت احداهن قل لصاحبك

ليست لياليك في خاج بعائدة * كما عهدت ولا أيام ذي سلم

فقلت قد سمعت فاجب قال قد انقطعت فاجب أنت فقلت ولم يحضرني غيره

فقلت لها ياعز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وانصرفنا فاستقريت الاوجارية تقول أجب المرأة التي كلمتك فلما صرت اليها قالت انت المحب قلت نعم قالت فما أقصى جوابك قلت لم يحضر في غيره فقالت لم يخلق الله أحب الى من الذي كان معك فقلت على ان أحضره اليك فقالت هيهات فضمنته في الليلة القابلة ورجعت فرأيته في منزلي فاخبرني بالقصة كالمكاشف فقلت له قد ضمنت لها حضورك الليلة القابلة فلما كان الوقت مضينا فاذا بالمجلس قد طيب وفرش فجلسنا فتعاتبا فانشدته أبيات أميمة امرأة ابن الدمينة

وانت الذي أخلفتني ماوعدتني * وأشمت بي من كان فيك يلوم

وأبرزتني للناس ثم تركتني * لهم غرضا أرمى وانت سليم

فلو كان قول يكلم الجسم قد بدا * بجسمي من قول الوشاة كلوم

(فأجابها) غدرت ولم اغدر وخنت ولم أخن * وفي بعض هذا للمحب عزاء

جزيتك ضعف الود ثم صرمتني * فحبك في قلبي الى اذاه

وهو ماحكاه أرباب الرياض في الاعداد المتحابة وذلك أن في الاعداد أربعة وثمانين ومائتين وتسمى العدد الطبيعي وصورته بالقلم الطبيعي هذه ٢٨٤ مامأ وحروف نطقه دفر وفي الاعداد عدد يقال له المحبوب وهو مائتان وعشرون وصورته بالقلم الطبيعي هذه مامأ وحروف نطقه كر فعدد عشرين ومائتين يحبه أبدا عدد أربعة وثمانين ومائتين فاذا كان عند انسان خاتم أو لوح فضة أو ما أمكن من المعادن يكون وزنه ٢٢٠ وعند انسان خاتم ثان أو لوح زنته زنة الثاني من العددين فان الذي عنده أربعة وثمانون ومائتان يحب الذي عنده عدد عشرين ومائتين فان أردت الاستعطاف وجذب القلوب وأخذ النفوس فاكتب في رقعة صورة الاعداد الاربعة وثمانين ومائتين بالقلم الطبيعي المتقدم صفته واكتب في رقعة أخرى صورة الاعداد المائتين وعشرين وأمسك الرقعتين بين الذين قد تباغضا فانهما يتحابان وما يكون بينهما شر امادامت الرقعتان معهما فان لم يكن ذلك فالق الرقعتين في حق نظيف واكتب اسم كل واحد منهما ولقبه المشهور وضع الحق في موضع بمر ان عليه فانهما يقلبان وان كنت الاعداد المتحابة بماء وسكر وسقيت كلا منهما فانهما يتحابان وأعجب من ذلك انك تطعم انسانا فاقد أبغض آخر أربعة وثمانين حبة رمان ومائتين وتطعم الآخر المبغوض في ذلك الوقت بعينه مائتين وعشرين حبة من الرمان فانهما يتحابان وبما يؤكد الطب تغيما ذكر بعض الحكماء انه اذا وصلت بلقمن ريق كل المتحابين الى معدة الآخر اختلط ذلك بجميع البدن ووصل الى جرم الكبد وكذا اذا تنفس كل واحد

فالتفتت الي وقالت الا تسمع فغمزته فكف ثم انشدت

تجاهلت وصلي حين لاحت عمايتي * فهلا صرمت الحبل اذ انا ابصر
ولي من قوى الحبل الذي قد قطعته * نصيب ولي رأي وعقل موفر
ولكنما آذنت بالصرم بغتة * ولست على مثل الذي جئت اقدر

(فاجابها) لقد جعلت نفسي وانت اخترمتها * وكنت أعز الناس عنك تطيب

وفي روضة القلوب بدل هذا البيت

لقد كنت أنهى النفس عنك لعلها * اذا وعدت بالنأي عنك تطيب

وفيها انه قبلها وأنشد

دمعي عليك من الجفون سكوب * والقلب منك مروع مكروب
لاشئ في الدنيا ألذ من الهوى * ان لم يخن عهد الحبيب حبيب

(فاجابته) خلوتم بأنواع السرور وهنأكم * وافردتموني للصبابة والحزن
وعذبتموني بالصدود وانني * لراض بما ترضونه لي من الغبن

والمشهور انهما لم يأتلفا بعد بل حين أنشد لقد كنت انهى النفس البيت قالت له أو كنت تفعل ما فيك خير بعدها وافترقا فقالت لكعب ما قلت لك انك لا تفي بضمانك ولكن اذا كان السحر فاتني قال كعب فجئت فاذا انا بالصياح فسألت جارية فقالت حين خرجتما جعلت في عنقها انشوطة وخنقت نفسها فلحقناها فخلصناها فجلست ساعة تحادثنا وتفكره فتقول انه لقاسي القلب ثم شهقت فماتت وبلغ الشاب فلازم قبرها فجاءته في النوم فقالت هلا كان هذا قبل فات من وقته * قال في النزهة وأصل هذه الحكاية ان هذه المرأة كانت من عذرة واسمها سعدى وكانت وهذا الفتى على أعظم رتبة من شدة تعلق كل منهما بصاحبه وكان في الحي رجل يحبها وهي لا تحبه فغار منهما فوشى به الى أهلها فحجبوها منه فتراسلا بالمحبة وبلغه فارسل زوجته عن لسانها الى مالك بشتم وقطيعة ولم يعرف انها زوجة ذلك الرجل ولم تدر الزوجة تفصيل الامر وكانت عند مالك انفة فخرج الى مكة ناقضا للعهد فلما بلغ زوجة ذلك الرجل وجه الحيلة وما اخفاه زوجها أخبرت سعدى بما تم فخرجت على وجهها الى مكة حتى اجتمعت به وتم بينهما ما سمعته

(الصنف الثاني في ذكر من تمادى على نقض العهد ومات على خلاف الوعد)

أخرج في اقتداح زناد الاشواق عن الاصمعي قال نزلت على رجل من بني هذيل فاكرمني واطرفني بلطائف الاخبار فكان يوم أقصر ما يكون بالسرور فلما كان الليل فرش لي موضعا لطيفا موطئا ونمت وجلس فقلت هل بقي لك أرب في السهر فقال لا وعافاك الله ثم ودعني لملي فحدثت ان له شأنا فاوهمته النوم فقام وفتح مخدعا فاخرج منه كلبة عليها الحرير وأطواق الذهب فقدم لها طعاما وشرابا فلما اكتفت غسلها بماء الورد وبخرها بالعود ثم مكث ساعة ونزع ما كان عليها ورشها بالرماد والزيت وعاقبها طويلا وهو مع الفعلتين يبكي بشهيق أخال فيه ان نفسه زهقت ثم أعاد عليها ما كان عليها وأدخلها المخدع وجلس يبكي وينشد

أأحبابنا لو تعلمون بحالنا * لما كانت اللذات تشغلكم عنا
تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا * وأبديتم الهجران ما هكذا كنا
وآليتم ان لا تخونوا عهودنا * فقد وحياة الحب خنتم وما خنا

متوجها في وجه صاحبه فانه يخرج من ذلك النفس شئ يختلط باجزاء الهواء فاذا استنشقه دخل في الخياشيم فوصل بعضه الى الدماغ فسرى به كسريان النوم في جرم القلب ووصل بعضه الى الرئة ثم الى القلب فيدب الى العروق الضوارب في جميع البدن فينعقد من بدن هذا ما تحلل من بدن هذا فيصير مزاجا فيتولد العشق وتتأكد المحبة قال الشيخ مغلطاي وهذا الذي أميل اليه ويوشك أن يدوم ويثبت ولا يغيره مر الليالي وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان

(فصل) اختلف الفقهاء هل يجب على الزوج مجامعة امرأته فقالت طائفة لا يجب عليه ذلك لانه حق له فان شاء استوفاه وان شاء تركه بمنزلة من استأجر دارا ان شاء سكنها وان شاء تركها وهذا من أضعف الاقوال لان القرآن والسنة والعرف والقياس يرده قال الله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف فاذا كان الجماع حق الزوج عليها فهو حق لها على الزوج بنص القرآن وقال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف ومن ضد المعروف أن يكون عنده شابة شهوتها تعدل شهوته أو تزيد عليها باضعاف مضاعفة ولا يذيقها اللذة لوطء مرة واحدة ومن زعم ان هذا من المعروف كفاه طبعه في الرد عليه وقالت طائفة يجب عليه أن يطأها في كل أربعة أشهر وتخير المرأة بعد ذلك ان شاءت تقيم معه وان شاءت تفارقه فلو كان لها حق في الوطء أكثر من ذلك لم يجعل للزوج تركه في تلك المدة وهو أمثل القولين مع ما فيه وقالت طائفة يجب عليه أن يطأها بالمعروف كما ينفق عليها ويكسوها ويعاشرها بالمعروف قالوا وعليه أن يشبعها وطأ اذا أمكنه كما عليه أن يشبعها قوتا وكان ابن تيمية يرجح هذا القول ويختار مثله تلميذه ابن قيم الجوزية وقد حض النبي صلى الله عليه وسلم على استعمال هذا ورغب فيه

غدرتم ولم نغدر وخنتم ولم نخن * وحلتم عن العهد القديم وما حلنا
وقلتم ولم توفوا بصدق حديثكم * ونحن على صدق الحديث الذي قلنا

ودام كذلك حتى طلع الفجر فجاء ليوقظني فرآني منتبها فلما ودعته تفرس ان في وجهي كلاما فقال أنشدك الله هل رأيت من حالتي شيأ أنكرته قلت اللهم نعم قال أوتحب أن أطرفك به قلت أي والله فتنفس الصعداء وكفكف دمعه فلم يملك ذلك وخنقته العبرة فارسلها وأنشد

أكفكف جفن العين والدمع سافح * كشبه غدير فوق خدي جاريا
فياليت شعري ذا البكاء الى متى * وحتى متى ذا الحزن والجسم باليا

ثم غيض دمعه وقال يا أخا العرب كانت لي ابنة عم لا أملك الصبر عنها تزوجت بها فكانت بي أبر من أمي واقامت مدة لم آل جهدا في الانفاق عليها فتعاهدنا على عدم التفرق والاستبدال فلما أملقت أنفت مني فأخذت في التحامل والتجنب فقلت لها ماذا تريدين قالت أوفاعل أنت ما أقول قلت نعم قالت تطلقني فخامرني حبها فقلت قد فعلت فاعتزلتني وعاودني القلق فتألمت طويلا وجئت فشكوت اليها ذلك وذكرتها العهود والمواثيق فطيبت نفسي وحلفت انها لا تتزوج ولا تتزين لغيري فقمت وجئتها يوما فوجدتها على أحسن ما يكون من أنواع الزينة فكلمتها فلم تجب فسألت فقيل لي تزوجت فحلفت لها أن لا آخذ بدلها للبسها وزينتها التي عندي الا كلبة وفعلت فأنا الآن أمثلها بتزيين هذه الكلبة واذكر غدرها فأسلبها وأعاقبها كما رأيت قلت فهل وقع بينكما بعد ذلك مراسلات قط قال نعم قد كافأها الذي تزوج بها شططا وسامها نقصا فندمت فراسلتني فلم أجب مع انه لم يكن على البسيطة أعز علي منها ولكن الغيرة تمنعني قال الاصمعي فلم أر أغرب منها * وأخرج في النزهة عن الرياشي قال اتجر صديق لنا بحمل الصندل الى شهرزور وقد بلغه انه نافق بها فلما حل بها صادف كسادا فمكث مغموما فبيناه كذلك اذ مرت به عجوز فسلمت عليه بلطف وسألته عن حاله فشكى اليها ما يجد من الغربة والوحدة وكساد متجره فقالت أما الكساد فسيزول ولم تزل الناس على هذا وأما وحدتك وغربتك فلا أرى لهما دواء الا أن تتزوج بمن تحفظك اذا غبت وتؤنسك اذا حضرت وتفرج عنك اذا حزنت قلت ومن أين لي بما ذكرت قالت وأنا الضامنة لك ما تطلب ابتغاء لوجه الله تعالى فشكرت صنيعها وأمرتها ان تفعل فما مضت عني الا وقد جاءت الدلالون واشتروا البضاعة باحسن ربح الى أجل فتوسمت فيها الخير وجاءت فقالت قد هيأت لك ما تطلب فقم لتنظرها فمضينا الى دار لطيف وقد فرش لي قطيفة برة فجلست وجاءت امرأة تسر القلب وتملأ العين الا أن عليها آثار الحزن وشعار الفرقة فسلمت بحشمة وجلست فقالت العجوز هاهي فتراضينا ودخلت بها ودمت أسبوعا في أنعم حال غير اني أجدها تقوم من الصباح فتجلس في موضع يشرف على الاشجار وتبكي حتى ترتفع الشمس فلم أسألها عن ذلك فلما كان يوم وقد أخذها النوم حتى طلعت الشمس انتبهت مرعوبة ترتعد ثم ذهبت الى المشرف وعادت فخرقت أثوابها وجلست تبكي فلم تلوح يومها كله الا بهذه الابيات

أيا عين نوحي بالدموع السواجم * على طامس بالشرق خاف المعالم
ونوحي دما ان شح دمعك واسعفي * حليف الهوى من قبل حمل التمائم

وفرح النفس وذهاب أفكارها الرديئة عنها وخفة الروح وذهاب كثافتها وغلاظها وخفة الجسم واعتدال المزاج وجلب الصحة ودفع المواد الرديئة فان صادف ذلك وجها حسنا وخلقا دمثا أي سهلا وعشقا وافرا ورغبة تامة واحتسابا للثواب فذلك اللذة التي لا يعادلها شيء ولا سيما اذا وافقت كمالها فانها لا تكمل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسط من اللذة فتلذ العين بالنظر الى المحبوب والاذن بسماع كلامه والانف بشم رائحته والفم بتقبيله واليد بلمسه وتنعكف كل جارحة على ما تطلبه من لذاتها او يقابلها المحبوب بنظير ذلك فان فقد من ذلك شيء لم تزل النفس متطلعة اليه متقاضية له فلا تسكن كل السكون ولذلك تسمى المرأة سكنا لسكون النفس اليها ولذلك فضل جماع النهار على جماع الليل وله سبب آخر طبيعي وهو أن الليل وقت تبرد فيه الحواس وتطلب حظها من السكون والنهار محل انتشار الحركات فذلك قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وكان محمد بن المنكدر يدعو في صلاته ويقول اللهم قوّ لي ذكري فان فيه صلاحا لاهلي وقال عبد الله بن صالح كان الليث بن سعد اذا غشي أهله يقول اللهم شد لي أصله وارفع لي صدره وسهل علي مدخله ومخرجه وارزقني لذته وهب لي ذرية صالحة تقاتل في سبيلك قال وكان جهوريا فكان يسمع ذلك منه وقال علي بن عاصم حدثنا خالد الحذاء قال لما خلق الله آدم وخلق حواء قال يا آدم اسكن الى زوجك فقالت حواء يا آدم ما أطيب هذا زدنا منه انتهى.

اذا ناحت الورقاء على فقد الفها * ولم تك ذا عقل فما حال عالم
حرام على النوم اذ فاتني به * زمان البكا والنوح قبل الحمائم

فضاق صدري لحالها وراجعت نفسي في سؤالها ثم غلبت على عدم التصبر بعد أيام وهي تجالسني كالمشغولة وتقوم بما أحتاجه حتى اذا تمت مكثت جالسة حتى يسفر الفجر فتروح الى المكان الذي يشرف على الشجر كعادتها فقلت ياسيدتي قد ضاق صدري لحالك وأنا أعزم عليك الا ما اخبرتني بما انت فيه فقالت اولا بد قلت اي والله قالت قد كان أبي ذا ثروة وعز وكان لي ابن عم قد كفله أبي صغيرا فنشأت واياه ليس عند أحدنا اعز من الآخر فزوجني منه فأقمنا لا نستطيع صبرا وكان في هذا البستان زوج حمام يبيت فيه ويصبح فيغردان بانواع التغريد فاذا اختفت واحدة في شجرة دارت الاخرى عليها حتى تكاد أن تموت فاذا التقيا تعانقا وغردا فلما كان يوم مر بهما حمام فطارت احداهما اليه ومضت فلم ترجع فاقامت الاخرى تغرد كل صباح الى ارتفاع الشمس ثم تلقي نفسها كالميتة حتى ذهبت نضارتها وذوى ريشها فقلت له يوما لئن فارقتني لاكونن كهذه فقال أنا لا أفارقك أو أموت فقلت له قد تجد أحسن مني قال معاذ الله ان يكون في الدنيا مثلك فأردت أن اعرف صدقه وكانت لي صديقة قد احتوت على ارفع رتبة من الجمال فاستحضرتها وأريته اياها من خلال السجف فوقعت بقلبه فراسلها فأجابته فتزوج بها فلم توافقه فرجع يطلب مني ما كنت عليه فأبت نفسي ان تطيع كما كانت وتشفع فلم يفد فقال اطلقك مرة قلت نعم ففعل وخرج فلم اعرف خبره وانما اخذتك لانك غريب تفارقني فان رضيت هذا الحال والا فشأنك قلت فلاي شيء هجرك النوم قالت كفارة لنومي عن مناوحة الحمامة وسبقها لي

(الصنف الثالث في ذكر من اشبه العشاق في محبته وشاكلهم في مودته فقد اهدلشدة كلفه بالمحبوب على عدم الفراق فمكث احدهما عهد الآخر بعد التلاق)

وهذا هو الذي عقد له المصنف الباب وعدنا بزيادته لان الترجمة له خلاف الصواب وقصة عاتكة مع عبد الله وان كان لها بهذا الباب اعتلاق الا انها بمعنى مضى الصق (فمنهم صخر بن عمرو) وكان من اشجع العرب واكرمهم واجلهم وكانت تحبه سلمى بنت عوف ابن ربيعة ابن حارث الرياحي وصخر هذا هو أخو الخنساء المشهورة فيه بالشعر وكان عاهد سلمى على ان لا تتزوج بعده وهو كذلك عاهدها وكان يقول اذا نظر اليها لا اكره الموت الا انه يفرق بيني وبين هذه فلما كان اليوم المشهور بيوم الكلاب وهو الذي تحارب فيه بنو عوف وبنو الحرث التي صخر مع ربيعة بن ثور العوفي الاسدي بعدما غلبت بنو الحرث على بني أسد ونهبتهم فطعن ربيعة صخرا وكان رمح صخر قصيرا فاصاب ربيعة فادخل في بطنه حلقا من الدرع فمرض صخر سنة بالطعنة فكانت أمه تلاطفه وقصرت سلمى في خدمته فسمع يوما امرأته تقول لامه كيف حال صخر فقالت نحن بخير مادمنا نرى وجهه وسألت امرأته أخرى فقالت لاحي فيرجى ولا ميت فينعى فغم لذلك وأنشد

فاي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في عنا وهوان

(وحكى) في النزهة انه جلس يوما ليستريح وقد رفع له سجف البيت فرأى سلمى واقفة تحادث رجلا من بني عمها وقد وضع يده على عجيزتها فسمعه يقول لها أيباع هذا الكفل فقالت عن قريب فقال صخر لامه علي بسيفي لانظر هل صدئ أم لا فاتته به فجرده وهم بقتل

لا يعرف طعمه الا من ذاقه وعرف وصل الحبيب وفراقه ولم تزل العشاق تستحلي تجني الحبيب وتقول ضرب الحبيب زبيب
شرط المحبة عند أرباب الهوى
ان المليح على التجني يعشق
لا يصدهم صد ولا يتقون من سيوف اللحاظ عند حدقهم وأوا جور الحبيب عدلا وقالوا الحذر اذا أقبل اهلا وسهلا لا يأخذهم فيه لومة لائم ولا يعدون جور بارد الظلم من المظالم
لمن لم يذق ظلم الحبيب كظلمه
حلوا فقد جهل المحبة وادعى
والعلم المشهور في هذا الباب قول علية بنت المهدي
جنبل الحب على الجور فلو
أنصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن في شرع الهوى
عاشق يحسن تأليف الحجج
كأنها ذهبت في البيت الاول الى قول العباس بن الاحنف
واحسن أيام الهوى يومك الذي
تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا
فاين حلاوات الرسائل والكتب
وقد زاد النميري على هذا فقال
واحتى في مقالة العذال
وشفائي في قولهم لا تعال
لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب
لصب الا بخمس خصال
بسماع الاذى وعذل نصيح
وعتاب وكاشح ومطال
وقال جميل بن معمر
لا خير في الحب وقفا لا تحركه
عوارض اليأس او يرتاحه الطمع
لو كان لي الصبر منها او عند هاجزعي

ومن أبلغ ما قيل في عنت الاحباب قول بعض الاعراب في محبوبته

لكنت املك ما آتي وما ادع

سلمى فلما دخلت رفع السيف فلم يستطيع حمله فبكى وأنشد

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

وهذا مثل يضرب للعجوز والبيت والذى قبله من قصيدة لصخر وأولها

أرى أم صخر لا تمل عيادتى * وملت سليمى مضجعى ومكانى

وما كنت أخشى ان أكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

لعمرى لقد نبهت من كان نائما * واسمعت من كانت له اذنان

فللموت خير من حياة كأنها * محلة يعسوب برأس سنان

فاى امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا فى شقى وهوان

ولما اشتد غمه وطال مرضه نتأت قطعة موضع الطعنة فقيل له اقطعها فحموا له حديدة فادخلوها فيها فقيل كيف صبرك فانشد

فان تسألينى هل صبرت فاننى * صبور على ريب الزمان أريب

ثم مات فتزوجت سلمى بعده وقيل سبب موته انه سكر مع البلماء بن ربيعة وكان الآخر جميلا عنديهودى فحسدهما على الحسن فسقاهما فى الشراب سما والصحيح الاول

(ومن لطيف شعر الخنساء فى صخر قولها)

قذى بعينك أم بالعين اعوار * أم اقفرت اذ خلت من أهلها الدار

كأن عينى لذكراه اذا خطرت * فيض يسيل على الخدين مدرار

تبكى لصخر هى العبرى وقد ثكلت * ودونه من جديد الترب استار

تبكى خناس على صخر وحق لها * اذ رابها الدهر ان الدهر ضرار

وما عجول على بو تحن له * لها حنينان اعلان واسرار

ترتع ما غفلت حتى اذا ذكرت * فانما هى اقبال وادبار

يوما بأوجع منى حين فارقنى * صخر وللدهر احلاء وامرار

لا بد من ميتة فى صرفها غير * والدهر فى صرفه حول واطوار

يا صخر وراد ماء قد تبادره * أهل الموارد مافى ورده عار

يمشى السبنتى الى عيجاء معضلة * له سلاحان أنياب واظفار

وان صخرا لمولانا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

لم تره جارة يمشى بساحتها * لريبة حين يخلى بيته الجار

ولا تراه وما فى البيت يأكله * لكنه بارز بالصخر مهمار

طلق اليدين بفعل الخير ذو فخر * ضخم الدسيعة بالخيرات امار

(وقال أيضا)

ألا يا صخر ان أبكيت عينى * فقد أضحكتنى زمنا طويلا

بكيتك فى نساء معولات * وكنت أحق من أبدى العويلا

رفعت بك الخطوب وأنت حى * فمن ذا يرفع الخطب الجليلا

اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

صبرت وما هذا بفعل شجى القلب وأدنو فتقصينى فابعد طالبا

وضاها فتعتد التباعد من قربى فشكواى تؤذيها وصبرى يسوءها

وتجزع من بعدى وتنفر من قربى فيا قوم هل من حيلة تعرفونها

أشيروا بها واستوجبوا الاجر من ربى وقد قسموا الهجر على أربعة أقسام

فقالوا هجر دلال وهجر ملال وهجر مكافأة على الذنب وهجر يوجبه البغض المتمكن فى الصدور فاما هجر الدلال فهو ألذ من كثير من الوصال وعليه عقدت هذا الباب قال كشاجم

لولا اطراد الصيد لم تك لذة فتطاردى لى بالوصال قليلا

هذا الشراب أخو الحياة وماله من لذة حتى تصيب غليلا

وقال المتنبى

وأحلى الهوى ما شك فى الوصل ربه وفى الهجر فهو الدهر يخشى ويتقى

وقال أيضا

زيدى أذى مهجتى ازدك هوى فاجهل الناس عاشق حاقد

(وقال آخر)

لئن ساءنى ان نلتنى بمساءة لقد سرنى انى خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال وأخذ بقلوب النساء والرجال أن يكون كثير التذلل قليل التبذل فقد قال ابن وكيع

قالوا عشقت كثير التيه ممتنعا فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه

لو جاد هان وقلت الجود عادته وانما عز لما عز مطلبه

فاذا تبذل وأجاب كل من دعاه صار عرضه للظنون لان النفس الحرة لا تنفك عن غيره وقد قال العباس بن

الاحنف

يا قوم لم أهجركم لملالة * منى ولا لمقال واش حاسد

لكننى جربتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد

وأدركت الخنساء الاسلام وحسن اسلامها فقالت لها عائشة يوما أتبكين صخرا وهو في النار فقالت هو أشد لجزعي عليه وأدعى للبكاء فعد من الاجوبة المسكتة * (ومنهم هدبة بن الخشرم) * وكان معروفا بالشجاعة والنجدة والجلادة والصبر والمروأة وله أخ اسمه حوط وأخت اسمها سلمى تزوج بها زيادة بن اليزيد الذبياني وهو رئيس قومه فرافقه أخو هدبة يوما على اطلاق جملين يوما وليلة في القيظ وحلوا الماء فأخذت أخت هدبة ماء زوجها الى أخيها فقصرت لذلك ابل زيادة فسبها فغضب حوط فثار بينهما شر وعلم هدبة بيت زيادة فقتله ورفع الامر الى سعيد بن العاص عامل معاوية على المدينة وقد هرب هدبة فحبس عمه فجاء وسلم نفسه ومضى أخو زيادة فشكا الى معاوية فأرسل الى سعيد أن يقود هدبة ان قامت البينة فكره سعيد الحكم وأرسلهم الى معاوية فسأل هدبة عن الخبر فقال تريد نثرا أو نظما فقال نظما فأنشد

ألا بالقومي للنوائب والدهر * وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري
وللأرض كم من صالح قد تراكمت * عليه فوارته بلماعة قفر

الى ان ذكر القصة التي ذكرناها وانه قتله فقال معاوية قد أقررت فهل للمقتول ولد قالوا نعم قال ردوه حتى يبلغ فحبس ثلاث سنين فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها أرسل الى زوجته وكانت من أجمل النساء وكان بها مغرما فحضرت اليه في طيب وثياب فاخرة فحادثها ليلة وراودها عن نفسها فأجابت فحين تمكن وسمعت الحديد اضطربت فتنحى عنها وأنشد

أأدنيتني حتى اذا ما جعلتني * لدى الخصر أو أدنى استقلك راجف
رأت ساعدي غول وتحت ثيابه * جآجئ يدمي حرها والحراقف

وحين أخرج للقتل مر على زوجة مالك بن عوف فقالت في سبيل الله شبابك وصبرك وشعرك فأنشد ارتجالا

تعجب حبي من أسير مكبل * صليب العصا باق على الرسفان
فلا تعجبي مني حليلة مالك * كذلك يأتي الدهر بالحدثان

ونظر الى زوجته فجزع وأنشد

أقلي على اللوم يا أم بوزعا * ولا تجزعي مما أصاب فأوجعا
ولا تنكحي ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بأنزعا
كليلا سوى ما كان من حد ضرسه * لدى الزاد مبطان العشيات أروعا
ضروبا بلحييه على عظم زوره * اذا الناس هشوا للفعال مقنعا
وحلي بذي أكرومة وحمية * وصبر اذا ما الدهر عض فأسرعا
وكوني حبيبا أو لأروع ماجد * اذا ضن اعشاش الرجال تبرعا

وجعل الناس يستخبرون خبره وهو يجيب كلا عن سؤاله وينشد الاشعار وهم يتعجبون فقال له عبد الرحمن بن حسان أتزوج هذه بعدك يريد زوجته فقال ان كنت بالشروط التي ذكرتها وأنشد أقلي على اللوم الابيات ثم نظر الى زوجة مالك وقد قالت له كيف تصبر عن هذه فأنشد

وجدت بها ما لم تجد أم واحد * ولا وجد حبي بابن أم كلاب
رأته طويل الساعدين شمردلا * كما اشترطت من قوة وشباب

فمالت الى شفرة جزار فجدعت بها أنفها وشفتيها قال ابن عساكر وأدنيها وأقبلت عليه

وأما هجر الملال فيبسطه مرور الايام والليالي اما بتنائي الدار أو بطول الاختبار حتى ان متيم الهاشمية لما اشتراها علي ابن هشام حظيت عنده وأحبها حبا شديدا فاتفق انها غضبت عليه في وقت من الاوقات وتمادت في غضبها فترضاها فلم ترض فكتب اليها الادلال يدعو الى الملال ورب هجر دعا الى الصبر وانما سمي القلب قلبا لتقلبه وقد صدق عندي قول العباس بن الاحنف

ما أراني الا سأهجر من ليـ * ـس يراني أقوى على الهجران
ملني واثقا بحسن اخائه * ما أضر الاخاء بالانسان

فلما قرأت الرقعة خرجت اليه من وقتها ورضيت وأما الهجر الذي يتولد عن الذنب فالتوبة تزيله من القلب عند الاعتراف بالذنب ولا سيما اذا كان المحبوب

ملكه مالك رحمة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء
يتقي الله في المحب وقد أ * لح من كان همه الاتقاء

وأما الهجر الذي يوجبه البغض الطبيعي فهو الذي لا دواء له قال الحصري وهذا لا يصح بين ذوي الاخلاص وذوي الاختصاص اذ حقيقة المشاكلة تمنعه وصحة المناسبة تدفعه والذي أقوله أنا أيضا ان هذا القسم مرضه ممن لا يمكن علاجه ولا يعذب أجاجه فالمحبوب فيه لا يلام ومحبته كمن يرقص في الظلام ويسلم على من لا يرد عليه السلام

(أحبابه كم يفعلون بقلبه * ما ليس يفعله به أعداؤه)

أخذه الارجاني فقال

أأحبابنا المجرحون بهجركم * فؤادا يبيت الدهر بالهم مكمدا
اذا رمتم قتلي وأنتم أحبة * فلا فرق ما بين الاحبة والعدا

وقال آخر يطالبني قلبي بكم كل ساعة * اذا فاتني المديون لح المطالب * ويشتاقكم شوق الذي مسه الظما *

فقالت

فقالت أهذا حال من تتزوج قال لا الآن طاب الموت ثم التفت الى أبويه فرآهما فى أسوأ حال قد تهيأ للحزن فانشدهما

ابليانى اليوم صبرا منكما * ان حزنا ان بدا بادئ شر
لا أرانى اليوم الا ميتا * ان بعد الموت دار المستقر
اصبرا اليوم فانى صابر * كل حى لقضاء وقدر

وأراد سعيد أن يفديه بمائة ناقة حمراء سليمة فقال أخو زيادة لو ملأت لى قبتك هذه مالا مافديته لقوله لنجدعن بايدينا أنوفكم * ويذهب القتل فيما بيننا هدرا فسلمه اليه فلما أراد قتله أرسل الى عائشة لتستغفر له ثم صلى ركعتين وأقبل على الناس وقال لولا أن يقال جزع لاطلتهما قال السيوطى فى شرح الشواهد ثم قال للقاتل أحد سيفك وثبت جنانك وباعد بين قدميك وأجد الضرب ثم قال بلغنى أن القتيل يعقل فان كان كذلك فانى قابض رجلى وباسطهما ثلاثا فلما رمى عنقه فعل ذلك وفى شرح الشواهد انه أول قتيل فى الاسلام قودا وخطبت بعد ذلك زوجته على ما بها من التشويه فتزوجت وتزينت ورويت ولها ولدان قد قاربا الترعرع

(ومنهم حمزة بن عبد الله بن الزبير) تزوج بفاطمة بنت القاسم بن جعفر بن أبى طالب وكانت ذات جمال ففتن بها فلما حضرته الوفاة أظهر انه لم يكن جازعا على شئ غير تزويجها بعده بطلحة بن عمر وفحلفت له بصدقة مالها وعتق رقيقها ان تزوجت فلما مات خطبها طلحة فاخبرته فقال ان حنثت وفيت عنك بضعف ما عليك فتزوجته فوفى لها فولدت له ابراهيم وكان أوجه الناس ورملة فزوجها بمائة ألف دينار فقيل له أنت أتجر الناس تزوجت فاطمة بار بعين ألف دينار وكفرت عنها بعشرين فربحت ابراهيم وأربعين ألفا

(ومنهم الحسن بن الحسن) خيره عمه الحسين بين احدى بنتيه سكينة وفاطمة فاستحيا وكان يحب فاطمة لانها كانت منقطعة القرين فى الجمال فقال الحسين رضى الله عنه قد اخترت لك فاطمة لانها أشبه الناس بامى فزوجه بها فلما حضرته الوفاة جزع جزعا شديدا فقيل علام هذا وانما تقدم على جدك وآبائك فقال هو كذلك ولكنى أجد كربا غير الموت ثم قال لبعض أصحابه كأنى بعبد الله بن عمرو بن عثمان وقد جاء فى كبكبة يظهر جزعا على وما هو الا ليخطب فاطمة فلما سمعت حلفت أن لا تتزوجه فان فعلت لزمها عتق ما تملك فما كان الا أن مات فاقبل عبد الله كما قال فرأى فاطمة تضرب وجهها فارسل اليها أن أبقى عليك فان لنا فيك رأيا فلما خطبها ضمن لها التكفير بضعف ما عليها وقيل ان أمها التى الجأتها الى تزوجه بان وقفت فى الشمس وحلفت لا تدخل حتى تجيب

(ومنهم غسان بن جهضم) وكان مفتونا بابنة عمه أم عقبة لانها كانت من أجمل النساء وأحياهن وأفضلهن خصالا حضرته الوفاة فجعل ينظر اليها ويبكى ثم قال لها انى منشدك أبياتا أسألك فيهن عما تصنعين بعدى وأعزم عليك ان تصدقينى فقالت قل فوالله لا أكذبك فانشد

اخبرى بالذى تريدين بعدى * ما الذى تضمرين يا أم عقبه
تحفظينى من بعد موتى لما قد * كان منى من حسن خلق وصحبه
أم تريدين ذا جمال ومال * وأنا فى التراب فى سجن غربه

(الباب التاسع عشر فى الدعاء على المحبوب وما فيه من الفقه المقلوب)

كقولى

دعوت على الحبيب بعشق ظبى
يقاسى منه أنواع الجفاء
فواصله وبالغ فى صدودى
فكان اذا على نفسى دعائى

أقول هذا باب عقدناه لذكر من قارب حلول رمسه وأراد أن يدعو على روحه فدعا على نفسه فهو يشتهى ويشتكى ويشتفى ويشتكى لا يثبت على حال ولا يفرق بسيف اللحظ بين الماضى والحال فبينا هو يشكو من محبوبه اذا هو يشكو اليه وبينا هو يدعو له اذا هو يدعو عليه فمن أحسن ما قيل فى الدعاء للمحبوب قول بلدينا محمد بن العفيف التلمسانى رحمه الله شبابه وجعل من الرحيق المختوم شرابه

أعز الله أنصار العيون
وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا
وان تلك أضعفت عقلى ودينى
وصان حجاب هاتيك الثنايا
وان ثنت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما
على قد به هيف الغصون
وخلد دولة الاعطاف فينا
وان جارت على القلب الطعين

وقوله أيضا

أدام الله أيام الوصال
وخلد عمر هاتيك الليالى
وأسبغ ظل أغصان التدانى
وزاد قدودها حسن اعتدال
ولا زالت ثمار الانس فيها
تزيد لطافة فى كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون

(فأجابته) قد سمعنا الذى تقول وماقد * جئته يا خليل من أم عقبه

أنا من أحفظ النساء وارعا * هن ماقد أوليت من حسن صحبه

سوف أبكيك ما حييت بشجو * ومراث أقولها و بندبه

(فقال) أنا والله واثق بك لكن * ربما خفت منك غدر النساء

بعد موت الازواج يا خير من عو * شر فارعى حقى بحسن وفاء

أننى قد رجوت ان تحفظى العهد فكونى ان مت عند رجاء

فلما مات خطبت من كل جانب فقالت

سأحفظ غسانا على بعد داره * وأرعاه حتى نلتقى يوم نحشر

وانى لفى شغل عن الناس كلهم * فكفوا فما مثلى من الناس يغدر

سأبكى عليه ما حييت بعبرة * تجول على الخدين منى فتكثر

فلما طالت الايام قالت من مات فقد فات وأجابت الخطاب فلما كانت الليلة التى زفت فيها جاءها فى النوم فانشد

غدرت ولم ترعى لبعلك حرمة * ولم تعرفى حقا ولم تحفظى عهدا

ولم تصبرى حولا حفاظا لصاحب * حلفت له يوما ولم تنجزى وعدا

غدرت به لما ثوى فى ضريحه * كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرعوبة كأنما كان معها فقالت النساء لها ما دهاك فقالت ماترك غسان فى الحياة أربا ولا فى السرور رغبة أتانى فى المنام فانشدنى هذه الابيات ثم جعلت ترددها وتبكى فشاغلنها بالحديث فلما غفلن عنها أخذت شفرة فذبحت نفسها فتعجبن منها وقد نقل هذا فى مجلس هشام حين تذاكر وا أغدر النساء فقضى منه عجبا

(ومثل هذا ما حكى عن موسى الهادى) انه كان مفتونا بجارية من جواريه اسمها غادر فرؤى يوما يبكى فقيل علام تبكى يا أمير المؤمنين فقال كأنى بى وقد مت وأخذ أخى هرون الخلافة فتزوج بغادر فقيل له حاشاك من هذا الخاطر فزاد فى البكاء وبلغ هرون فحضر وحلف له بالطلاق انه لا يتزوج بها وحلفت هى أيضا فلم يمض شهر حتى مات وأفضت الخلافة الى الرشيد فكفر عنه وعنها وتزوجها فلما كان ذات ليلة انتبهت من منامها مرعوبة وذكرت انه أتاها فعاتبها وأنشدها

أخلفت عهدى بعدما * جاورت سكان المقابر

ونكحت غادرة أخى * صدق الذى سماك غادر

لايهنك الالف الجديد ولاتدر عنك الدوائر

ولحقت بى قبل الصبا * ح وصرت حيث غدوت صائر

فقال لها الرشيد لابأس عليك انما هو أضغاث أحلام وجعل يغمزها وهى تضطرب فى يده حتى ماتت

(الباب الثالث فى ذكر عشاق الغلمان وأحوال من عدل الى الذكور عن النسوان وتفصيل ماجرى عليهم من تصاريف الزمان)

اعلم ان أصل هذا قد نشأ فى قوم لوط زينه لهم الشيطان فأخرجهم به الى العدوان (وحكى) بعضهم ان أصل ذلك من يأجوج ومأجوج ونقله بعض المفسرين فى قوله عز وجل ان

وألقى الله روضة كل خد * اذا استحيت عن الديم الغزار

ولا زالت مباسم كل ثغر * لشائم برقها ذات افترار

ولا برحت على العشاق تضفو * ثياب العار فى خلع العذار

وقال ابن أبى الحديد

لاعانقتك من البرية كلها * الايدى اليمنى و بندقبا كا

كلا ولا رشفت رضابك بعدما * قد ذقته من فيك الا فاكا

(وقال آخر)

يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللمسواك أو للاكوس

واذا قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فلتك شمعة فى المجلس

واذا حكمت لنا بعين مراقب * يارب فليك من عيون النرجس

ومن أحسن ماقيل فى الدعاء على المحبوب قول شهاب الدين بن غانم

والله ما أدعو على هاجرى * الا بأن يمحن بالعشق

حتى يرى مقدار ماقد جرى * منه وما قد تم فى حقى

(وقال الآخر)

ياذا الذى كل يوم * يزيد عقلى خبالا

ولهتى فيه حتى * أعاد رشدى ضلالا

أدعو عليك وقلبى * يقول يارب لالا

وقال الآخر وأحسن ماشاء

قد قلت لامت حتى * أراك فى العشق مثلى

وقلت فى السر منى * يارب لاتستجب لى

وقال الآخر

أيها المعرض صفحا * عن خطابى وجوابى

لاأزال الله عمرى * أويرينى بك مابى

رب فاجعل دعاه * خائبا غير مجاب

رق قلبى أن يرى قلـ * ـبك فى مثل عذابى

وقال الآخر

يارب انلم يكن فى وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته فاشف السقام التى فى طرف مقلته

يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فيجب على كل ذى نفس شريفة وهمة منيفة الزجر والردع عن هذه الفعلة الخبيثة التى ضجت الملائكة الى الله منها وحسم المادة الموصلة الى ذلك كالنظر فاذلك حرمه النووى رحمه الله تعالى مطلقا وقد ورد انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد فيهم امرد فاجلسه وراء ظهره ونهى ان يحد الرجل النظر الى وجه الامرد وعن ابن المسيب اذا رأيتم الرجل يلح بالنظر الى وجه الامرد فاتهموه وأخرج الخطيب عن أنس موقوفا لاتجالسوا أولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم مالا تشتاق الى الجوارى العواتق وحرص النخعى والثورى على عدم مجالستهم وعن الخدرى قال رأيت ابليس فى النوم فقلت له تعالى فقال لاحاجة لى بمن رمى الدنيا وان لى فيكم لطيفة فقلت وما هى قال مجالسة الاحداث فأخذت العصا لاضربه قال انا لاتخوفنى العصا وانما يخوفنى نور القلب وعن الموصلى قال نهانى ثلاثون من الابدال عن صحبة الاحداث وعن بعضهم قال نظرت الى شاب جميل فقلت أيعذب الله هذه الصورة فقال لى أستاذى أو رأيته سوف ترى غبها فانسيت القرآن بعد عشرين سنة والآثار فى هذا المعنى كثيرة ولله در من قال فى المتصفين بهذا الشأن من هذا الزمان

فان لم تكونوا قوم لوط حقيقة * فما قوم لوط منكم ببعيد
وانهم فى الخسف ينتظرونكم * على مورد من جهلكم وصديد
يقولون لا أهلا ولا مرحبا بكم * ألم يتقدم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم * صراطا لنا فى الفسق غير حميد
أتينا به الذكران من عشقنا بهم * فأوردنا ذا العشق شر ورود
فأنتم بتضعيف العذاب أحق من * يتابعكم فى ذاك غير رشيد
فقالوا وأنتم رسلكم أنذرتكم * بما قد لقيناه بصدق وعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا * نذوق عذاب الهون غير مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم * ويجمعنا فى النار غير بعيد

وقد انتظم شمل هذا الباب بما يتبعه من الاحكام منقسما فى ثلاثة أقسام

(القسم الاول فيمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى اسلمه رمسه)

وهو نوعان الاول فيمن عرف اسمه واشتهر فى العشاق رسمه

(أخبار محمد بن داود وصاحبه محمد الصيدلانى)

هو أبو بكر محمد بن داود بن على المعروف بالفقيه الاصفهانى كان لبيبا حاذقا وفقيها شاعرا وله فى فقه الظاهرية والاحاديث والتواريخ اليد الطولى قال الخطيب انه كان ملازما للهوى ومتعلقاته منذ دخل المكتب وانه شرع فى كتاب جمع فيه ظرائف العشاق ولطائفهم وسماه كتاب الزهرة وسايره عمره وصاحبه هذا هو محمد بن جامع الصيدلانى كان يبيع العطر ببغداد وكان من أجل أهل زمنه فعلقه محمد بن داود فكان له ألوفا وعليه عطوفا وبه رؤفا واشتهر أمرهما فلم ينكراه واتضح فلم يخفياه وقيل انه لم يعمل الكتاب المذكور الا بسبب عشق هذا وان اليه الاشارة فى أول الكتاب المذكور بقوله وننكر من تغير الزمان وأنت أحد مغير به ومن جفاء الاخوان وأنت المقدم فيه ومن عجب ما يأتى الزمان ظالم يتظلم وغابن يتندم ومطاع يستظهر وغالب يستنصر ومن أدلة عطفه عليه انه خرج من الحمام

وان هواه ليس عنى بمنجلى تمنيت ان يهوى سواى لعله * يقاسى برارات الهوى فيرق لى

لاشفى الله طرفه من سقام
وأرانى جفاوه وسائلى
وقال ابن سنا الملك
أسر لطول اسرى فى يديه
فيغضب اذا أسر لطول اسرى
سألت الله أن يبلى بعشق
فيصبح عاشقا لكن لمجرى
وقال ابن وكيع
ان كنت تعلم مابى
وأنت فى لا تبالى
فصار قلبك قلبى * وصرت فى مثل حالى
بل عشت فى طيب عيش
تفديك نفسى ومالى
دعوت اذ ضاق صدرى
عليك ثم بدالى
وقوله أيضا
فهم غالط منى فهما
جاءنى يسأل عما علما
مقسما ما بافته على
كاذب والله فيما زعما
رزق المظلوم منا رجمة
ثم لا أدعو على من ظلما
وقال ابن منقذ
ياظالما يعرض عنى اذ
دعوت غضبان على ظالمى
أظنه أنت والا فلم
تخشى دعائى دون ذا العالم
يارب لا تسمعه فيه وان
كان دعاء المغرم المأثم
(وقال الآخر)
قلت لمحبوبى وقد مربى
محبوبه كالقمر السارى
هذا الذى يأخذ لى طرفه
من طرفك الوسنان بالثار
(وقال الآخر)
ولما بدا لى انه غير زائرى

يوما فنظر في المرآة فأعجبه وجهه فبرقعه وأتى ابن داود فلما رآه غشي عليه فقال له لا بأس عليك انني لم أبرقع وجهي لسوء أصابه ولكن رأيته غب حمام فأعجبني فأحببت ان لا أمتع به احدا قبلك ففداه وسر بذلك قالوا ولم يعلم فيما اسلف معشوق ينفق على عاشق سوى ابن جامع ومن لطف ابن داود ورقته انه كان يدخل الجامع من باب الوراقين فهجره أياما فسئل في ذلك فقال دخلت يوما فرأيت متحابين يتحادثان فتفرقا مذ رآياني فآليت أن لا أدخل مكانا فرقت فيه بين محبين وكان يجتمع مع ابن شريح الشافعي في مجالس الوزير ابن عيسى فسبقه ابن داود يوما فسأله حدث من الشافعية عن العود الموجب بالكفارة في الظهار فقال هو اعادة القول ثانيا فطالبه بالدليل ودخل ابن شريح فحين وقف على القصة قال لابي بكر قول من هذا من المسلمين غيركم فقال له وقد استشاط غضبه غاية امرنا ان نعد قول من خالفنا خلافا فغضب ابن شريح وقال له أنت أعزك الله بكتاب الزهرة أمس من غيره فقال أبكتاب الزهرة تعيرني والله لا تصلح للنظر فيه ألم أقل فيه :

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وامنع نفسي ان تنال المحرما
وأحمل من ثقل الهوى ملو انه * على جامد الصلد الاصم تهدما
وينطق سري عن مترجم خاطري * فلولا اختلاس الطرف عنه تكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * وما ان أرى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن شريح بم تفتخر علي ولو شئت لقلت

ومسامر بالشهد من نغماته * قد بت أمنعه لذيذ سناته
صبابه و بحسنه وحديثه * وانزه اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته

فقال ابن داود ليحفظ مولانا الوزير قوله حتى يقيم بينة بالبراءة فقال يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك انزه في روض المحاسن فقال الوزير لقد حويتما ظرفا وعلما وقيل كانت المناظرة في مسئلة في الايلاء وان ابن شريح قال أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته احذق ومن لطف ابن داود انه سئل يوما

يا ابن داود يا فقيه العراق * افتنا في قواتل الاحداق
هل عليها القصاص في القتل يوما * أم مباح لها دم العشاق

فأجاب

عندي جواب مسائل العشاق * فاسمعه من قلق الحشى مشتاق
لما سألت عن الهوى أهل الهوى * اجريت دمعا لم يكن بالراقي
أخطأت في نفس السؤال وان تصب * بك في الهوى شغفا من الاشفاق
لو ان معشوقا يعذب عاشقا * كان المعذب انعم العشاق

وقيل له وهو في مرض موته ماذا تشكو فقال حب من تعلم صيرني الى ما ترى فقيل ما منعك وقد كنت قادرا على ذلك فقال التمتع اما نظر مباح وقد أخذت منه بحظ واما تلذذ بالمحرم فمنعني منه قوله عليه الصلاة والسلام من عشق الحديث السابق في المقدمة وأنشد

ما لهم أنكروا سوادا بخديه ولا ينكرون ورد الغصون
ان يكن عيب خده بذر الشعر فعيب العيون شعر الجفون

فقيل له أنكرت القياس في الفقه وأثبته في الشعر فقال غلب الحب وتوفي نهار الاثنين

كالدمع كما قيل الدموع على ايوب ولا سيما اذا تمادى الهجر أو كان عليه بعض حجر وهنالك يرى من انسكاب عبرته الدبر وينشد اذا عزم الخليط على السفر

ومفارق سكن القلو
ب فلا خلف منه الرجوع
بعث الرسول وقال لي
وأنا السميع له المطيع
بالله قل لي ما جرى
بعدي فقلت له الدموع

(وقال الآخر)

قال لي من أحببت والبين قد جد
وفي مهجتي لهيب الحريق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي
قلت أبكي عليك طول الطريق

وما أحسن قول القاضي الفاضل رحمه الله

قد استخدمت بالافكار سري
وما أطلقت لي بالوصل أجره
ولم أر لي على الايام الا
عقدت مودة وحللت صره
ولا استمطرت سحب العين الا
وصرت باده في الشمس عصره

وقوله أيضا وهو من نثره الذي أصبح بين النجوم نثره فيصير حتى تنجلي هذه الغمرة وتقلع سحائب هذه السكرة وتجف مناديل الجفون فانها صارت بالدموع عصره فقاتل الله البين ما أكثر فضوله بدخوله بين المحبين وفي هذا المعنى الباهر يقول ابن عبد الظاهر

لا تسلني عن أول العشق اني
انا فيه قديم هجر وهجره
من دموعي ومن جبينك ارخ
ت غرامي بمستهل وغره

ومن معاني المتنبي الغريبة قوله

أتراها لكثرة العشاق * يحسب الدمع خلقة في المآقي وقوله أيضا لا تعذل المشتاق في أشواقه *

تاسع رمضان أولا لم يبق منه او سابع شوال سنة سبع وتسعين ومائتين ومن لطيف اشعاره فى محبوبه قوله

يا يوسف الحسن تمثيلا وتشبيها * يا طلعة ليس الا البدر يحكيها
من شك فى الحور فلينظر اليك فما * صيغت معانيك الا من معانيها
ما للبدر وللتحريف يا أملى * نور البدور عن التحريف يغنيها
ان الدنانير لا تجلى وان عتقت * ولا تزاد على النقش الذى فيها

ومنها

أشكو عليل فؤاد أنت متلفه * شكوى عليل الى الف يعلله
سقمى تزيد مع الايام كثرته * وانت فى عظم ما ألقى تقلله
الله حرم قتلى فى الهوى سفها * وانت يا قاتلى ظلما تحلله

ومنها

حملت جبال الحب فيك وانى * لاعجز عن حمل القميص واضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة * ولكنه شئ به النفس تكلف

ومنها

سقى الله أياما لنا ولياليا * لهن باكناف الشباب ملاعب
اذا العيش غض والزمان بغرة * وشاهد آفات المحبين غائب

ومنها

انظر الى السحر يجرى فى لواحظه * وانظر الى دعج فى طرفه الساجى
وانظر الى شعرات فوق عارضه * كأنهن نمل دب فى عاج

(اخبار القاضى شمس الدين بن خلكان وصاحبه المظفرى)

هو قاضى القضاة أبو عبد الله شمس الدين محمد بن خلكان وصاحبه المظفرى احمد بن مسعود ابن الملك المظفر صاحب حماة وله معه حكايات غريبة وهو ما اشتهر به ان أباه دعاه ليلة فجلسا يتحادثان وخرج الغلام وعليه ثوب أسود وقد شد وسطه بمنديل مطرز بالذهب وفى يده شمعة ومعه دينار فجلس ليتناول من أبيه سكرجة كانت معه فسقط الدينار فقام الشمعة لينظره فانطفأت الشمعة فنظر الى وجهه فرأى الدينار تجاهه فى الارض فالتهبت نار عشقه فى قلبه وخرج فكتم ذلك أياما فمرض واشتد به الحال فبيناهو كذلك اذ أرسل المظفر ولده يعوده فحين رآه وثب قائما كأن لم يكن به مرض وكان الغلام حاذقا فعرف ذلك منه فأخبر أباه بذلك فحجبه فقال من رأى القاضى بعد ذلك انه كان يبيت الليالى الى الصباح لا يعرف النوم وهو يقول

أنا والله هالك * آيس من سلامتى أو ارى القامة التى * قد اقامت قيامتى

وقيل مات وهو ينشدهما وحكى انه كان بعد حجبه لا يركب الا يوم الموكب وان القاضى كان يقصده مستخفيا فينظر اليه فبلغ أباه فمنعه الموكب فكتب اليه ابن خلكان

يا سادتى انى قنعت وحقكم * فى حبكم منكم بأيسر مطلب
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا * ورأيتم هجرى وفرط تجنبى
لا تمنعوا عينى القريحة ان ترى * يوم الخميس جمالكم فى الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبى ما الذى * ألقاه من كمد اذا لم تركب
لرحمتنى ورثيت لى من حالة * لولاك لم يك حملها من مذهبى
قسما بوجهك وهو بدر طالع * وبليل طرتك التى كالغيهب
وبقامتك كالقضيب ركبت من * أخطارها فى الحب أصعب مركب

وهبت السلو لمن لامنى
وبت من الشوق فى شاغل
كان الجفون على مقلتى
ثياب شققن على ثاكل

(وقال الآخر)

شقت عليه يد الاسى
ثوب الدموع على الذبول

وقال الآخر فى الخضوع وانسكاب الدموع

ولم أنس لا انس ذاك الخضوع
وفيض الدموع وغمز اليد
وخدى مضاف الى خدها
قياما الى الصبح لم نرقد

(وقال ابراهيم بن المعمار)

وبى غضبان لا يرضيه الا
دموع سا كبات مستمره
فما عطفت معاطفه بوصل
وفى عينى بعد الهجر قطره

(وقال الآخر)

وقائلة ما بال عينك مذ رأت
محاسن هذا الشخص ادمعها هطل
فقلت زنت عينى بنظرة طلعة
فحق لها من فيض ادمعها غسل

(وقال السرى الرفاء)

بروحى من رد التحية ضاحكا
فجدد بعد اليأس فى الوصل مطمعى
وحالت دموع العين بينى وبينه
كأن دموع العين تعشق مصرعى

(وقال ابن وكيع)

وسحاب اذا همى الماء فيه
ألهب الرعد فى حشاه البروقا
مثل ماء العيون لم يجر الا
ظل يذكى على القلوب الحريقا

(وقلت من قصيدة حجازية)

خليلى روض الرقتين طرازه
اذا لمع البرق الحجازى مذهب
فلا تعجبا من سحب دمعى اذا همت * فما كل برق لاح للعين خلب (وقلت من أخرى حجازية)

لولم أكن في رتبة أرعى لها العهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سرى في هواك ولذلي * خلع العذار ولوألح مؤنبي
لكن خشيت بأن يقول عواذلي * قدجن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قدقاربت * كشف القناع بحق ذيالك النبي
لاتفضحن بحبك الصب الذي * جرعته في الحب أكدر مشرب

(أخبار احمد بن كليب وصاحبه اسلم)

هو احمد بن قزمان الشهير بابن كليب الكاتب كان اندلسيا شاعرا نحويا متفقها اقرأ على محمد بن خطاب النحوي واجتمع بالمزني و بأبي عبد الله محمد بن الحسن وغيرهما واسلم هذا هو ابن سعيد بن خلف كان جده وزير السلطان المظفر المعروف بالناصر ولي أسلم القضاء بالاندلس بعدما كان حاجبا وله يد في الادب وديوان شعر معروف ترجمه في الاحاطة بتاريخ غرناطه معروف بالرئاسه والفضل والعرافه فعشقه من مجالس ابن خطاب واشتدبه كلفه فنظم فيه الاشعار الكثيرة وهو يكتم ذلك فلما غلب عليه حبه فشا أمره واشتهر فيه على الالسنة شعره وقيل ان أول مااشتهر من ذلك وسمع زامر السلطان يغني به قوله

أسلمني في هوا * أسلم هذا الرشا غزال له مقلة * يصيب بهامن يشأ
وشى بيننا حاسد * سيسئل عما وشى ولوشاء ان يرتشي * على الوصل روحي ارتشي

فحين بلغ أسلم هذا الامر انقطع في داره عن جميع الاشياء فصار يجلس على بابه احيانا فجعل أحمد لايمر الا على بابه فانقطع وصار يجلس ليلا عند العشاء فمضى احمد واخذ دجاجا وبيضا وتزيا بزي بعض فلاحي أسلم واقبل فقبل يده وتسلم الهديه وجعل يسأله عن الضياع فاستلغاه حين عرفه قال اما يكفيك قطعي عن الطلب والخروج حتى تبعتني الى هنا ثم حلف لايخرج من بيته ومضى احمد حزينا فكان يماجن فيقال له ذهب دجاجك وبيضك فيقول أو دلوقبلت يده قبلة واذهبت كل ليلة مثل هذا ولما طال عليه الامر انقطع قال ابن خطاب فعدته فوجدته مشرفا على التلف فقال لوسعيت في ان تجمع بيني وبينه لاثابك الله على ذلك ثوابا عظيما فمضيت اليه فقلت له تعلم حرمتي عليك وحرمة ماضمك مع ابن كليب من الطلب فقال نعم ولكن قدرأيت مافشا من أمرنا ملت ما عليك ان تزوره وتنقذه من التلف فامتنع فلم أسلم به حتى اجاب ان يمضي من الغد فلما جاء الميعاد ذهبنا حتى صرنا ازاء بيته فتغير وقال في هذه الساعة أموت ورجع بعدما جاذبته الرداء وقطع منه في يدي قطعة ودخلت على احمد وقد بشره غلامه بقدومه فلما لم يجده معي تغير واختلط عقله فقمت عنه فا تبت نفسه اليه فقال لي اسمع وانشد

أسلم ياراحة العليل * رفقا على الهائم النحيل
وصلك أشهى الى فؤادي * من رحمة الخالق الجليل

فقلت له استعذ من ذلك فقال قد كان فلم أخرج عنه الا وقدقام الصراخ عليه ومن شعره فيه وقد أهدى له فصيح ثعلب

هذا كتاب الفصيح * بكل لفظ مليح وهبته لك طوعا * كما وهبتك روحي

ومنه وقد كتب الى ابن خطاب شعرا في أسلم يعرضه عليه فقال انه ملحون فراجعه ابن خطاب فكتب

الحق لي التنوين في مطمع * فانني انسيت الحاقه
لاسيما اذا كان في وصل من * كدرني في الحب اخلاقه

فالدرما عز حتى جاوز الصدفا
لاتعجبوا من وفا دمعي غدواة جرى
من عينه ماجرى فالبحر فيه وفا
مازلت أبكي على وادي العقيق الى
ان قيل هذاك من عينيه قدرعفا
(وقلت أيضا من قصيدة)
بكيت على أرض بها كنت ماشيا
فاشبهت دمعي على صخرها الخنسا
تجرأت يادمعي فلم تجرداغما
فيادمع ماأجرى وياقلب ماأقسى
(وقلت أيضا من قصيدة)
انّ عيني على العقيق اذالم
يحلك دمعي بلونه حمراء
منذامسى لجين دمعي نضارا
صح عندي لعيني الكمياء
لاتسل ماجرى من الدمع لما
صار من عاذلي على اجتراء
طلع الليل أدمعي فوق خدي
مثل ماتطلع النجوم السماء
(وقلت من قصيدة)
لئن فجرت عيني بحر دموعها
فثغر الذي اهوى كما قيل بارد
وان حل طرفي بالدموع وكاؤه
فنهد الذي حلت بطرفي عاقد
(وقلت من قصيدة)
سقيت بيحر الدمع بارد أرضها
وارسلته فيها على حين فترة
فيا طرف ان لم تسعف الصب بالبكى
قطعت حبال الدمع من حيث رقت
(وقلت من قصيدة)
خالفت فيك معنفا ونصيحا
واطعت جفنا بالدموع قريحا
فاعمل لقتلي محضرا فدامعي
كتبت لقلبي بالدما مشروحا
صب على سفح المقطم دمعه
تجري العيون به دما مسفوحا

لوشاهدت عيناك أحمر دمعه * زكيت شاهد قلبه المجروحا (وقلت أيضا) الطرف من فقد الكرى (اخبار

(أخبار مدرك وصاحبه عمرو)

هو مدرك بن على الشيبانى نسبة الى بنى شيبان عرب ببادية البصرة دخل بغداد صغيرا ونشأ بها فتفقه وأحسن العربية والادب والخط وعمرو هذا هو ابن يوحنا النصرانى البغدادى كان بدير الروم من الجانب الشرقى وكان لمدرك مجلس علم لايحضره فيه الا الاحداث وكان اذا دخله شيخ يخرجه وكان عمرو يحضره فعشقه وزاد فيه وجده فالقى اليه يوما رقعة فيها

بمجالس العلم التى * بك تم حسن جموعها * الا رثيت لمقلة
غرقت بماء دموعها * بينى وبينك حرمة * الله فى تضييعها

فاطلع الحاضرون عليها فاستحيا عمرو من ذلك وانقطع عن المجالس فكان مدرك يلزم دار الروم ويتبع عمرا وزاد به الوسواس حتى اختلط عقله ولزم الفراش ودخل الناس عليه يعودونه فقال أما بينكم وبينى حرمة وعشرة أما فيكم من يرحمنى بالنظر الى عمرو فمضوا اليه فلما أعلموه بحاله وما صار اليه من أجله مضى معهم فحين سلم عليه أغمى عليه ثم أفاق وأخذ بيده وأنشد

أنا فى عافية الا من الشوق اليك أيها العائد ما بى * منك لايخفى عليك
لاتعد جسما وعد قلبا رهينا فى يديك كيف لا يهلك مرشو * قا بسهمى مقلتيك

ثم شهق شهقة فمات ومن أشعاره المشهورة قصيدته المعروفة بالمزدوجة وللطفها بتخميس الحلى لها أوردناه معها غير ان المصنف أبدل أبياتا يسيرة من التخميس وزاد أخر زعم ان الحلى لم يقف عليها وهذه القصيدة بالشرط المذكور غير انى أقول فى أبيات المصنف له وهى هذه

من عاشق ناء هواه دان * ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان * معذب بالصد والهجران
طليق دمع قلبه فى أسر

من غير ذنب كسبت يداه * غير هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من أشقاه * كأنما عافاه من أضناه
اذا كان أصل نفعه والضر

(له) يا ويحه من عاشق ما يلقى * من أدمع منهلة ما ترقا
ناطقة وما أجادت نطقا * تخبر عن حب له استرقا
أخبار من يعلم أخفى السر

لم يبق منه غير طرف يبكى * بأدمع مثل نظام السلك
تطفيه نيران الهوى وتذكى * كأنما قطر السماء يحكى
هيهات هل قيس دم بقطر

(له) الى غزال من بنى النصارى * عذار خديه سبى العذارى
وغادر الاسد به حيارى * فى ربقة الحب به أسارى
تنشد قول مدرك فى عمرو

(له) ريم بدار الروم رام قتلى * بمقلة كحلاء لا عن كحل
وطرة بها استطار عقلى * وحسن وجه وقبيح فعل
وعظم ردف ونحيل خصر

ودمع عينى لاتسل * عن حاله ياماجرى
(كان) المسعودى شارح المقامات رحمة الله تعالى كثيرا ما ينشد

قالت عهدتك تبكى
دما حذار التنائى
فلم تعوضت عنها * بعد الدماء بماء
فقلت ماذاك منى * لسلوة وعزاء
لكن دموعى شابت
من طول عمر بكائى

وقال الآخر

وقائلة مابال دمعك أبيضا
فقلت لها يا علو هذا الذى بقى
ألم تعلمى أن البكا طال عمره
فشابت دموعى مثل ماشاب مفرقى
وعما قليل لادموعى ولادمى
يرينى ولكن لوعتى وتحرقى

وقال الآخر

وقائلة مابال دمعك أسودا
وقد كان مبيضا وأنت نحيل
فقلت لها جفت دموعى من البكا
وهذا سواد العين فهو يسيل

(وقال آخر)

كانت دموعى حمرا يوم بينهم
فذنا واقصرتها بعدهم خرق
قطفت باللحظ وردا من خدودهم
فاستقطر البين ماء الورد من حدقى

(وقال الناشئ الاكبر)

بكيت للفراق وقد راعنى
بكاء الحبيب لفقد الديار
كأن الدموع على خدها
بقية طل على جلنار

(الباب الحادى والعشرون فى الوعد والامانى وما فيهما من راحة المعانى)

أقول هذا باب عقدناه لذكر الامانى التى لابد منها ولاغنى عنها فلا أقل منها أعلل بالمنى قلبى لعلى

ريم به أى هزبر لم يصد * يقتل باللحظ ولم يخش القود
متى يقل ها قالت الالحاظ قد * كأنه باسوته حين اتحد
أفديه من ريم ومن هزبر

ما أبصر الناس جيفا بدرا * ولا رأوا شمسا وغصنا نضرا
أحسن من عمرو فديت عمرا * ظبي بعينيه سقانى خمرا
فما أفقت ساعة من سكرى

ها أنا ذا بقده مقدود * والدمع فى خديه له أخدود
ما ضر من فقرى به موجود * لولم يقبح فعله الصدود
فديته لقد أطال هجرى

ان كان ذنبى عنده الاسلام * فقد سعت فى نقصه الآثام
واختلت الصلاة والصيام * وجاز فى الدين له الحرام
يا خيبتى ان لم أفز بغفر

ياليتنى كنت له صليبا * أكون معه أبدا قريبا
أبصر حسنا وأشم طيبا * لا واشيا أخشى ولا رقيبا
ولا أخاف أبدا من غدر

ياليتنى كنت له قربانا * ألثم منه الثغر والبنانا
أوجاثليقا كنت أو مطرانا * كيمارى الطاعة لى ايمانا
فلا يزال الدهر طوع أمرى

ياليتنى كنت لعمرو مصحفا * يقرأ منى كل يوم أحرفا
أوقلما يكتب بى ما ألفا * من أدب مستحسن قد صنفا
ويجعل الريق بديل الحبر

ياليتنى كنت لعمرو عوده * أوحلة يلبسها مقدوده
أو بركة باسمه محدوده * أو بيعة فى داره مشهوده
يدلج فى ارجائها ويسرى

ياليتنى كنت له زنارا * يديرنى فى الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا * صرت له حينئذ ازارا
أضمه الى طلوع الفجر

قد والذى يبقيه لى أفنانى * وابتزعقلى والضنا كسانى
ظبى على البعاد والتدانى * حل محل الروح من جثمانى
فليس لى عن قربه من صبر

واكبدى من خده المضرج * واكبدى من ثغره المفلج
لاشئ مثل الطرف منه الادعج * اذهب للنسك وللتحرج
الاجمال ثغره بالدر

اليك اشكو ياغزال الانس * مالى من الوحشة بعد الانس
يامن هلالى وجهه وشمسى * لاتقتل النفس بغير النفس

الحبيب على قصة
من نال من دنياه أمنية
أسقطت الايام منها الالف
وهذا النوع الاخير كثير والسقيم به من المحبين جم غفير
من كان مرعى عزمه وهمومه
روض الامانى لم يزل مهزولا
نعم منهم من بات من وعد الحبيب مسلوب الرقاد بعيدا من لقاه الردى على ميعاد يصدق قول الحبيب ويكذبه ويمتحنه ويجربه ويقول
مازلت منتظرا لوعدك سيدى
فى البيت ملتفتا لقرع الباب
يا كاذبا فى وعده بلسانه
من لى بعض لسانك الكذاب
فطالما أيس من وعد المحبوب وتمسك من رؤيته ساقه بمواعيد عرقوب كما قيل
وما بلوغ الامانى فى مواعدها
الا كما سعب يرجو وعد عرقوب
(تنبيه) قولهم فى المثل مواعيد عرقوب يقال لمن وعد وعدا وأخلف وأصل المثل المذكور ان عرقوبا كان له أخ فسأله شيأ فقال له عرقوب اذا اطلع نخلى فلما أطلع قال اذا أبلح فلما أبلح قال اذا أزهى فلما أزهى قال اذا أرطب فلما أرطب قال اذا صار تمرا فلما صار تمرا أخذه من الليل ولم يعط أخاه شيأ فضرب به المثل فى خلف الوعد فقيل مواعيد عرقوب (قال الشماخ)
وواعدتنى مالا أحاول نفعه
مواعيد عرقوب أخاه بيثرب
(وقال ابن حجاج)
فديت من لقينى مثل ما
لقيته والحق لايصعب
فقلت يا عرقوب أطمعتنى
فقال لم نفسك يا أشعب

(وقال آخر من قصيدة طويلة) يعدنى بالخير فى كل ليلة * أصدق فيها وصلها وأكذب

وجد

ولما ودنانا مدين قال لي * وبحق شعيب أنت في الحب اشعب

وجد بوصل لسقام يبري

جدلي كما جدت بحسن الود * وارع كما ارعى قديم العهد
واصدد كصدي عن طويل العهد * فليس وجدي بك مثل وجدي
وليس ذكرك مثل ذكري

ها انا في بحر الهوى غريق * سكران من حبك لا افيق
محترق مامسني حريق * يرثي لي العدو والصديق
من حر صدري وعظيم ضري

فليت شعري فيك هل ترثي لي * من سقم لي وضني طويل
أم هل الى وصلك من سبيل * لعاشق ذي جسد نحيل
انحله حبك طول الدهر

في كل عضو ومنه سقم وألم * ومقلة تبكي بدمع وبدم
شوقا الى بدور شمس وصنم * منه اليه المشتكى اذا ظلم
افديه من شمس ضحى وبدر

اقول اذ قام بقلبي وقعد * يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد
اقسم بالله يمين المجتهد * ان امرأ واصلته لقد سعد
وكان من اشقيته في خسر

يا عمرو وناشدتك بالمسيح * الا سمعت القول من فصيح
يخبر عن قلب له جريح * باح بما يلقى من التبريح
كسير قلب ماله من جبر

يا عمرو وبالحق من اللاهوت * والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنحوت * عوض بالنطق من السكوت
وانشر الميت ببطن القبر

بحق ناسوت ببطن مريم * حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في قنوم الاقدم * فكلم الناس ولما يفطم
مصرحا عن أمه بالعذر

بحق من بعد الممات قمصا * ثوبا على مقداره ماقصصا
وكان لله تقيا مخلصا * يشفي ويبرى أكمها وابرصا
بما لديه من خفي السر

بحق محيي صورة الطيور * وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور * يعلم ما في البر والبحور
وما به صرف القضاء يجري

بحق من في شوامخ الصوامع * من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع * خوفا من الله بدمع هامع
ويهجر اللذات طول العمر

بحق قوم حلقوا الرؤسا * وعالجوا طول الحياة بوسا

والناس في الاماني على قولين فمنهم من يرى فيها راحة قلبه وتنفيس كربه فيروح بها النفس ويتعلق من ضيائها بحبال الشمس ومنهم من يقول ليس الترجي مما ينجي فيرى الاماني من الخداع والوقوع في النزاع ولكل من القول حجة ومذهب مساوق الحجة ومن احسن ما سمعته في القول الاول قول بعض بني الحرث

أماني من سعدى حسان كأنما
سقتني بها سعدى على ظما بردا
منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى
والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

(وقول الآخر)

ولما حللنا منزلا طله الندى
أنيقا وبستانا من النور خاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه
منى فتمنينا فكنت الامانيا

(وقال افلاطون) الاماني حلم المستيقظ وسلوة المحزون * وقال غيره الاماني رفيق مؤنس ان لم ينفعك فقد ألهاك * وقيل لاعرابي ما امتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق واماني تقطع بها أيامك * وقال القاضي الفاضل واحسن ما شاء وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا الى العادة وعادت أيامنا وصرنا الى الحسنى ورقة كلامنا وعاودتنا المنى وما كانت تخطر وان خطرت فانها كلامنا

أنى تلك الليالي المنيرا
توجهد المحب أن يتمنى

(وقال ياقوت الرومي)

لله أيام تقضت بكم
ما كان احلاها واهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها
شيء سوى ان نتمناها

(وقال) الشيخ فتح الدين بن سيد الناس

اصبو الى البان بانت عنه هاجرتي * تهوى الاولياء الى وصلها فيه
عهيد مضى وجلا بيت الصبا فشيب * لم يبق من طيبه الا تنعيم

وقرعوا في البيعة الناقوسا * مشمعلين يعبدون عيسى
قد أخلصوا في سرهم والجهر
بحق ماري مريم وبولس * بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس * بحق حزقيل وبيت المقدس
وكل أواب رحيب الصدر
ونينوى اذ قام يدعو ربه * مطهرا من كل سوء قلبه
ومستقيلا فأقيل ذنبه * ونال عند الله ما أحبه
اذ رام من مولاه شد الازر
بحق ما في قلة الميرون * من نافع الادواء للمجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون * من بركات الخوص والزيتون
خصب البلاد في السنين الغبر
بحق أعياد الصليب الزهر * وعيد أشموني وعيد الفطر
وبالشعانين العظيم القدر * وعيد مرمار الرفيع الذكر
مواسم عنع حمل الاصر
وعيد شعياء وبالهيا كل * والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفى بها من خبل كل خابل * ومن دخيل السقم في المفاصل
لكونها من كل داء تبرى
بحق سبعين من العباد * قاموا بدين الله في البلاد
وارشدوا الناس الى الرشاد * حتى اهتدى من لم يكن بهادى
وحقق الحق بكشف الستر
بحق ثنتي عشرة من الامم * ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا صبح الدجى جلا الظلم * ساروا ثم الى الله ففازوا بالنعم
ثم استداموها بفرط الشكر
بحق ما في محكم الانجيل * من محكم التحريم والتحليل
وخبر ذي نبأ جليل * يرويه جيل قد مضى عن جيل
يسنده زيد علمه عن عمرو
بحق مرعيد الشفيق الناصح * بحق لوقا ذي الفعال الصالح
بحق تليخا الحكيم الراجح * والشهداء بالفلا الصحاصح
الراغبين في عظيم الاجر
بحق معمودية الارواح * والمذبح المشهور في النواحي
ومن به من لابسي الامساح * وعابد باك ومن نواح
ينثر عقدا من دموع حمر
بحق تقريبك في الاجساد * وشربك القهوة كالفرصاد
مما بعينيك من السواد * وطول تقطيعك للاكباد
وسلبك العشاق حسن الصبر

والغني لطرف آمالي به مرح
يجري بوعد الاماني مطلق الرسن
(وقال ابن خفاجة)
وليل اذا ما قلت قد بان وانقضى
تكشف عن وعد من الظن كاذب
ولا أنس الا أن أضاحك ساعة
ثغور الاماني في وجوه المطالب
بحسبت الدياجي فيه سود ذوائب
لها عنق الآمال بيض الترائب
(وقال آخر)
في المنى واحة وان عللتنا
من هواها ببعض ما لا يكون
(وقلت أنا)
رقي لصب غدا مما يكابده
من دمعه الصب يجري في مجاريه
لم يبق فيه سوى روح يرددها
لولا المنى مات يا أقصى أمانيه
(وقلت أيضا)
يا طيب ريح سرى من نحوهم سحرا
لولا تلافيه في الهوى تلفا
كم ذا أعلل قلبي بالنسيم وما
أرى لداء غرامي في هواه شفا
(وقال ابن زيدون)
لا سرحن نواظري
في ذلك الروض النضير
ولاً كلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير
(وقال آخر)
عللني بموعد * وامطلي ما حييت به
ودعيني أفوز منك بنجوى تطلبه
فعسى بعسر الزما * ن يحظى فينتبه
(وقال آخر)
وشادن قلت له * هل لك في المنادمه
فقال كم من عاشق * سفكت في المنى دمه
(وقال أبو بكر الحاتمي)
لي حبيب لو قيل لي ما تمنى
ما تعديته ولو بالمنون

يا ليتني أصبحت بعض مثالك * يد في مزارك حين شط به النوى وهم أكاذبه أقبل فالك (وقال الحسين بن الضحاك)

بحق ما قدس شعيا فيه * بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما يرويه * عن كل ناموس له فقيه
متبع في نهيه والامر
شيخان كانا من شيوخ العلم * وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير فهم * موتهما كان حياة الخصم
وعنهم أخبر كل حبر
بحرمة الاسقف والمطران * والجاثليق العالم الرباني
والقس والشماس والديراني * والبترك الاكبر والرهبان
والمغرباني ذي الخصال الزهر
بحرمة المحبوس في أعلى الجبل * ومارقولا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الاول * وبالسليح المرتضى بما فعل
وما أتاه من فعال البر
بحرمة الاسقوفيا والبيرم * وما حوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم * وحق كل بركة ومحرم
من شرف سام عظيم الفخر
بحق يوم الذبح ذي الاشراق * وليلة الميلاد والتلاقي
والمذهب المذهب للنفاق * والفصح يا مهذب الاخلاق
وكل ميقات جليل القدر
بكل قداس على قداس * قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسي * وقدموا الكاس لكل حاسي
توقد في راحته كالجمر
الا رغبت في رضا أديب * باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق الى المذيب * أعلى مناه أيسر التقريب
من بسط أخلاق وحسن بشر
فانظر أميري في صلاح أمري * محتسبا في عظيم الاجر
مكتسبا في جميل الشكر * في نثر ألفاظ ونظم شعر
فعنك نظمي أبدا ونثري

قلت قد أودعت هذه القصيدة غالب مصطلحات دين النصرانية لكن باعتبار مطلق الملة النصرانية لم يسلك فيها مصطلح الفرقة التي عمرو منها وظاهر انه كان روميا ولكن مدركه لم يكن خبيرا بتفاصيل فرقهم وأقل منه معرفة بذلك من خمس حيث تسلقوا على مناسبة الشعر دون زيادة الاحكام ولولا وجود هذا الباب في الاصل والتزامي ذكر ما فيه لحذفته أصلا لعدم الرغبة اليه لكن سأذكر لك البعض المناسب في فصل المناسبة (قوله عن حب له استرقا) بتشديد القاف أي جعل الناس رقا والفاعل الحب (قوله في ربقة) بكسر الراء والموحدة التحتية في الاصل حبل يجعل فيه حلق صغار يدخل فيه رقاب صغار الضأن فاستعاره تخييلا كأن رتبة العشق جعلت المحبين في سنن الاستقامة كالمنتظمين في هذه

وصف البدر حسن وجهك حتى
خلت اني وما أراك أراكا
واذا ما تنفس النرجس الغض
توهمته نسيم شذاكا
خدع لي تعللني فيـ
ـك باشراق ذا وبهجة ذاكا
(ومما احتج به أرباب القول الثاني)
وأكثر أفعال الغواني اساءة
وأكثر ما تلقى الاماني الكواذبا
(وقال الخالدي)
ولا تكن عبد المنى فالمنى
رؤوس أموال المفاليس
(وقال ابن شرف القيرواني)
غاف تمنوا في البيوت أمانيا
وجميع أعمار اللئام أماني
(وقال ابن المعتز)
لا تأسفن من الدنيا على أمل
فليس باقيه الا مثل ماضيه
(وقال) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة ما خولتم وتصغر المواهب التي رزقتم وقال رجل لابن سيرين رأيت كأني أسبح في غير ماء وأطير بغير جناح فقال أنت رجل تكثر الاماني (وحكي) ان الحجاج مر ذات ليلة بدكان لبان وعنده بستوقة فيها لبن يقول متمنيا أن أبيع هذا اللبن بكذا وكذا وأشتري كذا ثم أبيعه فاكسب فيه كذا وكذا فيكثر مالي ويحسن حالي وأخطب بنت الحجاج وأتزوجها فتلد لي ابنا وأدخل اليها يوما فتخاصمني فاضربها برجلي هكذا ورفس برجله فكسر البستوقة وتبدد اللبن فقرع الحجاج الباب ففتح له فضربه خمسين سوطا وقال ألدس لو رفست ابنتي هكذا لخمتني فيها وقال علي ابن عبيدة الاماني مخايل الجهل وقال غيره الاماني تخدعك وعند الحقائق تدعك اتفق ان الزكي عبد الرحمن القوصي حضر عند الملك المظفر قبل أن يلي حماة وأنشده

نى أراك ومن تهوى وأنت كما * تهوى على رغمهم وحين فى بدن هنالك أنشدوا الامثال حاضرة

الربقة وقوله ريم يعنى غزالا والروم الفرقة الاصلية من النصارى التى تلقت عن المسيح عليه السلام ورئيسهم شمعون عليه السلام وفى البيت من البديع التجنيس فى ريم ورام والروم ويسمى الاشتقاق والهزبر الاسد يقول ان أشجع الوحش الاسد فلو كان العاشق أسد الصاده هذا الغزال مع انه خلاف القياس والناسوت واللاهوت ألفاظ وقعت فى الانجيل فتأولها لوقا وهو البترك الاكبر الناقل عن بولس عن يوحنا عن شمعون عن المسيح عليه السلام وهو أول من قسم الفرق وتأول الرسائل والانجيل وذكر الاب والابن وروح القدس وقسم المثلثات فقال ان عيسى تدرع الناسوت يعنى الحصة البشرية وأخذ اللاهوت يعنى الحصة الالهية فى ناسوته كالمصباح فى الزجاجة وهذا جيد لولا انه قال فيستحيل تارة الى اللاهوت لان حصة العذراء يعنى مريم تفنى وفى هذا كلام طويل ذكرناه فى الفرق والصليب شئ ذو خطوط أربع تخرج على استقامة يجمع أصلها المحور وأصل تبرك النصارى به انهم لعنهم الله اعتقدوا ان الذى أخذته اليهود بصقلية وصلبته هو المسيح وكان صلبه على شئ هذه صفته وانهم سقوه الخمر فى حنك الخنزير فلما قام بعد ثلاث حلل الخمرة ولحم الخنزير وحرض على حمل الصليب وقد كذبوا فى ذلك كله خصوصا ومدلول هذا ان الخمر حرام فى الانجيل وقد ذكر نسطوريون فى كتاب سماه تقسيم الصفائح وهو مرجع المتفقهة فى الملة النصرانية وقد طالعته ان الخمر حلال فى الاصل والقربان رغيف مستدير عليه صلبان كثيرة يخبز فى كل بيت كل يوم أحد من الصوم الكبير ويحمل الى الكنيسة فاذا فرغت الصلاة أخذ القسيس بعضه وفرق بعضه فتنصرف به النصارى فيفطرون عليه كل يوم الى الجمعة وهكذا والجاثليق الرئيس بالنسبة الى السلطنة الظاهرة وأما المطران فهو الفقيه الورع المتعصب للبس الصوف الاسود وأصل هذا الترتيب عندهم ان القارئ للانجيل من أوله شماس فان تأوله وأتقن حفظه صار قسيسا ويدوم كذلك ما دام عنده زوجة وان بلغ فى العلم ما بلغ فان ماتت زوجته فان تزوج خرج عن مراتب العلم ويسمى سالخ القسوسية والاصار مطرانا فان تنزه عن الذفر وما يخرج من الارواح صار بتركا فى مذهب الارمن وأما الروم واليعاقبة والنسطورية فيرون انه لا يجوز أن يكون بتركا الا من تنزه عن النساء وأكل الارواح وما يخرج منها من أول عمره الا العسل والسمك لانه خليفة المسيح وطاعة هؤلاء فرض على النصارى وأما الاسقف والميرون والراهب فاسماء للمتعبدين خاصة فالماكث فى القلة ميرون وكثير السياحة أسقف وتارك النساء فقط راهب وشرط الروم ملازمته لبس المسوخ وخدمة الدير وان لا يصلى خارج كنيسة ولو خمس قوله كيما يرى الطاعة لى ايمانا * بقوله (يكشف الرأس اذا ويجرى) لكان أليق لما فيه من ذكر الحكم الدينى الواجب فعله مع المذكورين والمصحف المراد به المعنى اللغوى والبيعة معبد صغير غير مرتفع والدير المعبد الكبير الكثير المرافق والمحاريب والكنيسة ما اشتملت على عواميد الاناجيل ولم يرتفع بناؤها طبقات والصومعة مكان رفيع رقيق الاسفل والقلة مثلها الا انها لا تسع أكثر من واحد والزنار منطقة تشد فى الخصر وقت الصلاة مشتملة على صليب اذا شدت كانت على السرة ومن هنا الى آخر ما شرح مؤخر والمغربانى الخادم الملازم للبترك وباقى البيت تقدم استطرادا والمحبوس فى رأس الجبل هو الراهب تقولا وكان بانطاكية فى بيعة البرتقارشله لوقا تذبر الاهل السد فحبسه شعياء

هنيت بالملك والاحباب والوطن

فوعده الملك المظفر اذا علك حماة أن يعطيه ألف دينار فلما ملكها أنشده

مولاى هذا الملك قد نلته
برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته
فذا أوان الموعد الصادق

فوقع له بألف دينار وأقام معه ولزمته أسفار فأنفق فيها المال الذى أعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال

ذاك الذى أعطوه لى جملة
قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا
وحسبنا الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك المظفر فاخرجه من دار كان قد أنزله بها فقال

أتخرجنى من كسر بيت مهدم
ولى فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم أعدم مكانا يضمنى
وان مت تدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ما ذنبى اليك قال قولك حسبى الله ونعم الوكيل فامر بخنقه فلما أحس بذلك قال

أعطيتنى الالف تعظيما وتكرمة
يا ليت شعرى أم أعطيتنى ديتى

قلت وقد عيب على السلطان حقده عليه لاجل قوله حسبى الله ونعم الوكيل حتى قتله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فكان حاله معه كما قيل

فكنت كالمتمنى أن يرى فلقا
من الصباح فلما أن رآه عمى

(ولله القائل)

ربما يرجو الفتى نفع فتى
خوفه أولى به من أمله
رب من ترجو به دفع أذى
سوف يأتيك الاذى من قبله

(ذكرت هنا قول الآخر) لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم قلت هذا عارض ممطر

اليهودى فى جبل الغمام وضربه على أن يرجع عن النصرانية فابى ومات جوعا عند
الارمن واليعاقبة تقول ان المسيح أخذه واصطفاه وتوقفت فيه الروم ومرقولا أول بترك
بعد لوقا وهو الذى قسم الكنائس بين الارمن والروم والسليح بالمهملة رجل أقامه مرقولا
فى خدمة الكنيسة الرومية ولو أحسن المخمس لقال (ووضعه البخور فوق الجمر)
لانها وظيفته والاسقوفيا هو الاسقف وقد يجوز فيه سامدرك كما زاد الالف فى مرقولا
والبيرم الفراش فى الدير وأشار بمغفر رأس مريم الى بولس الذى نحر عن مريم يوم صورت
فى القمامة ألف رأس وفرض خمسة عشر يوما صوما مبدؤها خامس عشر ايلول وهو
تاسع عشر توت والصوم الكبير هو الصوم الذى تستفتح به السنة اليونانية وأوله من أول
ادار يعنى برمهات وقد يتقدم أو يتأخر بخمسة عشر يوما واصله فى الانجيل ثلاثون يوما ثم
زاده لوقا عشرة ايام لاجل خلاص النصارى من ولاية اليهود بافرنجة ثم زاده الوز برتولس
عشرة لسلامة ابنته وكانت زمنة فاصبحت صحيحة وزعمت ان المسيح مسح عليها وكان
ذلك ليلة العيد فامر بزيادة عشرة ففرضها على النصارى فكمل خمسين الى الآن والبركة
محل ماء الغطاس والمحرم تكميل ولو احسن المخمس لقال (وبلسان عندها وعطر) لان
بركة الغطاس لابد أن يحضر عندها القسيس ومعه شئ من دهن البلسان وأنواع الطيب
لانهم يقولون ان مريم كانت تصنع ذلك فى تغسيل عيسى ويوم الذبح يريدون به يوم فراغ
بختنصر من اليهود وذبحهم على دم يحيى بن زكريا وهو يفور حتى سكن وليلة الميلاد هى
ليلة ميلاد المسيح وهى سابع كانون الاصم اعنى ثالث عشر طوبة والفصح بالمهملة
وبعدها معجمة العيد الاكبر وهو ختام الصوم الكبير المعروف فى مصر بالخماسين والقداس
هو المولود يأخذه القسيس حين يولد فيقدسه فى المعمودية يعنى يحطه فى الماء ومن هنا الى
عند ما تقدم مقدم والاقنوم لفظة رومية ويراد بها المعنى وعندهم الاقانيم ثلاثة الله والمسيح
ومريم ويعنون بها الآلهة وهو اصطلاح كازردشت عند المجوس وخاخان عند اليهود
وأردان عند الثنوية وآل شلع عند الصابئة الى غير ذلك مما استقصيناه فى الفرق والذى
قص بعد موت المسيح كما سبق والذين حلقوا الرؤس وتشمعلوا يعنى اتبعوا شمعون وهم
لوقا ويوحنا واميلخا وجرجس وروبيل وبنيائيل وبولس ولهم قصة طويلة ذكرناها
فى الفرق وحاصلها انهم تعاهدوا على مدارسة الانجيل والانفراد فى رؤس الجبال بالعبادة
ولقد رأيت بعض بيعهم بالدير الكبير فى الجبل البحرى بالقرب من انطاكية وللنصارى
فيهم اقوال عجيبة لا يسعها هذا المحل وما بعد ذلك أسماء انبياء من بنى اسرائيل والدواء
الذى فى قلة الميرون هو دهن البلسان وغسالة ارجل البنات ركة فى القمامة ليلة الغطاس
يجمعها البترك ويجعلها فى الزجاجات عند أهل الملل فيبرئ به المصروع والمبرسم وصاحب
الماليخوليا فان صح ذلك فلما فيها من دهن البلسان وكذلك عدم تغيره مدة الدهر ولقد
قلت للبترك يوما أنا أعسل رجلى بالماء وأرفعه فلا يتغير أبدا فابطل مزيتكم ثم ذكرت له العلة
فاعترف والمأثور عن شمعون من الخوص والزيتون هو ان شمعون دخل الكنيسة يوم
احد خامس يوم من الصوم الاكبر ومعه غصن من شجرة الزيتون وشئ من خوص النخل
فلما فرغ من الصلاة وعنده جماعة منكرون فى الباطن رفع اليهم من ذلك شيأ وأمرهم
بادخاره فبقى رطبا الى القابل فدنوا الملة العيسوية فاتخذ ذلك سنة فيهم يأتون به الآن
فى اليوم المذكور ويطرح فى الكنائس فاذا فرغت الصلاة توزعوه فيكون عندهم الى

الذى تعضنى من بعد رضتنى من ...
وأنت الذى فصلتنى قبل أن يستكمل
الوصل مدة حمله وفصاله
وأنت الذى اخلفتنى ما وعدتنى
وأشمت بى من كان فيك يلوم
لعل عيونا أصابتنا فلا نظرت
أو واشيا قال فيما بيننا كذبا
لعل عتبك محمود عواقبه
ورب ما صحت الاجسام بالعلل
لعل الرضا منكم وكيف مناله
يسر فؤادا ساءه منكم الهجر
لعل صدى فى النفس يروى أوامه
وجمر جوى فى القلب تخمد ناره
لعل عاطفة تدنى الى أمل
قلبا تحير بين اليأس والطمع
لعل عين الرضى ممن كلفت به
يوما تبهرج ما قالته حسادى
لعل زمانا قد تولى سيثنى
الينا وقلبا قد قسا سيلين
لعل ذيول العفو والعفو واسع
يجررها الجانى على مفرق الذنب
لعل سلو للفؤاد يعوده
وذا غلط حاشى فؤادى أن يسلو
لعل وما تغنى لعل وانها
علالة صب واستراحة هائم
ولا أقل من التعلل بلعل
وما أقل غناها أو أكثر عناها

(الباب الثانى والعشرون فى الرضى من المحبوب بأيسر مطلوب)

أقول هذا باب عقدناه لذكر المحب المطبوع والعاشق القنوع ممن يقنع من الحبيب بالنظر اذا حضر ويرضى منه بالسلام ولو مرة فى العام فهو فى الرضا منه بالنزر واليسير كما قيل
(قليلك لا يقال له قليل)
أنا راض منكم بأيسر شئ
يرتضيه من عاشق معشوق
بسلام على الطريق اذا ما * جمعتنا بالاتفاق الطريق (وقال المغرى) لاقالتى فى العام القصير يوم *

القابل ولو عرف المخمس لقال (وخالص الكندر والمقر) يعني الميعة بلسانهم فانهم يأخذون من الكندر والميعة وورق الزيتون ويعجنون الكل بخور الكنائس وغيرها ويداوون به أمراضا كثيرة كالحميات نعم يأخذون ورق الزيتون ليلة عيد الصليب فيدفنونه في الارض أسبوعا ثم يخرجونه فان وجد أخضر حكموا ان السنة مخصبة وان كان غير هذا فبالعكس وله احكام طويلة ذكرناها في كتاب الفلاحة وعيد الصليب معروف وعيد اشموناعاشر نيسان وعيد الشعانين هو الذي يأتي في الصوم الكبير ويعقبه عيد الفطر بلا فصل باعياد وعيد مرماري هو الذي يأتي بعد صوم بولس وقد سبق وعيد شعيا يكون في صوم الميلاد بشباط يعني أمشير والارمن تسمي عيد الشعانين عيد شعياء واليعاقبة تسمي يوم الزيتون أيضا كذلك والعمدة على كلام الروم واليها كل الاماكن التي فيها قبور مثل البتاركة والمطارنة والدخن المراد بها حصى اللبان الذكر والسبعين من العباد هم المختارون من القوم الذين أكلوا المائدة والاثنا عشر من الامم المراد بهم السبعة السابقة وشمعون وسمعان وبطرس ودانيال ويحيى وهؤلاء حواريون واتباع افترقوا للدعوة لما اختصوا به وحملوه ولتابيخر وجهم أحكام ليس هذا محلها وبسطناها في الفرق ومرعيد عابد كان بدير سمعان وشعياء ونسطورون شيخا التفسير أول من حل الانجيل ولهما كتاب ذكرا فيه الصحف المنزلة على الانبياء وعددها مائة وثمانية عشر وجمعا بين احكامها واحكام الانجيل والزبور والتوراة ومواعظ وجعلاه قسمين وهو كتاب عزيز الوجود وقفت عليه وطالعته الى هنا انتهى الغرض منه

(النوع الثاني في ذكر من جهل حاله وكان الى الموت في الحب مآله وقد رأينا أن نبدأ منهم بعشاق النصارى تبعا للقصة المشهورة)

(فنهم) سعيد الوراق وكان بالرها يبيع الورق ويجلس اليه الشعراء وأهل الادب فيتحدثون عنده في الشعر كالصنوبري والمعري وغيرهما فلازمهم غلام نصراني اسمه عيسى يكتب ما عندهم من الادب فعلقه سعيد وزاد به وجده فانشد يوما

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي * وهاك فابر عظامي موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه بيدي * فان ذلك لي برء من السقم
ترى المعلم لا يدري بمن كلفي * وأنت أشهر في الصبيان من علم

ثم اشتهر أمرهما فلما شب الغلام طلب الترهب فاجابه أهله بعد جهد فخرج الى دير زكى وأقام به وكان سعيد يأتيه فيجلس معه فكره الرهبان ذلك وتوعدوا الغلام بالخروج من الدير فمنعه أي صارت الرهبان تغلق باب الدير في وجه سعيد اذا أتى فلما أيس مضى فاحرق داره وثيابه وخرج عاريا ينشد الاشعار ويطوف بالدير ويبيت في ظله وان الصنوبري أتاه يوما وقد طال شعره وتشوهت خلقته فعنفه فقال يا أبا بكر الا ترى الى هذا الطائر الذي على شرافة الدير قلت نعم قال لي اسأله حمل رسالتي الى عيسى فابى ثم قال هل عندك لوح قلت نعم فدفعته اليه فكتب

بدينك يا حمامة دير زكى * وبالانجيل عندك والصليب
قفي وتحملي مني سلاما * الى قمر على غصن رطيب
حماه جماعة الرهبان عني * فقلبي ما يقر من الوجيب

سألته الأملة في القابل ان البخيل اذا أمده المذي * في الجود هان عليه بذل الباذل (وقال جميل)

أقلب طرفي في السماء لعله
يوافق طرفي طرفه حين ينظر

(وقال أيضا)

واني لارضى من بثينة بالذي
لو استيقن الواشي لقرت بلابله
بلا وبأن لا استطيع وبالمنى
وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي
أواخره لا نلتقي وأوائله

(قلت) انظر الى هذا الشاعر الظريف والعاشق العفيف قد قنع من مناهل أحبابه بالوشل واكتفى باللمح من خلال الاستار والكلل ومن هذا المعنى المبتز قول ابن المعتز

ألست أرى النجم الذي هو طالع
عليها فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقي في الافق لحظي ولحظها
فيجمعنا اذ ليس في الارض جامع

(والعلم) المشهور في هذا الباب قول بعض الاعراب

أليس الليل يجمع أم عمرو
وايانا فذاك بنا تداني
نعم وأرى الهلال كما تراه
ويعلوها النهار كما علاني

كان الشيخ أثير الدين أبو حيان يقول من صاحب هذين البيتين هذا العاشق القنوع وقال الآخر

الى الطائر النسر انظري كل ليلة
فاني اليه بالعشية ناظر
عسى يلتقي طرفي وطرفك عنده
فنشكو جميعا ما تجن الضمائر

(قال بعض الاعراب)

وما نلت منها وصلها غير انني
اذا هي بالت بلت حيث تبول

ذكرت هنا ما حكي عن بعضهم انه رأى ثم استحسنها في طاقة تفاجملوا لازم المقام بتلبيها و[illegible] ورفعت الطاقة الى أن أصلوا وقل صبره وحصل على اليأس منها فدق الباب عليها فخرجت

وقالوا

وقالوا رابنا المام سعد * ولا والله ما أنا بالمريب
وقولي سعدك المسكين يشكو * لهيب جوى أحر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد * اذا ما كنت تمنع من قريب
وان أك ميتا فاكتب حول قبري * محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش * فكيف بمن له ألفا رقيب

ولم يزل كذلك حتى وجد عند الدير ميتا فأراد العامل يومئذ وهو العباس بن وكيع البطش بالرهبان وحرق الغلام فافتدوا منه بمائة ألف درهم وصار الغلام اذا دخل المدينة لزيارة أهله تضربه الصبيان بالاحجار ويقولون له يا قاتل سعيد فانتقل الى دير سمعان (ومنهم شرف العلاء) علق غلاما نصرانيا فلبس المسوح لاجله وتبعه الى الكنائس والبيع وهام به فبلغ ذلك الظاهر بن أيوب فاستحضره فلما دخل عليه تلقاه بقدح من خمر فشربه وأنشد
جمعت بالكاس شملي * الله يجمع شملك بحق رأسك دعني * حتى أقبل نعلك
وصار على ذلك هائما حتى مات ومنهم ما أخرجه ابن الجوزي عن سعيد قال كنت نخاس التجار بالبصرة اذا بغلام يصيح وفي يده مدية فاجتمع الناس اليه فانشد
يوم الفراق من القيامة أطول * والموت من ألم التفرق أجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل * لكن مهجتي التي تترحل
ثم بقر بطنه بمديته فسألت عنه فقيل عشق غلاما لبعض الملوك فحجب عنه يوما واحدا ففعل هذا (ومنهم) ما حكاه الثوري في روضة القلوب قال كان بحمص مؤدب يقال له ابن الدوري عشق غلاما وكلف به فلما علم أبوه بذلك نقله الى مؤدب آخر عدوله فضعف واشتد غمه فكتب الى أبي الغلام يستعطفه فأجابه بانه ان لم يرجع رفع أمره الى الحاكم فتغير من وقته وتقايأ الدم وحمل الى بيته وجاء الطبيب فأخبر ان كبده تقطرت فمات في الرابع (ومنهم) ما حكاه في ديوان الصبابة وهو نظير العشق المسلسل السابق في الباب الثاني قال عشق شاب بدمشق غلاما فلما اشتد به وجده قتله فحمل الى الحاكم فانكر فهدد بالضرب فخاف شاب كان يعشقه فقال ان هذا لم يقتل الغلام وانما أنا قتلته فكتبوا عليه بذلك وخرجوا ليقتلوه فحدث الحاكم بباطن القصة وكان متأدبا فامسك عن قتله وحبسه لينظر فعزل بعد أيام وكان أول ما حكم الحاكم الجديد ان شنق الشاب المذكور وقال شهاب الدين الحاجبي كان شابا لطيفا جيد القريحة ذا نثر ونظم من العجائب الدالة على ان له اليد الطولى في الادب وكان من أولاد الجند عشق شابا من أولاد الحسينية وافرط في حبه حتى كان لا يصبر عنه ساعة فمرض الشاب وانقطع فمرض الحاجبي لمرضه فدخل أصحابه عليه ليعودوه فقال أريد من يوصل هذه الدراهم الى فلان يعني صاحبه فقيل له قد مات فتغير من وقته واختلط عقله وجعل يقول قد مات ثم قال احملوني من هنا وألح عليهم فاخذوه من حارة بهاء الدين الى قناطر السباع فمات بها من يومه والتقت جنازته وجنازة محبوبه فصلى عليهما معا ومن شعره
ملأت فؤادي من محبة شادن * أميل اليه وهو كالظبي رائع
وقلت لقلبي قم لنعشق شادنا * سواه فقال القلب ما أنا صانع
(ومنها)
ان السيوف كلها * قاطعة اذا انجلت
الا سيوف لحظه * اذا تصدت قتلت

الجارية اليه فدفع اليها صحيفة وقال دعي سيدتك تبول في هذه فبالت في الصحفة وقالت الجارية تبعيه وانظري ما يصنع بذلك فلم تزل تتبعه الى ان دخل بعض الخربات فوضع ما في ذلك البول وقال يا ميشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق (وحكى) ابن الجوزي في كتاب الاذكياء ان الهدهد قال لسليمان عليه الصلاة والسلام أريد أن تكون في ضيافتي فقال له سليمان أنا وحدي فقال له بل والعسكر في جزيرة كذا في يوم كذا فحضر سليمان وجنوده الى هنالك فصعد الهدهد الى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بها في البحر وقال يا نبي الله كلوا فمن فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا أخذ بعضهم هذا المعنى فقال
وكن قنوعا فقد يروى مثل * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

(الباب الثالث والعشرون في اختلاط الاشباح اختلاط الماء بالراح)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أفرط في العناق اذا التفت الساق بالساق فاصبح هو ومحبوبه كالشيء الواحد في رأي العين حتى عند الاحوال الذي يرى الشيء شيئين وذلك لفرط المحبة التي لا يشتفي قلب صاحبها بالوصال ولا تنقطع حبال دموعه بالاتصال كما قيل
وكدت وهو ضجيعي أن أقول له * من شدة الحب قد أبعدت فاقترب
(وقال ابن الرومي)
أعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تداني
وألثم فاه كي تزول حرارتي * فيشتد ما ألقى من الهيمان
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى * ليشفيه ما ترشف الشفتان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى ان ترى الروحان تمتزجان
(وقال آخر) سريت اليه والظلام كأنه * ضمير بعكري والنجم في الافق شاهد
فلو أنني [illegible] *

بنجمين صارا في الهوى واحدا
كشكلتين اختلطا في كتاب
(وقال خالد الكاتب)
كأنني عانقت ريحانة
تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى
حسبتنا في جسد واحد
(وقال نفطويه النحوي)
ولما التقينا بعد بعد بمجلس
تغازل فيه أعين النرجس الغض
جعلت اعتمادي ضمه وعناقه
فلم يفترق حتى توهمته بعضي
(وما أحسن قول أبي بكر الاربلي)
هم الرقيب لسعي في تفرقنا
ليلا وقد بات من اهواه معتنقي
عانقته فاتحدنا والرقيب أتى
فذ رأى واحدا أولى على حنقي
(وقال سيف الدين المشد)
ولما زارمن أهواه ليلا
وخفنا ان يلم بنا مراقب
تعانقنا لاخفيه فصرنا
كانا واحد في عقد كاتب
(وقال آخر)
توهم واشينا بليل مزاره
فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقا
فلما أتانا ما رأى غير واحد
قال قاضي القضاة كمال الدين بن العديم لما سمع هذين البيتين أمسكه امسك أعمى (وقال أبو الفضل)
سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا
ونحن نحكي عناقا شكل تنوين
فصرت انعاقت كفي حبائلكم
بسهم هجرك ترمي ثم تنويني
ومثل هذا القول في عدم السلامة وتوجيه الملامة (قول ابن سنا الملك)

(ومنها) وصفت خصره الذي * أخفاه ردف راجح
قالوا وصف جبينه * فقلت ذاك واضح
(ومنها) له عين لما غزل وغزو * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي * فيالك مقلة غزلت وحاكت
(ومنها) غودوا الصب بكى عليكم * ياجيرة ودعوا وساروا
فدمع عينيه صار بحرا * وقلبه ماله قرار
(ومنها) لاتبعثوا غير الصبا بتحية * ماطاب في سمعي حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فيالله ما أذكاها
(ومنها) لم أنس ليلة بتنا * والحب قد غاب عنا
وقد روى عنه لفظ * حتى حسبناه معنا
(وقال) لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام النجا والنجاح
ذاك زمان مرحلوا الجني * ظفرت منه بحبيب وراح
ومنها وهي من قصيدة طويلة ذكر ابن حجة في شرح بديعته أنه مدح بها صاحب حماة
ثاني المعاطف كنت أول عاشق * في حبه ولكل ثان أول
يدنو فيحلو للمتيم لحظه * اذ ذاك لحظ النعاس معسل
ويميس منه شمائل لم أدر من * مشمولة أو حركتها شمأل
متلون الاوصاف سيف لحاظه * ماض ولكن هجره مستقبل
(القسم الثاني فيمن اشتهر في العشق حاله ولم يدر ما آله)
(فنهم) ماحكاه من له اعتناء بطرائف الاخبار قال نزلت دارا فوجدت مكتوبا على حائط
دعوا مقلتي تبكي لفقد حبيبها * ليطفئ برد الدمع حر كروبها
ففي حبل خيط الدمع للقلب راحة * فطوبى لنفس متعت بحبيبها
بمن لو رأته القاطعات اكفها * لما رضيت الا بقطع قلوبها
فسألت فقيل كان بها تاجر يهوى غلاما وانه أنفق عليه ثلاثين ألف دينار حتى نفد ما معه فلم يدر ماتم من أمرهما (ومنهم ماحكاه بعضهم قال دخلت درب الزعفراني ببغداد فرأيت غلاما قد طرح شيخا على التراب وهو يعضه ويضربه فقلت لا تفعل ذلك بأبيك وأنا أظن انه أبوه فقال حتى أفرغ وأكامك فلما فرغ أقبل علي وقال هذا الشيخ يزعم أنه يهواني وله ثلاث ما رآني (ومنهم) ماحكاه عن الاصمعي عن أبي نواس قال رأى غلاما بمكة فعلقه وقال لاقبلنه عند الحجر قلت اتق الله في ذلك قال لابد منه فدنا وقبله حين أراد ان يلثم الحجر وأنا انظره فلما عنفته قال ان الله رحيم وأنشد
وعاشقان التف خداهما * عند استلام الحجر الاسود
فاشتفيا من غير ان يأثما * كأنما كانا على موعد
(ومنهم) رجل بافريقية كان يهوى غلاما وازدادت محبته له حتى استغرقه الحال وانه انفرد ليلة يشرب فذكر تجني الغلام عليه وهجره له فأخذ قبسا فأحرق بابه ورآه بعض جيرانه فحين اصبحوا رفعوه الى القاضي وكان لطيفا فقال لاي شئ فعلت هذا فانشد
لما تمادى على بعادي * واضرم النار في فؤادي

وليلة بتنا بعد سكري وسكره * نبذت وسادي ثم وسدته يدي وبتنا كجسم واحد من عناقنا ولم

ولم أجد من هواه بذا * ولامعينا على السهاد

حملت نفسى على وقوفى * ببابه حملة الجواذ

فطار من بعض نار قلبى * أكبر فى الوصف من زناد

فأحرق الباب دون علمى * ولم يكن ذاك من مرادى

فاستظرفه القاضى وحمل عنه ما أفسده

(القسم الثالث فى ذكر من ساعده الزمان فى المراد حتى بلغه ما أراد) فمنهم ما حكى انه كان ببغداد رجل صوفى معروف بالزهد والعبادة فهوى غلاما جنديا حتى امتزج حبه بلحمه ودمه واشتهر أمره عند غالب غلمان الغلام لان الصوفى كان يتقصده فى الطرق والمواكب لينظره فبينما الصوفى فى ليلة يصلى على سطحه اذ سمع صوت الغلام مارا فسقط من على السطح فرآه الغلمان فضحكوا فقال مولاهم مالكم فقالوا الاشئ فأقسم عليهم فتقدم اليه بعضهم وأسر الخبر اليه واعلمه انه يهواه فقال منذ كم قالوا من زمان طويل فقال بئس المرء الذى لا يعرف من أحبه ثم نزل فأقعده ونفض عنه التراب فنقطت الشمعة على وجه الشيخ ففتح عينيه فرأى صاحبه فأنشد

يا محرقا بالنار وجه محبه * رفقا فان مدامعى تطفيه

احرق بها جسدى وكل جوارحى * واشفق على قلبى فانك فيه

فحمله الى بيته ولم يفارقه بعدها وساق الحجازى فى روض الآداب الحكاية عن الخياط الدمشقى (ومنهم) البحترى المشهور كان يهوى غلاما اسمه نسيم فاشتراه حين اشتد به بلاؤه فلما اشتهر حاله مازحه أبو الفضل يوما وقال هل تبيعه قال لا قال خذ فيه ألف دينار فأبى وكان لا يساوى أكثر من مائة فقال خذ ألفين فقال أحضرهما فاحضرهما واشتراه ومضى به فلم يلبث البحترى أكثر من يوم حتى ذهب عقله وأكثر التردد الى أبى الفضل فلم يجبه وزاد به الوجد فكتب اليه

أبا الفضل فى تسع وتسعين نعجة * غنى لك عن ظبى بساحتنا فرد

أتأخذه منى وقد أخذ الهوى * فؤادى له فيما أسر وما أبدى

وتغدو عليه صبوتى وصبابتى * ولم بعده وجدى ولم يأله جهدى

وقلت أسل عنه فالمنية دونه * وكيف بسلوان الظمآن عن الورد

فقال أبيعكه بجميع ما ملكت فى سائر البلاد فقال افعل فباعه بذلك فلما أصبح اقاله وقال اياك وهجر الاحرار فان لهم مكائد (ومنهم) ما حكى عن الصاحب بدر الدين وزير اليمن انه كان له أخ جميل فاختار له معلما ذا هيبة ووقار وأدب فكان يعلمه فى بيته فامتحن الشيخ بحب الغلام وزاد به الحال فشكا يوما الى الغلام أمره فقال ما أصنع وأخى لا يفارقنى ليلا ولا نهارا فقال الشيخ ان دارى ملاصقة لداركم فاذا كان الليل أتناولك فتجلس معى لحظة لطيفة ثم تعود فاجاب فلما كان الليل أظهر الشاب انه نائم فقام أخوه يفتح الباب النافذ الى الحائط فوجد الشيخ واقفا فأخذه ومضى فرآه قد هيأ مجلسا لطيفا ما بين فرش وسماط ومشروب ومشموم فجلسا يتعاطيان الكأس وكانت ليلة البدر وأفاق الوزير فلم ير أخاه ورأى الباب مفتوحا فاطلع فرآهما على تلك الحالة والكاس فى يد الشيخ وهو ينشد

سقانى شربة من خمر فيه * وحيابالعذار وما يليه * وبات معانقى خدا لخد

العروضيين بحرفين وأما فى الخط فعلى هذا الايتم له ما أراد ولو جعل ساعده للحبوب كالوساد ولا عذر له لان الوزن ساعده وأعانه على تحصيل هذه الفائدة

وقال بعض شعراء الذخيرة

بتنا وراء الحجاب يلحفنا

بردوقار والشمل مشتمل

اثنان من شدة التعانق قد

صارا كفرد بالروح يتصل

لو أن غيث السماء أمطرنا

لم يصب الارض تحتنا بلل

قال محمد بن غروس اجتمعت انا وعلى ابن الجهم فى سفينة ونحن غير متعارفين فتذاكرنا ووجدته حلو المذاكرة فكان فى بعض مقاله أنا أشعر الناس فقلت له بماذا قال بقولى

ألا رب ليل ضمنا بعد هجعة

وأدنى فؤادا من فؤاد معذب

فبتنا جميعا لو تراق زجاجة

من الخمر فيما بيننا لم يشرب

فقلت له والله لقد أحسنت ولكنى أشعر منك قال بأى شئ قلت بقولى

لا والمنازل من نجد وليلتنا

بفيد اذ جسدانا بيننا جسد

كرام فينا الكرى من لطف مسلكه

يوما فما انفك لاخد ولا عضد

الاصل فى هذا قول بشار بن برد وهو من الشعر الملوكى

ومرتجة الارداف مهضومة الحشا

تمور بسحر عينها وتدور

اذا نظرت صبت عليك صبابة

وكادت قلوب العاشقين تطير

خلوت بها لا يخلص الماء بيننا

الى الصبح دونى حاجب وستور

ذكرت بقولى فى أول الباب الاحول الذى يرى الشئ شيئين قول بعض

المغاربة فى مليح له رقيب أحول بأبى رشا يحوى مع الاحسان * مليكة موضوعها انسانى أحوى الجفون له رقيب أحول

مليح في الانام بلا شبيه * وبات البدر مطلعا علينا * سلوه لا ينم على أخيه

فكان من لطفه ان قال والله لا أنم عليكما وانصرف وذكر الحجازي بذكر هذا الاتفاق مناسبة لطيفة وذلك ان شخصا كان يهوى غلاما فمات فجلس يبكيه فطلع البدر فنظر اليه فلم يقدر ان يملأ عينه منه فأنشد

شقيقك غيب في لحده * وتطلع يا بدر من بعده ؟!
فهلا خسفت وكان الخسوف * لباس الحداد على فقده

فخسف من وقته (ومنهم الشيخ) مهذب الدين بن منير الطرابلسي وكان أديبا ظريفا عارفا بالشعر والادب وكان شيعيا وكان السيد المرتضى الموسوي نقيب الاشراف بالعراق والشام وغالب الممالك وكان بينه و بين مهذب الدين مودة قال ابن سعد في الطبقات لان السيد كان رئيس أهل هذا المذهب وغيرهم وكان مهذب الدين من أجلاء طرابلس فبعث الى الشريف بتحف مع عبد أسود فأرسل الشريف يعتبه في ذلك وكان معروفا بالشهامة فما قال له أما رأيت شرا من السواد حتى ترسله الينا وحكى قاضي القضاة ابن البراج ان مهذب الدين لم يرسل الى الشريف الا العبد فقط فكتب اليه اما بعد فلو علمت عددا أقل من الواحد أو لونا أشر من السواد لبعثت به الينا والسلام وكان مهذب الدين يهوى مملوكا له اسمه تتر وكان لا يفارقه في نوم ولا يقظة وكان اذا اشتد غمه او رمي بمحنة نظر اليه فزال ما به فحلف لا يرسل الى الشريف الهدايا الا مع أعز الناس عنده فجهزها مع مملوكه وأخذ يقاسي مشاق فرقته فلما وصل المملوك الى الشريف توهم انه من جملة الهدايا تعويضا من ذنب العبد فأمسكه وطال الامر فلم ير ما ينكي به الشريف و يبعثه على ارسال المملوك الا اظهار التورع عن التشيع والدخول في مذهب أهل السنة وان دليل ذلك أمر عظيم أخرجه عن العقل حتى فارق مذهبه فأرسل اليه بهذه القصيدة يذكر فيها وجده بالمملوك وخروجه من المذهب وتلبسه بالتستر وهي

عذبت طرفي بالسهر * وأذبت قلبي بالفكر * ومزجت صفو مودتي
من بعد بعدك بالكدر * ومنحت جثماني الضنى * وكحلت جفني بالسهر
وجفوت صبا ماله * عن حسن وجهك مصطبر * يا قلب ويحك كم تخا
دع بالغرور وكم تغر * والام تكلف بالاغن * من الظباء وبالاغر
ريم يفوق ان رما * لسهم ناظره النظر * تركتك أعين تركها
من بأسهن على خطر * ورمت فأصمت عن قسي * لا يناط بها وتر
جرحتك جرحا لا يخيط بالخيوط ولا الابر * تلهو وتلعب بالعقو
ل عيون أبناء الخفر * وكأنهن صوالج * وكأنهن لها أكر
تخفي الهوى وتسره * وخفي سرك قد ظهر * أفهل لوجدك من مدى
يقضي اليه فينتظر * نفسي الفداء لشادن * انا من هواه على خطر
عذل العذول وما رآه * فحين عاينه عذر * قمر يزين ضوء صبـ
ح جبينه ليل الشعر * ترى اللواحظ خده * فيرى لها فيه أثر
هو كالهلال ملثما * والبدر حسنا ان سفر * ويلاه ما أحلاه في
قلبي الشهي وما أمر * نومي المحرم بعده * وربيع لذاتي صفر

التي في ادراكه شيأن ليشترك الذي أنا مبصر * وهو المخير في الغزال الثاني وقال ابن اسرائيل من دوبيت

قد بالغ في حديثه بالمين
من قال رأيت مثله بالعين
ما يبصر مثله سوى ذي حول
من حيث يرى الواحد كالاثنين

وقول صدر الدين بن الوكيل

يقولون لي لم ذا كلفت بأحول
يقلب بالزوجين قلت لهم عذرا
رأت كل عين حسن أوصاف أختها
فعادت بطول الدهر تنظرها شزرا

(الباب الرابع والعشرون في عود المحب كالخلال وطيف الخيال وما في معنى ذلك من رقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب)

أقول هذا باب عقدناه لذكر من أدى به النحول الى الذبول وأصبح كالطلل بين الطلول فهو من شدة الضر كما قال صردر

وكم ناحل تلك الخيا
م تحسبه بين اطنابها

فمحبوبه في الجفاء واحد كالالف وهو في رقته كالخيال يمشي الى خلف

ولما رأتني كعود الخلال
وجسمي كما ينسج العنكبوت
فقالت تموت الى كم تنيك
فقلت أنيك الى ان أموت

والعلم المشهور في هذا الباب قول المتنبي

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدني
وفرق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردد في مثل الخلال اذا
أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا انني رجل
لولا مخاطبتي اياك لم ترني

(وقال أيضا)

ولو قلم ألقيت في شق رأسه
من السقم ما غيرت من خط كاتب

(وقال أيضا)

الام طماعية العاذل * ولا رأي في الحب للعاقل
يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

بالمشيب

وانى لاعشق من عشقكم * نحولى وكل فتى ناحل   ولولاكم ثم لم أبككم

* بكيت على حى الزائل (وقال المصلى)

بالمشعرين وبالصفا * والبيت أقسم والحجر * وبمن سعى فيه وطا
ف به ولبى واعتمر * لئن الشريف الموسوى * ابن الشريف أبى مضر
أبدى الجحود ولم يرد * دالى عـلوكى تستتر * والبيت آل أمية الطـ
ـهر الميامين الغرر * وجحدت بيعة حيدر * وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحابة * بين قوم واشتهر * قلت المقدم شيخ تيـ
ـم ثم صاحبه عمر * ماسل قط ظبى على * آل النبى ولا شهر
كلا ولا صد البتو * ل عن التراث ولا زجر * وأثابها الحسنى ولا
شق الكتاب ولا بقر * وبكيت عثمان الشهيد بكاء نشوان الحضر
وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر * وقرأت من أوراق مصـ
ـحفه براءة والزمر * ورثيت طلحة والزبير بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز * جر من لحانى أو عذر * وأقول أم المؤمنيـ
ـن عقوقها احدى الكبر * ركبت على جمل لتصـ * ـلح من بنيها فى زمر
وأتت لتصلح بين جيش المسلمين على غرر * فأتى أبو حسن وسـ
ـل حسامه وسطا وكر * وأذاق اخوته الردا * وبعير أمهم عقر
ما ضره لو كان كف وعف عنهم اذ قدر * وأقول ان امامكم
ولى بصفين وفر * وأقول ان أخطا معا * وية فما أخطا القدر
هذا ولم يغدر معا * وية ولا عمرو ومكر * بطل بسوءته يقا
تل لا بصارمه الذكر * وجنيت من رطب النوا * صب ما تثمر واختمر
وأقول ذنب الخارجين على على مغتفر * لا تأثر بقتالهم
فى النهروان ولا أثر * والاشعرى بما يؤ * ل اليه أمرهما شعر
قال انصبوا لى منبرا * فأنا البرىء من الخطر * فعلا وقال خلعت صا
حبكم وأوجز واختصر * وأقول ان يزيد ما * شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن * أبناء فاطمة أمر * والشمر ماقتل الحسيـ
ـن ولا ابن سعد ما غدر * وحلقت فى عشر المحرم * ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره * وصيام أيام أخر * ولبست فيه أجل ثو
ب للملابس يدخر * وسهرت فى طبخ الحبو * ب من العشا الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا * فح من لقيت من البشر * ووقفت فى وسط الطر
يق أقص شارب من عبر * وأكلت جرجير البقو * ل بلحم جونى الجفر
وجعلتها خير المآ * كل والفواكه والخضر * وغسلت رجلى كله
ومسحت خفى فى السفر * وأمين أجهر فى الصلا * ة كمن بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو * ر لكل قبر محتفر * واذا جرى ذكر الغديـ
ـر أقول ماصح الخبر * ولبست فيه من الملابس * ما اضمحل وما اندثر
وسكنت جلق واقتديـ * ـت بهم وان كانوا بقر * وأقول مثل مقالهم
بالفاشر باقد فشر * مصطيحتى مكسورة * وقطيرتى فيها قصر
بقر ترى برئيسهم * طيش الظليم اذا نفر * وخفيفهم مستثقل

ترك اصفرارى والنحول كلاهما
فى العشق جسمى ينظر العشاق
فكأنه ألف بخط مذهب
جعل الدجى أرقى له أوراقا

(وقلت أنا من قصيدة)

كأن ضباب الافق ندسرت به
نسيم الصبا من نحو أرض الاحبة
كأن الصدا بين الجبال متيم
ولم يبق منه غير صوت وأنة

(وقال المتنقل)

ان جفانى الكرى وواصل قوما
فله العذر فى التخلف عنى
لم يخل الهوى بجسمى شخصا
فاذا جاءنى الكرى لم يجدنى

(وقال ابن لؤلؤ)

وأرقنى خيال من حبيب
تناءت داره لما رآنى
فمن سهرى يلم فما أراه
ومن سقمى يطوف فما يرانى

(وقال محيي الدين بن عبد الظاهر)

أيها الصائد باللحظ ومن
هو دون الورى مقتنصى
لا تسم طائر قلبى هربا
انه من أضلعى فى قفص

(وقال مضر المغربى)

أذابه الحب حتى لو توهمه
بالوهم خلق لاعياهم توهمه
لولا الانين ولوعات تحركه
لم يدره بعيان من يكلمه

(وقال محاسن الشواء)

ضنيت وضن من أهوى بوصلى
وعادانى الخيال وكان عائد
فأشبهت الذى السقم نقصا
وان خالفته صلة وعائد

(وقال الارجانى)

ولولا سناها لم يرونى من الضنى

ولا أصبحوا من أجلها خصماتى   ولكن تجلت مثل شمس منيرة * فلاحت خلال الضوء مثل هباء

(وقال آخر)

وصواب قولهم هدر * وطباعهم كجبالهم * خبثت وقدت من حجر
مايدرك التشبيب تغريد البلابل في السحر * وأقول في يوم تحا
ر له البصيرة والبصر * والصحف ينشر طيها * والنار ترمي بالشرر
هذا الشريف أضلني * بعد الهداية والنظر * مالي مضل في الورى
الا الشريف أبو مضر * فيقال خذ بيد الشريف فمستقر كما سقر
لواحة تسطو فما * تبقي عليه ولا تذر * والله يغفر للمسي
ء اذا تنصل واعتذر * فاخش الاله بسوء فعلك واحتذر كل الحذر
* واليكمابدوية * رقت لرقتها الحضر * شامية لو شامها
قس الفصاحة لافتخر * ودري وأيقن انني * بحر وألفاظي درر
حبرتها فغدت كزهر الروض باكره المطر * وبديعة كبديعة
عذراء ترفل في الحبر * والى الشريف بعثتها * لما قراها وانبهر
رد الغلام وما استمر * على الجحود ولا أصر * وأثابني وجزيته * شكرا وقال لقد صبر
فلما وصلت القصيدة الى الشريف ضحك وقال قد أبطأنا عليه فهو معذور وجهز المملوك
مع هدايا حسنة فمدحه مهذب الدين فقال

الى المرتضى حث المطي فانه * امام على كل البرية قد سما
ترى الناس أرضا في الفضائل عنده * ومحل الزكي الهاشمي هو السما

وذكر ابن حجة ان مهذب الدين حين هادى الشريف كان ببغداد (قوله) وأقول مثل مقالهم يفسره ما بعده من الكلمات المهملة التي تستعملها أهل دمشق في الخلاعة والمصطبحة خشبة في الاصل تجعل تحت دودا لقز وأهل دمشق يسمون الصولجان المنقوش مصطبحة ويكون معهم في المواسم وقد تظرف في المبالغة في المجون والخلاعة حيث قلب اللفظ ونسب القصر الى القصيرة والكسر الى المصطبحة والمستعمل العكس فانهم يصنعون الصوانج ثمة لعبة فيخرج بصولجانه قصير اخرج من اللعبة فيقول مصطبحتي قصيرة وكذا في لعب القصير يردمن قطيرته مكسورة وقوله والى الشريف بعثتها الى آخر القصيدة قد يتوهم انه ملحق بعد رد المملوك وليس كذلك وانما قاله تفاؤلا وحسن ظن بالشريف واعتمادا على شهامته وهذا من مكر مهذب الدين لعلمه بسجايا الشريف (القسم الرابع في ذكر من منعه الزهد والعبادة أن يقضي من محبوبه مراده) قد رأينا ان نجعل هذا القسم كالاستغفار بعد الذنوب والكفارة لمن عزم أن يتوب لاشتماله على ذكر أقوام عصمهم الله من الوقوع في الخطأ وأسبل عليهم الغطا وهو نوعان (الاول فيمن سلم من القضاء الجاري فعصم عن الجواري) في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون اذ أصابهم مطر فأووا الى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض انه والله ياهؤلاء لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم انه قد صدق فيه فقال واحد منهم اللهم ان كنت تعلم انه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه واني عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره اني اشتريت منه بقرا وراعيها وانه أتاني يطلب أجره فقلت اعمد الى تلك البقر فسقها فقال لي انما لي عندك فرق من أرز فقلت له اعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة فقال الآخر

قد كان فيما مضى خاتم * فدق جسمي فتمنطقت به
وزادني السقم فلو زج بي * في مقلة النائم لم ينتبه

(وقال أبو العتاهية)

لم يبق الا القليل في وما
أحسبها تترك الذي بقيا

(وقال ابن عبد ربه)

رأيت العاشقين لهم جسوم
براها الشوق لو نفخوا لطاروا

(وقال آخر)

ولما ان رأى أهلي سقامي
تجاوز حده حد السقيم
سددت منافس النسمات عني
مخافة أن أطير مع النسيم

(وقال آخر)

واذا عائدنا الكلامي
لعبت بي أنفاسه في الفراش

(وقال آخر)

عبثت به أيدي الضني فكأنه
سر خفي في ضمير كتوم

(وقال ظافر الحداد)

أنحلني حبك يامتلفي
وزادني الشوق فلم أعرف
وذبت حتى لو رمى بي الهوا
في ناظر الناظر لم يطرف

(وقال ناصر الدين الفقعسي)

يقول جسمي لنحول وقد
أفرط بي فرط ضني واكتئاب
فعلت بي ياسقم مالم يكن
يلبس والله عليه الثياب

ومما ينخرط في هذا السلك ما وصفت به الشعراء الخصر من النحول وقد بالغ ابن اسرائيل فيه حيث قال وأحسن في المقال

واها على الخصر الرقيق وانما
قطع الطريق حديثه الموثوق
خصر أدير عليه معصم قبلة
فكان تقبيلي له تعنيق

وقال الشيخ صفي الدين الحلي

جمل يبيع بنا والغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره

اللهم

ومافيه شيء بارد غير ريقه   قلت أخذه من قول بلدينا محمد بن العفيف   التلمساني وأراد قصر مقل الحسن فقصر [illegible]

اللهم ان كنت تعلم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لى فأبطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدوا وأهلى وعيالى يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواى فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كانت لى ابنة عم من أحب الناس الى وأنى راودتها عن نفسها فأبت الا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت عليها فأتيتها بها فدفعتها اليها فأمكنتنى من نفسها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا (وحكى) ان رجلا افتتن براهبة فتسور اليها وراودها فلم تمكنه الا بعد جهد فلما قدر عليها جعلت يدها فى مجمرة فاحترقت فقال لاى شئ فعلت هذا قالت خفت أن أشاركك فى اللذة فأشاركك فى المعصية فحلف لا يعصى الله بعدها وتاب (وحكى) ان رجلا عشق جارية فزاد حبه لها ولم يتمكن منها وان أهلها أرسلوها لحاجة فتبعها وراودها فقالت انى أحب لك منك لى ولكنى أخاف الله فقال أتخافينه ولا أخافه ورجع فناله عطش كاد أن يأتى عليه فلقيه رسول لبعض الانبياء فشكا ذلك اليه فقال له هلم ندعو الله ان تظلنا سحابة حتى نصل القرية قال ليس لى عمل فقال الرسول أنا أدعو وأنت أمن وفعلا فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فدعا الرسول الى بيته فتبعتهما السحابة فقال له تقول مالى عمل وقد تبعتك أخبرنى ما فعلته فاخبره فقال ان التائب عند الله أحسن من العابد (وحكى) ان عمر بن عبد العزيز عشق جارية لزوجته فاطمة بنت عبد الملك وزادفيها غرامه فطلبها منها فأبت عليه فلما أفضت اليه الخلافة زينتها بانواع الزينة ثم قالت يا أمير المؤمنين قد كنت أمسكت هذه عنك والآن فقد وهبتها لك فسر بها سرورا بالغا ثم قال لها اخلعى ثيابك فحين همت أجلسها ثم قال لها من أين جىء بك فى الاصل قالت اغتصب الحجاج مال عامل فاصطفانى منه وأرسلنى لعبد الملك فوهبنى لابنته فقال أحى هو قالت لا قال هل له ورثة قالت ولد فاحضره وأمر أن يذكر ما أغرم الحجاج أباه وأعطاه عمر رضى الله عنه ذلك مع الجارية وقال له احذر أن يكون أبوك نالها فقال هى لك يا أمير المؤمنين فأبى فقال أتبيعها فأبى فقالت الجارية أين وجدك بى فقال قد زاد ولكنى أنهى النفس عن الهوى (وحكى) ان امرأة كانت فى بنى اسرائيل قد حازت ثلث الحسن وكانت لا تمكن من نفسها الا بمائة دينار فأعجبت شخصا فمضى فجمع مائة دينار وجاء اليها فقالت أدفعها الى الجهبذ يعنى الناقد ففعل فلما نقدها تهيأت وجلست على سرير من ذهب فحين تمكن منها أخذته الرعدة فقال اتركى عنك ولك المائة فقال أجبتك فجمعت المال وجاءت به وقالت لئن صدقت فليس لى زوج غيرك فخرج فباعت متاعها وجاءته فحين رآها شهق شهقة فمات فقالت أما هذا فقد فات فهل له أحد قالوا له أخ فقير وجبت به اكراما له قال ابن عباس فجاء منها سبعة أنبياء وأما قصة بشر وهند فقد التبس بها الشهرة الى أن أفردت بالتأليف وحاصلها ان بشرا رجل من أسد ذكره الحافظ ابن حجر فى القسم الاول من الاصابة وهند جهينة قيل ذكرت فى حديث ساقط وكانت بالمدينة فى عمر بشر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلقته

خلفه ليعثر على المعنى فاعثر [illegible]
تعثر والفرق بينهما [illegible]
والكوثر والخصر والخنصر الاترى
قول ابن العفيف وحلاوة منطقه الظريف

فكم يتجافى خصره وهو ناحل
وكم يتحالى ريقه وهو بارد
وكم يدعى صونا وهذى جفونه
بفترتها للعاشقين تواعد

(وقال أيضا)

شكوت الى ذاك الجمال صبابة
تكاد جفنى انه قط لا يغفو
فلانت لى الاعطاف والخصر رق لى
ولكن تجافى الشعر وأثاقل الردف

(وقال أيضا)

تلاعب الشعر على ردفه
أوقع قلبى فى العريض الطويل
ياردفه جرت على خصره
رفقا به ما أنت الا ثقيل

وعلى ذكر الردف ما أحسن قول الا
للبدر من وجنته نكتة
وفترة فى الظبى من طرفه
اذا مشى جاذبه ردفه
كأنه يمشى الى خلفه

وقال الشيخ صفى الدين الحلى فى مليح راقص

جاء وفى قده اعتدال
مهفهف ماله عديل
قد خففت عطفه شمال
وثقلت جفنه شمول
ثم انثنى راقصا بقد
تثنى الى نحوه العقول
يحول ما بيننا بوجه
فيه مياه الحيا تجول
ورنح الرقص منه عطفا
خفف بها اللطف والنحول

   فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل   (وقال ابن رشيد)   أحمل أثقالى [illegible]

وتعرضت اليه بمراسلات باشعار أظنها موضوعة لاهما لها فلذلك حذفتها فلما رأى بشر الحاحها هجر الممر وصار يأتي من غيره فلزمت الوساد وهم زوجها ان يدعو لها الاطباء فنهته وقالت أنا اعرف علتي فلما علمت الطريق التي يمر منها بشر اخبرت زوجها انها رأت في نومها انها متى سكنت في موضع كذا شفيت فنقلها من وقتها وكانت تنظر اليه فبرئت وأطلعت عجوزا على أمرها فوعدتها ان تجمعها به ثم وقفت له فسألته ان يقرأ لها كتابا أو يكتبه ففعل وهند تسمع ثم قالت له العجوز أراك مسحورا وما قلت لك الا عن يقين ثم وعدته ان يأتيها يوما لتنظر فيما يصلح له وقالت لهند قد سمعت فتهيئي فلما خرج زوجها الى بعض القرى وقد وعدت العجوز بشرا فجاء فحين جلس أدخلت هندا عليه واغلقت الباب فجاء زوجها فحين رآها طلقها ثم مضى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله سل هذا لم دخل بيتي فقال بشر والذي بعثك بالحق ما كفرت منذ اسلمت ولا زنيت منذ عرفتك ولكن القصة كذا وكذا فادب العجوز وقال أنت أصل البلية وانصرفوا فلم يمكث بشر حتى ابتلي بحب هند وراسلها فامتنعت فلم يزل حتى مات فجاءت فحين رأته سقطت ميتة ودفنا معا فجاءت العجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم معتذرة فاخلصت توبتها (وفي امتزاج النفوس) عن رجل من اصحاب الحديث قال دخلت ديرا كنت اعرف فيه راهبا معروفا بالاخبار فوجدته مسلما وجميع من في الدير فسألته عن السبب فقال عشقت جارية منا غلاما مسلما عابدا وافتتنت به ودعته اليها فأبى فلما زاد بها الوجد اعطت مصورا مالا فنقش لها صورته فكانت تقبلها وتبكي كل يوم الى الغروب وتنصرف فبلغها موت الغلام فعملت مأتمه ثم التزمت تلك الصورة فلما أصبحنا وجدناها ميتة الى جانبها وعلى يدها مكتوب

ياموت دونك روحي بعد سيدها * خذه اليك فقد أودت بما فيها
أسلمت وجهي للرحمن مسلمة * ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها في جنان الخلد يجمعها * يوم الحساب ويوم البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا * محبة لم تزل تشفي محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاخذوها ودفنوها الى جانبه فرأيتها في النوم فقلت مافعل الله بك فانشدت

أصبحت في راحة مما جنته يدي * وبت جارة فرد واحد صمد
محا الاله ذنوبي كلها وغدا * قلبي خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت على الرحمن مسلمة * وقلت انك لم تولد ولم تلد
أثابني رحمة منه وأسكنني * مع من هويت جنان آخر الابد

فعلمت ان الاسلام حق فاسلمت وأسلم أهل الدير بسببها (وحكى الشيزري في روضة العشاق) عن راهب أسلم وكان اسمه عبد المسيح قال سئل عن سبب إسلامه فحكى انه كان عندهم جارية نصرانية تبيع الخبز فهويها شاب مسلم واشتد حاله في حبها فسلطت عليه الصغار فضربوه فلما علمت صدقه عرضت عليه نفسها في الحرام فأبى فعرضت عليه التنصر فأبى فامرت الصغار بضربه حتى مات وهو يقول اللهم اجمع بيننا في الجنة فرأته في النوم وقد انطلق بها الى الجنة فمنعت لاجل الاسلام فاسلمت ودخل بها فأراها قصرا من اللؤلؤ وقال هذا لي ولك وستأتي بعد خمس ليال فاستيقظت فاسلمت ولزمت قبره حتى ماتت بعد خمس ليال

وأنشد الخضر لئلا يضيع (وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

سألت النقا والبان يحكي لناظري * روادف أو أعطاف من طال صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا حملها * وقال قضيب البان ما أنا قدها

●(الباب الخامس والعشرون في ذكر مايكابده الاحباب من الامور الصعاب وغير ذلك مما يقاسونه من تحمل المشاق وألم الفراق)● كقوله

شكى ألم الفراق الناس قبلي * وروع بالنوى حي وميت
وأما مثل ماضمت ضلوعي * فاني ما سمعت ولا رأيت

أقول هذا باب عقدناه لذكر ما يقاسيه المحب من ركوب الاخطار في طلب الاوطار فهو لايزال مشغولا بحاله متقلبا تحت أحماله يقاسي في طلب الحبيب من الاهوال ماهو أثقل من الجبال ويسمح في مقابلة اللمحة اليسيرة منه بالنفس والمال (قال الطغرائي)

ومن طلب الاحبة كان أسخى * يبذل النفس من كعب بن مامه
ومن طلب الغنائم لم يهب من * نفى من دون مطلبه حسامه

(وقال أيضا)

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الاعين النجل
ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني * باللمح من خلل الاستار والكلل

وقال الامام محمد بن داود الظاهري

حملت جبال الحب فيك وانني * لاعجز عن حمل القميص وأضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة * ولكنه شيء به الروح تكلف

وهذا البيت الاخير مثل قول الآخر

وكم في الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتي وقع اختياري

ولقد أنصف هنا العاشق لاعترافه بان ثم من هو أحسن من محبوبه ولكن غلبة الهوى وميل النفس أوقعاه

ليال فاسلمت لذلك (وحكى ابن عاصم) قال قال لى بعض أصحابى بالكوفة هل لك أن تنظر الى عاشق فقلت نعم فانى أسمع الناس يذكرون العشق فمضى بى الى دار فرأيت شابا مطرقا ساكتا يكلمه الناس ولا ينطق وعلى يده وردة حمراء فقال صاحبى كأن فلانة أرسلتها اليك فحين سمع ذكرها رفع رأسه وأنشد

جعلت من وردتها * تميمة فى عضدى
أشمها من حبها * اذا علانى كمدى
فمن رأى مثلى فتى * بالحزن أضحى مرتدى
أسقمه الحب وقد * صار حليف الاود
وصار سهوا دهره * مقارنا للكمد

فنهضنا فما بلغنا الباب حتى مات فرجعنا الشهده فحين دفناه أقبلت جارية مسفرة ما رأيت أحسن منها فما تركت ترابا على القبر حتى جعلته على رأسها فجاء قوم فجروها فقلت أرفقوا بها فقالت دعهم يبلغوا همتهم فوالله لا ينتفعون بى فما انقضى اليوم حتى ماتت فسألت عن القصة فقالوا انه كان يعشقها فبذل فى شرائها ماملكه فأبوا عليه حسدا ان يكون عنده مثلها فأرسلت اليه تقول مرنى بما شئت فأرسل اليها ان الزمى طاعة ربك ومولاك وأقبل على الزهد وهو مع ذلك لا يفتر عن ذكرها حتى بلغ الى ما رأيت

(النوع الثانى فى ذكر من بلغه زهده الامان فعصمه من الغلمان)

وهؤلاء قوم جرت عليهم خصال البشر حتى افتتنوا باستحسان بعض الصور ثم عند ارادة النزوع ومقاربة الوقوع كشفت لهم حقائق الاحوال عن قبيح عواقب الافعال فرجعوا الى أنفسهم فذكروها خشية الله فزجر كل نفسه حتى غلب على هواه (قال) بعضهم مررت بمدائن قوم لوط فأخذت منها حجرا لحاجة فحين نزلت فى دار جعلته فى طبقة فجاء رجل ومعه غلام ولم يشعر بى فقضى منه وطرا فسقط الحجر عليه فمات فتعجبت من ذلك * فمن المذكورين صوفى يسمى المهرجان كان مجوسيا ثم حسن اسلامه قال من شهده رأيته ببيت المقدس ومعه غلام جميل ينام الى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلى ماشاء و ينام يفعل ذلك مرارا كل ليلة فاذا طلع الفجر قال اللهم أنت تعلم ان الليل قد مضى على سليما لم أقارف فيه فاحشة ولا كتبت الحفظة على فيه معصية وان الذى أضمره فى قلبى لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالارض لتدكدكت ثم بالليل أشهد بما كان منى فيك فقد منعنى خوف الله عزوجل عن طلب الحرام والتعرض للآثام ثم يقول سيدى أنت جمعت بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع الاحباب فقلت له قد سمعتك تقول كذا وكذا فما الذى يدعوك الى عشرة من تخاف على نفسك منه فبكى وذكر ان مقصوده بذلك امتحان نفسه * وعالج بعضهم نفسه فى صحبة الاحداث بالهجر قال أبو حمزة رأيت صوفيا يصحب غلاما دهرا طويلا ثم هجره فسألته عن ذلك فقال وجدت نفسى عند الخلوة به تحدثنى بما يسقطنى من عين الله ففارقته ليثيبنى الله ثواب الصابر بن عن محارمه و يجمع بيننا فى دار الكرامة قال ورأيت أيضا رجلا ومعه غلام يصحبه فمات الرجل فلم يبرح الفتى محزونا فقلت له ما أراك تسلو عن صاحبك فقال كيف أسلو عن شخص أحسن تأديبى وعصمنى من الفسق * وحكى أبو حمزة الصوفى قال نظر رجل صوفى الى غلام جميل فافتتن به فأقعد فكنا نأتيه ونسأله عن حاله فلا يخبر به و بلغ الغلام حاله فعاده فهش له وضحك فأكثر من زيارته فقام وذهب مرضه فعزمه الفتى يوما فأبى ان يذهب معه فقلت له لاى شئ امتنعت فقال لست معصوما وأخاف ان تحدثنى نفسى عند الخلوة

خفاجة فتجنبت دونها الحى كل شوكة
نجوم بها نسر النماصل وكرا
وخضت ظلام الليل بسود فحمة
ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحى والليل مطرق
منمم ثوب الافق بالانجم الزهر
أشيم بها برق الحديد و ربما
عثرت باطراف المثقفة السمر
فلم ألق الا صعدة فوق لامة
فقلت قضيب قد أطل على نهر
ولا شمت الا غرة فوق أشقر
فقلت حباب يستدير على خمر
فسرت وقلب البرق يخفق غيرة
هناك وعين النجم تنظر عن شزر

(قلت) أنظر الى هذه الابيات التى أفرغت فى قالب عجيب وأسلوب غريب فبينا صاحبها يصف أدهم الليل اذ مالت عليه الخيل كل الميل و بينا هو يكافح الاسود اذا به ينهد على النهود و بيناه و يقيم قدود الملاح مقام الرماح اذا به يقول لخدودها

من صدعن نيرانها
فانا ابن قيس لا براح

قد أحسن فيها الاستعارة وسار بنظمها العالى وعدها السبعة السيارة فنظمه فى النجوم ودمع المتلبس بحالته كالرجوم ومن شعره فى هذا النمط ودره الداخل فى هذا السقط قوله أيضا

وليل طرقت المالكية تحته
أجذ على حكم الشباب مزارا
فخالطت أطراف الاسنة أنجما
ودست بهالات البدو ردبارا

(وقال أيضا)

يطلنى منه بوعد شقة
خيال له يغرى بمطل وليانه
شققت عليه لجة من صوارم
عليها حباب من أسنة راكز

بما يحجبنى عن الله * وحكى أيضا قال صحب محمد بن قطن الصوفى غلاما زمنا طويلا فلما مات الغلام نحل حتى بدا عظمه فرأيته يوما وقد وقف على قبره يبكى والسماء تمطر فما برح حتى جئت من الغد فوجدته ميتا فدفنته الى جانبه * وصحب أبو الحسن غلاما كأنما خلق الحسن على صورته أو خلق من نفس من ينظر اليه فكان يأتى به الى بيته فتحدث الناس فيهما فمنع الغلام أهله من صحبة أبى الحسن فنحل حتى شارف الموت فأنشد

يا من بدائع حسن صورته * تثنى اليه أعنة الحدق
لى منك ما للناس كلهم * نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بأمنهم * وشقيت حين أراك بالفرق

ولم يزل حتى مات وغالب هذا الباب من رواية أبى حمزة عنهم والكل متقارب مكرر انتهى ما أردنا تحريره من أحوال العشاق على اختلاف أنواعهم

(خاتمة فى ذكر ما عولج به العشق من الدواء وقصد به السلو عن الهوى) وهو الباب الرابع من الكتاب قد سبق فى صدر الكتاب انه لا علاج للعشق على الاصح الا دوام الوصال ما لم يتمكن أو يوقع فى الخبال فمن العلاج ما ذكر عن عمر رضى الله عنه انه عالج بالتغريب وتشويه الخلقة وذلك انه مر ليلة فى المدينة فسمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أو من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنمه أعراق صدق حين تنسبه * أخى حفاظ عن المكروب فراج

فقالت لها امرأة معها من نصر قالت رجل أود لو كان معى طول ليلة ليس معنا أحد فدعا بها عمر فخفقها بالدرة ودعا بنصر فحلق شعره فعاد أحسن ما كان فقال له لا تساكنى فى بلد يتمناك النساء بها وأخرجه الى البصرة وخافت المرأة فكتبت الى عمر تستعطفه

قل للامام الذى تخشى بوادره * مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
انى غنيت أبا حفص بغيرهما * شرب الحليب وطرف غيره ساجى
ان الهوى ذمه التقوى فقيده * حتى أقر بالجام واسراج
أمنية لم أطر فيها بطائرة * والناس من هالك فيها ومن ناجى
لا تجعل الظن حقا أو تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجى

وكان عمر قد سأل عنها فوصفت له بالعفاف فأرسل اليها قد بلغنى عنك خير فقرى ومضى على نصر مدة بالبصرة فأراد عاملها ارسال بريد الى المدينة فدس نصر بن حجاج كتابا يستعطف فيه عمر ويسأله العود وفيه يقول

لعمرى لئن سيرتنى أو حرمتنى * وما نلت من شتمى عليك حرام
أئن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض أمانى النساء غرام
ظننت بى الظن الذى ليس بعده * بقاء فمالى فى الندى كلام
فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لى فى المكتين مقام
ويمنعنى مما تظن تكرمى * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تظن صلاتها * وحال لها فى قومها وصيام
فهذان حالانا فهل أنت راجعى * فقد جب منى كاهل وسنام

لا انما كنت أدرى انهم خلقوا (وقال الآخر)

تهون علينا فى المعالى نفوسنا * ومن يطلب العليا لم يغله المهر

(وقال آخر)

يغوص البحر من طلب اللآلى
ومن طلب العلا سهر الليالى
تروم المجد ثم تنام ليلا
لقد أطمعت نفسك بالمحال

(وقال المتنبى)

تريدين ادراك المعالى رخيصة
ولا بد دون الشهد من ابر النحل

(الباب السادس والعشرون فى طيب ذكر الحبيب)

(أقول) هذا باب عقدناه لذكر من صال وجال وذكر محبوبه حين تكسرت النصال على النصال فى كل موقف الوقوف فيه هزيمة والموت غنيمة ولا سيما اذا أقيمت القسى مقام الحواجب والتبست الخدود بسود الكواعب واشتبهت الرماح بالقدود والبيض بحمرة الخدود وهنالك يجعل جبينه المشار اليه نصب عينيه لا يلهيه عنه ضرب الحسام ولا جعله غرضا للسهام وعلى هذا حكاية الطغرائى التى أربى فيها على عنترة العبسى وزاد بها فى الوفاء بشرط المحبة على كل جنى وانسى وهو ما حكاه غير واحد من أرباب التاريخ ممن خبر وخبر وتصدى وتصدر وذلك ان مؤيد الدين فخر الكتاب أبا اسمعيل الحسين الاصبهانى المنشئ المعروف بالطغرائى كاتب الانشاء للملك مسعود لما كانت الوقعة بين الملك مسعود وبين أخيه السلطان محمود بالقرب من همدان والرى وانهزم الملك مسعود كان أول من أخذ الطغرائى فلما عزم السلطان اخو مخدومه على قتله بعد أن قيل له عنه أشياء من جملتها أنه ملحد وانه يحب المملوك الفلانى من مماليك السلطان ممن كان السلطان يحبه ويميل اليه ظفروه عليه الى أن أمر بقتله وأن يشد الى شجرة وأن يقف تجاهه جماعة ليرموه بالسهام ففعل ذلك وأوقفوا انسانا خلف الشجرة من غير

فقال

فقال عمر أما ولي سلطان فلا وبعث اليه فاقطعه بالبصرة ما يعيش به وقيل نزل نصر على مجاشع بن مسعود السلمي من بني عمه فاكرمه ورفع محله وسمي نصر بهما المتمني وكان تحت مجاشع شميلة بنت أبي حيان بن أبي بهر وكانت من أجمل النساء فتولعت بنصر وتولع بها وزاد حبهما فاخفياه وكان مجاشع أميا فكتب لها نصر تومافي الارض أحبك حبا لو كان فوقك لاظلك أو تحتك لاقلك فكتبت هي وأنا وقيل قالت ذلك بلفظ خفي فقال مجاشع ماقال قالت يقول ما أحسن داركم فقلت وأنا قال ماهذا الهذا وجعل على الكتابة صحفة فحين أصبح دعا غلاما فقرأها فقال هي طالق ألفا يا ابن أخي فقال نصر وهي طالق ان تزوجت بها وقيل ضعف نصر من حبها فارسلها مجاشع اليه بطعام فضمت نصرا الى صدرها وأطعمته بيدها فشفي من وقته فقال بعض الحاضرين قاتل الله الاعشى حيث يقول

لو أسندت ميتا الى صدرها * عاش ولم ينقل الى قابر

وقيل لما عادت عنه مات وعاشت شميلة طويلا وقتل مجاشع يوم الجمل وقيل اسمها خضراء وانها من بجيلة وانها أول من لبست الشفوف وقيل ان مجاشعا حين طلقها أخبر أبا موسى بالقصة وكان عاملا على البصرة فقال لنصر ما أخرجك أمير المؤمنين من خير أخرج عنا فاتى فارس فعلقته دهقانة فبلغ عثمان بن أبي العاص فقيل أخرجه الى الشام وقيل انه حين عزم على اخراجه قال ان أخرجتموني لحقت بالشرك فكاتبوا عمر فامر بجز شعره وتشمير ثيابه والزامه المسجد والمتمنية هي فريعة بنت همام كانت اذ ذاك تحت المغيرة بن شعبة ثم تزوج بها يوسف الثقفي فاولدها الحجاج وبها كان يضرب المثل فتقول العرب أصبا من المتمنية وادنف منها * ومن السلو عن الهوى استعمال الحساب والخوض في المشاجرات ونحو ذلك مما سبق ومنه رقوات وكتابات قيل وجد على قبر الملوك حجر أو صحفة ذهب مكتوب عليها

ما أحسنت سلمى اليك صنيعها * تركت فؤادك بالفراق مروعا

قيل استخبرت كاهنة عن البيت قالت كانوا يكتبونه مقلوبا ويسقونه العاشق فيسلو ومن الشائع بين العرب ان تراب قبر العاشق اذا شرب منه في خشب الطرفاء يوم الاربعاء قبل طلوع الشمس احدث السلو (وأخبرني) من أثق به بدمشق سنة خمس وستين وتسعمائة بالجامع الاموي قال عشق صديق لنا امرأة وازداد ولوعه بها حتى انفد ماله وهي تكثر التجني عليه ومرض من حبها حتى أيس من حياته وعزم على ان يشرب السم ليموت فشكا ذلك الى صاحب له فكتب له في كفه يوم الثلاثاء عشر صادات وأربع عينات وثلاث باآت وخمس هاآت وعشرين كافا وأمره ان يلحس ذلك وكرر الفعل ثلاثا فكأن الله لم يخلق حبها عنده (ورأيت في كتاب للبوني) سماه خزائن الاسرار في علم الحروف والاصفار انه من كتب سورة يس في نحاس ومحاها بماء المطر وشرب البعض واغتسل بالبعض سلا وقيل ان عين البوم اليسار واظفار الخفاش اذا جعلت في جلد حمار وحش وحملت على العضد الايسر أحدثت السلو ويقال ان حجر الجزع اذا علق فعل ذلك ولكن قد جرب ان حمله يورث الهم

(الباب الرابع في ذكر ماسوى البشر وما للقوام من العبر)

وهو نوعان (الاول) في الجنة وما للقوام من المحنة اسند المصنف عن الحافظ ابن حجر العسقلاني يرفعه الى البيهقي انه قال تزوج سعد بن أبي وقاص امرأة فرأى عندها على الفراش ثعبانا فهم بقتله فقالت هذا كان يتبعني وانا في بني عذرة عند أهلي فقال له سعد هذه امرأتي تزوجتها

مفوقة لرميه (وأخبرني) بعض من حكى لي هذه الحكاية من أهل الادب ان أول من فوق اليه السهم المملوك المتيم هو بحبه فانشد الطغرائي في تلك الحالة يقول

ولقد أقول لمن يسدد سهمه
نحوي وأطراف المنية تشرع
والموت في لحظات أحور طرفه
دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل ترى
فيه لغير هوى الاحبة موضع
أهون به لو لم يكن في طيه
عهد الحبيب وسره المستودع

فامر السلطان باطلاقه وحل وثاقه لما رآه من ثبات جنانه وسحر بيانه وقد زاد هذا العاشق على من تقدمه من المتصفين بهذا الوصف كابن عطاء السندي حيث يقول

ذكرتك والخطي يخطر بيننا
وقد نهلت مني المثقفة السمر
فوالله ما أدري واني لصادق
أداء عراني من حبالك أم سحر

(وقال عنترة)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(وما أرق قول الطغرائي أيضا)

اني لأذكركم وقد بلغ الظما
مني فاشرق بالزلال البارد
وأقول ليت أحبتي عاينتهم
قبل الممات ولو بيوم واحد

(وقال آخر)

ذكرت سليمى وحر الوغى
كقلبي ساعة فارقتها
فشبهت سمر القنا قدها
وقد ملن نحوي فعانقتها

(وقال ابن تميم)

ألا من يبلغ المحبوب أني * وقفت والظبى حولي صليل

على كتاب الله وسنة نبيه فاذا تريد منها فانساب حتى دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وصعد فى السقف فلم ير بعدها (ويحكى) عن الربيع بنت معوذ بن عفراء من طرق مختلفة كثيرة (حكاية) حاصلها ان جنيا أتاها فى هيئة ثعبان أسود فعالجها فاتى بكتاب أو قال رق أو نحاس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من رب الكبير الى الكبير أو قال من رب كعب الى كعب ليس لك على بنات الصالحين أو قال على أمتى بنت عبدى الصالح سبيل فقرصها قرصة بقيت الى الموت أو قالت جعل يده فى حلقي فاسود وأخبرت بذلك عائشة (ويحكى) عن رجل انه سافر فجاء جنى الى زوجته فى زيه فلما جاء قال له لك ليلة ولى ليلة والا قتلتك فانى أحبها فاتفقا على ذلك فجاء الجنى ليلة فقال انا نسترق السمع بالنوبة وهذه ليلتى فهل لك ان تكون معى قال نعم قال فحملنى حتى لصق بالسماء فسمع قائلا يقول ماشاء الله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فوقع وراءق فصرت أقولها اذا جاء فيذهب الى ان مضى ولم أره وعندى فى هذه بعد لانه كان راكبه فكيف جاء الى أهله حين سقط الجنى فى الخراب (واما حكاية الديك) فقد أورد المصنف بعضها وأصل ذلك ان رجلا خرج لحاجة له فرأى شخصا يمشى فتحادثا الى ان قربا من القرية فقال الشخص للرجل أنا جنى وقد صار بيننا صحبة ولى اليك حاجة فهل تقضيها لى قال نعم فقال امض الى بيت فلان فان عندهم ديكا أبيض معشرا فاشتره بما عساه ان يكون واذبحه فقال له كرامة ولكن انا أيضا لى اليك حاجة فقال وما هى فقال تخبرنى اذا البستم الانس ما الذى يخرجكم فقال له الجنى انى مفيدك ذلك بشرط ان تكتمه فلما وافقه قال له خذ عنى من أخذ من بين عينى حمار وحش قطعة كالسير فجعلها فى عضده الشمال ولبس من حافره خاتما لم يقربه جنى فمضى الانسى فاشترى الديك وكان عندهم جارية لم ير أحسن منها فحين ذبح الديك صرعت فجاؤا اليه وتعلقوا به فقال على برؤها فمضى وصنع لها الخاتم والسير فحين دنا بهما منها صاح الجنى وقال له أو على نفسى علمتك والله ان فارقتها مت فلم يلتفت اليه وألبسها ذلك فذهب عنها

(النوع الثانى فى ذكر من كلف وهو غير مكلف وأوهن العشق قواه حتى تلف أو كاد ان يتلف) قد أسلفت لك فى صدر الكتاب كيفية ارتباط العالمين فى التكاليف وتداخل اللطيف فى الكثيف واختلاف القوابل والفواعل وقدر ذى استعداد كل لصاعد أو نازل وان العشق سر يودعه الله فى الارواح عند صفائها وسهولة انقيادها ثم يختلف باختلاف البواعث والدواعى وميل النفوس بحسب مرادها فعلى هذا لا يخص نوعا دون نوع من أحد الاجناس كما ترشد اليه أدلة التجربة القياس غير انه مختلف الرتب كما لا يخفى على ذوى الادب وقد صح كما سبق ان الانسان أفضل الموجودات لعلمه باحكام الاحوال المختلفات فلذلك كان واسطة نظام هذا الشأن ثم ما يليه الاقرب فالاقرب من أنواع الحيوان حتى ينتهى القول الى الاجرام العنصرية وما بينهما وبين الطبقات السماوية وحيث أنهينا الكلام فى هذا المقام على ما يتعلق بالانسان فلنبين كيفية دخول العشق فى باقى أنواع الاعيان فننظم هذا النوع فى خمسة أصناف *(الصنف الاول فى الطيور)* هى ألطف الحيوان مزاجا لانحلال كثيفها بخرق المواء وذهاب فضلاتها فى نحو الريش فلذلك داخلها التألم بالنوى * حكى الحافظ عن بعض الثقات انه تفرد فى معبد منقطع فوجد فيه حمامتين يبيتان فاذا برق الفجر ذهبتا فلا يأتيان الى الليل قال وكنت أشهد

من حولنا والسمهرية شرع
وعلى مكافحة العدو فى الحشا
شوق اليك تضيق عنه الاضلع
ومن الصبا ولم أجر اشيمتى
حفظ الوداد فكيف عنه ارجع

(وقال الشريف البياضى)

ولقد ذكرتك والطبيب معبس
والجرح منغمس به المسبار
والدم وجهى قد فراه جديده
ويمينه حذرا على يسار
فشغلتنى عما لقيت وانه
لتضيق منه برحبها الاقطار

(وقال ابن رشيق)

ولقد ذكرتك فى السفينة والردى
متلاطم متوقع الامواج
والجو يهطل والرياح عواصف
والليل مسود الذوائب داجى
وعلى السواحل للاعادى عسكر
يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة
وأناوذكرك فى ألذ تناجى

(وقال أبو الثناء محمود)

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع
والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن فى شفق الدروع تخاله
حسناء ترفل فى رداء مذهب
والموت يلعب بالنفوس وخاطرى
يلهو بطيب ذكرك المستعذب

(وقال صفى الدين الحلى)

ولقد ذكرتك والعجاج كأنه
مطل الغنى وسوء عيش المعسر
والسوس بين مجندل فى جندل
مناو بين معفر فى مغفر
فظننت انى فى صباح مسفر
بضيا ووجهك أو مساء مقمر
وتعطرت أرض الكفاح كأنما

احداهما تتخلف فتأتيها الاخرى بقوتها وداما على ذلك مدة فلما كان يوم من الايام خرجنا فاذا بباشق انقض فاخذ الواحدة فرأيت الاخرى تتبعه حتى غاب وأيست فعادت الى المبيت وفيه ريش فلقد رأيتها تتميز ريش المخطوفة حتى جمعته وجعلت تضرب بجناحها الارض وتتمرغ على الريش وتضرب نفسها حتى نتفت ما أمكنها من ريش نفسها فقدمت لها أكلا وماء فلم تلتفت لشئ فلما طلع الصبح رأيتها ميتة والريش في فيها (ورأيت في كتاب) لا أعلم مؤلفه سماه لطائف الاسرار وكيفية جريان الاقدار طالعته سنة تسع وخمسين ولم يكن لي اذ ذاك اعتناء بهذه الاشياء ان غرابا كان يأوي الى حائط فيقيم به فجاء يوما فوجد حية قد استولت على محله فذهب فجاء بحجر صغير فرماه عليها فماتت فقال من رآه انه رمى به وأخذ الحجر فتبعته فمضى حتى ألقاه في عش خطاف ثم صار يأخذ الماء والاكل فيمضي بهما الى افراخ الخطاف مدة طويلة ولم أشعر يوما الا وقد أقبل ومعه اثنان من الخطاطيف فباتا معه ودام على ذلك أياما فبينما أنا يوما اذا بالواحد منهما سقط فنزل الغراب فحمله فسقط فحمله عشر مرات فلم يستقر ساعة حتى رأيت الغراب يمزق نفسه حتى مات فقمت الى العش فرأيت الخطاف ميتا والآخر الى جانبه يضطرب فمات وأنا أنظره ولم أزل أتفكر في هذا الحجر حتى وقفت على خواص الاحجار فرأيت ان داخل الصين اغوارا يسيل الماء فيها فينعقد حجرا اذا ترك مدة ويغزل خيوطا كالحرير تنسج منه أهل تلك البقعة ثيابا اذا اتسخت ألقيت في النار فيذهب ما فيها وانه قبل أن ينغزل اذا أخذ نفع من اليرقان والحصى وسائر السموم وانه يقتل الحياة بمجرد الرؤية وحذاق الحكماء تعمد الى اعشاش الخطاطيف فتدهن فراخها بالزعفران فتظن أمهاتها ان اليرقان اعتراها فتمضي الى أماكن هذه الاحجار فتأتي بها فتأخذه الحكماء فسبحان من ألهم كل شئ رشده (وفي الكتاب المذكور) ان رجلا اشترى زوج بط فلما ذبح الواحد جعل الآخر يضطرب تحت المكبة حتى رفعت عنه فجاء الى الدم فلم يزل يتمرغ فيه حتى مات * وقالوا ان أوفى الطيور في المحبة القمري والشقي أعني الفاختة وانه اذا مات أحد الزوجين تعذب الآخر فلم يأنس حتى يموت وكثيرا ما سمعنا عن نحو البلبل والشحرور والحنين الى الغناء والملاهي والاصوات الحسنة وان بعض الطيور نزل على يد بعض الوعاظ حتى مات (وحكى) عن سفيان أن بلبلا كان لولده وانه أقام يرعى ويأتي البيت حتى قيل انه مضى مع الناس يوم موته الى القبر ورجع فاضطرب حتى مات وأما قصة الزاغ فمشهورة جدا وهي ان السعدي قال وجه الى يحيى بن أكثم بالمثلثة فدخلت واذا عن يمينه قمطر جلد يعني قفصا فقال اكشفه فكشفته فخرج شخص نصفه الاعلى إنسان والاسفل زاغ فقال لي كلمه فاستسميته فانشد

أنا الزاغ أبو عجوه * أنا ابن الليث واللبوه
أحب الراح والريحا | ن والنشوة والقهوه
فلا عدوان لي يخشى * ولا يحذر لي سطوه
ولي أشياء تستظرف يوم العرس والدعوه * فمنها سلعة في الظهـ
ـر لا تسترها الفروه * وأما السلعة الاخرى * فلو كانت لها عروه
لما شكت جميع النا * س فيها انها ركوه

ثم قال يا كهيل أنشدني غزلا فقال يحيى قد استنشدك فانشده فانشدته

أغرك ان أذنبت ثم تتابعت * ذنوب فلم أهجرك ثم ذنوب

وبت على بساط سرور
فظننت اني في مجالس لذتي
والراح تجلى والكؤوس تدور
(وقال آخر) وله حكاية تماثل حكاية الطغرائي المتقدمة مذكورة في منازل الاحباب
ولقد ذكرتك والرماح تنوشني
عند الامام وساعدي مغلول
ولقد ذكرتك والذي أنا عبده
والسيف فوق ذؤابتي مسلول
(وقال أبو طالب الرفاء)
ولقد ذكرتك والظلام كأنه
يوم النوى وفؤاد من لم يعشق
وللناس في هذا البيت كلام وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان
ولقد ذكرتك والبحر الخضم طغت
أمواجه والورى منه على سفر
في ليلة أسدلت جلباب ظلمتها
وغار كوكبها عن أعين البشر
والفلك في وسط الامواه تحسبها
عينا وقد أطبقت شفرا على شفر
والروح من حزن راحت وقد وردت
صدري فيا لثمن ورد بلا صدر
هذا وشخصك لا ينفك في خلدي
وفي فؤادي وفي سمعي وفي بصري
وقلت أنا في رمل طريق مصر الى الشام من مقامة
ولقد ذكرتكم برمل بروغه
في قلب كل مشرق ومغرب
وبنو بياضة كالدبى من حولنا
بسوادهم سدوا فسيح السبسب
والقضب تبري هام كل مدجج
من كف أشوس بالحمر وبمهذب
وأسنة الارماح تلمع في الدجى
كوميض برق في العجاجة ملهب

وأكثرت حتى قلت ليس بصارمي * وقد يصرم الانسان وهو حبيب

فجعل يقول زاغ زاغ ونزل القمطر فقلت ليحيي أصلحك الله أو عاشق أيضا ثم سألته عنه فقال لا أعرف منه الا ما رأيت وقد وجه به صاحب اليمن الى أمير المؤمنين ولم يره بعد ومعه كتاب لم أفضه أظن فيه أمره وروبت هذه القصة عن سوى السعدي وانه كان عند أحمد بن أبي داود وان الابيات التي أنشدها الزاغ هي

وليل في جوانبه فضول * من الاظلام أطلس غيهبان

كأن نجومه دمع حبيس * ترقرق بين أجفان الغواني

(الصنف الثاني في ذكر بعض ما وقع للحيوان من أمور العشق في اختلاف الازمان)

حكى الشيخ قدس الله سره ان أعظم الحيوان ادراكا من ذوات الاربع الخيل وانها أقرب من غيرها الى مزاج الانسان وقد بسطت أحوال الحيوانات وما بينهما من الاختلاف والاتفاق والقرب والبعد في كتب الزردقة والخيل أحسن الحيوان مزاجا وادراكا حتى انها لا تنزو على محرم أبدا قال الشيخ جيء لحصان بأمه مبرقعة فلما نزل عنها انكشفت الثوب فعرفها فجعل يجري حتى ألقى نفسه من جبل شاهق فتقطع * وفي لطائف الاسرار ان رجلا من أصفهان ولدت عنده فرس حصانا وأخرى أنثى فائتلفا فكان اذا فرق بين واحدة وأخرى لا تمشي كل منهما ولا تأكل ولا تشرب وتصيح حتى تجتمعا قال وربما كان يطرح الأكل للواحدة قبل الاخرى فلم تذقه حتى يطرح للاخرى قال وشاهدت إحداهما تدفع بيدها حشيشا الى الاخرى وان إحداهما مغلت وقصدها البيطار فلما رأت الاخرى الدم قطعت الرباط وجاءت ففرغت نفسها فيه حتى سقطت ميتة فلما رأتها المقصودة طرحت نفسها عليها فاذا هي ميتة (وحكى) فيه أيضا ان ملك الهند بعث الى صاحب بخارى بفيل فأحسن خدمته فلما كان يوم حرب بينه وبين قندهار وهم يركبون الافيال يقاتلون على ظهورها خرج به فحين اصطفوا نظر الفيل الى فيل آخر في ذلك العسكر فعمل حتى طرح ما عليه واخترق الصفوف حتى جاءه فانطرحا الى الارض وجعل كل منهما فنطيسته على الآخر وجاء الناس ليفرقوا بينهما فاذا هما ميتان * وفي اللطائف أيضا ان غزالا كان يأوي الى محل في جبل وان شخصا رآه يتردد الى ذلك المحل فتبعه فرأى وعلا في غار وبيده ألم لا يمكنه المشي ورأى مع الغزال قطفا من عنب وهو يلقيه في فم الوعل فانصرف عنهما (وحكى فيه أيضا) عن شخص بغدادي خرج في بعض أسفاره فبينما هو جالس في القيلولة وقد بسط سفرة ليأكل واذا بكلب أقبل فأخذ رغيفا فقام وتبعه حتى انتهى الى غار فاذا فيه كلبة قد عطلت عن الحركة فجعل يكسر الرغيف ويضع في فيها وهو يترضاها فتعجب التاجر وانصرف (وحكى) الجاحظ ان ملكا من أقيال اليمن اعتنى بكلب فكان يلبسه الحرير ويطوقه الذهب ويجعله معه حيث كان فألفه الكلب حتى كان اذا غاب عنه لا يستقر فاعتراه ما ضعف فخرج الملك الى الصيد وتركه في المطبخ وكان قد أوصى ان يطبخ له أرز بلبن فجعل الطباخ اللبن في القدر وخرج ليأتي بالارز فخرجت حية من السقف فسقطت في اللبن والكلب ينظر وجاء الطباخ فرمى الارز ولم يشعر حتى تهرت وخشي الطباخ سطوة الملك وقد فجأه بطلب الارز ونزل وطلب ان يأكل في المطبخ فحين شرع وأتى وضع الطعام جعل الكلب يصرخ ويضطرب فقال الملك ماله فقالوا لا نعلم فقدم له طعام فامتنع وجيء بالارز الى الملك فصاح الكلب واشتد وجده

حتى

والبر يخفر بالدماء والبحـ ـر بالفرنج وكل كاب أجرب
وعلى السواحل غارة شعواء ما فيها لمن يرجو النجاة من مهرب
وأنا باوتار القسي كأنني فيه أغني بالرباب وزينب
وأقول ليت أحبتي يدرون ما ألاقيه من لهو وعيش طيب

وقال مجنون ليلى

ذكرتك والحجيج له ضجيج بمكة والقلوب لها وجيب
فقلت ونحن في بلد حرام به لله أخلصت القلوب
أتوب اليك يا رحمن مما جنيت فقد تكاثرت الذنوب
وأما عن هوى ليلى وتركي زيارتها فاني لا أتوب

وللناس على هذا البيت الاخير كلام (وحكى) عن ليلى الاخيلية انها مرت مع زوجها بقبر توبة بن الحمير فقال لها هذا قبر الكذاب الذي قال

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا اليها صدى من جانب القبر صائح

فقالت دعه فقال أقسمت عليك الا ما دنوت منه فسلمت عليه فأبت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت السلام عليك يا توبة طار من جانب القبر طائر كان هنالك وزقا ونفر منه جمل ليلى فوقعت من أعلاه فاندقت عنقها وماتت من وقتها ودفنت الى جانب توبة وهذا من العجائب لانه وفى لها بما التزمه بعد الموت وقد بالغ الآخر حيث قال

لو خز بالسيف رأسي في مودتها لمر يهوي سريعا نحوها رأسي
ولو بلى تحت أطباق الثرى جسدي لكنت أبلى وما قلبي لكم ناسي
لم يقبض الله روحي صار ذكركم * روحا أعيش به ما دمت في الناس

(وقال آخر)

ولقد ذكرتك والظلام معبس * وأنا قعيد فى البيوت وحيدتى

حتى قطع السلسلة وعاجل الملك قبل أن يأكل فوضع فمه فى الطعام وأكل فتفزر جلده لوقته ومات فضرب الملك الطباخين واستشهرهم فأقروا فعلم ان الكلب فداه بنفسه لمحبته فكفنه فى حرير وبنى عليه قبة قال الجاحظ وهى الآن باليمن تسمى قبة الكلب (وحكى) عن أبى العيرانه كان عنده جار فمات فرآه فى النوم ينشده شعرا يقول فيه أنه مات عاشقا فسأله المتوكل ما الذى كان من شأنه قال يا أمير المؤمنين كان أعقل من القضاة ليس له هفوة ولا زلة فاعتل على حين غفلة فمات فرأيته فى النوم فقلت له ألم أنق لك الشعير وأبرد لك الماء فما سبب موتك فقال أتذكر اذ وقفت بى على الصيدلانى يعنى العطار قلت نعم قال مرت اذذاك أتان فافتتنت بها ومت فقلت وهل قلت فى ذلك شيأ قال نعم وأنشد

هام قلبى باتان * عند باب الصيدلانى * تيمتنى يوم رحنا

بثناياها الحسان * وبخد ذى دلال * مثل خد الشيقران

فبها مت ولو عشت اذطال هوانى

فقلت له يا أبا معاذ وما الشيقران فقال أنا مشغول بما أنا فيه وهذا كلام تعرفه الحمير فاذا رأيتم حمارا ومن كان أ لا حمارا فاسألوه فضحك المتوكل حتى سقط وأمر له بعشرة آلاف درهم وتنسب القصة فيما حكاه صاحب نديم المسامرة الى بشار فهذا ما أردنا تلخيصه من أمور الحيوانات

(الصنف الثانى فى ذكر ما جرى من القوة العاشقية والمعشوقية بين الانفس النباتية)

نقل فى لطائف الاسرار وبه جزمت الحكماء ان أصح النبات وأعدله وأكمله خلقا جمع أموراتسعة الورق والعود والثمر والنوى والصمغ والدهن والليف والقشر والاصول وقد كمل فى النخل ذلك فهذا أعدل النبات وفى الاخبار انه من طينة آدم وورد أكرموا عماتكم النخل وفى الصحيحين أتعرفون شجرة هى كالرجل المسلم الحديث وفى الفلاحة النبطية ان النخلة تحاف وتفرخ وتعشق نخلة أخرى فقد صح ان النخلة اذا لم تحمل ضرب فى أصلها بفاس ويقول شخص آخر لاى شئ هذا فيقول الضارب دعنى أقطعها فانها لم تحمل فيقول دعها فى هذا العام فان لم تحمل فاقطعها فانها تحمل وقد جرب ذلك (وحكى) فى النفائس قال زرع شخص أربع نخلات متقابلات فحسن ثمرهن سنين ثم أصيبت واحدة فيبست فلم تحمل التى فى مقابلتها (وحكى) أيضا ان شخصا كان له نخل وكانت واحدة منهن تزهر وتسقط قبل الانعقاد وربما تثمر ويسقط قبل البلوغ فشكا ذلك الى حاذق فتأملها حتى نظرها فقال انها عاشقة ثم دعا برصاص فصنع شريطا وربطه منها الى نخلة أخرى هناك فحسن ثمرها فى تلك السنة ودامت كذلك وان صاحب البستان قطع الشريط لينظر فأسقطت الزهر فاعاده فصلحت (وحكى) بعض ذلك فى الخريدة وأما ما بين الفلفل والكافور والتين والنفط والزنجبيل والازدارخت فاشهر من أن يحكى وغاية الامر أن يدعى فيه الخواص فيقال ان شدة الائتلاف بين العاشق والمعشوق من قبيل الخواص

(الصنف الرابع فيما بث من الاسرار بين أصناف الاحجار)

اعتلاق المغناطيس والحديد مما لم يشك فى وجوده وهذا لكثرة وجود المغناطيس والا فلسائر المنطرقات أحجار من الجمادات تجذبها المشاكلة بينهما فى الزئبقية والكبريتية وهذا ظاهر التعليل وأغرب منه ما حكى فى اختصار الكائنات للعلم ان بالبحر دابة كالارنب

والجو يقطر من تعودى فى الهوا

ما فيه من خل يكون عشيقتى
والبق والناموس حولى عسكر
يتقاتلون على شرب حميمتى
والفار يلعب فى الزوايا دائما
وينط كالقعقاع فوق كويرتى
والعنكبوت يحوك حلة خيمة
يصطاد ذبابا تجوز كويتى
والاكل خبز مثل رأسى يابس
والشرب مر من دخين بليدتى
وسماع نغماتى طنين بعوضة
وصر يرصرصرة وصفر بويمة
فوددت تعنيق القويرة كلما
زعلت لانك مثلها فى الخفة
وحسدت أيدى العنكبوت لشبهها
بأصابع لك شبهها فى الرقة *
وطربت من صوت الصراصر نغمة
اذ أشبهت نغمات صوت حبيبتى
فبكيت شوقا حيث لا أنت معى
تتنعمين تنعمى فى غرفتى

(الباب السابع والعشرون فى طرف يسير من المقاطع الرائقة والاغزال الفائقة مما اشتمل على ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك)

أقول هذا باب عقدناه لذكر طرف يسير من الغزل والنسيب ومحاسن التشبيب مما يطرب سماعه ويؤخذ لطالع الحسن ارتفاعه كقول بلدينا الشاعر الظريف محمد بن العفيف

أيسعدنى يا طلعة البدر طالع
ومن شعرتى خط بخديك نازل
نعم قد تناهى فى الجفاء تطاولا
وعند التناهى يقصر المتطاول
وما كنت مجنون الهوى قبل أن يرى
لقلبى من صدغيك فى الاسر عاقل
ولولا سنان من لحاظك قاتل
لما كنت أدرى ان طرفك ذابل

ولم لا يصح الوجد فيك وناظرى * لتستحسن من سناك يقابل
ولو ان قيسا واصفا منك وجنة *

يتولد في رأسها حجر اذا أخذ وأشير به الى اللحم أو الحيوان انجذب حتى يلصق بالحجر وفيه أيضا ان شخصا نزل بأرض اللؤلؤ مما يلي جزيرة رامهرام فوجد الشمس اذا أشرقت على أرضها ترتفع منها أشعة ثم تتراقص أحجارها وتضطرب حتى تجتمع فاذا غربت الشمس افترقت الاحجار

(الصنف الخامس فيما بث من الاسرار الملكية بين الاجسام والاجرام الفلكية وهذا منتهى الكائنات وسر الموجودات ومن حيث بدئ الشئ عاد عند مفارقة الفساد)

اعلم ان الايام والاجرام والبروج والكواكب والاجسام والدور متطابقة التاليف متوافقة التكييف قد تربعت جهة وبحارا وأقطابا وطبعا وتشعبت قوى وجوانب ونقصا وزيادة الى غير ذلك فنالها في الانسان اثنا عشر مخرجا عينان وأذنان وفم ومنخران وسرة وثديان وسبيلان قد قيست بالبروج ونفس بالشمس اذ لا تزيد ولا تنقص وعقل بالقمر في قبول الحالتين والخمس الحواس بالخمس البواقي وهكذا الى درج في العروق ومفاصل بالجو زهرات والكل خدمة بلسان الشرع ملائكة ولسان الحكمة نفوس وعقول مجردة وفرع أهل الرياضة والروحانيات والارصاد على ذلك الاستخدام واستنزال الكواكب وتكليمها والطيران اليها وتحريك الجمادات الى غير ذلك مما بسطناه في كتبنا الحكمية وجارينا فيه أهل كل فن على مقتضى قواعدهم مما لا يليق بهذا المحل وهل ذلك الاقوة عاشقية فليعتبر أولو الابصار وليتذكر أولو الالباب فسبحان من أوجد ذلك واستغنى عنه وأثر فيه ومنه لا تغيره الازمان ولا تفنيه الاوقات ولا يعجزه اختلاف الاكوان

(الباب الخامس في تتمات يفتقر اليها الناظر في هذا الكتاب ويحسن موقعها عند أولي الالباب) فذلك هو المشرع الجامع لما ذكر في المصارع وينحصر في فصول مختلفة وان كانت في الجنس مؤتلفة

(فصل في تحقيق معنى الحسن والجمال وما استلطف في ذلك من الاقوال)

الاصل في المحاسن والمطلوب عند العقلاء في كل المواطن انما هو اصلاح السرائر وتهذيب البواطن لا الظواهر وانما ضم اصلاح الظاهر الى ما ذكر طلبا لتحصيل الكمال ودلالة في الاغلب على الاعتدال ويتم الاول بتحسين المقاصد واصلاح العقائد وقصر القلب على عتبات الحق في تلك المواقف مستمدا بالمراصد مستعدا للاوامر الالهية وتلقي ما في تلك الصحائف وذلك كما قال محقق المنقول ومهذب الفروع والاصول وجامع المراتب الباطنة والظاهرة وقطب دائرة الكائنات في الدنيا والآخرة ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وصلاحه استعداده لقبول ما يجب فعله وترك ما يجب تركه وذلك متعذر الا بعد الاخذ بالحظ الاوفر من أمهات الاخلاق وهي الحكمة والشجاعة والمروءة والعدالة فانها لهذا المورد كالاخلاط للمزاج افراطا واعتدالا وخير الامور سلوك الاعتدال للسلامة من الافراط والتفريط الا لاحقين لكل من هذه كالتهور والجبن ولازم مما ذكرنا التخلق بالعفاف والزهد والصدق والورع والتسليم الى غير ذلك وعد قوم العفة أصلا بدل المروءة لانها تندرج في العدالة وبعض المتصوفة جعل التسليم أصلا أيضا وبالجملة فهذه الخصال الداعية الى حفظ ما به النظام من النفس والعقل والعرض والمال فان المتخلق بها محال أن يقع منه قتل أو أخذ ما يزيل عقله أو زنا أو تناول

فيه يتميز سمين الشعر من غثه وجديده من رثه ولا يكاد يجود فيه الا الذي لا يتركه الا الاثير الدراية وما أدراك وقد تقدم ان أغزل بيت قالته العرب قول بشار

أنا والله أشتهي سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق

(وقال محمد بن العفيف) وأحسن ما شاء

وعيون أمرضن جسمي واضرمن لقلبي لواعج البلبال

وخدود مثل الرياض زواه ما لايام وردها من زوال

لم أكن من جناتها علم الله واني بجمرها اليوم صالي

وقال أيضا

يحكي الغزال نظرة ولفتة مذ رآه مقبلا ولا افتتن

أحسن خلق الله لفظا وقفا ان لم يكن احق بالحسن فمن

في ثغره وخده وشكله الماء والخضرة والوجه الحسن

ولهذه الابيات حكاية اتفقت لابن تقي المقتول بالقاهرة

(وقال أيضا)

اذا مارميث حل البند قالت معاطفه حسانا لا يحل

وان حلت بوجنته مدام يرى لعذاره دور ونزل

(وقال أيضا)

بدا وجهه من فوق اسمر قده وقد لاح من سود الذوائب في جنح

فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى وقد طلعت شمس النهار على رمح

(وقال أيضا)

أحلى من الشهد من هويت وكم فتنته في الهوى حرارات

غير ماهوله فهذه أصول السياسة ونظام المدينة وموضع بسطها الحكمة بل ملازمة الشريعة المطهرة فقد أغنت عنها وهذه الاخلاق التى لا أجدر من وصف المتخلق بها بالحسن والجمال وأما المحاسن الظاهرة اللاتى ذكرها بهذا المحل واليها الاشارة بالمترسمين وفيها غالب النثر والنظم فالعبارات عنها كثيرة والالفاظ فيها غزيرة قال بعضهم الحسن الصريح ما استنطق بالتسبيح أو هو تناسب الخلقة واعتدال البشرة وصفاء المادة أو مركب من الوضاءة والتناسب والصباحة وقيل الحسن بياض اللون وسواد الشعر وكل منهما شطره والصباحة كالملاحة والبياض والجمال ما أخذ بالبصر أو هو السمن اشتقاقا من اسم الشحم انه معنى لا يدرك ويختلف باختلاف الاشخاص ودقة الانظار وصحة التأدى الى الافكار وهذا معنى قوله الحسن ماز ين الزينة واستحسن دونها والى ذلك كله أشرت بقولى

جميلة أوصاف لطيفة منظر * مليحة عطف طاب منها المغارس
يدق عن الالباب ادراك حسنها * وجلت فزلت عن علاها المقايس
منعمة لم تلبس الوشى زينة * ولكن أحبت أن تزان الملابس
غرست بلحظى الورد فى وجناتها * ومن دمى المسفوك تسقى الغرائس
وجئت لاجنى ما غرست فصدنى * من الجفن أسياف هناك وحارس

فلو لم يكن الحسن فى نفس الامر كذلك ولكل ذى نظر دقيق مالك ما اختلفت فيه العبارات ولا كثرت فيه الاستعارات ولا بالغ كل فى تحصيله بحده واعتقد التقصير عن حده والخلاف انما هو بالالفاظ والمعنى المطلوب واحد كما هو رأى التحقيق من سائر الموارد ومن ثم قال بعضهم

عباراتنا شتى وحسنك واحد * وكل الى ذاك الجمال يشير

ولله در أستاذ عطر الوجود فيض وجوده واستمدت الكائنات من بحر فضله وجوده حيث حقق هذا المعنى وسبكه فى أحسن مبنى بقوله

فكم بين حذاق الجدال تنازع * وما بين عشاق الجمال تنازع

هذا هو الحسن العام وقد خصوا كل عضو بصفة فقالوا الحلاوة فى العين والملاحة فى الفم والجمال فى الانف والظرف فى اللسان وقالوا اذا حسنت العين فتمامها الدعج والفم فتمامه الفلج يعنى فى الثغر وطلاوة الجبين البلج وبريق الوجنة الضرج وأحسن ما تكون المرأة اذا طال منها الاطراف والعنق والشعر والقامة وقصر منها العين واللسان واليد والرجل والمراد بالقصر القصر المعنوى كعدم الطموح بالعين وأخذ شئ فوق الحاجة والخروج من بيتها وأبيض منها اللون والفرق والثغر وبياض العين والمراد بالثغر الاسنان نفسها أما اللثة فقد مدحت العرب سوادها والى ذلك أشار طرفة بقوله

سقته آيات الشمس الا لثاته * أسف ولم تكدم عليه باثمد

أسود منها الهدب والعين والحاجب والشعر وأحمر منها اللسان والشفة مع اللعس يعنى بسير السواد والخد وتشريب البياض بيسيرها ودق منها الحاجب والانف والسنان والخصر وغلظ منها المعصم والعجيزة والفرج والساق واتسع منها الجبين والجبهة والعين والصدر وضاق منها المنخر والاذن والفم والفرج فهذه أوصاف بها جماع الحسن اذ كل ما خرج عن ذلك كجعودة الشعر واستدارة الوجه ونعومة البدن راجع اليها وانما العبارات الكثيرة

كم حوى جفنى معنى قلت آلغلو كثير

(وقال أيضا)

حاكمت فى شرع الهوى قاتلى
ولى دم طل على خده
فاتهم الحاكم لحظاله بحجة
فى الفتنة من عنده
ومال للحق فلما رأى
قد غريمى مال مع قده

(وقال خطيب سهود)

قال لى من هويت شبه قوامى
وقد اهتز بالجمال دلالا
قلت غصن على كثيب مهيل
صافحته يد النسيم فمالا

(وقال الدراج الوراق)

قلت للاهيف الذى غضنح الغصـ
ـن كلام الوشاة ما ينبغى لك
قال قول الوشاة عندى ريح
قلت أخشى يا غصن أن يستميلك

(وقال آخر)

قال لى أهيف المعاطف صف لى
هيفى قلت يا رشيق القوام
لك قد لولا جوارح لحظيـ
ـك لغنت عليه ورق الحمام

(وقال النور الاسعردى)

قد قنعنا بالخمر والماء والخضرة
والاهيف الرشيق القوام
وتركنا مناصب الناس زهدا
فلماذا يؤذوننا بالكلام

(وقال ابن خفاجه)

ومهفهف طاوى الحشا
كالغصن يخطر ان خطر
فاذا رنا واذا شدا * واذا سقى واذا سفر
فضح الغزالة والحما
م مع الغمامة والقمر

(وقال كثير عزة)

الله أعلم لو أردت زيادة

تفنن فى الاوصاف وأهل القراسة تجعل الجمال الظاهر دليلا على اعتدال المزاج وقال بعض الحكماء من نعم الله على العبد تحسين خلقه وخلقه واسمه وقيل وصوته حكى بعض المفسرين فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء يعنى حسن الصوت وقال سقراط اذا حسن الله وجهك فلا تضف اليه قبيح المعاصى أو قبحه فلا تجمع بين قبيحين وقال عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال وكان يختار لحاجته صبيح الوجه حسن الاسم طلبا لاجتلاب القلوب ومن ثم كانت الانبياء عليهم السلام أكمل الناس لان غاية بعثتهم الاتباع وعدم النفور فيجب انتفاء موجبه مافيهم وأوتى يوسف شطر الحسن وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فكل جمال بالنسبة الى بحره بلالة والى نوره ذبالة فقد اتفق له صلى الله عليه وسلم محاسن الاخلاق والشيم وهذا هو المطلب الذى تكل عنه البصائر ويقصر عنه كل ذى حد حائر واذا لم يتفق للعبد حسن السيرة والخلقة فالاول الاول فانه من مطالب الحكمة التى غايتها السعادة وهى من الاعراض اللازمة والثانى من مطالب الشهوة وقد توقع فى المحنة ولابد وأن تفارق *(تنبيه)* قد وقع لهم تشبيه بعض الاعضاء بالحروف كالحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالصاد والميم والثنايا بالسين والطرة بالشين والقامة بالالف وربما شبهوا العين الصاد أيضا وبالفواكه كالخدود بالتفاح والشفة بالعناب والثدى بالرمان وبالمشمومات كالوجنة بالورد والعين بالنرجس والعذار بالآس وبالمعادن كالشفة بالعقيق والاسنان باللؤلؤ وقد وقع تشبيه الشفة بالمرجان أيضا وباشياء مختلفة كالوجه بالبدر والفرق بالصبح والشعر بالليل ومرسله بالحية والصدغ بالعقرب والوجنة بالماء والنار والريق بالخمر والثدى والسرة بحق العاج الى غير ذلك وللشعراء فى ذلك على اختلاف مراداتهم وتخيلهم المقدمات الشعرية كلام كثير فمن أبدع ما رأيت فى التشبيه بالحروف وبعض الاشياء كلام الاديب الحاذق علاء الدين الشاهينى من قصيدة طويلة كلها محاسن أولها

ثم العذار بعارضيه وسلسلا * وتضمنت تلك المراشف سلسلا

ومنها وقد حذف أداة التشبيه قصد المبالغة وهو من أساليبهم المشهورة قوله

صبح امع الجوزاء لاح لناظرى * متبلجا فأزاح ليلا أليلا
من لى بغصن نقا تبدى فوقه * قمر تغشى جنح ليل فانجلى

ومنها

كتب الجمال على صحيفة خده * بيراع معناه البهيج ومثلا
فبدا بنون فى حاجبيه معرفا * من فوق صادى مقلتيه وأقفلا
ثم استمد فخط أسفل صدغه * ألفا ألفت به العذاب الاطولا
فاعجب له اذ هم ينقط نقطة * من فوق حاجبه فخانت أسفلا
فتحققت فى حاء حمرة خده * خالا فعم هواه قلبى المبتلى
قسما بفاء فتور جيم جفونه * لاخالفن على هواه العذلا

(وللشواء) من الاسلوب المذكور وقد جمع الحيوان والحروف بقوله

أرسل فرعا ولوى هاجرى * صدغا فأعيا بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حية * تسعى وهذا عقربا واقفه
ذى ألف ليست بوصل وذى * واو ولكن ليست العاطفه

وقال آخر

لاتقولى لانف كتوب على * وجهك المشرق بالنور نعم

من الخفرات البيض ودّ جليسها
اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

(وقال ابن الرومى)

وحديثها السحر الحلال لو انه
لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هى أوجزت
ودّ المحدث أنها لم توجز

(وقال ابن حمديس)

لايمل الحديث منها معادا
كانتشاق الهواء ليس يمل

(وقال ابن أبى الحديد)

بالله ضع قدميك فوق محاجرى
فلقد قنعت من الوصال بذاكا
وأطل محادثتى فان مسامعى
تهوى حديثك مثل ما أهواكا

(وقال آخر)

وملثغ قلت ما الاسم حبيبى قال مالك
قلت صف لى وجهك الزا
هى وصف لين اعتدالك
قال كالبدر وكالغصن وما أشبه ذلك

(وقال العطوى)

ذات خدين ناعمين ضنينيـ
ـن بما فيهما من التفاح
وثنايا وريقة كغدير
من عقار وروضة من أقاح

(وقال امرؤ القيس)

خليلى مرا بى على أم جندب
نقضى لبانات الفؤاد المعذب
ألم تر يانى كلما جئت طارقا
وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وقال النميرى وأحسن فى الوصف

وبيضاء مكسال كعوب خريدة
لذيذ لذى ليل التمام التزامها
كأن وميض البرق بينى وبينها
اذا حان من بعض البيوت ابتسامها

(وقال ابن أبى ربيعة) طفلة باردة الصيف اذا ما * معمعان القيظ أضحى يتقد

بحروف خلقت من قدرة * ما جرى قط عليها من قلم
نونها الحاجب والعين بها * طرفك القتان ثم الميم فم

(نكتة) اعلم ان الاساليب فى هذا الباب دائرة بين التشبيه المجرد وبين جعل الحروف ونحوها من المشبه به فى العادة مشبها ومقابله فى المحبوب مشبها به وفى كل ذلك اما أن تبقى الاداة أو تحذف وفى كل اما أن يرشح المعنى بأوصاف تزيده حسنا أولا وأرفع الكل جعل الممدوح مشبها به محذوف الاداة مرشحا بلطائف الاوصاف وقل سالكه وعكسه معلوم ولى من الفن الثانى

بروحى أفى من خالها حين اقبلت * على أثر حزن تنثر الدمع فى الخد
قضيبا من الكافور يعطر لؤلؤا * من النرجس الوضاح فى فرش الورد

ومنه وقد زدته على ما يلزمه التحسين الرد على أهل الاسلوب الاول

شمس الضحى كجبينك الوضاح * أفمن جعلوه كالمصباح
يا قدها ما الغصن لولا الميل مع * داعى الهوى كالغصن بالارياح
أنا فيك سكران الفؤاد معذب * أبدا وان أظهرت فعل الصاحى
فدع الملام وعذل من لم يستمع * قول النصيح وخلنى يا صاح

ومما لم يعرج فيه على ذكر تشبيه بل أشعر فيه باحتياج المشبه به فى العادة الى المشبه ما قلت

يهنك يا قلب من زارتك فى السحر * ولم تخف ثم من واش ولا ضرر
حسناء لولم تعاين نور طلعتها * شمس الضحى ما بدت يوما على بشر
ووجهها لورآه البدر واحتجب * عنه ذكا لم تخف نقصا على القمر

(فصل فى خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين)

اعلم ان مدار تلون البدن اما على صفاء الخلط أو شدة الحرارة أو ما تركب منهما والاول يلزم حالة واحدة اما البياض فى البلغم أو الحمرة فى الدم أو الصفرة فى الصفراء أو السواد فى السوداء وما تركب بحسبه مع مراعاة الطوارئ كقرب الشمس أو جبل أو سد جهة وهذا المبحث هو المعروف عند الاطباء بالالوان وعند العامة بالسحنة وموضع تحقيقه الطب والثانى يلزم السمرة وان غلب البلغم واما الثالث فهو الذى تناط به أمثال هذه الاحكام وحاصل القول فيه ان الجلد شفاف يحكى ما تحته وان الباعث اليه الاخلاط هو الحرارة فهى كالنار ان اشتدت صعدت ما لاقته وموضعها القلب ومحركاتها مختلفة ما بين غضب وحياء وقهر وفرح اما الى داخل دفعة أو تدريجا أو الى خارج كذلك أو اليهما وموضع بسطه الحكمة والذى يخصنا من ذلك هنا أن نقول ان استيلاء سلطان المحبة والعشق من المعشوق على العاشق أعظم استيلاء من سلطان القهر والعظمة والناموس السلطانى حتى قال بعض الحكماء لكل مرتبة من مراتب المحبة حد الا المحبة العشق فلا حد لها وقال بعضهم ان تعلق روح العاشق ببدنه كتعلق النار بالشمعة الا أنه لا يطفئها كل هواء اذا تقرر هذا ورجع الى ما قررناه من مراتب تحريك الحرارة ظهر علة اصفرار لون العاشق وارتعاد مفاصله وخفقان قلبه لان الاستبشار بالاجتماع الموجب للفرح المنتج لحركة الحرارة الى خارج لتوثر الحمرة وصفاء اللون يعارضه لشدة الشفقة الخوف من نحو واش وسرعة تفريق واليأس الموجب لانجماد الحرارة أو جذبها الى داخل المنتج لصفرة اللون أو الموت فجأة

في ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها
فأرتنى القمرين فى وقت معا

(وقال ابن المستوفى الاربلى)

رأت قمر السماء فاذكرتنى
ليالى وصلها بالرقتين
كلانا ناظر قمرا ولكن
رأيت بعينها ورأت بعينى

(قلت) وللناس عليه كلام ولهم على فهمه زحام حتى ان بعضهم وضع فيه كتابا

(وقال آخر)

بروحى وجسمى ذلك العارض الذى
غدا مسكه فوق السوالف سائلا
درى خدها أنى جن من الهوى
فاظهر لى قبل الجنون سلاسلا

(وقال سعد الدين محمد بن عربى)

لما تبدى عارضاه فى غلط
قيل ظلام وضياء اختلط
وقيل نمل فوق عاج تدسقط
وقال قوم انها اللام فقط

(وقال آخر)

رأيت الهلال على وجه من
رأيت الهلال على وجهه

(وقال آخر)

برزت فقابل ناظرى من وجهها
مرآة حسن بالجمال صقيل
أبكى فانظر أدمعى فى خدها
تجرى فاحسب انها تبكى لى

(وقال ابن قلاقس)

فوق خديك للعذار دليل * ان نهديك ثم از
ما اختفى الزمان الا * وتبدى الجلنار

(وقال الخبزارزى)

رأيت الهلال ووجه الحبيب
فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتى فيهما
هلال الدجى من هلال البشر

فلولا التورد فى الوجنتين * وما راعنى من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب * وكنت أظن الحبيب القمر

ومن ثم اذا أمن من ذلك لم يقع تغير كما قيل

فلا تحسبن كل اجتماع مغيرا * فان اجتماعى بالامان أمانى

وأما حمرة المعشوق فهى اما حياء واما خجل وكل منهما باعث للحرارة الى خارج ونتيجته احمرار الالوان وصفاؤها فافضل الالوان الاحمر الصافى المشرق مطلقا حتى فى الثياب كالحال والمشروب والمشموم كالورد والشقيق والحيوان كالخيل والمعادن كالذهب والياقوت الى غير ذلك ومنه أهلك الرجال الاحمران يعنى الخمر واللحم والنساء الاحامر الذهب والزعفران والخمر واللحم ولبعض الشعراء

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت * مالى وكنت بهن قدما مولعا

الخمر واللحم السمين كذا الطلا * بالزعفران فلا ازال مروعا

وقال المتنبى من للجاآذر فى زى الاعاريب * حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وأحب ما يكون اليهم منه ما كان فى الوجنات والشفاه قال أبو نواس

ياقمرا أبصرت فى مأتم * تندب شجوا بين أتراب

تبكى فتذرى الدر من نرجس * وتلطم الورد بعناب

وأما وصفهم الموت بالاحمر والدمع الناشئ عن شدة الحرقة بالحمرة فليس طعنا فيهما بل مدح لانهم أرادوا انهما من المطالب التى لا تنال الا بالمشاق والصعوبة ومن ألطف ما وصف به الدمع قول عماد الدين

أرى العقد فى ثغره محكما * يرين الصحاح من الجوهر

وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر

ومنثور دمعى غدا أحمرا * على آس عارضك الاخضر

وبعت رشادى بغى الهوى * لاجلك يا طلعة المشترى

(ومن ألطف ما يعجبنى) فى وصف المعشوف بالاحمرار والعاشق بالاصفرار قول ابن أبى الحديد من قصيدته التى أولها

الصبر الا عن فراقك يجمل * والصعب الا من ملالك يسهل

يصفر وجهى حين أنظر حسنه * خوفا ويدركه الحياء فيخجل

فكأن ما بخدوده من حمرة * طلت اليها من دمى تنتقل

(وقال بعض المتأدبين) لم يقع فى هذا المعنى ألطف من البيتين المنسوبين الى ابليس وهما

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين ثوبى نرجس وشقائق

حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وقيل أنشدهما لابن دريد فى النوم فاعترضه بأنهما من اللف والنشر المشوش فقال له وما هذه المشاحة فى هذا الوقت يا بغيض * (تنبيه) * قد توسع الناس فى هذا المبحث فخرجوا منه الى التفضيل بين السمر والبيض وخاضوا بسبب ذلك فى كلام عريض فمن قائل بتفضيل السمر مطلقا وقوم البيض وآخرون فصلوا افقالوا ان كلا يميل الى عكس لونه وهذا تحكم وحكم على الطبائع والامزجة بلا دليل والصحيح ان الميل اما بداعية الشهوة أو النفع ولا ضبط للاول لاختلافه باختلاف الاشخاص وأما الثانى فالقول فيه اما بحسب معتدل المزاج فالروميات حينئذ فى نحو الحجاز أنفع كما ان الحبشيات فى نحو الروم أجود لان حرارة الابدان

(وقال محمد السلامى) بدائع الحسن فيه مفترقه * وأعين الناس فيه متفقه

سهام ألحاظه مفوقة * فكل من رام لحظه رشقه

قد كتب الحسن فوق وجنته * هذا مليح وحق من خلقه

(وقال ابن رشيق)

معتدل القامة والقد * مورد الوجنة والخد

قل للذى يعجب من حسنه * اقرأ عليه سورة الحمد

(وقال أيضا)

شكوت بالحب الى ظالمى * فقال لى مستهزئا ما هو

قلت غرام ثابت قال لى * اقرأ عليه قل هو الله

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

سألته من ريقه شربة * أشفى بها من كبدى حره

فقال اخشى يا شديد الظما * أن تتبع الشربة بالجره

(وقال يحيى الخباز)

طلبت منه قبلة قال لى * اياك أن تطمع فى القرب

البوس شاليش وقد اختشى * أن تتبع الشاليش بالقلب

(وقال ابن أسد)

أريقا من رضابك أم رحيقا * رشفت فلست من سكرى مفيقا

وللصهباء اسماء ولكن * جهلت بان فى الاسماء ريقا

(وقال السراج الوراق)

قال من شبه ريقى * بالزلال العذب زلا

لغاريقى شهد * قلت ذا من فيك أحلى

(وقال آخر)

ظبى ترى وجهك فى وجهه * وتشرب الخمرة من فيه

(وقال آخر)

بما تصفو اذ لقبوه شاربا * من بعدما أمسى لقلبى آكلا (وقلت أنا) يا صاح سكرى من هوى أغيد * قوامه كالغصن ان ماسا

تختشيه

تختبئ فى الاغوارزمن البردوبالعكس وأما بحسب المرضى فالسود للبرهدين اجود والبيض للحرورين كذلك وعندى ان عكس هذا اجود لما سمعت من التعليل والصحيح ان الحبشة ألطف مماعداهم مزاجا وأرق بشرة وأعدل حرارة فلذلك هن أوفق مطلقا ولكنهن فى معرض التعبير وموضع تحقيق ذلك فى الطبيعيات وأما الحكم على المصريين بانهم الى السمر أميل فن قبيل ماقررناه من التحكم ومن ألطف الاشعار المقولة فى التفضيل قول على ابن الجهم

وعائب للسمر من جهله * مفضل للبيض ذى محك
قولواله عنى أما تستحى * من جعلك الكافور كالمسك

وقال أبو جعفر الشطرنجى

أشبهك المسك واشبهته * قائمة فى لونه قاعده
لاشك اذلونكما واحد * انكما من طينة واحده

وقلت فى ذلك

أرى السمر أشهى منظرا عند عارف * وأشرف مطلوبا سما فى المطالب
فقل للذى قد فضل البيض جاهلا * رويدك لا ترغب لغير مناسب
فكم بين قيراط من المسك قيمة * وقنطار ثلج بارد من مراتب

وقلت فى عكس ذلك

بيضاء تجلو الهم عن ناظرى * بعين حق لا بعين انتقاص
فقل لمن يرغب فى اسمر * ما الفضة البيضاء مثل الرصاص

واذا أحكمت ماقررناه من علة اصفرار الالوان علمت ان خفقان القلب عند الاجتماع والرؤية من لازم ذلك الشان وقد لهج الشعراء بالاعتذار عن ذلك وأكثروا فيه من التشعب والمسالك فن ألطف ماقيل فيه قول الوراق

يقول حين وافى * قد نلت ماترتجيه * فالقلب لك قد جا
بخفقة تعتريه * فقلت وصلك عرس * فالقلب يرقص فيه

وألطف منه قول البهاز هير

لاتنكروا خفقان قلبى والحبيب لدى حاضر
ما القلب الاداره * دقت له فيها البشائر

وتظرف ابن عنين بزيادة ظرافة على الاعتذار عن الخفقان حيث قال

ان كان لابدمن رقادى * فاضلعى هلك كالوساد
فنم على خفقها هدوا * كنومه الطفل فى المهاد

وكثيرا ماتتبعت كلامهم فلم أر من جمع بين الاعتذار من تغير اللون والخفقان فقلت فى ذلك

قالت أراك اذا عاينتنى وجلا * عديم لون بهيج كنت تملكه
والقلب منك خفوق لايسكنه * شئ فياليت شعرى مايحركه
فقلت ماتدران الشمس ان جمعت * بالبدر بعد تمام النور تنهكه
والطيران ألف الغصن الرطيب وقد * مادت به الريح هل يخفى تحركه

وفى الابيات مع ماذكر وصفها بالشمس فتكون هى المفيدة للمحاسن والآخذة لها كما بين الشمس والبدر ثم جعلها غصنا يميل مع الهواء والقلب طائر عليه وكل ذلك زيادة على

ساقى منى مالاح لى كأسه * ذكرنى شاربه الآسا (وقلت أيضا) فتاة حين زارتنى عشاء * رأيت الشمس ليلا وسط دارى

فوردخدودها مالاح الا
وأحرق عاشقيه بجلنار
فصف لى شعرها ليلا وطول
وقل فى الخصر قولا باختصار
تديرلنا مراشفها عقارا
قريب العهد من كاس مدار

(ومنها)

عدمتك ياعذولى فيه قل لى
اذا لاح العذار فما اعتذارى
كأنك ماشعرت بان حبى
غدا بعذاره حسن الشعار
غدوت مكاتبا فيه بخط
قريب الشكل من قلم الغبار
سقانى من مقبله شرابا
طهورا لم يدنس باعتصار
وأعقب وصله هجرا فقلبى
على حرف من الهجران هار
اذا ماقادنى يوما هواه
مشيت وقطر دمعى كالقطار
أيطعمنى بخفض العيش دهرى
وجرى الدمع فيه على الجوار

(وقلت أيضا) من قصيدة أمدح بها مولانا السلطان حسن

ترادفت التهانى والسرور
وبشرنا بوصلكم بشير
وبات بقلعة الجبل الشراح
وافراح وأحباب حضور
بروج الافق فيها فرد بدر
وافق بروجها فيه بدور
تغازل باللواحظ فى دجاها
فمانامت ولا فترالفتور

(ومنها)

أغارمن النسيم بها اذاما
تصافح كفه فيها الستور
اذا نشرت ذوائبها تبدى
لميت الحب فى الدنيانشور
لها ثغر يصون الدر جا * يبيت عليه من خفر خفير
وفرق بين ضوء الصبح لما * يلوح وبينه فرق كبير

وذوات الجمال وما في معنى ذلك من ذكر موالاتهم ووصف آلاتهم) (أقول) هذا باب عقدناه لذكر من استراح من العناء بسماع الغناء من كل محب يشبب بالشباب ويغني بالرباب فهو يضرب بالعود ويجمع من المذكر والمؤنث بين الشيء وضده لا يلهيه غير ملاهيه ولا سيما اذا كان في الغناء ممن يعرف الصواب ويقيم الاعراب ويشبع الالحان ويعدل الاوزان ويصيب أجناس الايقاع ويعطي النغم حقه من الاشباع ويختلس مواضع النبرات ويستوفي ما شاكلها من النقرات ويحسن الاختلاس ويملأ الانفاس وغير ذلك مما هو معروف عند أرباب هذا الشان من أتقن من جمع في ذلك بين الحسن والاحسان كما قيل

هم تعنت الا تفرج هم
عن فؤادي وأقلعت أحزان
يفضل المسمعين طيبا وحسنا
مثل ما فضل السماع العيان

والناس في الغناء كلهم عبيد معبد واسحق الموصلي اللذين هما أطبع المتقدمين في الغناء فيما حكاه غير واحد من أرباب التاريخ وفي معبد يقول حبيب

محاسن أوصاف المغنين جمة
وما قصبات السبق الا لمعبد

وقال البحتري يصف صهيل فرس

هزج الصهيل كأن في نغماته
نبرات معبد في الثقيل الاول

ومعبد هذا كان منقطعا الى البرامكة ومات في أيام الرشيد وأخباره أشهر من أن تذكر وقد ذكرها صاحب الاغاني وغيره وأما اسحق الموصلي فانه كان من أهل العلم والادب والرواية والتقدم في الشعر وسائر المحاسن أشهر من ان يوصف وهو الذي صحح اجناس الغناء وميز طرائقها تمييزا لم يقدر

المطلوب أما وصف خفقان القلب من غير نظر الى اعتذار عنه فكثير قال ابن سناء الملك

أما والله لولا خوف سخطك * لهان علي ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبي وقرطك

وقال معين الدين

لم أنسه اذ قال أين تحلني * حذرا علي من الخيال الطارق
فأجبت في قلبي فقال تعجبا * أرأيت عمرك ساكنا في خافق

وقد نسب ابن نقي الى الجفوة في قوله

ومهفهف ما التشبه سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق

فقيل انه لو قال باعدت عنه أضلعا لكان أولى بالمقام

(فصل في مراتب الغيرة وما توقعه بالمحب من الحيرة) وهي باعثة نفسية مادتها المروءة والمحبة ثم تزيد وتختلف بحسب الدواعي والاشخاص والمحمود منها ما كان واقعا عند مشاهدة نقص في ناموس المحب وحكم ديني وغلط شرعي فتبعث المتانة في الدين والمروءة على اصلاح ما نقص باليد ان امكن ثم اللسان ثم القلب وهذا هو الذي ترجمه الشارع بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم توسع الناس فيها وأضافوا اليها سوء الظن فوقعوا بذلك في مفاسد كثيرة كنهي بعض جهلة المتصوفة عن ذكر الله غيرة عليه والحج والصلاة وغير ذلك مدعيا أنه ليس بأهل لها وقتل بعض العشاق من يتوهم منه ميلا الى محبوبه بل نفسه بل معشوقه ولهم فيها كلام كثير في قوالب شتى فبعضهم يغار من البوالك والشربة والثوب وأمثال ذلك عبرا في لم أر من غاص على لطائف هذا المعنى وتظرف في هذا المبنى الصف من بهاء الدين زهير حيث غار من التلفظ بالحروف التي في اسم محبوبه لله دره من غائص على نفائس الجواهر الفكرية ومستخرج لها من بحور الاذهان الى بحور الالفاظ الرسمية وذلك قوله

وأنزه اسمك ان تمر حروفه * من غيرتي بمسامع الجلاس
وأقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وأنت كل الناس

الا ان فيه بحسب ما يظهر مناقشة فان ظاهر كلامه انه يجوز التلفظ باسمها من فم نفسه بمسامع الجلاس وذلك غير جيد وأدق منه وأسلم وان كان هذا أسجم قول يزيد بن معاوية

ألا فاملا لي كاسات خمر وغن لي * بذكر سليمى والرباب وتنعم
واياك ذكر العامرية انني * أغار عليها من فم المتكلم
أغار على أعطافها من ثيابها * اذا البستها فوق جسم منعم
وأحسد كاسات تقبل ثغرها * اذا وضعتها موضع اللثم في الفم

ومن لطيف كلام ابن أبي الحديد في هذا المعنى

فيا رب بغضها الى كل صاحب * سواي وقبحها الى كل ناظر
وبغض اليها الناس غيري كما أرى * قبيحا سواها كل باد وحاضر
فيا جنة فيها العذاب ولم أخف * حلول عذاب في الجنان النواضر

ومما ينسب الى قيس

أرى الازار على ليلى فاحسده * ان الازار على ما ضم محسود

وقال

وقال أبو تمام
بنفسي من أغار عليه مني * وتحسد مقلتي نظري اليه
ولو اني قدرت طمست عنه * عيون الناس من حذري عليه
حبيب بث في قلبي هواه * وأمسك مهجتي رهنا لديه
فروحي عنده والجسم خال * بلا روح وقلبي في يديه

ومما سنح لي في ذلك قولي

نظرت اليها والسواك قد ارتوى * بريق عليه الطرف مني باكي
تردده من فوق درمنضد * سناه لانوار البروق يحاكي
فقلت وقلبي قد تفطر غيرة * أيا ليتني قد كنت عود أراك
فقالت أماترضى السواك أجبتها * وحقك مالي حاجة بسواك

(فصل في أحكام أسرار المحبة وما فيها من اختلاف آراء الاحبة) قد اختلفت آراء الحذاق وتشعبت مرادات العشاق فمن ذاهب الى ان الافضل خزن الاسرار وان ذلك من فعل الاحرار ومن قائل ان افشاءها يسر القلب ويسرى الكرب ومن قائل بالتفصيل وان الاذاعة الى المحبوب مطلوبة اذ هو الطبيب وكتم العلة عنه تعذيب وأما الاباحة لغيره فغير جائزة في مذهب المحبين وفاعلها ممقوت ومن أكبر المذنبين وهذا الطريق قد ادعى في ديوان الصبابة انه الكاشف عن وجهه نقابه ولا والله ما فيه ذرة ولم يكن ارتضع من هذا اللقح دره وأنا انبه على من استنتج هذه الآراء المحررة ودون هذه المذاهب المحبرة فأقول اعلم ان الطرق الثلاث موجودة في كلام صاحب النفحات القدسية والالطاف الربانية المعطر بنفحات فيه الاقطار القائم بأعباء المحبة والاسرار قطب دائرة الوجود على رغم كل معارض سيدي عمر بن الفارض أفاض الله علينا من امداداته وشملنا بألطاف عناياته فمن كلامه في المذهب الاول وهو الحقيق بالنصرة وعليه المعول

وللحب أقوام كرام نفوسهم * منزهة عما سوى الحب باخلي
اذا أودعوا اسرار أيت صدورهم * قبور الاسرار تنزه عن نقل

ومن قوله في المذهب الثاني وهو صريح في استيفاء الشروط المذكورة

وأبثثته مالي ولم يك حاضري * رقيب بغى سرى بخلوة جلوتي

ومن قوله في المذهب الثالث بل هو أعم من هذا المشرب وقابل لكل مطلب

ويحسن اظهار التجلد للعدا * ويقبح غير العجز عند الاحبة

ثم لهج الناس بهذه الطرق فمن قول بعضهم في المذهب الاول

باح مجنون عامر بهواه * وكتمت الهوى فمت بوجدي
فاذا كان في القيامة نودي * من قتيل الهوى تقدمت وحدي

وأما كلام السهروردي فكأنه وقف عن كلا الطرائق وتردد وحيرة للعاشق وهو

وارحمة للعاشقين تحملوا * سر المحبة والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم * وكذا دماء العاشقين تباح
واذاهم كتموا تحدث عنهم * عند الوشاة المدمع السفاح

وللواثق في المذهب الثاني

ظهر الهوى وتهتكت أستاره * والحب خير سبيله اظهاره

عليه أحد قبله ولا بعده من تدقيق المجاري وتمييز الاصناف التي جعلوها صنفا واحدا وهي في نفسها [illegible] تفترق عند متيقظ مثله ومن [illegible] حدود الغناء أربعة النغم والتأليف والايقاع والقسمة وكان قد سأل المأمون أن يكون دخوله مع أهل العلم والادب لا مع المغنين فاذا أراد الغناء دعاه فاجابه الى ذلك وقال الواثق ما غناني اسحق قط الا ظننت انه زيد في ملكي وان اسحق لنعمة من نعم الملك التي لم يحظ أحد بمثلها ولو أن العمر والنشاط مما يشترى لشريته له بشطر ملكي وجلس عند ابراهيم بن مصعب للشرب فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح الى اسحق فلم يأخذه منه فقال له ابراهيم ألا تشرب فقال

أصبح نديمك أقداحا تسلسلها
من الشمول وأتبعها باقداح
من كف ريم مليح لدلديقته
بعد المجوع كمسك أو كتفاح
لا تشرب الراح الا من يدي رشا
تقبيل راحته أشهى من الراح

فدعا بوصيفة تامة الحسن في زي غلام عليها أقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم أمر بتوجيهها اليه بكل ما معها في داره (ومما) لحنه اسحق وله حكاية ظريفة

قل لمن صد عاتبا * ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذي أردت وان كنت لاعبا
واعترفنا بما ادعيت وان كنت كاذبا

وقد تركت حكاية هذه الابيات خوف الاطالة وهذا القدر كاف في أخبار اسحق في هذا الموضع (وحكى) أبو الفرج انه أهديت للرشيد جارية في غاية الجمال فخلا معها في قصره يوما واصطبح فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة ما يزيد عن ألفي جارية في أحسن زي من الثياب والجواهر فوصل الخبر الى أم جعفر فعظم ذلك عليها وأرسلت الى علية أخت الرشيد تشكو اليها فارسلت اليها علية

فاعص العواذل فى هواك مجاهرا * فالذ عيش المستهام جهاره

ولبعضهم فيه

فبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

ولبعضهم فى المذهب الثالث

ياموقد النار الهابا على كبدى * اليك أشكو الذى بى لا الى أحد

اليك أشكو الذى بى من هواك فقد * طلبت غيرك للشكوى فلم أجد

ومن ظريف قول بعضهم

وقائلة مابال جسمك لايرى * سقيما واجسام المحبين تسقم

فقلت لها قلبى بحبك لم يبح * لجسمى فجسمى بالهوى ليس يعلم

وللمعرى فى نصرة الاول

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا

وألطف منه قول أبى جعفر الشطرنجى

فلا تخبر بسرك بل أمنه * وصير من حشاك له حجابا

فما أودعت مثل النفس سرا * ولا اغلقت مثل الصدر بابا

ولقد أحسن بعضهم وتلطف وأبدى ماهو أدق وألطف حيث قال

ومستودعى سرا تقصيت سره * فاودعته من مستقر الحشا قبرا

وما السر فى قلبى كميت بحفرة * لانى أرى المدفون ينتظر الحشرا

ولكننى أخفيه حتى كأنه * من الدهر يوما ما أحطت به خبرا

ولبعضهم

ياذا الذى أودعنى سره * لاترج ان تسمعه منى

لم أجره بعدك فى خاطرى * كأنه مامر فى ذهنى

فهذا وأمثاله من أكبر الدوال على ان المذهب الاول هو الصحيح المعتبر وما اتهم به بعض الشراح عارف الزمان ولسان الحضرة الالهية وموضع الاسرار الربانية سيدى عمر بن الفارض من انه نصر المذهب الثانى قوله

وليسوا بقومى ما استعابوا تهتكى * فابدوا قلى واستحسنوا فيك جفوتى

وأهلى فى دين الهوى أهله وقد * رضوا فيك عارى واستباحوا فضيحتى

ممنوع لان التهتك الذى أراده هو الاشتهار بالعشق لا اذاعة الاسرار بدليل قوله رضوا فيك عارى يعنى ان أهل الهوى عندهم هم الراضون بعشقه العادون عاره فى ذلك خصلة حميدة فاين هذا مما نحن فيه وقد اسلفت فى المقدمة ان دقائق هذا الاستاذ ليس فى طوق البشر من حيث هو بشر الاحاطة بها فاذا استدللنا بشئ منه فهو استئناس لاهل الترسم فى مشربهم وفيما ذكرت من قصة المنام كفاية للتامل وبالجملة فافشاء السر بلاء عظيم ومذلة لا يرتضيها عاقل وأغرب بعضهم ففسر قول بعضهم (وكل حديث جاوز اثنين شائع) بأن المراد بالاثنين الشفتان وقلت من الاول

لقد أودعتنى سرها فكتمته * ولا والهوى ما غير البعد خاطرى

ولكن جوى الكتمان صعد مهجتى * وقطرها دمعا جرى من محاجرى

فشف لطول السقم جسمى من الذى * كتمت فابدته هنالك سرائرى

فثم

لأجلها فاهديته الى ابنته اليك وقد عزمت أن أصنع شعرا وأصوغ عليه لحنا واطرحه الى جوارى فابعثى الى جاريه

عندك وألبسهن أنواع الثياب والجواهر حتى ألقى عليهن الصوت مع جوارى ففعلت أم جعفر ما أمرتها به علية فلما صلى الرشيد العصر لم يشعر الا وعلية قد خرجت عليه من قصرها ومعها ماينيف عن ألفى جارية عليهن غرائب اللباس وكلهن فى نغمة واحدة يغنين بهذين البيتين

منفصل عنى وما * قلبى عنه منفصل

ياقاطعى قل لى لمن * نويت بعدى أن تصل

قال فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أم جعفر ومعه علية وهو فى غاية السرور وقال لم أر كاليوم سرورا قط وقال لمسرور الخادم لاتترك فى الخزانة مالا الا نثرته فكان مبلغ ما نثره فى ذلك اليوم ستة آلاف ألف درهم وماسمع بمثل ذلك قط (وحكى) عن القاضى أبى عبدالله محمد بن عيسى انه خرج الى حضور جنازة وكان لرجل من اخوانه منزل بالقرب من مقبرة فعزم عليه فى الميل اليه فنزل واحضر له طعاما فغنت جارية

طابت بطيب لثاتك الاقداح * وزهى بحمرة خدك التفاح

واذا الربيع تنسمت أرواحه * نمت بعرف نسيمك الارواح

واذا الحنادس أسبلت ظلماءها * فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى طربا بها على ظهر يده ثم خرج قال راويه فلقد رأيته يكبر على الجنازة وهذه الابيات على ظهر يده (وما أحسن قول ابن تميم فى عوادة)

وفتاة قد راضت العود حتى * راح بعد الجماح وهو ذليل

خافت من عرك أذنيه فصاحا * بلهجة الاشتيل يقول (وقال آخر) سقى الله أرضا أنبتت عودك الذى * زكت منه أغصان وطابت مغارس

فنم به الواشون بينى وبينها * فصدت وقالت لا وفاء لغادر
فقلت وقد ضاقت هناك مذاهبى * ومن كان قد ماعاذلى صار عاذرى
فمن شافعى يوما اليها ومالكى * هواها وعن سرى يحدث ظاهرى

ومن الثالث يامعشر العشاق أوصيكم * بكتم أسرار الهوى والغرام
الامع المحبوب فى خلوة * فثم كتم السر عندى حرام

ومنه أيضا بوصلك والود الذى كان بيننا * حلفت ولا والله ماأنا غادر
لانت أعز الناس عندى وسرك * بقلبى باق يوم تبلى السرائر
فان لم يحدلى الدهر منك بخلوة * ففى الحشر تشكوه اليك الضمائر

(فصل فى ذكر المغالطة والاستعطاف واستدراك ماصدر عن المحبوب من الانحراف)

وهو عبارة عن احتيال بلطافة على المحبوب يبلغ من أحكمه غاية المطلوب وموضوعه عود الالفة بعد النفور ومادته أقيسة شعرية تغالبها الزور وغايته الوصول الى المطلوب واستمالة قلب المحبوب وما ألطف ماقيل فيه لابن الاحنف

كأن لم يكن بينى و بينكم هوى * ولم يك موصولا بحبلكم حبلى
وأنى لأستحى لكم من محدث * يحدث عنكم بالملالة والمطل

وقال آخر أتذنب لى ذنبا ولم أك مذنبا * وحملتنى فى الحب مالا أطيقه
وماطلبى للوصل حرص على البقا * ولكنه أجل اليك أسوقه

وقال ابن أبى حجلة

لم أطلب الوصل من أجلى فديتك يا * من زادقلبى سوادا منه شامات
لكن خشيت بان تبلى بحب رشا * يقتص لى منك والدنيا مكافاة

وقال جميل وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا * سوى ان يقولوا اننى لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة * الى وان لم تصف منك الخلائق

وقال ابن سنا الملك

وغانية لم نعد عشرين حجة * أقول لها قولا لديه صواب
عليك زكاة فاجعليها وصالنا * لانك فى العشرين وهى نصاب

وقال بعضهم قم بنا يانور عينى * نجعل الشك يقينا
فالى كم ياحبيبى * يأثم القائل فينا

وقلت تملكت أوصاف المحاسن والبها * وزينت أرباب اللطافة والعقل
فهذا عجز الحاسدين تقوله * رموك باوصاف القطيعة والبخل
فلا تنثنى بالهجر زور كلامهم * ولكن صلينى وابطلى الزور بالنقل
ولا تمطلى بالوعد قلبا معذبا * وان صح ان الشئ يعذب بالمطل

(فصل فى ذكر الرسل والرسائل وتلطف الاحباب بالوسائل)

وهو باب قد لهج به لسان كل عاشق وترجمه كل رائق وموضوعه الاستعطاف بالانصاف ومادته زخرفة القول وغايته طلب الائتلاف ومن ألطف ماوقع فيه كلام الواوا الدمشقى

بالله ربكا عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا فى حديثكما * مابال عبدك بالهجران تتلفه

فانظر بدائع ماخصت به الشجر
غنت على عوده الاطيار مفصحة
غضا فلما ذوى غنى به البشر
فلا يزال عليه أو به طرب
يهيجه الاعجمان الطير والوتر

(وقال ابن حجاج)

هذا ومحسنة بالعود حاذقها
بذلك الطيب فى الاحسان مسرور
اذا انثنت وتغنت خلت قامتها
غصنا عليه قبيل الصبح شحرور

(وقال آخر)

وجارية اذا غنتك صوتا
فالت من فراق الحلم يدا
كأن يسارها فى العود برق
ويمناها اذا ضربته رعد

(وقال آخر)

أشارت باطراف لطاف كأنها
أنابيب در قمعت بعقيق
ودارت على الاوتار جسا كأنها
بنان طبيب فى مجس عروق

(وقال النور الاسعردى فى جنكية)

لبنت شعبان جنك حين تنطقه
يغدو باصناف ألحان الورى هازى
لاغر وان صاد ألباب الرجال لها
أما تراه يحاكى مخلب البازى

(وقال) الصلاح الاربلى وأحسن ماشاء
الجنك مركب عقل فى تشكله
والرق قلع له الاوتار أطناب
يجرى بريح اشتياق فى بحار هوى
يؤم ساحل وصل فيه أحباب

(وقال ابن دانيال فى دفية)

ذات القوام الذى يهتز غصن نقا
لو مر يوما عليه طائر صفا
تبدى على الدف كالجمار معصمها
لنقره وبنانا يشبه البلحا
غناؤها رقيق الريح مرجحه

فان تبسم قولا فى ملاطفة * ماضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا الكافى وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقال آخر
ألا يانسيم الريح بلغ رسالتى * سليمى وعرض بى كأنك مازح
فان اعرضت عنى فخوه مغالطا * بغيرى وقل ناحت بذاك النوائح

وقال القاضى مجد الدين
شكر النسمة أرضكم * كم بلغت عنى تحيه
كم قد أطالت بل أطا * بت فى رسائلها الزكيه
لاغروان حفظت أحا * ديث الهوى فهى الزكيه

وهو مأخوذ من كلام الصلاح الصفدى
يا طيب نشر هب لى من أرضكم * فاثار كامن لوعتى وتهتكى
أهدى تحيتكم وأشبه لطفكم * وروى شذاكم ان ذا ريح ذكى

ويجب اختيار الرسول وأن يكون ذا عفة وصيانة ومروأة وديانة لئلا ينقلب عند مشاهدة المحبوب عاشقا ويخلص من سلطان المحبة والمطلوب ان يكون بالحجة ناطقا وللعشاق فى هذا المساق كلام لا تحصره الاوراق قال ابن سنا الملك
راح رسولا فجاءنى عاشقا * وعاقه عن رسالتى عائق
وعاد لا بالجواب بل بجوى * أخرسه والهوى به ناطق

وقال أيضا
راح الرسول اليه وهو مفند * رجع الرسول الى وهو متيم

وما ألطف قول الارجانى فى هذا المعنى
قسما لقد رجع النسيم عليلا * لما سرى منى اليك رسولا
ودرى بحبك أنه قد خاننى * فغدا يجر من الحياء ذيولا

ومن ألطف ما وقع فى الرسائل من النكت العجيبة والطرق الغريبة الناشئة عن فرط الذكاء الذى يغلب نوره على ابن ذكاء ان ابن السلطان صلاح الدين افتتن بقينة حتى تملك حبها قلبه فعلم أبوه أمره فنعه عنها فازداد غمه فارسلت اليه كرة عنبر فلما كسرها وجد فيها زرا من ذهب فلم يدر ما ارادت بذلك فأطلع على سره القاضى الفاضل فقال
اهدت لك العنبر فى وسطه * زر من التبر قليل اللحام
فالزر والعنبر معناهما * زره كذا مختفيا فى الظلام

ومثله ان رجلا دعا محبوبته الى النزهة فارسل اليها مروحة وباقة نرجس وسكر نبات وشرابة وعودا فأرسلت اليه بخيط احمر وصبارة وثلاث كمونات ودوغاسول وزر وفى ذلك من لطيف الاشارة ما يدق عن الافهام فانه أراد بالمروحة تروح وبالنرجس الى الزهر وبالسكر النبات نبيت ليلة وبالشراب نشرب وبالعود الغناء وأرادت بالخيط الاحمر انها حائض وبالصبارة ان تصبر وبالثلاث كمونات ثلاث ليال وبالغاسول الاغتسال وبالزر الزيارة بعد ذلك وقلت ولم أسبق الى هذا المعنى فيما أظن
رسولى تلطف واجد كرى لها فان * رأيت الرضا فى وجهها فابسط الشكوى
وان اعرضت فاطو الذى قد نشرته * ودعنى بنيران الهوى فى الهوى اكوى
فقد صرت أرضى كل ما ترتضى به * واستعذب التعذيب فى السر والنجوى

الانسيم الصبا والقوم اغصان

(وقلت أنا)
وغانية مكملة المعانى
تثنت حين تثنى فى مجالسهم *
بلطف ماعليه من مزيد
اذا ما أطربتنا بالمثانى
تثنت بين رمان النهود
تغار السمر منها حين تبدو
كغصن البان فى خدر البرود
باطراف من الحناء حمر
والحاظ كبيض الهندسود
سوالفها من الريحان أطرى
يواخيها الشقيق من الخدود

(وقال آخر)
يأبى اغانى مطرب
أبدا وترضاه النفوس
يشدو فنرنو بالكؤ
س له ونرقص بالرؤس

(وقال آخر)
وزامر يبعث فى زمره
الى قلوب الناس أفراحا
كأن اسرافيل فى نايه
ينفخ فى الاموات أرواحا

(وقال آخر فى مشبب)
ومطرب قد رأينا فى انامله
شبابة لسرور النفس أهلها
كأنه عاشق وافت حبيبته
فضمها بيديه ثم قبلها

(وقال ابن قرناص فى مليح مشبب)
مشبب بجفاه راح يقتلنا
فان تداركنا بالنفخ أحيانا
هويت تشبيبه من قبل رؤيته *
والاذن تعشق قبل العين أحيانا

(وقلت أنا)
رعى الله أرباب اليراع فانهم
أزالوا اعتذارى عنهم بالهوى العذرى
مواصيلهم من نفخهم كل ساعة
يجلبنا الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

(وقلت أيضا ملغزا فى شبابة)
وما خرساء ان نطقت رأينا
تناقض فعلها الراعيها منقبة وليس لها ازار * توافينا ولم تخش الرقيبا فتاة ان خلوت بها وصحبى * فهاد

فعادرسولى بعدعقل وحكمة * باضعاف ماعندى من العشق والبلوى
ولم أرض ارسال النسيم لانه * يرى البث فى التدبير من سائر الادوا
نخفت عليه مشقها أن يعله * فاجمل وزر السقم فى حمله أقوى

ويمكن تنزيل كلام عارف الوقت فى هذا المنوال وسبكه فى قالب هذا المثال حيث يقول

وتلطف واجر ذكرى عندهم * علهم أن ينظروا عطفا الى

فان فى قوله تلطف غاية الخضوع المستجلب لرضا المحبوب بعد نفور القلب وما أحسن قوله واجر ذكرى فانه ألطف من واذكرنى لهم لانه طلب مطلق اجراء الذكر وهو يحتمل معانى كثيرة وكذا قوله عندهم أى ولو على سبيل الهذيان أو محادثة غيرهم فانى لست أهلا لمشافهتهم بذكر ولهذا لم يقل وأجر ذكرى لهم الى غير ذلك مما لو أخذنا فى بيان دقائقه لم تسعه دفاتر ولم تقم بحمله خواطر ومامن مشرب للعشاق باطن أو ظاهر الا ويوجد فى مطاوى كلامه ولكن بلسان أهله

(فصل فى ذكر الاحتيال على طيف الخيال) وهو أمر مهم عند أهل الغرام يتوصل اليه بالمنام وانما تدعو الحاجة اليه عند طول الهجر وشدة الضجر ومقاساة نار الملل والسهر ولم أرفيه ألطف من كلام أستاذ الوجود وقطب مراتب أهل الشهود سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله بمدده بل أظنه السابق الى هذا المنوال والفاتح فيه باب الاحتيال حيث قال

نصبت على عينى لتحصيل غمضها * لزورة زور الطيف حيلة محتال
فأسعفت بالغمض لكن تعسفت * على بدمع دائم الصب هطال

ففى البيتين مع ما طلبه من التحسين البديعى ما لا يخفى

(وقال ابن النقيب فى المعنى)

نصبت جفونى للخيال حبائلا * لعل خيالا فى الكرى منه يسنح
وكيف اذا غمضتهن أصيده * ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

(وتلطف ابن نباتة فى أخذه فقال)

وأقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

(وتلطف ابن السروجى بقوله)

أنعم بوصلك لى فهذا وقته * يكفى من الهجران ماقد ذقته
أنفقت عمرى فى هواك وليتنى * أعطى وصالا بالذى أنفقته
يامن شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
أنت الذى جمع المحاسن وجهه * لكن كنز تصبرى فرقته
قال العواذل يدعى بك نسبة * فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم * عبدى وملوكى وما أعتقته
أو قيل مشتاق اليه فقل لهم * أدرى بذا وأنا الذى شوقته
ياحسن طيف من خيالك زارنى * من فرحتى بلقاك ماحققته
فمضى وفى قلبى عليه حسرة * لو كان يمكننى الرقاد لحقته

(وابن السروجى) هذا ذكره فى منازل الاحباب فى عشاق الغلمان وفى ثمرات الاوراق شمله تقى الدين ونقل عنه بعض هذا الشعر ولم يسم معشوقه والشاهد من شعره هنا

رأيت لهم معى فيها نصيبا ينازعنى هواها كل صب * وان لم تشبه الرشا الربيبا فكم من عاشق فضحته

وكم جمعت بمجلسها حبيبا
تجدد لى اذا انطقت سرورا
يعيد زمانى البالى قشيبا
أرق من النسيم الرطب صوتا
وأسرع فى الورى منه هبوبا
تغازل دائما بعيونها من
يطارحها التغزل والنسيبا
فدع لومى اذا ماهمت فيها
وأنشدنى من الشعر الغريبا
وشبب لى بها أبدا وقل لى
ضروب الناس عشاق ضروبا
فاغدرهم محب ذو ملال
وأعذرهم أشبهم حبيبا
(وقال) المصيص الخياط يهجو عوادا
واذتر بع لاتر بع بعدها
وغدا يحرك عوده متقاعسا
فكأن جرذان المدينة كلها
فى عوده يقرضن خبزا يابسا
(وقال آخر)
غنى أبو الفضل فقلنا له
سبحان مخليه من الفضل
غناؤه حد على شربه
فاشرب فأنت اليوم فى حل
(وابلغ) ماقيل فى ذم المغنى قول كشاجم
ومغن بارد النغمة مختل اليدين
مارآه أحد فى * دار قوم مرتين
(وقال آخر)
ومغن بارد * أذهب اللذات عنا
فسألناه سكوتا * فأبى يسكت عنا
فشتمناه فغنى * فاشتفى الفؤاد منا
(وقال آخر)
مغنية سوء ألفاظها
يميت السرور ويحيى الكرب
مقبحة الوجه مغلوجة
فلا للنكاح ولا للطرب
(وقال آخر)

ولم بزامرة يهيج زمرها * ربع البطون فليتها لم تزمر شبهت أغلها على ضرباتها * [illegible] الشفيع الاصفر

فالنفس تصيدت كثيفا واغتدت * ١٩٨ تسعى اليه على خيار الشبر هذا مثل قولهم في المثل أبصر الحامل والمحمول ودار الوكالة

البيتان الاخيران وانما ذكرناه كله لحسنه ومن المكثرين من ذكر الخيال حتى ضرب به الامثال البحتري ومن قوله فيه

ولم أنس اسعاف الكرى بدنوها * وزورتها بعد الهدو ولم تدر
اذا الليل أعطانا من الوصل بلغة * ثنتنا تباشير الصباح من الفجر
(وقوله) وليلة هومنا على العيس أقبلت * بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي * بعطفي غزال بت وهنا أغازله
فكم من يد لليل عندي حميدة * وللصبح من خطب تذم غوائله

(وقال عبد الصمد)

واصل النوم بيننا بعد هجر * فاجتمعنا ونحن مفترقان
غيران الارواح خافت رقيبا * فطوت سرها على الابدان
منظر كان لذة القلب الا * انه منظر بغير عيان

(وقال ابن القطان)

زار الخيال نحيلا مثل مرسله * فما شفاني منه الضم والقبل
مازارني قط الا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل

وقد أنشدهما ابو ما عند الوزير الزيني وادعى انه لايمكن تثليثهما فانشد الحيص بيص بديهة

وما أدرى أن نومي حيلة نصبت * لطرفه حين أعيا اليقظة الحيل

(وقال ابن العفيف)

ياحبذا طيفك من قادم * يا أحسن العالم في العالم * طيف تجلى نوره ساطعا
حتى رأته مقلة النائم * ياغائبا يحكم في مهجتي * على طابت غيبة الحاكم
عار على حسنك ان يشتكي * حظي منه انه ظالمي

(وأحسن كشاجم حيث قال)

لقد بخلت حتى بطيف خيالها * علي وقالت زحمة لنحيبي
أخاف على طيفي اذا جاء طارقا * وسادك ان يلقاه طيف رقيب

(وقال آخر)

وزارني طيف من أهوى على حذر * من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولي به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيل لي * نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

(وقال ابن المعتز)

أبصرته في المنام معتذرا * الي مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به * أنبهت عند الصباح لا كانا
(وقلت) مليكة الحسن ماشئ يقال له * نوم فان جفوني ليس تعرفه
هل تسمحين بشئ منه يطرقني * فيه خيالك ان القلب يألفه
يحيا به ميت عشق لاحراك به * لطول هجرك كاد الشوق يتلفه

ثم تشعبت آراؤهم في التفنن في الخيال (فنهم) من ردمه ملالا وضجرا او شبه هذا ما سبق من حمله الضجر على ترك من هجر (فنهم) طرقه ويقال انه أول من ذكر الخيال وفي ديوان

(وقال آخر)

كأنها في حالة الغليان
خنافس دبت على ثعبان

(وما أحسن) قول الوجيه الدروي فيمن يعنى بالرباب ويجمع بين الاحباب

لا تبعثوا بسوى المعذب جعفر
فالشيخ في كل الامور مهذب
يطوو ينفي بالرباب وتارة
يأتي على يده الرباب وزينب

(الباب التاسع والعشرون في ذكر من ابتلي من أهل الزمان بحب النساء والغلمان) أقول هذا باب عقدناه لذكر عشاق زماننا هذا وهم ماهم تعرفهم بسيماهم فنهم من اتصف بلا انصاف وسلك طريقة السلف في العفاف وهذا النوع فيما نظهر أعز من الكبريت الاحمر لم أره ولا رأيت من رآه وان وجدت اسمه فأين مسماه

فاشهد بصدق مقالتي
أولا فكذبني بواحد

هيهات بل قصارى أهل هذا العصر ان يعشق أحدهم بكرة ويواصل الظهر ويسلو العصر وعلى هذا حكاية بعض العلماء من أهل المدينة فيما حكاه عمرو بن شيبة قال كان الرجل يحب الفتاة فيدور بدارها حولا يفرح ان رأى من رآها فاذا ظفر بها في مجلس تشاكيا وأنشد الاشعار واليوم يشير اليها وتشير اليه فيعدها وتعده فاذا التقيا لم يشكوا حبا ولم ينشد اشعرا وقام اليها كأنه على نكاحها أمين الامناء كما قيل

لم يحظ من داخل الدهليز منصرفا
الا وخلخالها قد قارب الشنفا

وقال الاصمعي قلت لاعرابية ماتعدون العشق فيكم قالت العناق والضمة والغمز والمحادثة ثم قالت يا حضري فكيف هو عندكم قلت يقعد ما بين رجلي عشيقته ثم يجهدها قالت يا ابن أخي ما هذا عاشق هذا طالب ولد

الصبابة ان أول من ذكره عمر بن قمئة وان طرفة أول من طرده فقال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فانى واصل حبل من وصل

(وتلاه جرير فقال)

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

وسيأتى لهذا البيت حكاية فى الخاتمة نذكر هناك من رد عليه (ومنهم) من اعتذر عن عدم بعث الخيال بقوله

سامحت كتبك فى القطيعة عالما * ان الصحيفة أعوزت من حامل

وعذرت طيفك فى الجفاء لانه * يسرى فيصبح دوننا بمراحل

(ومنهم) من ذم النوم فى قالب الاعتذار عن طيف الخيال كانه يقول ان المنغصات فى الدنيا لا تنفك عن الانسان حتى فى النوم ألا ترى أن من يحلم بمحبوبه أو شئ من مطلوبه ينتبه فلا يرى الا الاسف والقلق وزيادة الحرق وان حلم انه أحدث أو ضرب رأى ذلك فى الصباح ولما كان خيال المحبوب من التلذذات لم يأت النوم به جريا على عوائد الزمان فى الاتيان بغير الملائم للانسان وما أحسن قول المتنبى فى هذا المعنى

وأحسب انى اذهويت فراقكم * أفارقكم والدهر أخبث صاحب

فياليت ما بينى وبين أحبتى * من البعد ما بينى وبين المصائب

ومن ذم المنام والرؤيا فيه قول بعضهم

أرى فى منامى كل شئ يسوءنى * ورؤياى بعد الصبح أدهى وأقبح

فان كان خيرا فهو أضغاث حالم * وان كان شرا جاءنى قبل أصبح

(وقال المعرى)

الى الله أشكو اننى كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام

فان كان شرا فهو لاشك واقع * وان كان خيرا فهو أضغاث أحلام

(وقال الاحنف العكبرى)

وأحلم فى المنام بكل خير * فاصبح لا أراه ولا يرانى

ولو أبصرت شرا فى منامى * لوافى الشر من قبل الاذان

(وقلت) لك الحمد انى لم أبت قط ليلة * من الدهر خلوا من أليم النوائب

وفى النوم ان أحلم بشئ يسوءنى * من الصبح يأتينى بسوء العواقب

وان كان خيرا لا أرى منه ذرة * لسوء مزاج أو قران كواكب

(ومنهم) من تظرف فوصف النوم وابليس بالقيادة قال ابن المعتز

ألم الخيال بلاجده * وأبدلنى الوصل من صده

وكم نومة لى قوادة * أتت بالحبيب على بعده

(وقال آخر) تركت هجا ابليس ثم مدحته * وذلك الامر عز عندنا لوكه

يقرب من أهواه حينا فان أبى * حكاه خيالا فى الكرى فانيكه

ومما يصلح ايراده هنا للمناسبة ان بعض المغفلين أحب امرأة وأجهد نفسه حتى اجتمع بها فنام فقالت له لم تفعل ذلك قال من شوقى اليك لعلى أراك فى النوم فقالت أنا عندك بنفسى فقم فانظرنى

عند كرايم الخضرى فقال الدعق الشديد والجمع بين الركبة والوجه ورهز بوقظ النيام ويوجب الاثام فقال تالله ما يفعل هذا العبد فكيف الحبيب قلت وقد تقدم ان الملوك ليسوا كغيرهم فى العشق وان الملك العظيم قد يعشق ولا يذهب به عشقه الى ترك تدبير ملكه وهناك طبقة أخرى دون الملوك اذا عشقوا لم يتفرغوا لاشتغالهم بصنائعهم وطبقة أخرى يتخلون بادابهم وعقولهم عن شغل قلوبهم بما لا يحل لهم ويحرم عليهم وما سوى هؤلاء فان عشقهم عرض من الاعراض بل مرض من الامراض اذا وصلوا اليه أسرعوا بانصرافهم عنه وربما صار هجرانا بل عداوة الى آخر العمر وهذا هو الغالب على أهل زماننا هذا وهو أفسد أنواع الحب اذ يوجد عند الفراغ ويذهب عنه الشغل ويحدث عند غلبة الشهوة ويتلاشى بتلاشيها فهو أضعفها الاحالة وأمر صاحبه سهل اذ هو يسلو بالجفاء ويحب بقليل الوفاء ومن كانت هذه حاله سهل أمره وانطفأ بالبولة جمره فمن أهل هذا العصر من اقتصر على دمية القصر فهام بالحسناء من النساء ومنهم من خلع فى الامرد العذار وقال السلو عن وجنته الحمراء النار ولا العار ومنهم من قرن بين الفريقين وجمع من المذكر والمؤنث بين الضدين فتراه يأتى على ما حضر ولا يتوقف عند صورة من الصور كما قيل

أنا الرجل البصير بكل أمر
دخلت من التصابى كل باب
فيهوى المرد والشبان قلبى
ولا أبى مواصلة الكعاب

(وقد زاد ديك الجن على هذا حيث قال) أعشق المرد والتكاريش والشيب وعندى مثل البنين البنات حد ما يشتهى يعشق عشقى

*(فصل فى أحكام الليل والنهار وذم قصرهما عند الوصل وطولهما عند الهجر والنفار وتمنى طول زمن الوصل والرضا وقصر الهجر وقطعه أسرع من القضا وما تشعب فى ذلك بين العشاق وذهبوا كل مذهب على اختلاف الاذواق) * فما قال متحمسهم بعد الجهد والغلبة ومرارة الصبر بعد فراق الاحبة

يا ليل طل أو لا تطل * لابد لى ان أسهرك لو بات عندى قمرى * ما بت أرعى قمرك

وما ألطف قول بعضهم فى طول الليل وهجر المحب

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

(وقال آخر)

مات الظلام بليل * أحييته حين عسعس
لو كان لليل صبح * بعيش كان تنفس

(وقال ابن منقذ)

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه ثباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافر * أيقنت ان صباحهم قد ماتا

(وقال بعضهم)

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها * وهجره النار يصلينا بها النارا
فالشمس بالقوس أمست وهى نازلة * ان لم يزرنى وبالجوزاء ان زارا

(حكى) ان محمدا سئل عن معنى هذين البيتين فقال هذا راجع الى النجوم وقام مستحيا وآلى على نفسه ان لا يجلس فى حلقة حتى ينظر فى النجوم (وقال بعضهم) فى قصر ليل الوصال

يا ليلة كاد من تقاصرها * يعثر فيها العشاء بالسحر

وقال بعضهم وقد جمع وصف الزمانين

عهدى بنا ورداء الليل مشتمل * والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلى مذ بانوا فديتهم * ليل الضرير فصبحى غير منتظر

وقال الشريف بن الهبارية

لقد ساهرتنى عيون الدجى * وقد نام عنى عيون الملاح
اذا ما أشتكى الليل هجر الصباح * شكوت الى الله هجر الصباح

(وقال الفاضل فى زمن الوصل)

بتنا على حال يسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له * ان غبت عنا هجم الصبح

وقال الارجانى معتذرا عن طول ليل الهجر

لا أدعى جور الزمان ولا أرى * ليلى يزيد على الليالى طولا
لكن مرآة الصباح تنفسى * للهم أصدا وجهها المصقولا

(وقال امرؤ القيس)

وليل كموج البحر أرخى سدوله * على بأنواع الهموم ليبتلى

(وقال المتنبى)

كم زورة لك فى الاعراب خافية * أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وانثنى وبياض الصبح يغرى بى

حيوان لمحل فيه الحياة (وقال أيضا)

أنا من قولى مليح * أو قبيح مشرح
كل من يمشى على وجه * الثرى عندى مليح
بعد ما ينكح عندى * حيوان فيه روح

(وقال ابن تميم مضمنا)

ومجبر عذلوا المار كبت على
أحوى محاسنه قبحن فعالهم
دع بعدلوا ما استطاعوا اننى رجل
لو استطعت ركبت الناس كلهم

(وقال بعض مشايخ العصر)

وعارض قد لام فى عارض
وطاعن يطعن فى سنه
وقال لى قد طلعت ذقنه
فقلت لا أفكر فى ذقنه

(وقال أيضا)

شب وجدى بشائب
من سنى البدر أوجه
كلما شاب ينحنى * بيض الله وجهه

(وقال أيضا بعض مشايخ العصر)

وقد عنفونى فى هواه وقولهم
ستطلع منه الذقن فاصبر على الحزن
فقلت لهم كفوا فانى واقع
وحقكم بالوجد فيه الى الذقن

(وقال أيضا بعض مشايخ العصر)

وكامل العارض قبلته
فصدنى وأزور من قبلتى
وقال كم أنهاك عن فعل ذا
وأنت ما تفكر فى لحيتى

(وكتبت أنا الى بعضهم)

ليهن مولانا حبيب لم يزل
بوصله فى كل حين محسنا
كم زينته لحية فى وجهه
أنبتها الله نباتا حسنا

(فكتب الى الجواب عن ذلك)

يا مادحا اللحية سلواننا
عن روضها المازها لن يحسنا
هذا نبات خبيث نباتا حسنا
قبلتها منه قبولا حسنا

(فكان كما قيل)

ينطفى الثل عن هواه يتوب * هو دون كل العالمين حبيب أهواه طفلا فى القماط وليدا * وبلحيته واذا علا ممشيب

فى

في هذا البيت من الانواع حسن المقابلة وفيه مقابلة خمسة بخمسة ولكن نقد عليه في مقابلة الصبح بالليل لان الجزء لا يقابل بالكل فلو قال النهار كان أولى وللمتنبي دقائق لطيفة ألا ترى الى قوله

وكم لظلام الليل عندي من يد * تخبر ان المانوية تكذب

فان المانوية فرقة تقول ان الآلهة اثنان اله الظلمة واله النور والاول لا يفعل الا الشر والثاني لا يفعل الا الخير فيقول ان زيارة المحب أعظم خير فعلته الظلمة وقد كذبوا في قولهم

(وقال ابن رشيق)

أيها الليل طل بغير جناح * ليس للعين راحة في الصباح
كيف لا أبغض الصباح وفيه * بان عني نور الوجوه الملاح

وانما أكثروا من ذكر الليل دون غيره لانه محل سكون الحواس وهدو الانفاس وخلو النفس بعد انطباق مسالك التشعبات عنها فتستجلب الافكار الخفيات فيما مضى وما هو آت وأما النهار فالافكار فيه منتشرة والشواغل مستكثرة فهو محل الاستغراق وقلة الاعتلاق ومحل التسلية عن الاشواق اللهم الا شخصا قد ملك الحب قياده فلا يلهيه شئ ولا ينسيه مراده (وقلت جامعا الغالب هذه المعاني)

بذكرك يامن في هواها ضني حالي * شغلت فما منه أرى أبدا خالي
فنيت عن الاغيار فيك صبابة * فغيرك لم يخطر مدى الدهر في بالي
ولو زارني طيف الخيال لقال لي * ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي
سوى قصر أعوام الوصال وصدها * دقيقة هجران تقطع أوصالي
فيامن لها بالحسن يوسف قد حبا * و والده بالحزن في الدهر أوصى لي
متى تنعمي والشمس بالقوس ليلة * وفي ضده يوما على رغم عذالي

(وقلت أيضا مخترعا فيما أظن)

ألوم جميع العاشقين لذمهم * ضيا الصبح في تفريق شمل الحبائب
وما الصبح بل ما الشمس لولا جبينها * يفيض الضيا في شرقها والمغارب
وهلا سألتم شعرها ستر وجهها * اذا شئتم طول احتباك الغياهب

(فصل) فيما ذكروا واشتهر على ألسنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذي أوقعه في الفضول وكيف أدخل نفسه بين الاحباب حتى انتقمت منه أهل الآداب فوجهوا اليه سنان اللسان والاقلام فامتحن طعنا بكل نثر ونظام فقد قيل ليس من العدل كثرة العذل ومن تكلم بما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ومن لم يمسك عما استغنى عنه من الكلام فهو أحق بالملام وليس في هذا الباب ألطف من كلام سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته حيث قال

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

(وقال بعضهم)

ياعاذلي في هواه * اذا بدا كيف أسلو
يمر بي كل وقت * وكلما مر يحلو

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

يامن اذا باعت الابصار أسودها * بحبة فوق خديه فقد بخست
يزيد في العذل تسبيحا بأسربه * فليت عذال حبي فيك ما برحت

وقال ابن العفيف التلمساني

(وقال أيضا) بعض مشايخ العصر وقد عشق شيخا كلفت بشيخ كان مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد

أخو العقل يدري نار ما من القتى
أمنت عليه من رقيب ومن ضد

وقال الورى قسمان في شرعة الهوى
لسود اللحى ناس وناس الى المرد
فقلت لهم لو كنت أصبو لامرد
صبوت الى هيفا مياسة القد
وسود اللحى أبصرت فيهم مشاركا
فآثرت أن أبقى بابيضهم وحدي

(وقال آخر وقد عشق عجوزا)

كلفت بها شمطاء شاب وليدها
وللناس فيما يعشقون مذاهب

(وقال) ياقوت الحموي وقد ظلم أهل الموصل من خصهم بالنسبة الى اللواط حتى ضرب بهم المثل (وقال فيهم الشاعر)

كتب العذار على صحيفة خده
سطرا يلوح لناظر المتأمل
بالغت في استخراجه فوجدته
لا رأى الا رأى أهل الموصل

ولقد جبت البلاد ما بين جيحون النيل فن رأيته لا يخرج عن هذا المذهب فلا أدري لم يخص به أهل الموصل قيل وليس الامر كذلك كما ادعى ياقوت من كل وجه لان مجرد الميل الى الذكر لا تخلو منه بقعة انما أهل الموصل يزيدون على ذلك بانهم يميلون الى أصحاب الذقون وربما مالوا الى من في عذاره شيب ويقولون هنا شعرة وشعرة أي شعرة سوداء وشعرة بيضاء وبعضهم يسميه زرزوريا وهذا أقل ان يوجد في غير بلدهم وقد رموا بهذا من بين أهل البلاد وأهل الاسكندرية ملأتهم يقولون ما نعطي فليستنا الا لمن ينفقها على عائلته ووليداتهم ما نعطيها الا لمن يأكل بها حلاوة قال الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية في كتابه روضة المحبين بعد ذكر قصة عاد وما أفضى اليه بهم الهوى من الهلاك الفظيع والعقوبة المستمرة ثم قصة قوم صالح كذلك ثم قصة العشاق أئمة الفساق كما

جمع عليهم من العقوبات مالم يجمعه على أمة من الامم أجمعين وجعلهم سلفا لاخوانهم اللوطية من المتقدمين والمتأخرين قال لما تجرؤا على هذه المعصية وتمردوا ونهجوا الاخوانهم طريقا وقاموا بها وقعدوا وضجت الملائكة الى الله من ذلك ضجيجا وعجت الارض الى ربها من هذا الامر عجيجا وهربت الملائكة الى أقطار السموات وشكتهم الى جميع المخلوقات وهو سبحانه قد حكم أنه لا يأخذ الظالمين الا بعد اقامة الحجة عليهم والتقدم بالوعد والوعيد اليهم فلما خالفوا الرسول المرسل اليهم ووقعت الحجة عليهم فعل الله تعالى بهم ما أخبر به فى كتابه العزيز فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد فهذه عاقبة اللوطية عشاق الصور وهم السلف واخوانهم بعدهم على الاثر

فان لم يكونوا اقوم لوط بعينهم
فما قوم لوط منهم ببعيد
وانهم فى الخسف ينتظر وقتهم
على مورد من مهلة وصديد
يقولون لا أهلا ولا مرحبا بكم
ألم يعد كم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم
صراط التنافى العشق غير حميد
أتيناه الذكران من عشقنالهم
فاوردنا ذا العشق شر ورود
فانتم بتضعيف العذاب أحق من
متابعكم فى ذاك غير رشيد
فقالوا وأنتم وسلكم أنذرتكم
بما قد لقيناه بصدق وعيد
فمالكم فضل علينا فكلنا
نذوق عذاب الهون فوق مزيد

أسرفت فى اللوم ولم تقصر * وزدت فى عذلك ياذا العذول
قد رضيت نفسى بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

(وقال والده) ولى على عاذلى حقوق هوى * شكرى عليها من بعض ما يجب
لام فلما رآه هام به * فكنت فى عشقه أنا السبب

(وقال بعضهم)

قد اقتصر اللاحى وجاء يلومنى * وزخرف لى زور الكلام بعينه
وقال سل عن هذا وعد عن غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه

وأنشد ابن وكيع وقد عشق غلاما نصرانيا ولامه عليه صاحبه فرءاه المعشوق ولم يدر العاذل انه هو فقال له لو عشقت هذا المثل عليه فأنشد

أبصره عاذلى عليه * ولم يكن قبلها رآه * فقال لى لو عشقت هذا
ما لامك الناس فى هواه * قل لى الى من عدلت عنه * فليس أهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدرى * يأمر بالحب من نهاه

وقال شيخ الشيوخ بحماة

زعموا انى هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الاهوا كم
قد علمتم بصدق مرسل دمعى * فسلوه ان كان قلبى سلاكم
قال لى عذلى متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

(وقال بعضهم)

ان قوما يلحون فى حب سعدى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها فلاموا عليها * أخذوا طيبا وأعطوا خبيثا

(وقال آخر) من منصفى من عاذل جاهل * يحون باللوم لمن لا يخون
ان قلت ما نصحك الأذى * قال وما عشقك الا جنون

وقال محمد بن شرف الدين القيروانى

يقول لى العاذل فى لومه * وقوله زور وبهتان
ما وجه من أحببته قبلة * قلت ولا قولك قرآن

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

أيها العاذل الغبى تأمل * من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان فى الليل والنهار عجائب

(وقال ابن عبد الظاهر)

كم على عاذلى وكم لحبيبى * ذاك تكبيرة وذا تهليلة * يا ثقاتى وأين منى ثقاتى
أين من يبتغى الى الوسيلة * أنا ان مت قبلونى اليه * فحياتى وخفه تقبيله

(وقال قابوس)

من عاذرى فى عاذل * يلوم فى حب رشا اذا طلبت وصله * قال كفى بالدمع شيا

(وقال الوداعى)

يا لائمى فى هواه * أفرطت فى اللوم جهلا ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

(وقال البهاء زهير)

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره * فما باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتهجم * فياليته لو كان يدفع بالتي

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

أبغض العشاق منه أنني * لم أبع في حبه رشدي بغي
قلت قد أضنيت جسمي قال قد * قلت كي تذهب روحي قال كي

(وقال أيضا) اليكم هجرتي وقصدي * وفيكم الموت والحياة
أمنت أن توحشوا فؤادي * فآنسوا مقلتي ولا تو (حشوا)

(وقال ابن مطروح)

والله ما خطر السلو بخاطري * مادمت في قيد الحياة ولا اذا

(وقال آخر) لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجه جميل

(وقال آخر) قل للعذول أطلت اللوم في قمر * يزيد في كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما في حسنه عجب * قم فانظر الورد في خديه منثورا

(وقال محيي الدين البغدادي)

ان لامني من لا رآه فقد * جار على الغائب بالحكم
وان نهاني من لا رآه فقد * أضله الله على علم

(وقال البهاء زهير)

أنت الحبيب الاول * ولك الهنا المستقبل
عندي لك الود الذي * هو ما عهدت وأكمل
القلب فيك مقيد * والدمع فيك مسلسل
يا من يهدد بالصدو * د نعم تقول وتفعل
قد صح عذرك في الهوى * لكنني أتعلل
قل للعذول لقد أطلـ * ـت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوي * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول أخف من * غضب الحبيب وأسهل

(وقال ابن أبي حجلة)

وعاذل بالغ في عذله * وقال لما هاج بلبالي
بعارض المحبوب ما تنتهي * قلت ولا بالشيب والوالي

(وقال آخر) وشادن مبتسم عن شنب * مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبي له * وما درى شعبان اني رجب

المراد بشعبان العاذل ورجب الاصم وهي أسماء كانت مشهورة في الجاهلية

(وقال السراج الوراق)

قلت اذ جود لحظا * حده يدني الاجل يا عذولي كف عني * سبق السيف العذل

هذا مثل سائر أصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة خرجا لحاجة فرجع سعد دون أخيه فكانت العرب اذا عاد الرجل منهم من سفر يقول له سعد أم سعيد فيقولون سعد ان رجع بفرصة وان عاد بدون فرصة يقول سعيد وان أباهما خرج مع رجل حتى بلغ موضعا فقال له

عن الاصمعي انه قال فدخلت يوما أنا وأبو عبيدة المسجد فاذا على الاسطوانة التي يجلس اليها أبو عبيدة مكتوب على قدر سبعة أذرع

صلى الاله على لوط وشيعته
أبا عبيدة قل بالله آمينا
فانت عندي بلا شك بقيتهم
منذ احتلمت وقد جاوزت سبعينا

قال لي يا أصمعي امح هذا فركبت ظهره ومحوته بعد ان أثقلته فقال أثقلتني وقطعت ظهري انزل فقلت له بقيت الطاء فقال هي شر حروف هذا البيت وقيل انه لما ركب على ظهره وأثقله قال له عجل فقال قد بقي لوط فقال من هذا يهرب وكان الذي كتب ذلك أبو نواس (قلت) وقد جاء في تفسير قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض ان فسادهم كان اللواط (فصل في النظر الى وجه الامرد) ذكر الحافظ محمد بن ناصر من حديث مجالد عن الشعبي قال قدم عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة فاجلسه عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال كانت خطيئة من مضى النظر (وفي الكامل) عن أبي هريرة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحد الرجل النظر الى الغلام الامرد وكان سعيد بن المسيب يقول اذا رأيتم الرجل يلح بالنظر الى غلام أمرد فاتهموه وصرح الشيخ محيي الدين النووي في المنهاج بتحريم النظر الى وجه الامرد بشهوة أو بغير شهوة وذكر الخطيب من حديث عبد الرحمن ابن واقد عن عمرو بن أزهر عن أبان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا أولاد الملوك فان الانفس تشتاق اليهم ما لا تشتاق الى الجواري العواتق * وكان ابراهيم النخعي وسفيان الثوري وغيرهما من السلف ينهون عن مجالسة الامرد وقال النخعي مجالستهم فتنة وانما هم بمنزلة النساء (حكي) عن أبي سعيد الخراز [illegible] المشايخ

الرجل قد قتلت هنا رجلا وأخذت منه هذا السيف وناوله ضبة فعرفه بجرده وضرب الرجل فعذل فقال ضبة سبق السيف العذل (وقال شيخ الشيوخ بحماه)

أعاذلى ليس مثلى من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذل
مادمت خلوا فانما تنفك متهما * اعشق فقولك مقبول على ولى

(وقلت) لقد ضلت العشاق عن سنن الهوى * بلومهم العذال وهو عجيب

أماعذر المجنون معذى جهالة * لدى الشرع حتى يرعوى ويتوب
وماعاقل ذاق الهوى فيذمه * ويعذل صبا ان جفاه حبيب

(فصل فى أحكام الزيارة وماجاء فى فضلها من البراعة والعبارة وتفنن العشاق فى فضل زيارة الحبيب وايثار أنفاسه على نفائس الطيب) قيل كان الشافعى رضى الله عنه يكثر من زيارة أحمد وكان أحمد يقل من زيارته هيبة له فقيل للشافعى انك لتزوره أكثر وهو المحتاج اليك فانشد

قالوا يزورك أحمد وتزوره * قلت الفضائل لاتفارق منزله
ان زارنى فبفضله أوزرته * فلفضله فالفضل فى الحالين له

وقد أبدع لسان الحقيقة وواسطة عقد الطريقة سيدى عمر بن الفارض أفاض الله علينا من مدده فى هذا الباب حيث يقول

ولما توافينا عشاء وضمنا * سواء سبيلى دارها وخيامى
فرشت لها خدى وطاء على الثرى * فقالت لك البشرى بلثم لثامى

جعل الزيارة تفضلا منها ثم أشار الى أخذه فى أسباب السعى اليها بل شروعه فى ذلك رفعا لجانبها عن التكليف الكلى كأنه يقول انه ليس أهلا لها ثم فرش خده فى مقابلة السعى ولم يقل لها فقط بل أطلق فى جعله على الثرى المحتمل انها وطئته وانها لم تطأه وفى ذلك غاية رفع شأنها لمن يتأمل فلذلك عقبه أيضا بغاية رفع شأنه منها بأكثر مما كان يؤمله ولذلك لم تسمح نفسه بما سمحت له به غيرة كما صرح به هضما لجانبه عن هذا المقام كما أشار اليه ولما أعطى المقام حقه ونقلته العنايات الى محل الكرامات والحظوة بنيل المرادات أشار الى ذلك بقوله بعد البيت الذى تضمن ماذكرنا

عتبت ولم تعتب كأن لم يكن قلى * وماكان الا ان أشرت وأومت

فانظر الى هذا الانتقال وصريح هذا المقال بعدماقال

ومنت ماضنت على بوقفة * تعادل عندى بالمعرف وقفتى

حيث عذر بارتها منة عليه لئلا يتوهم ممايأتى هضم جانبها ثم نفى عنها البخل ثم عتب بعد ذلك فاين هذا انما سبق فسبحان واهب الفضل لمن أحسن فى خدمته وقام بحقوق محبته ومن ألطف ماقيل فى الزيارة والعجلة قول العكوك

بابى من زارنى مكتتما * خائفا من كل شئ فزعا * زائر نم عليه عرفه
كيف يخفى الليل بدرا طلعا * رصد الغفلة حتى أمكنت * ورعى الساهر حتى هجعا
ركب الاخطار فى زورته * ثم ماسلم حتى ودعا

(وقال ابن المعتز)

زارنى والدجى احم الحواشى * والثريا فى الغرب كالعنقود

المشهورين بالزهد والعبادة أنه قال رأيت ابليس فى منامى وهو يمر عنى ناحية فقلت تعالى فقال أى شئ أعمل بكم أنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس قلت وماهو قال الدنيا ثم قال غير ان لى فيكم لطيفة قلت وماهى قال صحبة الاحداث فاخذت العصا لاضربه فقال أنا ما أخاف من العصا انما أخاف من نور القلب (قال فتح الموصل) صحبت ثلاثين شيخا من الابدال كلهم يقولون اياك ومعاشرة الاحداث (وحكى) أبو عبدالله احمد بن الجلاد قال كنت أمشى مع استاذى فرأيت حدثا جميل الصورة فقلت أترى يعذب الله هذه الصورة بالنار فقال أونظرت اليه سوف ترى غبها قال فنسيت القرآن بعد عشرين سنة ومن المعلوم أن النظر الى الامرد يوقع فى سكرة العشق كما قال تعالى عن عشاق الصور لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فالنظر كأس من خمر العشق وسكر ذلك الشراب وسكر العشق أعظم من سكر الخمر فان سكران الخمر يفيق وسكران العشق لم يفق الا وهو من عسكر الاموات

سكران سكر هوى وسكر مدامة
ومتى يفيق فتى به سكران

(أنشدنى بعض مشايخ العصر)

يامن غدا بالمرد ذا الوعة
ماأنت فى حبهم بالمصيب
فى الخرد العين الذى تشتهى
منهم ويفضلن بحب الحبيب

(وقال آخر)

حبك الغلمان أمر
يكنك النسوان غبن
انما يفسق فى الظهـ
ـر اذا أعوز بطن

على ان عشق النسوان أيضا والنظر الى من لايجوز النظر اليها فيه مافيه مما لايدرك تلافيه وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء

وكأن

وكأن الهلال طوق عروس * بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول * طول الله فيك غيظ الحسود
(وقال آخر) زارت على غفلة الرقيب * كظبية روعت بطيب
وكان وقت الوصال منها * أقصر من جلسة الخطيب
وقال عبد العزيز ويقال انه أصدق ما قالت الاواخر
يقولون لي بالله ما أنت فاعل * اذا زارك المحبوب قلت أنيكه
(قال ابن النبيه)
قلت لليل اذ حبانى حبيبى * بعتاب يسبي النهى وعقارا
أنت يا ليل حاجبي فامنع الصبح وكن أنت يا دجى برددارا
(وقال ابن العفيف)
ومليح كالبدر زار بليل * خلى حسنه الدجى اذ تجلى
ما درى منزلي ولكن قلبى * بلهيب الجوى هواه ودلا
وعجيب منه فقيه ذكى * بمحل النزاع كيف استدلا
وقال بشار يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة اطراف المساويك
قد زرتنا زورة فى الدهر واحدة * عودى ولا تجعليها بيضة الديك
انما قال ذلك لانه قد اشتهر ان الديك يبيض فى عمره مرة ولم يذكر الطبيعيون ذلك وأقول ان القياس لا يأباه لما تقرر فى الطبيعة من ان البيض الريحى فضلات غليظة هيأتها الحرارة والذكور يتوفر فيها ذلك على نحو المنى الفاضل ولولا الحرارة الحلالة لكثر ذلك فيهم والممنوع بيض يولد النوع لعدم الزرع النامى ومن له يد فى الفلسفة سهل عليه علم هذا وقال ابن أبى حجلة
زار الحبيب ووجهه الورد خجلان * فاصفر حين تثنى قده البان
قد كان ما كان من هجرانه زمنا * وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا
ما ضرنى ضيق عيشى حين واصلنى * سم الخياط مع الاحباب ميدان
(وقال ابن سكرة)
أهلا وسهلا بمن زارت بلاعدة * تحت الظلام ولم تحذر من الحرس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت * وناب اشراقها ليلا عن القبس
ولوطواها الدجى عنا لاظهرها * برق الثنايا وضوء البرق فى الغلس
ومما تدرجوا اليه من ذكر زيارة الحبيب وصف عمره بالطيب قال ابن النبيه
ان جاء من يبغى لهم منزلا * فقل له يمشى ويستنشق
(وقال الطغرائى) فسر بنا فى ظلام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل
(وقال آخر) لو كان يوجد ريح مسك فائحا * لوجدته منهم على أميال
(وقال المتنبي) ويفوح من طيب الثناء روائح * لهم بكل مكانة تستنشق
ومما ينخرط فى سلك الزيارة وينتظم فى عقد الاشارة ذكر العيادة وما ينجر الى المحب فيها من الافادة وهى فى الحقيقة زيارة بحيلة تستعطف بها النفوس البخيلة قال الطغرائى
خبروها أنى مرضت فقالت * أضنى طارفا شكا أم تليدا

والخروج بعد زوجها من الباب أو الطاقة كما قيل فى معنى ذلك
شغل المرد بالبدال وأضحى
نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد تكفى
فعزاء يا معشر الفساق
(وحكى) عن بعضهم أنه قال لجارية تساحق ارجعى الى الحق فقالت الحق بعض مرادى تريد أن السحق بعض حروف الحق وهذا من الاجوبة اللطيفة فما أحقها أن يقال فى حقها
مغرمة بالسحاق أضحت
تبكى عليه بكل عين
فما كنفت فى المتوك الا
تضيف اسحاق فى حنين
(حكى) أن رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما فى السحاق فجذب التى هى من فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج الى حبال ورجال * وقال شيخنا زين الدين بن الوردى فى نساء أهل العصر هذا الشعر
قولوا لمن تهوى السحاق الذى
حرمه الله وما فيه خير
اخطأت يا كاملة الحسن اذ
أقمت اسحاق مقام الزبير
(وقال آخر)
قل لمن تدعى السحاق الى كم تساحقى
ليس يشفى غليلك * من جميع الخلائق
غير ذى الاضلع الفقير الحليق الجوالق
(وقال ابن سنا الملك)
يا هذه لا تستحى
منى قد انكشف المغطى
ان كان كسك قد نشا
ب ان ايرى قد تمطى
(وقال بعض مشايخ العصر)
ارى اذا ندبته * لحاجة تعترض فى

وأشار والبان تعود وسادى * فابت وهى تشتهى أن تعودا
وأتتنى فى خفية وهى تشكو * ألم الشوق والمزار البعيدا
ورأتنى كذا فلم تتمالك * ان أمالت على عطفا وجيدا

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

ومسلولة فى الحب لما أن رأت * أثر السقام بعظمى المنهاض
قالت تغير نافعلت لمانع * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

(وقال آخر) لاتهجروا من لاتعودهجركم * وهو الذى بلبان وصلكم غذى
ورفعتموه مقدا وبالابتدا * حاشا كم أن تقطعوا صلة الذى

وعلى ذكر الذى والصلة قيل كتب ابن عنين وقد مرض الى الملك المعظم

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلاقى
أنا كالذى أحتاج ما يحتاجه * فاغنم ثوابى والثناء الواقى

فحضر اليه وصحبته ثلثمائة دينار فقال أنت الذى وهذه الصلة وأنا العائد

(وما ألطف قول البها زهير فى المعنى)

يقولون لى أنت الذى شاع ذكره * فمن صادر يثنى عليه و وارد
فقالت له هبنى الذى قد ذكرته * فاين صلاتى منكم وعوائدى

(وقال ابن عباد)

مرضت فاشفقت الزيارة عامدا * وماعن قلى أمسكتم الاولا هجر
ولكننى اشفقت من أن أزوركم * فابصر آثار الكسوف على البدر

(الشهاب محمود)

رأتنى وقد نال منى النحول * وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام * فقلت صدقت و بالخصر أيضا

(وقال الارجانى)

غالطتنى اذ كسا جسمى الضنى * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوى * مثل عينى صدقت لكن سقاما

(ابن أبى حجلة) شكوت الى الحبيبة سوء حظى * وما قاسيت من ألم البعاد
فقالت أنت حظك مثل عينى * فقلت نعم ولكن فى السواد

(ابن النقيب) ومابى سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلى بالعيون وغرتى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة * فقلت نعم عين الحبيب ونظرتى

(والكل مأخوذ من قوله)

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو عقلوا قالوا به نظرة الانس

(شمس الدين بن العفيف)

اسم حبيبى وما يعانى * قد حير خاطرى ولبى
قالوا على فقلت قدرا * قالوا كوانى فقلت قلبى

(ابن الوكيل) وبى من قسا قلبا ولان معاطفا * اذا قلت أدنانى يضاعف تبعيدى

يبادر بالتقبيل على الحراره
فأصبح لايقوم لبدر تم
كأن النحس قد ولى الوزاره

(وقلت أنا)

يا ابرا ان مر الحبيب مسلما
واشار نحوك دون كل الناس
فانهض لخدمته ولاتك أحمقا
مافى وقوفك ساعة من باس

(وقلت) أيضا واستغفر الله العظيم من كل ذنب

لما وقفت فى الصيام الحب أنشدنى
ابرى وقال اشترط ماشئت واحتكم
فالامر أمرك ماعندى مخالفة
ان صمت صمنا وان افطرت لم نصم

(وحكى) قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان بعد أن ردقول بعضهم

ولقد قال لى صديق لما
أن رآنى أضر فى الافلاس
قم تسكع بذا العمود فهذا الـ
ـساير يرجى بمثله و براس
قلت قد كان ذا ولكن دهرى
أهله كله لئام خساس
أين من كان عندهم يرفع الايـ
ـر على الراحتين ثم يماس
أين من كان عالما بمقادير
الايور الكبار مات الناس

فقال قيل ان الامير فخر الدين بن الشيخ رأى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب بخط شرف الدين بن قيم الشام فكتب تحتها من خلف مثلث شامات

(وقال آخر)

زعموا أننى خسرت عليها
ليت شعرى من أين تلك الخساره
من مقل من ضيعتى من قاشى
من بقايا أموالى تلك التجاره
بحضير تى فقام ابرى اذا

لا ذيها كم تسليته أوخياره (وقال آخر) وبحك يا ابرى أما تستحى * تخجلنى ما بين جلاسى

أقبر

أقر برق اذ أقول أناله * وكم قالها أيضا ولكن لتهديدى

(ومما أورده صاحب الدمية له)

عذيرى من شاطر أغضبوه * فجـرد لى مرهفا فاتـكا

وقال أنالك يا ابن الوكيـل * وهل لى رجاء سوى ذلكا

ونشابيهاته فى نوع الزيارة كثيرة ذكرنا منها ما سمعت اذ لا يمكن استيعاب ذلك

(وقلت فى أصل الزيارة)

زارت وقد أخفى نهار جبينها * ليل الشـعور مخافة الرقباء

فوثبت اجـلالا أقبل نعلها * بل تربه للـبرء من أدوائى

قالت لك البشرى فطب نفسا بما * أوليت من نعم وحسن وفاء

بتنا وكل جوارحى تشكو لهـا * شوقى وما صنع الهوى بحشائى

فسكرت من ألفاظها ورضابها * مع لينها ومحاسن الحسـناء

ونسيم أنفاس لقلبى أرسلت * سـحرا فأحيا ميت الاحياء

لله من وطر قضيت مؤازرا * معها بثـوبى عفــة وحياء

ياليـلة غلط الزمان بهـا ولو * عوضـتها بالعمر كان مناقى

(وقلت أيضا) أفدى التى زارت بلا موعد * فى غفلة الواشـين والجانى

والوجه منها روضة أينعت * ما لمســتها راحـة الجانى

قـت لاجنى الورد من خـدها * وهى بسـيف اللحظ ترعانى

فقلت ماهــذا وقد راعنى * قالت حـديد يمنع الجانى

واما كلام سيدى عمر بن الفارض فى وصـف طيب الحبيب فغاية لا يدركها اللبيب وذلك قوله ولو عبقت فى الشرق أنفاس طيبها * وفى الغرب مزكوم لعاد له الشم

فانه مع ذكر البعد فيما بين الجهتين مرصع بلطائف لا يهتدى اليها الا من خص بالعناية ألا ترى الى وصفه الشام بالزكام المانع من الشم عادة وجعله فى الغرب الذى يكثر الهواء منه لا اليه كما فى القرينة الثانية وجعل المحبوبة فى القطر الحار الذى تفنى فيه الرائحة اذا عبقت لشدة تحليل الشمس لما يحمله الهواء من تصعد البخار ومع ذلك يشم ومنه أخذت فقلت

لو اشتاقها فى الغـرب فاقد شمه * وكانت بأقصى الشرق شم نسيمها

(وقلت فى العيادة)

أقول لهـا هـل تسعفى بعيادة * مريضا كواه البين بالهجر والسقم

فقالت اذا ما فارق الروح زرته * لان محالا جمع روحين فى جسم

ومما يتخرج على الزيارة تخريج الفروع على الاصول ويهتدى الى الحاقه بها أهل العقول ما جرى على ألسنة الاحباب من أحوال العتاب وانقسام الناس فيه الى مادح له لتأكيد المحبة ودوامه بين الاحبة *والصحيح انما كذب الناقل وميز الحق من الباطل وأكد الصحبة بعد النفور وبين للحبيب الزور فهو أحق بأن ينصر ومنه يستكثر قال فى احياء علوم الدين ما معناه ان العتاب شأن أولى الالباب وقاطع لقطيعة الاخلاء والاصحاب وكان الرجل اذا وقع فى نفسه من أخيه شئ لم يهجره حـتى يوضح له ذلك فان انتهى والا هجره وأما عتاب يفضى الى المقاطعة ويحدث الهجر والممانعة فتقريع يجب اجتنابه عقلا ونقلا وتركه فصلا

تطلع من طوقى كذا ماعدا * تنكص العمة عن رأسى (وقال ابن مطروح)

قالت من أمرضنى * فى قبلة [illegible]

فقال لالا أبدا * قلت له [illegible]

فقال غصبا قلت لا * الا سماحا وكرم

قال فسرا قلت لا * الا على رأس علم

قال فخذها بالرضا * منى حلالا وابتسم

فلا تسل عما جرى * واستغفر الله ونم

(الباب الثلاثون فى ذكر من اتصف بالعفاف وبأحسن الاوصاف) أقول هـذا باب عقدناه لذكر أكثر المحبين ميلا وأظهرهم دليلا وأحسنهم سيرة وأزكاهم سريرة وأعفهم مع القدرة ولا سيما بنو عذرة الذين هم أشد الناس غراما وأعظمهم هياما فلذلك قلت وأقول العشق مع العفة فى بنى عـذرة كثير والمقتول منهم عشقا جم غفير فان ذكر أحدهم بالعفة فجميل جميل الصفات صادق العزمات وسنورد من أخباره فى هذا المقام ما يصدق هـذه الدعوى ويحقق أن التسلى بالمحبوب عن غيره ضرب من السلوى (فمن ذلك) ما حكاه محمد بن جعفر الاهوازى قال مرض جميل بمصر مرضه الذى مات فيه فدخل عليه العباس بن سهل فقال له جميل ما تقول فى رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد أن لا إله الا الله قلت أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هـذا الرجـل قال أنا فقلت له ما أحسبك سلمت وأنت منذ عشرين سنة تشبب ببثينة فقال انى لفى أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا فلا نالتنى شفاعة محمد يوم القيامة ان كنت وضعت يدى عليها لريبة قط فما قنا حتى مات سنة اثنتين وثمانين من الهجرة ومن غريب ما حكاه الزبير من أخبار جميل أما بثينة المذكورة فمن بنى عذرة وبنو عذرة قبيلة مشهورة بالعشق فى قبائل العرب واليهم ينسب الهوى العذرى لانهم أشد سائر خلق الله عشقا (قال سعيد بن عقبة) لاعرابى ممن أنت قال من قوم اذا عشقوا ماتوا قال عذرى ورب الكعبة

و وصلا وفيه قيل من سوء الآداب كثرة العتاب ومن أمثالهم في الاول العتاب مفتاح الوصال قاطع للهجر والملال والى سلوك الطريقة الحسنة فيه أشار من أمر بقلته وهو سعيد الكاتب بقوله أقلل عتابك فالبقاء قليل * والدهر يعدل تارة ويميل

ولعل أيام الحياة قصيرة * فعلام تكثر عتبنا وتطيل

(وقال آخر) وبعض العتاب اذا ما رفقت * يباعده هجرا ويدني وصالا

فعاتب أخاك ولا تجفه * فان لكل مقام مقالا

(والى مكثر التقاطع أشار بالترك من قال)

لا تغر عن سماع من * تهوى بتعداد الذنوب ما نافس الاحباب الا * من يعيش بلا حبيب

(والى تأييد الاول أشار من قال)

فلا عيش كوصل بعد هجر * ولا شئ ألذ من العتاب

فلا هذا يمل حديث هذا * ولا هذا يمل من الجواب

(وقال آخر) وأحسن أيام الهوى يومك الذى * تروع بالهجران فيه وبالعتب

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

(ابن سنا الملك) وأملي عتابا يستطاب فليتني * أطلت ذنوبي كي يطول عتابه

ومن غرتي ذكر العذيب وبارق * وما هو الا ثغره ورضابه

(أبو نواس) أساء فزادته الاساءة حظوة * حبيب على ما كان منه حبيب

تعد على الواشيات ذنوبه * ومن أين للوجه المليح ذنوب

(الحكم بن قنبر)

كأنما الشمس في أعطافه طبعت * حسنا أو البدر من ازراره طلعا

مستقبل بالذي يهوى وان عظمت * منه الاساءة معذور بما صنعا

في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

(أبو فراس) قل لاحبابنا الجناة علينا * درجونا على احتمال الملال

أحسنوا في عتابكم أو أسيئوا * لا عدمناكم على كل حال

(وقال آخر) اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

(وقال آخر) تجني علي اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فانني مخصوم

لا أستطيع أقول أنت ظلمتني * الله يعلم انني مظلوم

(وقال آخر) ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادي ولكن للعتاب مواضع

(ابن المعتز) أقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقد قيل ان أفضل العتاب ما غرس العفو وأثمر المحبة وعتب يوجب العفو والصفاء أفضل من ترك يعقب الجفاء وجاء في تفسير قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل عن علي يعني اعف واصفح بلا عتاب وورد عنه صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من متنصل عذرا صادقا أو كاذبا لم يرد علي الحوض (وما أحسن قول القائل)

ذنبي اليك عظيم * وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولا * واصفح بفضلك عنه

ان لم أكن في فعالي * من الكرام فكنه

ثم قال ولم ذلك قال لان في نسائنا صباحة وفي فتياننا عفة (وقال) رجل لعروة بن حزام يا هذا بالله أصحيح ما يقال عنكم أنكم أرق الناس قلوبا قال نعم والله لقد تركت ثلاثين شابا في الحي قد خامرهم الموت ما لهم داء الا الحب (وقال) رجل من بني فزارة لرجل من بني عذرة تعدون موتكم بالحب مزية وفضيلة وانما ذلك ضعف بنية وضيق روية ورق وخور تجدونه فيكم يا بني عذرة فقال له والله لو رأيتم النواظر الدعج من فوقها الحواجب الزج من تحتها المباسم الفلج والشفاه السمر تفتر عن الثنايا الغر لاتخذتموها اللات والعزى ثم أنشد

تتبعت مرمى الوحش حتى رميتني * من النبل لا بالطائشات الخواطف

ضعائف يقتلن الرجال بلا دم * فيا عجبا للقاتلات الضعائف

(وقيل لبعضهم) ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تحب فقال أحل الجار وأحرم ما وراء الازار وأظهر للحب ما يرضي الرب (وقال) الحافظ أبو محمد الاموي ان امرأة يثق بها حدثته ان فتى يعلقها وعلقته وشاع أمرهما فاجتمعا يوما خاليين فقال لها هلمي نحقق ما يقال فينا فقالت لا والله لا كان هذا أبدا وأنا أقرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (وقيل) لبعضهم وقد طال عشقه لجارية من قومه ما أنت صانع ان ظفرت بها ولا يراكما الا الله قال والله لا جعلته أهون الناظرين لا أفعل بها خاليا الا ما أفعله بحضرة أهلها حديث طويل ولحظ من بعيد وأترك ما يكره الرب ويفسد الحب (وقيل) لآخر ما كنت صانعا لو ظفرت بمحبوبتك فقال ضمها ولثمها وعصيان الشيطان في اثمها ولا أفسد عشق عشرين سنة بلذة ساعة تفنى ويبقى حسابها الى ان جلست هنا التيم ولم يلد في كريم (قلت) ومن اتصف من العشاق بأحسن الاوصاف من الخلفاء هرون الرشيد

وقال

(وقال آخر) ما أحسن العفو من قادر * لا سيما من غير ذى ناصر
يا غاية القصد وأقصى المنى * وخير مرعى مقلة الناظر
ان كان لى ذنب ولا ذنب لى * فما له من غيرك غافر
أعـوذ بالود الذى بيننا * ان يفسد الاول بالآخر

(وقال آخر) وزعمت انى ظالم فهجرتنى * ورميت فى قلبى بسهم نافذ
ونعم ظلمتك فاغتفر لى زلتى * هذا مقام المستجير العائذ

(ابن زيدون) يا قرا مطلعه المغرب * قد ضاق بى فى حبك المذهب
ألزمتنى الذنب الذى جئته * صدقت فاصفح أيها المذنب
فان من أغرب ما مر بى * ان عذابى فيك مستعذب

(وقلت) رأيت أساليب العتاب كثيرة * وألطفها ما أكد الحب فى القلب
اذا ما خلونا لم أجد ما أقوله * يلذ سوى الشكوى اليها مع العتب
ومن ذكر المحبوب شيأ منفرا * عقوبته الهجران فى مذهب الحب
ومن يرذنبا من حبيب فدع * وما الحب الا أن تنعم بالذنب

هذا مستمد من مدد قطب هذا الوجود وانسان عين أهل هذا الشهود سيدى عمر بن الفارض حيث قال وكل الذى ترضاه البيت السابق وقد قال بعضهم عتاب المحبين الذلة فى الاعتاب وخدمة الابواب وقال بعضهم كن اذا قابلت الحبيب مرآة ينتقش فيك عيب نبيك فتراه منك وتطلب صفحه عنك ولم يوضح هذا الطريق أحد أجل من لسان العارفين وترجمان المحبين سيدى عمر بن الفارض حيث يقول

ولو عز فيها الذل ما لذ لى الهوى * ولم تك لولا الذل فى الحب عزتى

فصل ومما يلحق بالعتاب ويصلح أن يكون معه فى باب) الصبر على تعنت المعشوق وتجنيه على الصب المشوق والصفح عن التجنى حين يذوق جناه ونسخ سخطه وظلمه بظلمه ورضاه وهو أصل عند العشاق يبنى عليه ويرجع فى قواعد مذهب المحبين اليه كما قيل شرط المحبة عند أرباب الهوى * ان المليح على التجنى يعشق
لا يصدهم صد ولا يقفون من سيوف اللحظ عند حد ولا يأخذهم فيه لومة لائم ولا يعدون جور ما يرد من الظلم من المظالم

(ابن النبيه) من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه * حلوا فقد جهل المحبة وادعى

ولقد تلطفت علية بنت المهدى فى هذا المعنى حيث تقول

جبل الحب على الجور فلو * أنصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن فى شرع الهوى * عاشق يحسن تأليف الحجج

(وقال بعض الاعراب)

شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبى أراح الله قلبك من حبى
فلما كتمت الحب قالت تعنتا * صبرت وما هذا بفعل شجى القلب
وأدنو فتقصينى فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبى
فشكواى تؤذيها وصبرى يسوءها * وتنفر من بعدى وتجزع من قربى
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * أشيروا بها تستوجبوا الاجر من ربى

ذلك أنه عشق جارية فلما راودها عن نفسها قالت ان أباك ألم بى فتركها وشغف بها حتى كاد يخرج عن حد جهة فكان ينشد
أرى ماء وبى عطش شديد
ولكن لا سبيل الى الورود
فقال له القاضى أوكلما قالت جارية شيأ تصدق قولها فقال الرشيد ما فوق الخلافة رتبة فانظر ما أحسن عفة الجارية وامتناع هرون الرشيد مع شدة شغفه بها (ودخل عليه) منصور بن عمار فاستدناه حتى ألصق ركبتيه بركبتيه فقال له منصور يا أمير المؤمنين تواضعك فى شرفك أحب الينا من شرفك فقال عظنى فقال من عف فى جماله وواسى من ماله وعدل فى سلطانه كتبه الله من الابرار فبكى الرشيد وقال زدنى فقال لو طلبت شربة ماء فلم تجدها الا بنصف الدنيا أكنت تشتريها به قال نعم قال فلو تعسرت عليك بعد شربها أكنت تشترى خروجها بالنصف الآخر قال نعم قال قبح الله دنيا تشترى بشربة ماء وبولة (وحكى) عن السلطان ملك شاه السلجوقى انه حضرت بين يديه مغنية فأعجب بها واستطاب غناءها فهم بها فقالت يا سلطان العالم انى أغار على هذا الوجه المليح الجميل أن يعذب بالنار وأن الحلال أيسر وبينه وبين الحرام كلمة فقال صدقت واستدعى القاضى وتزوجها وأقامت فى عصمته حتى مات رحمه الله (وحكى) سهيل أكبر خدم السلطان نور الدين الشهيد أن السلطان المذكور اشترى مملوكا بخمسمائة دينار وخلعة وغلمتو كان جميل الصورة وسلمه الى وكنت قد ربيت السلطنة فقلت فى نفسى انا لله وانا اليه راجعون هذا ما اشترى مملوكا قط بخمسين دينارا فلم اشترى هذا بخمسمائة دينار [illegible] تركنى أياما وقال أحضر [illegible]

[illegible] (٢٣ - تزيين) [illegible]

ولما كان التجني من المحبوب وتعنته الذي يكاد أن يفوت الغرض المطلوب يشتبه بالهجر والقطيعة ويعسر التفريق بينهما على من لم يخض لجة هذه الشريعة وجب بعد اذ أشرنا الى حقيقة الاول أن نشير الى الثاني ونذكر ماله من الاقسام والمباني سالكين في ذلك مسلك ديوان الصبابة اذ لا مزيد في هذا المحل على تقسيماته المستطابة فنقول وقد قسم الهجر عند أهل المحبة بعد الاستقصاء الى أربعة أقسام

(القسم الاول هجر الدلال)

وهو الممدوح الصفات المقصود بالذات وسببه علم المحبوب بمكانته عند المحب وانه يتلذذ بالاساءة كما يتلذذ بالحسنة ولا تغيره الحوادث على اختلاف الازمنة ولهذا اذا صفت مرآة أهل المحبة اتحدوا في كل رتبة فيقع لاحدهم بعد المبالغة في هذا الصفاء ان يعتقد ارتفاع الخلاف واتصاف كل أحد بما عنده من الاوصاف فانظر الى قول بهاء الدين زهير في قوله

عتب الحبيب فلم أجد * سببا لذاك العتب حادث

ما كنت أعلم انه * ممن تغيره الحوادث

فهو وان لم يقع منه ما يوجب التغير كما أفهمه البيت الاول لم يعتقد تغير المحبوب بما يقع منه لانه هو كذلك وفي هذا الاصل كلام للعارفين وكل يأخذ ما يناسبه من الاشارات والبهازهير لا يكثر عليه مثل هذا فلقد سمعت مولانا عارف الوقت الشيخ شمس الدين البكري أدام الله مدده يقول انه كان اماما عارفا أو ذا لسان عارف وعلامة هذا القسم الاسعاف بالمطلوب وان لم يكن كل آن والتلطف بالعاشق ورفع محله في غصون الهوان وهم يرون اليسير خطيرا والقليل كثيرا قال أستاذ الوجود في هذا المعنى

ففي نظرة منها ولو عمر ساعة * ترى الدهر عبدا طائعا ولك الحكم

وفوق ذلك قوله رضي الله عنه

وان لم أفز يوما اليها بنظرة * لعزتها حسبي افتخارا بتهمتي

ودون اتهامي ان قضيت أسى فما * أسأت بنفس بالشهادة سرت

فانظر كيف ارتضى بان يموت محبا وان لم يعلم به أحد ويكون شهيدا مع ذلك فائزا بالسعادة في غاية الرضا بذلك بعد اذ سأل الوصل أولا ثم نظرة ما في يوم ما ثم التهمة بالمحبة الصادقة على العدم ثم هذه المرتبة وما أحسن التكميل بعزة النظرة في هذا المقام وعلاج هذا القسم ينحصر في الصبر المقرون بالرضا ثم التسليم الخالي عن الشوائب المكدرة ومعنى قوله رضي الله عنه ولو عز فيها الذل يحقق ذلك وأما قوله

ونفس ترى في الحب أن لا ترى عنا * متى ما تصدت للصبابة صدت

فزجر ينفي ويمنع غير النفوس الزكية والهمم العلية عن سلوك هذه المرتبة السنية (رجع الى كلام المترسمين) قال بعضهم هجر الدلال أعذب من الوصال

ويدل هجركم على * اني خطرت ببالكم

(وقال آخر) لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني اني خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال وأخذ بقلوب النساء والرجال ان يكون كثير التدلل قليل التبذل فان ذلك ادعى للسلامة وأبعد عن الملامة (ابن وكيع)

قالوا عشقت كثير التيه ممتنعا * فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه

قلت في نفسي هذا الشيخ في زمان شبابه ما ارتكب كبيرة ولما كبر سنه يقع فيها والله لاقتلنه قبل ان يقع في المعصية فأخذت كتارة فاصلحتها وجئت بالمملوك وأنا في قلق فسهرت عامة الليل ونور الدين في أعلى البرج ثم غلبتني عيني فنمت ثم استيقظت فوقعت يدي على وجه الغلام فاذا به مثل الجمرة وعليه حمى شديدة فرجعت به الى خيمتي وأحضرت الطبيب ففات وقت الظهر فغسلته وكفنته ودفنته فدعاني نور الدين في اليوم الثاني وقال يا سهيل ان بعض الظن اثم فاستحييت فقال قد عرفت خالي وأنت وبيني هل عثرت لي على زلة قلت حاشا الله قال فلم حملت الكتارة وحدثتك نفسك بالسوء ما أنا معصوم لما رأيت المملوك وقع في قلبي منه مثل النار فقلت أشتريه لعله يذهب عني ما أنا فيه فلم يذهب فقالت لي نفسي أريد كل يوم أن أراه فأمرتك باحضاره فقالت أريد أن تحضره الى البرج بالليل فأمرتك باحضاره فلما حضر ما تركتني النفس أنام وبقينا في حرب الى السحر فهممت ان أصعده الى عندي فتداركني الله برحمته فكشفت رأسي وقلت الهي عبدك محمود المجاهد في سبيلك الذاب عن دين نبيك صلى الله عليه وسلم الذي عمر المساجد والمدارس والمرابط تختم أعماله بمثل هذا فسمعت هاتفا يقول قد كفيناك يا محمود فعلمت انه قد حدث به حدث وأما أنت فجزاك الله عني خيرا والله ان القتل عندي أهون من المعصية ثم أحسن الي (وحكي) عن فاطمة بنت الخثعمي انها دعت عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم الى نفسها للنور الذي رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالممات دونه
والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالامر الذي تبغينه * يحمي الكريم عرضه ودينه

قلت قصة عبد الله مع فاطمة هذه مثل قولهم في المثل لو

لو جادها وقلت الجود عادته * وانما عز لما عز مطلبه

(العباس بن الاحنف)

ياقوم لم أهجركم لملامة * مني ولا لمقال واش حاسد

لكنني جربتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد

(وقلت) عدي واضمري خلفا يلذ بخاطري * كوصلك وعد منك غايته الخاف

فعندي موتي في هواك وعلمك * بذلك وصف لا يعادله وصف

(القسم الثاني هجر الملال)

هو هجر منشؤه الملازمة مع اختلاف الخصال وتكون المحبة فيه غير عريقة بل منشؤها علة على الحقيقة وسببه ماذكر من الاختلاف وتحري النفس طلب الاعتساف وعلامته تأثير مباعدة المكان وطول الازمان وعلاجه التحبب والتحلق بخلق المراد وسلوك كل ما أراد وربما محته الهدية والملاطفة بالاخلاق المرضية والصفح مع حسن الصبر والمجاوزة عن الزلة وان عظم الامر وبعض العشاق من المترسمين صرح في علاجه بتباعد المكان والغيبة الممتدة الى مدة من الزمان وفيه أنشد

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

هذا لا يحسن على اطلاقه الا بعد تحقيق وتأنه وهو أن يكون للمحبة أصل وانما ضعف بالملازمة والا فالبعد مع عدم ذلك غاية مطلوبه وصفة محبوبه

* (القسم الثالث الهجر المعروف بهجر الجزاء والمعاقبة) *

هو هجر سببه وقوع في ذنب ولو خطأ وعلامته قبول الأوبة عند صدق التوبة وعلاجه تصديق المحبب في دعواه والنزول على حكمه والرضا بما يهواه والاعتراف بالذنب وان لم يكن صدر وطلب العفو عمن قدر والى هذا المشرب وسلوك هذا المأرب أشار سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه بقوله

عبد رق مارق يوما لعتق * لو تخليت عنه ما خلاكا

فقد حقق في هذا الباب أن لا محيص له عن هذا الجناب وانه يطلبه بكل حال ولا ينحيه عنه في سائر الاحوال سوى طلب أو منع أو جلب أو دفع ثم دل على صدق كلامه وانعقاد قلبه على مطاوعته في مرامه فقال

وبما شئت في هواك اختبرني * فاختياري ما كان فيه رضاكا

ثم ارتفع عن هذه المرتبة ايضا طالمراتب السالكين ودلالة على التنقل الموصل للناسكين حيث قال وقد صرت مستدعا قضاك وما به * رضاك ولا أختار تأخير مدتي

فانه أبلغ من قوله

وان هددوا بالهجر ماتوا مخافة * وان أوعدوا بالقتل حنوا الى القتل

خلافا لبعض الشراح لعموم ما في الاول بالنسبة الى هذا وبيانه يستدعي طولا وأما قوله

وما غدرت في الحب اذ هدرت دمي * بشرع الهوى لكن وفت اذ توفت

فاصرح من جميع ذلك فيما نحن فيه بل ربما تمشي على القسم الاول أو هو له حقيقة

(القسم الرابع الهجر الخلقي)

وسماه بعض الصوفية الازلي يقال ان الجنيد رضي الله عنه فسر قوله صلى الله عليه وسلم

منه وأنشدت

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها

فليس اليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه

وأنت لاخرى صاحب وخليل

فكانت كما قيل

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا

وأخرى بنا مجنونة ما نريدها

ومثل قول الآخر

علقتها عرضا وعلقت رجلا

غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

وممن اتصف بالعفاف من ذوي الغرام الامام ابن الامام محمد بن داود الظاهري وله في ذلك حكايات مشهورة وهذا موضع ايرادها ونشر أبرادها فمن ذلك قوله لكل شيء زكاة وزكاة الوجه الحسن امكان أهل العفة من النظر اليه (وحكي) محبوبه محمد وقيل اسمه وهب بن جامع الصيدلاني أنه دخل على أمير المؤمنين فسأله عن ابن داود هل رأيت منه ما تكره فقال لا يا أمير المؤمنين الا اني بت عنده ليلة فكان يكشف عن وجهي ثم يقول اللهم أنت تعلم اني أحبه واني أراقبك فيه قال فما بلغ من رعايتك له فقلت دخلت الحمام فلما خرجت نظرت في المرآة فاستحسنت صورتي فوق ما عهدت فغطيت وجهي وآليت أن لا ينظر أحد الى وجهي قبله وبادرت اليه فلما رآني مغطى الوجه خاف أن يكون لحقني آفة فقال ما الخبر فقلت رأيت الساعة وجهي في المرآة فاحببت أن لا يراه أحد قبلك فغشي عليه قال الليث بن سكرة كان محمد ابن واسع ينفق على محمد بن داود وما عرف فيما مضى من الزمان معشوقة ينفق على عاشقه ويتقرب الى قلبه

بانواع البر الا هذا مع ما هو فيه من الصيانة وحسن الديانة فالحمد لله الذي رأينا في زماننا من يتخلق باخلاق الناس ولهذا العاشق مع هذا

الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف بان الله حيث أخرج عالم الذر جعله فى كفه ثم أخذ العهد عليه ثم بذره فوقع بعضه متقابلا وهؤلاء هم المشتركون فى نسب أوجب الصحبة وحقق المحبة وتدابر الآخر فحققت بين أفراده المقاطعة وجبلوا على الممانعة اه وهذا التقابل والتدابر يجوز حمله على حقيقته ويجوز أن يراد به أمر معنوى غايته الاختلاف وأسباب هذا كثيرة أعظمها عند المتمسكين بالشرائع اختلاف الاديان وعند مطلق العالم يستند الى الارادة الالهية حيث صرح بعجز أكمل مخلوقاته وعين أعيان سر صفاته عن قيام الناموس بدونها فقال عز من قائل لو أنفقت ما فى الارض جميعا الآية وهذا القسم والذى قبله لا تعلق للعشاق بهما على ما اخترناه * وبعضهم يرى أن الثلاثة الاول من متعلقات العشق ويجمع بين الكلامين بتفاوت المراتب فان من بلغ الى قول الاستاذ رضى الله عنه وكل الذى ترضاه البيت لم يكن القسم الثانى فضلا عن الثالث من متعلقاته واذا عرفت ما قررناه ثبت عندك ان هذا القسم لا علاج له أصلا الا بالارادة الالهية ثم الهجر من المحب الصادق قد يؤول الامر فيه بالعاشق الى ان يخرج كلامه مخرج الدعاء عليه ويكون فى الحقيقة ثناء لديه وقد يستخير عند تمادى الهجر وحكم الغرام حاول رمسه فيجعل ذلك الدعاء على نفسه وألطف ما سطر فى الاول وعليه عند الظرفاء يعول قول الشاب الظريف المعروف بابن العفيف

أعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتو رلها اقتدارا * وان تك أضعفت عقلى ودينى
وخلد دولة الاعطاف فينا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك السعد يوما * على قد به هيف الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان جارت على الفذ الطعين

(وقال أيضا) أدام الله أيام الوصال * وخلد عمر هاتيك الليالى
وأسبغ ظل أغصان التدانى * وزاد قدودها حسن اعتدال
ولا زال ثمار الانس تجنى * تزيد لطافة فى كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتى خشف الغزال

(وقال آخر) يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللمسواك أو للاكؤس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فليك شمعة فى المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يارب فلتك من عيون النرجس

(وقال شهاب الدين بن العاثم)

والله ما أدعو على هاجرى * الا بان يمحن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى * منه وما قدتم فى حقى

(وقال آخر) أيها المعرض صفحا * عن خطابى وجوابى
لا أراك الله عمرى * أو يرينى بك ما بى
رب فاجعله فداه * خائبا غير مجاب
رق قلبى انه يرى قلبك فى مثل عذابى

(وقال آخر) كم جفانى فرحت أدعو عليه * فتوقفت ثم ناديت ذاهل

بالعشوق حكاية غريبة أخبرت منها يطمع المذكور وهو مجموع أدب أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر أنيق وقال فى أوله وكيف تنكرت من تغير الزمان وأنت أحد مغيريه ومن جفاء الاخوان وأنت المقدم فيه ومن عجيب ما أتى به الايام ظالم يتظلم وغابن يتندم ومطاع يستظهر وغالب يستنصر ومن كلامه ما أبعد كنت من هوى منذ خلت الكتاب وبدأت فى كتاب الزهر وأنا فى الكتاب ونظر أبى فى أكثره * ومن ألطف ما حكى عنه أنه التقى هو وأبو العباس ابن سريج فى مجلس أبى الحسن ابن عيسى الوزير فتناظرا فى مسئلة من الايلاء فقال له ابن سريج أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أحذق منك أن تتكلم فى الفقه فقال له محمد بن داود ان قلت ذلك فانى أقول

أنزه فى روض المحاسن مقلتى
وأمنع نفسى ان تنال محرما
وأحمل من ثقل الهوى ما لو انه
يصب على الصخر الاصم تهدما
وينطق طرفى عن مترجم خاطرى
فلولا اختلاسى رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم
فلست أرى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن سريج فيم تفتخر على ولو شئت لقلت

ومساهر بالغنج من لحظاته
قد بت أمنعه لذيذ سناته
شغفا بحسن حديثه وعتابه
وأكرر اللحظات فى وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده
ولى بخاتم ربه وبراته

فقال محمد ليحفظ عليه أيها الوزير ما أقر به من الاجتماع حتى يقيم البينة بشاهدى عدل على البراءة فقال له ابن سريج يلزمنى فى هذا ما يلزمك فى قولك أنزه فى روض المحاسن مقلتى وأمنع نفسى ان تنال محرما

لاشفى الله طرفه من سقام * وأرانى عذاره وهو سائل

(ابن وكيع)

ان كنت تعلم ما بى * وأنت بى لا تبالى * فصار قلبك قلبى
وصرت فى مثل حالى * بل عشت فى طيب عيش * تفديك نفسى ومالى
دعوت اذ ضاق صدرى * عليك ثم بدالى

(وقال آخر) ولما بدا لى انه غير رائدى * وان هواه ليس عنى بمنجلى
تمنيت أن يهوى ويحيا لغيره * يذوق مرارات الهوى فيرق لى

(وقلت) الى طلعة بالحسن واللطف ناضره * أرى كل أرباب المحاسن ناظره
لقد بطنت فى كل معنى وصورة * من الكون لما أصبحت فيه ظاهره
تضن على العشاق بالقتل فى الهوى * فما طلبى للوصل الا مكابره
ولكننى أرجو تبدل ما بنا * من الميل واستكشاف حجب الساتره
فتطلبنى من بعد ما أنا طالب * لها وتحيينى بحسن المحاضره
فيارب خذ منها بحقى وانتصر * لنفس غدت فى أبحر الشوق حائره
ولا تستجب منى وسلطان عزها * أدمه وان كانت على الناس جائره

ثم قد يتمادى الهجر ولا يسمع الدعاء و يعز الوصل و يصعب الرضا فيأخذ العاشق فى سح الدموع والانحطاط من أوج الارتفاع الى حضيض الخضوع ولقطب هذه الدائرة و بدر سماء هذه الكواكب السائرة ذى المرتبة التى لا تلحق وقصب السبق التى لا تدرك والجواد الذى لا يسبق قوله

ومن درجات العز أمسيت مخلدا * الى دركات الذل من بعد نخوتى
فلا باب لى يغشى ولا جاه يرتجى * ولا جار لى يحمى لفقد حميتى

فقد أشار فى هذين البيتين الى طرح حظوظ نفسه التى قد تكون مانعة من الوصول باشارة يدق ادراك كنهها عن العقول فقد أثبت له رتبة رفيعة بين أن تركها بعد علاج عظيم ومن ثم كان تدريجا لعدم امكان طرحها دفعة كما أفهمته الدرجات والاضافة الى العز وعكس الحكم فى الطرف الآخر لانه فى غاية المقابلة وأكد ذلك بالاشارة الى غاية المحو الذى به حقق اثباته كما أشار بعده بقوله والفقد مثبتى وأما اشارته الى الدموع وانسكابها فالغاية التى لا يدرك منها الناس الا القشور فمنها قوله

فسهدى حى فى جفونى مخلد * ونومى بها ميت ودمعى له غسل

فانظر الى غرابة هذه الاستعارات ولطف هذا التركيب وصحة هذا السبك الخالص من الزيف مع بلوغ المقصود ثم بالغ فى تحقيق هذا المرام وارتقى فى مسالك هذا المقام بقوله

وأدمع هملت لولا التنفس من * نار الجوى لم أكد أنجو من اللجج

وأبلغ منه قوله

فطوفان نوح عند نوحى كادمعى * وايقاد نيران الخليل كلوعتى
فلولا زفيرى أغرقتنى مدامعى * ولولا دموعى أحرقتنى زفرتى

لعكس التشبيه كما سبق فى صدر هذا الباب وتكافؤ الضدين هنا ومن قال بتساوى المعنيين فى البيتين لم يعرف معنى [illegible] الى [illegible] الاول لانه انقلاب العناصر كلها

قال فضيلك الوزير وقال لقد جمعت علما وفهما وظرفا ولطفا (ومن لطيف

ما يحكى عن محمد) ابن [illegible] ابو القاسم الصائغ قال قال لى محمد بن داود ونحن دخلنا جامع المدينة مما يلى باب خراسان منذ ثلاث عشرين سنة قلت ولم قال لانى دخلت ذات يوم فرأيت غلامين من أحسن الناس وجها يتعاتبان فلما رآنى تفرقا فآليت أن لا أدخل من باب كنت فيه السبب فى الفرقة بين المتحابين ودخل عليه ثعلب فقال له اسمعنا شيأ من صبوتك فأنشد

سقى الله أياما لنا ولياليا
لهن بأكناف الشباب ملاعب
اذا العيش غض والزمان بغرة
وشاهد آفات المحبين غائب

(ومن شعره)

لكل امرئ ضيف يسر بقربه
ومالى سوى الاحزان والهم من ضيف
يقول خليلى كيف صبرك بعدنا
فقلت وهل صبر فيسئل عن كيف

(وقال ابن السراج) فى كتاب مصارع العشاق وعن أبى عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوى قال دخلت على محمد بن داود الظاهرى فى مرضه الذى مات فيه فقلت كيف تجدك فقال حب من تعلم أورثنى ما ترى قلت له ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه فقال الاستمتاع على وجهين أحدهما النظر المباح والثانى اللذة المحظورة فانه منعنى منها ما حدثنى أبى قال حدثنى سويد بن سعيد قال حدثنا على بن مسهر عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله ذنبه وأدخله الجنة ثم أنشد

انظر الى السحر يجرى فى لواحظه
وانظر الى دعج فى طرفه الساجى
وانظر الى شعرات فوق عارضه
كأنهن نمال دب فى عاج

وأنشد أيضا لنفسه [illegible] ان يكن [illegible]

الى واحذو هذا في الدقة كقوله رضي الله عنه وان لم يكن نحن فيه

وتحفت أخفافها فهي تمشي * من حرواها في مثل جمر الرماد

حيث نسب تحفية الاخفاف الى حرارة الجوى التي شأنها الصعود عكس الاخفاف فكأنه يقول لشدة هذه الحرارة أستوعبت الاحياز كلها واما قوله

فلو بكى في قفار خلتها الحجا * وان تنفس عادت كلها يبسا

وغيره فكثير لا يمكننا ادراك أقله واني للبشر من حيث انه بشر ادراك دقائق الفيوضات الالهية والكرامات التي خلفت المعاجز النبوية كما صرح به رضي الله عنه حيث قال

فعالمنا منهم نبي ومن دعا * الى الحق منا قام بالرسلية

وأصرح منه قوله فما كان منه معجزا صار بعده * كرامة صديق له أو خليفة

(رجع الى كلام المترسمين) قال القاضي الفاضل

قد استخدمت بالافكار سرى * وما أطلقت لي بالوصل أجره

ولم أرها على الايام الا * عقدت مودة وحللت صره

ولا استمطرت سحب العين الا * وصرت بادمعي في الشمس عصره

(ابن عبد الظاهر)

لا تسلني عن أول العشق اني * أنا فيه قديم هجر وهجره

من دموعي ومن جبينك ارخصت غرامي بسهل وغره

(المتنبي) أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في الاماقي

(وله أيضا) وهبت السلو لمن لامني * وبت من الشوق في شاغل

كأن الجفون على مقلتي * ثياب شققن على ثاكل

(وقال آخر) ولم أنس لا أنس ذاك الخضوع * وفيض الدموع وغمز اليد

وخدي يضاف الى خدها * قياما الى الصبح لم نرقد

(ابراهيم بن المعمار) وبي غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره

فما عطفت معاطفه بوصل * وفي عيني بعد الهجر قطره

(وقال آخر) وقائلة ما بال عينيك مذ رأت * محاسن هذا الظبي أدمعها هطل

فقلت زنت عيني بنظرة طلعت * فحق لها من فيض أدمعها غسل

(السري الرفاء)

بروحي من رد التحية ضاحكا * فجدد بعد اليأس في الوصل مطمعي

وحالت دموع العين بيني وبينها * كأن دموع العين تعشقه معي

(وقال آخر) وقائلة ما بال دمعك أسودا * ولونك مصفرا وأنت نحيل

فقلت لها ان الدموع تجففت * وهذا سواد المقلتين يسيل

(ابن وكيع) وسحاب اذا همى الماء فيه * ألهب الرعد في حشاه البروقا

مثل ماء العيون لم يجر الا * ظن يذكي على القلوب الحريقا

(المسعودي شارح المقامات)

قالت عهدتك تبكي * دما حذار التنائي فلم تعوضت عنها * بعد الدماء بماء

فقلت ما ذاك مني * ولم يكن بتناسي لكن ضلوعي شابت * من طول عمر التنائي

اليه ومات في ليلته رحمه الله (قلت) وقد اختلف الناس في قوله عليه الصلاة والسلام من عشق وكتم وعف الحديث فقال بعضهم كتم عشقه عن الناس وقال بعضهم كتم اسم محبوبه وقال الحصري أحب فكتم ووصل فعف وهجر فمات فهو شهيد وقال عثمان بن زكريا المؤدب أحد رواة الحديث عن سويد كتم محبوبه انه يحبه قال الشيخ الامام العلامة الحافظ علاء الدين أبو عبد الله مغلطاي في كتابه الواضح المبين هذا حديث اسناده صحيح وان كان جماعة من العلماء أعلوه بما ليس بعلة يرد بها يعني قوله صلى الله عليه وسلم من عشق فكتم الحديث ونقل في كتابه المذكور أيضا ان هذا الحديث سنده كالشمس لا مرية في صحته ولا لبس قلت ولهذا عد جماعة من الفقهاء ميت العشق من الشهداء أخذا بهذا الحديث منهم الرافعي وغيره فبعضهم اشترط الشروط المذكورة وبعضهم أطلق كالشيخ محيي الدين النووي فانه أطلق ولم يشترط شيأ فقال والميت عشقا والميت طلقا يعني من الشهداء هذا مع شدته في الدين وعدم مساهلته في هذه الاشياء وما أحسن قول ابن الاثير دمع العاشق ودم القتيل متساويان في التشبيه والتمثيل الا أن بينهما بونا لانهما يختلفان لونا وقال الامام العلامة أبو الوليد الناجي

اذا مات المحب جوى وعشقا

فتلك شهادة يا صاح حقا

رواه لنا ثقات عن ثقات

الى الحبر ابن عباس ترقى

وقال عبد الكريم القشيري

ان المحب اذا توفي صابرا * كانت منازله مع الشهداء * يرويه أقوام غدوا في صدقهم

وقال

(وقال آخر) كانت دموعى حمرا يوم بينهم * فذنا واقصرتها بعدهم حرقى
قطفت باللحظ وردا من خدودهم * فاستقطر البين ماء الورد من حدقى
(ابن الناشئ الاكبر)
بكيت الفراق وقد راعنى * بكاء الحبيب لفقد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار
(وقلت) ومحبوبة مذ كلمتنى كلمت * فؤادى وألقت بين سمعى وناظرى
الى ان رأتها مقلتى فاض دمعها * على الارض أمثال البحور الزواخر
فقالت عقيقا ما أرى قلت بل دمى * جرى عندما من هجرك المتواتر

(فصل) فى نفى كدر الهم والصدود باستجلاب الامانى ولو عودوا التعلل بالامانى والطمع فى التهانى وهو أصل انقسمت فيه العشاق الى قسمين قسم وفى له محبوبه وحصل له بعد الوعد مطلوبه وهو العزيز النادر وغير الوافى الوافر وقسم مات بغصته وحالت المنية بينه وبين أمنيته وانتهاز فرصته وأعجب ما فيه ان الراضين به مع العلم بزوره أكثر العشاق وأغلب من نودى عليه فى هذه الاسواق وقد كشف عن غامض هذه الطريقة واستثنى الرضا بزور هذه الحقيقة الاستاذ رضى الله عنه فقال

عدينى بوصل وامطلى بنجازه * فعندى اذا صح الوفا حسن المطل
وما الصد الا الود ما لم يكن قلى * وأصعب شئ دون اعراضكم سهل

ثم تجرد من ثياب هذه الطريقة وانغمس فى بحار الحقيقة فانطوت نفسه الآبية فى مطاوى الحقائق القدسية فقال

ان لم يكن وصل لديك فعد به * أملى وماطل ان وعدت ولا تفى

وأما المترسمة فقد أكثروا فى هذا الباب الاقوال واختلفوا باختلاف الاحوال قال بعضهم

أعلل بالمنى قلبى لعلى * أروح بالامانى الهم عنى
واعلم ان وصلك لا يرجى * ولكن لا أقل من التمنى

(وقال آخر) وما بلوغ الامانى فى مواعدها * الا كاشعب يرجو وعد عرقوب

ومن كلام أفلاطون الامانى حلم المستيقظ وسلوة المحروم وقال غيره التمنى مؤنس ان لم ينفعك فقد ألهاك * قيل لاعرابى ما أمتع لذات الدنيا قال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وأمانى تقطع بها أيامك (ياقوت الرومى)

لله أيام تقضت بكم * ما كان أحلاها وأهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها * شئ سوى ان نتمناها

(ابن الوردى) وشادن قلت له * هل لك فى المنادمه
فقال كم من عاشق * سفكت فى المنى دمه

(الحسين بن الضحاك)

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت انى وما أراك أراك
واذا ما تنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاك
خدعات المنى تعللنى فيك باشراق ذا وبهجة ذاك

(ابن أبى حجلة) رق لصب غدا مما يكابده * من دمعه الصب يجرى فى مجاريه
من طرفه بعينين نجلاوين لو رقرقتهما * لنوء الثريا لاستهل سحابها وما بقى الا ذكر مصارع العشاق واخبار من أصبح من الحب

ولقد كنا رويناه عن سعيد بن [illegible]
عن سعيد بن المسيب
ان سعد بن عبادة
قال من مات محبا
كان من أهل الشهاده
(وقال ابن رواحة الحموى) وأحسن ما شاء
لاموا عليك وما دروا
ان الهوى سبب السعاده
ان كان وصل فالمنى
أو كان هجر فالشهاده
وأنه عكس قوله هذا فقال
ياقلب دع عنك الهوى واسترح
ما أنت فيه حامدا أمرا
أضعت دنياى بهجرانه
ان نلت وصلا ضاعت الاخرى
(وقال آخر)
خليلى هل خبرتما أو سمعتما
بأن قتيل الغانيات شهيد
(وقلت كأنى حاضر أخاطبه)
نعم قد سمعنا ان من كتم الهوى
وعف الى ان مات فهو شهيد
فخذ عن مقال أنت فيه مذبذب
فذلك ما قد كنت منه تحيد
سياق الذى يرويه ركب ذوى الهوى
به كل يوم سائق وشهيد
يطوفون بالاحباب خلف بيوتهم
فمنهم قيام حولها وقعود
يعومون فى بحر المدامع عندما
تميل بهم سفن الهوى وتميد
أتبكى دوين العام من عام منهم
وقد حد حولا للبكا لبيد
قلت وقد انقضى الكلام على هذه
الابواب المحكمة العقود النقية النقود
المجبورة الكسور العالية القصور مشتملا
كل باب منها على بيت قصيد محرر
مديد يسقى ثمر غروسها ويروى الخصيب

لم يبق فيه سوى روح يرددها * لولا المنى مات يا أقصى امانيه
(وقلت) عدى فتى شفت الاسقام مهجته * بزورة منك يا أقصى تمنيه
فالهجر منك لكاس الموت يسلمه * والوعد منك ولو بالزور يحييه

وقد ذم قوم الرضا بالوعد والامانى وعدوا ذلك جنونا ومشى على ذلك جمع كثير (الخالدى)

ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

(ابن المعتز) لا تأسفن من الدنيا على أمل * فليس باقيه الا مثل ماضيه

قال على كرم الله وجهه اجتنبوا المنى فانها تذهب بما خولتم وتصغر المواهب التى رزقتم وقال رجل لابن سيرين انى رأيت كانى أسبح فى غير ماء وأطير بغير جناح فقال أنت رجل تكثر الامانى وسمع الحجاج ليلة لبانا يقول أبيع اللبن بكذا واشترى بضاعة فاكسب فيها كذا فيكثر مالى فاتزوج ابنة الحجاج وتلد لى ولدا وآمرها يوما بشئ فلم تطع فارفسها هكذا ورفع رجله فكب اللبن فدخل الحجاج فضربه خمسين سوطا وقال ألست تعجعنى فى ابنتى لو فعلت بها هذا (وقال آخر) لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم
وقلت هذا عارض ممطر * فجاءنى فيه العذاب الاليم

وأما الرضا بالدون من المحبوب والقناعة باليسير من المطلوب وان طال الوعد وكثر الخضوع وامتد البعد وانسكبت الدموع فصفة العاشق القانع الملقى عن نفسه المطامع المنزه محبوبه عن التكليف المشفق عليه من نحو التعنيف وقد اتصف بهم غزير عدوا فيه أقل القليل أكثر الكثير وليس فى هذا النمط ألطف من جميل فى قوله وانى لارضى من بثينة الابيات السابقة فى قصته (وقوله)

ألست أرى النجم الذى هو طالع * عليها فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقى فى الافق طرفى وطرفها * فيجمعنا اذ ليس فى الارض جامع

(وقال بعض الاعراب)

أليس الليل يجمع ام عمرو * وايانا فذاك لنا تدانى
نعم وأرى الهلال كما تراه * ويعلوها النهار كما علانى

(وقال بعضهم)

إلى الطائر النسر انظرى كل ليلة * فانى اليه بالعشية ناظر
عسى يلتقى طرفى وطرفك عنده * فنشكو اليه ما تكن الضمائر

(وقال بعض الاعراب)

وما نلت منها وصلها غير اننى * اذا هى بالت بلت حيث تبول

(وقال بعضهم) وكن قنوعا فقد جرى مثل * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

هذه اشارة الى مثل يضرب للقناعة باليسير وأصله ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام أنت فى ضيافتى بجميع عسكرك فى جزيرة كذا فلما حضروا أخذ جرادة ورمى بها فى البحر وقال يا نبى الله من فاته اللحم فليشرب المرق فكان سليمان عليه السلام يضحك من ذلك اذا ذكر وعكس هؤلاء من مد الى المحبوب باعه وأوسع آماله واطماعه فلم يرض الا بامتزاج الاشباح فضلا عن الارواح والتأليف الذى لا يمكن تمييزه كالماء والراح حتى يراهما واحدا فى العين الأحول الذى يرى الشئ اثنين (قال بعضهم)

لاسيما بسيوف الاعين النجل
يا صاحبى اذا ما مت بينكما
دون الشهيين وورد الخد والقبل
فاستغفرا لى وقولا عاشق غزل
قضى صريع القدود الهيف والمقل

(وقال بلديننا محمد بن العفيف التلمسانى رحمه الله)

للعاشقين باحكام الغرام رضا
فلا تكن يا فتى بالعذل معترضا
روحى الفداء لاحبابى وان نقضوا
عهد الوفا الذى للعهد ما نقضا
قف واستمع راحما أخبار من قتلوا
فمات فى حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب غرام الوصل فامتنعوا
فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

(وقال جرير)

ان العيون التى فى طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن أضعف خلق الله اركانا

(وقال آخر)

ما زال يهوى المقلا * قلبى الى أن قتلا
الحمد لله الذى * مات وما قيل سلا

(وقال آخر)

ترى المحبين صرعى فى ديارهم
كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا
ماتوا فان عاد من يهوونه بعثوا

(وقال محمد الواعظ)

تعالوا فالومكما معاد
وقتل العاشقين له معاد
ولو قتل الهوى أهل التصابى
لما ماتوا ولو ردوا لعادوا

(خاتمة الكتاب فى ذكر من مات من حبه وتقدم طرد به) من صغير وكبير وغنى وفقير على اختلاف دهورهم وتباين تهالكهم ولاجل ذكرهم استقولت هذا الكتاب ودخلت فيه من بابه وخرجت من بابه لا توصل منه الى وكلت

وكدت وهو ضجيعي ان أقول له * من شدة الحب قد أبعدت فاقترب

(ابن الرومي) أعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تدانی
وألثم فاه کی تزول حرارتی * فیشتد ما ألقی من الهیمان
كأن فؤادی لیس یشفی غلیله * تشفیه ما ترشف الشفتان
ولم یشف مقدار الذی بی من الجوی * سوی ان تری الروحان یمتزجان

(خالد الکاتب) كأنی عانقت ریحانة * تنفست فی لیلها البارد
فلو ترانا فی قمیص الدجا * حسبتنا فی جسد واحد

(نفطویه النحوی)

ولما التقینا بعد بعد مجالس * تغازل فیه أعین النرجس الغض
جعلت اعتمادی ضمه وعناقه * فلم نفترق حتی توهمته بعضی

(أبو بكر الاربلی)

هم الرقیب لیسعی فی تفرقنا * لیلا وقد بات من أهواه معتنقی
عانقته فاتحدنا والرقیب أتی * فذرأی واحدا ولی علی حنق

(وقال بعضهم) توهم واشینا بلیل مزاره * فهم لیسعی بیننا بالتباعد
فعانقته حتی اتحدنا تعانقا * فلما أتانا ما رأی غیر واحد

(أبو الفضل)

سقینا العیش مضی والدهر یجمعنا * ونحن نحی عناقا شكل تنوین
فصرت اذا علقت کفی حبائلکم * بسهم هجرك تنوی ثم تنوینی

(ابن سنا الملك) ولیلة بتنا بعد سكری وسكره * نبذت وسادی ثم وسدته یدی
وبتنا كجسم واحد فی عناقنا * وكالحرف فی لفظ الكلام المشدد

قیل اعترض هذا بكون العروضیین تعد الحرف المشدد بحرفین فلو قال فی الخط لحسن مطلوبه واجتمع ابن الجهم وابن عروس فی سفینة فتذاكرا الشعر فقال ابن الجهم انا أشعر منك حیث أقول

ألا رب لیل ضمنا بعد هجعة * وادنی فؤادا من فؤاد معذب
وبتنا جمیعا لو تراق زجاجة * من الخمر فیما بیننا لم تشرب

فقال احسنت ولكنی اشعر منك حیث أقول

لا والمنازل من نجد ولیلتنا * بعید افجید انا بیننا جسد
كم رام فینا الكری من لطف مسلكه * نوما فما انفك لا خد ولا عضد

(بشار بن برد)

ومرتجة الاعطاف مهضومة الحشا * تمور بسحری عینها وتدور
اذا نظرت صبت علیك صبابة * وكادت قلوب العاشقین تطیر
خلوت بها لا یخلص الماء بیننا * الی الصبح دونی حاجب وستور

وكلام بشار وان كان فی الحقیقة أصلا للبیتین الا ان ابن الجهم تلطف حیث أبدل الماء بالخمر لانه أشد نفوذا واما ابن عروس فلا الطف منه اذ لا شئ أشد سریانا من النوم وحاصله انه یمكن الجمع بین أهل القناعة بالیسیر من المحبوب ومن لم یقف علی غایة فی المطلوب

ذكر من ساقه الهجر الی السیاق وتحمل من العشق ما لا طاقة له بمن الباب الی الطاق ومن هنا أشرع فی ذكر مصارعهم وعرض بضائعهم اذ منهم الخاسر والرابح والصالح والطالح (فمنهم شقی وسعید) ومنهم قتیل وشهید (فمنهم شقی وسعید) (حكی) أبو الفرج ابن الجوزی قال ذكر لی شیخنا أبو الحسن علی بن عبد الله ان رجلا عشق نصرانیة حتی غلب علی عقله فحمل الی البیمارستان وكان له صدیق یترسل بینهما فلما زاد به الامر ونزل به الموت قال لصدیقه قد قرب الاجل ولم ألق فلانة فی الدنیا وأخشی ان أموت علی الاسلام ولا ألقاها فتنصر فمات فمضی صدیقه الی النصرانیة فوجدها علیلة فقالت أنا ما لقیت صاحبی فی الدنیا وأرید أن ألقاه فی الاخری وأنا أشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ثم ماتت قلت لم أسمع بأغرب من هذه الحكایة ولا أعظم من هذه النكایة قد سبق علی صاحبها الكتاب وضرب بینه وبین محبوبته بسور له باب فابتلی من فراق محبوبته ودینه بداءین ودارت علیه دائرة السوء فی الدارین وكیف لا وقد ورد بكساده فی الحب دار البوار وأصبح بكفره واسلامها علی شفا جرف هار

سارت مشرقة وسرت مغربا
شتان بین مشرق ومغرب

ذكرت بهذه الحكایة قول عبد الوهاب الازدی یرثی حبیبا له نصرانیا وأحسن ما شاء حیث قال

أخی بود لا أخی بدیانة
ورب أخ فی الود مثل نسیب
وقالوا أتبكی الیوم من لیس صاحبا
غدا ان هذا منك غیر لبیب

باختلاف الامكنة وصفاء الايام والخلو من نحو واش ونمام ومجالس الورد والنمام فان من
الحزم انتهاز الفرص ومن المحقق الوقوع في ضيق القفص ومن صفا له الزمان فخبن عن
مطلوبه فهو زاهد في محبوبه ومن رأى العوائق دون مرامه فالحزم تقييد غرامه وقلت من
الاول لقد صار يشفيني الهواء لمرجه * بانفاسها مع ان دائي من الهوى
ويفرحني ما جد في الصبح والمسا * لاني واياها بمدركة سوا
ومن الثاني ورب ليل ضممتها فيه حتى * لو فرقنا كنا هيولى وصوره
مع اني سألتها القرب مني * بخضوع وان تمن بزوره
وهو معنى فوق ما قصد من لطف الخمر والكرى اذ لا يتصور افتراق الهيولى والصورة
بوجه وقد جعلت ذلك كالحال وقت الفرقة فلا ابلغ منه

* (فصل في ذكر مكابدة الامور والصعاب عند طلب رضا الاحباب وخوض الاهوال
واستهلال قضاء الآجال فضلا عن بذل الاموال ليحصل من محبوبه على مطلوبه ويرضى
باليسير كما سلف ولو كان ذلك يفضي الى التلف وقد فتح للفريقين هذا المجال ونسج على
هذا المنوال من شيد هذه الشريعة كلامه وصار بدر سمائها بل شمس آفاقها نظامه سيدي
عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته وهدانا الى ادراك دقائق نفحاته فقال

ونافس ببذل النفس فيها أخا الهوى * فان قبلتها منك ياحبذا البذل
ومن لم يجد في حب نعم بنفسه * وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

فانظر كيف أضرب عن ذكر ما سوى النفس وان عز وأمر ببذلها من بادئ الرأي فكم طوى
في ذلك من المراتب وهذا في الحقيقة اجمال بالنسبة الى قوله

بكل قبيل كم قتيل بها قضى * أسى لم يفز يوما اليها بنظرة

فانه اشار الى قطع كل رتبة بحيث ينتهي السالك الى ذهاب النفس وليس ذلك بشئ اذ قال
أنه لم يفز ولا بنظرة مع ذهاب نفسه وشرح ذلك واضحا قوله

بحيث ترى ان لا ترى ما عددته * وان الذي اعددته غير عدة

فانه يقول ان هذا المرام لا يعظم عنده شئ ومتى عد الشخص بذلا نحو نفس فقد جعل له
شيأ بالنسبة الى المحبوب وهو خلاف المطلوب ودقائقه في هذا الباب معجوز عن حصرها كما
تشهد به أولو الالباب فلنرجع الى كلام المترسمة (الطغرائي)

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الاعين النجل
ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني * باللمح من خلل الاستار والكلل

(ابن خفاجة) وليل طرقت المالكية تحته * أجد على حكم الشباب مزارا
فخالطت أطراف الاسنة أنجما * ودست بهالات البدور ديارا

(ابن بسام) لقد صبرت على المكروه أسمعه * من معشر فيك لولا أنت ما نطقوا
وفيك داريت قوما لا خلاق لهم * لولاك ما كنت أدري انهم خلقوا

(وقال آخر)

يغوص البحر من طلب اللآلي * ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم المجد ثم تنام عنه * لقد أطمعت نفسك بالمحال

وأعظم من ذلك الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء وتلف النفس وشدة الابتلاء

تحلت لمهذا أوان ثلمني
وشدة أعوالي وفرط نحيبي
ومن أين لي أبكي حبيبا فقدته
اذا خاب منه في المعاد نصيبي

وكان هذا النصراني موسوما بالجمال
خمار فعلقه عبد الوهاب المذكور
واشتهر به وأقام ببابيته في الحانة ثلاث
سنين ويدخل معه الكنيسة في الاعياد
والحدود وطول هذه المدة حتى حفظ
كثيرا من الانجيل وشرائع أهله وهجره
مرة فلم يجد سبيلا اليه وزعم أن عليه
قسما شديدا أن لا يكلمه الى مدة شهر
فلما يئس دعا بالقاصد فافتصد في
احدى يديه ودعا قاصدا آخر فافتصد
في اليد الاخرى ودخل داره وأغلق
باب بيته وخرج الفصادين فما شعر أهله
الا والدم يدفع من سدة باب المحل الذي
هو فيه فادركوه وقد أشرف على الموت
فصالحه محبوبه النصراني خوفا على
نفسه (ومن شعره فيه)

انظر الى الشامة في خدمن
أحاطه باللحظ جراحه
كأنها من حسنها اذ بدت
حبة مسك فوق تفاحه

(ومنهم شهيد)

ذكر التميمي في كتاب الامتزاج عن أبي
زيد النحوي عن رجل من أصحاب
الحديث قال دخلت ديرا في بعض
المنازل ذكر لي ان فيه راهبا حسن
المعرفة باخبار الناس وأيامهم فسرت
اليه فوجدته في حجرة وعليه زي المسلمين
فسألته عن سبب اسلامه فحدثني أنه
كان في هذا الدير جارية نصرانية من
بني تغلب كثيرة الاموال وأنها هويت
غلاما مسلما فكانت تبذل اليه
الاموال الكثيرة [illegible] والغلام يأبى عليها
فلما أعيتها الحيلة أعطت رجلا مصورا

وامام هذا الشان والمنفرد بالسبق فى هذا الميدان الطغرائى قيل انه علق بمولاه كالمؤيد الدين كان يهواه فحين بلغه نقم على الطغرائى فاراد قتله وأشهر شفقته على المملوك من الالسنة ان الطغرائى ملحد فشده الى شجرة وأمران تفوق اليه السهام وأن لا يرموا حتى يأمرهم والمملوك امام الكل ثم أمر رجلا يسمع ما يقول الطغرائى وهو لا يشعر فاذا هو يقول

ولقد أقول لمن يسدد سهمه * نحوى وأطراف المنية شرع
والموت فى لحظات أحور طرفه * دونى وقلبى قونه يتقطع
بالله فتش فى فؤادى هل ترى * فيه لغير هوى الاحبة موضع
أهون به لولم يكن فى طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

فاطلقه ورفع شأنه (أبو عطاء السندى)

ذكرتك والخطى يخطر بيننا * وقد نهلت منى المثقفة السمر
فوالله ما أدرى وانى لصادق * بناقتكت تلك اللواحظ أم سحر

(عنترة العبسى)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(الطغرائى) انى لأذكركم وقد بلغ الظما * منى فاشرف بالزلال البارد
وأقول ليت أحبتى عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد

(وقال بعضهم) ذكرت سليمى وحر الوغى * بقلبى ساعة فارقتها
فشبهت سمر القنا قدها * وقد ملن نحوى فعانقتها

(ابن رشيق) ولقد ذكرتك والطبيب معبس * والجرح منغمس به المسبار
وأديم وجهى قد فراه جديده * ويمينه حذرا على يسار
فشغلتنى عما يليق وانه * ليضيق عن برحائها الاقطار

(الشريف البياضى)

ولقد ذكرتك فى السفينة والردى * متوقع بتلاطم الامواج
والجو يهطل والرياح عواصف * والليل مسود الذوائب داجى
وعلى السواحل للاعادى عسكر * يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة * وأنا وذكرك فى ألذ تناج

(أبو الثناء محمود)

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع * والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن فى شفق الدروع تخاله * حسناء ترفل فى رداء مذهب
سامى السماء فمن تطاول نحوه * للسمع مسترقا رماه بكوكب
والموت يلمع بالنفوس وخاطرى * يلهو بطيب ذكرك المستعذب

(الصفى الحلى) ولقد ذكرتك والعجاج كانه * مطل الغنى وسوء عيش المعسر
والشوس بين مجدل فى جندل * منا وبين معفر فى معفر
فظننت أنى فى صباح مسفر * بضيائه وجهك أو مساء مقمر
وتعطرت أرض الكفاح كانما * فتقت لنا أرض الجلاد بعنبر

مائة دينار على أن يصور الصورة [illegible] كهيئته ففعل ذلك فصارت تاتى كل يوم الى تلك الصورة فتلثمها وتعتب منها ثم تجلس بازائها تبكى فاذا أمست قبلتها وانصرفت فدامت على ذلك مدة فتوفى الغلام فعلمت فلحقها عليه وله حتى صارت به مثلا ثم رجعت الى الصورة فلم تزل تلثمها وتقبلها وبكت الى ان أمست فباتت الى جانبها فلما أصبحنا وجدناها ميتة ويدها ممدودة على الحائط وقد كتبت عليه

ياموت دونك روحى بعد سيدها
خذها اليك فقد أودت بما فيها
أسلمت روحى للرحمن مسلمة
وميت موت حبيب كان يعصيها
لعلها فى جنان الخلد يجمعها
يوم الحساب ويوم البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا
محبة لم تزل تشفى محبيها

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاحتملوها ودفنوها الى جانبه وأخذوا ما لها فبت مغموما بما آل اليه أمرها فرأيتها فى المنام فقلت فلانة ما فعل الله بك فقالت

أصبحت فى راحة مما جنته يدى
وبت جارة فرد واحد صمد
محا الاله ذنوبى كلها وغدا
قلبى خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت على الرحمن مسلمة
وقلت انك لم تولد ولم تلد
أثابنى رحمة منه وأسكننى
مع من هويت جنانا آخر الابد

فعلمت أن الذى صارت اليه خير من الذى أنا عليه فاسلمت وأسلم معى أهل الدير فكانت وجهها لله السبب (ومنهم شهيد) وهو ما أخبرنا به الشيخ الامام العلامة [illegible]

(وقلت) لقد در وحى عندما رام نزعها * ملائكة ذكراك حين تلونه
فلولم يكن موت البرية لازما * اذا فرغت آجالهم مانسيته

(تتمة) تشتمل على ذكر مقاطيع فائقة وأبيات رائقة يشير مجموعها الى جميع الاصول السابقة وتترجم عندهم بالغزل والنسيب لاعراب مضمونها عن نحو محاسن الحبيب وتهييجها الاشواق المستقرة حيث يذكر الشعر والطرة وتفصيلها الثلاث الجملة من حيث وصف الحاجب والمقلة واثارة ماقر من البلبال عند ذكر الوجنة والخال واستمالتها نفوس الاحباب عند ذكر الثغر والرضاب واتيانها باعذب الموارد بعدما حال الصدر اذا ذكر النهد والصدر ونشر مطاوى الاشواق اذا سمع مدح الخلخال والساق الى غير ذلك مما اقترحته أفكارهم الدقيقة اللطيفة وتخيرته فى هذا الباب اذهانهم الشريفة وبها نختم هذا المورد اللطيف ومايتعلق بالعشق من هذا التأليف (ذكروا) ان أغزل بيت للمتأخرين قول بشار أناوالله أشتهى سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق

(شمس الدين بن العفيف)

يحكى الغزال مقلة ولفتة * من ذا رآه مقبلا ولا افتتن
أحسن خلق الله وجها وفما * ان لم يكن أحق بالحسن فمن
فى ثغره وشكله وخده * الماء والخضرة والوجه الحسن

ولما وصلت هذه الابيات الى القاهرة والشاعر المشهور بو مئذ بها الحلى اقترح عليه بعض أعيان الدولة محاكاتها فقال

كم قد سفكنا من دموع ودما * على ربوع للديار ودمن
وكم قضينا للبكاء منسكا * لما ذكرنا بهن من سكن
وكم أقمنا بالبكاء مأتما * اذ بعتهم روحى بغير ما ثمن

فاستحسن الجل أبيات الحلى ودامت الناس مدة طويلة مفترقين فى ذلك والغزل كما سمعت كثير الفنون والشعب وقد توسعت فيه أهل الادب فمن الاول قول ابن نباتة

أيها العاذل الغبى تأمل * من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان فى الليل والنهار عجائب

(وله أيضا) قلت رقد أبدى جبينا واضحا * وفوقه ليل دلال قد سجا
أفدى الذى جبينه وشعره * طرة صبح تحت أذيال الدجى

(ابن مطران) ظباء اعارتها المهاحسن مشيها * كما قد أعارتها العيون الجآذر
فمن حسن ذاك الشئ جاءت وقبلت * مواطئ من أقدامهن الغدائر

(اسمعيل السكندرى) لم أر قبل شعره ووجهه * ليلا على صبح نهار عسعسا
والسكر فى وجنته وطرفه * يفتح وردا ويغض نرجسا

(حسام الدين الحاجرى)

ومهفهف من شعره وجبينه * تغدو الورى فى ظلمة وضياء
لاتنكروا الخال الذى فى خده * كل الشقيق بنقطة سوداء

(ابن الصائغ) مشى غصنا ومد عليه فرعا * كحظى حين أطلب منه وصلا
وبلبله على الارداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

(السراج

أبو عبد الله مغلطاى اجازة سنة سبع وخمسين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة قال رأيت فى الكتبيين غير مرة شيخا مغربيا اوله ولد يكنى أبا زيد يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة فكان يأتى الكتبيين فيما يزعم يستكتب شعرا يقوله ليس موزونا ولامعنى له ملخصه ان حاكما من حكامهم أخذ مالا كان والده خلفه وحصل من الاوراق المكتتب فيها هذا الشعر شيأ كثيرا جدا فيما يقال وانه جاء مرة والمحدث فى الليل يقرأ سيرة البطال فاستمع اليه فذكر المحدث أن جماعة قتلوا فى المعركة فقال له أبو يزيد يامولاى كيف قتل هؤلاء فقال له ماتوا فى سبيل الله تعالى فقال أمولاى وأنا الآخر أموت فى سبيل الله تعالى فقال له المحدث افعل قال فتمدد الى جانب الحلقة على دكان نفسه بنوبته فحركوه فاذا هو ميت واشتهر هذا وحكاه لى غير واحد ممن شاهده

(ومنهم شهيد)

ذكر ابن داود فى كتاب الزهرة ان فتى يقال له امرؤ القيس هوى فتاة من حيه فلما علمت محبته له هجرته فزال عقله وأشرف على التلف وصار ترجمه الناس فلما بلغها ذلك أتت فأخذت بعضادتى الباب وقالت كيف تجدك ياامرأ القيس فقال

ولما أتتنى فى السياق تعطفت
على وعندى من تعطفها شغل
أتت وحياض الموت بينى وبينها
وجادت بوصل حيث لاينفع الوصل

ثم أغمى عليه فمات (ومنهم شهيدان) ذكر السراج بن العلاء بن عبد الرحمن الثعلبى قال كان رجل من أهل الادب والطرب يقال له على عشقته جارية من

(السراج الوراق) ذو طرة يعيذها رب الدجى * وطلعة يعيذها رب الفلق
الماء والنار معا فى خده * أما ترى الماء طغى ثم احترق

(شمس الدين بن العفيف)

بدا وجهه من فوق أسمر قده * وقد لاح من سود الذوائب فى جنح
فقلت عجيبا كيف لم يظهر الدجى * وقد طلعت شمس النهار على رمح
(المتنبى) كشفت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتنى القمرين فى وقت معا
(آخر) برزت فقابل ناظرى من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل
(ابن المعتز) سقتنى فى ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب
فامسيت فى ليلين للشعر والدجى * وشمسين من خمر وخد حبيب
(البجلى) رقت محاسنها ورق اديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
تندى بماء الورد مسبل شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر
(الخيزرانى) رأيت الهلال ووجه الحبيب * فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر من حيرتى منهما * هلال الدجى من هلال البشر
فلولا التورد فى الوجنتين * وماراعنى من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب * وكنت أظن الحبيب القمر
(التهامى) وفى كتابك فاعذر من يهيم به * من المحاسن ما فى أجمل الصور
الطرس كالخد والنونات دائرة * مثل الحواجب والسينات كالطرر
(آخر) أرى سهم لحظ تحت عقرب سالف * وكيف نجاتى بين سهم وعقرب
واللحظ ما طلته باللحظ من دمى * على وجنتيها والبنان المخضب
(وقلت) لله بالناس لطف فى معايشهم * لولاه لم تر موجودا من البشر
اذ كف شعرك عنهم يوم حاجتهم * للشمس فى نحو نضج الحب والثمر
وعند حاجة ليل يسكنون به * من المتاعب أبدى مسبل الشعر

(ومن الثانى قول ابن نباتة)

وأغيد جارت فى القلوب لحاظه * وأشهرت الاجفان اجفانه الوسنى
أجل نظرا فى حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

(الواوا الدمشقى)

يا من هو الماء فى تكوين خلقته * ومن هو الخمر فى أفعال مقلته
ومن بزرقة سيف اللحظ طل دمى * والسيف ما فخره الا بزرقته
علمت انسان عينى ان يعوم فقد * جارت سباحته فى بحر دمعته

(علاء الدين الوداعى)

رمتنى سود عينيه * فاصمتنى ولم تبطى وما فى ذاك من بدع * سهام الليل لا تخطى

(الصلاح الصفدى)

بسهم اجفانه رمانى * فذبت من هجره وبينه ان مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه
(ابن نباتة) نسبوه حسنا للهلال وحسنه * للبدر ينسب لا بليت ببينه

جوارى القينات وصلته كان يطرق لما مالبس فى قلبه وكانت الجارية على غاية العشق له والميل اليه فلم يزالا على ذلك حتى ماتت الجارية عشقا ووجدا به فذكرها بعد ذلك وأسفه على ما كان من جفائه لها واعراضه عنها فرآها فى المنام ليلة وهى تقول له

أتبكى بعد قتلك لى علىّ
فهلا كان ذا اذ كنت حيا
سكبت دموع عينك لى وفاء
ومن قبل الممات تسى اليا
فيا اقرابرى جسمى وروحى
وأهلكنى وما أبقى عليا
أقل من النياحة والمراثى
فانى لا أراك صنعت شيا

قال فزاد ما كان عليه من الاسف والغم والبكاء حتى فاضت نفسه فمات رحمة الله (ومنهم قتيل) أخبرنا الشيخ علاء الدين مغلطاى فى التاريخ المذكور اجازة قال حدثنى طقطاى مملوك نائب الكرك الساكن بالخرنفش ان أخاه تزوج امرأة اسمها قطلوملك وانها كانت تجد به وجدا شديدا وولدت له ولدا وأقامت عنده مدة سنين فحنث فيها يوما فلما بلغها ذلك ألقت نفسها من سطح دارها أسفا عليه وعشقا فلم تدرك الا وهى مادة أصبعها بالتشهد واستشهد بحضوره علاء الدين استاذ دار نائب الكرك وغيره من الساكنين هناك فقالوا انهم هى قصة مغر وفة فى تلك الحارة شهدها الرجال والنساء ومكثوا حينا يأسفون عليها ويبكون وكذلك زوجها اشتد حزنه وأسفه لفقدها وندم على طلاقها ندما شديدا (ومنهم شهيد) ذكر أبو القاسم التنوخى انه كان ببغداد صوفى يعرف بابى الفتح الاعور يجلس فى مجلس أبى عبد الله البهلول يقرأ بالالحان قرائة

فاذا بدا فالى هلال أصله * واذا رنا فهو الغزال بعينه

(الشيخ برهان الدين القيراطى)

بابى سلطان حسن حسنه * لقتال القلب فى الحب نوى

صال فى العشاق منه ناظرى * هو والسيف على حد سوى

(ابن نباتة)

ويح قلبى من كاسر الطرف أضحى * فيه قلبى كما ترى مكسورا

قد حمى ثغره بعينيه عنى * وكذاك السيوف تحمى الثغورا

(الصلاح الصفدى)

سيوف ألحاظه المرضى سفكن دمى * ولم يطق دفعها حولى ولا حيلى

لولا السقام الذى فيها لما فتكت * وربما صحت الاجسام بالعلل

(الفرزدق) ومقلة شادن أودت بنفسى * كأن السقم لى ولها الباس

بسل اللحظ منها مشرفيا * لقتلى ثم يغمده النعاس

(بدر الدين بن حبيب)

عيناه قد شهدت بانى مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا

يا حاكم الحب اتئد فى قتلتى * فالخط زور والشهود سكارى

(جلال الدين بن خطيب داريا)

شهدت جفون معذبى بملاله * منى وان وداده تكليف

لكننى لم أتاعنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

(أمين الدين كاتم سر الشام)

ان كان قيدهواك أطلق أدمعى * فوكيل شوقى عاجز عن حبسه

أو كان منك الطرف أسهر ناظرى * فلكل شئ آفة من جنسه

(الصلاح الصفدى)

غزال من الاتراك ماضاق لحظه * لحظى الا كى تضيق مذاهبى

كأن الحشى طير وكاسر لحظه * تصيدها من جفنه بالمخالب

(ابن أسد الدين)

الى الله أشكو حب أهيف فاتن * وقعت فما لى من يديه خلاص

جرحت بلحظى خده وهو جارح * بلحظيه قلبى والجروح قصاص

(وقلت) يقولون ان الشمس تحرق كل ما * تحاسده من كانسات الكواكب

فما خدها المريخ مع شمس وجهها * قد اقترنا فى سمت قوس الحواجب

نعم قضيا لى بالشقاوة منهما * بسهم لحاظ عاقنى عن مطالبى

(ومن الثالث قول ابن قلاقس)

فوق خديك دليل * ان نهديك ثمار ما اختفى الرمان الا * وتبدى الجلنار

(الصنوبرى)

ذات خد يكاد يدميه وهم * من مشير بالجد أو بالمزاح

فى بياض وحمرة فكان قد * صيغ حسنا من ماء مزن وراح

(محيى

جنته وصبى فقر ألوم نعمر كما يتذكر فيمن تذكر فزعق الصوفى بلى بلى قتمات وأغمى عليه طول المجلس وتفرق الناس من الموضع وكان الاجتماع فى صحن دار كنت أنزلها فلم يفق الصوفى الى ان قرب العصر ثم قام فلما كان بعد أيام سألت عنه فعرفت انه حضر عند جارية فى الكرخ تقول فى التضيب

وجهك المأمول حجتنا

يوم تأتى الناس بالحجج

فتواجد وصاح ودق صدره الى ان أغمى عليه وسقط فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا فغسلوه ودفنوه قال التنوخى واستفاض الخبر بهذا وشاع وأخبر به جماعة من الناس والابيات لعبد الصمد بن المعذل وهى

يا بديع الدل والغنج

لك سلطان على المهج

ان بيتا أنت ساكنه

غير محتاج الى السرج

وجهك المأمول حجتنا

يوم تأتى الناس بالحجج

قال والصوفية اذا قالوا وجهك المأمول حجتنا نقلوه الى مالهم فى ذلك من المعانى وكانت قصة هذا الرجل وموته سنة خمسين وثلثمائة وأمره من مفردات الاخبار (ومنهم قتيلان) قال الجاحظ طلب المتوكل رجلا لتأديب ولده فذكرونى له فاحضرنى بين يديه فلما رأى قبح صورتى كره النظر الى وأمر لى بعشرة آلاف درهم فاخذتها وخرجت من عنده فلقيت محمد بن اسحق بن ابراهيم الموصلى وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض على الخروج معه والانحدار فى حراقته وكنا بسر من رأى فركبنا فى الحراقة وكانت دجلة فى غاية الزيادة والمد فعلنا بالنساء فاكلنا

(محمد بن ياقوت) مالى بجور الحبيب من قبل * هل حاكم عادل فيحكم لى
حمرة خديه من دمى صبغت * ويدعى انها من الخجل

(علاء الدين المدنى)

ياحسن ورد طغى فى ماء وجنته * فزاد أهل الهوى فى حبه شغفا
وراح يجنى ثمار الوصل عاشقه * لما تمكن من خديه واقتطفا

(وقال آخر) وأغيد تدمى وجناته من اللمح * تخاق الامن صدودى بالشح
غدا قاتلى ان ظلت أجرح خده * متى صار بالقتل القصاص من الجرح

(كمال الدين بن النبيه)

صنعة الكيمياء صحت لعينى * حين يزداد اذ برانى احمرارا
فاذا ما ألقيت اكسير لحظى * فى لجين الخدود عاد نضارا

(مظفر الاعمى) قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ومن عجب * لا ينطفى ذا ولا ذا منه يحترق

(وقال بعضهم) فتنت بتركى جانى عناقه * عقارب صدغيه على خده صرعى
ألم ترأنى كلما رمت اثمه * تخيل لى من سحرها أنها تسعى

(عز الدين الموصلى) كالزرد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته * فى الخد تقبيلا يفك الزرد

(ابن الوردى)

قال من أهواه صف صدغى بما * فيه توجيه وجنبه الى
قلت أن الصداغ لام قد كوى * نصبها قلبى فهذى لام كى

(برهان الدين القيراطى)

عنقود صدغ الذى أهواه تيمنى * وقال لى ريقه لما رأى وصبى
ان كان فى الصدغ عنقود فتنت به * فان فى الخمر معنى ليس فى العنب

(وقال آخر) وبين الخد والشفتين خال * كزنجى أتى روضا صباحا
تحير فى الرياض فليس يدرى * أيجنى الورد أم يجنى الاقاحا

(الصلاح الصفدى)

بروضة خده المحمر أضحت * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

(وهذا مأخوذ كما ذكره ابن حجة من قول ابن نباتة)

بروحى فاتر الالحاظ المى * ملى الحسن حالى الوجنتين
له خال على دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

(العفيف التلمسانى)

أدنته لى سنة الكرى فلثمته * حتى تبدل بالشقيق السوسن
ماراعنى الا بلال الخال من * خديه فى صبح الجبين يؤذن

(شهاب الدين الخيمى)

وعذولى لج فى عذلى اذ * لم ير الخال على الخد الاسيل

ثم أمر بالنبيذ والغناء فقالت شمائين لا يفعل
فانى ومد الستارة بيننا وبين جوار به
فغنت جارية بعوادة ماسمعت أحسن
من صوتها ولا أحذق منها بصناعة
الغناء وطرائقه تقول برفيع صوتها

كل يوم قطيعة وعتاب
ينقضى دهرنا ونحن غضاب
ليت شعرى انا خصصت بهذا
دون ذا الخلق أم كذا الاحباب

ثم سكتت فامر الطنبورية فغنت

وارحمة للعاشقينا * مان أرى لهم معينا
كم يعذلون ويهجرو
ن ويبعدون فيصبرونا
وتراهم مما بهم * بين البرية خاضعينا
يتعذبون ويظهرو * ن تجلدا للعاشقينا

فقالت لها العوادة يافاجرة فيصنعون
ماذا قالت يصنعون هكذا وضربت
بيديها الستارة فهتكتها وبدرت علينا
كالقمر ثم ألقت نفسها فى الماء وكان
على رأس محمد غلام رومى الجنس
يضاهيها فى الحسن والجمال وبيده مذبة
يذب بها فلما رأى ما صنعت الجارية
ألقى المذبة من يده وأتى الى الموضع
الذى طرحت نفسها منه ونظر اليها
وهى تمر بين الماء فقال

أنت التى غرقتنى
كيف القضا وتعلمينا
لا خير بعدك فى البقا
والموت ستر العاشقين

ثم ألقى نفسه فى أثرها فادار الملاح
الحراقة فاذا بهما متعانقان ثم غاصا فلم
ير أحد منهما فاستعظم محمد ذلك وهاله
الامر ثم قال يا عمرو لتحدثنى حديثا تسلينى
به عن فعل هذين والا ألحقتك بهما قال
فحضرنى حديث يزيد بن عبد الملك
وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص
فمرت به قصة فيها ان رأى امير المؤمنين

لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجه جميل

(شمس الدين الصائغ)

بروحي أفدي خاله فوق خده * وما أنا ذو مال فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن في ذلك الخال

(جمال الدين بن نباتة)

لله خال على خد الحبيب له * بالعاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثه حبة القلب القتيل به * وكان عهدي بأن الخال لا يرث

(الصلاح الصفدي)

أفدي حبيبا له في كل جارحة * مني جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت شامته * لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(ابن الوردي) لحبيبي شامة في خده * لا علا شان حسود شانها
رب عين دهشت منه فقد * نسيت في خده انسانها

(وقال آخر) يا سالبا قمر السماء جماله * ألبستني في الحزن ثوب سمائه
أشعلت قلبي فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت في مائه

(ابن تميم) رأيت حبة قلبي حين لاح لها * محبوبها نفرت من حر أفكاري
ثم استجارت بخد منه فهي به * كالمستجير من الرمضاء بالنار

(وقال بعضهم) له على حاجبه شامة * تنزهت في الحسن عن عائب
مثل طواشي زاد في حقه * يعلو على الناظر والحاجب

(تقي الدين بن حجة) قلت للخال اذ بدا * في نقا جيده السعيد
فزدت يا عبد قال لي * أنا عبد لكل جيد

(وقال آخر)

غدا خاله رب الجمال لانه * على عرش كرسي الخدود قد استوى
وأرسل في الاصداغ رسلا أعزة * على فترة تدعو القلوب الى الهوى

(وقال آخر) يريك بوجنتيه الورد غضا * ونور الاقحوان من الثنايا
تأمل منه تحت الصدغ خالا * لتعلم كم خبايا في الزوايا

(وقال آخر) أبو طالب في كفه وبخده * أبو لهب والقلب منه أبو جهل
وبنتا شعيب مقلتاه وخاله * الى الصدغ موسى قد تولى الى الظل

(وقال آخر) لهيب الخد حين رآه طرفي * هوى قلبي عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا * وها أثر الدخان على الحواشي

(القيراطي) أنظر الى سطر عذار بدت * من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسخة حسن وكم * قد راحت الارواح فيها غلط

(وقال آخر) ومهفهف يحمي ورود رضابه * بصوارم سلت من الاجفان
كتب العذار بليقة مسكيه * في خده سطرا من الريحان

(أبو غالب) سأصنع في ذم العذار بدائعا * فمن شاء فليقض الدليل كما أقضي
ألا انه كاللام واللام شأنها * اذا اتصلت بالاسم صار الى الخفض

ان يخرج اليه جارية فلانة تغني ثلاثة أصوات فعل فاغتاظ يزيد من ذلك وأمر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم اتبع الرسول برسول آخر يأمره بان يدخل اليه الرجل فادخله فلما وقف بين يديه قال له ما الذي حملك على هذا قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك قال فامره بالجلوس بعد ان لم يبق أحد من بني أمية حتى خرج ثم أمر بها فخرجت ومعها عودها قال لها الفتى غني

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل
وان كنت قد أزمعت هجري فاجملي

قال فغنت قال له يزيد قل الثاني فقال لها غني

تألق البرق نجديا فقلت له
يا برق اني بروحي عنك مشغول

قال فغنته فقال له يزيد قل الثالث قال تأمر لي برطل من شراب فأمر له به فلما شربه أشار اليها بأبيات فغنته ثم انه وثب وصعد على قبة ليزيد فرمى نفسه على دماغه فمات فقال يزيد انا لله وانا اليه راجعون أكان الاحمق يظن اني أخرج اليه جاريتي تغنيه وأردها الى ملكي يا غلمان خذوا بيدها واحملوها الى أهله ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه فانطلقوا بها الى أهله فلما توسطت الدار ونظرت الى حفرة في وسط دار يزيد قد أعدت للمطر جذبت نفسها من بين أيديهم وأنشدت

من مات عشقا فليمت هكذا
لا خير في عشق بلا موت

وألقت نفسها في الحفرة على دماغها فماتت (ومنهم قتيل) حكى ابن عبد ربه في العقد الفريد عن محمد بن الحجاج وكان راوية بشار قال قال بشار ذات يوم وكان قد مات له حمار قبل ذلك رأيت حماري البارحة في النوم فقلت له ويلك

(البدر الدماميني) تحدث ليل عارضه بأني * سأسلوه وينصرم المزار
فقال جبينه لما تبدى * حديث الليل يمحوه النهار
(سيدى أبو الفضل ابن وفاء)
على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى وردخديه جاء عذاره * فيا حسن ريحان العذار حمى حما
(ابن النبيه) جنت بمنظره البديع عيوننا * فتسلسلت بمدامع الاجفان
واخضر فوق الخد آس عذاره * فعجبت للجنات فى النيران
(تاج الدين اليمانى)
بخلت لواحظ من رآنى مقبلا * برموزها ورموزهن سلام
فعذرت نرجس مقلتيه لانه * يخشى العذار لانه نمام
(الصلاح الصفدى)
عذارك والطرف ياقاتلى * يحاكيهما الآس والنرجس
وقد صار بينهما نسبة * فهذا يدب وذا ينعس
(الطنبغا الجاولى)
عذارك والطرف قد أظهرا * جميع الذى فيهما يرمز
وانى يصان الهوى عنهما * وهذا نم وذا يغمز
(وله أيضا) من قال عما قد بدا فى خده من * أحببته شعرا به ما انصفا
هذاك نمل رام شهد ريقه * فرأى تلهب خده فتوقفا
(محمد بن الرعاد)
أعد نظرا فما فى الخد نبت * حماه الله من ريب المنون
ولكن رق ماء الخد حتى * أراك خيال أهداب الجفون
(عز الدين الموصلى)
لقد كنت لى وحدى ووجهك جنتى * وكنا وكانت للزمان مواهب
فعارضنى فى ورد خدك عارض * وزاحمنى فى ورد ريقك شارب
(ابن نباتة) واحربا من هوى رشيق * معتدل كالقضيب مائل
عذاره لايجيب دمعى * وسائل لايجيب سائل
(الشهاب الحجازى)
سال العذار بخده فاذا الـ * ـمبيض فى خديه مسود
ولسان حال الخد ينشدنا * هل بالطلول لسائل رد
(الزين المصرى)
ان ماس فالغصن بالاوراق مستتر * أولاح فالبدر بالانواء محتجب
عذاره بسواد القلب منتقش * وخده بدم العشاق مختضب
(وقلت) ياوجنة من تحت أصداغها * لانفس العشاق كم تجتذب
وهاجبة كاد سنا برقها * يذهب بالابصار لم تحجب
أهل المجسطى لو رأوها قضوا * بشرف المريخ فى العقرب

مالك تحت قال لانك وكبتنى يوم وكذا غررنا على باب الاصبهانى فرأيته أتانا عند بابه فضقته ماهقت وأنشدنى سيدى شمت أتانا عند باب الاصبهانى تيمتنى يوم رحنا * بثنايا ها الحسان وبغنج ودلال * سل جسمى وبرانى ولها خد أسيل * مثل خد الشيفرانى فبهامت ولو عشت اذا طال هوانى فقال له رجل من القوم يا أبا معاذ ما الشيفرانى قال هذا من لغة الحمير فاذا لقيتم حمارا فسلوه (قلت) وذكر جماعة من أهل السير من حديث عبد الله بن حبيب الهذلى عن أبى عبد الرحمن السلمى عن أبى منصور وكان له صحبة أن النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح الله تعالى عليه خيبر أصاب حمارا أسود فكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى ما اسمك قال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدى ستين حمارا كلهم لم يركبهم الا نبى ولم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام غيرك وأنا أتوقعك ان تركبنى وكنت قبلك لرجل من اليهود فكنت أعثر به عمدا فكان يجيع بطنى ويضرب ظهرى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم قد سميتك يعفور أتشتهى الاتان قال لا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يركبه فى حوائجه واذا نزل عنه بعث به فى حاجته فيأتى باب الرجل فيدفعه برأسه فاذا خرج صاحب الدار عرفه وأتى به النبى صلى الله عليه وسلم فلما قبض عليه الصلاة والسلام جاء الى بئر كانت لابى الهيثم فتردى فيها جزعا على النبى صلى الله عليه وسلم فصارت قبره (ومنهم قتيل) * (قال محمد بن هرون) حدثنى فيما أذكره السراج قال اشتريت زوج بط فذبحت الذكر وتركت الانثى فجعلت

(وقلت) ياعجبا للخال في خدها * كيوان بالمريخ يستمسك
نحسان دلا في اقترانٍ على * ان دم الصب هنا يسفك
يامطلبا طلسمه مانع * هل مطلب الاله مهلك

(وقلت) سألتها عن بياض * في وجنتيها وحمره
اذا طريق اجتماع * قالت ورابة نصره

(وقلت في العذار)

جرى الخلف في نبت العذار فذاهب * الى انه مسك على الورد منثور
ومن قائل آس فقلت كلاهما * غدا مصلحا للورد اذ فيه كافور

(ولبعضهم) ولا تحسبن الخال في الشفة التي * يتيه بها المحبوب نقصا ولا خلل
ولكنه ختم على ما بثغره * من الدر والياقوت والخمر والعسل

(ومن الرابع قول بعضهم)

سألته في ثغره قبلة * فقال ثغري لم يجز لثمه
فها كها في الخد واقنع بها * ما قارب الشئ له حكمه

(وقال آخر)

وموعدي بقبلة * ارشفها من مبسمه سوف بي ولم يزل * يوعد لكن بفمه

(وقال آخر)

ذكرت ريق حبيبي * بشرب راح معطر وليس ذا بعجيب * فالشئ بالشئ يذكر

(جمال الدين بن نباتة)

وأغيد في فيه المدام ولحظه * وفي وفي اعطافه نشوة السكر
تداويت من الحاظه برضابه * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

(وقال آخر) نقل الاراك بان ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الاراك لانه * يرويه حقا عن صحاح الجوهري

(الصلاح الصفدي) يا ثغره ليس الثناء التي * تضئ غير الانجم الغر
فليقل المسواك ما عنده * فهو عن الضحاك والزهري

(ابن قلاقس) جمعت نكهته في ثغره * عبقا في نسق يسبي الحدق
وبدت خجلته في خده * شفقا في فلق تحت غسق

(وقال آخر) خد وثغر بخلوب * بمبدع الحسن قد تفرد
فذا عن الواقدي يروى * وذاك يروى عن المبرد

(شمس الدين بن الصائغ)

بروحي من ولي فولي بمهجتي * وولى منامي فهو كالوصل شارد
حمى ثغره وغنى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ريقه وهو بارد

(الصلاح الصفدي)

وشفتر يقك حلوا * فلم يكن لي صبر وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

(ابراهيم بن المعمار)

عزمت على رقيا محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين أقبلا

الذائبة فعلت تضطرب تحت المكبة حتى كادت أن تقتل نفسها فقلت ارفعوا عنها المكبة فرفعت فجاءت فلم تزل تضطرب في دم الذكر حتى ماتت (وقال) أبو عبد الله محمد بن محمد التميمي في كتاب امتزاج النفوس ليس في جميع الطير أوفى من القمري والقمرية وذلك انه اذا مات أحد الزوجين تعذب الآخر بعده ولا يأنس الى غيره ولا يألف رفيقا ولا يزال باكيا فردا الى أن يموت (ومنهم قتيل) ذكر الكيخي في تاريخ القدس عن ابراهيم بن فاتك قال بينما سمنون يتكلم في المحبة في المسجد اذ جاء طائر صغير فقرب منه ثم قرب فلم يزل يدنو حتى علا على يده ثم ضرب بمنقاره الارض فسال منه الدم ثم مات (ومنهم شهيد) ذكر العتبي قال جلست يوما وعندي جماعة من أهل الادب فنزع بنا الحديث الى أخبار العشاق وفي الجماعة شيخ ساكت فسئل فقال كانت لي ابنة وكانت تهوى شابا ولا نعلم بذلك وكان شاب يهوى قينة وكانت القينة تهوى ابنتي فحضرت في بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب والقينة فغنت

علامة ذل الهوى

على العاشقين البكا

ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكى

فقال لها أحسنت ياسيدتي أتأذنين لي أن أموت فقالت نعم مت راشدا ان كنت عاشقا قال فنام وغمض عينيه ومات فانصرفنا مهمومين الى منازلنا فاخبرت أهلي بما كان من شأن الفتى فلما سمعت ابنتي كلامي نهضت الى مجلس فلم أبادر وأنكرت ذلك منها فقمت خلفها فوجدتها قد ماتت كما كنت وصفته عن الفتى فركبنا لها فأخذنا في

فلما بدا يفتر عن نظم ثغره * بدأت بسم الله فى النظم أولا

(الصلاح الصفدى)

أحببته كالغصن كم شاعر * له عليه نوح ورفاه
وثغره الصادى من حسنه * يحار فى تشبيهه الطائى

(يوسف بن مسعود)

رأى ثغر من أهوى عذولى فلامنى * ولم يدر ان اللوم فى حبه يغرى
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على الثغر

(النواجى) لله ثغر للحبيب تجمعت * فى ضمنه للعاشقين نفائس
فيه الرحيق وخاله المسك الختا * م وفيه فليتنافس المتنافس

(الصلاح الصفدى)

قد شبه الخال على ثغره * تشبيه من لا عنده شك
بسبحة من جوهر أودعت * حق عقيق ختمه مسك

(ابن ريان) لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت فى التثام
لا تعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ابن الوليد) أريقا من رضابك أم رحيقا * رشفت فلست من سكرى مفيقا
وللصهباء أسماء ولكن * جهلت بان فى الاسماء ريقا

(شيخ الشيوخ بحماة)

سألته من ريقه شربة * أشفى بها من كبدى حره
فقال أخشى يا شديد الظما * ان تتبع الشربة بالجره

(الحريرى) نفسى الفداء لثغر مبسمه * وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

(ابن عنين) يا غزالا أرى الغواية رشدا * فى هواه وأحسب الرشد غيا
ما رأينا قبل ابتسامك بدر التـ * ـم يفتر عن نجوم الثريا

(ابن سنا الملك) له فم يمنعه ضيقه * ان يخرج اللفظ بتقويم
ولفظه سكران من ريقه * فهو لهذا غير مفهوم
ما فيه ميم ولكنه * علامة الجزم على الميم

(وقال آخر) كأن على انيابها الخمر مجه * بماء الندى فى آخر الليل عابق
وما ذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم من أعلى السحابة بارق

(ابن الرئيس) لئن كان من لؤلؤ ثغرها * فان له صدفا من عقيق
وان كان من أقحوان النبات * فان مشاربه من رحيق

(أبو العشائر) ثغر كلامع البرق حسن بريقه * يشفى فؤاد المستهام بريقه
قد بت ألثمه وأرتشف المنى * من دره ورحيقه وعقيقه

(وقال آخر) بأبى فم شهد الضمير له * قبل المذاق بانه عذب
كشهادتى لله خالصة * قبل العيان بانه رب
والعين لا تعبأ بنظرتها * حتى يكون دليلها القلب

جهازها وغدونا بجنازتها وجنازة [illegible] فاذا نحن بجنازة ثالثة فسألنا عنها [illegible] هى جنازة القينة بلغها قول ابنتى فصنعت مثل ما فعلت فماتت فدفنا الثلاثة فى يوم واحد (ومنهم شهيدان) ذكر الشيرزى فى روضة العشاق انه كان بعمورية راهب يسمى عبد المسيح أسلم فسئل عن اسلامه فقال كان عندنا شاب فهوى جارية نصرانية تبيع الخمر فكان لا يبرح ناظرا اليها فلما علمت به سلطت عليه الصغار يضربونه ويصيحون عليه فكانت تفعل به ذلك كل يوم فلما علمت صدقه دعته الى نفسها حراما فأبى فعرضت عليه التنصر ويتزوجها فأبى فسلطت عليه الصغار فاثخنوه قتلا قال عبد المسيح فادركته وهو يقول اللهم اجمع بيننا فى الجنة ومات فلما كان من الليل رأت الجارية الشاب قالت فأخذ بيدى وانطلق بى الى الجنة فلما أردت ادخلها منعت لاجل الكفر قالت فاسلمت ودخلت معه فرأيت شيأ عظيما ورأيت قصرا من الجوهر فقال هذا لى ولك وأنا لا أدخله الا بك والى خمس ليال تكونين عندى فلما استيقظت أسلمت وجلست عند قبره وماتت فى الليلة الخامسة فكان ذلك سبب اسلامى (ومنهم قتيل) ذكر أبو محمد عبد الحق ان رجلا كان واقفا بازاء داره وكان يشبه الحمام فمرت به امرأة جميلة وهى تقول أين الطريق الى حمام منجاب فاشار اليها به فلما دخلته دخل معها فلما رأت ذلك أظهرت له السرور وقالت تشتهى أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا فخرج مبادرا اليها [illegible] وغفل عن الباب فلما جاء وجدها قد خرجت فكثر ولهه بها [illegible]

(أبو عبادة ويعزى الى يزيد بن معاوية وهو الصحيح)

واستمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وهو من قصيدة كلها ملح وعيون وسأذكرها في الغزل المطلق وأما بيت أبي عبادة الذي بنى عليه الحريري المقامة الحلوانية فهو

كأنما تبسم عن لؤلؤ * منضد أو برد أو أقاح

(الحريري) سألتها حين زارت نضو برقعها القاني وايداع سمعي أطيب الخبر

فزحزحت شفقا غشى سنا قمر * وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

وأقبلت يوم جد البين في حلل * سود تعض بنان النادم الحصر

(وقلت) أقول لمن بالطب أصبح جاهلا * مقالا صحيحا فيه ما غير ذي عوج

برى ثغرها أخصر أعلى ذي حرارة * لانه شهد امع الخمرة امتزج

أغرك أن الخمر انى مزجتها * بشهد أتت بالحر في وابع الدوج

أما اعتدلت اذ جاورت برد أبه * تنضد والحر بال في ذلك الفلج

وهبك جهلت الطبع ماذا تقول في * عقيق وبلور معا فيه قد نتج

وبينهما خلف طويل مفصل * بكتب أرسطو والذي قبله درج

(وقلت) أرى ريقها عند الشفاء لكل ما * تعذر من داء عن البرء أو فسد

عليك به فهو النجاة لشارب * وان جاز القانون فيه أو اقتصد

فهذي اشارات كفت كل عاقل * وان قيل شئ غيرها ليس يعتمد

(وقلت) عجبت من المسواك يرشف ريقها * مدى الدهر لا يحميه من ذاك مانع

ويبقى جمادا كيف لم يحي بالحيا * وتفنى الليالي وهو أخضر يانع

رضاب يقوم الميت ان شم عرفه * ولو قطعت أوصاله والاضالع

فقال خشيت الهجر منها فعانني * فخيبك عذر في جوانبي قاطع

بنفسي ثغر قلت اذ لاح نوره * ابرق بدا من جانب الغور لامع

وبرد رضاب قلت عند وداعه * زمان اللقا يا خيف هل أنت راجع

وقد أكثروا من هذا النمط أعني التشبيب بالوجه وأعضائه البسيطة والمركبة لكونه أشرف وأبهج وأعلى وألطف وأما ما عداه فنادر ان تيسر لشاعر بيت أو بيتان أو أكثر في عضو بعينه أما في ضمن غيره فكثير سنورد منه ما تيسر حسبما شرطنا وأما مطلق القامة بما فيها فأكثر من أن يحصى ما فيه وما قيل من ان أول من وصف الثدي عمرو بن كلثوم

وثديا مثل حق العاج رخصا * حصانا من أكف اللامسينا

فأمر يحتاج الى مزيد استقصاء واحاطة لان العرب تغزلت كثيرا غاية الاعراب المتأخرين ألطف فن وصفهم الجيد في ضمن غيره قول بعضهم

لها جيد أم الخشف ريعت فأقبلت * ووجه كقرن الشمس ريان مشرق

وعين كعين الظبي فيها ملاحة * هي السحر أو أدهى التباسا وأعلق

(دعبل) أتاح لك الهوى بيض حسان * سلبنك بالعيون وبالنحور

نظرت الى النحور فكدت تقضي * فاولى لو نظرت الى الخصور

(ابن الرومي) صدور فوقهن حقاق عاج * وحلي زانه حسن اتساق

الطريق ويقول

يارب قائلة يوما وقد جهلت

كيف الطريق الى حمام منجاب

وبقي على ذلك مدة حتى جاوبته امرأة من طاق

قرنان هلا جعلت اذ ظفرت بها

حرزا على الدار أو قفلا على الباب

فزاد هيمانه واشتد هيجانه ولم يزل كذلك بالبصرة حتى حضرته الوفاة فقيل له قل لا اله الا الله فجعل يقول يارب قائلة يوما البيت حتى مات (ومنهم شهيد) ذكر أبو القاسم الشروطي في كتاب التسلي عن أبي الفرج الصوفي وغيره أنه كان عندهم رجل صوفي يعرف بأبي القاسم الشواء وكانت له عنيزات يرعاهن وقال بعضهم أنه لم يكن يحضر معهم مجالس السماع ويجذبونه الى ذلك ولم يكن له رغبة في ذلك قال فبينما هو يرعى يوما عنيزاته اذ سمع صبيا من صبيان الصحراء يغني في حقل

ان هواك الذي بقلبي

صيرني سامعا مطيعا

أخذت قلبي وغمض طرفي

سلبتني العقل والهجوعا

فاردد فؤادي وخذ رقادي

فقال لا بل هما جميعا

فراح مني بجانبيه

وبت تحت الهوى صريعا

قال فاعتراه طرب شديد فقال للصبي وأقبل نحوه كيف قلت فقال جيد وكان يقال له حيد الفلنوري فتردد اليه ثلاثة أيام وهو يردد عليه هذه الابيات ثم تخلف في منزله عليلا يصيح فؤادي فؤادي الى ان قضي عليه (ومنهم شهيدان) ذكر المفضل الضبي عن [illegible] عبد الله بن

يقول الناظرون اذا رأوها * أهذى الحلى من هذى الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدى * قدرن من الحقاق على وفاق
نواهد لاتس يعدوهن عيب * سوى منع المحب عن العناق

(المهلبي) أفاتنتى بفتور الجفون * ورمانتين على معصر
كحقين من لب كافورة * برأسيهما نقطتا عنبر

(الرفاء) ومن ورا سجوف الحى شمس ضحى * تجول فى جنح ليل مظلم داجى
مقدودة حفظت أيدى الشباب لها * حقان دون مجال العقد من عاج

(الثعالبي) قد حجبت وجهها عن النظر * بمعصم حل عقد مضطرى
كأنه والعيون ترمقه * عمود صبح فى دارة القمر

(وقال بعضهم) كان الثدايا اذا ما بدت * وزين منها النهود الصدورا
حقاق من الدر مخروطة * يسعن من المسك شيأ يسيرا

(الحسن بن هانئ)

بأبى غادة تميس بقد * تنثنى فتخجل الاغصانا
لمست صدرها فباهت وقالت * غصن قد قد أثمر الرمانا

(وقلت) أذاب لهيب الخد منها بناره * لجينا فمنه صيغ منبسط الصدر
وذاك برأى العين اما بلمس * فلين حرير والنهود من الدر

ومن أوصافهم فى الارداف والخصور بالضميمة كما سبق قول عبد الوهاب السندوبى

قام فكادت لين أعطافه * تقصها الارداف من نهضه
فكيف يرجو الغير انصافه * وبعضه جار على بعضه

(ابن قزل) وأهيف القد بت أشكو * له تلافى وما تلافى
فمال عطفا ورق خصرا * وانما ردفه تجافى

(آخر) يا خصره كم جفاء * تبدى وأنت نحيل
يا ردفه ملت عنى * ما أنت الا ثقيل

(ابن مكانس) كسلت أرداف حبى * فدموعى تتوالى
أيها المحبوب فارحم * رب دمع فيك سالا

(الصلاح الصفدى)

أقول له قدرق عيشى والصبا * وعقلى وكاسانى وصوت الذى غنى
وقال الذى أهواه خصرى نسيته * فقلت له والله قد جئت فى المعنى

(سيف الدين المشد)

مهفهف القد نحيل الحشا * يسبى الورى عمدا بطرف مريض
تلاعب الشعر على ردفه * أوقع قلبى فى الطويل العريض

(ابن سنا الملك)

تلاعب الشعر على ردفه * أوقع قلبى فى العريض الطويل
يا ردفه جرت على خصره * رفقا به ما أنت الا ثقيل

(ابن الوردى) انا الثقيل ما ردفى وشعرى أجبته * كثيب مهيل فوقه حية تسعى

مسافر ابنة عمه فلم يزل ما لقى الى أن صار كالشن البالى فشكا أبو ما الى أبيها خالد فأمر بحمله الى داره ليزوجها به ولم يعلم كامل فلما علم قال وان أسماء لتسمع قيل نعم فشهق شهقة قضى مكانه فقيل لها مات بشجنه فقالت والله لا موتن بعده بمثله ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعنى منها قبح ذكر الريبة ومرضت فلما اشتد مرضها قالت لا شفق نسائها عليها اصورى لى مثاله فانى أحب ان أزوره قبل موتى ففعلت فلما وصلت الصورة اليها اعتنقتها وشهقت فماتت فطلب أبو الفتاة الى أبيه أن يدفنها الى جانب قبر ابنه ففعل وكتب على قبريهما

بنفسى هما ما متعا بهواهما
على الدهر حتى غيبا فى المقابر
أقاما على غير التزاور برهة
فلما أصيبا قربا بالتزاور
فياحسن قبر زار قبرا يحبه
ويا زورة جاءت بريب المقادر

(ومنهم شهيدان) ذكر مصعب بن الزبير ان مالك بن عمرو الغسانى تزوج بنت عم النعمان بن بشير وكان كل واحد منهما يحب صاحبه وكان مالك شجاعا فاشترطت عليه ان لا يقاتل شفقة عليه وضنا به فباشر القتال فاصابته جراحة فقال وهو مثقل منها

ألا ليت شعرى عن غزال تركته
اذا ما أتاه مصرعى كيف يصنع
فلو أننى كنت المؤخر بعده
لما برحت نفسى عليه تقطع

ومكث يوما وليلة ومات فلما وصل خبره الى زوجته بكته سنة ثم اعتقل لسانها وامتنعت من الطعام والكلام وكثرت خطابها فقال سيد ... ابوها زوجوها ... لسانها ينطلق ... عنها ... من الاسلاف ... بعض

وان قيل هل ترعى عذارى مورّيا * أقول له أي والذي أخرج المرعى

(الصلاح الصفدي)

لولا شفاعة شعره في صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما

لكن تنازل في الشفاعة عنده * وغدا على أقدامه يترامى

(البهاز هير وهو مما شاع ولم نره في ديوانه)

حبذا نفحة ريح * فرجت عني غمه * ضربت ثوب قناة

أظهرت تيها وحشمه * فرأيت البطن والسرة والخصر وثمه

(الباخرزي فيما يكتب على التكة)

لم لا أتيه ومضجعي * بين الروادف والخصور * واذا نسجت فانني

بين الترائب والنحور * ولقد نشأت صغيرة * باكف ربات الخدور

(بشار) نظرت في القصر عيني * نظرا وافق حيني

سترت لما رأتني * دونه بالراحتين * فضلت منه فضول

تحت طي العكنتين * ليتني كنت عليه * ساعة أو ساعتين

ولها حكاية حاصلها ان المهدي دخل على بعض جوار به وهي مجردة فلما استترت منه بيديها فاض عنهما فانشد * نظرت في القصر عيني * وارتج عليه فاستدعى بشارا فقال له أجز وأنشد الابيات

(العباس بن الاحنف)

ومثلك لم أر في العالمين نصفا قضيبا ونصفا كثيبا

وأنت اذا ما وطئت التراب كان ترابك للناس طيبا

(أبو الحسين الجزار)

وكم ليلة أستغفر الله بتها * بخد وثغر بين ورد وجريال

سرت راحتي غورا ونجدا الى الضحى * وماذاك الا في خصور وأكفال

(الصفي الحلي) اذا تثنت باعطاف يجاذبها * مدار غصن من الكثبان ممطور

رأيت أمواج أرداف اذا التطمت * في لج بحر بماء الحسن مسجور

(وقال آخر) واذا السوالف بالبنفسج جاورت ورد الخدود

وتموجت كثب الروا * دف تحت أغصان القدود

شاهدت في أيدي الظبا * قياد أعناق الاسود

(ابن نباتة) سألت النقا والبان ان يحكيا لنا * روادف أو أعطاف من زاد صدها

فقال كثيب الرمل ما أنا حملها * وقال قضيب البان ما أنا قدها

(الصلاح الصفدي)

أقول وقد نامت على حر وجهها * ومالي عليها في الظلام دبيب

وان الكثيب الفرد من جانب الحمى * الي وان لم آته لحبيب

(ابن أبي حجلة)

مالت كغصن مع الارواح مياس * مصرية الحلي تبدو لي بمقياس

ماجن ليلي وأمسى حليها قلقا * الا وتارها جني ووسواسي

ولابد أردفها الراسي اذا قعدت * الا وبانت يدي منه على رأسي

ابنا الملوك فساق لها ألف بعير فلما كانت الليلة التي أهديت اليه فيها قامت على باب القبة وقالت

تقول رجال زوجوها لعلها

تقر وترضى بعده بخليل

فخفيت في النفس التي ليس بعدها

رجاء لهم والصدق أفضل قيل

وحدثني أصحابه أن مالكا

صروم كماضي الشفرتين صقيل

فلما فرغت من انشاد الشعر شهقت شهقة فماتت * (ومنهم شهيدان) * قال أحمد بن محمد الغنوي فيما ذكره في ذم الهوى دخلت الكوفة فاذا في نظرنا وها فقالوا ها هنا فتيان تحابا وقد اعتل أحدهما فتريد أن نعوده فذهبت معهم ليعودوا العليل ونعود الصحيح فوجدنا فتى ملقى على سرير وآخر متكئا عليه يذب عنه وينظر في وجهه فلما رآنا فرج لنا عن صاحبه فجلس أصحابي حول العليل وجلست بازاء الصحيح فكان العليل اذا قال أواه قال الصحيح أواه فاذا قال العليل أواه من فخذي قال الصحيح أواه من فخذي واذا قال أواه من يدي قال الصحيح أواه من يدي الى أن قالوا فقضيا رحمهما الله فشد أصحابي لحيي العليل وشددت لحيي الصحيح وما برحنا حتى دفناهما (ومنهم شهيد) قال أبو مسهر كان وضاح اليمني والمقنع الكندي وأبو زبيد الطائي يردون مواسم العرب متبرقعين يسترون وجوههم خوفا من العين وحذرا على أنفسهم من النساء لجمالهم وكان وضاح اليمن هوى أم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان صغيرين فاحبها وأحبته وكان لا يصبر عنها فلما تزوجت الوليد بن عبد الملك ذهب عقل وضاح

شمس الدين بن جابر النحوى وهو الشهير بالاعمى والبصير فى شرح الالفية يعنى باعتبار بصر فى الاول والبصيرة فى الثانى وبالعميان فى البديعية يعنى انه مفرد ناب عن جمع فلا يغتر بقول ابن حجة والعميان لم ينظموا ولم يقولوا وأمثال ذلك مما يدل على الجمع وطالما كلفت بمعرفة هذا وسألت عنه فلم أظفر بمن يشفى الغلة حتى رأيته فى كلام العلامة السيوطى رحمه الله تعالى.

مقدمة الارداف ركب فوقها * مقدمة الخصر الذى هو ذابل
فتم قياس الحسن لما تركبا * وجاء على النظم الذى هو كامل
فانتج حسنا لم يلم فيه عاشق * بوجه ولم يوجد من الناس عاذل

(وله أيضا) سبب خفيف خصرها ووراه * من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان فى تركيبها * الا لان الحسن فيها وافر

(وله أيضا) ردف يقيم لنا بها فتن الهوى * واذا أتت لتقوم قال لها أقعدى
أبصرتها من بين ذاك وبين ذا * فوقعت منها فى المقيم المقعد

(وله أيضا) تعليق ردفك بالخصر الخفيف له * ثلث الجمال وقد وقته اجفان
خد عليه رياض الحسن قد خلعت * وفى حواشيه للصدغين ريحان
محقق نسخ صبرى فى هواه ومن * توقيع مدمعى المنثور برهان
يا حسن ما قلم الاشعار خط على * ذاك الجبين فلا يسلوه انسان
أقسمت بالمصحف السامى وأحرفه * مامر بالبال يوما عنك سلوان
ولا غبار على حبى فعندك لى * حساب شوق له فى القلب ديوان

(وله أيضا) وقفت يوم الوداع ملتفتا * أطمع فى نظرة أرددها
فاعرضت والظباء تغبطها * فى حسن اعراضها وتحسدها
وكلفت لدن خصرها كفلا * يكاد عند القيام يقعدها

(وله أيضا) رقم الخال خدها فى أناء * فر الأفق فيه نقطة ليل
قلت أين الكثيب والغصن قالت * كاما قد ذكرته تحت ذيلى

(وله أيضا) ان شئت ظبيا أو هلالا أودجى * أو زهر بان فى الكثيب الاميد
فللحظها ولوجهها ولشعرها * ولخدها والقد والردف أقصد

(وله أيضا) أقبلت فى لاز وردى على * ناعم أبيض لدن معجب
والحلى والوجه والثغر وما * لبست والعطف والردف حبى
أنجما حفت ببدر فى دجى * فى سماء فوق بان الكثب

(ابن نباتة) أفدى التى تشتكى فى مشيها ولها * بالردف والخصر تثقيل وتخفيف
تدعو على الكثب والاغصان لاعنة * فالكثب مهتوكة والغصن مقصوف

(الشهاب الحجازى)

قصدت رؤية خصر مذ سمعت به * فقال لى بلسان الحال ينشدنى
أنظر الى الردف تستغنى به وأنا * مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

(وقلت) ما اخطأ الفيلسوف فيما * قرر من رقعة اللطافة
هل خصرها قد علا لما قد * حوله فى الظرف والتراقه

فلما طال عليه البلاء خرج الى الشأم فجعل يطوف تحت قصر الوليد بن عبد الملك فى كل يوم ولا يجد حيلة حتى رأى يوما جارية صفراء فلم يزل يكلمها ويأنس بها الى أن قال لها هل تعرفين أم البنين قالت انك لتسأل عن مولاتى فقال انها لابنة عمى وانها لتسر بموضعى لو أخبرتيها قالت نعم فانى أخبرها فمضت الجارية فاخبرت أم البنين فقالت ويلك هو حى قالت نعم قالت قولى له كن بمكانك حتى يأتيك رسول ثم انها أدخلته فى صندوق فمكث عندها حينا اذا أمنت أخرجته فيقعد معها واذا عبر رقيب أدخلته الصندوق وأهدى يوما للوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا الجوهر فامض به الى أم البنين قال فدخل الخادم من غير أن يستأذن ووضاح معها فلمحها ولم تشعر أم البنين فأدى الخادم الرسالة وقال لها هبى لى من هذا الجوهر حجرا فقالت لا أم لك وما تصنع أنت بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد فاخبره بما رأى ووصف له الصندوق الذى رأى وضاحا دخله فقال له كذبت لا أم لك ثم نهض الوليد مسرعا فدخل عليها وهى فى ذلك البيت وفيه عدة صناديق فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذى وصفه له الخادم فقال لها يا أم البنين هبى لى صندوقا من صناديقك قالت يا أمير المؤمنين هى لك وانا لك أيضا فقال أريد هذا الصندوق الذى تحتى فقط فقالت ان فيه شيأ من أمور النساء قال ما أريد غيره فقالت هو لك فامر به فحمل ثم دعا بغلامين فامرهما بحفر بئر فحفرا حتى بلغا الماء فوضع فمه على الصندوق وقال قد بلغنا عنك شئ فان كان حقا فقد دفناك ودفنا خبرك ودرسنا أثرك وان كان

ودونه الردف حظ وصفا * مذكان في غاية الكثافه

(وقلت) قدغرت من عشاقها * وتركهم للغزل * في خصرها وشبهوا
ردفها والكفل * قلت الى كم تلهجوا * بسافل لا يعلى

(وأما الاغزال المطلقة التنصيص العامة من غير تخصيص) فكثيرة لاتحصى وغزيرة لا تستقصى فلنورد منها ما حسن وقعه في الاسماع وجلب القلوب السليمة الاذواق عند السماع شمس الدين بن العفيف

قف واستمع سيرة الصب الذى قتلوا * فراح في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فخب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

(وقال آخر) لو كان مالك طالبا بذوى الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ماعذب العشاق الابالهوى * وان استغاثوا غاثهم بفراق

(المظفر الآمدى) قل للذين جفونى اذ لججت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكى فى محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

(ابن الوردى) دهرنا أضحى ضنينا * باللقاحتى ضنينا
ياليالي الوصل عودى * واجمعينا أجمعينا

(ابن نباته) أهلا بسائرة الصبا من نحوكم * وبعاهد نامن تعاهد طولها
أملت على الزهر المقطب ذكركم * حتى تبسم ضاحكا من قولها

(الصفى الحلى) لاغروان يصلى الفؤاد بحبكم * نارا تؤججها يد التذكار
قلبي اذا غبتم بصورشخصكم * فيه وكل مصور فى النار

(وقال آخر)

صلوا مدنفا قد واصل السقم جسمه * ومن بعدكم طيب الرقاد فقد فقد
بأحشائه نار يهب ضرامها * ومن لي باطفاء الغرام وقد وقد

(الارجانى) تمتعتما يامقلتى بنظرة * وأوردتما قلبي أمر الموارد
أعيناى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

(الملك الصالح داود)

عيون عن السحر المبين تبين * لها عند تحريك الجفون سكون
اذا أبصرت قلبا خليا من الهوى * تقول له كن مغرما فيكون

(ابن اسرائيل)

وقلت شهودى فى هواك كثيرة * وأصدقها قلبي ودمعى مسفوح
فقال شهودى ليس يقبل قولها * فدمعك مقذوف وقلبك مجروح

(القيراطى) لما حدا بالركب حاديهم * وأسمع الدانى والقاصى
أطاعنى دمع جرى نهره * فدمعى الطائع كالعاصى

(لؤلؤ) وأرقنى خيال من حبيب * تناءت داره لما أتانى
فمن سهرى يلم فلا أراه * ومن سقمى يطوف فلا يرانى

(وقال آخر) قد كان لى فيما مضى خاتم * فرى جسمى فتمنطقت به
وزادنى السقم فلو زج بى * فى مقلة النائم لم ينتبه

كنا فعلينا فى دفن صندوق من خشب مسوح ثم أمر به فالقى فى الحفرة وأمر الخادم فقذف به فوقه وطم عليهما جميعا التراب قال أبو مسهر فكانت أم البنين لا تزال توجد فى ذلك المكان تبكى الى أن وجدت فيه يوما مكبوبة على وجهها ميتة وذكر المعافى بن زكريا ان الخليفة الفاعل لذلك هو يزيد بن عبد الملك وفيه نظر * (ومنهم شهيد) * ذكر الشيرزى فى كتاب روض القلوب انه رأى بحلب سنة خمس وستين وخمسمائة رجلا تركيا له جارية رومية يهواها وانها أحبت شابا خياطا فعملت الحيلة فى وصاله فلم تقدر فطلبت من سيدها أن يعتقها ويتزوجها ففعل ثم أراد تزويجها فانظرته حتى أرسلت الى الخياط وتزوجته عند القاضى محيى الدين أبى حامد محمد بن محمد الشيرزى فلما بلغ التركى ذلك صاح صيحة عظيمة ثم اختلط ذهنه ووسوس فحمل الى البيمارستان وأقام مقيدا بالحديد خمسة أيام لا يأكل ولا يشرب حتى مات فى تلك الايام (ومنهم شهيد) عن الحسن قال كان شاب على عهد عمر ملازما للمسجد والعبادة فعشقته جارية فأتته فى خلوة فكلمته فحدث نفسه بذلك فشهق شهقة فغشى عليه فجاء عمه فحمله الى بيته فلما أفاق قال ياعم انطلق الى عمر فاقرئه منى السلام وقل له ماجزاء من خاف مقام ربه فانطلق عمه فاخبر عمر فقال جنتان فلما بلغه ذلك شهق شهقة فمات رحمه الله * (ومنهم شهيد) * قال أحمد ابن أبى الحوارى فيما ذكره الخطيب بينما أنا فى بعض طرقات البصرة اذ سمعت صعقة فاقبلت نحوها فرأيت رجلا مغشيا عليه فقلت ما بال هذا قالوا سمع آية من كتاب الله فقلت وما هى قالوا قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا

(شمس الدين بن العفيف)

فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ريقه وهو بارد

وكم يدعى صونا وهذا جفونه * تفسر للعشاق منها مواعد

(وله أيضا) اذا ما رمت حل البند قالت * معاطفه مهانا لا يحل

وان جليت بوجنته مدام * يرى لعذاره دور وتزل

(وقال آخر)

قال لى أهيف المعاطف صف لى * هيفى قلت يا رشيق القوام

لك قد لولا جوارح لخطيب * ـك اغنت عليه ورق الحمام

(ابن خفاجة) ومهفهف طاوى الحشا * كالغصن يخطر ان خطر

فاذا رنا واذا شدا * واذا سقى واذا سفر

فضح الغزالة والحما * مة والغمامة والقمر

(ابن أبى الحديد)

بالله ضع قدميك فوق محاجرى * فلقد قنعت من الوصال بذا كا

وأطل محادثتى فان مسامعى * تهوى حديثك مثل ما تهوا كا

(ابن المستوفى) رأت قمر السماء فاذكرتنى * ليالى وصلها بالرقتين

كلانا ناظر قمرا ولكن * رأيت بعينها ورأت بعينى

(ابن نباتة) علقتها هيفاء حالية الطلى * تجنى على طرف المحب وقلبه

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

(الدمياطى) وفتانة الالحاظ معسولة اللمى * أهيم بها شوقا اذا هى اعرضت

تصاممت لما ان سمعت كلامها * لتشفى قلبا بالاعادة أمرضت

(الوداعى) قلت للعاذل المفند فيها * يوم زارت وسلمت مختاله

قم بنا ندعى النبوة فى العشق * فقد سلمت علينا الغزاله

(ياقوت) وعدت أن تزور ليلا فألوت * وأتت فى النهار تسحب ذيلا

قلت هلا صدقت فى الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

(وقال آخر) تجلى محياها نخافت رقيبها * فارخت عليه من ذوائبها سجفا

محيا رآه الصب للحسن جامعا * فأجرى عليه من مدامعه وقفا

(ابن الرومى)

نظرت فاقصدت الفؤاد بسهمها * ثم انثنت عنه فكاد يهيم

ويلاه ان نظرت وان هى أقبلت * وقع السهام ونزعهن أليم

(شمس الدين)

حتى اذا طاش عنها المرط من دهش * وانحل بالضم عقد السلك فى الظلم

تبسمت فاضاء الجو فالتقطت * حبات منتثر فى ضوء منتظم

(ابن الساعاتى)

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر

وفخلت جنة وجهها فابحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر

أن تخشع قلوبهم لذكر الله فقال أحسنت فافاق عندنا مهلا وهو يقول

ألم يان للهجران أن يتصرما * والغصن غصن البان أن يتكلما

وللعاشق الصب الذى ذاب وانحنى * أما آن أن يبكى عليه ويرحما

كتبت بماء الشوق بين جوانحى * كتابا حكى نقش الموشى المنمنما

ثم خر مغشيا عليه فحركناه فاذا هو ميت (ومنهم شهداء) عن صالح المرى قال قدم علينا محمد بن السماك مرة فقال أرنى عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل فى بعض الاحياء فى خص له فاستأذن عليه فاذا هو رجل يعمل خوصا فقرأت اذ الاغلال فى اعناقهم فشهق شهقة فاذا هو قد يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فاستأذنا عليه فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا تبارك وتعالى فاذا رجل جالس فى مصلى له فقرأت ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد فشهق شهقة وندر الدم من منخريه ثم جعل يتشحط فى دمه حتى يبس فخرجنا من عنده وتركناه على حاله قال صالح حتى أدرته على ستة انفس كل نخرج من عنده وهو على هذه الحال ثم أتيت به السابع فاستأذن فاذا امرأة من وراء خص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس فى مصلاه فسلمنا فلم يعقل سلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما قال الشيخ بين يدى من ويحك ثم بقى مبهوتا فاتحا فاه شاخصا ببصره يصيح بصوت ضعيف ثم انقطع فقالت امرأته اخرجوا عنه فانكم لا تنتفعون به فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة منهم أفاقوا وثلاثة [illegible]

(الارجانى) وفتانة صاغت سلاسل صدغها * قيودا على أعداد عشاقها الاسرى

تبسم عن در تنظم مثله * فلم أر أحلى منه نظما ولا نثرا

(وقال آخر) نظرت اليها نظرة فتحيرت * دقائق فكرى فى بديع صفاتها

وأوحى اليها الوهم انى أحبها * فأثر ذاك الوهم فى وجناتها

(ابن مكانس) علقتها معشوقة خالها * ان عمها بالحسن قد خصصا

يا وصلها الغالى ويا جسمها * لله ما أغلى وما أرخصا

(آمين الدين السليمانى)

أضيف الدجى معنى الى لون شعرها * فطال ولولا ذاك ما خص بالجر

وحاجبها نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

(ابن الوردى)

ردفها والخصر منها * جل من ربى ودقق نهدها يطفى لهيبى * فهو رمان محقق

(أبو الحسين الجزار)

تكاف بدر السما اذ حكى * محياك لولم يشنه الكاف

وقام بعذرى فيك العذار * وأجرى دموعى لما وقف

(وله أيضا) حيث خدها والثغر عن هائم شج * له أمل فى مورد ومورد

وكم هام قلبى لارتشاف رضابها * فاعرض عن تفصيل نحو المبرد

(ابن النقيب)

يا مالكى ولديك ذلى شافعى * مالى ألتفا أجبت سؤالى

فوخدك النعمان ان بليتى * وشكايتى من جفنك الغزالى

(شيخ الشيوخ بحماة)

لنا من ربه الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره

تعاملنى بما يحيى سلوى * ولكن ليس فى جوفى مراره

(وله أيضا) حروف غرامى كلها حرف اغراء * على ان سقمى بعض أفعال اسماء

(وله أيضا) وبدر دجى لم ينتقل كسميه * ولكنه مازال فى القلب والطرف

يلوح لعينى ماشقا نون صدغه * فاعبد خلاقى على ذلك الحرف

(وله أيضا) قلت وقد عقرب صدغا له * عن مشقة الحاجب لم يحجب

قدست يا رب الجمال الذى * ألف بين النون والعقرب

(وله أيضا) سبحان مورثه من حسن يوسف ما * لم يبق فى الحجر لى والصبر من حصص

أقام للشعراء العذر عارضه * فكم له فى دبيب النمل من قصص

(وله أيضا) يا نظره ما جلت لى حسن طلعته * حتى انقضت واذا منى على وجل

عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

(مجير الدين الدمشقى)

لما لبست لبعده ثوب الضنا * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا

أجريت واقف مدمعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

(ابن لؤلؤ الذهبى)

الشيخ فانه مكث ثلاثة أيام على حاله مبهوتا متحيرا لا يؤدى فرضا فلما كان بعد ثلاثة أيام عقل (ومنهم شهداء) ذكر ابن أبى الدنيا عن خليد قال كررت ليلة هذه الآية كل نفس ذائقة الموت فنادى مناد كم تردد هذه الآية فلقد قتلت بها أربعة نفر من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء حتى ماتوا (ومنهم شهيد) قال محمد أبو يحيى التميمى كان يختلف معنا شاب من النساك يقال له أبو الحسين الى مسعر بن كدام وكان معه فتى حسن الوجه يفتن الناس اذا رأوه فأكثر الناس القول فيه وفى صحبته اياه فمنعه أهله صحبته وكان معه فذهل عقل أبى الحسن حتى خشى عليه التلف فبلغ ذلك مسعرا فقال لى قل له لا تقربى ولا تأت مجلسى فانى له كاره فاخبرته بذلك فتنفس الصعداء ثم أنشأ يقول

يا من بدائع حسن صورته * تثنى اليه أعنة الحدق

لى منك ما للناس كلهم * نظر وتسليم على الطرق

لكنهم سعدوا بأمنهم * وشقيت حين أراك بالفرق

قال ثم صرخ صرخة فاذا هو ميت رحمة الله عليه (ومنهم قتيل) ذكر الشيرزى رحمه الله فى كتاب روضة القلوب انه رأى بحماة مؤدبا يقال له الوردى وأصله من حمص وكان فاضلا شاعرا فى فنه فافتتن بصبى من صبيانه وهام به الى الغاية حتى لم يبق يصبر عنه اللحظة الواحدة فبلغ ذلك أبا الصبى فمنع الصبى من المضى اليه ثم انه أوصله الى مؤدب آخر غيره وكان عدوا له فاشتد ما به من الغرام والهيام ثم انه

رفقا بصب مغرم * أبليته صدا وهجرا وافاك سائل دمعه * فرددته فى الحال نهرا

(ابن قرناص)

و وجنة قد غدت كالورد حمرتها * وأشبه الآس ذاك العارض النضر
كأن موسى كليم الله أقبسها * نارا وجر عليها ذيله الخضر

(وله أيضا) ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين ساهره
أنزلتهم فى مقلتى * فاذاهم بالساهره

(شمس الدين بن العفيف)

ايسعدنى يا طلعة البدر طالع * ومن شفوقى خط بخدك نازل
ولو انقساواصف منك وجنة * لاعجزه نبت بها وهو باقل

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة مضمنا (فقال)

تطاولت الاغصان تحكى قوامه * وعند التناهى يقصر المتطاول
وأعيا فصيح الوقت نبت عذاره * وعبر قسا بالفهاهة باقل

(وله أيضا) وافى بوجهه كالهلال مركب * فى قامة غصنية هيفاء
و بمقلة خفق الفؤاد ودرنت * وكذا الجنون يكون عن سوداء

(وله أيضا) أسكرنى باللفظ والمقلة الكحلاء والوجنة والكاس
ساق يرينى قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاسى

(وله أيضا) بأبى شادنا غدا الوجه منه * يخجل النيرين فى الاشراق
سلب القضب لينها فهى غيظا * واقفات تشكوه بالاوراق

(وله أيضا) لولم تكن ابنة العنقود فى فمه * ماكان فى خده القانى أبو لهب
تبت يدا عاذلى فيه فوجنته * حمالة الورد لاحمالة الحطب

(سيف الدين بن المشد)

مسكية الانفاس تملا الصبا * عنها حديثا قاطم يعلل
جننت لما ان سرى عرفها * وماترى من جن بالمندل

(وله أيضا) وشادن أوردنى هجره * لهيب حر الشوق والفرقه
أصبحت حران الى ريقه * فليت لى من قلبه رقه

(علاء الدين الوداعى) يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد ياحار

(وله أيضا) الحاظه وهى السيوف كليلة * ويكون تعذيب الكليلة اطولا

(وله أيضا) ماكنت أول مغرم محروم * من باخل بادى النفار كريم

(وله أيضا) فديت من مبسمه * زهر لغصن قده
فصدغه مطوق * فى روضة من خده

(وله أيضا) وذى دلال أهيف احور * أصبح فى عقد الهوى شرطى
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقى قلت فى وسطى

(ابن نباتة) بروحى مشروط على الخد اسمر * دنا وفى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا ترد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

(وله) وضعت سلاح الصبر عنه فاله * يقاتل بالالحاظ من لا يقاتله

أحاته الضر ووثالى ان كتب [illegible]
يستعطفه فاجابه بما يسمعني فورقيه
للسلطان فلما قرأ الرقعة أطرق الى
الارض ساعة واحمرت عيناه و وجهه
حتى كاد يقطر منه الدم ثم جاشت نفسه
وجاء الى مخرج مبلبلا الى باب المسجد
فتقايأ قيأ أسود ومضى الى بيته ولم
يخرج من حلقه ساعة بعد ساعة فجى
له بطبيب فاخبر أن كبده تقطرت
فعالجه فلم ينقطع الدم ومات فى اليوم
الرابع (ومنهم قتيل) قال ابن
الجوزى كان ببغداد سنة ثمانين
وأربعمائة غلام يقال له ابن الرواس
يهوى امرأة فماتت فحزن عليها وبقى
لا يطعم ثم خنق نفسه فمات (ومنهم
شهيدان) ذكر العتبى عن الاخفش
سعيد بن مسعدة صاحب النحو قال
خرجت فى سفر فنزلنا على ماء لطيئ
فبصرت بخيمة من بعيد فقصدت نحوها
فاذا فيها شاب على فراش كأنه الخيال
فلما أبصرنى أنشأ يقول
ألا ما للحبيبة لا تعود
أبخل بالحبيبة أم صدود
مرضت فعادنى عواد قومى
فمالك لم ترى فيمن يعود
فلو كنت المريض ولا تكونى
لعدتكم ولو كثر الوعيد
وما استبطأت غيرك فاعلميه
وحولى من ذوى رحمى عديد
قال ثم أغمى عليه فلت فوقعت الصيحة
فى الحى فخرج من آخر المضاربه كأنها
فلقة قمر فتخطت رقاب الناس حتى
وقعت عليه فقبلته وانشأت تقول
عدانى أن اعودك ياحبيبى
معاشر فيهم الواشى الحسود
أذاعوا ما علمت من الدواهى

وسال عذار فوق خده بحائر * على مهجتي فليتق الله سائله

(وله أيضا) لا تخف عيلة ولا تخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله

لك شعرين وقامة في البرايا * تلك غزالة وذي قتاله

(وله أيضا) بروحي معسول اللمى متحجب * اذا لم يزر لم يهن عيش ولا اذا

وان ذقت منا من حلاوة ريقه * أتانا رقيب يتبع المن بالاذى

(وله أيضا) بابي نائم على الطرق راحت * في هواه وليس يعلم روحي

فاتح في الكرى فاسكريا * باله من مسكر مفتوح

(وله أيضا) ومن الشقا ان الجفا وتشوقي * لا ينتهي هذا وذاك الى الطرف

ما مال غصن قوامه عن فكرتي * يوما ولا دينار وجنته انصرف

(الصلاح الصفدي)

وطي معانيه بيان بديعها * له حار فكري اذ رأى كل معجز

قرأت مقامات الحريري كلها * على خده مشروحة للمطرزي

(وله أيضا) قالت وقد مادت كغصن النقا * اسرفت في العشق بلا فائده

فقلت منهوم الهوى لم يكن * يشبع ان مدت له المائده

(ابن الوردي) ومليح اذا النحاة رأوه * فضلوه على بديع الزمان

برضاب عن المبرد يروى * ونهود تروى عن الرمان

(وله أيضا) عجبت في رمضان من مسحرة * بديعة الحسن الا انها ابتدعت

جاءت تسحرنا ليلا فقلت لها * كيف السحور وهذا الشمس قد طلعت

(وله أيضا) أنحلتني حبيبة * أنحل الله خصرها كسرتني جفونها * ضاعف الله كسرها

(وله أيضا) مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور على الثلوج

خذوا من خده القاني نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

(وله أيضا) تقوم ثغرك صح يا من ثغره * در يقصر دونه التقويم

اني لأبكي من جفاك ولي أب * والثغر يضحك منك وهو يتيم

(وله أيضا) ووعدت أمس بان تزور فلم تزر * فقعدت مسلوب الفؤاد مشتتا

لي مهجة في النازعات وعبرة * في المرسلات وفكرة في هل أتى

(ابن الصائغ) يا مليحا رووا لنا عنه حسنا * وقبيح ان لم يكن ثم حسنا

طبت لفظا مع الرواة ولكن * ينبغي ان تطيب في الدهر معنى

(ابن مكانس) بابي عقيقة مرشف * برت وكانت قبل عقت

فلثمتها ورشفتها * وقطعتها من حيث رقت

(وقال والده) يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلت لهم مني

فقالوا النافوصوا على درهوما * يحاكي اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

(وله أيضا) بحق الله دع ظلم المعنى * ومتعه كما يهوى بانسك

وكف الصد يا مولاي عمن * بيوم ملك رحت تهجره بامسك

(وله أيضا) يا لائمي اذ فقدت الصبر في قمر * أصداغه سلبت أهل الهوى وسبت

نبت سيوف اصطباري عنه حين بدا * آس العوارض في وجناته ونبت

وعابونا وما فيهم رشيد

كأنا إذ خلقنا نبطن أرض

وقصر الناس كلهم اللحود

فلا يبقى في الدنيا قوانا

ولا لهم ولا أثر جديد

قال ثم شهقت شهقة فخرت ميتة فخرج
من بعد الاخبية شيخ فوقف عليهما
وقال والله لئن كنت لم اجمع بينكما
حين لاجمعن بينكما ميتين فدفنهما في
قبر واحد (ومنهم شهيد) قال ذو النون
المصري فيما ذكره عبد الله محمد بن
جعفر القنطري في أماليه بينا أنا في
ساحل البحر اذ بصرت بجارية عليها
أطمار شعر واذا هي ناحلة ذابلة فدنوت
لاسمع ما تقول فرأيتها متصلة الاحزان
فلما عصفت الرياح واضطربت
الامواج وظهرت الحيتان صرخت ثم
سقطت الى الارض فلما أفاقت قالت
سيدي لك تقرب المتقربون في الخلوات
ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار
الزاخرات ولجلالك قد تساقطت
الامواج المتلاطمات أنت الذي سجد لك
سواد الليل وبياض النهار في الفلك
الدوار والبحر الزخار والنجم الزهار
وكل شيء عندك بمقدار لانك العلي
الغفار ثم انشأت تقول

يا مؤنس الابرار في خلواتهم

يا خير من حطت به النزال

من ذاق حبك لا يزال متيما

فرح الفؤاد وحشوه بلبال

فقلت لها عسى أن تزيدينا من هذا
فقالت اليك عني ثم رفعت طرفها نحو
السماء وقالت

أحبك حبين حب الوداد

وحب لانك أهل لذاكا

(سيدى أبو الفضل بن وفاء)

ما خادم واسمه فى در مبتسمه * الاغن غضيض الطرف مكحول
وريقه مع ثناياه التى انتظمت * كأنه منهل بالراح معلول

(البدر الدمامينى)

وفى وجنة حمراء زادت صفاؤها * فابدت صفات أبدع الحسن كونها
فدع لائمى ينهى عن الحب جهده * فما أنا بالسالى صفاها ولونها

(وله أيضا) تناسبت أوصاف من وصله * ينفى عن القلب جميع الكرب
فى الخد تسهيل ومن ثغره * يطيب للصب ارتشاف الضرب

(وله أيضا) لاما عذاريك هما أوقعا * قلب المحب الصب فى الحين
خذله بالوصل واسمح به * فقيك قد هام بلا مين

(وله أيضا) قلت لعطار به صبوتى * محمودة والصبر لا يستطاب
أسقيتنى كأس غرام به * ذبت وما أحسن هذا الشراب

(الحافظ ابن حجر)

سألوا عن عاشق فى * قربادسناه أسقمته مقلتاه * قلت لا بل شفتاه

(وله أيضا) رسول أتى ممن أحب فقال لى * ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار اعز براحين ذاق هوانا

(وله أيضا) ضنيت جوى فواصلنى حبيبى * وعاد الى الجفاء فعاد مابى
فقلت أعد وصالى قال كلا * فها أنا ذبت من رد الجواب

(وله أيضا) محبوبتى واصلتنى * والهم عنى تشتت
وذاب قلب حسودى * لما دنت وتفتت

(وله أيضا) وأهيف حيانى بطيب وصاله * ومن ريقه الخمر الحرام حلالى
أدار لى الكاسين خمرا وريقة * وتزهنى عن جفوة وملالى

(وله أيضا) تجرد من أحب فقال لى من * يلوم وأظهر الحسد المكتم
أجادك الحبيب بلثم جسم * له كالخز قلت نعم وأنعم

(التلعفرى من قصيدة) رشأ عهده وجفناه والخصر وجسمى كلا أراه عليلا
أشبهته البدور نورا ولكن * ما حكته لونا وخصرا نحيلا
قمر جاعل من القلب والطر * ف له فى سعوده اكليلا
كلما ضل عن طريق جفاه * ظل فيه من الدليل ذليلا
بعث الصدغ منه فى فترة الجفن لانذار عاشقيه رسولا

(وله أيضا من قصيدة)

هذا العذول عليكم مالى وله * أنا قد رضيت بذا الغرام وذا الوله
شرط المحبة ان كل متيم * صب يطيع هوى ويعصى عذله

(يزيد بن معاوية)

أليل دجا أم شعرك الفاحم الجعد * وبدر بدا أم وجهك المشرق السعد
ونرجسة هاتيك أم هى مقلة * وتفاحة ذاك المضرج أم خد

فاما الذى هو حب الوداد
فحب شغلت به عن سواكا
وأما الذى أنت أهل له
فكشفك للحجب حتى أراكا
فما الحمد فى ذا ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

ثم شهقت شهقة فاذا هى ميتة فبقيت أتعجب مما رأيت منها فاذا أنا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عنى فغسلنها ثم أقبلن بها فى أكفانها فقلن لى تقدم فصل عليها فصليت عليها وهن خلفى ثم احتملنها ومضين

(ومنهم شهيد) عن حماد المركى فيما ذكره المعافى فى كتاب الانيس قال وصفت للمأمون جارية بكل ما توصف امرأة من الكمال والجمال فبعث فى شرائها فاتى بها وقت خروجه الى بلاد الروم فلما همّ ليلبس درعه خطرت بباله فأمر فخرجت اليه فلما نظر اليها أعجب بها وأعجبت به فقالت ما هذا قال أريد الخروج الى بلاد الروم فقالت قتلتنى والله يا سيدى ثم جرت دموعها على خدها كاللؤلؤ وأنشأت تقول

سأدعو دعوة المضطر ربا
يثيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله أن يكفيك حربا
ويجمعنا كما تهوى القلوب

فضمها المأمون الى صدره وأنشأ متمثلا يقول

فيا حسنها اذ يغسل الدمع كحلها
واذ هى تذرى الدمع منها الانامل
صبيحة قالت فى العتاب قتلتنى
وقتلى بما قالت هناك تحاول

ثم قال لخادمه يا مسرور احتفظ بها

نقابر دفى فيك هذا منضد * أبيتي لنا أم لؤلؤ ضمه العقد
وحقان من عاج لطيفان ركبا * بصدرك أم ثديان هذان أم نهد
ودعصان اذوليت أم كفل برى * وكثبان رمل فى الغلائل أم قد
وانك لو عاينت ما بى من الاسى * لقلت جنون ثابت بك أم وجد
اذا ما أتى من نحو أرضك مخبر * تضوع من أرجائه المسك والند
وقفت فاضجرت الرسول مسائلا * وأنشدته بيتا له المثل الفرد
وحدثني ياسعد عنهم فزدتني * شجونا فزدني من حديثك ياسعد

(وله من قصيدة سلف صدرها فى الغيرة)

خذوا بدمى ذات الوشاح فانني * رأيت بعيني فى أناملها دمى
ولا تقتلوها ان ظفرتم بقتلها * بلى خبروها بعد موتى بمأتمى
وقولوا لها يا منية النفس انني * قتيل الهوى والعشق لو كنت تعلمى
لها حكم لقمان وصورة يوسف * ونغمة داود وعفة مريم
ولى حزن يعقوب ووحشة يونس * وآلام أيوب وحسرة آدم
ولما تلاقينا وجدت بنانها * مخضبة تحكى عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدى وهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وأبدت فى الحشى حرق الجوى * مقالة من فى القول لم يتبرم
وعيشك ما هذا خضابا عرفته * فلا تك بالبهتان والزور متهمى
ولكنني لما رأيتك نائيا * وقد كنت لى كفى وزندى ومعصمى
بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفى وهذا الاثر من ذلك الدم
ولو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا * بكاها فكان الفضل للمتقدم
خفاجية الالحاظ مهضومة الحشى * هلالية العينين طائية الفم
منعمة الاعطاف يجرى وشاحها * على كشح مرتج الروادف أهضم
وممشوطة بالمسك قد فاح نشرها * بثغر كأن الدر فيه منظم

(وله أيضا من قصيدة طويلة)

نالت على يدها ما لم تنله يدى * نقش على معصم أوهت به جلدى
كأنه طرق نمل فى أناملها * أو روضة رصعتها السحب بالبرد
مليحة لو رأتها الشمس ما طلعت * من بعد رؤيتها يوما على أحد
سألتها الوصل قالت لا تكن عبثا * من رام منا وصالا مات بالكمد
واسترجعت سألت عنى فقيل لها * ما فيه من رمق دقت يدا بيد

واستمطرت البيت السابق فى الثغر (البهازهير)

رقت شمائله فقلت شمول * وحوى الجمال فقلت ثم جميل
ودنا فما للبين فيه مطمع * ونأى فما للقرب فيه سبيل
أهواه أما خصره فمخفف * طاو وأما ردفه فثقيل
ريان من ماء الشباب مهفهفا * أرأيت غصن البان كيف يميل
حلو التثنى والثنايا لم يزل * لى منهما العسال والمعسول

وأكرم محاها وأصلح لها كل ما تحتاج
اليه من المقاصير والخدم والجوارى
الى وقت رجوعى فلولا ما قال الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم
دون النساء ولو باتت باطهار

لكان لى ولها شأن ثم خرج فلم يزل
يتعاهدها ويصلح من حالها ما أمر به
فاعتلت الجارية علة شديدة أشفق
عليها منها وردنى المأمون فلما بلغها
ذلك تنفست الصعداء وأنشأت وهى
تجود بنفسها

ان الزمان سقانا من مرارته
بعد الحلاوة أنفاسا وأردانا
أبدى لنا تارة منه فاضحكنا
ثم انثنى تارة أخرى فابكانا
انا الى الله فيما لا يزال لنا
من القضاء ومن تلوين دنيانا
دنيا نراها ترينا من تصرفها
ما لا يدوم مصافاة وأحزانا
ونحن فيها كأنا لا نزايلها
للعيش أحياؤنا يبكون موتانا

(ومنهم شهيدان) ذكر أبو الحسن
القارئ ان على بن صالح ذكر له ان
جارية من جوارى القيان عند أهل
البصرة كانت تميل اليه وتحبه وتكلف
به وكانت موصوفة بالادب شاعرة
فكره مراسلتها فحضر يوما عند بعض
أهل البصرة وكانت عنده قال فلما
طاب عيشنا فى يومنا فلم ألتفت اليها
فاطرقت هى أيضا فلم تنظر اليه ثم
دعت بدواة فكتبت على منديل كان
معها ثم تغفلت أهل المجلس وألقت
المنديل فاخذه فاذا فيه

لعل الذى أبلى بحبك باقى
يردك لى يوما الى أحسن العهد

قال على فها هو الآن قرأت الشعر حتى

أحيانا

أحبابنا ان الوشاة كثيرة * فيكم وان تصبرى لقليل
أيخاف قلبي غدركم مع انه * جار أقام لديكم ونزيل
فأصد حتى لا يقال متيم * وأزور حتى لا يقال ملول

(وله أيضا) رعى الله من لم يرع لى حق صحبتى * وسلم من لم يسغ لى بسلامه
وفى ذمة الرحمن من ذم صحبتى * ولم آل يوما ناقضا لذمامه
وانى على صبرى على فرط هجره * وقرب مغانيه وبعد مرامه
يحاول طرفى لحظه فى خياله * ويشتاق سمعى لطفه فى كلامه
ويوم وقفنا للوداع وقد بدا * بوجه يحاكى البدر عند تمامه
شكوت الذى ألقى فظل مقابلا * بكائى وشكوى حالتى بابتسامه
ففارق من شكواى غير خدوده * ولا لان من نجواى غير قوامه

(وله أيضا) كلمنى والمدام فى فمه * قد عبقت من حباب مبسمه
وراح كالراح فى تمايله * سكران يشتط فى تحكمه
بالله يا برق هل تحدثه * عن نار وجدى وعن تضرمه
وهل نسيم سرى يبلغه * رسالة من فى الى فمه
عجبت من بخله على وما * يذكره الناس من تكرمه
هم علموه فصار يهجرنى * رب خذ الحق من معلمه

(وله أيضا) يا من لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل
نشوان يهزه دلال * كالغصن مع النسيم مائل
لا يمكنه السلام لكن * قد حمل طرفه رسائل
ما أطيب وقتنا وأهنى * والعاذل غائب وغافل
عشق ومسرة وسكر * العقل ببعض ذا يزائل
كالبدر يلوح فى قناع * والغصن يميل فى غلائل
والورد على الخدود غض * والنرجس فى الجفون ذابل
والعيش كما أحب صاف * والانس بمن أحب كامل
مولاى يحق لى بانى * عن مثلك فى الهوى أقاتل
لى فيك وقد علمت عشق * لا يفهم سره الاوائل
فى حبك قد بذلت روحى * ان كنت لما بذلت قابل
لى عندك حاجة فقل لى * هل أنت اذا سئلت باذل
فى وجهك للرضا دليل * ما تكذب هذه المخايل
ما أطلب فى الهوى شفيعا * لى فيك غنى عن الوسائل
ذا العام مضى وليت شعرى * هل يحصل لى رضاه قابل * ها عبدك واقف ذليل
بالباب يمد كف سائل * من وصلك بالقليل يرضى * الطل من الحبيب وابل

(وقلت وجميعه جناس خطى)

هواك مازج روحى قبل تكوينى * وأنت ظلما بنار الهجر تكوينى
صبرت فيك على أشياء أيسرها * ذهاب نفسى وقوم عنك تلوينى

وجدت فى قلبى من أمرها شغل الشاغل فقمت وانصرفت خوفا من الفضيحة ثم لم أزل أعمل الحيلة فى ابتياعها من حيث لا تشعر فتيسر ذلك حتى ملكتها فلم أوثر عليها أحدا من حرمى ولا أهلى ولم يبق عندى شئ بعدها فتوفيت فانا لا عيش لى ولا سرور بعدها والله ما لبث بعد هذا الكلام الا أياما يسيرة حتى مات أسفا عليها وكمدا فدفن الى جانبها

(ومما يحسن هنا)

فنى أخبرك ما صنع الغرام
عشية قوضت تلك الخيام
سروا والليل فى ثوبى حداد
وقد ألقى مراسيه الظلام
وقد هتكوا الاكلة عن بدور
كوامل لا يفارقها التمام
وفى الاحداج ذو لعس لماه
لنا كاس وريقته مدام
رمى وقلو بنا الاغراض فانظر
بعينك هل يطيش له سهام

(ومنهم شهيدان) ذكر المرزبانى عن أبى الحسن على بن الحسين الصوفى المعروف برباح قال حدثنى بعض اصدقائى انه دخل بيمارستان ببغداد فرأى شابا حسن الوجه نظيف الثياب جالسا على حصير نظيف وعن يساره مخدة وفى يده مروحة والى جانبه كراز فيه ماء فسلمت عليه فرد أحسن سلام فقلت له هل لك من حاجة قال نعم أريد قرصتين عليهما فالوذج قال على فمضيت وجئته بذلك وجلست مقابله حتى أكل ثم قلت له هل بقى لك من حاجة قال نعم ولا أظنك تقدر عليها فقلت اذكرها فلعل الله تعالى أن ييسرها قال تمضى الى نهر الدجاج الى درب أحمد الدهقان الى دار على باب زقاق [illegible]

وكلما قلت صحت لى محبتها * أرى ودارك ممزوجا بشلوين
قدحل عقد اصطبارى طول هجرك لى * وليس غير وصال منك يبرينى
اذا شممت شذار بالمنتشقا * فانسيم أتى من نحو يبرين
(وقلت) هيفاء كالغصن الرطيب اذا انثنت * تختال فى ثوبى حيا ودلال
تسبى القلوب باسرها بجميعهم * فى أسرها لكن بقيد جمال
ياوجهها الحاوى لبهجة روضة * أنواره أنت العزيز الغالى
أذ فيك كل عجيبة مابين تفاح وورد يانع ولآلى
والشهد والخمر الحلال وقرقف * مع برده سلى ولست بسالى
ياجفنها الغزال كم من عاشق * بك فى المحبة مثل شن بالى
عجبا تميت العاشقين ونحن * نعرف سوى الاحياء للغزالى
(وقلت) وسالبة بالحسن عقل ذوى النهى * لطلعتها أسنى الدرارى آفل
اذا ماتجلت دك طور قلوبهم * وخروا الى الاذقان والعقل زائل
فياكعبة العشاق هل ثم مطلب * سوالك اليه تستحث الرواحل
و ياطلعة أصبحت للحسن جامعا * له القلب وقف والتبدل باطل
عذولى انئد واقصر فكل جوارحى * لها من سماع الزور والعذل شاغل
اذا ماطلت اللوم لابد ينتهى * وعند التناهى يقصر المتطاول
لئن لم تزرنى أوتمن بنظرة * وينعم دهرى بالذى أنا آمل
فياموت زران الحياة ذميمة * ويانفس جدى ان دهرك هازل
(وقلت) أفدى فتاة تيمت مهجتى * وقد أذيب القلب من صدها
مالى وللدنيا اذا لم تزر * اذليس يحلو العيش من بعدها
يقول لى الآسى وقد راعه * مابفؤادى من جوى بعدها
خذ ماء ورد ولسان معا * تشرب بالماءين من شهدها
قد صدق الآسى هذا الدوا * هو الشفا لوكان من عندها
بان يكون الشهد من ثغرها * يجنى وماء الورد من خدها
(وقلت وفيه نكتة حكمية)
نار بوجنتك التى حرق الورى * منها كنار فى فؤاد مسعره
لكن يقول الفيلسوف الحران * أفنى الرطوبة محرق ما أضمره
فلذ لك أحرق مهجتى تصعيدها * قطرته أجفانى وخدك جره
اذ فيه ماء حيا العشاق غدت * فيه الحرارة باعتدال مزهره

انتهى ما أردنا ايراده من لطائف الغزل الخاصة والعامة فى الذاتيات والاعراض اللاز
وقد تغزل العشاق فى الاعراض المفارقة كحوالزينة والوظائف ببديع النكت واللطائ
ولنورد منها ما الطف (قال بعضهم فى النقش)
كأن خضرة نقش فوق معصمها * شباك مسك على كف من البرد
خن ملاحظ تلبيه من محاسنها * كأن الامام لعينيه من الرمد
(ابن المعتز فى الحناء) أشرن على خوف باغصان فضة * مفوقة أثمارهن عقيق

فاطرق وقل ان فلانا قال لى
سر الحبيب وقل له * محبوبكم من أهله
قال فشيت وسألت عن الدروب والزقاق
قال فطرقت الباب فخرجت الى عجوز
فابلغتها الرسالة فدخلت وغابت ساعة
ثم خرجت فقالت
ارجع اليه وقل له * عليكم من أهله
فرجعت الى الفتى فاخبرته
بالجواب فشهق شهقة فمات وعدت
الى القوم فاخبرتهم بذلك فوجدت
الصراخ فى الدار وقدماتت الجارية
(ومنهم شهيدان) ذكر الاصمعى انه
رأى بالبادية رجلا قد دق عظمه ونحل
جسمه ورق جلده فتعجبت منه ودنوت
منه لاسأله عن حاله فقالوا أذكر له شيأ
من الشعر يكاملك فقلت
سبق القضاء باننى لك عاشق
حتى الممات فاين منك المذهب
فشهق شهقة ظننت ان روحه قد فارقته
ثم أنشأ يقول
أحلو بذكرك لا أريد محدثا
وكفى بذلك نعمة وسرورا
أبكى فيطربنى البكاء وتارة
يدنى فيأتى من أحب أسيرا
فاذا أتى سمعى بفرقة بيننا
أعقبت منه حسرة وزفيرا
فقلت له أخبرنى عنك فقال ان كنت
تريد علم ذلك فاحملنى وألقنى على باب
تلك الخيمة ففعلت فانشأ يقول بصوت
ضعيف
ألا ما لمليحة لاتعود
أبخل ذاك منها أم صدود
فلو كنت المريضة كنت أسعى
اليك ولم ينهنى الوعيد
فاذا جارية مثل القمر قد خرجت
فالقت نفسها عليه فاعتنقا وطال ذلك

سلام كاسقاط الندى تحت ليلة * سرى حيث لم يعلم اليه طريق

(ابن نباتة) خضبت باحمرك النضار معاصما * كالماء فيه رونق وصفاء

واهالمن معاصما مخضوبة * سال النضار بها وقام الماء

(الشريف المقدسى)

تقمعت بسويداقلب عاشقها * أنامل بدم العشاق تختضب

فى كل أنملة ليل بمشفق * كأنه البسر فى أطرافه الرطب

(الشواء) محجبة لها خال كمسك * على خد أشف من الزجاج

بدت والنقش يحكى فى يديها * محزم آبنوس فوق عاج

(على بن عباس الرومى)

سقى الله قصرا بالرصافة شاقنى * باعلاه قصرى الدلال رصافى

أشار بقضبان من الدر قمعت * يواقيت حمرا تستبيح عفافى

(الصنوبرى)

بسطت أنامل لؤلؤ أطرافها * فيها تطاريف من المرجان

وتقنعت لك بالدجى فوق الضحى * وتنقبت بشقائق النعمان

(محمد بن عياض)

علقتها قتانة أعطافها * تزرى بغصن البانة المياد

من للغزالة والغزال بحسنها * فى الخد أو فى العين أو فى الهادى

خضبت أناملها السواد وقلما * أبصرت أقلاما بغير مداد

(ابن الوردى)

مصرية كأنها * بدر تجل من خلق تملقت مكرا ولا * ينكر من مصر الملق

(وله أيضا) ياليتنى حاشيت زركشت * يوما بكفى هذه الجاريه

قد أصبحت فى الحسن سلطانة * تفرق التبر على الحاشيه

(وله أيضا) عوادة عوادة * بالنغم الملذ قالت لنا أوتارها * أنطقنا الله الذى

(الشهاب الحجازى)

فى ثوبها الخمر قد اقبلت * بوجنة حمراء كالجمر

فلت سكرا حين أبصرتها * لا تنكر واسكرى من الخمر

(ابن تميم) جاءت بعود كلما لعبت به * لعبت بى الاشجان والتبريح

غنت بجاوبها ولم يك قبلها * شجر لا راك مع الحمام ينوح

(الصلاح الصفدى)

أتقنا بعود حركته أنامل * هى الماء لطفا فى اتباع الاناشيد

يكاد وقد جست ملاويه يكتسى * بأوراقه لما جرى الماء فى العود

(ومما يلحق بهذا الفصل التلميح)

وهو نوع لطيف جليل المقدار فى البديع عظيم الفائدة فى الايصال الى المطلوب من نحو نكاية الخصم وبلوغ الارب من فوى الفهم ولم تدر الاغبياء وجل علماء المعانى على ان التلميح برادفه والصحيح انه أخص فن طريق ماحكى فيه ان أبا العلاء المعرى حضر مجلس

وسترتهما بثوبى خشية ان يراهما الناس فلما خفت عليهما الفضيحة فرقت بينهما فاذا هما ميتان فسألت عنهما فقيل هذا عامر بن غالب وهذه جميلة ابنة عمه قال الاصمعى فتركتهما وانصرفت ذكرهما الحافظ أحمد بن محمد بن على الابنوسى فى أخباره (ومنهم شهيدان) ذكر ابن دريد عن الرقاشى قال قال عسكر بن الجميح الاسدى كان لى صديق من الحى وكان شابا جميلا يعشق ابنة عم له وكانت له محبة وكانت هيبة عمه تمنعه ان يخطبها فحجبت عنه فكان يأتينى فيشكو شوقه الى فالبث ان مرض عمه مرضا شديدا فكان الفتى يدخل اليه فيشتفى بالنظر اليها ثم يخرج الى مسرورا الى أن برئ عمه فقال

أبكى من الخوف ان يبرى فيحجبها

ولست أبكى على عمى من الجزع

لا مات عمى ولا عوفى من الوجع

وعاش ما عاش بين اليأس والطمع

فخطبت الجارية وزوجها أبوها فجاءنى الفتى فودعنى وقال هذا وداع لا نتلاقى بعده أبدا فناشدته فاذا الجزع قد حال دون فهمه فقلت وأين تذهب فقال أذهب ما وجدت أرضا ونهض وكان آخر العهد به ولقد التمس عمه آفاق البلاد فما قدر عليه ولم يطل عمر الجارية بعده حتى ماتت حزنا عليه (ومنهم قتيلان) ذكر الجاحظ ان محمد بن حبيب الطوسى كان جالسا مع ندمائه وقد أخذت الشراب برؤسهم اذ غنت جارية له من وراء ستارة

يا قمر القصر متى تطلع

أشقى وغيرى بك يستمتع

ان كان ربى قد قضى كل ذا

منك على رأسى فما أصنع

الشريف الموسوي فنال من المتنبي وكان أبو العلاء ينتصر له فقال للشريف لو لم يكن من شعره الا قوله * لك يا منازل في القلوب منازل * لكفاه فأمر به فسحب على وجهه وعوتب الشريف في ذلك فقال انما قصد قوله في القصيدة

واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني كامل

وأثنى سيف الدولة يوما على المتنبي فبالغ وكان الرفاء حاضرا فقال أشتهي ان تنتخب قصيدة من كلامه وتأمرني بمعارضتها لتعلم انك أركبته في غير سرجه فقال بديهة عارض قوله * لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي * قال الرفاء فتصفحتها فلم أجدها كبير أمر فعلمت ان هناك نكتة فأعملت الذهن في اخراجها فاذا أنا به قد أراد قوله

اذا شاء ان يلهو بلحية أحمق * أراه غباري ثم قال له الحق

(وحكي) أن ولادة بنت عبد الرحمن بن الحكم كانت من أظرف نساء زمنها وكان لها بعد ان قعد بها الدهر ولوع بالوزير أبي الوليد فكتبت اليه وقد غضبت منه

ان ابن زيدون على فضله * يلهج بي شتما ولا ذنب لي
يلحظني شزرا اذا جئته * كأنني جئت لأخصي علي

أشارت بذلك الى عبد للوزير كان متهما به * ودعت امرأة للرشيد يوما فقالت أتم الله أمرك وفرحك بما آتاك وزادك رفعة لقد عدلت وقسطت فقال لجلسائه ما أرادت هذه قالوا خيرا فقال انها تدعو علي فان قولها أتم الله أمرك تريد قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

وقولها فرحك الله بما آتاك تريد قوله عز وجل حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وقولها وزادك رفعة تريد قول الشاعر ما طار طير وارتفع * الا كما طار وقع
وقولها لقد عدلت وقسطت تريد قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم استقرها فأقرت فقال وما دعاك الى ذلك قالت قتلت رجالي وأخذت أموالي فقال ممن أنت قالت من بني برمك فقال أما الرجال ففاتوا وأما المال فيأتيك ورده اليها وسأل أحد الظرفاء امرأة ملفوفة في كساء فقال من أنت فقالت انا السادس في السابع تريد قول ابن سكرة

جاء الشتاء وعندي من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا

ومثله ما حكاه ابن الجوزي قال التقى رجل وامرأة على جسر بغداد فقال الرجل رحم الله ابن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعري وافترقا فتبعها رجل فقال لها أقسمت عليك الا ما أخبرتني ما أراد وأردت فقالت أراد بابن الجهم قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت بقول أبي العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

ومن دقيق الاشارات ان المتنبي مدح بعض أعداء ملكه فغضب عليه وهم ان يقتله فهرب فأمر الملك بعد مدة كاتبه ان يلطف له القول ليأتي فيخدعه وكان الكاتب يحب المتنبي ولم تسعه المخالفة فكتب في آخر الكتاب قد عفونا ان شاء الله وشدد النون فلما وقف عليه رحل وأرسل الى الكاتب الكتاب وقد زاد ألفا بعد النون المشددة وهذه من ألطف

قال وعلى رأس محمد غلام على أحسن ما يكون من الجمال وبيده قدح فوضع القدح من يده وقال نصنعين مثل ذا ورمى بنفسه من الدار الى الدجلة فلما رأت الجارية ذلك هتكت الستارة ورمت بنفسها على أثره فغرقا جميعا قال الحافظ فقطع محمد الشراب بعد ذلك شهرا (ومنهم شهيد) قال محمد بن بشر الانصاري وليت صدقات بني عذرة فبينما أنا بينهم واذا بشيء يختلج تحت ثوب فأقبلت وكشفت عنه واذا رجل ليس يرى منه سوى رأسه وعينيه فقلت ما بك فقال

كأن قطاة علقت بجناحها
على كبدي من شدة الخفقان
* جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد ان هما شفياني

قال ثم تنفس حتى ملأ الثوب الذي كان فيه ثم خمد فنظرت فاذا هو قد مات فقيل هذا عروة بن حزام العذري (ومنهم شهيد) يروى ان الحكم ابن عمر الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير ببعض كور خراسان وهو واليها فسمع رجلا يتغنى

تعز بصبر لا وربك لا ترى
بشام الحمى أخرى الليالي الغوابر
كأن فؤادي من تذكره الحمى
وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

فوقف وقال علي بالرجل فجيء به فقال ويحك من أنت قال انا رجل من أهل نجد بن عامر بن صعصعة فقال له فهل لك في الحمى فقال مالي الى ذلك سبيل ولي بتلك البلاد أهل وولد قال الحق الى أهلك وولدك فقال لا حاجة [illegible] فقال ليس من ذلك بد وأمر به

الاشارات فان الكاتب أراد بان قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك
من الناصحين وأراد المثنى بزيادة الالف قوله تعالى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها

(ومما ينسج فى هذا النمط ما سمته العرب بالملاحن)

قال العلامة السيوطى عن ابن دريد أنه مشتق من اللحن يعنى الفطنة وان فائدتها
التخلص من ان شوطة التعسف مع الامن من المؤاخذة عند الاحجاء (قيل) أسر شخص
من تميم عند بكر بن وائل أو سعد بن ضبيعة وعزموا على غزو قومه فطلب من يرسله الى
أهله لحاجة فقالوا ليكن بحضرتنا لئلا تنفرهم قال لكم ذلك فأتوه بولد فقال أخاف ان
يكون أحمق فقال الرسول ما أنا أحمق وانى لمبلغ ما تقول فقبض من الرمل قبضة فقال له كم
هذه قال لا أدرى وانها لكثيرة فقال له النيران أكبر أم الكواكب قال الكواكب وكل كبير فأومأ
الى الشمس وقال ما هذه قال الشمس فقال انك عاقل بلغ قومى التحية وان يكرموا الاسير
فان قومه يكرمونى وان يعروا ناقتى الحمراء فقد أطالوا ركوبها ويركبوا جملى الاصهب وقل
لهم قد اربى العرفج واشتكت النساء يأتيهما أكلت معكم الحيس واسألوا الحرث عن خبرى
فلما وقفوا على الكلام قالوا قد جن الاعور بعدنا اذ لم نعرف له ناقة ولا جملا وصرفوا
الرسول ودعوا الحرث فلما قصوا عليه القول قال قد أنذركم فقوله اكرموا الاسير يعنى
استكثروا من الزاد ومن علف الدواب وتهيؤا للرحيل فانهم عازمون على ان يدهموكم
بخيل ورجل والرمل عدد القوم الذين يغزونكم منهم وان ذلك واضح كالشمس والناقة
الحمراء الدهناء والجمل الاصهب الصمان يقول اعدلوا عن السهل الى الجبل وأربى
العرفج يعنى لبس الرجال السلاح واشتكت النساء جلت الشكاء وهى قرب صغار يحمل
فيها المسافرون الماء والحيس كناية عن اخلاط الرجال فعملوا بقوله فنجوا (ومن ذلك)
أمثلة ينتفع بها فى التورية عند الحاجة كقولك ما سألت فلانا حاجة ضربا من شجر شائك
ولا رأيته أى ضربت رئته ولا كلمته أى جرحته ولا أعلمته أى شققت شفته العليا ولا
أخذت له شعيرة أى رأس مسمار فضة ولا ثوبا أى قطعة من أقط ولا كسرت له سنا أى قطعة
عشب ولا ضرسا أى قطعة من المطر ولا ابست له جبة شئ يستتر به السنان ولا أخذت له جارا
ولا أتانا صخرتان معروفتان ولا عنزا أكمة سوداء ولا دجاجة كبة من غزل ولا فروجا مدرعة
ولا جشة صوف كالحلقة ولا ظلمته أى ما سقيته لبنا ولا جلست له على حصير لحمة فى جنب
الفرس ولا أخذت له جرابا ما حول البئر ولا بيضة يعنى الخوذة ولا فرخا هامة الدماغ ولا
فروة جلدة الرأس ولا ابرة عظم المرفق ولا فأسا عظم القفا ولا كذبت جعت ولا لى عنده خط
سيف البحر ولا وطئت له أرضا باطن حافر الفرس ولا لعبت سال لعابى ولا رويت
الحديث شددته بالرواء وهو الحبل ولا رأيت بطنا ولا فخذا قبائل ولا ساقا ذكر الحمام ولا
رجلا قطعة الجراد ولا وجها أى قصدا ولا أبصرته أى رأيت قشرا على الجلد *(خاتمة)*
تشتمل على لطائف متفرقة تروق بها المسامع وتزين بها المجامع (حكى ولد الفرزدق) قال
اجتمع أبى وجميل وجرير وكثير ونصيب الموسم فقال بعضهم لبعض لا تجتمعون مثل
هذه فهلموا نفعل شيأ نذكر به فى الزمان فقال جرير هل لكم أن نسلم على سكينة بنت الحسين
فلعلها ان تكون سببا لما أردتم فقالوا نعم الرأى وانطلقوا فطرقوا الباب فخرجت جارية
ظريفة فبلغتها كل السلام فدخلت ثم عادت فقالت أيكم القائل

ان يحمل فاضطرب فى أيديهم حتى مات
(ومنهم شهيد) عن الاصمعى قال
خرجت أريد بعض أحياء العرب
فادركنى الليل فأويت الى جبانة
فتوسدت قبرا فسمعت بالليل قائلا
يقول من القبر

أنعم الله بالحبيبين قبرا
وبمسراك يا سعاد الينا
وحشتما الغيث من خلل القبر
وعسى ان نزال أو ان تزينا

قال فأرقت ليلتى فلما أصبحت دخلت
الحى واذا بجنازة قد أقبلت فسألت
عنها فقيل هذه سعاد كانت تحب ابن
عم لها فتعاقدا على الوفاء فلم تزل باكية
بعد ان مات وها هى قد لحقت به فتبعتهم
حتى دفنت الى جانب القبر الذى بت
عنده واذا هو قبر ابن عمها فاخبرتهم
بما سمعت فتعجبوا من ذلك (ومنهم
شهيد) حكى الفرزدق قال ابق غلام
لرجل من بنى نهشل فخرجت فى طلبه
أريد اليمامة فلما صرت على ماء لبنى
حنيفة ارتفعت سحابة وامطرت فعدلت
الى بعض ديارهم فسألتهم القرى فأجابوا
فانخت ناقتى تحت بيت لهم من جريد
النخل وفى البيت جويرية سوداء
فخرجت جارية كأنها قمر فسألت
الجارية السوداء لمن هذه الناقة فاشارت
الى وقالت اضيفكم فعدلت الى وسلمت
وقالت ممن الرجل قلت من بنى نهشل
قالت فانتم الذى يقول فيكم الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا
بيتا دعائمه أعز وأطول

قلت نعم فضحكت وقالت فان جريرا قد
هدم عليه بيته حيث يقول

أخزى الذى سمك السماء مجاشعا
واحل بيتك بالحضيض الاوهد

سرت الهموم فبتن غير نيام * وأخو الهموم يروم كل مرام
دوست معالمها الرواسم بعدنا * وسجال كل مجلجل سجام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعي بسلام
يجري السواك على أغر كأنه * برد تحدر من متون غمام
لوكنت صادقة بما حدثتنا * لوصلت ذاك وكان غير رمام

قال جرير أنا قلته قالت فما أحسنت ولا أجدت ولا صنعت صنع الحر الكريم لا ستر الله عليك كما هتكت سترك وسترها اما أنت بكاف ولا شريف حين رددتها وقد تجشمت اليك هول الليل هلا قلت

طرقتك صائدة القلوب فرحبا * نفسي فداؤك فادخلي بسلام

خذ هذه الخمسمائة درهم فاستعن بها في سفرك ثم انصرفت الى مولاتها وقد أفحمنا وكل من الباقين يتوقع ما يخجله ثم خرجت فقالت أيكم القائل

ألا حبذا البيت الذي أنا هاجره * فلا أنا ناسيه ولا أنا ذاكره
فبورك من بيت وطال نعيمه * ولا زال مغشيا وخلد عامره
هو البيت بيت الطول والفضل دائما * وأسعد ربي جد من هو حافره
به كل موشي الذراعين يرتعي * أصول الخزامى ما ينفر طائره
هما دليتاني من ثمانين قامة * كما انقض باز اقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا * أحي يرجى أم قتيل نحاذره
فأصبحت في أهلي وأصبح قصرها * مغلقة أبوابه ودساكره

قال أبي يعني الفرزدق أنا قلته فقالت ما وفقت ولا أصبت أما أبيت بشعر يضلك من عودة صدق محمودة خذ هذه الستمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل

فلولا أن يقال صبا نصيب * لقلت بنفسي النشأ الصغار
بنفسي كل مهضوم حشاها * اذا ظلمت فليس لها انتصار

فقال نصيب أنا قلته فقالت أغزلت وأحسنت ولا أكرمت لانك صبوت الى الصغار وتركت الناهضات بأحمالها خذ هذه السبعمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل

وأعجبني ياعز منك خلائق * كرام اذا عد الخلائق أربع
دنوك حتى يذكر الجاهل الصبا * ومدك أسباب الهوى حين يطمع
وانك لا تدري غريما مطلته * أيشتد ان لاقاك أو يتضرع
وانك ان واصلت أعلمت بالذي * لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع

قال كثير أنا قلته فقالت أغزلت وأحسنت خذ هذه الثمانمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم خرجت فقالت أيكم القائل

لكل حديث بينهن بشاشة * وكل قتيل بينهن شهيد
يقولون جاهد يا جميل بغزوة * وأي جهاد غيرهن أريد

قال فاعجبني فلما رأت ذلك في وجهي قالت أين تريد قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكرى
بها أهل المروءة والكرامة
ألا فسقى الاله سحاب غيث
يجود بسحه بلد اليمامة
وحيا بالسلام أبا نجيد
وأهلا للتحية والسلامه

قال فانست بها وقلت ذات خدر أم ذات بعل فقالت

اذا رقد النيام فان عمرا
لكالقمر المنير المستنير
ومالي في التبعل من مراد
ولو رد التبعل لي أسيري

ثم سكتت كأنها تسمع كلاما ثم أنشأت تقول

تخيل لي أبا عمرو بن كعب
كأنك قد حملت الى السرير
فان تك هكذا يا عمرو اني
مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت فتصارخ النساء وسألت عنها فقيل انها عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر وسألت عن عمرو فقيل لي ابن عمها كان يحبها وتحبه فدخلت اليمامة فسألت عن عمرو فاذا به قد مات في ذلك الوقت من ذلك اليوم قال صاحب منازل الاحباب وهذه الحكاية أعجب من جميع ما تقدم فان كلا من أولئك حصل له الموت عند تحقق اليأس من محبوبه اما بما يتسمونه أو اخباره بذلك لان من الحكماء من يذكر ان روعة فقد الالف وتحقق اليأس يغمران القلب وهلة واحدة فتحقن عنه مادة النفس فيضعف القلب عن دفع ما دهمه فينقبض الدم

وأفضل

وأفضل أيامي وأفضل مشهدي * اذا هيج بي يوما وهن قعود

فقال جميل أنا قلته قالت أغزلت وأحسنت وكرمت وعففت أدخل فلما دخلت سلمت فقالت سكينة أنت الذي جعلت قتيلنا شهيدا وحديثنا بشاشة وأفضل أيامك يوم تذب عنا وتدافع ولم تتعد ذلك الى قبيح خذ هذه الالف درهم وابسط لنا العذر أنت أشعرهم وهذه الحكاية هي التي سبقت الاشارة اليها في فصل الخيال من الباب الخامس واجتمع كثير وجميل وعمر بن أبي ربيعة عند عبد الملك فقال أنشدوني أرق بيت قلتم فانشد جميل

حلفت يمينا يا بثينة صادقا * فان كنت فيها كاذبا فعميت

ولو ان جلدا غير جلدك مسني * وباشرني دون المشار شريت

ولو أن راقي الموت يرقي جنازتي * لمنطقها في الناطقين حييت

(وأنشد كثير)

بابي وأمي أنت من مظلومة * طبن العدو لها فغير حالها

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

وسعى الي بصرم عزة نسوة * جعل المليك خدودهن نعالها

(وأنشد ابن أبي ربيعة)

ألا ليت قبري يوم تقضى منيتي * بتلك التي من بين عينيك والفم

وليت طهوري كان ريقك كله * وليت حنوطي من مشاشك والدم

ألا ليت أم الفضل كانت قرينتي * هنا أوهنا في جنة أو جهنم

فقال اعط صاحب جهنم عشرة آلاف درهم * وسمع الحسن جارية تنشد وهي طائفة بالبيت

لا يقبل الله من معشوقة عملا * يوما وعاشقها غضبان مهجور

وليس يأجرها في قتل عاشقها * لكن عاشقها في ذاك مأجور

فقال لها أفي هذا المكان يقال هذا قالت ألست طريفها قال بلى قالت هل تروي الشعر قال نعم قالت أما سمعت قولهم

بيض غرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الكلام زوانيا * ويصدهن عن الخنا الاسلام

واستحضر الرشيد الرقاشي ومصعبا وأبا نواس فقال أجيزوا * كلام الليل يمحوه النهار * البيت الذي قالته الجارية التي لقيها بعد غضبه عليها فسألها لوصل فوعدته الى وقت فلما جاء أنشدته المصراع المذكور فقال الرقاشي ومصعب أبياتا لم تناسب المقام وأنشد أبو نواس

وليلة أقبلت في القصر سكرى * ولكن زين السكر الوقار

وقد سقط الردا عن منكبيها * من التخميش وانحل الازار

وهز الريح أردافا ثقالا * وغصنا فيه رمان صغار

فقلت الوعد سيدتي فقالت * كلام الليل يمحوه النهار

فقال له كأنك كنت حاضرا معنا وأمر له بعشرة آلاف درهم ولكل من الآخرين بخمسة وأرق الرشيد ليلة فقام يمشي في المقاصير فرأى جارية لطيفة الشكل بديعة المنظر فايقظها فقالت وقد علمت به (يا أمين الله ما هذا الخبر) فقال

هو ضيف طارق حيكم * يرتجي المأوى الى وقت السحر

وتذهب الروح واما فسد المقتول نفسها الى أن رفع بينها وبين محبوبها حجاب البعد ولم يبق لنفسها امادة الاعماد يردعليها من ذلك الانس وكان بمنزلة المصباح الذي للبصير فلما ذهب عن القلب أحسن بفقده كما يحس البصير بذهاب نور المصباح اذا طفئ (ومنهم شهيد) قال في منازل الاحباب ومن ألطف ما وجدته من أخبار المتأخرين في تحليهم بالعفاف واتصافهم باحسن الاوصاف ما يحكى عن بعض الفضلاء المغاربة وهو محمد بن القاسم النحوي انه هوى فتى من ولد الجند فكتم هواه وأخفى ضناه الى أن عيل صبره ونفث الدم فيه بل صدره ومات على كتمانه ولم يبح بشانه فمن قوله فيه

هذا خيالك في الجفون يلوح

لو كان في الجسم المعذب روح

يا سالما أكابد في الهوى

هل يشتفي من قاتلي التبريح

غادرتني غرض الردى وتركتني

لا عضو لي الا وفيه قروح

لله ما فعلت لحاظك في دمي

لو بلغت جسمي الردى فتريح

لو عاينت عيناك قذفي من في

كبدي ودمعي مع دمي مسفوح

لرأيت مقتولا ولم تر مقتلا

ولخلت اني من في مذبوح

قل للذي علقت به منيتي

أأباح قتلي يا ظلوم مبيح

كبدي على صدري يذوب الى متى

أغدو وأعزب في الهوى وأروح

(ومنهم شهيد) قال عبد الحق في العاقبة ابتلى الله بالعشق من الجنة وعاقبه بان كان مغرما بجارية له تسمى غادر وكانت أحسن أهل زمانها

(فقالت) بسرور وسيدى أخدمه * ان رضى بى و بسمعى والبصر

فلما أصبح أحضر أبانواس وقال له أجز (يا أمين الله ماهذا الخبر) فانشد

طال ليلى حين وافانى السهر * فتفكرت فاحسنت الفكر

قمت أمشى فى مكانى ساعة * ثم أخرى فى مقاصير الحجر

واذا وجه جميل حسن * زانه الرحمن من بين البشر

فلمست الرجل منها موقظا * قرنت نحوى ومدت لى البصر

وأشارت وهى لى قائلة * يا أمين الله ماهذا الخبر

قلت ضيف طارق حيكم * يرتجى المأوى الى وقت السحر

فاجابت بسرور سيدى * أخدم الضيف بسمعى والبصر

فقال له أكنت معنا قال لا ولكن ألجانى الشعر الى ذلك فاحسن صلته

(فصل فى النوادر والحكم)

(نادرة) قال اسحق غنيت الرشيد ليلة حتى نام فجلست أنتظر انتباهه والعود فى يدى واذا بشاب على أجمل ما يكون من الهيآت قد دخل على فاصلح العود بعد ماشرب وأنشد

ألا غنيالى قبل ان تتفرقا * وهات اسقنى صرفا شرابا مروقا

فقد كاد ضوء الصبح ان يفضح الدجى * وكاد قميص الليل أن يتمزقا

ثم قال هكذا غن الخلفاء وغاب وقد ذهب عقلى من حسن غنائه فلما أفاق الرشيد قصصت عليه القصة وغنيته الصوت فاحسن صلتى وقال ليته متعنا بغنائه ولم يرنا شخصه قال اسحق فذكرت بهذه ماحكاه لى أبى انه استوهب الخليفة يوما يخلو به مع أهله فوهبه السبت لانه كان يستقبله فخلا ابراهيم يوما وقد زين بيته وحرمه وأتقن طعاما وشرابا وأوصى بحفظ الابواب من أحد يدخل فبينما هو جالس على أحسن ما يكون اذا بشيخ عليه قلنسوة وثياب ناعمة وبيده عكازة وقد عبقت رائحة الطيب منه فسلم بلطف ثم جلس قال ابراهيم فكدت أن أقضى فروضت نفسى فذاكرنى الادب وأيام العرب حتى ظننت ان غلمانى حيونى به لما رأوا من ظرفه ثم قال بعدما أبى من الطعام وأخذ شيأ من الشراب هل لك ان تغنى شيأ مما دققت به فتجشمت المشقة وغنيت فقال أحسنت يا ابراهيم فزاد غضبى ثم استأذننى فى الغناء فاذنت له متعجبا من تجريه بحضرتى فاصلح العود وأنشد

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح

أباها على الناس ان يشترونها * ومن يشترى ذا علة بصحيح

أئن من الشوق الذى فى جوانحى * أنين غصيص بالشراب جريح

(ثم غير الصوت وغنى)

ألا يا حمامات اللوى عدن عودة * فانى الى أصواتكن حزين

فعدن فلما عدن كدن يمتننى * وكدن باسرارى لهن أبين

دعون بترداد الهدير كأنما * شربن حميا أو بهن جنون

فلم ترعينى مثلهن حمائما * بكين ولم تدمع لهن عيون

فوالله ماسمعت باحسن منه ولقد خلت ان العود والجدار ينطقان معه ثم غاب فخرجت مغضبا وسألت عن الشيخ فقالوا نعيذك بالله لم يدخل أحد فرجعت واذا بهاتف من جانب

وأطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له مابال أمير المؤمنين فقال وقع فى فكرى أنى أموت وان أخى هرون يلى الخلافة ويتزوج غادر افامضوا فأتونى برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ماخطر بباله فلم يزل هرون يترقق له فلم يقنع بذلك وقال لا أرضى حتى تحلف لى بكل ما أحلفك به انى اذامت لا تتزوج غادرا فرضى بذلك وحلف ايمانا عظيمة ثم قام ودخل الى الجارية وحلفها أيضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك شهرا حتى مات وولى هرون الخلافة وطلب الجارية فقالت يا أمير المؤمنين كيف نصنع بالايمان التى حلفنابها فقال قد كفرت عنى وعنك ثم تزوج بها ووقعت فى قلبه موقعا عظيما وافتتن بها أحسن من أخيه الهادى حتى كانت تسكر وتنام فى حجره فلا يتحرك ولا يتقلب حتى تنتبه فبينما هى فى بعض الليالى فى حجره اذا انتبهت فزعة مذعورة فقال لها مابالك فدتك روحى فقالت رأيت أخاك الهادى فى المنام وأنشدنى

أخلفت وعدى بعدما * جاورت سكان المقابر

ونسيتنى وحنثت فى * ايمانك الزور الفواجر

ونكحت غادرة أخى * صدق الذى سماك غادر

لايهنك الالف الجديد * ولاتدر عنك الدوائر

ولحقتنى قبل الصبا * ح وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عنى وكأن الابيات مكتوبة فى قلبى مانسيت منها كلمة

البيت يقول لا بأس عليك ما كان ضيفك الا ابليس فركبت الى الرشيد فحدثته بالقصة وأخبرته ان الشيخ أخبرني إني احكمت الغناء وغنيته كما سمعت فاحسن صلتي (وحكي) عنه في الاصل أيضا وفي غيره عن ولده اسحق قال اصبحت في يوم مطير أيقنت فيه ان لا يأتيني احد فصنعت لنفسي ماشئت من طعام وشراب وجلست في سرور حتى ولى النهار فذكرت جارية أهواها فقلت لو كانت عندي لكمل سروري فما أكملت القول حتى جاء في غلام فقال فلانة بالباب فوثبت لم أملك نفسي فاذا بغرس التمني قد أثمر فاعتنقتها وقد بلها المطر فخلعت ماعليها وألبستها بدلة تليق بها وجئت بماء ساخن وغسلت رجليها بيدي وقلت ما الذي جاء بك في هذا الوقت قالت جاءني رسولك مرتين يخبرني انك تشكو الحرقة فكرهت ان أقول ما أرسلت أحدا فخلست وأخذت العود فغنيت

توسدها كفي وبت ضجيعها * وقلت لليلي طل فقد رقد الفجر
بوجه اذا ما غاب عني حكاه لي * وان لم يكن في حسن صورته البدر
فلما اضاء الصبح فرق بيننا * وأي نعيم لا يكدره الدهر

فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا شيخ حسن الهيئة فجلس معنا فقالت هذا رسولك الي فانكرت ان لم اعرفه وعجبت من دخوله لان المفاتيح عندي هكذا في الاصل وفي غيره ان الجارية حين استقر بها الجلوس قالت أريد من يغني قال اسحق انا فقالت لا انت ولا انا ولكن أخرج فالتمس لنا أحدا فخرجت طاعة لها فاذا أنا بشيخ أعمى وهو يقول لا جزى الله من كنت عندهم خيرا ان غنيت لم يسمعوني وان سكت استخفوا بي فقلت له هل تكون عندنا الليلة فقال خذ بيدي ان شئت فلما دخلنا وجلس قال لي غن فحين غنيت قال قاربت ان تكون مغنيا فكدت ان أموت ثم سأل الجارية فغنت فقال ماجئت بشئ فقالت هذا ما عندنا فهات ما عندك فطلب عودا جديدا فاصلحه وكانت الجارية حين طرقت الباب قالت أيدخل محبوب على الباب واقف فانشد الشيخ

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف * حبيب بأوقات الزيارة عارف
وما راعني الا السلام وقولها * أيدخل محبوب على الباب واقف

فحين سمعت ذلك الجارية قالت قد ضاق صدرك بكلمة فلم ازل اترضاها واحلف إني لم اقل واتقرب اليها بالتقبيل ودغدغة الثديين حتى ضحكت فغنى الشيخ

ألا ربما زرت الملاح وطالما * لمست بكفي البنان المخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم ازل * أعضعض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها أنا أعلمته بذلك فاطمأنت ثم قام الى الخلاء وابطأ فطلبناه فلم نجده فعلمت انه أبو مرة فتمثلت بقول أبي نواس

عجبت من ابليس في كبره * وخبث ما اظهر من نيته
أبى على آدم في سجدة * وصار قواد الذريته

(قال بعض الادباء) كان أبو نواس أول من فتح هذا الباب على ابليس فكثرت فيه الاقوال من الشعراء

(لطيفة ووصية) قال بعض الحكماء لولده ونقله في الاحياء لا تتزوج خنانة يعني الى ولدها الذي من الزوج السابق ولا منانة يعني ذات المال التي تعطي الزوج شيأ تمن به

فقال هذه أحلام الشيطان فقالت كلا والله يا أمير المؤمنين ثم انها اضطربت بين يديه حتى ماتت في تلك الساعة فلا تسأل عن حال هرون وما لقي بعدها (ومنهم قتيل) أخبرنا الشيخ الامام الحافظ علاء الدين أبو عبد الله مغلطاي بسنده عن أبي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي الطبيب الاديب قال كنت اختلف في النحو الى محمد بن الخطاب في جماعة وكان معنا عنده أبو الحسن أسلم ابن سعيد الاسلمي قاضي قضاة الاندلس وكان اجمل ما رأته العيون واحمد بن كليب كان من أهل الادب والشعر فاشتد كلفه باسلم ففارق صبره وصرف فيه القول متسترا بذلك الى ان فشت اشعاره وجرت على الالسنة ونوشدت في المحافل فلعهدي بعرس في بعض شوارع قرطبة والزامر يغني بقول احمد ابن كليب

اسلمني في هوا * ه اسلم هذا الرشا
غزال له مقلة * يصيب بها من يشا
وشا بيننا حاسد * سيسئل عما وشى
ولو شاء ان يرتشي
على الوصل روحي ارتشى

ومغن محسن يسايره فيها قال فلما بلغ اسلم هذا المبلغ انقطع عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوس على بابه وكان احمد بن كليب لا شغل له الا المرور على بابه سائرا ومقبلا نهاره كله فامتنع اسلم من الجلوس على باب داره نهارا فاذا صلى المغرب واختلط الظلام خرج مستروحا وجلس على باب داره فعيل صبر أحمد فتحيل في بعض الليالي ولبس جبة صوف من جباب أهل البادية واعتم بمثل عمائمهم وأخذ باحدى يديه دجاجا وبالاخرى قفصا

عليه ولا أمانة يعني على زوجها الاول وعليها نقل في تحفة العروس ان القدور بنت قيس
ابن خالد لما تزوج بها عمرو بن الجون بعد لقيط بن زرارة لم تزل تظهر الاسف على لقيط فخنق
عمرو وقال لها ويلك انه لم يجئ من بعض عبيدي فصفي لي بعض ما رأيت من حسنه
قالت تطيب يوما وجلس يتناول الشراب ولم يوقظني شفقة حتى انتبهت فاركبني وخرج الى
الصيد والزهو فلاحت غابة فيها أسدان فشد حتى قتل واحدا وجرح الى فضمني ضمة
وددت لومت فيها ففعل عمرو ذلك وضمها قال أين أنا من لقيط فقالت ماء ولا كصداء
ومرعى ولا كالسعدان وهو مثل سبق تقريره * وعن بعضهم كن فوق المرأة بالسن والمال
والحسب والا احتقرتك ولتكن هي فوقك بالصبر والجمال والادب والا احتقرتها
(عجيبة) قيل اعظم الولائم الاسلامية اثنتان احداهما وليمة زفاف الرشيد على زبيدة
كانت الهبات فيها غير محصورة حتى انهم كانوا يهبون أواني الذهب مملوأة بالفضة وأواني
الفضة مملوأة بالدنانير ونوافج المسك وقطع العنبر وجليت في درع من الدر لم يقدر أحد على
تقويمه وضبط ما خرج فكان خمسا وخمسين ألف ألف وثانيتهما وليمة بوران على المأمون
فرش فيها حصير منسوج بالذهب ونثر عليها من اللآلي ما اغنى خلقا كثيرا قال شارح
المقامات تقرر ما خرج من بيت المال فكان أربعين ألف ألف وقال غيره عن زبيدة سبعة
وثلاثين وأوقد فيها شمعة من العنبر زنتها ثمانون رطلا وكتب رقاعا باسماء ضيع ورساتيق
وصلات وجعلها في بنادق المسك في النثار فكان الذي يلتقط شيأ منها يحبس عليه وقيل
كان الحطب الذي أوقد فيها قد نقل على أربعة آلاف بغل أربعة أشهر ولم يكف حتى أوقد
الكتان (فائدة) في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من العجز
في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعرف اسمه وان يكرمه أخوه فيرد
عليه كرامته وان يقارب المرأة فيصيبها قبل ان يحادثها ويؤانسها فيقضي حاجته منها قبل
ان تقضي حاجتها منه وبهذا وافقت الحكمة السنة فان ابقراط يقول اكثر آفات قلة
الولادة من عدم الموافقة فمن لم يدركها بالمعرفة فعليه بالملاعبة ويكره الجماع في المحاق
وأول الشهر ما عدا رمضان قيل وليلة النصف
(لطيفة ووصية) قال بعض الحكماء خير النساء ما عفت وكفت ورضيت باليسير وأكثرت
التزين ولم تظهره لسوى زوجها وخير الرجال الذي لم يكل المرأة الى طلب شيء ولم يعصها
في الخلوة ولم يطعها في شهوة وقال بعض من شرح هذا الكلام المراد بعفت عن حصنت
الزوج من حسنها ان يطمح الى غيرها وكفت لسانها عن الاذى وبالتزين مطلق التلطف
ولو بالكلام المضحك المفضي للغضب فان غاية النساء السكون اليهن من الوصب وبقوله
لم يطعها في الشهوة يعني المعصية التي تبدلها كالخروج ورفع الصوت لا فيما تشتهيه من
مأكل وملبس فان قطع ذلك عنها اعانة لها على الفساد وزاد بعضهم ان لا يذكر الرجل
محاسن المرأة لاحد فان ذلك يؤول الى نزعها منه وعلى ذكر التحجب ولو بالكلام نقل ابن
الجوزي عن بعضهم قال قلت لجارية الا تلبسين الحلي قالت لا لانه يستر المحاسن كما يستر
القبائح وقلت لها اجلسي بنا في القمر فقالت ما أولعك بالجمع بين الضرائر وكسفت
الشمس يوما فقالت ما كسفت الا حياء مني
(لطيفة) اللذات أربع لذة ساعة وهي الجماع ولذة يوم وهي الحمام ولذة جمعة وهي

قيمة بيض وقمص جلوس اسلم عند اختلاط
الظلام على بابه فتقدم اليه وقبل يده
وقال يا مولاي تأمر من يقبض هذا
فقال له اسلم ومن أنت فقال اجيرك في
الضيعة الفلانية فأمر اسلم بقبض ذلك
منه على عادتهم وكان احمد قد عرف
اسماء ضياع اسلم والعاملين فيها عند
ورودهم منها فجعل يسأله عن الضياع
ضيعة ضيعة فلما جاوبه انكر الكلام
فتأمله فعرفه فقال له يا أخي بلغت
بنفسك الى ههنا تتبعني اما كفاك
انقطاعي عن مجالس الطلب وعن
الخروج جملة وعن القعود على بابي
نهارا حتى انقطعت عن جميع مالي فيه
راحة وقد صرت كأني في سجن والله
لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلي ولا
جلست بعدها على بابي ليلا ولا نهارا ثم
قام فانصرف احمد بن كليب كئيبا قال
محمد بن الحسين واتصل ذلك بنا فقلنا
لاحمد خسرت دجاجك وتقصد قال
هات كل ليلة قبلة في يده وأخسر اضعاف
ذلك قال فلما يئس من رؤيته البتة
نهكته العلة واضجعه المرض قال محمد
ابن الحسين فاخبرني شيخنا ابو عبد الله
محمد بن الخطاب انه عاده قال فوجدته
بأسوأ حال فقلت له ألا تتداوى فقال
دوائي معروف وأما الاطباء فلا حيلة
لهم في البتة فقلت له ما دواؤك قال
نظرة من اسلم فلو سعيت في ان يزورني
لاعظم الله أجرك بذلك وكان هو والله
يؤجر قال فرحمته وتقطعت نفسي له
فنهضت الى اسلم فاستأذنت عليه فأذن
لي وتلقاني بما أحب فقلت له لي اليك
حاجة فقال وما هي قلت قد علمت
ما جمعك مع احمد بن كليب من ذمام
التلمذة عندي فقال نعم ولكن قد

لنورة ولدة حول وهى تزويج البكر

(نادرة) * جاءت امرأة الى عمر فقالت يا أمير المؤمنين ان زوجى يصوم النهار ويقوم بالليل وكررت ذلك وعمر يقول فى كل مرة جزاك الله خيرا من مثنية على بعلها فقال كعب انها يا أمير المؤمنين تطلبه بحق الفراش فقال حيث فهمت ذلك فاقض بينهما فأحضر الزوج وقال ان امرأتك تشكوك فقال لم أقصر فى شئ فانشدت

يا أيها القاضى الحكيم رشده * الهى خليلى عن فراشى مسجده
نهاره وليله ما يرقده * فلست فى حكم النساء أحمده
زهده فى مضجعى تعبده * فاقض القضايا كعب لا تردده

(فقال زوجها)

زهدنى فى فرشها وفى الحجل * انى امرؤ أذهلنى ما قد نزل
فى سورة النمل وفى السبع الطول * وفى كتاب الله تخويف جلل

(فقال كعب) ان لها حقا عليك يا رجل * تصيبها فى أربع لمن عقل
قضية من ربنا عز وجل * فاعطها ذاك ودع عنك العلل
فان خير القاضين من عدل * وقد قضى بالحق جهرا وفصل

ثم قال ان الله أحل لك أربع نساء فاجعل لها ليلة من أربع فقال عمر رضى الله عنه لا أدرى أعجب من حلمك أم من فهمك وولاه البصرة

(وصية) قيل كانت العرب توصى بناتها وتوجب لالفة فتقول للواحدة كونى له أرضا يكن لك سماء وكونى مهادا يكن عمادا وأمة يكن عبدا وفراشا يكن معاشا ولا تقربى منه فيملك ولا تبعدى فينساك ولا تعاصيه شهوته وعليك بالنظافة ولا يرى منك لا حسنا ولا يشم الا طيبا ولا يسمع الا ما يرضى ولا تفشى سره فتسقطى من عينه ولا تفرحى اذا غضب ولا تغضبى اذا فرح (لطيفه) قال أبو العلاء أغزل بيت قول الاعشى

غراء فرعاء مصقول عوارضها * تمشى الهوينا كما يمشى الوجى الوحل

وأشجع بيت قوله

قالوا الطعان فقلت الكل عادتنا * أو تنزلون فانا معشر نزل

(أخرى) قيل تزوج يزيد بن عبد الملك بالحرماء فلما زفت اليه دخلت القهرمانة تصلح من شأنها فلطمتها أسالت دمها فقالت له ترسلنى الى مجنونة فدخل عليها فقال لاى شئ فعلت بالمرأة ما فعلت قالت أحببت ان لا ينظرنى غيرك فان رأيت حسنا كنت أول من نشره أو قبيحا كنت أول من ستره فعظمت عنده

(نادرة) قيل جلس المنصور فى قصره وقت ظهيرة فأشرف على رجل يتردد فى الطريق وعليه امارة الكرب فاحضره وسأله عن حاله فقال يا أمير المؤمنين أنا تاجر أملك ألف دينار وقد أحضرتها بالامس الى زوجتى وطلبتها اليوم فلم تجدها فقال هل تتهم على امرأتك شيأ قال لا فاستدعى الخليفة بقارورة طيب كان يصنع له بالخصوص فدفعها الى الرجل وقال له اجعلها عند زوجتك وأعلمها انى حبوتك بها وعادونى ففعل وأمر المنصور حراس الابواب ان يأتوه بمن يشمون منه رائحة هذا الطيب فما كان بأقرب من ان جاؤه بشخص فهدده وقال ائن لم تأتنى بالالف دينار التى أخذتها من موضع كذا لاضربن عنقك فجاء بها وأحضر

هذه الحالة التى هو فيها فنحو ...
والله ما أقدر على ذلك فلا ...
فقلت له لا بد من ذلك فليس عليك فى ذلك شئ وانما هى عيادة مريض قال فلم أزل به حتى أجاب فقلت فقم الآن فقال والله أفعل ذلك ولكن غدا فقلت له بلا خلاف قال نعم قال فانصرفت الى أحمد بن كليب فأخبرته بوعده بعد امتناعه فسر بذلك سرورا شديدا فلما كان من الغد بكرت الى أسلم فقلت له الوعد فوجم والله لقد حملتنى على خطة صعبة على وما أدرى كيف أطيق ذلك قال فقلت له لا بد ان توفى بوعدك لى فأخذت رداءه ونهض معى راجلا فلما أتينا منزل أحمد وكان يسكن فى آخر درب طويل وتوسطت الزقاق فوقف واحمر وخجل وقال لى يا سيدى الساعة والله أموت ولا أقدر أنقل قدمى ولا أستطيع أعرض هذا على لسانى قال فقلت لا تفعل بعد ان بلغت المنزل تنصرف فقال لا سبيل والله اليه ورجع هاربا فاتبعته فأخذت بردائه فتمادى وخرق الرداء وبقيت منه قطعة فى يدى لشدة امساكى به ومضى ولم أدركه فرجعت ودخلت على أحمد بن كليب قال وقد كان غلامه دخل اليه اذ رآنا من أول الزقاق مبشرا فقال لما رآنى فى تغير وجهه وقال وأين أسلم فأخبرته القصة فاستحال من وقته واختلط وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثر من التوجع فاستشنعت الحال وجعلت أتوجع وقمت قال فثاب اليه ذهنه وقال لى يا عبد الله قلت نعم قال اسمع منى واحفظ عنى ثم أنشأ يقول

أسلم يا راحة العليل
رفقا على الهائم النحيل
وصلك اشهى الى فؤادى
من رحمة الخالق الجليل

قال فقلت له اتق الله ما هذه العظيمة فقال لى قد كان قال فخرجت عنه فوالله ما توسطت الزقاق حتى سمعت

الخليفة التاجر وقال له هذا مالك قال نعم وقبل الارض فدفعه له وحكمه في زوجته

(فصل في المجون) قيل خضرت سوق عكاظ امرأة بنحيين أعني ظرفين من عسل فأتاها خوات بن جبير وكان فاتكا في الجاهلية فحل أحدهما وذاقه وأعاده فمسكته باحدي يديها وحل الآخر كذلك ثم أمسك رجليها وقضى وطره فحين فرغ قالت لاهنئت قال بل هنئت وأنشد

وشدت على النحيين كفي ضنينة * وأعجلتها والفتك من فعلاتي

وبهما ضرب المثل فقالوا اشغل من ذات النحيين وأظلم من خوات (قال الاصمعي) بينما نحن بطريق مكة اذا بأعرابي يقول من أحس من بعير بعنقه علاط وبأنفه خزامة يتبعه بكرتان سمراوان عهد العاهد به عند البئر فقالت جويرية على حوض أعزب يا فاسق لارد الله عليك ضالتك فقلنا مالك وان ينشد ضالته قالت انما ينشد ايره قوله علاط بالمهملة حبل يجعل في عنق البعير وسمراوان يريد اللون المعروف ويحتمل انه تثنية سمراء يعني الناقة وجيء لابن أبي مساحق بابن أخته وقد أحبل جارية فقال له هبلك ابتليت بالفاحشة فهلا عزلت فقال جعلت فداك بلغني ان العزل مكروه فقال وما بلغك ان الزنا حرام * وكان بمكة رجل تجتمع الرجال والنساء عنده للفساد فشكوه فنفاه الوالي الى عرفات فقال لاصحابه يوما ما يمنعكم ان تأتوا الي على العادة فقالوا كيف لنا بذلك فقال حمار بدرهمين وقد صرتم الى الامن والنزهة فقالوا صدقت وفعلوا فعاد أمره أعظم فرفعوه الى الوالي فقال ألم أنهك فقال أصلحك الله انهم يكذبون علي فقالوا للوالي أجمع حمير مكة وأرسلها فان لم تأت بيته فنحن كاذبون عليه ففعل فمضوا الى بيته فجرده ليضربه فقال أوضاربي أنت قال نعم فقال افعل فوالله مالي الا قول أهل العراق ان أهل مكة يحكمون بشهادة الحمير فضحك وخلى سبيله (وفي منازل الاحباب) قال غلام جئت حيا قد أزمعوا الرحيل وامرأة على أحسن ما يكون من الحسن والهيئة والثياب قد تخلفت لشيء أمرها فاجتنها يسيرا فقالت أيما أحسن عاريا الرجل أم المرأة فقلت الرجل قالت بل المرأة وان شئت علمت ذلك بان أتجرد وامشي الى تلك الاكمة وأعود وتعاهدني ان تفعل كذلك فعاهدتها وكمت حين بقل وجهي وأنا على أجمل ما يكون فتجردت عن محاسن تسر القلب وتملأ العين ومشت كما ذكرت وعادت وسألتني الوفاء ففعلت فلم أمش المسافة حتى تدرعت ثيابي واعتقلت سيفي واستوت على جملي ومضت فلم أجد حيلة الا أخذ ثيابها وجملها كذلك فكنت استحيي ان ألحق القوم وهم يصرخون علي حتى جاءت جارية فجذبت زمام البعير حتى أوصلتني اليهم فجاءت أمها فقالت أي بنية كم أتعبتنا في هذه الليلة وأدخلتني الستر فلما عرفوني واستخبروني عن القصة أخبرتهم بها فقالت لي أمها انها ذهبت الى صاحب لها وهذا وقت زفافها على رجل به لوثة تعني خبالا في عقله فهل لك ان تكون مكانها ساعة ولك عندي اليد البيضاء فأجبت الى ذلك فحين دخلت عليه ما نعته ساعة وأتت المرأة فخرجت * اشترى بعضهم عجلا فكان كلما ركبه يصرعه وهو يحسبه مهرا حتى نجمت قرناه * وفي الحلية عن الشافعي قال قيل للحطيئة وقد حضرته الوفاة بم توصي للمساكين قال بالمسئلة قيل فمالك قال للذكور دون الاناث فقالوا ما قال الله هذا فقال لكني أقوله ثم احملوني على حمار فانه لم يمت عليه كريم * وتزوج رجل اسمه حمار بامرأة من ولد دارا فأعجب بها فأمرته بتغيير اسمه فسمى نفسه بغلا فقالت له وخير لكنك لم تخرج من الاصطبل بعد * وأتى كفيف نخاسا فقال له أطلب لي

حمارا

أسلم عليه وقد فارق الدنيا وقال الحافظ أبو محمد وهذه قصة مشهورة عندنا ومحمد بن الحسن ثقة وأسلم هذا من بني خلف وكانت فيهم وزارة وحجابة وكان شاعرا وابنه الآن بالحياة وقال أبو محمد ولقد ذكرت هذه الحكاية لابي عبد الله محمد بن سعيد الخولاني الكاتب قال فعرفها وقال لقد أخبرني ثقة أنه رأى أسلم هذا في يوم شديد المطر لا يكاد أحد يمشي في طريق وهو قاعد على قبر أحمد بن كليب زائرا له وقد تحين غفلة الناس في مثل ذلك النهار ومما كتب به أحمد بن كليب الى أسلم المذكور وقد أهدى اليه فصيح ثعلب

هذا كتاب الفصيح بكل لفظ مليح
وهبته لك طوعا كما وهبتك روحي

(ومنهم قتيل) حدث الخالدي في كتاب الزيارات باسناد عن أبي بكر أحمد ابن محمد الصنوبري قال كان بالرها وراق يقال له سعيد وكان في دكانه مجلس كل أديب وقد كان أحسن الادب والفهم يعمل شعرا رقيقا فما كنا نفارق دكانه أنا وأبو بكر المعوج الشامي الشاعر وغيرنا من شعراء الشام وديار مصر وكان لتاجر بالرها نصراني من كبار تجارها ابن اسمه عيسى من أحسن الناس وجها وأحلاهم قدا وأظرفهم منطوقا وكان يجلس الينا ويكتب عنا من أشعارنا وجميعنا نحبه ونميل اليه وهو حينئذ صبي في الكتاب فعشقه سعيد الوراق عشقا مبرحا وكان يعمل فيه الاشعار كل يوم فمن ذلك وقد جلس عنده في دكانه

لجعل فؤادي دولة والمدامعي
وهلك فابري عظامي موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه بيدي
فان ذلك لي برء من السقم
ترى العوالم لا تدري بمن كلفي
وأنت أشهر للصبيان من علم

ثم شاع خبره بعشق الغلام في الرها فلما كبر وشارف الاحتلام أحب الرهبنة وخاطب أباه وأمه في ذلك وألح عليهما حتى أجاباه وخرجا به الى دير زكي

جمار الدس بالصغير المحتقر ولا الكبير المشتهر ان خلى الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصادم بى السواري ولا يدخلنى تحت البوارى ان أقللت علفه صبر وان أكثرته شكر وان ركبته هام وان ركبته غيرى نام فقال له النخاس أصبر فان مسخ الله القاضى حمارا قضيت حاجتك وشدد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى النهى عن المعاصى كشرب الخمر فقال لصاحبى عسسه وخبره اذا رأيتما سكران فاتيانى به فطافا الى آخر الليل فاذا هما بشيخ حسن الهيئة بهى المنظر قد أخذ منه السكر وهو يقول

سقونى وقالوا الا تغنى ولو سقوا * جبال حنين ما سقونى لغنت

فقالا له اما تستحى وأنت بهذه الحالة فقال أرفقا بى فقد شربت مع اخوان احداث فحين أخذ الشراب منى أخرجونى فقال صاحب العسس لصاحب الخبر اكتم على وأنا أطلقه قال قد فعلت فقال له اذهب يا شيخ ولا تعد قال نعم وأنا تائب فلما كان فى الليلة الآتية رأياه كما ذكر وهو يغنى

انما هيج البلى * حين عض السفرجلا * فرمانى وقال لى
كن بعينى مبتلى * ولقد قام لحظه * لى على القلب بالقلى

فقالا له أين التوبة فقال ان اخوانى الذين ذكرتهم لكما البارحة عدوا على وحلفوا أن لا يخرجونى اذا عمل بى الشراب فغلب على وعليهم فخرجت فاطلقاه فلما كان الثالثة رأياه على تلك الحالة وهو يغنى

أرض عنى فطالما قد سخطت * أنت مازلت جافيا مذ عرفت
أنت مازلت قاطعا الاوصولا * بل بهذا بدأت نفسى الفت
ما كذا تفعل الكرام بنوالنا * س باحبابهم فلم كنت أنت

فقالا له هذه ثالثة ولا عفو فقال اخطأتما فالاولم ذلك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثانية لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثالثة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الرابعة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب لم يتب الله عليه وكان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال وهى عصارة أهل النار فقالا له اذهب فلما كانت الرابعة رأياه على الحكم وهو ينشد

قد كنت أبكى وما حنت لهم ابل * فما أقول اذا ما حل الثقل
كأننى بك نضوا لا حراك به * تدعى وأنت عن الداعين مشتغل
فقلبوك بايديهم هناك وقد * سارت باجمالك المهرية الذلل
حتى اذا استيأسوا من أن تجيبهم * عضوا عليك وقالوا قد قضى الرجل

فقالا له لم يبق عفو فقال افعلا ما بدا لكما فحملاه الى عمر فاستنكهه فوجد الرائحة فحبسه حتى أفاق وجلده ثمانين ثم قال له لا تعد فقال قد ظلمتنى يا أمير المؤمنين لانى عبد وقد جلدتنى حد الاحرار فقال اخطأت اذ لم تعرفنى وغم عمر فقال له الشيخ لا تحزن يا أمير المؤمنين واجعل الاربعين سلفا عندك فضحك حتى استلقى على ظهره ثم قال لصاحب العسس اذا رأيت مثل هذا فارفعه الى واجتمع قوم عند بصيص جارية ابن نفيس وكانت أعجوبة وقتها فى الحسن والغناء يتمنى كل أحد رؤيتها ولو بذهاب نفسه فتذاكروا الغل مزيد فقالت

بنواحي الرقة وهو فى نهاية حسنه فابتاع له قلاية ودفع الى رئيس الدير جملة من المال عنها فاقام الغلام فيها وشاهد على سعيد الدنيا بجملتها [illegible] دكانه وهجر اخوانه ولزم الدير مع الغلام وسعيد فى خلال ذلك يعمل فيه الاشعار فانكرت الرهبان المقام سعيد به ونهوه عنه وحرموا عليه أن يدخل قلايته وتوعدوه باخراجهم من الدير ان ادخله اليه فاجابهم الى ما سألوه فلما رأى سعيد امتناعهم منه شق عليه وخضع للرهبان ورقق لهم القول فلم يجيبوه وقالوا علينا فى هذا اثم وعار ونخاف السلطان فكان اذا وافى الدير أغلقوا الباب فى وجهه ومنعوه من دخوله اليه ولم يدعوا الغلام يكلمه فاشتد وجده وزاد عشقه حتى صار الى الجنون فخرق ثيابه وانصرف الى داره فضرب جميع ما فيها بالنار ولزم صحراء الدير وهو عريان يهيم ويعمل الاشعار وقال أبو بكر الصنوبرى ثم عبرت أنا والمعوج الشامى ببستان بذ ما فيه فرأينا جالسا فى ظل الدير وهو عريان وتغيرت خلقته فسلمنا عليه وعذلناه وعنفناه فقال دعانى من هذا الوسواس أترياان ذلك الطائر الذى على هيكل الدير وأومأ بيده الى طائر هناك فقلت نعم قال وحقكما يا اخوانى أنا أناشده منذ الغداة أن يسقط فاحمله رسالة الى عيسى ثم التفت الى وقال يا صنوبرى معك ألواحك قلت نعم قال اكتب

بدينك يا حمامة دير زكى
وبالانجيل عندك والصليب
قفى وتحملى منى سلاما
الى قمر على غصن رطيب
وقولى سعدك المسكين يشكو
لهيب جوى أحر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد
اذا ما كنت تمنع من قريب
وان أنا مت فاكتب حول قبرى

شهب مات من هجر الحبيب رقيب واحد تنغص عيش * فكيف بمن له مائتا رقيب

ثم تركنا وقام ينشد الى باب الدير وهو

أنا آخذ منه درهما فقال مولاها ان فعلت جعلتك حرة وكسوتك ثوب وشي وأولمت لك يوما
بالعقيق فقالت ارفع القصة فقال ولو رفع رجليك لم أقل شيئا أخرج ابن مصعب فرآه في
مسجد المدينة فقال له يا أبا اسحق أما تحب أن ترى بصبص جارية ابن نفيس فقال امرأته
طالق ان لم يكن الله ساخطا علي فيها وان لم أكن أسأله أن يرينيها منذ سنة فما يفعل فقال له
اليوم اذا صليت العصر فوافني ههنا فقال امرأته طالق ان برحت من ههنا حتى تجيء صلاة
العصر قال فتصرفت في حوائجي حتى كان العصر فدخلت المسجد فوجدته فيه فأخذت
بيده وأتيتهم به فأكلوا وشربوا وتساكروا وتماوتوا فأقبلت بصبص على مزبد فقالت
يا أبا اسحق كأن نفسك تشتهي أن أغنيك الساعة لقد حثوا الجمال ليهربوا منا فلم يئلوا
فقال امرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ قال فغنته ثم سكتت ساعة وقالت
يا أبا اسحق كأن نفسك تشتهي أن تقوم فتجلس الى جانبي وتقرصني قرصات وأغنيك

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

فقال امرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في الأرحام وما تكسب الأنفس غدا وبأي أرض
تموت فغنته ثم قالت برح الخفاء أنا أعلم أنك تشتهي أن تقبلني شوق البين وأغنيك هزجا
أنا أبصرت بالليل * غلاما حسن الدل كغصن البان قد أصبح * مسقيا من الطل
فقال أنت نبية مرسلة فقبلها وغنته ثم قالت يا أبا اسحق أرأيت أسقط من هؤلاء يدعونك
ويخرجونني اليك ولا يشترون ريحانا بدرهم يا أبا اسحق هات درهما اشتري به ريحانا فوثب
وصاح واحرباه أي زانية أخطأت استك الحفرة انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحى
اليك وعطعط القوم وعلموا أن حيلتها لم تنفذ فيه ثم خرج لم يعد اليهم وأعاد القوم مجالسهم
فكان أكثر شغلهم فيه حديث مزبد والضحك منه (وحكى) أبو يعقوب قال حضرت مجالس
حماد عجرد ومعنا غلام جميل فجعل يرمقه حتى حز المكان الذي ينام فيه ولما هجع الناس
وقد اختلف النوام فكنت موضع الغلام قام حماد فدب علي فأخذت يده وجعلتها على عيني
العوراء فلما عرف ولى وهو يقول وفديناه بذبح عظيم وروى ان نصرانيا جاء مسلمة
آخر يوم صومه فأكره على الاسلام فأسلم وضرب مائة سوط وأخذ منه مائة دينار وكان أول
يوم من رمضان فصام مع الناس فقيل له بعد أيام كيف حالك فقال كيف حال من صام
خمسين وأتبعها بثلاثين وضرب مائة ووزن مائة وخرج من ملة الى أخرى وزوج فاجرة
وسأل رجل عالما فقال أفطرت يوما من رمضان سهوا قال صم عوضه قال صمت عوضه
وأتيت أهلي وعندهم طعام فسبقتني يدي اليه فأكلت منه قال تقضي يوما آخر قال قضيته
وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة فأكلت ساهيا فما ترى قال أرى أن لا تصوم الا ويدك مغلولة
الى عنقك ودخل رجل على الشعبي وعنده امرأة فقال أيكما الشعبي فقال هذه واشترى جحا
يوما دقيقا وأعطاه لحمال فلما دخلوا في الزحام هرب الحمال بالدقيق فرآه جحا بعد أيام
فتوارى منه فقيل له لم ذلك فقال أخاف أن يطالبني بالاجرة وقدم الى أبي حازم القاضي
سكران ليمتحنه فقال له من ربك فقال أصلحك الله ليس هذا من مسائل القضاة انما هو
من مسائل منكر ونكير فضحك وخلى سبيله وولي رجل تفرقة مال على العميان والايتام
والقواعد من النساء فدخل عليه رجل ومعه ولده فقال أثبتني في القواعد فقال وبلاشك (?)

متعلق دونه وانصرفنا عنه ومازال كذلك زمانا حتى وجد في بعض الايام ميتا الى جانب الدير وكان أمير البلد العباس
ابن كيغلغ فلما اتصل ذلك به وبأهل
الرها خرجوا الى الدير وقالوا ما قتله غير
الرهبان فقال لهم ابن كيغلغ لابد من
ضرب رقبة الغلام واحراقه بالنار ولابد
من تعزير جميع الرهبان بالسياط في
قتله وتصعب في ذلك فافتدى النصارى
نفوسهم وديرهم بمائة ألف درهم وكان
الغلام بعد ذلك اذا دخل الرها لزيارة
أهله صاح به الصبيان هذا قاتل سعيد
الوراق وشدوا عليه بالحجارة يرجمونه
وزاد عليه الامر في ذلك حتى امتنع
من دخوله المدينة ثم انتقل الى دير
سمعان وما أدري ما كان منه
(ومنهم شهيد) قال ياقوت في تاريخه
كان مدرك ابن علي الشيباني شاعرا
أديبا فاضلا وكان كثيرا ما يلم بدير الروم
ببغداد ويعاشر نصاراه وكان بدير الروم
غلام من أولاد النصارى يقال له عمرو
ابن يحيى وكان من أحسن الناس صورة
وأكملهم خلقا وكان مدرك بن علي
يهواه وكان لمدرك مجلس تجتمع فيه
الاحداث لا غير فان حضر شيخ أو
صاحب لحية قال له مدرك قبيح بك أن
تختلط بالاحداث والصبيان فقم في حفظ
الله فيقوم وكان عمرو يحضر مجلسه
فعشقه مدرك وهام به فجاء عمرو يوما
الى المجلس فكتب مدرك رقعة
وطرحها في حجره فقرأها فاذا فيها

بمجالس العلم التي
بك تم حسن جموعها
الا رثيت لمقلة
غرقت بفيض دموعها
بيني وبينك حرمة * الله في تضييعها

قال فقرأ الابيات ووقف عليها من
كان في المجلس وقرؤها فاستحيا عمرو
وانقطع عن الحضور وغلب الامر على
مدرك فترك مجلسه ولزم دار الروم
وجعل يتبع عمرا حيثما شاء وقال فيه شعرا كثيرا قال الحرمي وقد رأيت عمرا أبيض الرأس واللحية

نساء لا أزواج لهن وأنت رجل فقال أفتني في العميان قال صدقت فان الله تعالى يقول فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فقال وأثبت ولدي أيضا في الايتام فقال افعل ذلك لان من أنت أبوه فهو يتيم * دخل جحا على المهدي يوما فقال له كم عيالك قال ثمانية فامر له بثمانية آلاف درهم فأخذها وخرج فلما بلغ الباب رجع وقال نسيت واحدا من عيالي قال من هو قال أنا فضحك المهدي وأمر له بمثل ذلك * مر بهودي في سوق وكان كاتبا فصاح به صبي يا عم قف حتى أصفعك فالتفت اليه وقال أنا مستعجل اصفع أخي عني وقال له بعض السوقة هذه النعل في قفاك فقال له اذا كان في رجل أختك ومثل ذلك رجل قال لامرأة في يدها اخبز لي تبسه على كتفي فقالت بشرط أن يكون فارغا * وقال رجل لآخر اني أعرف صناعة الفضة وأريد أن أعلمك ولكن أحتاج الى ألف درهم للآلات فأعطاه فمضى ولم يعد فقيل له قد خدعك وكذب عليك قال لا لانه علمني كيف صناعة الفضة أي أخذها وكيفية الحيلة فان شئت أن أعمل مثله فعلت

(فصل في ذكر نبذة من لطائف الاشعار ملتقطة مما اختم به الكتاب)

وفي غضون الحكايات قد سلكنا طريقتنا المعروفة من نحو حذف المكرر وانتقاء المستلطف

(بعض الاعراب)

ألا يا حمام الشعب شعب مؤنس * سقيت الغوادي من حمام ومن شعب

سقيت العوادي رب خود خريدة * أصاخت لخفض من غنائك أو نصب

فان يرتحل صحبي بجثمان أعظمي * يقم قلبي المحزون في منزل الركب

(ابن المرزبان)

لئن كنت لا أشكو هواك فانني * أخو زفرات والفؤاد كئيب

فان كان قلبي فيك يضني صبابة * وقد مرضت من مقلتيك قلوب

فما عجب موت المحبين في الهوى * ولكن بقاء العاشقين عجيب

(أبو عكرمة الضبي)

ولو أن ما بي بالحصا فلق الحصا * وبالريح لم يسمع لهن هبوب

ولو أنني أستغفر الله كلما * ذكرتك لم تكتب علي ذنوب

ولو أن أنفاسي أصابت بحرها * حديدا اذا ظل الحديد يذوب

(صاحب الاصل)

وروض أتيناه عشية أقبلت * ملاح البرايا من غضيض وغضة

حكى لونه والبيض محدقة به * زمردة خضراء في وسط فضة

(محمد بن وهيب)

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه * فدام لعيني ما حييت اختلاجها

وماذقت كأسا مذ تعلقني الهوى * فاشربها الا ودمعي مزاجها

(صاحب الاصل)

أنا الكاسات اني في انتظام * وبنت الكرم واسطة العقود

وقد رمنا تزوجها ابن مزن * فهل لك أن تكون من الشهود

(وله أيضا) ولما رأيت البدر الذي شعاعه * على نيل مصر والسفين بنا تجري

ومن شعر مدرك فيه هذه القصيدة المزدوجة الغريبة العجيبة المشهورة وهي

من عاشق ناء هواه داني
ناطق دمع صامت اللسان
معذب بالصد والهجران
موثق قلب مطلق الجثمان
من غير ذنب كسبت يداه
يشكو هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من أشقاه
كأنما عافاه من أضناه
يا ويحه من عاشق ما يلقى
من أدمع منهلة ما ترقى
ناطقة وما أجانت نطقا
تخبر عن حب له استرقا
لم يبق منه غير طرف يبكي
بأدمع مثل نظام السلك
نطفئها نار الهوى وتذكي
كأنها قطر السماء تحكي
الى غزال من بني النصارى
عذار خديه سبى العذارى
وغادر الاسد به حيارى
في ربقة الحب له أسارى
ريم بدار الروم رام قتلي
بمقلة كحلاء لا من كحل
وطرة بها استطار عقلي
وحسن وجه وقبيح فعل
ريم به أي هزبر لم يصد
يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى يقل ها قالت الالحاظ قد
كأنها ناسوته حين اتحد
ما أبصر الناس جميعا بدرا
ولا رأوا شمسا وغصنا نضرا
أحسن من عمرو فديت عمرا
ظبي بعينيه سقاني خمرا
ها أنا ذا بقده مقدود
والدمع في خدي له أخدود
ماضر من فقدي به موجود
لولم يقبح فعله الصدود
ان كان ذنبي عنده الاسلام
فقد سعت في نقضه الايام
واختلت الصلاة والصيام * وجاز في الدين له الحرام
بالبيتي كنت له صليبا * أكون منه أبدا قريبا

تخيلته نسرا يسير بسيرنا * من الفضة البيضاء في لجة البحر

(وله أيضا) ولما رأيت الشمس عند طلوعها * ونحن بوسط البحر في النيل من مصر

تخيلت هاتيك القلوع وسفنها * قصور نضار والقصور بنا تجري

(ولبعضهم)

إذ نحن خفنا الكاشحين فلم نطق * كلاما تكلمنا بأعيننا شزرا

نصد إذا ما كاشح مال طرفه * إلينا ونبدي ظاهرا بيننا هجرا

فإن غفلوا عنا رأيت خدودنا * تصافح أو ثغرا يقرع بابه ثغرا

ولو قذفت أجسادنا ما تضمنت * من الضر والبلوى إذا قذفت جمرا

(صاحب أصل الأصل)

لحى الله يوم البين كم مات عاشق * أرى قومه لا يطلبون بثاره

وعاذلة أضحت تلوم على الهوى * أخا لوعة لم يستفق من خماره

وأغيد في جيش من الحسن يقتدي * لماه وعيناه وخط عذاره

حكى الظبي ظبي الرمل جيدا ومقلة * فياليته لم يحكه في نفاره

(أبو العلاء الرقي)

أحبك يا سلمى على غير ريبة * ولا بأس في حب تعف سرائره

فقد مات قلبي أول الحب فانقضى * فإن مت أمسى الحب قد مات آخره

(عبد الرحمن العقيلي)

هذي الخدود وهذه الحدق * فليدن من بفؤاده يثق

لو أنهم عشقوا لما عذلوا * لكنهم عذلوا وما عشقوا

عنفوا على بلومهم سفها * لو جرعوا كأس الهوى رفقوا

ليس الفؤاد معي فأعلم ما * قد نال منه الشوق والقلق

ما الحب إلا مسلك خطر * عسر النجاة وموطئ زلق

(أحمد بن يحيى)

إذا أنت رافقت الرجال فكن فتى * كأنك مملوك لكل رفيق

وكن مثل طعم الماء عذبا وباردا * على الكبد الحرى لكل صديق

(صاحب أصل الأصل)

إذا كنت من أسر الهوى غير منفك * فدع جسدي يضني ودع مقلتي تبكي

ألا قاتل الله الرقيب وموقفا * بكينا به والبين يفتر بالضحك

وغرب غربان النوى حين بشرت * نعيبا من البين المفرق بالوشك

فياويح ذي العشاق أمست دماؤهم * تطل غراما وهي هينة السفك

(وقال بعضهم)

وما الحب إلا شعلة قدحت بها * عيون المها باللحظ بين الجوانح

ونار الهوى تخفى وفي القلب فعلها * كفعل الذي جادت به كف قادح

(وقال آخر)

يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدري لهم كيف أنعت

تقصر حسنا وأشم طيبا * لا واشيا أخشى ولا رقيبا

ياليتني كنت له قربانا * ألثم منه الثغر والبنانا

أو جاثليقا كنت أو مطرانا

كيما يرى الطاعة لي إيمانا

ياليتني كنت لعمرو مصحفا

يقرأ مني كل يوم أحرفا

أو قلما يكتب بي ما ألفا

من أدب مستحسن قد صنفا

ياليتني كنت لعمرو عوده

وحلة يلبسها مقدوده

أو بركة باسمه معدوده

أو بيعة في داره مشهوده

ياليتني كنت له زنارا

يديرني في الخصر كيف دارا

حتى إذا الليل طوى النهارا

صرت له حينئذ إزارا

واكبدي من خده المضرج

واكبدي من ثغره المفلج

لا شيء مثل الطرف منه الأدعج

اذهب للنسك وللتحرج

إليك أشكو يا غزال الإنس

ما بي من الوحشة بعد الأنس

يا من هلالي وجهه وشمسي

لا تقتل النفس بغير النفس

جد لي كما جدت بحسن الود

وارع كما أرعى قديم العهد

واصدد كصدي عن طويل الصد

فليس وجد منك مثل وجدي

ها أنا في بحر الهوى غريق

سكران من حبك لا أفيق

محترقا ما مسني حريق

يرثي لي العدو والصديق

فليت شعري فيك هل ترثي لي

من سقم ومن ضنى طويل

أم هل إلى وصلك من سبيل

لعاشق ذي جسد نحيل

قد كل عضو منه سقم وألم

ومقلة تبكي بدمع ودم

شوقا إلى شمس وبدر وصنم * منه إليه المشتكى إذا ظلم

أقول إذ قام بقلبي وقعد * يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد

فليس لشيء منه حد أحده * وليس لشيء منه وقت موقت

(وقال آخر) لي في محبته شهود اربع * وشهود كل قضية اثنان

خفقان قلبي وارتعاد مفاصلي * وصفار لوني واعتقال لساني

(وقال آخر) فسألتها باشارة عن حالها * وعلي فيها للوشاة عيون

فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان ازيل عنه النون

(ذو النون المصري)

شوق اضر بمهجة المشتاق * أجرى سوابق عبرة الآماق

لعبت يد العبرات في وجناته * وكذا به لعبت يد الاشفاق

وانشد ابن دريد وقد أورده في الباب الثاني في قصة رملة مستشهدا به على الفرقة

أقول لورقاوين في فرع ايكة * وقد طفل الامساء أو جنح العصر

وقد بسطت هذي لتلك جناحها * ومر على هاتيك من هذه النحر

ليهنكما ان لم تراعا بفرقة * ولا دب في تشتيت شملكما الدهر

فلم ار مثلي قطع الهجر قلبه * على أنه يحكي قساوته الصخر

(وقال آخر) قالت ومدت يد الحوى تودعني * وروعة البين تأبى ان أمد يدا

أميت أنت أم حي فقلت لها * من لم يمت يوم بين لم يمت أبدا

(الشهاب محمود)

أأحبابنا هل لي اليكم وقد نأت * بي الدار من بعد الديار رجوع

وهل شمس هذا الانس بعد فراقنا * يكون لها بعد المغيب طلوع

وهل لي ولا والله ما ذاك ممكن * فؤاد اذا حان الفراق يطيع

وقد كنت أدري والحياة شهية * تروق بكم ان النوى سيروع

(العباس بن الاحنف)

يا بعيد الدار عن وطنه * مفردا يبكي على شجنه * كلما جد النحيب به

زادت الاسقام في بدنه * ولقد زاد الفؤاد شجنا * هاتف يبكي على فننه

شاقه ما شاقني فبكى * كلانا يبكي على سكنه

(وله أيضا)

جرى السيل فاستبكاني السيل اذ جرى * وفاضت له من مقلتي غروب

وما ذاك الا حين أخبرت أنه * يمر بواد أنت منه قريب

يكون اجاجا دونكم فاذا انتهى * اليكم تلقى طيبكم فيطيب

أيا ساكني أكناف دجلة كلكم * الى القلب من أجل الحبيب حبيب

(الشريف الرضي)

ومن حذري لا أسأل الركب عنهم * واعلاق وجدي باقيات كما هيا

ومن يسأل الركبان عن كل غائب * فلا بد ان يلقى بشيرا وناعيا

(وقال آخر)

أيا ظبية الوادي التي سفكت دمي * بلحاظها بل يا مهاة الاجرع

لي ان أبث اليك ما ألقاه من * ألم الجوى وعليك ان لا تسمعي

يبيح عن قلب له جريح
ناح بما يلقى من التبريح
يا عمرو بالحق من اللاهوت
والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنحوت
عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم
حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في قنوم الاقدم
يكلم الناس ولم يفطم
بحق من بعد الممات قمصا
ثوبا على مقداره ما قمصا
وكان لله تقيا مخلصا
يشفي ويبري اكمها وابرصا
بحق محيي صورة الطيور
وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور
يعلم ما في البر والبحور
بحق من في شامخ الصوامع
من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا نام كل هاجع
خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا
وعالجوا طول الحياة بؤسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا
مستعملين يعبدون عيسى
بحق مارمريم وبولس
بحق شمعون الصفا وجرجس
بحق دانيال بحق يونس
بحق حزقيل وبيت المقدس
بحق ما في قلة الميرون
من نافع الادواء للجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون
من بركات الخوص والزيتون
بحق أعياد الصليب الزهر
وعيد اشموني وعيد الفطر
وبالشعانين العظام القدر
وعيد يوم ماري العظيم الذكر
بحق شعيا وبالهياكل * والدهن اللاتي بكف الحامل
يشفي بها من كل خبل خابل

وارشدوا الناس الى الرشاد
حتى اهتدى من لم يكن بهاد
بحق اثنى عشر من الامم
ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا اصبح الدجى جلا الظلم
ساروا الى الله ففاز وابالحكم
بحق ما في محكم التنزيل
من محكم التحريم والتحليل
وغيره من نبا جليل
يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مرء يد السعيق الماصح
بحق لوقادى العمال الصالح
بحق تمليخا الحكيم الراجح
والشهداء بالفلا الصحاصح
بحق معمودية الارواح
والمذبح المشهور في النواحي
ومن به من لابسي الامساح
وعابد بك ومن سياح
بحق تقريبك في الاعياد
وشربك القهوة كالفرصاد
وطول تقبيلك لاكباد
بما بعينيك من السواد
بحق ما قدس سعيا فيه
بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما بروبه
عن كل ناموس له فقيه
بحق جمع من شيوخ اهلم
وبعض اركان التقى والحلم
لم ينطقوا قط بغير فهم
موتهم كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران
والجاثليق العالم الرباني
والقس والشماس والديراني
والبطرك الاكبر والرهبان
بكل قادس على قداس
قدسه القس مع الشماس
يوقر بوايوم الخميس الناسي

(أبو نواس) يا نظرة ساقت الى ناظرى * اسباب ما يدعو الى حتفه
من حسن ظبي حسن دله * يقصر الواصف عن وصفه
في البدر من صفحته لمحة * ولمحة في الظبي من طرفه
مقاتل الانفس في ثغره * وفي ثناياه وفي كفه

(سعد بن الدهان)

قل للبخيلة بالسلام تورعا * كيف استبحت دمي ولم تتورعي
هل تسمحين ببذل ايسر نائل * ان اشتكى بثي اليك وتسمعي

(أبو الحسن السلامي)

ظبي اذا لاح في عشيرته * يطرق بالهم قلب من طرقه
سهام الحاظه مفوقة * فكل من رام وصله رشقه
بدائع الحسن فيه مفترقه * وأنفس العاشقين متفقه
قد كتب الحسن فوق عارضه * هذا مليح وحق من خلقه

(محمد بن موسى) يا جفونا سواهرا اعدمتها * لذة النوم والرقا جفون
ان لله في العباد سهاما * سلطتها على القلوب العيون

(الحسين بن الضحاك)

ألا انما الدنيا وصال حبيب * وأخذك من مشموله بنصيب
ولم أر في الدنيا كخلوة عاشق * وبذلة معشوق ونوم رقيب

(وقال آخر)

ليس المحب الذى يخشى العقاب ولو * كانت عقوبته في إلقائه النار
بل المحب الذى لا شئ ينفعه * أو يستقر ومن يهواه في النار

(وقال آخر)

أرانى منحت الحب من ليس يعرف * هما أنصفتني في المحبة منصف
وزادت لديها حظوة يوم اعرضت * وفي أصبعيها أسمر اللون أهيف
أصم سميع ساكن متحرك * ينال جسيمات العلا وهو أعجف
عجيب له إني ودهرك معجب * يقوم بتحريف العباد محرف

(بشار بن برد) وكاعب قالت لاترى بها * ياقوم ما أعجب هذا الضرير
هل يعشق الانسان ما لا يرى * فقلت والدمع بعيني غزير
ان كان عيني لاترى وجهها * فانها قد صورت في الضمير

(ابن أبي الدنيا)

اذا المرء لم ينصف أخاه ولم يكن * له غائبا يوما كما هو شاهد
فلا خير فيه فالتمس غيره أخا * كريما على فضل الكريم يعاهد
وان غبت يوما أو حضرت فوجهه * على كل حال أينما كنت شاهد

(لطيفة وخاتمة) تشتمل على لطائف ما نقش على الخواتم والتكك وغيرهما * وجد على إكليل برأس جارية
والله يا طرفي الجاني على كبدي * لتطفئن بدمعي لوعة الحزن

بالله تطمع ان أبكي اسي وجوى * وأنت تلتذ طيب العيش والوسن
(وعلى عود) يا أيها الزاعم الذي زعما * ان الهوى ليس يورث السقما
لوان ما بي بك الغداة لما * لمت محبا اذا اشتكى ألما
(وعلى ميل) لوكان يدري ما الثما الذي * ألقى من الاحزان والكرب
وما ألاقي من أليم الهوى * عذب أهل النار بالحب
(وعلى كاس) الحمد لله على ماقضى * قد كان ذا في القدر السابق
ماتحمل الارض على ظهرها * أشقى ولا أوثق من عاشق
فبينما يمشي على مرمر * وبينما يسقط من شاهق
(وعلى أترجة) يالك اترجة مطيبة * توقد نار الهوى على كبدي
لوان أترجة بكت لبكت * لرحمتي هذه التي بيدي
(وعلى تكة) ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا
(وعلى خاتم) قلبان في خاتم الهوى جمعا * فأرغم الله أنف من قطعا
(وعلى آخر) تمنيت القيامة ليس الا * لالاقي من هويت على الصراط

وعلى آخر الموت في الحب جميل ونقش ابن داود على خاتم سطرين أحدهما وماوجدنا لأكثرهم من عهد والثاني ولا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان يرمي به لي من ينظر الى حدث وكان ابن سمنون يعارضه فيما يفعل فقال له يوما تعارض هذا قال نعم وجاء بعد قليل وقد نقش على خاتم سطرين أحدهما وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وعلى الثاني ولنصبرن على ما آذيتمونا وممايتخرط في هذا السلك ما يكتب على الكتب قيل ان صاحب المصارع كتب على أول جزء منها

هذا كتاب مصارع العشاق * صرعتهم يوم النوى بفراق
تصنيف من لدع العراق فؤاده * وتطلب الراقي فعز الراقي
فاذا تصفحه اللبيب رثى لهم * اسرى هوى أيسوا من الاطلاق
(وعلى الثاني) مصارع العاشقين صرعهم * هوى الظباء الفواتر الحدق
تصنيف من صدره تصونه * عن كشف ما في الفؤاد من حرق
فهو يسر الهوى ويكتمه * والقلب قد تاه منه في الطرق
(وعلى الثالث) مصارع العشاق مجموعة * فيها لمن يقرؤها عبره
جمع عفيف الحب يطوي الهوى * لولم تكن تنشره العبره
* غرامه ناء مقيم وان * أعدمه يوم النوى صبره
(وعلى الرابع) كتاب مصارع أهل الهوى * ومن فتكت فيه ايدي النوى
تكلف تصنيفه عاشق * عفيف الضمائر جم الجوى
أضل برمل اللوى قلبه * فهل ناشد قلبه باللوى
(وعلى الخامس) مصارع قتلى من العاشقين * مالدمائهم طالب *
تكلف جمع أحاديثهم * عفيف هوى وجده غالب
سقاه الهوى صرف صهبائه * فاصبح سكران الشارب

بحرمة الصوم الكبير الاعظم
وماحوى مغفر في رأس مريم
بحق يوم الذبح في الاشراق
وليلة الميلاد والتلاقي
بالذهب الابريز في الاوراق
بالفصيح يامهذب الاخلاق
الارغبت في رضا أديب
باعده الحب عن الحبيب
قدذاب من شوق الى المذيب
أعلى مناه أيسر القريب
فانظر أميري في صلاح أمري
محتسبا في عظيم الاجر
مكتسبا في جميل الشكر
في نشر ألفاظ ونظم در

قيل ثم ان مدركا وسوس وسل جسمه وذهب عقله وانقطع عن اخوانه ولزم الفراش قال حسان بن محمد بن عيسى فحضرته عائدا مع جماعة من أصحابه فقال ألست صاحبكم القديم العشرة لكم فما منكم أحد يسعدني بنظرة الى وجه عمرو قال فضينا باجمعنا الى عمرو وقلنا له ان كان قتل هذا الرجل دينا فان احياءه مروءة قال وما فعل قلنا قد صار الى حال ما نحسبك تلحقه قال فلبس ثيابه ثم نهض معنا فلما دخلنا عليه وسلم عليه عمرو وأخذ بيده وقال كيف تجدك ياسيدي فنظر اليه ثم أغمي عليه ثم أفاق وهو يقول

أنا في عافية الا * من الشوق اليكا
أيها العائد ماني * منك لايخفى عليكا
لاتعد جسما وعد قلبا رهينا في يديكا
كيف لايهلك مرشو * ق بسهمي مقلتيكا

ثم أنه شهق شهقة فارق فيها الدنيا فما برحنا حتى دفناه رحمه الله تعالى (ومنهم قتيل) قال العلامه أبو القاسم محمد بن عبد الرحمن الشيزري في كتاب روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب شابهت امرأة كانت من أهل شيزر ...

(وعلى السادس) كتاب صرعى الهوى وقتلاه * ومن صحامنهم وسكراه
تصنيف من كادان يشاركهم * لكن وقاه بفضله الله
فضم مما منوا به طرفا * يعجب قاريه حين يقراه

(وعلى السابع)

مصارع من جارت يد البين والنوى * عليهم فاضحوا فى ديارهم صرعى
دماؤهم مطلولة قد أباحها * لاحبابهم شرع الهوى حبذا شرعا
تدرعت من نيل الهوى الصبر جنة * فخانت سهام منه انفذت الدرعا

(وعلى الثامن) كتاب مصارع قوم سقوا * كؤس الهوى مترعات دهاقا
شكوا صرفها طالبين المزاج * فشيبت على الرغم منهم فراقا
جمعنا أحاديث صراعهم * وسكراهم فيه لامن أفاقا

(وعلى التاسع)

مصارع ابناء الهوى جمع عاشق * تجرع من راح الهوى ماتجرعا
فلما رأى الفودين قد حل فيهما * المشيب منيخا والمفارق اقلعا
وأضحى مصيخا للنذير الذى علا * مفارقه ينعى الشباب المودعا

(وعلى العاشر)

كتاب من دارت كؤس الهوى * عليه صرفا ليس فيها مزاج
فصرعتهم إذ حسوها فهم * مرضى ينادون ألا من علاج
تصنيف من شاركهم فى الهوى * فليته مما لقى اليوم ناج

(وعلى الحادى عشر)

مصارع الابسين قص الهوى * ضفت عليهم كل بحر جرها
تصنيف من ذاق من سلافته * الصفو وما فاته مكدرها
يطوى أحاديث وجده ودمو * ع العين فى فيضهن تنشرها

(وعلى الثانى عشر)

كتاب تضمن أخبار من * أطاع الهوى وعصى العذلا
فلما تمكن من قلبه * اعاد حلاوته حنظلا
تكلف تصنيفه عاشق * سلا العاشقون وما قد سلا

(وعلى الثالث عشر)

مصارع أقوام توالت عليهم * كؤس هوى ممزوجة بفراق
فمالوا سكارى مالهم من افاقة * الى حين شمل جامع وتلاقى
فرق لهم مما لقوا عاشق أبت * تجف له بعد الفراق أماقى

(وعلى الرابع عشر)

كتاب مصارع من جهزت * بظلم اليه النوى جندها
جمعناه لما سقينا الهوى * أفاويق لم نستطع ردها
وسقنا أحاديث من جاوزت * به نفحات النوى حدها

(وعلى الخامس عشر)

وجلاجنديا أعجميا وكانت تجد به وجدا شديدا حتى كانت لاتصبر لحظة وكان اذا مشى الى نوبته الى القلعة تزرو تظل قائمة قبالته حتى ينصرف فاذا دخل عليها لاعبها وقبلها فيسكن بعض ماتجده فدخل عليها يوما مغضبا من كلام جرى بينه وبين مقدمه فلما دخل أرادت منه العادة فلم يلتفت اليها فظنت ان ذلك لسبب حدث منها فارتاعت وجزعت فمكث ساعة عنها لم يرفع طرفه اليها فقوى عندها التخيل فلما خرج خرجت خلفه كعادتها فانتهرها فلم تشك ان غضبه لاجلها فرجعت وجعلت فى رقبتها حبلا وشدته فى السقف فاختنقت به وماتت (ومنهم شهيد) قال الوداعى حكى الامير شهاب الدين أحمد العقيلى ان شرف العلا هوى غلاما نصرانيا وتهتك فيه حتى لبس المسح وتزيا بزى الرهبان وكان يتبع الغلام حيث توجه فاتفق ان الملك الظاهر صلاح الدين سمع بحاله فبينما هو يتصيد فى نواحى حلب قيل له ان شرف العلا فى هذه الارض فارسل اليه من يحضره على هيئته فلما حضر وكان السلطان فى مجلس الشراب قال لبعض ندمائه املأ قدحا كبيرا والق شرف العلا به فلما رأى القدح أخذه بيده وشربه وأنشد فى الحال ارتجالا يخاطب الملك الظاهر

جمعت بالكاس شملى * فالله يجمع شملك
بحق رأسك دعنى * حتى أقبل نعلك

(ومنهم قتيل) وهو مما رأته عيناى وسمعته أذناى ووعاه قلبى وذلك إنى لما كنت فى دمشق سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة اتفق ان شابا من أبناء دمشق جميل الصورة عدا على انسان كان يحبه فقتله فحمل الى الوالى فلما سأله أنكر فعراه ليضرب بالسياط فتقدم انسان كان عشق ذلك الشاب وقال للوالى

كتاب مصارع العشا * قمن عرب ومن عجم * ليعتبر الخلى بما
لقوا اشكرا على النعم * مصنفه عفيف هوى * مصون غير متهم

(وعلى السادس عشر)

مصارع أبناء الهوى كل عاشق * رماه الهوى عن قوسه فأصابا
رثى لهم من خاف يلقى الذى لقوا * فألف فيما قد لقوه كتابا
وجمع من أخبارهم فى هواهم * أحاديث مثل الروض جيد سحابا

(وعلى السابع عشر)

كتاب تضمن أبوابه * مصارع قتلى من العاشقين * سقاهم سلافته مازجا
هواهم فالوا به خاضعين * غرام تلوم العيون القلو * ب فيه وتلحى القلوب العيون

(وعلى الثامن عشر)

كتاب جمعنا به عانيين * مصارع من قتل الحب صبرا * اذا ما تصفحه سالم
من الحب أخلص لله شكرا * جمعناه صاحين حتى اذا * خبرناه ملنا من الحب سكرا

(وعلى التاسع عشر)

مصارع قتلى الهوى مثبت * لعينيك ما كان من حالهم
تضمن من كل أعجوبة * وكيف تفانوا بآجالهم
فلو ذقت ماذاق أهل الهوى * لكنت لحقت بأمثالهم

(وعلى العشرين)

كتاب جمعت به كل ما * تفرق من قصص العاشقين
وكنت ألومهم عاذلا * فصرت لهم أحد العاذرين
فكم عاشق ذاق يوم النوى * وقد غرد الحاديان المنون

(وعلى الحادى والعشرين)

مصارع قتلاء الهوى صرعتهم * سلافته يسقونها صافيا صرفا
فمنهم عفيف ظل يكتم وجده * فنم عليه ماء أجفانه وكفا
جمعت كتابا فى مصارعهم اذا * تصفحه ذو اللب رق تألفا

(وعلى الثانى والعشرين)

قد صنف الناس حقا فى الهوى كتبا * فيمن صحا بعد سكر منه أو عطبا
وأكثروا غير انى قد جمعت لهم * وما اختصرت كتابا رائقا عجبا
ذكرت فيه باسناد مصارعهم * عما وجدتهم فى الناس أو عربا

ونظائر ذلك كثيرة لا مطمع فى استقصائها ولا قدرة على احصائها فلنختم الكلام الذى اقتطفناه من هذه الازهار وارتضيناه ومن هذه الاثمار جنيناه مستغفرين الله مما جنيناه اذ هو أكرم كريم يقبل التائب وألطف لطيف يؤوب اليه الآيب قائلا

كتبت وقد أيقنت أن جوارحى * ستبلى ويبقى كل ما أنا عامله
فان كان خيرا سوف أجد غبه * وان كان شرا أو بقتنى غوائله
فأستغفر الله العظيم من الذى * كتبت ومما قلت أو أنا قائله
فيارب بالهادى النبى محمد * نبى على كل الورى فاض نائله

لا تضر به فانه ما قتله ولعا قلته اذا فاحضر الوالى الشهود وكتب عليه محضرا باقراره بالقتل وأطلق الشاب وكان أيتمش نائب دمشق يومئذ فلما حكيت له هذه القصة وأطلع على باطنها توقف فى قتله وأمر بحبسه فلم تمض الايام قلائل حتى حضر أرغون الكاملى من حلب عوضا عن أيتمش فى نيابته بدمشق فكان أول شئ حكم فيه من الدماء فشنق ذلك العاشق المسكين بمقتضى المحضر المكتتب عليه ولقد رأيته تحت القلعة وهو مشنوق والناس حوله يتأسفون عليه ويذكرون حكايته ويتعجبون منها وحكيت هذه الحكاية للقاضى كمال الدين بن النحاس فتعجب منها وأخبرنى عن القاضى زين الدين ابن السفاح وأخيه القاضى شمس الدين وجماعة من أهل حلب الموجودين الآن أنهم أخبروا أن ناصر الدين محمد ابن يكتوب أحد كتاب المنسوب المعروف بالقلندرى أنه كان يهوى مغنية لا تزال زرموزتها معه فى كيس حرير أطلس معلق فى رقبته تحت ثيابه فاذا حضر فى مجلس ولم يتفق حضورها فيه أخرج الزرموزة من الكيس ووضعها قدامه وجعل يبكى فان لم يتفق له بكاء شديدا أنشد

لا متعت عين محب بما
يسرها ان هى لم تسجم

ثم أنه يأمر من حضر بربط رجليه وضربه عليهما حتى يبكى انتهى ما أخبرنى به القاضى كمال الدين قلت ولهذا البيت المتقدم حكاية غريبة وهى ما حكاه المسترد عن النميرى أن رجلا قدم على الملك كسرى أنوشروان وكان عالما بجميع الفلسفة وعلم الموسيقى فتعجب الملك من كمال أخلاقه المحمودة فحبسه عن وطنه مدة من دهره فتكالبت عليه الوحدة وطول الكمد [illegible]

وبالآل والاصحاب ترحم عاجزا * كليلا من الذنب الذى هو حامله
أتى تائبا من غفلة اللهو قائلا * (صحا القلب عن سلمى واقصر باطله)
ولا وجل العمر قد فات وانقضى * (وعرى افراس الصبا و رواحله)
تفضل عليه وارحم الآن ذله * وتختم بخير كل ما هو فاعله

فهذا أقصى ما أردنا تحريره وأنهى نهاية ما أردنا تسطيره معتذرين عن التقصير بما أسلفنا فى صدر الكتاب تقريره فليثق الناظر فيه بانا لم ندع من أصله شيأ يعتد به الا وقد أودعناه فى مطاويه اللهم الا أن يأتى غبى يتكل على المبانى دون المعانى و يؤثر التصريح فى كل المواطن على التلويح و يقيس الابواب الاصلية على تقاسيمنا الكلية فيضل و يتهم ويخطئ وما علم ولو سلكنا ذلك لتركنا الكتاب بحاله ولم يظهر تمييز بين أفعالنا وأفعاله ولم يتيسر ان يكون كتابنا بالنسبة الى أصله كنصفه مع احتوائه على زيادات مثل ضعفه فالحمد لله على اتمامه والشكر له على جزيل انعامه وعلى خاصته من خلقه محمد وآله وأصحابه أفضل صلاته وسلامه

*(قال مؤلفه) رحمه الله تعالى وقد وافق ختامى له يوم الاربعاء خامس عشر شوال وايار الموافق لعشرين بشنس وخامسة الجوزاء للشمس من شهور سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة هجرية نبوية على مشرفها أفضل الصلاة والسلام والتحية

(ترجمة المؤلف رحمه الله مختصرة من خلاصة الاثر فى ذكر أعيان القرن الحادى عشر)

هو داود بن عمر البصير الانطاكى نزيل القاهرة الحكيم الطبيب المشهور رئيس الاطباء فى زمانه شيخ العلوم الحكمية وأعجوبة الدهر وقد أطال فى توصيفه أبو المعالى الطالوى فى سانحاته ثم قال وقد سألته عن مسقط رأسه ومشتعل نبراسه فقال ان مولدى بانطاكية وولدت بعارض ريح تحكم فى الاعصاب يمنع قوائمى من حركة الانتصاب وكان والدى رئيس قرية سيدى حبيب النجار له كرم وخيم وطيب نجار فاتخذ قرب مزار سيدى حبيب رباطا للواردين فيه حجرات للفقراء والمجاورين ورتب لهم رواتب وكنت أحمل كل يوم الى صحن الرباط حتى حفظت القرآن ولقنت مقدمات تثقيف اللسان الى ان نزل بساحة الرباط رجل من أفاضل العجم ذو قدر منيف يسمى بمحمد شريف فاستأذنه بعض المجاورين فى القراءة عليه فابتدأ فى بعض العلوم الالهية فكنت أسابقه اليه فلما رأى ما رأى منى استخبر ممن هنالك عنى فاجبته ولم يكن غير الدمع سائلا ومجيبا فعند ذلك اصطنع لى دهنا مدنى به فى حر الشمس ولفنى بلفافة من فرقى الى قدمى حتى كدت أفقد عن الحس وكرر ذلك فمشت الحرارة الغريزية فى كجريان الحمى فى المفاصل ثم شد وثاقى وفصدنى من عضدى وساقى فقمت بقدرة الواحد الاحد بنفسى لا بمعونة أحد ودخلت المنزل على والدى ففرح بى وضمنى الى صدره وسألنى فحدثته بالقصة فذهب الى الاستاذ ودخل حجرته وشكر سعيه وأجزل عطيته فقبل منه شكره واستعفاه بره ثم قرأت عليه المنطق وأتبعته بالرياضى ثم اللغة اليونانية ثم سافر وانقطعت عنا أخباره وخلت الديار من أهلها وأقفرت بتنكرها على

فبينما هو على هذه الحالة اذ قدم عليه رجل من بلده وذى اليه حبيبه ودفع اليه خاتمه فاذا فيه كتابة بالهندية فترجمت لكسرى فاذا هى كلام موزون بالموسيقى يشاكل من الشعر العربى

لا متعت عين محب بما
يسرها ان هى لم تسجم
على حبيب تلفت نفسه
من التباريح ولم يصرم

فلما قرأها لم يملك نفسه خوفا وجزعا فاسعدته عينه اليسرى ولم تسعده اليمنى فاقسم أن لا ينظر بها ما عاش فى الدنيا ان لم تسعده بالبكا على حبيبه وهى أقوى حاسة من اليسرى فكان يسمى الصابر (قلت) ومن غريب ما يحكى أن ناصر الدين القلندى المتقدم ذكره كان يضع المحبرة فى يده الشمال والمجلد من الكتاب على زنده ويكتب منه وهو يغنى ويضرب برجله الارض ويكتب فى هذه الحالة ما شاء ولا يغلط ولا يلحن وأخبرنى بعض من كتب عليه ان من غريب ما شاهد من حاله انه كان يهوى شابا من أولاد الجند بطرابلس كان يكتب عليه وكان آخر ما تمثل به ومات عقبه سنة خمس وثلاثين وسبعمائة قول الصاحب بن عباد

يا من وهبت له نفسى فعذبها
ورمت تخليصها منه فلم أطق
أدرك بقية نفس فيك قد تلفت
قبل الممات فهذا آخر الرمق

قلت وليكن هذا ما وقع عليه الاختيار وطابت به لابن أبى حجلة حين سقط بمصر أوطار وكيف لا وقد سقطت منه على الخبير وأتيت من أخبار من غفر الله لنا ولهم بالجم الغفير فشهداؤهم من أعيان المشاهد وقتلاه وان اختلفت أسباب موتهم فداؤهم [illegible] ذلك والحمد لله كفاية وان كان [illegible] قصر الخبر

لانقلاب أبوى فكان ذلك داعية المهاجرة لديار مصر القاهرة فسافرت وهبطت مصر هبوط آدم من الجنة فوجدتها كما قال أبو الطيب ملاعب جنة غير انها تنبو عن قبول الحكمة فيها طباع الرجال نبو قبيلتهم الحسان من حى شيب القذال ينفر أحدهم عن كماله السرمد نفرة الظليم رأى الظلام فخود ثم تمثل بقول المتنبي

ما مقامى بدار نخلة الا * كمقام المسيح بين اليهود
انا فى أمة تداركها الله * غريب كصالح فى ثمود

وكان اذا سئل عن شئ من الفنون الحكمية والطبيعية والرياضية املى على السامع ما يبلغ الكراسة والكراستين وقد سأله رجل عن حقيقة النفس الانسانية فاملى عليه رسالة عظيمة فى ذلك وله كثير من التآليف الكبيرة والرسائل كالتذكرة وكتاب البهجة والدرة المنتخبة فيما صح من الادوية المجربة وله رسالة فى الحمام ألفها باسم الاستاذ البكرى قصيدة النفس المشهورة للشيخ الرئيس ابن سينا التى أولها

هبطت اليك من المحل الارفع * ورقاء ذات تودع وتمنع

(وله) منظومة فى هذا المعنى تشعر باعتراضه فيها على الشيخ الرئيس وأولها

من بحر أنوار اليقين بحسنها * فلو صل أو فصل تنوب كما ادعى

وكان كثيرا ما يتمثل بقصيدة الفاضل والفيلسوف الكامل أبى على الحسين بن سطراه البغدادى التى خاطب بها الفلك وتشتمل على مباحث حكمية ومسائل فلسفية وهذا أولها مع أبيات منها

بربك أيها الفلك المدار * أقصد ذا المسير ام اضطرار
مسيرك قل لنا فى أى شئ * ففى افهامنا منه انبهار
وفيك نرى الفضاء فهل فضاء * سوى هذا الفضاء به تدار
وعندك ترفع الارواح أم هل * مع الاجساد يدركها البوار
وموج ذى المجرة أم فرند * على لجج الدروع له أوار
وفيك الشمس رافعة شعاعا * بأجنحة قوادمها قصار

الى آخر ما قال (وله) غاية المرام فى تحرير المنظوم من الكلام ونزهة الاذهان فى اصلاح الابدان وزينة الطروس فى أحكام العقول والنفوس والفية فى الطب ونظم قانونجة وشرح عليه وله تآليف كثيرة لانطيل بذكرها ومن أعجب ما يحكى عنه فى قوة معرفته بعلامات الامراض ما أخبرنى به من اثق به بالقاهرة المعزية قال كان له حجرة بالمدرسة الظاهرية اتخذها لاجتماعه بالناس ومداواة أصحاب الباس فورد عليه فى بعض الايام رجل من الاجناد جاهرا بالسلام فلما سمع سلامه عرف مرامه وقال اذهب فلا شفى الله لك علة ولا برد الله لك غلة تشرب الخمر وتفعل ذلك الامر حتى يحدث لك هذا الداء وتأتى الضرير تروم منه لدواء ثم استتابه وشفاه من دائه بعد ما أشفاه وما فهم كنه علته الا من تحرك شفته وعجائبه فى هذا الباب لا تحصى وغرائبه لا تستقصى واذا أردت تفاصيل أحواله ومعتقداته وأقواله فعليك بكتاب خلاصة الاثر المذكورة تجد أوصافه فيها مسطورة

مقصود عن العاشق على ان فى ... العلمين فى زيارة الحرمين ما هو كنقش الخاتم لهذه الخاتمة والامواج العظيمة من الابحر المتلاطمة لاجرم انى لم أذكر من أخبار أهل الحجاز الا ما أشار اليه من الكتاب ببنان بيانه وبدا من ورقه وقلمه على صفحات وجهه وفلتات لسانه فكم فى الرحلة المذكورة فى ذكر من مات على هذه الصورة من أخبار متيم امتنع من هجوعه . أصبح غريقا بسحاب دموعه

لدى سمرات الحى برق يسامره
يذكره بالثغر ما هو ذاكره
يذكره عهد العذيب وما حوى
على حاجر سالت عليه محاجره
اذا ما بدا البرق اليمانى لعينه
فما هو الا وشيه وجبائره
سقى السفح من ذيل المقطم عارض
تعارضه من دمع عينى مواطره
فكم فيه من صب قضى وغرامه
أوائله لا تنقضى وأواخره
تطاول ليلى فى هواه ولو يشا
لقصره من حبه مقاصره
فيا للهوى العذرى ما العذر عندما
تغادر يومى مثل ليلى غدائره
صحا ما صحا من زال فى الحب عقله
بسكرة حب لا تزال تخامره
أيبرد ما ألقاه يا جارتى وقد
سبانى ظبى فاتن الطرف فاتره
أحاول منه وصله كل ساعة
فتمنعنى استاره وستائره
ولو لم يكن سلطان حسن لما سرى
بمصر وكل العاشقين عساكره
يجود عليهم حين يسرى جواده
فيحضر فى قلب المتيم حاضره
فلولا ما أمضى أمير ذوى الهوى
ولا نفذت فى العاشقين أوامره
ولولا سطا السلطان فى مصر لم تشى
مع الذئب ظبى ... مناظره

(يقول راجي عفو القريب المجيب خادم التصحيح ابراهيم الطاهري الحنفي)

الحمد لله الذي زين بالادب أهل محبته و رفع لهم منابر العز في دار كرامته سبحانه نحمده بالغدو والآصال وهو الموصوف بالكمال والجمال والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه الذين أسسوا قواعد الدين ومن بهم اقتدى وبهديهم اهتدى (وبعد) فقد تم بحمده تعالى طبع هذا الكتاب المستطاب المسمى بتزيين الاسواق في تفصيل أشواق العشاق للامام الجليل والحبر النبيل والكوكب المنير العلامة الشهير داود الانطاكي وهو كتاب قد كشف قناعه عن العشق بسائر أنواعه مطرزا هامشه بديوان الصبابة للحبر البارع والاديب البارغ اللامع شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي ولعمري انهما الكتابين ظريفين جديرين بان يكتبا بالتبر على صفحات اللجين فرحم الله مؤلفيهما وجعل الفردوس مقرهما وذلك الطبع الزاهي والوضع الباهي بالمطبعة الازهرية المصريه الكائن محلها بشارع الكتبيه ادارة راجي عفو ربه العلي القادر *(حضرة مصطفى بك شاكر وأخيه)* في أواخر شهر شعبان المكرم سنة ١٣٢٨ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه آمين

هو النصر المنصور والعادل الذي
بباطنه ما جار في الملك ظاهره
له في سبيل الله خير ذخيرة
وحسن الثنا بين الملوك ذخائره
ودرياقه في الثغر أقرب نيله
وسمر عواليه بمصر نواشره
يجزى الله عنه مصر ما هو أهله
فكم أمنت في قطرها من يجاوره
بجواد غدت نعماه منا قريبة
وان بعدت في السبق عنا ضوامره
فما عابه أن الجنود جنائب
وما أضره ان البروق ضرائره
له من بياض الصبح والليل أدهم
وأشهب كالبازي ينقض كاسره
فلا جابر يوما لما هو كاسر
ولا كاسر يوما لما هو جابره
ولله سر في علاه لاجل ذا
تباهي به فوق السرور سرائره
وتستقبل الآمال كعبة جوده
كما استقبل البيت المعظم زائره
فأي نوال ما أضاءت شموسه
وما هي ان حققت الا دنانره
هو البحر الا أن منهل جوده
موارده راقت به ومصادره
ولو لم يكن بحري ونظمي دره
لما عرضت يوما عليه جواهره
أجود فيه المدح كل عشية
واذكار فكري بالثناء تباكره
اذا تاه مدحي في دجى ليل نفسه
عن القصد دلته عليه مآثره
عبرت على الشعرى العبور فأومأت
الي وقالت أنت والله شاعره
فدحيه مدح المحب حبيبه
اذا زاره والليل قد نام ساهره
وحيه مالان يقاس بغيره
لاني قيس الحب فيه وعامره
وقدمات قبلي أول الحب وانقضى
ولومت أحيى الحب قدمات آخره
وصلى الله وسلم على خاتم الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

(فهرسة تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق)

صحيفة

صحيفة

(تمت)

